谷崎 潤一郎

تانيزاكي جونإيتشيو

الجزء الأول "الأخوات ماكي أوكا"



細雪
رقائق الثلج

الترجمة عن اليابانية آية حسن

小説
رواية

مكتبة 1675

رقائق الثلج

لكن بجانب الظروف التى ذكرتها سابقًا والتى صارت سببًا فى تأخر زواجها، فهناك أيضًا سبب لسوء حظ "يوكيقو" وهو أنها من مواليد برج الحمل.
عمومًا فإن الاعتقاد الخرافى بكراهية مواليد برج الحمل والكراهية الشديدة لبرج الحصان غير موجود بإقليم "طوكيو"، لذا فسكان ."طوكيو" شعورهم مختلف حيال الأمر
لكن بإقليم "كانساى" الذى يضم محافظات "أوساكا" و" كوبيه" و"كيوتو" _خصوصًا فى ما بين نساء القرى_ يُزعم أن مواليد هذين البرجين حظهم عثر ويتأخر زواجهم ومن الأفضل تجنبهم، حتى إنهم :يطلقون عليهم الأمثال الشعبية، مثل
"التعيسة من برج الحمل.. لن يُفتح لها باب ولا أمل"



تصميم غلاف: عمر مصطفى





رقائق الثلج

الجزء الأول

"الأخوات ماكى أوكا"

مكتبة | 1674



عنوان الكتاب: رقائق الثـــلج 細雪
الجزء الأول.. الأخوات ماكي أوكا
المؤلف: تانيزاكي جونيتشيرو 谷崎潤一郎
ترجمة: آية حسن شاكر





قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 – المقطم – القاهرة
ت، ف:- 002 02 28432157

mahrousaeg
almahrosacenter
almahrosacenter
www.mahrousaeg.com
info@mahrousaeg.com
mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران
مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ٢٦٦٨٧/ ٢٠١٩
الترقيم الدولي: 978-977-313-786-1

رواية



رقائق الثــــلج

الجزء الأول

"الأخوات ماكي أوكا"

تانيزاكي جونيتشيرو

ترجمة: آية حسن شاكر

الطبعة الأولى 2019



بطاقة فهرسة



فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

جونيتشيرو، تانيزاكي

رقائق الثلج/ تانيزاكي جونيتشيرو؛ ترجمة آية حسن شاكر.-ط1

القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2019

م ج 1، 306 ص؛ 21.5×14.5 سم

المحتويات: "الأخوات ماكي أوكا"

تدمك 1-786-313-977-978

1 - القصص اليابانية

أ-شاكر، آية حسن (مترجم)

ب- العنوان

891.63

رقم الإيداع 2019/26687



أبطال الرواية

- "تسوروقو"- الأخت الكبرى وربة البيت الرئيس للعائلة.
- "ساتشيقو"- الأخت الثانية وربة البيت الفرعى للأسرة.
- "يوكيقو"- الأخت الثالثة فى الثلاثين من عمرها وغير متزوجة، وهى خجولة ومترددة و أحيانا ينادونها ب "كى -أن" أو "يوكى".
- "تائيقو"- الأخت الصغرى المتطلعة للإبداع و العمل و السفر و تتبع أخر صيحات الموضة في مظهرها.
- "تاتسوأو"- موظف بنكى وزوج الأخت الكبرى، وأخذ لقب عائلة "ماكى أوكا" وتولى شئون العائلة و ينادونه بأخى الكبير أو أخونا بالقانون و بالتبنى كما تجرى العادة باليابان.
- "تينوسوكيه"- زوج الأخت الثانية "ساتشيقو"، و هو محاسب و أخذ أيضاً لقب عائلة "ماكى أوكا" و أصبح أخاهم بالقانون أو بالتبنى كما يعتادون ذكرها.
- "اتسوقو"- ابنة "ساتشيقو" و"تينوسوكيه" و أحيانا ينادونها "اتسو"و هي طفلة في السادسة من عمرها و تنادى خالتيها

بأخـواتى نظـرا لعيشـهم معـا فتنـادى خالتهـا "يوكيقـو" بأختـى الكبـيره ، و تنـادى "تائقـو" بأختـى الصغـيرة.

- "أوهارو"- خادمة بالبيت الثانى.
- "أوكوباتـا"- ابـن لتاجـر مـن عائلـة شـهيرة بأوسـاكا، وحـاول الهـرب مـع الأخـت الصغـرى "تائيقـو".
- "إيتـانى"- صاحبـة صالـون تجميـل تـتردد عليـه الأخـوات "مـاكى أوكا".
- "إيتاكورا"- مصوِّر وموظف بمتجر "أوكوباتا".





الفصل الأول

"أختي الصغيرة. هل لي أن أسألكِ؟"

حين رأت في المرآة "تائيقو" قادمة من الردهة تمرر الفرشة لتلمع رداءها بذاتها، حدقت إليها دون أن تلتفت إليها، كأن وجهها بلباسها الداخلي الذي انعكس أمامها هو وجه لشخص آخر.

سألتها "ساتشيقو":

- "أختك يوكيقو ماذا تفعل بالأسفل؟"

- "يبدو أنه بيانو اتسوقو".

حسنًا إذًا، فإن صوت تدريب العزف بالردهة هذا كان لـ"يوكيقو"، التي ارتدت رداءها سابقًا وأمسكت بـ"اتسوقو" وأسرعت لأنها تحاول أن تتدرب.

كانت "اتسوقو" تبدو كأنها ليست طفلة، بل شخص بالغ يمكث بالبيت حتى حين تخرج والدتها وتبقى لأجلها بالمنزل "يوكيقو"، لكن على الرغم من ذلك فهي اليوم في مزاج سيئ قليلاً، فقد خرج كلٌّ من "تائيقو" و"يوكيقو" مع أمها. لقد وافقت أن يأتوها عائدين قبل

موعد العشاء. بالطبع ستسبقهم "يوكيقو" فور انتهاء الحفل الموسيقى الذى سيبدأ فى الثانية.

- "مهلاً. أختى الصغيرة، إنه حديث يوكيقو، وهناك بقية أيضًا".
- "حسنًا".

وأسرعت "يوكيقو" خلف أختها "تائيقو" التى كانت تنفض مساحيق تجميل وجهها التى علقت بالآثار الواضحة لفرشة الملابس.

قطعًا هى ليست حدباء، وإنما فقط رأت ظهرها العارى المبلل بلونه ولمعانه فى شعاع ضوء يوم خريفى من وراء كتفَى "ساتشيقو" الممتلئة الجسم قليلاً، التى نهضت فجأة. رأتها مفعمة بالحيوية وليست كأنها واحدة تجاوزت الثلاثين مطلقًا.

- "ها قد جاءت السيدة إيتانى بما لديها من أحاديث".
- "حسنًا".
- "موظف. موظف بشركة الصناعات الكيماوية MB".
- "وكم يبلغ راتبه تقريبًا؟"
- "راتبه الشهرى 178 ينًا، وإن أضفنا العلاوات سيبلغ نحو 250 ينًا".
- "إن كانت هى شركة الصناعات الكيماوية MB كما تقول، فإنها شركة فرنسية".
- "أعلم ذاك الأمر".

كانت "تائيقو" أصغر أخت هى التى على دراية بهذه الأمور أكثر من كلتا الأختين الكبريين، بل من الأدعى هنا أن تراهما بكامل السذاجة وهما لا تدركان شيئًا عن العالم، خصوصًا وهما تتحدثان بأسلوب الأكبر سنًا.

- "لقد سمعت باسم هذه الشركة من قبل. إنها شركة رأسمالية كبيرة ومقرها باريس".
- "أليست هى البناية الضخمة على طريق الشاطئ بكوبيه؟"
- "هى كذلك. إنه تعيَّن هناك".
- "ذاك الشخص، هل يجيد الفرنسية؟"
- "ممممم. لقد تخرج فى قسم الفرنسية باللغات الأجنبية لأوساكا، وذهب إلى باريس عدة مرات، وعمل مدرس لغة فرنسية فى مدرسة مسائية بعد الشركة حين كان راتبه 100 ين، ليصير دخله من كلا العملين 350 ينًّا".
- "ومدخراته؟"
- "فى الحقيقة مدخراته لا شىء. والدته تعيش بمفردها فى الأرياف وهى تسكن ببيت عتيق، وهو لديه أرض وبيت يسكن به فقط فى منطقة روقُّو، اشتراه بقسط سنوى، وسمعت أنه بيت صغير على الطراز الحديث. هذا ما شاعت معرفته".
- "ومع ذلك فإنه إذا وفَّر الإيجار سيتمكن من العيش بأكثر من 400 ين".
- "كيف هو الأمر ليوكيقو؟ إنه يعول أمه فقط، وهى تعيش فى الأرياف وقليلاً ما تأتى إلى كوبيه. هذا أول زواج له وهو فى سن الحادية والأربعين".
- "ولِمَ لم يتزوج حتى سن 41؟"
- "ألا يمكنك أن تقولى إن ذاك أعطاه مميزات؟"
- "أشك فى ذلك، سأبحث فى الأمر".
- "إنها متحمسة".

- "سأذهب لطلب صورة كى أن".

هناك أخت تكبر "ساتشيقو" هى "تسوروقو"، وتقطن بمسقط رأسها، لذلك فإن "تائيقو" اعتادت منذ الصغر أن تنادى "ساتشيقو" بالأخت الوسطى وأن تنادى "يوكيقو" بالأخت الأكبر "يوكى" أو "كى أن".

- "لقد تعهدت للسيدة إيتانى أن أجلب لها الصورة بطريقتى، ويبدو أنها ستنال ما أرادته".

- "أليست لديكِ صورة له؟"

لم يعد يُسمع صوت البيانو بالأسفل، وظنت "ساتشيقو" أن "يوكيقو" لن تأتى.

- "افتحى ذاك الدرج الصغير الأعلى على اليمين، انظرى فيه".

وأخذت عصاها ذات اللون القرمزى وأرسلت إلى وجهها القبلات بالمرآة.

- "وجدتها. ها هى".

- "حسنًا أعرضتِ هذه على كى أن؟"

- "عرضتها".

- "هل قالت لا أدرى؟"

- "كالمعتاد لا أدرى وتقول فقط: ممم، هذا الشخص. أختى ما رأيك؟"

- "الأمر على هذا النحو لا بأس به، ولا أعلم كيف سيبدو الرجل. وإنما مهما بدا فهو موظف".

- "حسنًا. لا خلاف على ذلك".

- "فى الأمر شىء واحد جيد ليوكيقو: سيعلمها الفرنسية".

بالكاد انتهت "ساتشيقو" وفكت رباط ورقتها المطوية التى تضعها بالكيمونو، ولكنها على الفور تذكرت.

- "حسنًا، أنا لدىّ نقص ب. أختى اذهبى إلى الأسفل، وأخبرينى حين تنتهين من تعقيم الحقنة".

كان مرض البرى برى[1] مستوطنًا بإقليم "أوساكا وكوببيه"، ولربما كان هذا سبب ما قالته. كانوا يبدؤون بالأزواج فى هذا المنزل، وكانت "اتسوقو" تعانى هذا المرض كل عام من الصيف حتى بدايات الخريف حتى صارت تلميذة فى الصف الأول الابتدائى هذا العام، لذلك صارت حقن "فيتامين ب" عادة، ولم تعد بحاجة إلى الذهاب إلى الطبيب مؤخرًا. كانت الأسرة بكاملها تُعد حقنة عقار "بيتاكسين" القوى، وتجتمع فى الحال كأن شيئًا لم يكن. كانوا يطلقون على ذلك "نقص ب" إن لاحظ أحد سوء حالة جسدها الضئيل بسبب المرض.

توقف صوت عزف البيانو وعادت "تائيقو" بالخلاصة وجلبت الصورة، ولكنها ذهبت إلى أول السلم ومكثت تختلس النظر لأسفل دون أن تنزل، ثم صاحت:

- "عذرًا، هل هناك أحد؟"

- "سيدتى، الحقنة، لقد عقمت الحقنة".

(1) مرض يصيب الجهاز العصبى بسبب نقص فى الثيامين thiamin فيتامين بي1) أعراض المرض تشمل نقصًا فى الوزن، اضطرابات نفسية، تلفًا فى وظائف الأعصاب الحسية، ضعفًا وآلامًا فى الأطراف ودورات من عدم انتظام ضربات القلب. يكثر هذا المرض بين الناس الذين يتكون طعامهم من الأرز الأبيض منزوع القشرة (الذى قد يحتوى على القليل من - أو لا يحتوى على الإطلاق - الثيامين بسبب إزالة القشرة الخارجية عنه، التى تحتوى على معظم الثيامين).

الفصل الثانى

كانت السيدة "إيتانى" صاحبة مركز تجميل بالقرب من فندق "أورينتال أوتيل" بـ"كوبيه"، الذى تتردد عليه باستمرار عائلة "ساتشيقو"، حيث كانت تسألها بالضرورة عن أمر "يوكيقو". ولأن "ساتشيقو" تدرى أن "إيتانى" تحب أحاديث الزواج أعطتها الصورة، ومنذ بضعة أيام، حين ذهبن جميعًا، السيدة "إيتانى" دعت "ساتشيقو" فى وقتها الشاغر لتصاحبها لاحتساء الشاى، وحينها بدأ الحديث فى ردهة الفندق. ظنت "ساتشيقو" أنه ليس من الذوق ألا تخوض فى حديث، بل قد يكون ضياعًا لحسن الحظ، لذلك عرضت عليها صورة أختها التى لا تزال تحت رعايتها ولم تتزوج بعد دون أى غرض ما، حتى إن هذا الحديث دار منذ قرابة شهر ونصف، وعليه لم تكن هناك أى أخبار لبعض الوقت، لذلك كادت تنساه.

لكن فى غضون ذلك كانت السيدة "إيتانى" قد بحثت فى أمر العائلة والبيت الرئيس بأوساكا والبيت الفرعى للعائلة، وبعدها ذهبت لتسأل عن شأن ذلك الشخص بأماكن تدريس فنون الخط والإتيكيت، وبحثت أيضًا عمّا إن كان على علم بشأن عائلة "ماكى

أوكا"، وإن كان يدرى أى شيء عن حادث الجريدة مثلاً والخطأ بذلك المقال وذهابهم إلى مقر الجريدة خصوصًا. واتضح أنه يتفهم الأمور جيدًا وما زال يريد أن يلتقى "يوكيقو" حتى وإن كانت أختها كذلك. وقد شرح للسيدة "إيتانى" موافقته.

قالت عنه السيدة "إيتانى":

- "إنه شخص متواضع وهناك اختلاف فى المستوى الاجتماعى بينه وبين أسرتكم -أسرة ماكى أوكا، غير أن راتبه ضئيل. لا أظنه سيتقدم لأختكم لأنه من المؤسف أن يجعلها تعانى مع أسرته الفقيرة، ولكن على كل حال إن استطاع الزواج -وإن كان الأمل ضعيفًا- فإنه يرجو فقط التحدث معها. رأيى أن وضعه الاجتماعى ليس متفاوتًا إلى هذا الحد. إن جده متقاعد بإقليم بغرب طوكيو، والآن تبقى له بيت بقطعة أرض فى البلدة مسقط رأسه، وعائلتكم عائلة عريقة بأوساكا، ولكن إن مكثتم قيد هذا التفكير العتيق ففى النهاية ستستمر أختكم فى تأخرها عن الزواج، وفى معظم الأحوال تظنون أن من الأفضل أن تصبر، فى حين أنه فى الواقع حتى إن كان راتبه ضئيلاً فهو ما زال فى الحادية والأربعين من عمره ولا يمكن ألا نتوقع زيادة راتبه. علاوة على ذلك فعلى خلاف الشركات اليابانية هو لديه متسع من الوقت للتدريس بالمدارس المسائية، ومن السهل عليه أن يزيد دخله عن الأربعمئة ين، لذلك ليس لديه ما يعوق تحمله لأعباء زواج وجلب خادمة.

إنه كان بالمدرسة نفسها مع أخى بالإعدادية وأخى يعرفه جيدًا منذ صغرهما ويقول إنه شخص مضمون.

على الرغم من ذلك أنتم لا تبحثون عمًا بأيديكم ولو لمرة، أن سبب تأخر زواج أختكم فى الحقيقة ليس من الخارج بل بسبب تفضيلكم للمظاهر، وهذا أظنه المتوقع منكم.

إنه يذهب إلى باريس، ولأنه قد تجاوز الأربعين فهذا يعنى بالضرورة أنه يعرف فتيات بالطبع، لكن ما شعرت به حين قابلته هو أنه حقًا غاية فى الجدية ولا يدرى معنى اللهو ولو بالقليل. أما عن حب المظاهر فهناك نوع من الأشخاص يأخذون بها جيدًا، لكن ذلك الشخص أيضًا جاءت ردة فعله برؤيته لباريس فى أن ينحصر طلبه فى زوجة جميلة على النمط اليابانى الأصيل لا تتشبه بالنمط الغربى فى ملابسها، مهذبة، رزينة، أنيقة، حسنة المظهر، ملامحها طبيعية فقط وإنما بالمقام الأول يريدها ممشوقة القوام، لذلك على الفور فكرت فى عائلتكم لكن.. على هذا النحو!"

كانت السيدة "إيتانى" تدير صالون تجميل وترعى زوجها طريح الفراش الذى أصيب بالشلل منذ زمن طويل، بجانب تكفُّلها بأخيها الصغير حتى حصل على درجة الدكتوراه فى الطب، وفى ربيع هذا العام التحقت ابنتها بجامعة بـ"طوكيو" بحى "مجيررو"، فهى عوضًا عن كونها زوجة عادية وبدلاً من أن تكون سريعة البديهة بارعة فى كل شيء، ستجدها تفتقر للأنوثة فى مزاولتها للأعمال التجارية، لا تنسق كلماتها أو تتبع طرائق ملتوية فى الحديث، تفصح على الفور عمًا بداخلها مهما كان ودون مبالغة، وتخبرك بالحقيقة إن اضطرت إلى ذلك، فهى ليس بمكنونها أى سوء للآخرين.

فى البداية تساءلت "ساتشيقو" أيضًا عن كونها دائمًا تتحدث مسرعة كأنها على عجلة من أمرها، وتجدها تستمع بتأنٍّ وتنصح بكل محاباة على نحو مسيطر، وفوق كل ذلك تأتيك بحديث عقلانى بلا ثغرات لذلك تشعر بأنها تقلب الأمور رأسًا على عقب فجأة.

إنها على الفور تناقشت مع أسرة "ماكى أوكا"، وأيضًا بحثت فى أصل ذاك الشخص، وحينها خالفتهم الرأى. هناك كثير ممن ارتاب فى أمر "يوكيقو" الأخت التالية لـ"ساتشيقو" بخصوص تخطيها سن الزواج على حين غرة ودخولها فى سن الثلاثين، لكن فى الحقيقة لا داعى لذلك. إن قولنا إن أكبر سبب هو فقط الأخت الكبرى "تسوروقو" والتى تليها "ساتشيقو"، علاوة على "يوكيقو" ذاتها، والحياة المرفهة لأبيهن واللقب العريق لعائلتهن، وأخذنا بالأعراف الاجتماعية للعائلات الكبيرة، سنجد أن النتيجة هى رغبتهن فى عائلة زوج مناسبة لاسم عائلتهن.

فى البداية كانت تنهال عروض الزواج، ولكنهن استمررن فى الرفض لشعورهن بأن أيًا منهم لم يكن مناسبًا، وبعدها شيئًا فشيئًا لم يعد هناك أحد بهذا العالم متمسكًا بتلك الأحاديث التحيزية، وفى تلك الآونة بدأت تتناقص ثروات العائلة أكثر فأكثر، لذلك كلمات السيدة "إيتانى": "كفاكم تفكيرًا فى ما كان بالماضى" هى بالفعل نصيحة طيبة، ظنًا منها أن ذلك هو الأصلح. وعلى ذلك فإن عائلة "ماكى أوكا" فى أحسن الأحوال كان عهد زهوها حتى نهاية عصر "تايشو"[1]، وبهذا فإن أمرهن فى تلك الفترة لا يدريه سوى القليل من سكان "أوساكا"، وغالبًا لا يمكث الأمر إلا بذكرياتهن. وإن تحدثنا بصراحة أكثر فإن طريقة أبيهن اللينة فى شئون أعماله وحياته هى التى جاءت فى النهاية بما لا يحمد عقباه، وتسببت فى توالى الفشل واحدًا تلو الآخر. وبموت الأب وإقامة سياسات دمج الأعمال التى تلاها العصر الإقطاعى -عصر شوجون- وما أعقبه من تسليم متاجر بناء السفن التى يعود تاريخها بكل فخر إلى عصر "شوجون" الإقطاعى، ظلت "ساتشيقو" و"يوكيقو" طويلاً لا يمكنهما نسيان حياة أبيهما.

كانتا تمران من أمام المتجر ذى الجدران الطينية المحتفظ بوجهته العتيقة الأصلية إلى أن أُعيد تصميمه وإنشاء مبناه الحالى. كانتا

(1) بدأ عصر تايشو بتولى الإمبراطور تايشو العرش فى 1912 حتى 1926.

تختلسـان النظـر باشـتياق إلى داخلـه الكئيـب مـن خلـف السـتائر القصيرة. كان أبوهـما -أبـو الفتيـات الـذى ليـس لديـه صبيـة- قـد تقاعـد فى سـنته الأخـيرة وسـلَّم كل إرث الأسرة إلى ولـد تبنـاه، هـو "تاتسـوأو" زوج ابنتـه الأولى، وفعـل أيضًـا المثـل مـع زوج ابنتـه الثانيـة "ساتشـيقو"، وجعلهـما فرعًـا للعائلـة بالبيـت الثـانى، لكـن الابنـة الثالثـة "يوكيقـو" لسـوء حظهـا كانـت لم تبلـغ بعـد سـن الـزواج فى ذاك الوقـت. لم تأتِهـا أى فـرص مناسـبة عـن طريـق والدهـا، وأسـاء زوج أختهـا، شـقيقها بالقانـون، فهـم موقفهـا.

كان "تاتسـوأو" ابنًـا لموظـف بنـك، وهـو أيضًـا مُعـيَّن ببنـك بـ"أوسـاكا" حتـى تبنـوه، وبعدمـا اسـتلم مهـام أسرة "مـاكى أوكا" أيضًـا ظـل عملـه الفعـلى موظفًـا رفيـع الشـأن بالبنـك، وبمـوت الأب عـاداه إخوتـه بالقانـون وأقاربـه وأجـبروه عـلى الابتعـاد.

مـا زال "تاتسـوأو" يثابـر ويتحمـل أمـورًا مـن ذاك القبيـل، ولا أدرى إن كان اسـتطاع أن يجتازهـا أم لا، فقـد سـلمت أسرة "مـاكى أوكا" المتجـر إلى رجـل اسـتأجرته للمهـام نفسـها، وعـاد "تاتسـوأو" مـرة أخـرى موظفًـا بنكيًـا. وعـلى حـد هـذا القـول فإنـه شـخص مختلـف عـن أبيـه الـذى تبنـاه والـذى كان مهتـمًّا بالمظاهـر، فهـو شـخص يمكـن الاعتـماد عليـه، ومـن ناحيـة أخـرى الخجـل مـن شـيمه، فعـلى الرغـم مـن أنـه اسـتعاد مكانتـه بـأسرة غـير عاديـة واسـتمر يصـارع الصعوبـات الماليـة، فإنـه فضَّـل اختيـار الطريـق الآمـن ظنًّـا منـه أن الأمـر لا يناسـبه، لأن شـخصًا مثلـه يحـترم مسـئولياته حقًّـا.

أحبـت "يوكيقـو" أيـام المـاضى وكانـت بداخلهـا غـير راضيـة بتصرفـات أختيهـا، وشـعرت بـأن أباهـا أيضًـا كان سيشـعر بالمثـل فاسـتمرت فى نقدهـما عـلى نحـو غـير مبـاشر، ولكنهـما بمجـرد مـوت أبيهـما تحمسـتا بشـدة لتزويجهـا بشـخص ذى مركـز رفيـع بالبنـك فى فرعـه الإقليمـى، كان وريثًـا لعائلـة ثريـة بمدينـة "طويوهـاشى".كان "تاتسـوأو" بالمقـر الرئيـس

لهـذا البنـك، لذلـك اسـتطاع أن يعـرف كل المعلومـات عـن شـخصية ذلـك الرجـل وحالتـه الماليـة.

إنـه بالنسـبة إلى عائلـة "مـاكى أوكا" شريـك رائـع فى الوقـت الراهـن، وهـذا الشـخص محبَّـذ لديهـم لذلـك كانـوا يجعلونهـما يخوضـان الأحاديث معًـا قبيـل المقابلـة الرسـمية للـزواج.

قابلتـه "يوكيقـو" ورأتـه لكنـه لم يرُقهـا لأنـه لم يكـن أنيقًـا، وشـعرت بأنه بـأى حـال مـن الأحـوال ريفـى. إنـه لم يلـقَ استحسـانها وإن كان يروقهـم. قـد تظـن أن "يوكيقـو" خرجـت مـن المدرسـة الإعداديـة بسـبب مرضهـا ولم تلتحـق بالمـدارس العليـا كـما يقـال، وقـد تظنهـا ضعيفـة فى التعليـم الأكاديمـى، لكـن الحقيقـة هـى أن هنـاك قلقًـا مـن أن "يوكيقـو" التـى تخرجـت فى قسـم اللغـة الإنجليزيـة وآدابهـا بنتيجـة ممتـازة لـن تتمكـن مـن إبـداء الاحـترام لهـذا الشـخص، وإن كانـت ضمانـات الحيـاة هـى كونه وريثًـا لأسرة رأسـمالية، فـإن العيـش وحيـدة ببلـدة صغـيرة بإقليـم مثـل "طويوهـاشى" لهـو أمـر لـن تتحملـه. تعاطفـت معهـا "ساتشـيقو" أكـثر من أى أحـد وعدّتـه أمـرًا بائسًـا. أمـا عـن أخيهـا بالتبنـى فهـو لا يـدرى إن كانـت متقنـة للتعليـم الأكاديمـى أم لا، ولكنـه يعلـم أنهـا مـترددة قليـلاً وانطوائيـة، ولأنهـا لديهـا هوايـات يابانيـة فإنهـا تناسـبها عيشـة بلـدة ريفيـة هادئـة قليلـة الإثـارة، ومـع شـخص هـادئ أيضًـا سـيكون الخـلاف أمـرًا مفروغًـا منـه.

لكـن خلـف ظنـه وكان هنـاك فـارق، فـ"يوكيقـو" الخجـول الشـديدة الحيـاء، التـى لا تجـرؤ عـلى الحديـث أمـام العامـة، بهـا أيضًـا مـا تُخفيـه ولا يبـدو عـلى مظهرهـا، فهـى امـرأة لا يمكنهـا الخضـوع أو الإذعـان، وهـذا مـا أدركـه "تاتسـوأو" للمـرة الأولى.

لكـن بالنسـبة إلى "يوكيقـو" حتـى إن كانـت قـررت الرفـض رفضًـا قاطعًـا مـن داخلهـا، فـإن مـا تجيـد قولـه سريعًـا هـو الإجابـات الغامضـة

دون أن تبـوح لإحـدى أختيهـا، وفى آخـر لحظـة تفصـح عـما بداخلهـا لـ"ساتشـيقو"، ومـما قالتـه أن هنـاك أسـبابًا يصعـب الحديـث عنهـا أمـام أخيهـا المتحمـس.

وفى هـذه الأجـواء وبعادتهـا السـيئة بكونهـا لا يسـعها الـكلام، أصبـح "تاتسـوأو" لديـه شـعور مختلـف بعـدم رفضهـا، ولكـن بعـد مقابلـة الزواج والشـغف والإلحـاح وصـل الحديـث إلى الأمـر الـذى لا يمكـن اجتنابـه وأوضحـت "يوكيقـو" نواياهـا بالرفـض، وهنـا تنـاوب فى نصحهـا كل مـن أختهـا الكـبرى وأخيهـا، ولكنهـا حتـى النهايـة لم تـصرح بقـول: "حسـنًا"، فكانـت خيبـة أمـل أخيهـا كبـيرة، فقـد ظـن أن عـرض زواج كهـذا فقـط هـو الـذى سيسـعد والدهـم فى آخرتـه، بـل وكانـت الورطـة الكـبرى أنـه بعدمـا ظـن أن ذلـك الشـخص سـيكون واسـطته بالبنـك مـع ذوى المراكـز العليـا، فإنـه الآن سـيتصبب عرقًـا أمامـه دون حتـى أن يلقـى التحيـة.

فـوق ذلـك، سيشـاع أن لديهـا أسـبابها وسـيقع عليـه اللـوم ويبـدو كالأبلـه ولـن تأتيهـا عـروض زواج أخـرى.

وإن ظلـت "يوكيقـو" كـما هـى وقيـل عنهـا لا ترغـب فى الأمـر وأثـارت الشـكوك وتشـوهت سـمعتها، ألـن يكـون ذلـك مـن دوافعهـا الكامنـة لتضـع أخاهـا فى موقـف أليـم عـن عمـد؟!

مـن هنـا، ومـن التجربـة المريـرة لإخوتهـا معهـا، فهـم يفرحـون حـين يأتيهـم الآخـرون بأحاديـث عـن الـزواج ولكـن لا يأخـذون الأمـر بإيجابيـة ويصفونـه بالجيـد أو السـيئ، بـل يتهربـون مـن الأمـر قـدر المسـتطاع.

الفصل الثالث

كان هناك بالفعل سبب آخر لتضاؤل فرص "يوكيقو" للزواج ذكرته السيدة "إيتانى" بذكرها "حادث الجريدة". منذ قرابة خمس أو ست سنوات حين كانت أصغر أخت "تائيقو" فى العشرين من عمرها، وقعت فى حب ابن عائلة "أوكوباتا"، وهى عائلة عريقة لتجارة المعادن النفيسة برصيف الميناء نفسه، ووقع حادث هروبهما معًا. كان أمر زواج "تائيقو" أولاً متجاهلة أختها الكبرى "يوكيقو" شيئًا يصعب تداوله فى الأعراف التقليدية. بدا أن دوافعهما جدية لذا توجها معًا نحو تدبير متآمر غير اعتيادى، لكن كلتا العائلتين لا يمكن أن تسمح بمثل هذا الشىء، لذلك إن استحضرتا الأمر من حين إلى آخر تتظاهران كأنه تم تصفية تلك المسألة السخيفة، وإنما من سوء حظهما أن الحادث صدر بجريدة البلدة.

علاوة على ذلك أخطأت الجريدة فى اسم "تائيقو" وصدر الخبر باسم "يوكيقو"، والسن المذكورة أيضًا كانت سنها.

داهمتهم المخاوف من طلب حذف الاسم من أجل "يوكيقو"، لأنهم إن صححوه فسيذكرون فى ملاحظة فى الجهة الأخرى ما فعلته "تائيقو"

ويصلـون إلى النتيجـة نفسـها، وإن ظلـوا متجاهلـين الأمـر باعتبـاره كلامًـا عاريًـا مـن الصحـة مثلـما رجـح كبـير العائلـة "تاتسـوأو"، فإنـه لا ينبغـى إلصـاق التهمـة بشـخص لا ذنـب لـه عوضًـا عمـن ارتكـب خطـأه، لذلـك طالبـوا بحـذف الاسـم فقـط، وكالمتوقـع مـا صـدر بالجريـدة ليـس الحـذف ولكنـه تصحيـح جـاء بـه اسـم "تائيقـو".

تصـور "تاتسـوأو" أنـه كان حريًـا بـه الإصغـاء لـرأى "يوكيقـو" أولاً، لكنـه يـدرى أنهـا بطيئـة فى الـكلام ولـن تعطيـه إجابـة واضحـة فى كل الأحـوال، وإن تناقـش مـع بقيـة الأخـوات فسـيزداد الأمـر تعقيـدًا بـين "تائيقـو" و"يوكيقـو" اللتـين تتعـارض مصالحهـما الآن، لـذا تحـدث فقـط مـع زوجتـه آخـذًا عـلى عاتقـه وحـده المسئولية كاملـة.

إن تحدثنـا مـن منطلـق الصراحـة فـإن هـذا كان إلى أقـصى مـدى إعمالاً لنوايـاه الحقيقيـة التـى تريـد خـيرًا بـ"يوكيقـو" لمحـو التهمـة الباطلـة عنهـا، حتـى إن كان سـيضحى بـ"تائيقـو"، وعـلى حـد هـذا القـول فإنـه أراد أيضًـا أن ينـال اطمئنانهـا فى هـذه الفرصـة لأنهـا فى الحقيقـة كانـت أكـثر أخـت لـه بالقانـون صعبـة المـراس ولا تثـق بـه أو تطمـئن لـه إطلاقًـا وهـو الراشـد الهـادئ، لكـن حينهـا خلفـت حسـاباته ولم ينَـل سـوى إحسـاس كل مـن "تائيقـو" و"يوكيقـو" بالامتعـاض.

بالنسـبة إلى "يوكيقـو" كانـت المقالـة الخاطئـة بالجريـدة هـى مـن قبيـل سـوء حظهـا ولا حـل سـوى تـرك الأمـر، والحـذف أو أى شيء عـلى هـذا النحـو عـادةً بـلا جـدوى ويصـدر بركـن صغـير لا تلحظـه أعـين الناس.

أمـا بالنسـبة إلى الجميـع فصـدور الخـبر بالجريـدة كثـيرًا سـواء بالحذف أو غـيره مـا هـو إلا شيء تعـس، لذلـك فمـن الحكمـة تجاهلـه بهـدوء.

كان شـيئًا جديـرًا بالشـكر أن يسـتعيد أخوهـن سـمعتهن، لكـن مـاذا عـن الابنـة الصغـرى؟! فبجانـب أن فعلتهـا مشـينة فـإن اعتبرناهـا واقعـة

تهور من شريك بالعائلة لم يبلغ رشده بعد، سنجد أنه لمن الأولى إلقاء اللوم على سوء تدبير وتحكمات كلتا العائلتين.

حين وقعت حادثة الجريدة هذه لم يجرؤ "تانسوأو" على مواجهة الناس قط حتى بلغ الأمر أنه تقدم باستقالته، والأكثر من هذا أنه تدارك المسألة بهدوء قائلاً: "لا داعى لقول أى شيء".

لكن المصيبة التى حلت بـ"يوكيقو" لم يكن هناك ما يعوض عنها.

هناك البعض ممن تنبهوا بمقال التصحيح وعلموا بما لحقها من تهمة كاذبة، لكن حتى إن كانت بريئة فلقد كانت الحقيقة التى ذاعت هى عن أختها الأصغر، وصار هذا من أهم أسباب تأخر زواجها ناهيك بثقتها بذاتها.

ببساطة كانت "يوكيقو" ذاتها تتظاهر قائلة: "الأمر ليس بحد أن يجرحنى". لذلك لم يكن الجو العام سيؤدى أبدًا إلى صدع فى المشاعر بين الأختين بسبب تلك الحادثة، بل على العكس فالأمر جعل أختاها تميلان نحو احتواء "تائيقو".

ذهبت كلتا الأختين من البيت الرئيس ببلدة "أويه هون" إلى البيت الفرعى بـ"كنكيو أشيجاوا"، وكان الاتجاه السائد باستمرار عن ذى قبل هو أن تأتى وتعود كل واحدة منهما على حدة إلى بيت "ساتشيقو"، وتتناوبان الأدوار فى المبيت. ظل الوضع هكذا على مر عدة سنوات ولم يطرأ أى تغيير ما على "يوكيقو"، لكن حدث تطور غير متوقع بشأن "تائيقو"، وفى النهاية كانت لذلك علاقة بمصير "يوكيقو".

أتقنت "تائيقو" منذ عهدها بمدرسة الفتيات صنع الدمى فى وقت فراغها، ومع تطور التقنيات استطاعت أن تعرض منتجاتها على أرفف المحلات التجارية. كانت مصنوعاتها كالدمى الفرنسية وأشياء على النمط اليابانى الأصيل مثل "الكابوكى"[1] وغيرها كثيرًا، وتومض

(1) كابوكى باليابانية 歌舞伎 من أنواع المسرح اليابانى، ويرجع تاريخ هذا المسرح إلى فترة

كلها بريقًا بموهبتها الفريدة التى لا تتبع أو تحاكى أحدًا بل تروى ذوقها الرفيع العابر للثقافات والفنون والدراما والسينما، وكل قطعة فنية تخرج من بين يديها تحشد معجبيها، حتى إنها فى العام الماضى استأجرت معرضًا بشارع "شينساى باشى" وافتتحت معرضها الخاص بحثُّ من أختها الأكبر "ساتشيقو".

فى البداية كانت تذهب إلى بيت "ساتشيقو" لصخب جموع الأطفال ببيت العائلة، ثم صارت بعد ذلك فى حاجة إلى فرقة كاملة خاصة بعملها، فاستأجرت شقة من غرفة واحدة بمنطقة "شووطو" حيث خط السكة الحديد نفسه، وبذلك يمكنها الذهاب حيث بيت "ساتشيقو" فقط فى ثلاثين دقيقة.

لم يرُق لأخيهن أن تأتيهن "تائيقو" كسيدة أعمال، خصوصًا أن "ساتشيقو" تحدثت إليه بشأن استئجارها لغرفة.

"تائيقو" التى لديها وصمة عار بماضيها والتى بسببها يتأخر زواج "يوكيقو" كان من الأفضل لها أن تجد لنفسها عملاً واحدًا يناسبها، حتى إن قيل إنها استأجرت غرفة فإنها لعملها فقط وليست للمبيت.

وماذا بها إن كانت لديها صديقة مرحة وأرملة ولها شقة تؤجرها فطلبت منها استئجارها، ولأن المكان قريب فهى تذهب لرؤيتها بين الحين والآخر، ودائمًا ما ترحب بمجيئها بعد عملها.

كانت "تائيقو" بشخصيتها المبتهجة على العكس من "يوكيقو" تلقى الفكاهات والأمثال، لكن منذ وقوع الحادثة صارت متجهمة ضائعة فى أفكارها على نحو غريب، وصار عالمها الجديد الذى فتحت أبوابه هو النجدة.

إيدو، وهو عكس فنون المسرح التى كانت سائدة آنذاك مثل مسرح نو، فقد حظى هذا الفن بشعبية كبيرة، وكان انتشار فن المسرح قبلها محصورًا داخل أوساط رجال البلاط والنبلاء فقط.

إنها مؤخرًا استعادت المرح كسابق عهدها ولامس هذا منظورها للحياة، فقد تحسنت أحوالها المادية للغاية، فقد كانت تتلقى مصروفها الشهرى من أسرتها إضافة أيضًا إلى بيع منتجاتها بقيمة عالية، فكانت تبهر الجميع بين الحين والآخر بحقيبة ترتديها أو حذاء رائع مستورد تنتعله، إلا أن أختيها الكبيرتين "يوكيقو" و"ساتشيقو" كانتا تشعران حيالها بالقلق وتنصحانها بالادخار، لكن لا حاجة إلى قول إن الطريقة التى برعت بها فقط هى دفتر توفير البريد، وكانت تسلمه إلى أختها "ساتشيقو" فقط التى كانت هى الوحيدة التى تطلعها على أمورها الشخصية، حتى إنها قالت:

"أختي الوسطى إن لم يكفكِ مصروفك يمكننى إقراضك".

إلا أن "تائيقو" لم تنطق بشيء البتة من اندهاشها.

استطردت "ساتشيقو" قائلة: "لقد رآكِ زوجى تسيرين مع أوكوباتا للبنك فى شوكوجاوا. ها قد انتبه لكما أحدهم".

فى الحقيقة حينها تدحرجت قداحة من جيبها وهى تُخرج محرمتها، وها قد عُرف ما كانت تخبئه وعُرف أنها تدخن السجائر، لكنها أصبحت فى الخامسة والعشرين من عمرها والقصد أنه ليس هناك ما يمكن فعله حيال ذاك. حتى لو سألنا من رآها ذاته فسيجزم بذلك.

وما إن تتساءل أكثر وأكثر حتى تجد أن ردها كان: "أريدكم أن تثقوا بى لأنى صرت بالغة وتغيرت عن ذى قبل، ولا ألتقيه إلا فى المناسبات".

وقالت إنها ليست على اتصال به بعد، ولكنه جاءها فى افتتاح معرضها وهو أكثر من ابتاع منتجاتها، وبعدها صار يرافقها وتظهر صداقتهما جلية. لكن "ساتشيقو" حين وصلها ما آل إليه الوضع وشعرت بأنها بجلبها إلى بيت العائلة ستكون هناك مسئولية -على عكس الوضع فى شقة مستأجرة، فهو مقلق فهذا الشخص يذهب إليها بحجة التصنيع متظاهرًا بأنه فنان ليتقرب منها يومًا بعد يوم،

وهـى ليسـت لهـا أى قواعـد خاصـة بعملهـا، فهـى تسـتريح لأيـام متتاليـة عـدة ثـم تواصـل عملهـا دون نـوم حتـى الصبـاح التـالى وتعـود بوجـه شـاحب. لم يكـن هنـاك داعٍ ليسـمحوا لهـا بالمبيـت فى شـقتها فلـم تصـل الأمـور إلى هـذا الحـد.

عـلاوة عـلى ذلـك، كانـت "تانيقـو" تـدرك أنـه ليـس عليهـا الاتصـال والإبـلاغ عـن موعـد خروجهـا مـن هنـاك ووصولهـا إلى هنـا، سـواء مـن وإلى البيـت الأصـلى بـ"أوإيـه هونماتـشى" أو الفرعـى بـ"أشـيبيا" أو شـقتها بـ"شوكوجاوا".

أدركت "ساتشيقو" لاحقًا أن اهتمامها مبالغ فيه.

فى يـوم مـا فى أثنـاء تغيـب "تانيقـو" ذهبـت "ساتشـيقو" إلى تلـك الشـقة، وقابلـت صديقتهـا المالكـة لهـا وسـألتها عـلى نحـو غـير مبـاشر، فـكان قـول هـذه السـيدة إن ابنـة عائلتكـم لهـى إنسـانة عظيمـة، تأتيهـا بضعـة تلاميـذ لتتعلـم طريقـة صنـع الدمـى، أمـا عـن الرجـال والشـابات والزوجـات فالأمـر لا يتعـدى كـون أصحـاب الحـرف يأتـون إليهـا لأخـذ الطلبـات وتخزيـن البضائـع، وهـى مجـرد أن تنهمـك فى العمـل فليـس بالغريـب أن تتنبـه وقـد صـارت السـاعة الثالثـة أو الرابعـة عـصرًا، وحينهـا تسـتريح قليـلاً ثـم تعـود فى أول قطـار قبـل أن ينقشـع ظـلام الليـل.

وبهذا الحديث يسهل فهم مشكلتها وتتسق أركان جزئية توقيتاتها.

كانـت غرفتهـا عـلى النمـط اليابـانى بمسـاحة 9.5م²، ولكنهـا مؤخـرًا اسـتبدلت مكانًـا أوسـع بهـا. غرفـة مـن مسـتويين عـلى النمـط الغـربى ملحقـة بهـا غرفـة عـلى الطـراز اليابـانى مسـاحتها قرابـة 7م²، تجدهـا متكدسـة بالمجـلات والأقمشـة والمراجـع وماكينـة الخياطـة، وغيرهـا مـن الخامـات والعديـد مـن الصـور مثبـت عـلى الحائـط. المـكان فوضـوى مثـل ورش عمـل الفنانـين حقًـا، لكـن تشـعر فيـه باللمسـات الأنثويـة حيـث ألوانـه المتألقـة.

باكتمال مهام النظافة والترتيب الدقيق دون جمع لأى من أعقاب السجائر التى بعمق المرمدة، وبالبحث فى الأدراج ورف الرسائل لم تعثر "ساتشيقو" على أى شيء يثير الشك. إنها فى الحقيقة لم تكتشف أى شيء كدليل، وبدلاً من أن تغادر فى خوف مكثت على العكس لا ترغب فى العودة وتنفست الصعداء. إنه كان حقًا من الأفضل مجيئها قبل أن تبادر بأى ردة فعل، وتوطدت ثقتها بـ"تائيقو". لكن بعد شهر أو اثنين نسيت الأمر تمامًا، وفى يوم ما وفى أثناء غياب "تائيقو" عن المنزل إلى "شوكوجاوا" جاء "أوكوباتا" للزيارة على حين غرة، ودخل قائلاً: "جئت لزيارة ابنة عائلتكم".

لقد كانت هناك علاقة بين العائلتين منذ عهد رصيف الميناء حيث كانت بيوتهم متقارب بعضها من بعض، لذلك فإن "ساتشيقو" ليست بالوجه الغريب عنه، وقال لها: "وإن كان غير لائق مقابلتك فجأة لكن على أى حال أرجو منكِ أن تتفهمى فعلاً". واستطرد بعد هذه المقدمة: "إننى أدرك أن ما أقدمنا عليه منذ بضع سنوات كان حقًا تهورًا، ولكنه قطعًا ليس ناجمًا عن غش أو خداع وإنما أردنا حينها أن نبتعد. لقد قطعت عهدًا صارمًا مع ابنة عائلتكم أن أنتظر حتى أحصل على موافقة والدى حتى لو طال الأمد لسنوات، وفى البداية لم يتفهم والداى أمرنا ولم يلقَ استحسانهما، لكن بعد معرفتهما باجتهادها وموهبتها الفنية ودرايتهما أيضًا بقوة الحب الذى بيننا جئتكِ اليوم لأروى لكِ وأخبركِ بعدم معارضتهما لزواجنا الآن، لذا جئتكِ لأسألكِ بما أنه لم يتحدد بعد مصير أختها الأكبر يوكيقو، فهل ستسمحون بزواجنا بعد أن يتقرر شأنها؟ لقد جئتكِ لتناقشوا الأمر معًا، وبالطبع نحن لن نتعجل وسننتظر الوقت المناسب.

(كان أوكوباتا يقول باستمرار "ابنة عائلتكم" دون قول اسمها "تائيقو"، وكان أيضًا يتحدث إلى ساتشيقو قائلاً لها "الأخت الكبرى").

ولكـن أنـتِ الآن فقـط التـى تعلمـين بشـأن علاقتنـا والوعـد الـذى قطعنـاه عـلى أنفسـنا، لذلـك أسـتميحك عـذرًا أن تثقـى بنـا، عـلاوة عـلى هـذا سـأكون غايـة فى الامتنـان لكـما أنـتِ الأخـت الكـبرى ورب العائلـة الأخ الأكـبر إن أمكنكـما تحقيـق أمنيتنـا يومًـا مـا، فأنـتِ الآن أكـثر أحـد يتفهـم أمرنـا ومتعاطـف معنـا، لذلـك جئتـكِ بطلبـى الشـخصى هـذا".

كانـت "ساتشـيقو" منـذ أن قدمـت لـه التحيـة وهـى لديهـا التسـاؤلات، لكنـه ذهـب دون أن تفصـح عـن شىء مـما يـدور بخلدهـا لأنهـا لم تكـن عـلى درايـة بشىء ولم يخطـر حتـى بخيالهـا كل مـا تحـدث عنـه "أوكوباتا"، وبـكل صراحـة كان أفضـل حـل بعـد مـا أعلـن بالجرائـد عـن علاقتهـما أن يجعلـوا الاثنـين يرتبطـان، ولقـد انتهـى المطـاف بأخيهـا رب العائلـة وأختهـا الكـبرى لهـذا التفكـير نفسـه فى النهايـة، لكنهـما أخـذا فى الاعتبـار التأثـير المرتـد فى نفسـية "يوكيقـو"، وهـذه هـى المشـكلة التـى ورد ذكرهـا فى البدايـة.

وبهـذا وبعـد إيفـاد "أوكوباتـا" فليـس هنـاك مـا يمكـن فعلـه سـوى أمـر واحـد مـن العـادات، وهـو جـر البيانـو والنـوت والكتـب الموسـيقية مـن غرفـة الاسـتقبال لغرفـة العـزف، لأن "تائيقـو" سـتعود فى أقـرب وقـت مـن "شـوكوجاوا".

اسـتراحت "ساتشـيقو" قليـلاً بمجـىء "تائيقـو" وهـى غـير مكترثـة بشىء فنادتها:

- "أختى، للتو ذهب أوكوباتا".
- "حسنًا".
- "ها قـد شرح لى أمركـما وطلـب منـى أيضًـا الثقـة وألا أفصـح عـن شىء حاليًـا".
- "حسنًا".

- "إن اتخذنا أى خطوة الآن ستبدو يوكيفو مثيرة للشفقة".
- "تفهمين هذا، أليس كذلك؟"

بـدت "تائيقـو" كأنهـا ليســت عـلى مـا يـرام، وكانــت كل تعبيراتهـا فى بـلادة تامـة ولا تقـول شـيئًا سـوى "حسـنًا".

الفصل الرابع

في البداية قررت "ساتشيقو" أنها لن تخبر أحدًا بما عرفته مؤخرًا عن تفاصيل شأن "تائيقو" و"أوكوباتا"، ولا حتى "يوكيقو"، لكن في يوم ما كانا يتنزهان معًا سيرًا من "شوكوجاوا" حتى حدائق "قودو" عابرين الطريق السريع "أوساكا-كوبيه"، وحينها لسوء حظهما قابلا "يوكيقو" تنزل من الحافلة.

التزمت "يوكيقو" الصمت ومرت قرابة الأسبوعين وأكثر، ثم سألتها "تائيقو" وأرادت أن تفهمها الوضع، وأن تخرج عن صمتها هي أيضًا، وروت لها عن زيارة "أوكوباتا" لهم والسبب، وأنهما ليسا في عجلة من أمرهما بل ينتظرانها حتى تتزوج، فما دام الوضع آل إلى هذا فلا بد من خوض مشقة النقاش مع "يوكيقو" للحصول على موافقة العائلة.

انتظرت "تائيقو" أن يظهر أي تعبير على وجه أختها مفصحًا عن ردة فعلها لكنها لم تبدِ أي شيء، وبعدما استمعت "يوكيقو" في هدوء قالت: إن كان التأجيل بسبب اختلاف الترتيب فقط فلا داعي لهذا

التردد، فإن ارتباطكما معًا قبلى لن يبدد أمانيَّ أو يحطمنى إن تزوجت بعدكِ. أنا أوقن بأن يوم فرحى سيأتى مهما تأخر.

قالت هذا كأنها تلقت الموضوع بصدر رحب دون هلع أو انهزامية، لكن بحسب ما يظن الناس فلا بد من اتباع ترتيب الأخوات، وإن كان قد تقرر مصير "تائيقو" فهذا يعنى أنه لا بد من الإسراع فى شأن عرض زواج "يوكيقو".

لكن بجانب الظروف التى ذكرتها سابقًا والتى صارت سببًا فى تأخر زواجها، فهناك أيضًا سبب لسوء حظ "يوكيقو" وهو أنها من مواليد برج الحمل. عمومًا فإن الاعتقاد الخرافى بكراهية مواليد برج الحمل والكراهية الشديدة لبرج الحصان[1] غير موجود بإقليم "طوكيو"، لذا فسكان "طوكيو" شعورهم مختلف حيال الأمر.

لكن بإقليم "كانساى" الذى يضم محافظات "أوساكا" و" كوبيه" و"كيوتو" -خصوصًا فى ما بين نساء القرى- يُزعم أن مواليد هذين البرجين حظهم عثر ويتأخر زواجهم ومن الأفضل تجنبهم، حتى إنهم يطلقون عليهم الأمثال الشعبية، مثل:

"التعيسة من برج الحمل لن يُفتح لها باب ولا أمل".

كثير من سكان القرى بأوساكا يكره ذلك منذ القدم، وقد يكون هذا أيضًا من أسباب تأخر زواج "يوكيقو".

كان كل هذا ضمن ثرثرة الأخت الأكبر ببيت العائلة الرئيس، وبهذا وبذاك اقتنع أخوها وأختاها أن ذلك الشرط الصعب لزواج "تائيقو" جعل شأنها من المستحيلات، ووصل الأمر إلى حد قول: "وإن كان هى من حقها أن تتزوج أولاً فالأخرى أيضًا بالمثل، لكن أيًا كان من منهما الثانية فما دامت لم تنجب أطفالاً فلن تبدو عليها السن حتى

(1) (الأبراج صينية هى المعتاد استخدامها فى المجتمع اليابانى)

إن كانـت أكـبر مـن رب الأسرة الأخ تينوسـكيه بعـام أو اثنـين، وحتـى إن أنجبـت لاحقًـا طفـلاً أو اثنـين".

إن وافقتهـم "يوكيقـو" الـرأى ولم تبـدِ أى اسـتياء مـن شروطهـم سـيقال لهـا فلتتزوجـى، وبمجـرد أن يكـون لديهـا أطفـال حتـى إن كان المولـود طفلـة لطيفـة تحبهـا حبًـا جـمًا فسـيظل يقـال إنهـا صـار لهـا زوج وهـى فى الأربعينـات مـن عمرهـا، وإن زوجهـا أرسى حياتـه فى تلـك الحـدود بالتأكيد، ومهـما زادت مـوارد دخلهـما سـتظل قليلـة، وعـلى أغلـب الظـن سـتصبح أرملـة، فحتـى إن لم تكـن لديهـا مدخـرات كثيرة فإنهـا تأمـل فقـط تأمـين حياتهـا حـين يتقـدم بهـا العمـر، لذلـك فـما سـتطلبه منهـم جميعًـا لاحقًـا لهـو أكـثر شىء تبتغيـه فعـلاً.

وأضافت شرطًا آخر.

كانـت السـيدة "إيتـانى" قـد خاضـت مثـل هـذا الحديـث مـن قبـل، لذلـك فلـم يكـن طلبهـا بعيـدًا كل البعـد عـن ذلـك بـل بعيـدًا تمامًـا عـن كونهـا ليسـت لديهـا أى مدخـرات.

البديـل هــو مــن فى الحاديــة والأربعــين مــن عمــره وأصغــر مــن "تينوســكيه" بعــام أو عامــين، ولــن نقــول إنــه ليســت أمامــه ســنون المستقبل، وإن كان أكـبر فى السـن مـن زوج أختهـا الكـبرى الثانيـة فـإن مـا سيحسـم الأمـر هـو أنهـا لـن تتنـازل عـن أن يكـون حسـن المظهـر، وأفضـل شىء فى الموضـوع برمتـه أن هـذا أول زواج لـه، ولعلهـا بتخليهـا عـما تأملـه تجـد مـا يروقهـا أكـثر ولا يسـتحيل حديثهـا السـابق. فباختصـار إن كان هنـاك مـا لا ترضـاه، فكـون هـذا أول زواج لـه يغنـى عـن كل شىء آخـر، ويـأتى فيـما بعـد كـون هـذا الشـخص موظفًـا، وإتقانـه للفرنسـية ينـم عـن اطلاعــه عــلى الفنــون والآداب، وتظـن "ساتشـيقو" أن هـذا مـا سـيلقى استحسـان "يوكيقـو"، فبالطبـع سـيرغب هـذا الشـخص الـذى لا يعرفونـه أو غـيره فى الارتبـاط بهـا ابنـة الأسرة العريقـة ذات السـمات اليابانيـة الأصيلـة.

قد يكون الانطباع الظاهرى من ملابسها وقوامها ومهاراتها اللغوية غير الواقع الذى هو ليس كذلك، فهي فى الحقيقة حتى الآن تدرس الفرنسية وتفهم فى الموسيقى والفن أكثر من الأشياء اليابانية والغربية.

أرادت "ساتشيقو" أن تتواصل مع أحد داخل شركة M B لتستعلم عن سمعة عائلة "سجوشى" وبحثت خارجها أيضًا، وفى كليهما لم تجد شخصًا واحدًا يتحدث عنها بسوء، وكان هذا من حسن الحظ.

منذ أسبوع مضى استقلت السيدة "إيتانى" سيارة أجرة، وجاءت إلى بيتهم فى "أشييا" فجأة، وجاءتهم بصورته بمجرد التفكير فى مناقشة الأمر مع كل العائلة، وسألتهم على نحو جدلى:

- هل فكرتم فى حديثنا السابق؟

إن سيدة مثل "إيتانى" تأتى بهذا الحديث غالبًا للضغط للوصول إلى إجابة، لذلك كان ردهم سنتناقش مع رب العائلة دون إبداء أى تباطؤ لهو حقًّا من لطف القدر، وكونهم سيتباحثون فى الأمر عائليًّا فتأتيهم هى بعد أسبوع لإلقاء التحية وقول مثل هذا الحديث لهو لاستعجالهم.

أليس التعجيل بقدر المستطاع من الأفضل؟

إن السيد "سيجوشى" يوافيها باتصال يوميًّا متسائلاً: "أليس بعد؟". هى بالتأكيد ستلقى نظرة على الصورة وبعدها إن لاقت استحسانها سيدعونه لزيارتهم. لذلك جاءتهم "إيتانى" الآن قائلة:

"ها قد مر أسبوع وقطعًا توصلتم إلى رد، طيلة الخمس دقائق وأنا أروى لكم باختصار ما يخص هذا الموضوع، وعلى الفور سأنطلق عائدة مباشرةً بالسيارة الأجرة التى جعلتها تنتظرنى بالخارج. هل لى أن أدعو كليكما للعشاء؟ وحتى إن لم يأتِ والداه فلتتفضلوا وتشرفونى مع أزواجكم، وبالطبع هو سيرحب بالأمر". قالتها كأن الوضع صار

لا مفـر منـه، فبالنسـبة إلى السـيدة "إيتـانى" هـؤلاء الأخـوات يبالغـن فى غرورهـن، وعـلى الرغـم مـن أن هـذا الشـخص يسـعى متلهفًـا فإنهـن حتـى الآن يبديـن فى غايـة الـتروى.

أليست هذه الأجواء أحرى بأن تكون سببًا لتأخر زواجها؟

كانـت "إيتـانى" غاضبـة مـن الرصانـة التـى لا بـد لهـن مـن اتباعهـا، لذلـك أجـرت هـذا الحديـث للضغـط.

وبالنسـبة إلى "ساتشـيقو" أيضًـا لم يكـن هـذا الشـعور غامضًـا، بـل بمجـرد أن تسـاءلت أجابتهـا "إيتـانى" مسرعـة فلنجعلهـا فى الغـد الأحـد سـتكون ظروفنـا أنـا والسيد"سـيجوشى" مواتيـة. سـيكون الغـد أول موعـد، وبمـا أنهـا تلـح للوصـول إلى إجابـة فبعـد الغـد عـلى الأرجـح سـتهاتفهم فى المسـاء، وهـذا مـا قالتـه وجـاء فى اليـوم والأمـس.

- "أختى".

حاولـت "ساتشـيقو" خداعهـا وخلعـت رداءهـا عـلى حـين غـرة وألقـت بـه، فهـو لم يكـن يروقهـا، وفتحـت الورقـة المطويـة بـه ولوهلـة تخيلـت أنهـا ستسـتمع لصـوت عـزف البيانـو يأتيهـا مـن الطرقـة مـرة أخـرى بعـد توقفـه.

- "فى الحقيقة إن الأمر صعب".

- "وما هو هذا الأمر؟"

- "قبل أن أخرج أفكر فى أن أتصل بالسيدة إيتانى".

- "ولمَ؟"

- "ذلـك الشـخص، لقـد جاءهـا بالأمـس أيضًـا وهـى تريدكـما أن تلتقيـا لـيرى كل منكـما الآخـر اليـوم".

- "ذاك الشخص! أدائمًا هكذا؟"

- "الأمـر ليـس مقابلـة رسـمية، فقـط سـنتناول العشـاء معًـا، وهـى تريـدك أن تعرفيـه، وإن قلنـا لهـم: لا يناسـبنا الموعـد، فليكـن بعـد غـد، سـيظنون أننـا نبلغهـم رفضنـا".

- "وماذا عن رب العائلة؟"

- "لقــد هاتفتــه أختنــا الكــبرى وقــال لهــا أن ترافقــك، وإنمــا إن رافقتـك أنـا فهـى عليهـا أن تلـزم البيـت. هـل هكـذا أخـبر إيتـانى بموافقتنــا؟

أختى كى أن ما رأيك؟"

- "حسنًا، وماذا إن رفضت؟"

- "إن قلتِ لا يروقنى؟"

- "نعــم. إن قلــت لا يعجبنــى، ذهبنــا والتقيتــه وفى الغــد أو بعــد الغــد أبلغتكــم رفــضى، حينهــا لــن تقولــوا ليــس الأمــر بهــذه الســهولة وليــس هنــاك ســبب حقيقــى، قــولى لنــا ســببًا واضحًــا محـددًا. دعينـا نبحـث فى أمـره وبعدهـا ارفـضى أو اقبـلى وتأخذون فى نصحــى؟"

- "إن رفضتِ سأبلغ إيتانى بطريقة أو بأخرى".

- "بطريقـة أو أخـرى. لكـن إن لم تذكـرى لهـا سـببًا سـتظل تتسـاءل إلى مــا لا نهايــة، وهــذه المــرة مهــما قلنــا لهــا، فتلــك الســيدة إن أثرنـا غضبهـا سيسـتحيل أن تقـدم لنـا أى عـون فيـما بعـد. حسـنًا أختــى الصغــيرة! فى اليــوم أو فى الغــد، ألا يجــب أن تحــاولى مــرة وتخــبرى تلــك الأخــت الصغــرى قبلهــا بأربعــة أو خمســة أيــام؟"

- "أحــاول أن أخــبركِ؟! لقــد حاولــت، ولكــن مــا دمــتِ بــدأتِ الحديــث هكــذا يــا كى أن فأظــن أن لا جــدوى".

- "كلا. ليس كذلك. هذه المرة لا يروقني قولكم لي لا تتعجلي، فأنا لا أشعر بأن الأمر يبدو بهذا السوء، بل إن راقني فسأعرفه جيدًا وسأجرب".

فُتح الباب الجرار ودخلت "يوكيفو" قادمة من الطرقة، وبمجيئها قطعت "تسوروقو" حديثها.

الفصل الخامس

- "أختى. هل ستحكمين ربط حزام الكيمونو لى؟"

رأت "يوكيقو" أختها الصغيرة "تائيقو" وهى تحكم ربط حزام أختهما الكبرى "سانشيقو"، فقالت:

- "ذاك الحزام، متى صنعتِه؟ أهو الذى ارتديتِه من قبل فى حفل البيانو؟"

- "نعم إنه هو الذى ذهبت به حينها".

- "لو كنتِ تجلسين بجوارها حينها وأختك الكبرى بمجرد أن تتنفس يزمجر ذاك الحزام مُطلقًا صيحات لا تنقطع من حيث بطنها".

- "حقًا! لم أكن أدرى".

- "لقد كان صوتًا خافتًا لكنى فى الحقيقة كنت أجد صعوبة مع كل نفس ويبلغ مسامعي صوت زمجرته، لذلك ظننت وأنا فى الحفلة الموسيقية أنه حقًا ليس جيدًا".

- "حسنًا إذًا. أيها سترتدين الآن؟" سألتها "تائيقو" وفتحت الخزانة وأخرجت منها العديد من العلب الورقية، وصفَّتها بالجوار وبدأت في فك هذه العلب.
- "ارتدي هذا". واختارت لها "تائيقو" واحدًا بموديل ياباني يسمى "كنسميزو".
- "أيعجبكِ هذا؟"
- "نعم نعم.. ارتدي هذا".

كانت "يوكيقو" و"تائيقو" قد انتهتا من ارتداء ملابسهما مسبقًا، و"ساتشيقو" فقط هي المتأخرة، لذلك أخذت "تائيقو" تلاطفها كأنها تداعب طفلاً، ثم التفَّت من خلفها حاملةً الحزام. في النهاية استطاعت أن تفرغ من ارتداء زيِّها ثم جلست مرة أخرى أمام المرآة.

- "لا جدوى". وصاحت بعنف "هذا الحزام أيضًا ليس جيدًا".
- "ولِمَ؟"
- "لِمَ! انظري، اسمعي جيدًا، إنه أيضًا يزمجر". قالتها "ساتشيقو" وشدت أنفاسها عن عمد فأطلق الحزام زمجرته من حيث بطنها وجعلتهما تشاهدان.
- "في الحقيقة يزمجر".
- "حسنًا إذًا، ماذا عن موديل تسويوشيبا؟"
- "وماذا عساي أن أفعل! ابحثي عن ذاك الحزام يا أختي".

في ما بين الثلاث أخوات كانت "تائيقو" فقط هي التي ملابسها على النمط الغربي، وتتحرك برشاقة هنا وهناك وتبحث بداخل علب الأحزمة المتناثرة، وما إن وجدت الذي تبتغيه حتى التفَّت مرة أخرى من خلف "ساتشيقو".

تحسسته "ساتشيقو" بإحدى يديها بعد ربطه، وجربت أن تقف وتتنفس عدة مرات.

- "هذه المرة يبدو جيدًا". قالتها وأكملت إحكام ربطه وأدخلت طرفه بإحكام، وأيضًا أطلق ذالك الحزام أصواتًا كالزمجرة.
- "هذا أيضًا! ماذا أفعل؟"
- "فى الحقيقة.. ممممم.." فى هذه المرة حين أطلق الحزام زمجرته من حيث بطنها التفت ثلاثتهن بعضهن إلى بعض، وضحكن بشدة.
- "ممم.. لا ترتديه، إنه بلا فائدة". قالتها "يوكيقو".
- "إنه ليس بسبب الحزام بل بسبب خامته".
- "إن كان كذلك أليس كلنا مؤخرًا لدينا تلك الخامة نفسها؟ أم أنها تزمجر فقط حين يُصنع منها حزام؟"
- "فهمنا يا أختنا فهمنا". قالتها "تائيقو" وذهبت مرة أخرى لجلب حزام آخر.
- "انظرى إلى هذا. أظن أنه لن يُحدث صوتًا".
- "إن كان هكذا لن أرتدى حزامًا".
- "بل جربى أن تفعلى كما نقول لكِ. نعلم أنه لسبب ما يصدر ذلك الصوت".
- "مرَّ أكثر من ساعة، فلنسرع وننتهِ. إن لقاء اليوم أشبه بوقت الأداء الموسيقى حقًّا".
- "حسنًا، أعلم، ألن تقولى أى تعليق على الحزام يا يوكيقو؟".
- "إن كان كذلك فإنى فى الحقيقة أسمع صوتًا متميزًا، وما هناك من حل لذاك الصوت الذى يصل إلى مسامعنا".

- "آآآآآ سريعًا، لكم مرة نفكه ونربطه! لقد تصببت عرقًا".
- "أبـدو بلهـاء، وهـذه المسـكينة لقـد أُنهكـت". قالتهـا و"تائيقـو" تجلـس عـلى ركبتيهـا خلفهـا وتُحكـم ربـط الحـزام لهـا.
- "هـل أضـع الحقنـة هنـا؟" قالتهـا الخادمـة "أوهـارو" وقـد جـاءت بصينيـة عليهـا حقنـة معقمـة، وعقـار "بيتاكسـين"، وزجاجـة كحـول، وقطـن طبـى، وضـمادة.
- "يوكيقـو، كـما طلبـتِ الحقنـة.. هـا هـى الحقنـة". قالتهـا "ساتشـيقو".
- "حسنًا، وماذا بعد؟" وانطلقت مسرعة خلف "أوهارو".
- "السيارة. إن كان كل شيء على ما يرام فهى على وشك الوصول".

هـا هـو، هـذا شـأن "يوكيقـو" كل مـرة. لقـد اعتـادت أن تكـسر عبـوة المصـل بالمـبرد وتسـحب المصـل بالحقنـة وتأخـذ الـذراع اليـسرى لـ"ساتشـيقو"، التـى كانـت تقـف أمـام المـرآة وشـمّرت كميها حتـى الكتف، وبعدمـا فركـت ذراعهـا بشـدة بقطعـة القطـن الطبـى المشربـة بالكحـول أدخلـت إبـرة الحقنـة بمهـارة بالغـة.

- "آه.. آه، تؤلمنـى، تؤلمنـى اليـوم أكـثر، أهكـذا تعطينـى إياهـا ببـطء اليـوم ونحـن فى عجلـة؟"

انتـشرت رائحـة عقـار فيتامـين (ب) القويـة بلحظـة ومـلأت الغرفـة بكاملهـا، ولصقـت "يوكيقـو" الضـمادة بعدمـا دعكـت المـكان جيـدًا.

- "ها نحن انتهينا من هذا أيضًا". قالتها "تائيقو".
- "حسنًا، إن ارتديت هذا الحزام فأى ربطة له أفضل؟"
- "إنه جيد هكذا، جيد، جيد. فلنسرع".

- "أهـذا هـو؟ فلنـسرع! عـلى هـذا المنـوال لـن يسـعنا أن نعـرف شـيئًا ولـن أدرك ذلـك الشـخص ذاتـه".
- "حسنًا كيف يبدو هكذا؟ أختى، فلتجربى أن تأخذى نفسًا".
- "ممـم.. حقًـا". ردّت بهـا "ساتشـيقو" عـلى "تائيقـو" وجربـت أن تلتقـط أنفاسـها لمـرات عـدة.
- "حقًا، كيف هو هكذا؟ أختى الصغيرة..كيف يبدو؟"
- "إن الحـزام الجديـد هـو الـذى يصـدر أصواتًـا كتلـك، ولكـن هـذا الحـزام صـار قديمًـا وأوشـكت خامتـه أن تبـلى، لذلـك لـن يصـدر منـه أى صـوت".
- "بالفعل، هذا كان السبب".
- "فلتفكرى قليلاً".
- "سـيدتى هنـاك مكالمـة لـكِ مـن السيدة إيتـانى". قالتهـا "أوهـارو" ودخلـت قادمـة مـن الردهـة.
- "كل شيء بأفضـل حـال ولكنـى نسـيت الاتصـال بـكِ، والآن يبـدو أن السـيارة قـد وصلـت"
- "وماذا نفعل؟ ماذا عسانا أن نفعل؟"

وأخـذت "ساتشـيقو" نفسًـا عميقًـا، لكـن "يوكيقـو" بـدت كأن الأمـر لا يعنيهـا وكأنهـا مشـكلة شـخص آخـر.

- "حسنًا، يوكيقو.. كيف لى أن أقول..."
- "حسنًا، ذاك الشخص بكل أسف يعتذر".
- "هذا ما رجوته".
- "إن كان هكذا، فعلى أى حال هل مناسب غدًا؟"

- "مممم".
- "حسنًا إذًا".
- "ممممممم".

بالنسـبة إلى "ساتشـيقو" التى كانـت تقـف وأمامها "يوكيقـو" تجلـس عـلى الأرض، فإنـه فى كل الأحـوال تعبـيرات "يوكيقـو" مبهمـة.

الفصل السادس

"صغيرتي اتسوقو، فلتأتي هيا". قالتها وهي تدير ناظريها في الغرفة ذات الطراز الغربي قبلما تخرج إليها "اتسوقو" التي كانت ترتب أدواتها قبالة الزهور اليافعة.

- "حسنًا، سأدعكِ تمكثين بالمنزل".
- "وهل تذكرين هديتي يا أختي الكبرى؟"
- "أدري، هيا فلتلعبي الدمى التي تطهو الطعام التي رأيتها سابقًا".

كانت "اتسوقو" تنادي خالتها التي تقطن بيت العائلة الرئيس فقط بـ"خالتي"، أما كلتا خالتيها الشابتين فتناديهما بأختي الكبرى وأختي الأصغر.

- "قَطعًا ستأتون قبل المساء يا أختي الكبرى".
- "بالضبط قطعًا سنعود".
- "قطعًا، أليس كذلك؟"

- "قطعًا، ستنتظر أمك وتاثيقو أباكِ فى كوبيه، وسيذهبون لتناول العشاء، أما أنا فسآكل مع صغيرتى اتسوقو، ونقوم بالواجب".

- "لدىَّ واجب، موضوع تعبير".

- "إذًا فلتقللى من اللهو وتكتبى واجباتك ولنرَ حين أعود".

- "مع السلامة يا أختىّ".

قالتها الصغيرة وأوصلتهما إلى المدخل ونزلت بـ"شبشبها" إلى الأرضية المتسخة وقفزت فوق حجارة الرصف البيضاء حتى البوابة متعقبة آثار خطوات خالتيها.

- "عودا سريعًا، يوكيقو لا تتأخرى".

- "حاضر. ها أنتِ تقولين الشىء نفسه مرارًا وتكرارًا".

- "ستغضب منكِ اتسوقو إن لم تعودى سريعًا. اتفقنا يا يوكيقو؟"

- "اتفقنا، اتفقنا، يا للإزعاج".

لكن "يوكيقو" كانت فرحة بهذه الأجواء وبكون "اتسوقو" تشتاق إليها هكذا.

فعلى الرغم من أن هذه الطفلة لا تتعقب خطوات والدتها بهذا النحو إن خرجت، فإنها بكل إصرار تتبع "يوكيقو" عادةً فور خروجها، وبإملاء شروطها من وماذا وهكذا. وعلى أى حال فإن "يوكيقو" تكره بيت العائلة الرئيس فى بلدة "أويه هون" وعادةً ما تأتى إلى بيت بلدة "أشى يا"، فعلاقتها سيئة بأخيها هناك (زوج أختها تسوروقو)، فهى تتفاهم جيدًا مع أختها الثانية "ساتشيقو"، ويبدو أن السبب الرئيس كما يظنه الناس أن حبها لـ"اتسوقو" يطغى على ما سبق، وهذا ملحوظ جدًا فى الآونة الأخيرة. ملحوظ أيضًا حبها الفائق الذى

صار مودة، ولهذا كانت "تسورقو" تتهكم ساخرة قائلة لـ"يوكيقو" محرجة إياها: "إنكِ لا تحبين أطفالى مثلما تحبين طفلة ساتشيقو"، لكن بكل صراحة، "يوكيقو" تحب البنات اللاتى فى شكل وسن "اتسوقو" نفسيهما، وأطفال أختها "تسورقو" جميعهم صبية، والطفلة الوحيدة بينهم سنها لا تتعدى عامين، واهتمام "يوكيقو" بها لا يقارَن باهتمامها بـ"اتسوقو".

لقد توفيت والدتهن سريعًا ولحق بها والدهن و"يوكيقو" لم تبلغ العاشرة بعد، وهى الآن تتردد ذهابًا وإيابًا على البيت الرئيس والفرعى دون مقر ثابت لإقامتها، لذلك فأينما كانت فى الغد لا يعلق بحنايا قلبها شيء مميز، ولكنها إن تزوجت فإنها لن تستطيع الابتعاد عن "ساتشيقو"، فهى أكثر أحد مقرب لديها، وإن استطاعت الابتعاد عنها فلن تستطيع فراق "اتسوقو"، ولكن حينها لن تصير "اتسوقو" التى كانت فى سابق عهدها، فتأثيرها ومشاعر حبها المنصبة نحوها ستتناساها "اتسوقو" شيئًا فشيئًا وستصير واحدة أخرى. هكذا ظنت، فـ"ساتشيقو" ستحتكر كل مشاعر الحب من هذه الصغيرة إلى الأبد لأنها أمها، وهذا ما تحسدها عليه "يوكيقو" ويحيرها. لقد كان شرط زواجها من الشخص الثانى أنه وقتما أرادت الذهاب إلى الطفلة الصغيرة تذهب إليها. إنها بعد "اتسوقو" لن تحب أحدًا مثلها أبدًا حتى إن صارت أمًّا لطفلة جميلة، وحين تفكر فى الأمر تجد أن من أسباب تأخر زواجها أنها فى النهاية لا ترى حالها وحيدة، فبدلاً من أن تتزوج بشخص لا يروقها، تمكث بهذا البيت وتتولى دور "ساتشيقو" كأم، وبهذا لن يعتريها الشعور بالوحدة، وهذا ما ظنته يساعدها. لكن إن تحدثنا بصراحة، أليست أجواء ارتباط "يوكيقو" بـ"اتسوقو" مهما كان هي من ترتيب "ساتشيقو"؟ فمثلاً فى بيت "أشى يا" كانت "يوكيقو" و"تائيقو" تتشاركان الغرفة نفسها، لكن دائمًا ما استغلتها

"تائيقـو" لتكـون مـكان عملهـا، وحينهـا قـررت "ساتشـيقو" بحـدة أن تشـارك "يوكيقـو" ابنتهـا فى الغرفـة.

كانـت غرفـة "اتسـوقو" بالطابـق الثـانى وعـلى النمـط اليابـانى، ومسـاحتها قرابـة العشرة أمتـار، وبهـا سريـر أطفـال خشـبى صغـير فـوق الحصـير، وإلى ذاك الحـين كانـت الخادمـة تفـرش فـراش نومهـا أسـفل ذلـك السريـر لتنـام برفقـة "اتسـوقو"، لكـن بعدهـا صـارت "يوكيقـو" بـدل الخادمـة تضـع طبقتـين مـن فـراش نـوم قطنـى عـلى الحصير القـشّ ليقـارب فراشـها ارتفـاع سريـر "اتسـوقو".

وبدايـةً بهـذا ومـرورًا بالتمريـض فى أثنـاء أى وعكـة صحيـة، والمراجعات المدرسـية، وتدريبـات البيانـو، والعنايـة بالوجبـات المسـائية، حتـى تجـد فى النهايـة أن الأدوار انتقلـت مـن "ساتشـيقو" إلى "يوكيقـو"، وبـكل منهـا كانـت "يوكيقـو" أمهـر مـن "ساتشـيقو". كانـت بفطرتهـا كأم تـدرى إن بـدت عـلى "اتسـوقو" أعـراض نقـص فى مناعتهـا مـن صحتهـا وبدنهـا وبشرتهـا، وإن كان لديهـا تضخـم فى الغـدد الليمفاويـة أو تـورم بلـوز الحلـق أو ارتفـاع فى الحـرارة، فحينهـا وعـلى مَـرِّ يومـين وثلاثـة تتحمـل "يوكيقـو" مـا لا يسـتطيع تحملـه أحـد غيرهـا، وتسـهر لتمريضهـا طـوال الليـل تبـدل الكـمادات وأكيـاس الثلـج.

عـلى وجـه العمـوم، فى مـا بـين الأخـوات الثـلاث كانـت "يوكيقـو" أكثرهـن نحـولاً فى بنيتهـا الجسـدية، فـلا اختـلاف فى سُـمك ذراعهـا عـن "اتسـوقو"، لكـن بالتأكيـد مرضهـا الصـدرى يبـدو عـلى هيئتهـا، لذلـك فهـذا أيضًـا مـن ضمـن أسـباب تأخـر زواجهـا إلى الآن.

عـلى الرغـم مـن ذلـك فـإن مناعتهـا قويـة، فبـين أفـراد العائلـة إن انتابتهـم عـدوى نـزلات الـبرد واحـدًا تلـو الآخـر فهـى حينهـا لا تنتقـل إليهـا العـدوى، وإلى الآن لم يصِبهـا مـرض يجعلهـا طريحـة الفـراش، فى حـين أن "ساتشـيقو" التـى تبـدو بأفضـل حـال هـى فى الحقيقـة مثـل" اتسـوقو"

مظهرها خادع وهى أكثرهن قلة ثقة بذاتها، وإن طال أمد قيامها بأعمال التمريض مثلاً تنهار فى النهاية.

إن "ساتشيقو" نشأت فى قمة زهو أسرة "ماكى أوكا". لقد بلغت وهى تستحوذ على حب أبيها الذى توفى وأصبحت هى الآن أمًّا لطفلة فى السابعة من العمر، ولكن بمكان ما بداخلها تمكث الطفلة المدللة، فهى نفسيًا وبدنيًا طبيعتها لا تقوى على التحمل، وعلى العكس من كلتا أختيها فهي عادةً مستهجِنة معنِّفة، ولهذا لا يقتصر الأمر فقط على عدم قدرتها على رعاية مريض وإنما لا تناسبها على الإطلاق تربية أى أطفال، وكثيراً ما تتشاجر مع ابنتها "اتسوقو" بمنتهى الجدية.

يقول الناس إن "ساتشيقو" كانت تعامل "يوكيقو" كأنها معلمة الأسرة، فهي لا تريدها أن تغادرها لذلك يصعب أن تقبل بأى عرض زواج لـ"يوكيقو". يقول الناس أيضًا إن "ساتشيقو" لا تريدها أن تترك الجوار، ودارت الشائعات حول هذا إلى أن وصلت إلى بيت العائلة الرئيس، لكن أختهن الكبيرة التى بذاك البيت لم تسئ فهم "ساتشيقو" إلى ذاك الحد، وسمعت بالثرثرة الخبيثة حول أن "يوكيقو" شخص خدوم، لذلك لم ترِدها أن تعود إلى البيت الثانى. شعر "تينوسوكيه" زوج "ساتشيقو" بذلك وقال إنه من الصالح بقاء "يوكيقو" هناك، وإنه ليس بالأمر المحبذ لديه مجىء مَن يشتت علاقة ثلاثتهن بعضهن ببعض، وماذا إذًا إن ابتعدت "يوكيقو" عن "اتسوقو"؟ إنها ستفتقدها، ويا لها من متاعب!

دار مثل هذا الحديث، وأخبرها زوجها بعد طول تفكير أن "اتسوقو" وإن كانت لبقة وذكية ما زالت مجرد طفلة، وهى تعتمد على "يوكيقو" لكن حقيقة مشاعرها بالتأكيد أنى أكثر شخص تحبه، وإن لم تهرع إلىّ تحتضننى أدرى أن هناك خطبًا ما قد حدث، وفى النهاية أنتِ تدرين أن "يوكيقو" لا بد لها من أن يأتى يوم وتصير عروسًا.

أنـا ذاتي بفضلهـا اسـتطعت أن أوفـر وقتًـا للاعتنـاء بطفلتـي ولا شـك في أنهـا تقـدم لنـا العـون، لكـن هـذا الوضـع هـو إلى أن تتـزوج، فهـو وضـع مؤقـت، وأنـا عوضًـا عـن ذلـك أدعهـا تمكـث مـع "اتسـوقو" لأنهـا تحـب الاعتنـاء بالأطفـال عـلى ذاك النحـو، ولكـن مهـما كان فـإني أظـن أن هـذا الوضـع الراهـن يُنسـينا تعاسـتها لتأخـر زواجهـا، فالأخـت الصغـرى لديهـا عملهـا مـن تصنيـع الدمـى بجانـب راتبهـا (وترتبـط سرًّا بذلـك الشـخص) وكل هـذا ليـس لـدى "يوكيقـو"، وبمنتهـى الصراحـة ظروفهـا تبـدو كأنهـا ليـس لديهـا مـكان، فـلا بـد لي مـن أن أشـعر بالشـفقة حيالهـا، لذلـك أدع "اتسـوقو" تلعـب دور الدميـة التـي تسـليها في وحدتهـا.

عـلى الأرجـح لم تكـن "يوكيقـو" تـدري مـا آل إليـه تفكـير" ساتشـيقو"، لكنهـا في الحقيقـة كانـت تكـرِّس حالهـا لخدمـة "اتسـوقو" إن مرضـت عـلى نحـو لا تتحملـه أمهـا أو حتـى ممرضـة، وإن كان عـلى أحدهـم أن يمكـث بالمنـزل لأن ثلاثتهـم سـيخرجون -"ساتشـيقو" وزوجهـا وابنتهـا- كانـت هـي مـن تتحمـل عـبء ذلـك كالمعتـاد، لذلـك كانـت عـادةً تبقـى بالبيـت يـوم الأحـد، لكـن لسـوء الحـظ هنـاك لقـاء اليـوم ببيـت السـيد "كووايامـا"، وهـو تجمّـع صغـير للاسـتماع إلى العـازف "ليـو سـيروتا"[1] وهـذا يعنـى أن

ثلاثتهـم مدعـو، ومـا دام لقـاء بالخـارج فـإن" يوكيقـو" برحابـة تتخـلى عـن الذهـاب، ولكنهـا لا تسـتطيع الامتنـاع عـن الذهـاب للاسـتماع للبيانـو. ذهبـت "ساتشـيقو" و"اتسـوقو" بعـد الاجتـماع للتنـزه في "أريمـا" وقابـلا "تينوسـوكيه" في موعـد لتنـاول العشـاء، وكانـت "يوكيقـو" فقـط هـي مـن تغيـب وهـي أيضًـا أول مـن عـاد إلى المنـزل.

---

(1) ليو سيروتا (LIO SIROTA) هو عازف بيانو شهير ذو شهرة عالمية.

الفصل السابع

"عـذرًا، أمـا زلـتِ هكـذا يـا عزيـزتي أختـى الوسـطى".(جملة مـش مفهومـة!)

عـلى الرغـم مـن أن الاثنتـين أسرعتـا نحـو البوابـة، فـإن "ساتشـيقو" بـدت أنهـا لـن تـأتي لتخـرج معهـما أبـدًا.

- "لقد صارت الساعة الثانية".

قالتها "اتسوقو" وذهبت نحو السائق الذى يقف فاتحًا الباب.

- "يا لها من مكالمة طويلة للغاية".
- "أما زالت لم تنتهِ بعد؟"
- "كلما ظننتها ستنتهى أجدها ما زالت، فلا تلقى بالاً".

ومرة أخرى بدت "يوكيقو" كأنها تستمتع بشئون الآخرين.

- "صغـيرتي اتسـوقو قـولى لأمـكِ مـن الأفضـل أن تـسرع بإنهـاء المكالمـة".

- "هل أركب السيارة يا كى أن؟" قالتها "اتسوقو" وهى تفتح الباب، لكن "يوكيقو" التى تحافظ على انضباط مثل هذه الأخلاقيات قالت لها:

- "فلتنتظرى".

ولم توافق "يوكيقو" بإجابة قاطعة، وهى أيضًا لا حيلة لها وتقف أمام السيارة، و"اتسوقو" عادت إلى الخلف.

- "لقد سمعت أنه حديث السيدة إيتانى". قالتها "تائيقو" كأن السائق لا يسمع.

- "أهو كذلك!"

- "ستعرض عليكِ الصورة".

- "حسنًا".

- "عزيزتى كى أن ماذا تظنين؟"

- "وهل سأدرى من مجرد رؤية صورة؟!"

- "هل تبعًا لذلك ستختارين ما إن كانت هناك مقابلة؟"

- "..."

- "إن كان سيأتينا وكانت المقابلة جيدة بالتأكيد أختك الوسطى ستعقّد الأمر".

- "وما سبب مثل ذاك التأجيل؟"

- "مممم.. قطعًا لا يسعنا قول هذا، وإنما.."

وجاء صوت الخطوات من هناك.

- "آآآآآ.. لقد نسيت محرمتى. هل سيحضرها أحدٌ لى؟ المحرمة.. المحرمة".

وأسرعت "ساتشيقو" نحو البوابة وهى تجمع أطراف كمى ثوبها الداخلى الطويل اللذين علقا.

- "انتظرى يا للبعد".
- "وقت طويل حقًّا".
- "وماذا يعنى مثل هذا الحديث؟ لقد انتهيت للتو من المكالمة".
- "حسنًا، فلنسمع.. وماذا إذًا بعد ذاك الحديث الطويل؟"
- "هيا اركبى سريعًا". قالتها "تائيقو" وهى تتبع "يوكيقو".

كانت المسافة من بيت "ساتشيقو" وحتى المحطة نحو 7 أو 8 محطات، وفى يوم مثل هذا وهن فى عجلة من أمرهن يجعلن السيارة تسرع وتتبقى مسافة يأخذنها سيرًا على مهل. كانت الأخوات الثلاث فى الأيام التى يتصادف فيها أن يكون الطقس جميلاً يسرن فى الطريق الذى بجهة الجبال، الموازى لخط سكة حديد "هانكيو"، الذى يطلق عليه أهل المنطقة "الممر المائى".

كن يسرن مرتديات أبهى الملابس الرسمية، وبالطبع لا يمكن ألا يجذبن الانتباه، لذلك كان الناس فى مثل هذه البلدة يعرفون وجوههن جيدًا، ويتناولونهن بالشائعات، ولكن بالكاد قليل منهم من يدرى سِنَّهن الحقيقية.

إن "ساتشيقو" لديها ابنتها "اتسوقو" ولا يمكن أن يتوارى الأمر إلى هذا الحد، فمن مثلها لا يمكن أن يبدو فى السابعة أو الثامنة والعشرين مثلاً، و"يوكيقو" ما زالت لم تتزوج بعد فهى على غالب الظن فى الثالثة والعشرين أو الرابعة والعشرين، و"تائيقو" لا بد لها أن تكون فى السابعة والعشرين أو الثامنة والعشرين من العمر. كانت غريبة تلك السن التى يظنونها لـ"يوكيقو" وهم أنفسهم يطلقون عليها "السيدة

الشابة" و"ابنة الحسب والنسب"، وعلى الرغم من هذا لم يتنبه أحد، فثلاثتهن يتشابهن للغاية بملابسهن المزركشة المبهرجة ودرجات ألوانها، لكنهن لا يبدين شابات بسبب ملابسهن فقط، بل أيضًا ملامحهن وأجسادهن غاية فى الشباب والحيوية، لذا حقًّا لا يناسبهن سوى ارتداء هذه الأشياء الخاطفة للأنظار.

فى العام الماضى اصطحب "تينوسوكيه" ابنته "اتسوقو" والأخوات الثلاث إلى جسر "كينتاى" لمشاهدة تفتح زهور الربيع، واصطف ثلاثتهن لالتقاط صورة فارتجل لهن "تينوسوكيه" غنوة.

الثلاث أخوات الفاتنات

على جسر "كينتاى" مصطفات

قطعًا لم تكن منهن واحدة تشبه الأخرى على الإطلاق، بل لكل منهن صفاتها المميزة. إن بينهن تضادًّا جميلاً وأيضًا بينهن نقاط مشتركة بلا شك، ويتركن انطباعًا لمن يراهن بأنهن الأخوات الجميلات، بدايةً من تدرج أطوال قاماتهن بالترتيب بفارق بسيط، تجد أن "ساتشيقو" أطولهن وتليها "يوكيقو" ثم "تائيقو"، وهذا فقط فى ما يخص هيئتهن وهن سائرات بالطرقات بهذا الترتيب، أما عن الشخصية والأزياء والممتلكات فتجد أن أكثرهن تمتعًا بالذوق اليابانى هى "يوكيقو"، وأكثرهن ميلاً للذوق الغربى هى "تائيقو"، أما "ساتشيقو" فهى بين هذا وذاك. أما عن ملامح وجوههن، فقد كانت" تائيقو" أكثرهن وضوحًا لرسمة أنفها وعينيها، ووجهها مستدير ويتناغم مع جسدها، فقد كانت قوة بنيتها الجسدية متوازنة، أما "يوكيقو" فهى على العكس من ذلك فهى أكثرهن نحافة وهيئتها ضعيفة هزيلة، وإن امتزجت مزايا كلتيهما تجدها "ساتشيقو".

بالملابس أيضًا كانت "تائيقو" هي من ترتدي الزي الغربي و"يوكيقو" عادةً ترتدي الزي الياباني، إنما "ساتشيقو" ترتدي في المقام الأول الزي الغربي في الصيف وبخلافه الزي الياباني التقليدي.

أما إن تحدثنا عن نقاط التشابه بينهن فإن "ساتشيقو" و"تائيقو" تشبهان أباهما، لهذا هما على الشاكلة نفسها لديهما الهيئة المبهجة المتفاخرة، على العكس من "يوكيقو" التي كانت هي فقط تنفرد بملامحها وملابسها المميزة من الحرير المزركش بالورود و"اليوزن"[1] الذي يناسب احتفالات سيدات القصور، ولا يناسب إطلاقًا النمط السائد بـ"طوكيو" حيث الأقمشة المخططة الرتيبة.

إنها عادةً ما تتأنق حين ذهابها إلى الحفلات الموسيقية، ولكنها اليوم خصوصًا مدعوَّة إلى منزل ذلك الشخص، لذا تهندمت على أفضل وجه. كان ذلك في يوم صافٍ من أيام الخريف، وثلاثتهن ينسللن من السيارة مسرعات للصعود إلى رصيف محطة "هانكيو"، وتشبثت بهن أعين كل الناس ملتفتين نحوهن.

ولأنه مساء يوم الأحد، فقط كانت عربات القطار المتجه إلى "كوبيه" تكاد تكون خاوية. أخذ ثلاثتهن المقاعد بالترتيب، وحينها انحنى طالب في الإعدادية يجلس قبالة "يوكيقو" تحيةً لها، وفي هذه اللحظة نظرت إلى أسفل خجلاً، وتخضب وجهها بالحمرة كأنه يحترق من تدفق الدماء إلى وجنتيها بشكل ملحوظ.

---

(1) اليوزن هو أسلوب طباعة على الحرير.

الفصل الثامن

حين سئمت "اتسوقو" من اللهو، أحضرت الدفتر من الغرفة التى بالطابق الثانى المقابلة للزهور، وبدأت فى كتابة موضوع التعبير الذى من فروضها المنزلية بالغرفة ذات الطراز الغربى. كانت غالب غرف البيت على النمط اليابانى، وإنما فقط غرفتا السفرة والصالون هما اللتان على النمط الغربى، لكن هذه الغرفة هى التى كان يجتمع بها كل أفراد العائلة ليجلسوا معًا، وكانت تُستخدم هذه الغرفة غربية النمط لاستقبال الزائرين، ومعظم الأوقات يقضونه بها. كان بها الجرامافون والراديو والبيانو، وفى الشتاء يسهل إشعال حطب المدفأة بها، لذلك حين يكون الجو باردًا يجتمعون كلهم عادةً، وصار من الطبيعى أن تكون هذه أكثر مكان ازدحامًا بالبيت.

"اتسوقو" أيضًا كانت كل معيشتها بالغرفة غربية النمط هذه، ولا تذهب إلى غرفتها بالطابق الثانى إلا نادرًا أو إن كانت مريضة طريحة الفراش أو كان هناك ضيوف بالطابق السفلى. إن غرفتها كانت على الطراز اليابانى ولكنها معدَّة بمجموعة من الأثاث الأوروبى، وكانت بمثابة غرفة نوم واستذكار، لكن "اتسوقو" فى لهوها واستذكارها كانت

تفضل غرفة الصالون وعادةً ما تتناثر أدواتها المدرسية ولعبها بكثرة، لذلك إن جاء ضيوف على حين غرة تثور زوبعة كبيرة.

في المساء بمجرد أن تعالى رنين الجرس ألقت "اتسوقو" بقلمها الرصاص وأخذت لفافة هديتها كما وُعدت وأسرعت قفزًا خلف "يوكيقو" ودخلت غرفة الصالون.

"هيا انظري هذا". وأسرعت وقلبت دفترها الذي على المنضدة نحو "يوكيقو".

- "دعيني أرى الهدية"، وعلى الفور نزعت اللفافة وأخذت الدمية التي بداخلها ووضعتها على الأريكة.

- "أختي شكرًا لكِ".

- "أهي التي أردتِها؟"

- "نعم هي كذلك. شكرًا".

- "هل انتهيتِ من واجباتك؟"

- "يا ويحي، يا ويحي".

وأخذت" اتسوقو" دفترها وأغلقته وأمسكته بكلتا يديها وضمته إلى صدرها وقفزت أمامها.

- "حسنًا إذًا، هناك أمر ما".

- "وما هو؟"

- "مممممم.. هذا، إنه مكتوب عنكِ".

- "مكتوب! حسنًا دعيني أرى".

- "فيما بعد، فيما بعد سأدعكِ ترين. ليس الآن".

كان عنوان موضوع التعبير بواجب "اتسوقو" هو "أذنا الأرنب"، وورد به القليل عن شأن "يوكيقو".

من الخطأ أن تقرر أن تراه الآن، بل بهدوء بعدما تنام الصغيرة ستقرؤه وتصحح ما تجده من أخطاء، إنها ستستيقظ باكرًا وتعيد كتابة الموضوع مرتبًا قبل أن تذهب إلى المدرسة.

كانت "يوكيقو" تدرى أن "سانشيقو" وزوجها سيذهبان إلى السينما أو أى مكان آخر، لذلك سيعودان فى وقت متأخر، لذلك بعد الانتهاء من العشاء اصطحبت "اتسوقو" لتغتسل، وفى الثامنة والنصف صعدت إلى غرفة نومها.

كانت الصغيرة لا تخلد إلى النوم بسهولة كالأطفال، بل كانت عادتها أن تمكث فى سريرها قرابة عشرين أو ثلاثين دقيقة مستمرة فى الثرثرة بحماس، لذلك تصبح مهمة "يوكيقو" الوحيدة أن تجعلها تنام بسلام. لكن عادةً ما كانت "يوكيقو" تتبادل معها أطراف الحديث لتجعلها تخلد إلى النوم فتنام هى أيضًا، وفى أحيان أخرى تمكث مستيقظة وترتدى معطفها فوق ثوب نومها وتنزل دون أن توقظ الصغيرة لتحتسى الشاى وتتحدث مع "سانشيقو" وزوجها.

وعلى ذاك النحو ينضم إليهم "تينوسوكيه" أيضًا ويُخرج قنينة النبيذ الأبيض والجبن ويملأ كئوسهم. لكن "يوكيقو" الرصينة فى هذه الليلة أيضًا كانت غاية فى الجدية، ولم تستطِع النوم وما زال هناك بعض الوقت حتى تعود "سانشيقو"، ولا بد لها حقًا من أن ترى موضوع التعبير فى أثناء هذا، وبعدما تأكدت من أن "اتسوقو" قد استغرقت فى سبات عميق أخذت الدفتر الذى كان بجوار وسادتها وفتحته.

أذنا الأرنب

اشتريت أرنبًا. كان الناس يطلقون على هذا الأرنب الصغير "الصغير أوتشاو". هذا هو الأرنب الذى جلبوه لى. ولأني فى بيتى لدىّ قطة وكلب فقد أخذت الأرنب بعيدًا عنهما ووضعته عند المدخل. كل صباح قبل أن أذهب إلى المدرسة أحتضنه وأهدهده بالتأكيد. كان ذلك الخميس الماضى عند خروجى من مدخل البيت لأذهب إلى المدرسة، كانت أذنا الأرنب إحداهما تقف مستقيمة والأخرى تميل على جنب. قلت على الفور: "أووه يا للغرابة". وقلت له: "فلتوقف هذه الأذن أيضًا". لكن الأرنب لم يستطِع، فقلت له:" إذًا سأوقفها لك"، وأوقفتها له بيدى، لكن بمجرد أن أبعدت يدى سقطت مرة أخرى على الفور. ناديت أختى الكبرى وقلت لها: "من فضلك أوقفى أذن ذلك الأرنب". التقطت أختى أذن الأرنب بقدمها وأوقفتها، لكن بمجرد أن أبعدت قدمها سقطت أذنه مرة أخرى. قالت أختي: "يا لها من أذن غريبة!" وضحكت.

أسرعت "يوكيقو" ومسحت بالقلم الرصاص أحرف كلمة "بقدمها".

كانت "اتسوقو" تستطيع كتابة مواضيع التعبير جيدًا لذلك كتبت الجمل بمهارة، لكن "يوكيقو" حين رأت الإملاء صححت لها فقط "غريبه" إلى "غريبة"، و"تصقط" إلى "تسقط"، و"لا يستطع" إلى "لا يستطيع"، وظنت أنها لم تخطئ فى الجمل ولكنها احتارت فى موضع "بقدمها"، وصححت الجملة بدايةً من: "أختى بقدمها.. تسقط" على النحو التالى:

"أختى أيضًا أمسكت بأذن الأرنب وحاولت إيقافها، ولكن بمجرد أن تبتعد عنها تسقط مرة أخرى على الفور".

كان من الأسهل أن تضع "بيدها" بدلاً من "بقدمها"، لكن لأنه فى الحقيقة هى حينها فعلت ذلك بقدمها فلا يمكنها أن تجعل الطفلة تكتب خلاف ذلك، فأثمر تفكيرها عن أن تصححها وتكتبها هكذا

على نحو غامض، لكنها ارتعدت حين فكرت فى أن "اتسوقو" ستأخذه للمدرسة دون أن تدرى بما حدث، وستجعلها معلمتها تقرؤه، فإن تركتها وشأنها كما كتبت سيصبح الأمر فكاهيًا للغاية.

إن أصل رواية "بقدمها" هو أن: بالمنزل المجاور لهم فى "أشيا" انتقلت أسرة شخص ألمانى يدعى ""STOLZ منذ أكثر من 6 أشهر، وأصبحت الحديقة الخلفية مشتركة بينهما. كان هناك فاصل من شبكة سلكية صلبة على حدود الحديقة بينهما فقط، لذلك تعرفت "اتسوقو" على الفور إلى أطفال عائلة "STOLZ". فى البداية كانوا يحملقون بعضهم ببعض من بُعد من الفاصل السلكى كأنهم حيوانات تشم رائحة الآخرين أولاً، ثم فى وقت قصير بدؤوا يعبرون الشبكة السلكية ذهابًا وإيابًا.

كان الطفل الألمانى الأكبر يدعى "Peta " وتليه الطفلة "RoseMarry" ثم أصغرهم الطفل ""Fritz. كان أكبرهم يبدو فى العاشرة أو الحادية عشرة من العمر، و"روزمارى" تقريبًا فى عمر "اتسوقو" نفسه. ولأن الأطفال الأجانب أكبر فى بنيتهم الجسدية فهم فى الحقيقة أصغر فى العمر سنة أو سنتين مما يبدون عليه.

أصبحت "اتسوقو" رفيقة "روزمارى" على وجه الخصوص من بين هؤلاء الإخوة جميعهم، وكل يوم فور عودتها من المدرسة إلى البيت تخرج لإلقاء التحية واللهو فى الحديقة. كانت "روزمارى" تنادى "اتسوقو" بكنيتها وسرعان ما اعتادت مناداتها بلقبها إن كان هناك أى أحد، وكانت "اتسوقو" تناديها كما يقول أبواها وأخواها، "رومى".

كانت أسرة STOLZ لديها كلب من نوع German Pointer، وقطة سوداء بكاملها من السلالات الأوروبية، بخلاف أرنب من أنجولا فى صندوق بالحديقة الخلفية. كانت "اتسوقو" معتادة على الكلب والقطة وتطعمهما ولكنها لم تألف الأرنب، لذلك كانت عادةً ما تذهب مع

"روزماري" لإطعامه، فكانت تحمله من أذنيه وسرعان ما رغبت هي الأخرى في القيام بالمثل، وتوسلت لأمها لتسمح لها بإطعام الأرنب.

لم تمانع أمها "ساتشيقو" في ذلك، لكنها تخشى أن تميت الحيوانات غير المعتادة عليها إن أطعمتها، والأمر يتطلب كثيرًا من الجهد، وعلى الرغم من ذلك فهي في حيرة من أمرها، فهي قلقة من أن يأتي الأرنب مرة أخرى ويطعموه، فحتى إن أبقت عليه وآوته خشية أن يقتلوه من كثرة الطعام فلا مكان ملائمًا له بهذا البيت، إلى أن جاء الرجل المختص بنظافة المداخن قائلاً: "أعطوا هذا للصغيرة ابنتكم"، وجاء بأرنب من مكان ما. كان أرنبًا عاديًا وليس أرنبًا أنجوليًا لكنه كان جميلاً وناصع البياض، وتناقشت "اتسوقو" مع والدتها وتوصلتا إلى أن أكثر مكان آمن هو المكان المنخفض عند المدخل، فهو بعيد كل البعد عن القطة والكلب وغيرهما.

وضعته "اتسوقو" هناك وأطعمته، لكن الأرنب كان فقط يفتح عينيه الحمراوين ومهما تحدثوا إليه لا يبدي أي ردة فعل، فهو مختلف تمامًا عن القطط والكلاب في سلوكه، وتعجب الجميع من ذلك، فهو لا يلقي اللطف في المعاملة كالحيوانات الأليفة ولا علاقة له بالبشر نهائيًا، ولا يشعر سوى بسخافات شده وانتزاعه، وهذا هو الأرنب الذي ورد بموضوع "اتسوقو". ففي كل صباح توقظها "يوكيقو" وتعد لها الفطور وحقيبتها، وبعدما تذهب الصغيرة إلى المدرسة تعود إلى فراشها، لكن في ذاك اليوم من أيام أواخر الخريف كانت البرودة شديدة في الصباح، لذلك ارتدت "يوكيقو" روبًا من الحرير الياباني فوق لباس نومها دون أن تربط حزامه، وكانت مرتدية جوربها وأوصلت "اتسوقو" للباب، التي كانت عادةً ما تمسك بأذن الأرنب وتوقفها، لكن حينها مهما حاولت كانت لا تقف، فقالت ليوكيقو: "فلتجربي أنتِ"، وبالفعل حاولت "يوكيقو" حتى لا تدعها تتأخر، ولأنها كانت ترتعد خوفًا من ملامسة أي شيء رخو من ذاك القبيل، فحاولت بقدمها وهي بها

الجـورب أن تلتقـط تلـك الأذن ممســكة بهـا، لكنهـا بمجـرد أن أبعـدت قدمهـا سـقطت عـلى الفـور عـلى جانـب وجهـه.

- "يوكيقو لماذا هى هكذا؟!"

وفى صباح اليوم التالى كان هذا ما رأته فى موضوع التعبير.

- "اتسوقو، ليس جيدًا. لا يمكنك كتابة: فعلتها بقدمها".

- "لكــن ألم تفعليهــا بقدمــك؟ إنــكِ إن لامســتِه بيــدكِ ترتعديــن خوفًــا". قالتهــا ولكــن بــدا عــلى وجههــا أنهــا لم تفهــم لمَ.

- "حســنًا، إن كتبتِها فهـذا ليـس بالأمـر الجيـد. لا يمكنـكِ كتابتهـا بهـذه الصيغـة الغريبـة، إن جعلتـكِ معلمتـكِ تقرئينـه عـلى الفـور سـتظن أن أختـكِ سـلوكها سـيئ".

رغم ذلك بدا أن "اتسوقو" لم تقتنع بعد.

الفصل التاسع

- "إن لم تواتِنا الظروف فى الغد فإن يوم 16 يبدو مناسبًا جدًا، وإن قررتم كذلك فإنى فى انتظار مكالمتك".

هكذا قالت "ساتشيقو" بالأمس حين جاءتها المكالمة، ولم يحتَج الأمر إلى دليل لتدركه "يوكيقو"، لكن:

- "حسنًا فلنذهب ونرَ".

هذه الكلمات تطلبت يومين حتى تتمكن "يوكيقو" من أن تتفوه بها على نحو ما.

أرادت السيدة "إيتانى" لسبب أو لآخر أن تجعل الموعد كما سبق، هو مجرد دعوة للطرفين إلى تنفيذ الشرط بألا تجعلهم يشعرون بأنها مقابلة زواج. كان الحضور الساعة السادسة مساءً فى ذاك اليوم بفندق "أورينتال" للسادة أصحاب الدعوة السيدة "إيتانى" وأخيها الصغير "أوراكامى ناأوجيرو" الذى هو موظف بمتجر "قوكوبو" للحديد بأوساكا وزوجته، إنه أيضًا صديق سابق لـ"سجوشى ناروهيدو"، ما يعنى أنه ستدور الأحاديث ولكن لا بد ألا تكون حول قلة مقابلاتهما مثلاً.

بالنسبة إلى الحضور من طرف "سجوشى" فلأنه وحيد وبمفرده ولم يستدعِ أحدًا من أقربائه بالبلدة، فلحسن حظه كان كبيره الذى من بلدته نفسها الرجل المهذب الخمسينى مدير المتجر الموظف به رفيقه "ناأوجيرو" هو أيضًا مدعوًّا ليكون ضيف شرف. أما بالنسبة إلى الطرف الآخر فهم ثلاثة أشخاص: "يوكيقو" و"تيونوسوكيه" وزوجته، وبهذا يصبح كل الحضور ثمانية أشخاص.

قبل يوم من ذلك، ذهبت "ساتشيقو" لتصفيف شعرها بصالون السيدة "إيتانى" مع "يوكيقو"، ولأنها كانت تبغى عدة أشياء بدأت "يوكيقو" قبلها، وفى أثناء انتظارهما لدورهما كانت "إيتانى" فى وقت الراحة وجاءت إليهما.

- "حسنًا". قالتها وانحنت نحوها.
- "عذرًا سيدتى أستميحك عذرًا"، وهمست فى أذنها.
- "هذا، بالطبع أنتِ تدرين دون حاجة إلى أن أقول لكِ أن تسويه لى على نحو بسيط للغد".
- "حسنًا بالضبط". قالتها "ساتشيقو" ورفعت شعرها لأعلى.
- "عفوًا، لكن لا يمكنكِ أن تسويه بسيطًا إلى هذا الحد، حقًّا لا تجعليه بسيطًا هكذا، إنها شابة جميلة ولكنها من أصحاب الوجه النحيل، لذلك ستخسر إن اصطفت مع السيدات بوجوههن المبهرجة وهن يستعرضن للغاية، ودون ذلك لن يجذبن الأنظار إليهن بسهولة، وعلى هذا ففى الغد فقط فلتجعلى مظهرك يبدو أكبر من عمركِ عشر أو خمس عشرة سنة قدر الإمكان. من فضلك أظهرى ذلك، ولكن لا تذميه كما اعتادت أن تفعل السيدات دائمًا، وإنما هذا لا يعنى ألا تفعلى على الإطلاق".

لم تكـن هـذه المـرة الأولى التـى تعطـى فيهـا "ساتشـيقو" ملاحظاتهـا، فحتـى الآن مـرت "يوكيقـو" بالعديـد مـن مقابـلات الـزواج، لكـن كان كثـيراً مـا يقـال:

"تلـك الأخـت الكـبرى وجهها شـاب ومسـتضىء ودائمًـا مـا نراهـا فى أماكـن كثـيرة، بخـلاف الأخـت الصغـرى التـى ملامـح وجهها باهتـة"، أو يُقـال مثـلاً: "هـذه الأخـت الكـبرى مبهجـة وتواكـب الموضـة لكـن الصغـرى خجـول قليـلاً وسـلبية"، وبـين كل مـا قيـل تجـد مـن يتطفـل متدخـلاً قائـلاً:

"إنهـا الأخـت الكـبرى بالبيـت الرئيـس فقـط هـى التـى لديهـا حضـور، تقـل عنهـا الأخـت التـى بالبيـت الفرعـى التـى لديهـا كثـير مـن الاحتيـاط"، وفى كل مـرة تـدرى بهـا "ساتشـيقو" بمـا يقـال تـرد ببعـض مـن الفخـر قائلـة:

"إن هـؤلاء يقولـون كذلـك لأنهـم لا يـدرون مزايـا يوكيقـو بالطبـع، فملامحهـا مثـلى مفعمـة بالحيويـة والإيجابيـة، ولا أدرى مـا المقصـود بمواكبـة للموضـة، وإنمـا مثـل هـذا الوجـه المألـوف بـين النـاس والمجتمـع فى هـذه الآونـة الأخـيرة شىء ليـس بالنـادر، ومـن الغريـب أن أمتـدح شـأن أختـى الصغـيرة، لكنهـا حقًـا لديهـا ملامـح فتـاة بريئـة مـن المـاضى تربـت ولم تصادفهـا ريـاح عاتيـة، ومرهفـة الحـس راقيـة الجـمال. أليـس هـذا مثـالاً لصغـيرتى يوكيقـو؟ إنى لـن أعطـى أختـى إلا لمـن يقـدر هـذا الجـمال ويدركـه جيـدًا. إن فى حـق يوكيقـو هنـاك الكثـير ليُقـال وبـكل مشـاعر صادقـة هنـاك أيضًـا مـا تتفـوق بـه ولا يمكـن إخفـاؤه. إنى إن قمـت بذلـك مـع يوكيقـو سـأعوقها، والعديـد مـن ذاك القبيـل يقولـه زوجـى تينوسـوكيه، وكثـيراً مـا يقـول لى أيضًـا: أنـا فقـط أتعقبـك تحسـبًا لوقـت مـا تتراجعـين، لا، مـا زال هـذا لا يكفـى.. أكـثر.. فلتفعليهـا أكـثر بسـاطة لتنـالى قـدر أختـك الصغـيرة أيضًـا".

لكن لا تزال "ساتشيقو" تشعر بحالة من السعادة لكونها زوجة متألقة، وهي تجعلها تعد ملابسها وزينتها ويظهر ذلك جليًا بعينيها، لذلك حدث أن امتنعت "ساتشيقو" عن حضور مقابلات زواج لـ"يوكيقو" لمرة أو اثنتين، لكن في غالب الأحوال يكون لا بد لها أن تحضر لتقوم بدور الأخت الكبرى ربة منزل العائلة، وكثيرًا ما تقول لها "يوكيقو" إنها تنزعج إذا لم تلحق بها، لذلك حينها تبذل قصارى جهدها لتعد إعدادات بسيطة للغاية، فكل ما تملكه من ملابس عادةً ما يكون مبهرجًا، لذلك فمهما قيل لها كفى في النهاية تظل تقول مرارًا وتكرارًا: "ذلك ليس جيدًا بعد"، "آآآآ، جميعكم تقولون لي مثل ذاك القول، إني أتفهم جيدًا، وقبلما تقولونها أظنني من الغد حقًّا سأقوم بها على نحو بسيط".

مكثت "ساتشيقو" وحدها بغرفة الانتظار دون سماع صوت أي أحد بالخارج. كانت الستائر مربوطة على الفاصل الذي بين الغرفة المجاورة حيث كانت "يوكيقو" تجلس على مقعد معتمرة مجفف الشعر فوق رأسها، وتنعكس صورة كلتيهما في المرآة.

وحسبما ترغب السيدة "إيتاني" بالضبط، فلأنها تحت مجفف الشعر فليس لها بالضرورة أن تستمع لما يدور من أحاديث، وعليه خاضت كل من "ساتشيقو" و"إيتاني" في ثرثرة وهما تنظران نحو "يوكيقو" التي كانت لا تدري عما تتحدثان، ولأنهما كانتا تحدقان بأعينهما إلى ما فوق رأسها فلم تستطِع أن تخمن ما يقال من حركة شفتي "ساتشيقو"، فشعرت بالتوتر.

في ذلك اليوم، تلقت "يوكيقو" يد العون من أخواتها جميعهن، وبدأن في الاستعداد من الساعة الثالثة. "تينوسوكيه" أيضًا أسرع من عمله إلى المنزل، وهرع داخلاً إلى غرفة التجميل مقاطعًا إياهم. إنه كان لديه اهتمام بالغ بأمور الملابس والشعر وغيره، ويحب أن يطيل

النظـر إلى هيئـة النسـاء، لكنـه يتيقـن أن هـؤلاء ليـس لديهـن أدنى فكـرة عـن الوقـت، لذلـك فهـو يسـيطر عـلى الأحـوال حتـى لا يتأخـروا عـلى موعدهـم اليـوم فى تمـام السادسـة مسـاءً.

بمجـرد أن عـادت "اتسـوقو" مـن المدرسـة ألقـت بحقيبتهـا فى غرفـة الاسـتقبال وصعـدت إليهـم.

- "اليـوم أنـتِ يـا أختـى الكـبرى سـتلتقين عريسًـا"، قالتهـا واندفعـت لتدخـل إليهم.

اندهشـت "ساتشـيقو" ونظـرت بالمـرآة إلى وجـه "يوكيقـو" الـذى امتقع لونـه، ثـم اسـتطردت غـير مباليـة بالأجواء:

- "وممن سمعتِ هذا؟"
- "صباحًا من أوهارو. أليس هو كذلك بالفعل أختى؟"
- "لا ليس كذلك". أجابتها أمها.
- "اليـوم أختـك وأمـك دعتهـما السـيدة إيتـانى إلى عزومـة بفنـدق أورينتـال".
- "حسنًا، وهل سيذهب معكما أبى أيضًا؟"
- "نعم. أبوكِ أيضًا مدعو".
- "هيـا انـزلى يـا صغـيرتى اتسـوقو"، قالتهـا "يوكيقـو" وهـى تحـدق إليهـا فى المـرآة.
- "انزلى ومن فضلك قولى للسيدة أوهارو أن تأتينى".
- "هـل يصـح أن تـأتى وتصعـد إلى هنـا؟! دائمًـا مـا نقـول لهـا ألا تفعـل، ولكـن مهـما قلنـا لهـا لا تسـتمع". وجـاء بنـبرة صوتهـا شيء غـير اعتيـادى.
- "حسنًا".

قالتها الصغيرة وانصرفت، وعلى الفور:

- "تحت أمرك".

قالتهـا "أوهـارو" وفتحـت البـاب الجـرار مرتعبـة وتسـمرت عـلى العتبـة، ومـا إن فكـرت فى أنهـا قـد تكـون تسـببت فى سـماع "اتسـوقو" لأى شىء حتـى تغـير لـون وجهها هـى أيضًـا. حينهـا اختفـى عـلى الفـور "تينوسـوكيه" وأيضًـا "تائيقـو" بمجـرد أن رأى كل منهـما الإنـذار بحالـة الخطـر.

- "سيدة أوهارو أنتِ ماذا قلتِ اليوم للصغيرة؟"

"ساتشـيقو" لا تتذكـر أنهـا تحدثـت بشـأن اليـوم لأى مـن الخـدم، ولكـن الخطـأ فقـط فى أنهـم لم يتنبهـوا لكيـلا يعلـم الخـدم بالأمـر، لذلـك بمجـرد أن آل الأمـر إلى ذلـك شـعرت "يوكيقـو" بأنـه لا بـد لهـا مـن أن تسـأل "أوهـارو" بنفسـها.

- "حسنًا، سيدة أوهارو".

انحنت "أوهارو" لأسفل قائلة:

- "عذرًا"، وأفصح انكماش جسدها عن خوفها.

- "أنتِ متى قلتِ للصغيرة؟"

- "صباحًا. حضرتك".

- "ماذا ظننتِ وقلتِه؟"

- "..."

كانـت "أوهـارو" ليسـت إلا فتـاة فى الثامنـة عـشرة مـن عمرهـا، وجـاءت إليهـم وهـى فى الخامسـة عـشرة. إنهـا الآن كبـيرة الخـدم، وتُعامَـل كأنهـا فـرد مـن العائلـة حقًـا، لكـن هـذا ليـس مـبررًا.

فى البدايـة فقـط اعتـادوا أن ينادوهـا بـ"السـيدة"، وكانـت الصغـيرة "اتسـوقو" تناديهـا بكنيتهـا "السـيدة أوهـا"، وأحيانًـا دون ألقـاب، "أوهـا" فقـط.

كانـت "اتسـوقو" لا بـد لهـا مـن أن تسـلك طريـق "هانشـين" السريـع فى أثنـاء ذهابهـا وإيابهـا مـن المدرسـة، وهـو طريـق كثـير الحـوادث المروريـة، لذلـك لا بـد لهـا مـن أحـد يوصلهـا وينتظرهـا، وهـذا فى غالـب الأحيـان دور "أوهـارو"، لذلـك حـين اسـتجوابها قالـت تحدثـت إلى الصغـيرة بالطريـق فى أثنـاء توصيلهـا إلى المدرسـة صباحًـا.

إنهـا عـادةً مـا تكـون سـيدة لطيفـة للغايـة، لكـن فـور توبيخهـا تتحطـم فجـأة عـلى نحـو مؤسـف، وهـذا يبـدو فى أعـين الآخريـن شـيئًا يدعـو للسـخرية.

- "انظـرى. لا أدرى لعلنـى لم أُعِـر انتباهًـا كـما ينبغـى لوجـودك أنـتِ وغـيرك حـين إجـراء المكالمـات الهاتفيـة. إن كنـتِ اسـتمعتِ للمكالمـة فـلا بـد أنـكِ علمـتِ أن اليـوم لـن يتغـير أى شيء عـلى الإطـلاق، فهـذا لـن يزيـد عـن كونـه تجمعًـا عائليًـا خاصًـا، وحتـى إن كان هنـاك شيء فليـس لـكِ أن تتحـدثى فى الأمـر.

وبناءً عليه فإنكِ تتحدثين للصغيرة بأمر لا ندرى كيف سيكون.

أنـتِ، منـذ متـى وأنـتِ توجديـن هنـا بالبيـت؟! هـل جئـتِ للخدمـة بالأمـس أو اليـوم مثـلاً فـلا تفهمـين إلى ذاك الحـد!"

- "أهذا ما تفعلينه دومًا؟!"

- "إنـكِ عـادةً ثرثـارة وهـذه عـادة سـيئة، حتـى إن كنـتِ تتحدثـين بأمـور جيـدة".

وبينـما يتنـاوب الاثنـان الـدور، بـدت "أوهـارو" حقًـا كأنهـا ليسـت هنـا ولا تسـمع ولا تفهـم، وتنظـر إلى أسـفل دون أدنى حـراك، وحتـى

بعدما قيل لها "هيا اذهبى من هنا" مكثت كأنها ماتت للتو، لكن حين قيل لها للمرة الثانية والثالثة "هيا اذهبى" اعتذرت وهى واقفة بصوت خافت لا يكاد يُسمع.

- "رغم ما يقال لكِ فبماذا تثرثرين!"

قالتها "ساتشيقو" وهى تتفحص وجه "يوكيقو" التى ما زالت لم يتحسن مزاجها.

- "لا بد أنى لم أنتبه جيدًا حينما تحدثت بالمكالمة، ولا بد أنه كانت هناك طريقة ما لكيلا يدرك هؤلاء، ولكنى لم يخطر لى ببال أنهم قد يخبرون الصغيرة!"
- "هكذا بالهاتف أيضًا، ولاحظت مؤخرًا أن السيدة أوهارو تتناقش بما سمعته ورأته وأى شىء يحدث أو يقال".
- "حقًّا لا أدرى، أذلك ما يحدث؟"
- "أهذا لعدة مرات حقًّا! تأتى وتنضم إلى أحاديثنا وحينها لا أحد منا يقطع حديثه، فهكذا بلا خلاف استطاعت أن تسمع".

وعلى هذا النحو فلعدة مرات بالأيام السابقة بعدما تخلد الصغيرة "اتسوقو" إلى النوم عادةً ما يجتمع بغرفة الاستقبال كلٌّ من "تينوسوكيه" وزوجته "ساتشيقو" و"يوكيقو" بعد العاشرة تقريبًا، وأحيانًا تزيد عليهم "تائيقو" أيضًا، ويتناقشون فقط بشأن مقابلة اليوم.

كانت تأتيهم "أوهارو" بين الحين والآخر حاملةً المشروبات مرورًا من غرفة الطعام، فالفاصل بين الغرفتين مجرد باب جرار من ثلاث طبقات، بين الطبقة والأخرى حيز يسمح بإدخال إصبع، لذلك فمن يوجد بغرفة الطعام يمكنه أن يستمع جيدًا لصوت الحديث بغرفة الاستقبال. الأدهى أن الأمر يزداد خصوصًا فى الأوقات الهادئة من

أواخر الليل، لذلك كان أولى بهم أن يخفتوا صوت حديثهم، إلا أنهم فى الحقيقة لم يعِر أى منهم انتباهًا لهذه المسألة.

ولا يمكن أن نعتبر فى ذلك الوقت أن "يوكيقو" تتحدث بصوت خافت عن عمد لأنها بطبيعتها نبرة صوتها خافتة، ولا أحد يدرى حين تصمت، وهى بالطبع أيضًا تتورط حين تخوض فى حديث كالذى وقع مع "أوهارو". فشخص مثلها عادةً ما سيقع فى مأزق حين لا تسعه الكلمات.

دون تفكير لم تستطِع "ساتشيقو" أن تتدخل فى الأمر، ومع ذلك فإن "يوكيقو" حين رأتها وهى تتكلم بكل احترام قائلة لـ"أوهارو": "هيا تحدثى بصوت عالٍ" شعرت بها كأنها تلقى كل اللوم على "تينوسوكيه" الذى التزم الصمت بدوره هو أيضًا، ولكنه فى الحقيقة بمجرد تلفظه بأبسط الكلمات يسمع كل من حوله بسهولة لعلوّ نبرة صوته وتحوله بسلاسة.

- "حبيبتى يوكيقو ما دمتِ تنبهتِ للأمر ألم يكن من الأحرى بكِ أن تنبهينا حينها؟"
- "ماذا؟ هل تريدين بعد ذلك أن تخوض فى مثل هذه الأحاديث أمام هؤلاء؟ إنى أمقت مثل هذه المقابلات ولكم كرهتها، مع كل شخص ممن سبق وحتى مع هذا، هل تظنين أن الأمور ستسير على ما يرام هذه المرة؟ كم هذا مرير!"

وفجأة اختنق صوتها وانهمرت دموعها أمام المرآة.

- "لا تقولى ذلك، فحتى الآن ولا مرة قوبلتِ بالرفض من الطرف الآخر. إنكِ تعلمين يا يوكيقو جيدًا أنه عادةً بعد المقابلة لا ينصح الطرف الآخر بالرد سريعًا، وحتى إن لم يرُق لكِ فلا تنهارى".

- "لكـن، ذلـك الشـخص لـن يظننـى كذلـك، وهـا أنـا ذا أقولها لـكِ ثانيـةً ومـاذا إن رفضنـى هـذا الشـخص هـو الآخـر هـذه المـرة؟! وبسـبب تلـك الإشـاعة التـى قـدرى أن تمسـنى. هـذا هـو السـبب بالتأكيـد".
- "كفى..كفى، فلتصمتى عن هذا الحديث".
- "إن كنت أنا بهذا السوء فبعد ذلك قطعًا لن أفعل".
- "هل يمكنك ألا تفسدى زينة وجهك؟"

واقتربـت لتصلـح لهـا زينتهـا، إلا أنهـا خشـيت مـن انهـمار دموعهـا فتراجعـت عـلى الفـور.

الفصل العاشر

كان " تينوسوكيه" ينأى بذاته هاربًا لغرفة المكتبة، وعلى الرغم من أن الساعة تعدت الرابعة فإنه ما زالت الفتيات لم يتممن استعداداتهن بعد، وبتروٌ تنبهن للوقت، وفجأة جاء صوت سقوط شيء ما على أوراق الأشجار الجافة بالحديقة، فمدَّ "تينوسوكيه" يده متكئًا على المكتب ليفتح الباب الجرار، ووجد أنه حلت الأمطار الموسمية ف الحال بالسماء الصافية، وسريعًا ما بدأت آثار الأمطار الخفيفة ف رسم خط متقطع على عتبة المنزل.

- "ماذا؟ أمطار؟!"، وهرع "تينوسوكيه" لداخل المنزل ودخل غرفتهم بجوار السلم.
- "أحقًّا أنها تمطر؟" وأسرعت "ساتشيقو" أيضًا لنافذة لتلقى نظرة.
- "إنها أمطار موسمية. ستتوقف بالتأكيد. ألا ترون؟ ما زالت بالسماء قطع زرقاء". ولكنها بمجرد أن تفوهت بذلك رأت قرميد السقف خارج النافذة يبتل، وسريعًا ما تغير صوت هطول الأمطار.

- "ماذا كان سيقول عنا لو لم نطلب سيارة؟ إنها الخامسة وخمس عشرة دقيقة تقريبًا".
- "إننى سأرتدى ملابس غربية بسبب المطر. من الأفضل أن أرتدى بزة".

عادةً مع زخات المطر فى أنحاء "أشيًا" تصبح السيارات كالطائرات الورقية ذات الخيوط.

تنبه "تينوسوكيه" لذلك على الفور، وحضّر حاله بطلبها بالهاتف مسبقًا.

لكن ثلاثة أشخاص بكامل هندامهم لن تأتيهم سيارة فى الخامسة والربع أو حتى والثلث ما دام المطر قد اشتد. فقط بساحة الانتظار هناك يمكن أن يجرب المناداة على واحدة من تلك السيارات، ولكن اليوم كانت الشمس ساطعة لذلك هناك عشرات من الأعراس، وإنما بسبب تلك الأمطار المؤسفة فالكل استبق الحجز، وحتى إن انتهت أى مراسم زفاف فإنهم يجولون لإلقاء التحية.

اليوم إن خرجوا فى تمام الساعة الخامسة والنصف وسلكوا طريقًا مباشرًا مستقيمًا بالعربة حتى "كوبيه" بالكاد سيتمكنون من اللحاق بميعادهم فى السادسة، وثلاثون دقيقة هي أكثر مما يلزمهم بكثير.

وعلى هذه الحال دون أن يلقوا بالاً أصبحت الساعة السادسة إلا خمس دقائق، وكان لا بد لهم من الاعتذار بطريقة أو بأخرى دون أن يدعوا مجالاً لـ"إيتانى" لتزيد من إلحاحها، فهاتف "تينوسوكيه" فندق "أورينتال" بمكالمة، وها هم فى النهاية أخيرًا ستأتيهم سيارة، لكن حينها بدأ هطول الأمطار بغزارة، فهرولوا واحد تلو الآخر ليمروا من تحت المظلة التى حملها السائق.

في ذاك الوقت وبعدما دخلت "ساتشيقو" السيارة وجلست وتنفست الصعداء بعدما دخل الرذاذ البارد داخل ياقة ردائها تذكرت أن كل مقابلة زواج لـ"يوكيقو" تكون على هذه الشاكلة، ففي المرة السابقة وما قبلها أيضًا كانت تهطل الأمطار.

- "هيا لقد تأخرنا ثلاثين دقيقة". وبمجرد أن رأى "تينوسوكيه" السيدة "إيتانى" التى جاءت لاستقبالهم بالمكان المخصص لخلع المعاطف ظل يرص كلمات الاعتذار رصًا عوضًا عن إلقاء التحية.

- "اليوم كانت الشمس ساطعة، والأفراح فى أماكن كثيرة، وفجأة بسبب الأمطار أصبح من غاية الصعوبة أن تأتينا سيارة".

- "حقًا لقد رأيت العديد من السيارات التى تقل عرائس فى أثناء مجيئى إلى هنا". هكذا قالت "إيتانى"، و"ساتشيقو" و"يوكيقو" بالزاوية تخلعان معطفيهما.

- "ولكن، عذرًا.."

وأشارت لـ"تينوسوكيه" بعينها ودعته إلى الجهة المقابلة:

- "إنكم الآن ستلتقون بعائلة سيجوشى، ولكن قبل ذلك أود أن أستفسر منكم عن شيء عذرًا، هل انتهى البحث والتحرى كليةً من قبل عائلة ماكى أوكا؟"

- "ها.. ماذا عساى أن أقول؟ فى الحقيقة، البحث عن سيجوشى ذاته قد انتهى، وما يدعو للسعادة العارمة أنه لا اعتراض عليه، والآن سنبحث فى بلدته مسقط رأسه.

ومع ذلك أيضًا، فإنى أدرى مسبقًا أنه لا اعتراض على النقاط الأساسية، ولكن لم تأتِنى ولا معلومة واحدة بخصوص الأمر، لذلك فلننتظر لأسبوع آخر عذرًا من فضلك".

- "حسنًا، لن نختلف".
- "واجهنا كثير من العوائق فتأخرنا ونأسف لذلك، وماذا لى أن أفعل وكلهم ببيت العائلة أشخاص على الطراز القديم يفعلون كل شىء على هون. لكنى أدرك طيب خلقكم وأعلم أنكم ستوافقوننى الرأى تمامًا، فعلى الطراز القديم يشاع قول: فاته الزواج، وشخص عظيم مثلك ما سيبحث عنه لاحقًا هو أن يكون كل شىء مقبولاً بالمنطق، وهذا ما أوصى به قدر المستطاع، وحسبما تسير الأحوال الليلة، فإن لم يكن هناك أى اعتراض من جانبنا فالمرة المقبلة فى الغالب نسوى الأمر".

اتفق "تينوسوكيه" مع زوجته مسبقًا على هذا الحديث، لذلك شرحه بطريقة ماهرة، لكنه مع ذلك جاء نصف كلامه وصفًا لمشاعره بمنتهى الصراحة.

تأخر الوقت، لذلك انتهوا من أمر التعارف سريعًا ببهو الفندق، واتجه الثمانية معًا إلى المصعد ثم إلى الطابق الثانى حيث قاعة الطعام الصغيرة.

وعلى مأدبة العشاء جلست فى إحدى الجهتين السيدة "إيتانى" والسيد "إيجاراشى"، ثم السيد "سيجوشى" وتليه زوجة السيد "فوساجيرو"، ثم "فوساجيرو"، ومن الجهة الأخرى جلست "يوكيقو" وجهًا لوجه قبالة "سيجوشى" ثم "ساتشيقو" ثم زوجها "تينوسوكيه".

بالأمس حين تناقشت "ساتشيقو" مع السيدة "إيتانى" بصالون التجميل عن ترتيب المقاعد، اتفقتا على أن "سيجوشى" وبجواره الزوجان "فوساجيرو" بجهة، وبالجهة الأخرى "يوكيقو" وعلى جانبها الزوجان "تينوسوكيه"، وهذا ما تم تعديله كما اقترحت "ساتشيقو"، وهكذا اصطفوا فى أماكنهم.

- "مساء الخير، إنى قد علمت بأمر تناولنا العشاء فجأة وعلى حين غرة".

قالها "إيجاراشى" واعتبر ذلك من أفضل الأوقات لديه وشرع فى تناول الحساء.مكتبة سُر مَن قرأ

- "فى الحقيقة أنى لست من بلدة السيد سيجوشى نفسها، وكما ترون من حيث السن فبالتأكيد أنا الأكبر فحتى لم نكن معًا بالمدرسة، ولكن إن تحدثنا عن علاقتنا فإن بيوت آبائنا قريبة بعضها من بعض فى البلدة نفسها، لذلك فمقاعدنا بالصف نفسه اليوم لهى من دواعى الفخر لى، ولأننا ابتعدنا كثيرًا فأنا فى غاية القلق، ولكنى سأخبركم بالحقيقة، لقد أُجبرت على المجىء إلى هنا لأن السيد موراكامى غير معتاد الخروج، حقًّا السيد موراكامى، وماذا عساى أن أقول، وأختى الكبيرة السيدة إيتانى هى أيضًا متحدثة بليغة لديها حماسة قوية كالرجال، والأخ الأصغر أيضًا يليها فى طلاقة الحديث، ولقد ترددت فى قبول الدعوة لحضور مأدبة اليوم، ولكن فى مثل هذه الأوقات على العجوز أن يبذل قصارى جهده وغير مسموح بأى مراوغة بعد مجهوداتك فى هذا الأمر، لذلك لم أملك سوى أن أسلِّم حالى".
- "هاهاهاااا لكن سيادة المدير التنفيذى.." قالها "فوساجيرو" واستطرد:

"ومن سيقول ذلك غيرك أنت، فقطعًا لن تستاء من الحضور أبدًا".

- "كلا، بهذه المناسبة لا يمكننى أن أكون سيادة المدير التنفيذى، بل بهذه الليلة دعنا ننسى الشغل ونترفه قليلاً".

تذكرت "ساتشيقو" وقتما كانت صغيرة وكان بمتجر "ماكى أوكا" برصيف الميناء موظف أصلع الرأس وطريف مثل ذاك الشخص، فاليوم

بعدمـا صـارت غالبيـة المتاجـر الكبـيرة مؤسسـات أوراق ماليـة، ترقـى "السـيد الأصلـع" ليصبـح "المديـر التنفيـذى"، وأصبـح يرتـدى البـزة عوضًـا عـن المئـزر فـوق زيـه، وأصبحـت تسـتخدم المصطلحـات الرسـمية بـدلاً عـن كلمـة "رصيـف الميـناء"، والشـعور بذلـك التحـول ملمـوس أيضًـا مـع كبـار مسـئولى الـشركات الذيـن كانـوا عـمالاً بمتاجـر مـن ذى قبـل، وكان المعتـاد بمثـل هـذه الأجـواء قديمًـا وجـود شـخص أو اثنـين مـن الموظفـين والبائعـين الماهريـن بـأى متجـر ممـن يثـيرون الضحـك ويسـعون لكسـب ود رب العمـل بالدعابـة، وعـادةً مـا يكونـون مـن الأشـخاص خفيفـي الظـل قصـيري القامـة.

هـذه هـى الشـخصية التـى أضافتهـا السـيدة "إيتـانى" بهـذه الأمسـية، واعتُـبر ذلـك نوعًـا مـن الاهتـمام كى لا يتعكـر صفـو اللقـاء.

كان "سـيجوشى" يبتسـم ابتسـامة عريضـة وهـو يسـتمع لجـدال "إيجـاراشى" و"فوسـاجيرو"، وكانـت شـخصيتا "تينوسـوكيه" وزوجتـه "ساتشـيقو" كـما توقعوهـما مـن الصـور، ولكنهـما بديـا فى الواقـع أكـثر شـبابًا، وفى النهايـة لـن تتضـح إلا نسـبة ضئيلـة لا تتجـاوز 37- 38% مـن شـخصيتيهما الحقيقيتـين، فقـد كانـت تعبـيرات وجهيهـما وقـورًا ولكـن يمكـن القـول إنهـا تفتقـر للمـرح، وكـما تنتقدهـما "تائيقـو" ذات المشـاعر العفويـة: إنهـما صاحبـا وجهـين تقليديـين، الهيئـة وطـول القامـة وشـكل الجسـد والملابـس حتـى ذوق ربطـة العنـق، جميعهـا عـلى هـذه الشـاكلة نفسـها "تقليديـة"، أمـا عـن دراسـته بباريـس ومـا إلى ذلـك فبـدلاً مـن أن يقولـوا أمـرًا لا غبـار عليـه قالـوا لا بـأس بـه واعتـبروه نموذجًـا لموظـف شركـة جديـر بالثقـة.

الانطباع الأول الذى يواتيك من هذا أن "سيجوشى" يجتاز الاختبار.

- "كم سنة تقريبًا مكثت فى باريس يا سيد سيجوشى؟"

- "لمدة سنتين كاملتين، ولكن ذلك فى الماضى على أى حال".

- "إذًا، متى كان ذلك؟"
- "منذ خمسة عشر أو ستة عشر عامًا، ذهبت فور تخرجى".
- "إذًا هـذا يعنـى أنـك قـد توظفـت بهـذه الوظيفـة فـور تخرجـك فى الجامعـة".
- " كلا ليـس كذلـك. لقـد توظفـت فى الشركـة الحاليـة بعـد عـودتى مـن الخـارج بفـترة، فبعـد عـودتى مـن فرنسـا كنـت شـاردًا فى الحقيقـة، ففـى تلـك الفـترة تـوفى والـدى، لم يبلـغ الأمـر كوْن لـدىّ مـيراث، ولكنـى أردت أن أكـون حـرًّ ذاتى قليـلاً، وتبقـى لـدىّ هـذا الإحسـاس لفـترة، وكنـت أطمـح بقـوة لإتقـان الفرنسـية بمهـارة أكـثر، ورأيـت أنـه مـن الأفضـل أن أجـد وظيفـة مـن ذاك القبيـل، واسـتمر تفكـيرى مبهـمًا، وفى النهايـة لم أصـل إلى هــذا أو ذاك وقطعًـا انتهـى الترحـال".
- "لقـد تغـيرت يـا سـيد سـيجوشى". قالهـا " فوسـاجيرو" معلقًـا وهـو بجواره.
- "غالـب النـاس حـين يذهـب إلى باريـس يكـره العـودة، لكنـك يـا سـيد سـيجوشى شـعرت بالإحبـاط هنـاك وعانيـت مـن الحنـين الشـديد لبلـدك لذلـك عـدت".
- "يا للهول! وما السبب فى ذلك؟!"
- "لم أجـد لـدىّ أى تفسـير لذلـك، ولكـن باختصـار أظـن أن السـبب هـو أن توقعـاتى الأوليـة كانـت كبـيرة للغايـة".
- "ذهبـت إلى باريـس فأدركـت مزايـا اليابـان وعـدت. قطعًـا هـذا ليـس بالـشىء السـيئ، ولذلـك أصبحـت تفضـل الفتيـات ذوات الطابـع اليابـانى الأصيـل". قالهـا "إيجـاراشى" مقاطعًـا الحديـث،

وفى الحال ألقى بنظرة خاطفة من طرف منضدة الطعام على وجه "يوكيقو" وهى تنظر إلى أسفل فى خجل.

- "لكن بعودتك وتوظفك بالشركة الحالية تقدمت أكثر بالفرنسية، أليس كذلك؟" وتساءل "تينوسوكيه".
- "ليس إلى ذلك الحد، فالشركة فرنسية حقًّا ولكن الغالبية العظمى بها من اليابانيين، وكبار الموظفين الفرنسيين بها نحو شخصين أو ثلاثة فقط".
- "إذًا لا تتسنى لك الفرص للخوض فى محادثات بالفرنسية؟"
- "حين تأتى سفينة M M أذهب وأتحدث إليهم، والخطابات التجارية دائمًا ما يجعلوننى أكتبها".
- "يوكيقو كريمة عائلتكم تدرس الفرنسية الآن، أليس كذلك؟"، تساءلت السيدة "إيتانى".
- "نعم. وأختى الكبرى أيضًا تدرس، لذلك تنضم إلينا".
- "مَن معلمك؟ أهو يابانى أم فرنسى؟"
- "فرنسية".

أجابت "يوكيقو" باختصار، فأضافت بعدها "ساتشيقو":

- "وأصبحت زوجة يابانية".

كانت "يوكيقو" ومن دون ذلك الموقف لا تستطيع أن تقول أى شىء بمجرد خروجها للمجتمع، غير أنها بمكانها هذا كانت مقيدة بالحديث بلكنة "طوكيو"، "تفضلت بـ." وعلى هذا النحو من صيغ الاحترام، وحينما تنهى الجملة بالكلمات العادية يصبح الأمر مبهمًا، ومع أن هذا الأمر صعب أيضًا بالنسبة إلى "ساتشيقو" إلا أنها تلجأ

للخديعة بنهايات الكلمات وتستخدم تكنيكًا يجعل الآذان لا تلتقط لكنة "أوساكا"، وتثرثر بأى شيء مهما كان دون أن يبدو الأمر غريبًا.

- "تلك السيدة هل تستطيع تحدث اليابانية؟"

قالها "سيجوشى" وهو ينظر إلى وجه "يوكيقو" مباشرةً.

- "نعم، فى البداية لم تكن تستطيع الحديث، ولكن شيئًا فشيئًا استطاعت، حتى أصبحت مؤخرًا ماهرة فى.."

- "لكن هذا بالعكس، فإنه ليس مفيدًا لكِ".

ومرة أخرى تلتقط "ساتشيقو" أطراف الحديث:

"إنها وقت الاستذكار لا تستخدم اليابانية إطلاقًا، لكن لم تسِر الأمور هكذا للأسف وأصبحت تتفوه بقليل من اليابانية".

- "أنا أستمع لاستذكارهم من الغرفة المجاورة، وحقًّا صار ثلاثتهم يثرثرون باليابانية".

- "ماذا؟ أحقًّا يحدث هذا؟!"

ودون تفكير التفتت "ساتشيقو" نحو زوجها وانسابت كلماتها بلكنة أوساكا:

- "بالطبع نستخدم الفرنسية، ولكنك لا يمكنك سماع حديثنا مع آن".

- "حسنًا يبدو كذلك، بين الحين والآخر تستخدمون الفرنسية، لكن حينها دائمًا ما تهمهمون على استحياء وبصوت خافت كطنين ناموسة، لذلك ليس بالضرورة أن أستطيع أن أسمع من الغرفة المجاورة، وما دام قد حدث ذلك لمرات عدة فهذا يعنى أنه ليس هناك أى تقدم، ولكن على أى حال فإن ممارسة ما تدرسه زوجتى والفتاة الشابة من لغة هو على ذاك النحو بكل مكان".

- "حسنًا. يا لها من طريقة رائعة لقول ذلك! لكننا لا ندرس اللغة فقط بل تجعلنا نعلمها طرق الطبخ وإعداد الحلوى والغزل بالخيوط، لذلك نستخدم اليابانية أحيانًا. لقد راقت آن مؤخرًا أكلات الحبار وتريدنا أن نعلمها الكثير. ألا نفعل!"

وهكذا أصبح جدال الزوجين مسليًا على نحو مثير لضحك كل الحضور.

- "أتقولين أكلات الحبار؟".

بعد سؤال زوجة "فوساشيرو" انهالت وصفات الأكلات الفرنسية للحبار المطهو بالطماطم والغنى بمذاق الثوم.



الفصل الحادى عشر

كانت "ساتشيقو" مهما ملأت كأس الشراب لـ"سيجوشى" يميله مشيرًا إليها مرة أخرى، فتأكدت من أنه شخص كثير الشراب بلا خلاف. بدا أن "فوساجيرو" لا يشرب على الإطلاق، "إيجاراشى" أيضًا احمرت أذناه حتى أسفلهما.

- "حسنًا، أنا.."

وأشار بيده للنادل حين مروره، وبدا الود بين "سيجوشى" و"تينوسوكيه"، ولكنه لم يظهر على وجهيهما أو أفعالهما بعد.

جاء بحديث السيدة "إيتانى" أن "سيجوشى" لا يعتاد الشراب كل ليلة، ولكنه شخص لا يكره الخمر وإنما يحتسيها مع الآخرين كلما سنحت الفرصة بحسب ما عرفت. لم تعتبر "ساتشيقو" ذلك بالشىء السيئ للغاية، ولذلك علاقة بموت أمهن مبكرًا، فكان والدهن فى سنواته الأخيرة ينتظر على مائدة الطعام ويجعلهن يشاركنه كل ليلة، وبدأ الأمر بالأخت الكبرى ربة البيت الرئيس "تسوروقو"، ثم شيئًا فشيئًا صرن كلهن يحتسين الشراب.

بعدها أخوهن بالقانون "تاتسو أو" وأيضًا "تينوسوكيه" صار كل منهما يحتسى الشراب مع الطعام فى المساء، ومن هنا لم يعد هناك أى أحد منهم لا يحتسى الشراب على الإطلاق، بل لا يكتفون بذلك فالأسوأ والأضل سبيلاً من الخمر هو تفضيلهم للزوج الذى يحتسى الشراب على نحو ما.

لم تفصح "يوكيقو" عن تلك الملاحظة، ولكنها اتضحت فى سلوك "ساتشيقو" وهى تعتقد أن "يوكيقو" أيضًا بالمثل بداخلها كذلك فى الغالب.

علاوة على ذلك فإن شخصية مثل "يوكيقو" لا تفصح عن مكنون صدرها بأى شكل من الأشكال وتكتم بداخلها بكل حزم، إن لم تدعها ترافقها بالشراب من وقت لآخر تُصَب بالإحباط أكثر وأكثر، وحتى الزوج إن كانت لديه زوجة كذلك فإنه إن لم يدعها تشاركه الشراب فإنها ستكتئب على نحو لا يحتمل، وعليه فإن كان لـ"يوكيقو" زوج لا يشرب فستكون وحيدة للغاية وبائسة، لذلك فى هذه الليلة أيضًا أرادت "ساتشيقو" ألا تدع "يوكيقو" غارقة فى صمتها:

- "يوكيقو ألا تشربين قليلاً؟".

وهمست لها ثم أشارت لها بعينها نحو كأس من قنينة النبيذ الأبيض أمامها، وجعلتها ترى وهى ذاتها تشرب أيضًا القليل من ذلك، وهمهمت فى أذن النادل:

- "عفوًا، فلتصبّ قليلاً من قنينة النبيذ بجوارى".

شعرت "يوكيقو" بأن "سيجوشى" كثير الشراب فى حياته، خصوصًا أنها هى أيضًا عليها أن تكون أكثر وضوحًا. كانت من وقت إلى آخر تتذوق شيئًا على نحو غير لافت للنظر لكنها كانت فى مزاج سيئ، فجوربها ما زال مبتلاً قليلاً من الأمطار والخمر تتغلغل فى رأسها لكنها لا تجعلها فى حالة سُكر.

- "آنسة يوكيقو أتحبين النبيذ الأبيض؟"

سألها "سيجوشى" الذى لم يلحظ الإشارة بينها وبين أختها منذ فترة وجيزة.

ضحكت "يوكيقو" فى ارتباك ونظرت إلى أسفل.

- "نعم. كأسًا أو اثنتين تقريبًا". قالتها "ساتشيقو" واستطردت:

- "سيد سيجوشى تبدو قويًا للغاية، كم كأسًا تقريبًا تشرب حضرتك؟"

- "لا أدرى بالضبط. قد يمكننى أن أشرب فى حدود سبع أو ثمان".

- "ها قد أظهرت مواهبك الدفينة فى الثمالة". قالها "إيجاراشى".

- "على أى حال فأنا ليست لدى أى موهبة، وها قد صرت ثرثارًا أكثر مما كنت دائمًا".

- "حسنًا، سيدتى كريمة عائلة ماكى أوكا"، وسألتها "إيتانى":

- "هل تعزفين البيانو؟ فى عائلة ماكى أوكا الكل يهوى الموسيقى الغربية".

- " لا، حتى إن كان كذلك". أجابتها "ساتشيقو" وأضافت:

"ففى صغرى تعلمت قوطو[1]، وفى هذه الآونة أردت استعادتها وتنظيفها، فقد بدأت ابنتى مؤخرًا التدريب على رقص القرى الجبلية لذلك أصبح هناك الكثير من الفرص للاستمتاع بالقوطو وموسيقى الفلكلور جى أوتا[2]".

- "حقًا! هل تستطيعين عزف القوطو؟"

---

(1) آلة القانون اليابانية، وهى من 13 وترًا.

(2) نوع من موسيقى التراث والفلكلور اليابانى، ويرجع أصلها إلى عصر "إيدو"..

- "نعم، حتى إن كنت أبدو عصرية إلا أنى أريد استرجاع هوايات الصغر أكثر وأكثر. وكما تعلمين ابنتى ماهرة وسريعًا ما أتقنت العزف، لذلك كان لا بد لى من تعليمها فى سن مبكرة".

- "إنى لا أدرى جيدًا التخصصات، ولكن رقص القرى الجبلية هو فى الواقع شيء رائع، وبكل الأحوال ليس من الجيد فى شيء تقليد طوكيو، فنوننا المحلية لا بد لها من أن تزدهر".

- "حسنًا بالضبط، أليس هذا أيضًا ما تراه سيدى المدير؟ أليس كذلك سيد إيجاراشى؟"

وبينما "فوساجيرو" يومئ برأسه قال:

- "إن السيد إيجاراشى ماهر فى القصائد الشعبية الغنائية، فهو يتدرب منذ سنوات عدة".

- - "لكن إن كنت تتعلم أشياء من هذا القبيل.." قالها "تينوسوكيه".

- "لو كنت ماهرًا فى التعلم مثل السيد إيجاراشى لاختلف الأمر. إنى فى البداية كنت متهورًا، ولا أريد الاستماع لأحد، ثم قلت ولِمَ لا أذهب إلى المقاهى؟!"

- "يا عزيزى تلك هي الحال لأى أحد، فمن مساوئ المعزوفات اليابانية أنك لن تمكث بالبيت، والأمر أكثر اختلافًا بالنسبة إلىّ، فقطعًا لم أبدأ تعلمها وأنا لدى شغف كشغف عشاقها من النساء، وحين وصلت إلى هذه النقطة وجدت الشخص النموذجى، إنه السيد موراكامى".

- "أجل، لأن مجال عمله تجارة الحديد".

- "ها ها ها. ليس كذلك، إنى فقط تذكرته... ولكنى بمرة خطر لى أن أسأل امرأة: إنكم جميعًا لديكن علبة مسحوق الوجه، أليس كذلك؟ هل ما بداخلها مجرد مسحوق للوجه؟"

التقطت منه "إيتانى" أطراف الحديث قائلة:

- "مجرد مسحوق للوجه ولكن.. كيف لك أن تفعل هذا؟"

- "فى الحقيقة هذا الأمر منذ قرابة الأسبوع، فقد كنت فى ذلك اليوم مستقلاً القطار نحو هانكيوو، وجلست سيدة بكامل أناقتها بجوار النافذة وفى اتجاه الهواء، وأخرجت من حقيبتها علبة مسحوق التجميل، وهكذا، بدأت تربِّت على حواف أنفها سريعًا، وعلى الفور انتابتنى حالة من العطس، أليس ذلك ما حدث؟"

- "ها ها ها، بذاك الوقت، ماذا حدث لأنفك سيد إيجاراشى؟ أهذا بسبب علبة مسحوق الوجه؟"

- "أنا أيضًا ظننت ذلك على الفور، لكن بالسابق كانت لى التجربة نفسها، وكانت هذه الوقعة هى الثانية".

- "حقًّا، هذا صحيح". قالتها "ساتشيقو".

- "إنى، حين أفتح علبة مسحوق التجميل بالقطار، مَن بالجوار تنتابه حالة من العطس لمرتين أو ثلاث، ومن واقع خبرتى فإنه حتى علب المساحيق عالية الجودة رائحتها تفعل كذلك".

- "هاهاها، خمنت هذا فعلاً. حسنًا، ولكن هل تلك السيدة واحدة أخرى وليست زوجتك، بناءً على ما حكيته سابقًا؟"

- "حقًّا! لا أدرى. بالغ أسفى عمّا بدر منى فى ذاك الحين".

- "أنا للمرة الأولى أسمع بذلك". قالتها زوجة "فوساجيرو" وأضافت:

- "لا بـد لى مـن أن أجـرب فى مـرة مسـحوق تجميـل عـالي الجـودة بأقـرب وقـت".

- "لا أمـزح، ولكـن يـا للورطـة مـن رواج ذلـك. فيـما بعـد إن جلسـت سـيدة بالمقعـد المجـاور للنافـذة بالقطـار سـأرجوها قطعًـا ألا تسـتخدم علبـة التجميـل. ومـن الجيـد أنـك ألقيـت التحيـة، فتلـك السـيدة التـى جعلتنـى أعطـس لمـرات عـدة لم يسـعنى التعـرف عـلى وجههـا لذلـك راودنى الشـك".

- "حسـنًا، إن أختـى الصغـرى حـين أراهـا بالقطـار وشـعرها الـذى تعقصـه ذيـل حصـان ورباطـه يطـيران فـوق ياقـات ملابـس الرجال أريـد بشـدة أن أسـحبه".

- "هاهاهاااا".

- "هاهاهااااا".

- "تذكـرت وأنـا طفلـة حـين كنت أخـرج القطن المحشـو بالمفروشـات وأريـد أن أسـتخرجه كلـه بكاملـه". هكذا قالـت "إيتانى".

- "بالنـاس مثـل تلـك الغرائـز الغريبـة التـى يمكـن أن تراهـا مـع الثمالـة، قـد ترغـب فى ضغـط زر جـرس البوابـات الخارجيـة للمنـازل، وحـين تـرى عـلى رصيـف المحطـة مكتوبًـا: لا تلمـس الجـرس، ترغـب فى أن تجـرب وتضغطـه، لذلـك تحـترس قـدر الإمـكان ولا تذهـب إلى الجـوار".

- "فعـلاً، لقـد ضحكـت كثـيرًا هـذه الليلـة حقًّـا". قالتهـا "إيتـانى" وهـى تلتقـط أنفاسـها، ولكـن بـدا أنهـا لم تكتـفِ مـن الثرثـرة حتـى بعدمـا جاءتهـم فاكهـة مـا بعـد الطعـام، فنـادت قائلـة:

- "سيدتى بعائلة ماكى أوكا".

- "لقد اختلف القول! إني لم أعتد منكِ قول سيدتي، منذ فترة وجيزة كنتِ تقولين: سيدتي الشابة. حسنًا، قولكِ سيدتي يعني ما زلت شابًا، ولكن أيضًا هي كلمة لآونة لاحقة، فاللائي هن زوجات في العشرينات وتزوجن منذ عام أو اثنين بماذا ستدعينهن؟ هناك الكثير من الحاذقات في العلم بالحقيقة، وفي التنشئة، وفي الاقتصاد، لذلك يجعلنني أشعر بشدة اختلاف العصر".

- "حسنًا، هذا بالضبط كما تقولين، فأنا مثلاً أظن أن تعليم مدارس البنات تغير تغيرًا هائلاً، لذلك الآن حين أرى سيدة شابة يعتبر الأمر لغزًا بالنسبة إليَّ، فحقًّا الزمن اختلف.

إن ابنة أخي جاءتني من بلدتهم وهي فتاة، ومكثت تحت رعايتي حتى تخرجت في مدرسة بنات في كوبيه، وتزوجت عن قريب، وكان لديها بيت بحي قووروإن وزوجها موظف بشركة في أوساكا براتب شهري 90 ينًا. كانت تقول إن بالخارج هناك علاوات، ومع ذلك كانت تتلقى مساعدة شهرية من البلدة فقط للإيجار الذي هو 30 ينًا، وبهذا يصبح دخلها الشهري في حدود 150- 160 ينًا، لذلك فإني لا أدري كيف لها أن تدير شئونها كل شهر وزوجها يعود لها بنهاية كل شهر بـ90 ينًا، وعلى الفور تحضِّر في ظرف مدفوعات فاتورة الغاز والكهرباء والملبس والمصروف وغيره. إن قسمت الراتب هكذا لتدفع كل هذا أولاً إذًا كيف لها أن تكسب قوتها طوال الشهر؟! لا بد لها أن تقتصد العيش، لكني ما أدعوه عشاء شهيًا هو الطعام المقدم على نحو غير متوقع. الإعداد والتنسيق بالبيت ليس بائسًا إلى هذا الحد وإنما يلزمه تفكير حذق، وبالطبع من هذه الناحية فهي مخضرمة. عن قريب كنا معًا ذاهبتين إلى أوساكا، فأعطيتها محفظة نقودي وقلت لها أن تشتري لنا تذاكر القطار، فعلى الفور ابتاعت الكثير من التذاكر ووضعت لي الباقي. لقد أثارت اندهاشي في الحقيقة

حيال الأمر. لكم كان من السخف أني كنت أرعاها وأقلق عليها. لقد كنت خجلة".

- "قطعًا في هذه الآونة ليس الشباب بل على العكس الأمهات هن من يكنَّ مبذرات". قالتها "ساتشيقو" ثم تابعت حينها قائلة:

- "بالجوار أيضًا هناك زوجة شابة لديها طفلة لم تبلغ العامين بعد مؤخرًا. ذهبت إلى بابها في أمر ما فدعتني للدخول وأن نصعد لنترفه، فقلت حسنًا، ونظرت حين صعدت عندها ولم تكن هناك خادمة، وعلى الرغم من ذلك كان المكان مرتبًا بالحقيقة. بعدها على الفور ظننت أن تلك الزوجة بالتأكيد تلقي الملابس على المقاعد هنا وهناك، ولكن أتدرين؟! لم يكن كذلك. قلت لا بد أن الملابس ستكون بتلك الجهة كالمعتاد، ولكن في ذاك اليوم كانت تضع عربة الأطفال بالغرفة وبمهارة بداخلها أشياء إلى حد أنه لا مكان للطفلة، وما إن بدأت أن أهدهدها حتى جاءت قائلة عفوًا أستميحك عذرًا ها قد جئت أخيرًا بالشاي، ووقفت قليلاً تريني الطفلة ثم ذهبت. بعدها بقليل أدخلت الشاي، ثم جاءت بزجاجة حليب لتعطيها للطفلة وقطَّعت بها الخبز الطري، وبينما تقول لي تفضلي كوب الشاي وأنا أظنها ستتخذ مقعدًا، وجدتها على الفور تنظر إلى ساعتها وتقول: ها هو، الآن تبدأ معزوفات شوبان، ألا تستمعين إليها يا سيدتي؟ قالتها وفتحت زر المذياع، وبينما نستمع للموسيقى من ناحية، من ناحية أخرى هي لا تريح يدها مطلقًا، فهي تملأ الملعقة باللبن وتسقيه للطفلة.

بهذه الأجواء، هى لا تضيع وقتها هباءً وتنظم إياه وتقضى ثلاثة أمور فى آنٍ واحد. إنها مع ضيفتها وتستمتع بالموسيقى فى المذياع وتقدم وجبة طفلتها. فى الحقيقة أنا أظنها طريقة ماهرة ذكية.

أسلوب تربيتها للأطفال مختلف تمامًا عن الشائع هذه الأيام. تلك الزوجات اللاتى أتحدث عنهن.. أحيانًا تذهب الأم فى زيارة تريد بها لقاء ابنها الأكبر، وهو أمر لا غبار عليه، ولكن كما جرت العادة لا يتحمل أعباءها ويفعل ذلك فقط حين تصبح طاعنة فى السن، وهى تنتحب بعد فترة إن لم يفعل ويعتصرها الألم حتى ترجع العادات الأولية، وهكذا تظل تبكى كما كان يفعل هذا الطفل الصغير بالماضى، وحين يصطحبها بالطرقات تتعثر وتسقط وإن نهضت بمفردها كأنها طفل صغير قطعًا لا يعبأ بشأنها ويتجاوزها مبتعدًا، وفى تلك الأثناء بمجرد أن يذهب مبتعدًا عن أمه كأنها وجه لا يعرفه، فالطفل على العكس لا يبكى بل ينهض بمفرده ويلاحقه".

انتهت المأدبة، وبعدما نزلوا إلى البهو بالطابق السفلى قالت "إيتانى" للزوجين "تينوسوكيه" متسائلة:

- "إن لم يكن ذلك تدخلاً منى، ولكن هل تسمحان بـ15 أو 20 دقيقة ليتحدث مع كريمة عائلتكم هما الاثنان فقط؟" وأبلغتهما برغبة "سيجوشى".

لم يكن لدى "يوكيقو" أى اعتراض، ولبعض الوقت انتقل الاثنان لمقاعد أخرى وتبادل المتبقى من الحضور أطراف الحديث مرة أخرى.

- "عمَّ تحدث السيد سيجوشى منذ قليل؟" سألتها "ساتشيقو" وهم عائدين بالسيارة.

- "قال لى العديد من الأشياء". وبينما تتفوه "يوكيقو" بكلماتها قاطعتها "ساتشيقو":

- "تحديدًا ماذا قال، ما مجمل حديثه؟"
- "حسنًا. أهو اختبار عقلي!"
- "........".

بـدأت تقـل حـدة الأمطـار بالخـارج، وبـدت كأمطـار الربيـع تتسـاقط قطراتهـا برفـق وفي هـدوء، وبـدا أن رأسـها يـدور الآن مـما تجرعتـه مـن نبيـذ أبيـض منـذ قليـل.

شـعرت حينهـا بتوهـج وجنتيهـا، وزاغـت مقلتاهـا وهـي تحـاول أن تصمـد وتشـاهد مسـلوبة اللـب تداخـل أضـواء مصابيـح السـيارات بعـدد لا حـصر لـه، وانعكاسـها عـلى الطريـق الممهـد المبتـل مـن نافـذة سـيارة مسرعـة عـلى طريـق "هانشـين فوكـودو".

الفصل الثانى عشر

فى مساء يوم صافٍ وبمجىء "تينوسوكيه" إلى المنزل نظر إلى زوجته وقال:

- "لقد جاءت السيدة إيتانى إلى مكتبى اليوم".
- "ماذا؟ ألم تقل لها ألا تأتيك فى المكتب ثانيةً!"
- "إنها تقول: لم تدعونى لمنزلكم، واليوم كانت لدى بعض الأمور وجئت إلى أوساكا، لذلك جئت هنا بعدما انتهيت ولم آتِ إلى السيدة زوجتك لنجرى حديثًا سريعًا، وأستميحك عذرًا لمجيئى فجأة إلى هنا".
- "حسنًا، وما ذاك الحديث؟"
- "فى الحقيقة حديث لا بأس به. مممم.. تعالى هناك". قالها "تينوسوكيه" واصطحب "ساتشيقو" لغرفة مكتبه وروى لها:
- "ما قالته لى السيدة إيتانى أنهم بتلك الليلة بعد عودة ثلاثتنا مكثوا هم بعضهم مع بعض لعشرين أو ثلاثين دقيقة. باختصار سيجوشى مهتم للغاية، وبالطبع لا اعتراض لديه على شخصية ومظهر الآنسة كريمتكم، ولكن كان ملحوظًا ما بدا عليها من

ضعف.. ليس هناك أى شيء بحالتها الصحية، أليس كذلك؟ وبذكر هذا فإن أخى فوساشيرو أيضًا كان يذهب إلى مدرسة الفتيات أحيانًا ويطلعونه على دفاتر النتيجة حين كانت هى فتاة بالمدرسة، وحينها عرف أن لديها الكثير من أيام الغياب".

إذًا كان ذلك هو السؤال. ولأن "تينوسوكيه" نفسه لا يدرى بعهدها وهى بمدرسة البنات فإنه لا يستطيع أن يجزم بشيء حتى يتأكد من زوجته أو منها هى ذاتها، وحتى بعدما يعلم الأمر بنفسه فإن "يوكيقو" التى بالغرفة المجاورة ليست مريضة بالمرض الذى يبدو عليها، وإنما هى بالفعل ضعيفة، نحيلة، هزيلة، وبالتأكيد لا يمكنه قول إنها ذات بنية قوية.

إنه من ناحية ندرة الإصابة بنزلات البرد فإنها هى بين الأخوات الأربع فى المرتبة الأولى، ومن ناحية تحمل الأعباء البدنية فهو يضمن بذاته أنها فى المرتبة الأولى أيضًا باستثناء الأخت الكبرى فى بيت العائلة الرئيس، ولكنه ما زال يراوده الشك حيال هيئتها الهزيلة وفى ما إذا كانت مصابة بمرض صدرى، وهذا ما أثار مخاوفه أكثر، لذلك سارع بعودته إلى المنزل ليتناقش مع زوجته ومعها، وسعى أيضًا للفهم من البيت الرئيس، وأراد إجراء فحص طبى من الطبيب ليطمئن، وحاول إسداء النصح بأخذ صورة الأشعة للفحص لو أمكن.

إن مثل هذا القول لا يمكنه الخوض فيه مهما كان بتاتًا، لذلك يكفيه أن يسأل عن تفسير، لكن، على مضض، فمن الأفضل تنسيق مثل هذا الكلام بوضوح، فحتى بالنسبة إليه هو من الأضمن أن يقول:

"أليس من الأفضل أن نستمع لرأى طبيب آخر؟ يا لها من فرصة مناسبة حقًا لذلك. بكل حال من الأحوال إنها طريقة لنطمئن أنفسنا".

إن جرت الأمور على هذا النحو وبهذه الطريقة سيثق أهل البيت الرئيس أيضًا، وسيرون بالدليل أنه ليس بمكنون صدره أى غضاضة وسيكون شعورهم طيبًا مهما كان، لذلك أعد "تينوسوكيه" حديثه فى سياق أنه حتى لو كان الحديث عن عرض الزواج أمرًا غير مقبول، فالاستعداد أيضًا من الآن لما أصبح موضع شك والإسراع بإجراء هذه الأشعة هو شيء لن يذهب سدى على حد ظنه، وبالتأكيد لن يعترض أى من أهل البيت، لذلك وماذا بها إن أصطحبها فى الغد إلى جامعة "أوساكا"؟

- "حين كانت بمدرسة البنات لمَ كانت تتغيب هكذا؟ هل فى تلك الآونة كانت مريضة؟"
- "بالطبع سيكون الأمر مزعجًا الآن مثلما كان حينها وهى بالمدرسة، لذلك كان أبى عادةً ما يجعلنا نأخذ قسطًا من الراحة ويصطحبنا لنذهب للتنزه، وعليه فقد اصطحبنا لكل مكان، لذلك إن بحثت فى أيام غياب يوكيقو لوجدتنى أنا أكثر منها".
- "إن كان الأمر كذلك، فلا بد أن نخبر يوكيقو بشأن الأشعة".
- "لكن ألا تظن أن شأن جامعة أوساكا ليس بالأمر الجيد؟ ضع فى الاعتبار الأستاذ كوشيدا".
- "حسنًا، ها هى ذى مرة أخرى، هذه البقعة".

رأى "تينوسوكيه" أمورًا مفصَّلة غير متوقعة من الأناس الذين كانوا على يساره، فمنذ البارحة وهناك من يبادر بالقول عمًّا لاحظه من بقعة خافتة بدت على طرف العين اليسرى للفتاة، وهو أيضًا لاحظها.

- "ها قد أصبحت مشكلة. إن إيتانى لم تلحظها، ولكن هل تظن أنه الرجل؟ بالتأكيد لا. أم هل استطاع رؤيتها مثلاً فى أشعة الضوء

آنـذاك؟ تتعـدد الاحتـمالات ولكـن هـل حقًّـا توجـد تلـك البقعـة؟ هـذا مـا سُـئلت عنـه".

- "فى الليلـة الماضيـة رأيتهـا قليـلاً ويـا لهـا مـن صدفـة مؤسـفة، لكـن مـا دام الأمـر آل إلى ذلـك ففـى النهايـة أصبحنـا أمـام مشـكلة".
- "حتى لو كان هذا اهتمامًا مبالغًا فيه، ولكن ما هى تلك؟"

طـرف العـين اليسرى لـ"يوكيقـو"، بوضـوح أكـثر بالجفـن العلوى، أسـفل الحاجـب، بـين الحـين والآخـر يظهـر ظـل خافـت ويتراجـع، وهـذا مـا حدث مؤخـرًا، لذلـك حـين لاحظـه "تينوسـوكيه" مثـلاً لم يكـن سـوى منـذ بضعـة أشـهر، أو نحـو سـتة أشـهر. فى ذاك الوقـت سـأل زوجتـه بهـدوء منـذ متـى بـدأ هـذا الـشىء فى الظهـور عـلى وجـه "يوكيقـو"؟ لكـن "ساتشـيقو" قـد لاحظـت الأمـر فى هـذه الآونـة أيضًـا ولم تكـن تـدرى بوجـوده مـن ذى قبـل، وحتـى الآن هـو ليـس أمـرًا مسـتمرًا بـل فى الطبيعـى هـو حقًّـا خافـت لا تـكاد تدركـه حتـى إن نظـرت مدققًـا، وهـو يتـلاشى كليـة ودون سـابق إنـذار، ومدتـه أسـبوع فقـط، ولاحظـت "ساتشـيقو" أنـه فى الغالـب فـترة ظهـوره القـوى تكـون فى الفـترة حـول آلامهـا الشـهرية.

الأهـم مـن أى شىء هـو "يوكيقـو" ذاتهـا كيـف تشـعر حيـال ذلـك، إنـه وجههـا هـى، أى بـلا شـك ستكتشـف تلـك العلامـة قبـل أى أحـد. ظنـت "ساتشـيقو" أنـه مـن الأفضـل ألا تـدرى مـا هـذا كى لا تتأثـر نفسـيتها، فهـذا مـا تخشـاه، وإن كان عـلى وجـه العمـوم "يوكيقـو" ليسـت بائسـة أو حتـى غيـورًا لتأخـر زواجهـا إلى الآن، إضافـة إلى هـذا هـى دائمًـا مـا تبـدو لديهـا ثقتهـا الداخليـة حيـال مظهرهـا، لكنهـا إن بلغهـا مـا يـدور حـول مثـل ذلـك العيـب غـير المتوقـع فـماذا سـيكون شـعورها؟

وبينـما تخفـى "ساتشـيقو" مخاوفهـا تلـك، تمـر الأيـام وهـى تتفحـص وجـه "يوكيقـو"، فهـى لا يمكنهـا أن تسـأل عـن رأيهـا فى ذاك الشـخص بـلا مبـالاة، ولكـن "يوكيقـو" لم يطـرأ عـلى تصرفاتهـا أى تغيـير.

أهى حقًّا لا تعير انتباهًا لذاك الأمر؟ لقد بدا كأنه ليس بمشكلة.

ثم فى وقت ما نادت "تائيقو" أختها الوسطى قائلة:

- "أختى أقرأتِ هذا؟"

وأشارت إلى أمر جاء بمجلة نسائية لديهم منذ نحو شهرين أو ثلاثة أشهر، وبمجرد أن رأت "ساتشيقو" تنبهت إلى أنه بعمود الاستشارات الطبية بالمجلة القديمة هناك فتاة فى التاسعة والعشرين من العمر وغير متزوجة وتعانى من الأعراض نفسها التى لدى "يوكيقو"، وهى أيضًا لاحظت ذلك مؤخرًا، وأيضًا خلال شهر أصبحت هذه البقعة تظهر خافتة حينًا وتختفى فى حين آخر، وأوقاتًا تصبح داكنة، ووجدت بالإجابة أنه لا داعى لأى قلق فهى عادةً ما تكون أعراضًا فسيولوجية لدى الفتيات غير المتزوجات وتخطِّين سن الزواج مثلما بحالة "يوكيقو".

غالب الحالات يطيب مباشرةً فور الزواج، ولكن حتى إن لم يحدث ذلك فكثيرًا ما يتم العلاج بالمداومة قليلاً على حقن هرمونات أنثوية.

شعرت "ساتشيقو" بالارتياح لتلقيها مثل تلك المعلومات، وفى الحقيقة "ساتشيقو" ذاتها أيضًا لديها تجربة مماثلة لذلك فى ما مضى.

فى حالتها، وقبل بضع سنوات من الآن، كان حول شفتيها يبدو كأنه متلطخ من حيث حواف فمها بصلصة الفاصوليا الحمراء كالأطفال بالضبط، وأحيانًا ما كانت تظهر بقعة بلون أسود مزرق كالكدمة، وحين تفحصها الطبيب وجد أنها فى ذاك الوقت كان لديها تسمم أسبرين، وإن تركتها كما هى لحالها فستختفى على مَرِّ سنة، وبالفعل مضى الأمر على ما يرام دون أن يتكرر.

بأخذ ذلك فى الاعتبار فإنه يبدو إلى حد ما أن هؤلاء الأخوات لديهن استعداد فطرى لظهور مثل تلك البقع، فـ"ساتشيقو" لديها فى

الماضى تلك التجربة، وعلاوة على ذلك كانت تلك البقعة على أطراف فمها داكنة أكثر من التى لدى "يوكيقو" على جفن عينها، وهذا مثال حى لكون مثل تلك البقع تطيب بوقت قريب، لذلك فمن الأساس ليس هناك ما يقلق حيالها، وبقراءة ذلك المقال بالمجلة لا بد أن تكون اطمأنت تمامًا.

لكن "تائيقو" جذبت هذه المجلة القديمة وذهبت بها بهدف أن تجعل أختها "كى أن" تقرأ المقال بطريقة أو بأخرى.

لكن لم يتغير شىء البتة بحالة "كى أن" بقراءتها ذلك، وبدا أنه بداخلها ضيق لا ينتهى لكونها وحيدة، وما يريدون إخبارها به أنه لا داعى للقلق حيال أى شىء كما هو مكتوب هنا، وأنها ستطيب إن تزوجت، وحتى إن لم تكن فهناك طرائق جديدة للعلاج قبله قدر المستطاع، وذلك بالاستمرار على علاج. لكنه مهما قيل لها من ذاك القبيل فلن يجدى نفعًا فى أمر "كى أن"، بل إنها ستقتنع فى الوقت المناسب.

إن "ساتشيقو" حتى الآن لم تتناقش مع أحد بشأن البقعة التى لدى "يوكيقو"، وعليه فإن حديثها مع "تائيقو" كان هو للمرة الأولى. إنها تدرى أن "تائيقو" هى الأخرى مثلها تتألم بداخلها دون أن يدرى بها أحد حيال ذاك الأمر، ولكن موقف "تائيقو" مختلف فهناك حسابات أخرى تدعمها بخلاف مشاعر الحب الناجمة عن رابط الدم بينهما، فهى سيطول أمد زواجها بـ"أوكوباتا" إن لم تتزوج "يوكيقو" سريعًا، وهذا ما ظنته "ساتشيقو".

وإن كان الأمر كذلك فإنه واجب على واحدة منهما أن تجعل "يوكيقو" ترى المجلة، وانتهى نقاشهما على أن "تائيقو" هى الأفضل و"ساتشيقو" على العكس صارت مبالغًا فى شأنها للغاية. ولأن مخاوفها أثارت ريبتها حتى من أن تدع زوجها "تينوسوكيه" يشاركها النقاش

على نحو طبيعى، فلذلك حسمت "تائيقو" الأمر برفق وعلى نحو غير مكترث.

ظهرت البقعة الداكنة على وجه "يوكيقو" مرة أخرى فيما بعد، وكانت تتوجه إلى المرآة بغرفة الملابس والزينة وحدها وتصادف وجود "تائيقو"، فقالت لها بهدوء:

- "عزيزتى كى أن، لا تقلقى بتاتًا بشأن تلك التى بطرف عينك".

فأشاحت "يوكيقو" بوجهها ولم تقل سوى:

- "ممممممممم".

ولكن "تائيقو" غابت عن ناظرها وتوجهت إلى الأسفل وعادت إليها قائلة:

"ذاك الأمر ها هو قد جاء بمجلة السيدات، ألا تقرئينها يا عزيزتى كى أن؟ إن لم تريها بعد دعينى أريها لكِ".

- "لا أدرى. ربما قرأتها".

- "ممم. هل قرأتها؟ إنها ستطيب إن تزوجتِ، وممكن أيضًا بالعلاج".

- "مممممم".

- "أتدرين بذلك عزيزتى كى أن؟"

بالنسبة إلى "تائيقو" فإن "يوكيقو" لا تريد أن تتطرق إلى تلك المسألة، لذلك أخذت المجلة بلا مبالاة وألقت بها جانبًا، ولكن أيضًا ترديدها لـ"مممم" لعدة مرات هو أمر إيجابى. المربك فى كونها قد قرأت تلك المجلة هو أنها فى القريب العاجل ستصير متزوجة.

ألقت "تائيقو" نظرة باستحياء على "يوكيقو" بعدما شعرت بالارتياح التام لذلك، وأسدت إليها نصيحة قائلة:

- "وإن كنتِ قد قرأتها فلمَ إذًا سيجب أخذ الحقن؟!"

لكن "يوكيقو" بدا عليها أن ذلك الشعور لن يستمر، فقد تعاملت بازدراء مع تلك النصيحة. الأمر الوحيد فى ذلك هو أنه وفقًا لطبيعتها، فلا بد أن يأخذ بيدها أحد ويجذبها بقوة. إنها تكره الذهاب إلى طبيب أمراض جلدية غير مألوف ليتفحصها، فى حين أن كل ما فى الأمر هو أن هؤلاء الذين هم على الحافة يخشون حتى الظل، وبذلك فهى ستعانى وستتعامل مع تلك البقعة بحساسية مفرطة.

تصادف فى يوم ما بعدما نصحتها "تائيقو" بتلك النصيحة أن لاحظت الصغيرة "اتسوقو" للمرة الأولى شيئًا غريبًا بوجه "يوكيقو"، وحدقت إليها متسائلة بصوت عالٍ:

- "أختى الكبيرة. ما هذا الذى حول عينك؟"

ولسوء الحظ أن بذلك الموقف كانت "ساتشيقو" والخادمات موجودات بالخارج وساد بينهن الصمت فجأة. فى ذاك الوقت أيضًا كان شعور "يوكيقو" غير متوقع، فلم يتغير لون وجهها البتة، واستمرت فقط فى مضغ شىء ما بداخل فمها مراوغة بالإجابة.

إن أكثر ما يزعج "ساتشيقو" وابنتها هو حينما تظهر تلك البقعة بوضوح على هذا النحو وهى ترافقهما بالمدينة وبالتسوق فى المحلات التجارية. أما بالنسبة إلى أخواتها، فـ"يوكيقو" الآن فى فترة ما قبل الزواج أى هى سلعة مهمة للبيع، فإن لم يكن هناك مقابلة زواج فإنها أيضًا عليها أن تتأنق بملبسها فى الخروج فلربما رآها أى أحد بمكان ما.

منذ قرابة الأسبوع أو أكثر وهم يمكثون بالبيت قدر المستطاع، وإن كان لا بد لهم من الخروج، فبأدوات التجميل تعمل على إخفاء تلك البقعة، لكنه على الرغم من أن هذا حل بارع فإنها لا تبالى بالمرة بتلك المسألة، فما تظنه "ساتشيقو" و"تائيقو" هو أن وجه "يوكيقو" يليق به التزين الصارخ بأدوات التجميل، ولكن فى الفترة التى يظهر

فيها هذا الظل وتزيد من اللون الأبيض، فإنه على العكس، فحين تنظر إليها من خلال الأشعة المائلة سترى بوضوح رواسب لجزء بلون رصاصي تحت القوام شديد البياض، لذلك فمن الأحرى بها بتلك الفترة أن تخفف من اللون الأبيض، ويستحسن أن تزيد من مورِّد الوجنتين، وهنا نجد "يوكيقو" عادةً ما تكره وضع مورد الوجنتين وتستمر في وضع الزينة بألوان صارخة وتخرج. (هذا المكياج هو سبب أن راودتهم الشكوك في ما إن كان لديها مرض رئوي أو شيء من ذاك القبيل، وعارضتها "تائيقو" لتضع مورِّد الوجنتين حتى إن لم تضع الأبيض). في ذلك الوقت، ومن سوء حظها، دائمًا ما يتصادف لقاؤهن أشخاصًا يعرفونهن.

في مرة كانت "تائيقو" معها وتستقلان معًا القطار، وفي ذلك اليوم على وجه الخصوص كانت تلك البقعة واضحة بشدة، أخرجت "تائيقو" بهدوء علبة أحمرها وأعطتها إياها قائلة:

- "خذي ضعي من هذه"، وحثتها على أن تضع على أطراف وجهها، ومع ذلك بدت كأنها لا تشعر بها من الأساس.

الفصل الثالث عشر

- "إن كان كذلك، فماذا بك إذًا؟ ما المشكلة؟"
- "كما هي الحال، لقد قلتها صراحةً، إنها لا تظهر عادةً بمثل ذلك الشكل، وما لا يدعو للقلق حيال أي شيء هو مثل هذا القول الذي ورد بالمجلة وبمجلات أخرى أيضًا قرأتها، لذلك فما أفكر فيه هو كيف سأحصل على الأشعة السينية وأذهب بها إلى جامعة أوساكا، وأطلب ممن بطب الأمراض الجلدية أن يتفحصوها كي أتأكد مما إن كان العلاج حقًا كما هو مكتوب بالمجلة. المشكلة ستصير في كوني أنا الذي أريد أن أتأكد وهي تظن أن الأمر فقط ليس بهذا القدر".

شعر "تينوسوكيه" بأنه سيكون خطأه إن تركها وحدها وهو يدري الآن بشأنها، في حين أنه من الطبيعي ألا يلحظ ذلك أخوها ببيت العائلة الرئيس، لأن "يوكيقو" تأتيهم وتمكث غالب الشهر عندهم ببيت العائلة الفرعي، ومهما قيل فإن الأمر بدأ مؤخرًا ولم يمثل مشكلة ولو لمرة واحدة في أي من مقابلات الزواج حتى الآن، وعلاوة على ذلك، فإن "ساتشيقو" حينها فكرت في المسألة بمنتهى البساطة

لـترى حقيقـة علاجهـا دون أى قلـق، فبالنسـبة إلى "ساتشـيقو" الفـترة التـى تظهـر فيهـا تلـك البقعـة بوجـه "يوكيقـو" يمكـن التنبـؤ بهـا بحسـاب الأيـام، وبنـاءً عليـه يمكنهـم ألا يحـددوا موعـد المقابلـة فى تلـك الفـترة، ولكـن لا تـزال "إيتـانى" تضغـط عليهـم بخصـوص شـأن واحـد، وإن بـدا منهـم أى عـدم مبـالاة فيـما بعـد وتحـدد اللقـاء فى يـوم مـا زالـت هـذه البقعـة ظاهـرة فيـه وملحوظـة لأعـين الآخريـن ولم تختـفِ بعـد، فحينهـا سـترتبط الأمـور بعضهـا ببعـض.

فى الصبـاح حاولـت "ساتشـيقو" بعدمـا خـرج زوجهـا ليذهـب إلى عملـه أن تسـأل "يوكيقـو" بهـدوء عـن انطباعهـا بخصـوص الأمـس. عـلى العمـوم هـى قـد سـمعت نوايـا أخواتهـا وأخويهـا بالقانـون بـأن يدعـوا الأمـر لهـا، لذلـك كانـت تقلـق وتجعـل الأمـور تـزداد تعقيـدًا وتبـدأ فى التحـدث بحـدة كلـما دار حديـث فى سـياق أنـه شـخص جيـد بعـد طـول انتظـار، وفى أثنـاء ذلـك بعدمـا نامـت الصغـيرة ليـلاً وجـدت "تينوسـوكيه" هـو الآخـر مـترددًا، ومـا إن أخـرج مـا فى جعبتـه بشـأن الأشـعة السـينية وبشـأن طبيـب جلديـة حتـى جـاءت موافقتهـا سريعًـا عـلى غـير المتوقـع، وقالـت إنهـا تفضـل أن تصطحبهـا أختهـا الأكـبر "ساتشـيقو" وتذهبـا معًـا للفحـص. يومًـا تلـو الآخـر بعـد ذاك الحديـث خفـت الظـل الـذى بنهايـة جفنهـا حتـى تـلاشى، لذلـك رجحـت "ساتشـيقو" الانتظـار حتـى يظهـر مـرة أخـرى أكـثر وضوحًـا ليذهبـا للكشـف الطبـى، لكـن كان مخطـط "إيتـانى" كـما تصـوروه فعجَّـل "تينوسـوكيه" باللقـاء القـادم ليكـون فى أقـرب وقـت ممكـن، لذلـك فى اليـوم التـالى ذهـب إلى البيـت الرئيـس للعائلـة ببلـدة "أويـه هـون" ليطلـب منهـم التحـرى وجمـع المعلومـات الخاصـة بمقابلـة الـزواج، وذلـك جنبًـا إلى جنـب مـع قيامـه باصطحـاب "يوكيقـو" لجامعـة "أوسـاكا" بمجـرد إجابتهـا عـلى أختهـا، وبعدهـا فى اليـوم التـالى سـيخرج وهـو يقـول عـن عمـد أمـام الخادمـات إنهـم ذاهبـون إلى مجمـع متاجـر "ميقـوشى" مـع "يوكيقـو".

كانـت نتيجـة الفحـص الطبـى الباطنـى والجلـدى أيضًـا كالمتوقـع، فصـورة الأشـعة السـينية فى ذاك اليـوم بعـد انتظارهـم لاسـتخراج الصـورة العكسـية/ السـلبية (نيجاتيـف الصـورة) لأشـعة الصـدر لم يتضـح بهـا أى ظـل ولا نقطـة واحـدة، لكـن بعـد مـرور أيـام عـدة وصـل التقريـر الـذى كان بـه أن معـدل الترسـيب بالـدم نسـبته 13، وغـيره مـن النتائـج الرجعيـة السـلبية بالفحـص الجلـدى، فبقسـم الأمـراض الجلديـة نـادوا "ساتشـيقو" بعيـدًا وقالـوا لهـا فجـأة إن هـذه الفتـاة لا بـد مـن الإسراع بتزويجهـا، وحـين قالـت إنهـا سـمعت عـن العـلاج بالحقـن كان الـرد أنـه بالفعـل هنـاك عـلاج بالحقــن، وإنمـا عـلى الأرجـح لـن يجـدى نفعًـا فى هـذه المرحلـة، فالأفضـل مـن ذلـك تزويجهـا سريعًـا فهـذه هـى أفضـل طريقـة للعـلاج، وانتهـى الحديـث عـلى هـذا النحـو، مـا يعنـى أنـه فى النهايـة مـا قـرؤوه بالمجلـة شىء محتمـل.

- "إذًا، إلى أين ستأخذيننا يا سيدة إيتانى؟"

قـال ذلـك "تينوسـوكيه". لقـد كان مـن الأفضـل أن تصطحبهـما، لكنـه منـذ وقـت قليـل مـضى قـال لهـا: "لقـد تحدثـت سريعًـا إلى زوجـك، وكان هـدفى بالحديـث هـو أنـتِ لأنى أريـد أن أسـلمك هـذا، ولا أريـد أن أتسـبب لـه بـأى ضيـق بسـبب اسـتبعاده مـن هـذا الحديـث. فى الحقيقـة، فى تلـك الأحـوال أريـد أن أتعجـل فى الحديـث والنتيجـة أنى أتعـثر بالـكلام". فلاحقتـه "ساتشـيقو" بالحديـث قائلـة:

"نـانى، الأمـر ليـس كذلـك، لقـد هاتَفـكِ تينوسـوكيه سريعًـا مـن مقـر عملـه اليومـى، وأرسـل إليـكِ صـورًا وتقاريـر بالبريـد السريـع، ومـا زال لديـه هنـا أيضًـا بعـض المهـام المكتبيـة".

هكـذا نحـو السـاعة الرابعـة مسـاءً مـن ذاك اليـوم المـشرق، أى منـذ سـاعة مـن الآن، كانـت هنـاك مكالمـة هاتفيـة للاستفسـار، وظهـرت "إيتانى" هـى الأخـرى بالمكتـب فى تمـام السـاعة الخامسـة وقالـت:

"لكـم جزيـل الشـكر بشـأن الأمـس، ولقـد أوصلتـه إلى السـيد سـيجوشى عـلى الفـور. ممتنـة لكـم للغايـة لذهابكـم خصوصًـا لجلـب التقريـر المفصـل إضافـة إلى صـور الأشـعة ومـا إلى ذلـك، وبالطبـع الأمـر مطمـئن تمامًـا وأعتـذر إليكـم مـرارًا وتكـرارًا لطلبـى شـيئًا وقحًـا وأنانيًـا إلى هـذا الحـد ولكـن.. فى الواقـع أتـردد كثـيرًا فى مـا سـأطلبه، إن السـيد سـيجوشى يرجـو أن يتبـادل الحديـث مـع ابنـة عائلتكـم، هـما الاثنـان فقـط لسـاعة مثـلاً دون عجلـة كـما سـبق فى تلـك المـرة. ألا تتفقـون معـى فى ذلـك؟"، ثـم اسـتطردت "إيتـانى" مضيفـة:

"إن السـيد سـيجوشى شـخص بالـغ ولكنـه لم يسـبق لـه الـزواج قـط، لذلـك فهـو يعـد مبتدئًـا، لقـد كان متوتـرًا فى تلـك المـرة حتـى إنـه لا يتذكـر فيـمَ تحدثـا، عـلاوة عـلى أن ابنتكـم خجـول للغايـة".

حقًـا الخجـل صفـة حسـنة، ولكـن حينهـا كان لقاؤهـما الأول لدقائـق فقـط والتعامـل بمنتهـى التكلـف، لذلـك بلقائهـما مـرة أخـرى سـيحاول كل منهـما أن يتخـلى عـن تحفظـه.

هذا ما كانت تقصده.

وبعد ما قالت هذا استطردت:

"إن وافقتـم فهـل مـن الممكـن أن يكـون اللقـاء بمجيئكـم إلى منـزلى فى هانزكيـو أوكاموتـو؟ إنـه بيـت متواضـع ولكـن ذلـك لأن اللقـاء بفنـدق أو مطعـم مـا أسـهل أن تلحظـه الأعـين".

مـن ناحيـة أخـرى كان يـوم الأحـد المقبـل وفـق مـا يرغبـون تمامًـا، لكـن كان هـذا حديثهـم:

- "حسنًا وكيف ذلك؟ وهل أعطتك يوكيقو موافقتها؟"
- "ليس يوكيقو بل بيت العائلة لا أدرى ما رأيهم. إنهم لم يقرروا بعد بوضوح، وعلى الرغم من أنه من الأفضل كونهم أناسًا لا يتدخلون كثيرًا، لكن هل سأستطيع قول ذلك؟"
- "ومن جهة أخرى فما حال تلك البقعة بوجهها؟ لا أدرى إن كنتم تريدون رؤيتها مرة أخرى!"
- "فى الحقيقة كلامك صحيح".
- "إذًا، ليس من الأفضل أن نقول، فالآن غير مناسب، وأيضًا نحن لا ندرى فأى قول فى مثل هذه الأجواء قد يأتى بما لا نرجوه".
- "حسنًا، ولكن إن اعتذرت فماذا سيظن؟ سيبدو أنكم لا ترغبون".

بعدما دار هذا النقاش بين الزوجين، وفى اليوم التالى، وجدت "ساتشيقو" أنه أيضًا هاتف المنزل سيسبب المتاعب، فذهبت إلى هاتف عام بالجوار لتطلب أختها الكبيرة ببيت العائلة، وكما ظنت بالضبط، فحين قالت لها ولِمَ إلى ذاك الحد لا يتقابلان ولو لمرة واحدة، وغيره من ذاك القبيل، وكلفها ذلك خمس مكالمات هاتفية، فقالت لها أختها: "وأنا أيضًا لا أدرى لِمَ كذلك، ولا أدرى أيضًا كيف سيحدث ذلك، وهل مسموح لكليهما فقط أن يتقابلا. بالنسبة إلىّ لا أدرى، لذلك فى المساء سأتناقش مع أخيها الكبير وسأوافيكِ بالرد غدًا".

لذلك فى الصباح التالى أسرعت "ساتشيقو" مرة أخرى للهاتف العام دون انتظار لمجىء مكالمة منها، وتأكدت من موافقة أخيهن الكبير بالقانون، ولكنه وضع عدة شروط بخصوص المكان والتوقيت ومن سيتولى الأمر ويصطحبها، بعد ذلك توجهت لترى "يوكيقو" ووضحت لها سريعًا، وعلى الفور وافقت.

في ذلك اليوم جاءت "ساتشيقو" بباقة زهور وأخذتها إلى بيت "إيتاني" لتقدمها لها.

رحبت بهم "إيتاني" في البداية وقدمت لهم الشاي وتبادلوا الأربعة الحديث لقليل من الوقت، ثم دلّتهم "إيتاني" على الطابق العلوي وانتظرت و"ساتشيقو" بالطابق السفلي واستمر حديثهما، لكن الموعد الذي كان من المفترض أن يكون ساعة امتد بعدها لقرابة 30 أو 40 دقيقة أخرى، ثم نزل الاثنان.

بالإياب تخلف عنهم "سيجوشي" بخطوة وخرجت الأختان أولاً لتلحقا بوقتهما، فإنه يوم الأحد والصغيرة "اتسوقو" تمكث بالبيت، لكنهما توجهتا إلى "كوبيه" وذهبتا إلى فندق "أورينتال" واحتستا الشاي مرة أخرى، وحين سألتها "ساتشيقو" عن أحوال المقابلة:

- "اليوم حقًّا تحدثنا". وهكذا فإن "يوكيقو" في ذلك اليوم استمرت في الثرثرة في عديد من الأشياء دون خوف. لقد سألها دافعًا إياها لتجيبه تمامًا عن سبب كونها هي وأختها "تائيقو" تفضلان العيش بالبيت الفرعي أكثر من المنزل الرئيس، وعن حادث "تائيقو" الذي ورد بالصحف، وماذا حدث بعدها، وأشياء من ذاك القبيل، فأجابته دون أي اعتراض ولكنها لم تفصح بالقول لأختها عن الأشياء التي سيسيء فهمها أخوها الكبير بالبيت الرئيس.

لقد قال لها "سيجوشي": "لا تجعليني أنا فقط الذي أستمر في طرح الأسئلة وتفضلي بسؤالي أنتِ أيضًا"، لكن "يوكيقو" استمرت على حيائها، لذلك استرسل هو في الحديث عن ذاته. قال إنه يبحث عن شخصية ذات إحساس أصيل وليست شخصية ذات إحساس مواكب للعصر، لذلك تأخر في الزواج إلى الآن، وقال لها إن مجيء شخصية مثلك هو شيء أكثر بكثير مما أستحق، وكرر لمرتين أو ثلاث كلمة

"الفارق الاجتماعي بيننا". بعد ذلك قال إنه بالنسبة إلى علاقاته النسائية فإنه لم تكن لديه أي علاقة في الماضي، وإنما هناك واحدة فقط يريد أن يخبرها بها لأنها تركت أثرًا غير متوقع.

في مرة تبادل الحديث مع امرأة بفرنسا كانت تعمل بائعة بمتجر متعدد الأقسام وقتما كان بباريس. لم يدُر بينهما حديث مفصل، ولكن في النهاية انخدع بتلك المرأة، لذلك عانى من حنينه للوطن وللأسرة، وأيضًا كردة فعل لذلك أصبح يتوق لكل ما هو ياباني خالص، ويدري بهذا الحديث فقط صديق قديم لـ"سيجوشي" هو السيد "فوساجيرو".

قال لها إنه لم يتحدث لأحد بخلافه سوى اليوم للمرة الأولى، لكن علاقته بتلك المرأة انتهت بالصداقة، لذلك طلب منها ثقتها حيال تلك المسألة.

في الغالب تلك هي الأشياء التي كانت "ساتشيقو" ترغب في سماعها، لكن "يوكيقو" في غنى عن قول إنها تفهمت شعوره وبوحه بمكنون صدره بصراحة إلى ذاك الحد.

أما عن "إيتاني"، فهي على الفور بدأت المطاردة من اليوم التالي وهاتفت "تينوسوكيه" واستمرت في إلحاحها قائلة: "لقد أعطيتموه فرصة مثالية بالأمس، ولن يكون لدى سيجوشي ما سيقوله بعد، ولقد تفحصت وجهها بالأمس باحثة عن البقعة وكانت على ما يرام وليست بالشيء الذي قد يصل إلى درجة المشكلة أبدًا، وعليه، فأنا أتساءل إن كان اجتاز امتحان زوج ابنة عائلتكم، إني أنتظر مجيء الإجابة". وكانت في الوقت نفسه ترص مزيدًا من الكلمات وتتساءل: ألم ينتهِ بعد بحث عائلتكم بالبيت الرئيس؟

إن نظرنا إلى "إيتاني" سنجدها من بداية هذا الحديث منذ أكثر من شهر، وأيضًا حين زارتهم في يوم ما ببيت "أشييا"، وبعدها بأيام

عـدة أيضًـا حـين التقتهـم بفنـدق "أورينتـال"، وهـى تسـمع منهـم التحيـة وتلحقهـا عبـارة "هـل ممكـن أن تنتظـروا لأسـبوع لاحـق؟"

لذلـك لا بـد لهـم مـن أن يتخلصـوا أكـثر وأكـثر مـن خـدر لا داعـى لـه. إن "ساتشـيقو" ذهبـت فى الحقيقـة إلى بيـت العائلـة لتناقـش الأمـر للمـرة الأولى بالـكاد منـذ عـشرة أيـام أو أسـبوعين، وحتـى دون ذلـك، فبالنسـبة إليهـم لا داعـى للـرد السريـع مـن بيـت العائلـة فى مثـل هـذه التحريـات التـى تسـتدعى اهتمامًـا.

بالمختـصر كانـت "ساتشـيقو" تحـت ضغـط بسـبب الهجـوم المسـتمر مـن "إيتـانى"، فقـد قالـت لهـا: "هـل بعـد أسـبوع أيضًـا!" وقالـت أيضًـا: "تينوسـوكيه لا خيـار لديـه فيوافقـك الـرأى وهـذا خطـأ، وبصراحـة، بيـت العائلـة طلـب سـجل عائلـة سـيجوشى مـن دار البلديـة بمسـقط رأسـه، لكـن توالـت الأحـداث وقلتـم وصـل أخـيرًا منـذ يومـين أو ثلاثـة، وإنمـا تقريـر إدارة المباحـث والتحريـات الـذى سـيتولى البحـث ببلدتـه مسـقط رأسـه سيسـتغرق وقتًـا أيضًـا هـو الآخـر، وفى النهايـة سـتقررون، وهـا هـو الأمـر مـرة أخـرى مـن أجـل تلـك الأفـكار سترسـلون شـخصًا مناسـبًا إلى البلـدة مسـقط رأسـه!".

كان الزوجـان "تينوسـوكيه" فى ورطـة، خصوصًـا بعـد مـضى كل ذلـك الوقـت، ولم يكـن أمامهـما سـوى المماطلـة بقـول بعـد أربعـة أو خمسـة أيـام، لكـن "إيتـانى" فى تلـك الأثنـاء بـدأت ممارسـاتها بالضغـط بذهابهـا إلى منـزل "أشـييا" مـرة وإلى المكتـب بـ"أوسـاكا" مـرة أخـرى، وللأسـف لـن يتـم الموضـوع سريعًـا، ومـن السـهل ظهـور العراقيـل، وسـيكون مـن حسـن الحـظ إن اسـتطاعوا إتمـام أى مراسـم هـذا العـام، وبلـغ بهـا القـول إلى هـذا الحـد ثـم عـادت أدراجهـا. لكنهـا لم تكتـفِ بذلـك، بـل لم تسـتطِع الانتظـار مطلقًـا واتصلـت بالأخـت الكـبرى ببيـت العائلـة الرئيـس التـى حتـى لم تلتقِهـا مـن قبـل، وهاتفتهـا مبـاشرةً مواصلـة إلحاحهـا. اندهشـت الأخـت

الكبرى وبعدها اتصلت بـ"ساتشيقو" لتخبرها، لكنها كان لديها طول بال أكثر من "ساتشيقو" وكان الأمر غريبًا عليها، وبدا عليها الارتباك وهي تحاول الرد على أسئلة لأكثر من خمس دقائق، ولكن حتى إن توجهت "إيتاني" إلى الأخت الكبرى واستخدمت عبارات المجاملة مثل "إنه من السهل إدخال العراقيل بالكلام السلس" وغيرها، إلا أنها بدت بالنسبة إليهم سريعة الكلام دائمًا وتسعى لإقناعهم على نحو كبير.

الفصل الرابع عشر

في خضم تلك الأحداث انتهى الشهر، وفي يومٍ ما بعد بدء شهر ديسمبر، جاءت مكالمة هاتفية من سيدة البيت الرئيس، فخرجت "ساتشيقو" لتتلقى المكالمة التي كانت بخصوص عرض الزواج الذي تلقوه مؤخرًا، فلقد طال أمر البحث المفصل ولكن أخيرًا صاروا على علم بغالب الأشياء وستأتيهم اليوم. بعدما انتهت المكالمة استرجعت "ساتشيقو" كلماتها وظنت أن أختها لا بد أنها تريد أن تسعدهم ولديها حديث جيد بلا شك، ولم تعارض بمخيلتها هذا التوقع إلى أقصى حد، فمنذ اللحظة الأولى لسماعها صوت أختها الكبرى وهي تشعر أنه أخيرًا لن يكون هناك تأجيل لمرة أخرى. وأنهت المكالمة وعادت إلى حجرة الاستقبال وتنفست الصعداء، وألقت بنفسها على مقعد وثير.

حتى هنا، فكل ذلك تكرر حدوثه لعدة مرات في ما سبق، وأصبح المألوف تقريبًا أن يأتي الرفض في اللحظة الأخيرة، لذلك في كل مرة كانت "ساتشيقو" لا تستهلك قواها إلى أقصى حد، وإنما بهذه المرة ستصيبهم خيبة الأمل في صميم قلوبهم جميعًا بالمثل، حتى لو ظنوا

أنـه ليـس قـدرًا بائسًـا خصوصًـا لهـا. إنهـم بالبيـت الرئيـس حتـى الآن لهـم الـرأى نفسـه، وعـلى الجهـة نفسـها يوافقـون كلهـم عـلى الإلغـاء، وعـلى الرغـم مـن ذلـك ففـى هـذه المـرة كان لديهـم شـعور بـأن الأمـور تسـير عـلى مـا يـرام، و"إيتـانى" كانـت بمثابـة المنفـذ المسـئول، واختلفـت طريقتهـم لإقحـام ذاتهـم فى الأمـر عـلى نحـو غريـب، فمثـلاً "تينوسـوكيه" ذى قبـل كان ينـأى بنفسـه جانبًـا حتـى إنهـم يجرونـه جـرًا ليشـغل دوره، وعـلى الرغـم مـن ذلـك فهـو هـذه المـرة بـذل كثـيرًا مـن الجهـد للوسـاطة، وفـوق كل ذلـك "يوكيقـو" أيضًـا فى هـذه المـرة بهـا اختـلاف.

إنهـا وافقـت عـلى الذهـاب إلى هـذا اللقـاء المتـسرع، وقبلـت مـرة أخـرى بلقائهـما هـما الاثنـين فقـط للحديـث، إضافـة إلى واقعـة الفحـص الطبـى بأمـراض الجلديـة وتصويـر الأشـعة وغـيره، وكانـت تصغـى باهتـمام ودون وجـه يبـدو عليـه الضجـر.

كل هـذا سـلوك غـير متوقعـة رؤيتـه مـن "يوكيقـو". لكـن أليـس ذلـك التغيـير فى رأيهـا هـو نتيجـة لأعـراض تخفيهـا بقلبهـا سرًا ألا وهـى رغبتهـا فى التعجـل فى الـزواج أيضًـا، والاسـتمرار باعتبارهـا كأنهـا لا تشـعر بـشىء فى داخلهـا أو حيـال ذلـك الظـل الـذى ظهـر عـلى جفـن عينهـا هـل هـو لم يؤثـر فيهـا فعـلاً؟!

لهـذا أو لـذاك ولعديـد مـن الأسـباب الأخـرى إنهـا تريـد هـذه المـرة أن تتـم الزيجـة حقًـا، وهـذا مـا آل إليـه تفكيرهـا، لذلـك حـين التقـت أختهـم الكبـيرة وحتـى نهايـة حديثهـا وهـى لم تتخـلَّ عـن رغبتهـا ولم تقطـع الأمـل تمامًـا، وفكـرت فى أنـه مهـما كان الوضـع فـلا بـد أن هنـاك حـلاً، ومـع سـماعها لكامـل الحديـث لم يمكنهـا التوقـف عـن التفكـير، ولكـن مـا باليـد حيلـة بالطبـع. اسـتغلت الأخـت الكبـيرة التـى تختلـف عـن "سـاتشيقو" بمشـاعر أمومتهـا الجياشـة سـاعة أو سـاعتين فى المسـاء حتـى موعـد مجـىء أطفالهـا مـن مدارسـهم الابتدائيـة والإعداديـة، وجـاءت أيضًـا لعلمهـا بـأن

"يوكيفو" فى ذلك اليوم تخرج منذ الساعة الثانية لتذهب إلى تدريب طقوس تقديم الشاى، لذلك بمجرد أن رأت الصغيرة "اتسوقو" قد عادت أشارت للوقت وقالت لـ"ساتشيقو": "سأترك لكِ مهمة سبب الرفض، لذا فلتتناقشى مع تينوسوكيه". وكان حديثهما قد استمر قرابة الساعة والنصف وهما بغرفة الاستقبال.

طبقًا لما ورد بحديث الأخت الكبيرة، فإن والدة السيد "سيجوشى" بعدما فقدت زوجها منذ عشر سنوات مكثت فى منزلها مقر إقامتهم القديم ولازمته وتوارت عن الأنظار بسبب مرضها، وكان ابنها "سيجوشى" لا يعود إلى البلدة إلا نادرًا، وإنما كانت بالجوار دائمًا لمعاونتها حقًّا ابنتها التى أصبحت أرملة وكانت هى من تتولى المسئولية. الأعراض الظاهرية للمرض هى الشلل، وإنما حين رآها الباعة الذين يترددون ذهابًا وإيابًا هناك وجدوا أن الأمر لا يبدو كذلك، ففى الواقع هو نوع من أنواع الأمراض العقلية، فهى لو رأت وجه ابنها لا تعرفه، وغيره من هذه التصرفات. هذا الشىء أيضًا وردت عنه تلميحات غامضة بتقرير وكالة التحريات، ولكن كى لا يلتبس علينا الأمر أرسلنا شخصًا خصوصًا للتأكد من أنه ليس هناك خطأ ما بهذا الشأن.

كم من المؤسف أن ينكسر خاطرنا فى كل مرة، ويأتينا أناس طيبون بكل أسى قلقين بشأن ما حدث، لكننا قطعًا لا نرجو ذلك، إنهم لا ينتبهون لقلقنا العارم تجاه المكانة الاجتماعية للعائلة والأصل، لذلك كان الحديث هذه المرة نهايته منطقية للغاية.

إن كانوا يفكرون فى ما سينتهى إليه الأمر مع أمثالنا حقًّا فليذهبوا للبحث فى الأرياف عن شخص يناسبه. إن ذاك الشخص على عكس الظاهر، إنه يقول وماذا عساى أن أفعل، بدلاً من أن يقلع عن الفكرة من الأساس لأن لديه نسبًا مع الأمراض العقلية، أليس كذلك؟

أما بالنسبة إلى عروض الزواج من "يوكيقو" فإنها دائمًا ما تفشل لشيء أو لشخص ما ليس في الحسبان، ومهما كان الرفض محرجًا إلا أنه ليس بالغريب.

قالت لهم أيضًا أن ينتبهوا فـ"يوكيقو" فقط شخص حظه قليل، لذلك لا داعي أبدًا للأخذ بالمعتقدات الخرافية حول برج الحمل وهذا القبيل.

رأت "ساتشيقو" أختها "يوكيقو" عائدة بمجرد ذهاب أختهما الكبيرة، وأدخلت وعاء الشاي بحقيبة يدها وتهم بدخول الغرفة غربية الطراز. حينها بالضبط ولحسن الحظ كانت الصغيرة "اتسوقو" ستذهب للهو بحديقة جيرانهم عائلة "STOLZ".

- "منذ قليل جاءتنا أختنا الكبيرة". قالتها ساتشيقو وحاولت أن تنتظر قليلاً، ولكن "يوكيقو" أجابتها بالإجابة المعتادة:

- "مممممم".

وبعدما توقفت عن الحديث وجدت أنه ليس أمامها سوى أن تستطرد، فسألت:

- "وما القصة؟"

- "حسنًا. إنها أمه، يقال إنها تعاني من الشلل الرباعي، ولكن بدا في الواقع أنه مرض عقلي".

- "حسنًا".

- "إن كان الأمر كذلك فإنها ستكون مشكلة".

- "ممم".

جاء لمسامعهما عن بعد صوت الصغيرة "اتسوقو":

- "أهلاً صديقتي رومي".

ورأيا الطفلتين قادمتين نحوهما من الحديقة، فنزلت إليهما "ساتشيقو" بعدما قالت لها:

- "سأخبرك فيما بعد بالتفاصيل، هذا صوتهما قادمتين".

- "مرحبًا بعودتك يا أختى". قالتها الصغيرة وسبقت إلى التراس وفتحت الباب الزجاجى لمدخل الحجرة الذى على الحديقة، وتوقفت ووقفت بجوارها كتفًا إلى كتف "روزمارى" التى جاءت معها من الخارج، واصطفت أرجلهما على نحو لطيف وهما ترتديان الجوارب الصوفية ذات الألوان الفاتحة.

ذهبت "يوكيقو" أيضًا إليهما وأغلقت الباب الزجاجى وقالت لهما:

- "اتسوقو، فلتلعبا معًا بالداخل اليوم؛ إن الجو بارد اليوم".

- "هيا يا رومى فلتدخلى أنتِ أيضًا". وقالتها بنبرة صوتها نفسها التى لا تتغير مطلقًا.

بذلك انتهى الموضوع بالنسبة إلى "يوكيقو"، وإنما "تينوسوكيه" لم يتقبل الأمر بهذه البساطة، فحين عاد إلى المنزل فى المساء وسمع من زوجته أن أختهم الكبيرة ربة البيت الرئيس جاءتهم لتبلغهم الرفض، امتعض وجهه بشدة وقال:

- "أرَفض أيضًا هذه المرة هى الأخرى!"

إن" تينوسوكيه" هذه المرة -كما أشارت "إيتانى"- هو أول من يتصدى للنقاش، لذلك بدأ يستاء شيئًا فشيئًا، فإن كانوا ببيت العائلة متمسكين بالشكليات الرجعية والوضع الاجتماعى فإن الوقت يمضى، وليجرب إسداء النصح من أخ إلى أخته وليحاول جاهدًا أن يجعلهم يعيدوا التفكير، غير أن ذلك هو أول زواج لـ"سيجوشى"، وهو فعليًا يبدو شابًا أصغر نسبيًا من سنه لدرجة أنه بجوار "يوكيقو" يبدو كأن الأمر مألوف، وبخلاف ذلك فإن كان الرفض لكونها ستأتيها فرص زواج

أفضل بالمستقبل، فإنهما هما الاثنين حتى لو ندما هناك العديد من الأشياء التى يمكن التأكيد عليها، لذلك مهما استمع بجدية للأسباب التى تقولها "ساتشيقو" ما زال لا يستطيع أن يستسلم.

لكن بصرف النظر عن رأيه، فإن بيت العائلة فى غنى عن معرفة ذلك، وحتى إن كان أخاها بالقانون فهل هو من سيتحمل المسئولية؟

إن زوّجها بشخص له مثل هذا النسب فسيسألونه إن كان باستطاعته أن يضمن ألا يحدث أى سوء على الإطلاق لزوجها ولأطفالها فى المستقبل.

إن "تينوسوكيه" ذاته لا يسعه أن يطمئن حيال ذلك، وإن كان القول كذلك ففي ربيع العام الماضى كان هناك حديث يشبه هذه المرة، شخص بالأربعينات من عمره وهذا أول زواج له علاوة على أنه كان من أسرة غنية مثلهم، حينها رحبوا كلهم بالموضوع ووافقوا، حتى يوم الخطبة، فجأة عرفوا من مصدر ما أن هذا الرجل يرافق فتاة وتربطه بها علاقة وطيدة، وليخدع الكل بالمظهر العام يقول إنه يستقبل زوجته، فأسرعوا حينها بالإلغاء.

إن عروض الزواج كلها التى يجلبونها لـ"يوكيقو" إن بحثنا فى شأنها سنجد أكثرها يصطدم بشىء حالك السواد على نحو غريب، لذلك صار أخواها يتوخيان الحذر أكثر من ذى قبل، وبعد كل شىء صارت هذه الطريقة صعبة للغاية، ولأنهم يبحثون عن شريك مناسب على نحو غير مناسب فدائمًا ما يحدث العكس ويعلقون بإغراءات غريبة على هذه الشاكلة.

إنهم إن أمعنوا النظر سيدركون أن بمجرد قول "أربعينى لم يسبق له الزواج" فبمقتضى الحال هى مراوغة على الأرجح. فى حالة "سيجوشى" أيضًا يبدو أنه لم يتزوج إلى الآن بسبب نسبه الذى يمثل نقطة ضعفه، ولكن من الواضح أنه لم تكن لديه فكرة الخداع بهذا الشأن. ربما لو رأينا الموضوع من جهة أخرى لوجدنا أنه بعد كل هذا الوقت

الطويـل الـذى استـغرقوه للبحـث فى مسـقط رأسـه ظـن أنـه لا بـد لهـم أنهـم عرفـوا بشـأن أمـه، وفهـم أن عليـه أن يخـوض الحديـث.

"فـرق اجتماعـى"، "أكـثر مـما أستحق"، وغـيره مـن مثـل هـذه الكلمات كلهـا كانـت تُظهـر إحساسـه بمشـاعر عميقة.

انتـشرت الشـائعات هـذه المـرة بـين زمـلاء "سـيجوشى" بشركـة M.B وقيـل إنـه سـيفوز بعـروس مـن مـكان راقٍ للغايـة، ولم ينكـر "سـيجوشى" ذاتـه ذلـك، فهـذا الشـخص الـدؤوب كان حتـى وقـت قريـب بـلا عمـل لذلـك فهـو يضيـق صـدره مـما يحـدث، ومثـل هـذه الأجـواء حـين بلغـت مسـامعهم وعـرف بهـا "تينوسـوكيه" شـعر بالشـفقة حيالـه وفكـر فى الإحـراج الـذى طـال رجـلاً محترمًـا ومهذبًـا بـلا داعٍ، ولكـن مـا باليـد حيلـة.

خلاصـة الأمـر أنهـم إن كانـوا بحثـوا سريعًـا وعجَّلـوا بالرفـض أسرع مـن ذلـك لانتهـى الموضـوع بـلا أى شىء.

واضـح مـن البدايـة أن الطريـق مـع "ساتشـيقو" مسـدود، وبعدمـا وصـل إلى يـد بيـت العائلـة قطعًـا لم يأخـذوه عـلى محمـل السرعة، والأسـوأ مـن ذلـك كلـه، أنهـم ليبقـوا عـلى تواصـل فى تلـك الفـترة اسـتمروا فى اسـتقبال الطـرف الآخـر بعبـارات ترحيـب كثيرة جـدًا مثـل: "فلتأمـل خـيرًا إلى أقـصى حـد"، حتـى أوشـك بحثهـم عـلى الانتهـاء، وبالطبـع هذا بالنسـبة إليهـم ليـس حديثًـا عشـوائيًا وإنمـا هـو قـول يعربـون بـه عـن رغبتهـم فى إتمـام الموضـوع، لكـن إن رأينـا أثـر ذلـك فى الطـرف الآخـر سـنجد أنـه مـن الطبيعـى أن يكـون قـد لحـق بـه أذى بالـغ يصـل إلى حـد الجـرم.

بهـذه النقطـة "تينوسـوكيه" نفسـه يـرى أنـه لا بـد لـه أن يلـوم حالـه مـن البدايـة وليـس "ساتشـيقو" أو بيـت العائلـة فقـط. إن مكانتـه تمامًـا مثـل الأخ الأكـبر بالبيـت الرئيـس "أخيهـن بالتبنـى"، لذلـك حتـى الآن كلاهـما لا يتدخـل بقـوة بـاذلاً كل جهـده فى عـروض الـزواج وغيرهـا مـن شـئون أخواتهـما، وعـلى الرغـم مـن ذلـك، فعندمـا سـحبتهم دوامـة

الأحـداث هـذه المـرة عـلى نحـو غـير متوقـع ولم يعـد هنـاك مفـر مـن الإلغـاء، يقـع عـلى عاتقهـما هـما الاثنـين سـخافة إحـراج الشـخص المعنـى، وذلـك بالنهايـة ظنهـما لكيـلا يتسـببا فى تعاسـة حـظ أخواتهـما فيـما بعـد، وهـذه الكلـمات لا يمكـن التفـوه بهـا، ولكـن انتابهـما شـعور بـأن شـأن "يوكيقـو" عـلى وجـه الخصـوص لـن ينتهـى، وبالطبـع ليسـت هـذه المـرة فقـط، وعليـه فـإن عائلـة "مـاكى أوكا" أصبحـت مكروهـة مـن كثيريـن حتـى الآن، فالرفـض إن جـاء مـن الطـرف الآخـر فـلا بـأس، وإنمـا الرفـض إن أتى مـن فتـاة مهـما كان العـذر فـإن هـذا يحـرج الرجـال. لا يـزال هنـاك الكثـير أيضًـا مـن هـؤلاء بسـبب طريقتهـم بالرفـض فى اللحظـة الأخـيرة وبعـد اسـتمرار سـحبهم للطـرف الآخـر بشـدة بسـبب التمهـل الأحمـق لـدى "ساتشـيقو" والأخـت الكبـيرة ببيـت العائلـة عـادةً.

لكـن مـا يخشـاه "تينوسـوكيه" هـو أن كـثرة تراكـمات هـذه الأمـور لـن تجعلهـم مكروهـين فقـط، بـل أيضًـا سترسـخ فى أذهـان الجميـع أن "يوكيقـو" ليسـت سـعيدة، لذلـك فالرفـض هـذه المـرة فى الوقـت الراهـن لا بـد لـه أن ينـال تفهُّـم السـيدة "إيتـانى" التـى سـحبت ورقـة يانصيـب خـاسرة، ولا مـن سـبيل آخـر.

ومـن منطلـق أن "تينوسـوكيه" يكفِّـر عـن خطئـه حيـث يتضـح جليًّـا أن "ساتشـيقو" تتهـرب، فكيـف سـيقولون ذلـك؟

مهـما كان ظـن "سـيجوشى" بهـم فـلا مفـر الآن، وبالنسـبة إلى "إيتـانى" فقـط لا بـد ألا يترسـب لديهـا أى شـعور سـيئ، فـما زال هنـاك الكثـير فيـما بعـد. أيضًـا هـذه المـرة بذلـت "إيتـانى" الكثـير مـن الوقـت والجهـد، لقـد حملـت قدميهـا للمكتـب بـ"أوسـاكا" وللبيـت فى "أشـييا" لعـدة مـرات وهـذا ليـس بالقليـل.

إنهـا لديهـا الكثـير مـن المعاونـين الشـباب لإدارة صالـون التجميـل، ويبـدو أن حالهـا فى ازدهـار مسـتمر، ومـع ذلـك كانـت تغـادر عملهـا

تلـك الفـترة وتبـذل قصـارى جهدهـا. هـذا بالتأكيـد دعـم رواج الشـائعات، ولكـن عمومًـا هـى لا تسـتطيع أن تتـصرف دون شـهامة وطيبـة، وإن ذكرنـا التفاصيـل، فهـى تنفـق الكثـير مـن الأمـوال حتـى إن كانـت تقـضى شـئونها سـيرًا عـلى الأقـدام وليـس بسـيارات أجـرة. إنـه فى ليلـة اللقـاء بفنـدق "أورينتـال" رأى "تينوسـوكيه" أنـه مـن الواجـب الأخلاقـى أن يتشـارك النفقـات هـو و"سـيجوشى" حتـى لـو هـى دعـوة "إيتـانى"، وأقـدم عـلى قـول ذلـك حـين همـوا بالانـصراف، لكـن "إيتـانى" قالـت: " كلا، إنهـا دعـوتى لكـم"، ولم تقبـل بـأى شىء آخـر.

عـلى أى حـل، هـى مـا زالـت الواسـطة لـكل شـخص ولـكل شىء وتبـذل قصـارى جهدهـا إلى أن اسـتقر الوضـع لهـذه النهايـة.

فكـروا فى فرصـة ليشـكروها عـلى كل شىء فعلتـه، وإنمـا بـذاك الحـين عليهـم أن يتركـوا كل شىء كـما هـو عـلى حاله، وهـا هم الآن لا يسـتطيعون تحمـل عـبء هـذا أيضًـا.

- "فى الحقيقـة، دعونـا نعطيهـا مـالاً. إنـه لـن يجـدى نفعًـا أن نذهـب إليهـا بهديـة، وإنما.."

هـكذا قالت "ساتشيقو".

- "أفكـر فى مـا قلتـه للتـو، ولكـن كيـف لنـا ذلـك! إنـك عـلى أى حـال لا تتحـدث إلا بمـا سـنجلبه لهـا فقـط ولـك الشـكر، فيـما بعـد، وبعدمـا أتناقـش مـع إخـوتى مهـما كان هـذا الـشىء فسـآخذه وأتوجـه بـه إلى هـذه الشـخصية".

لم يلقَ ذلك استحسان "تينوسوكيه" فقال لها:

"وحضرتك هذا فقط كل دورك! إذًا ماذا عساى أن أفعل!"

وهذا كل ما توصلا إليه فى النهاية.

الفصل الخامس عشر

على غير المعتاد، منذ بداية شهر ديسمبر لم تأتِهم السيدة "إيتانى" لمواصلة إلحاحها، ربما تكون تفهمت إلى حد ما الخطأ بهذا الموقف، وبذلك تصبح الظروف موائمة على غير المتوقع، وظن "تينوسوكيه" أنه لا داعى للذهاب إلى صالونها فهو يخشى مما قد يظنه الآخرون، وأراد زيارتها بمنزلها بمدينة "أوكاموتو" ويتأكد من موعد وجودها بالمنزل مساءً، فخرج من مكتبه متأخرًا عن توقيته المعتاد، وذهب مجولاً على قدميه حيث مسكنها.

كانت الأنوار مضاءة بالغرفة التى نظر "تينوسوكيه" من خلالها، ولكنها كانت باللون الأخضر الداكن وبها حامل معلقة به إضاءة غائرة، لذلك كان نصف الغرفة فى ظلمة حالكة، وبالنصف الآخر للغرفة مقعد وثير تجلس عليه "إيتانى"، لكنه لم يستطِع تمييز ملامحها بوضوح فأصبح من الأفضل لذلك الشاب الخلوق أن يبدأ الحديث وإن كان ذلك ليس من مهامه.

- "مساء الخير، آسف للغاية على إزعاجك بمجيئى. فى الحقيقة لقد بحثنا فى شأن ذلك الشخص ببلدته مؤخرًا، والأمر بدا

جيدًا من ظاهره، وإنما بعد ذلك وجدنا أن مرض والدته هو مرض.."

- "ماذا؟" قالتها "إيتانى" وأدارت رأسها، فاستطرد:
- "إنه تفضل بذكر أنها تعانى من شلل أو ما شابه ذلك، ولكن تبين بالبحث والتحرى أنه مرض عقلى".
- "حقًّا!" وقالتها فجأة بصوت مرتبك لا يتماشى مع سياق الحديث، ثم تابعت مكررة قولها:
- "حقًّا!" وهى تهز رأسها بالموافقة.

كان "تينوسوكيه" يتشكك فيما إذا كانت "إيتانى" على دراية بموضوع "المرض العقلى" هذا، لكن بمجرد أن رأى ردة فعلها وارتباكها الآن وتسرعها فى الكلام دون تفكير لم يسعه إلا التفكير فى أنها تعلم بالفعل كما توقع.

- "حدث سوء فهم وهذه هى المشكلة، ولكن بقولك مثل هذا الكلام قطعًا لن ألقى عليك أى لوم، وإن كان الأمر كذلك فأظن أنكم سترفضون تلقائيًا متعللين بعذر لا يمت لأى شىء بصلة. إنكم فكرتم ولكن أنا منذ البداية لست فى صفكم وضد كل جهودكم. إنكم ترفضون ولا تدعمون أى سبب يذهب بكم نحو الموافقة، ولهذا فأنا أدرى أنه لن يروق لكم".
- "كلا كلا، مثل هذا القول مؤسف للغاية، ولكن بالنسبة إلىَّ فقط، فبيت ما كى أوكا يقع أسيرًا للشكليات الاجتماعية وغيرها، وللأسف جميعهم يرفضون حتى لو كان عرض الزواج مناسبًا لأنه يصعب عليهم ما سيظنه الناس بهم. قطعًا ذلك لا معنى له، وإنما هذه المرة الظروف لا مفر منها فى الحقيقة. سيفعل الناس بكل حال من الأحوال، لذلك أريد منكِ أنتِ أن

تتفهمي الأمر على الأقل وأرجوكِ دون غضب، وأطلب منكِ أن تظلي في العون دائمًا. هذا فقط ما أريدك أن تعرفيه بالطبع، وأريد منكِ أن تبلغي الطرف الآخر رفضنا من فضلك بأي شكل ترينه مناسبًا".

- "جزيل الشكر لتحيتك المهذبة. في الحقيقة لم أكن أعلم ماذا ظننتم، لكن ها هو الآن أسمع منك للمرة الأولى قول مرض عقلي أو ما شابه ذلك، وقطعًا لم يكن لدي علم، لكن حقًّا هل بحثتم جيدًا؟! لو أن الأمر كذلك فمرحبًا بمجيئك، وهذا حقًّا من سوء حظه، وإنما لا تقلق أبدًا حيال إبلاغي ذلك له بطريقة ذكية".

شعر "تينوسوكيه" بالارتياح لحديثها الحذق وبانتهاء النقاش، وهمَّ مسرعًا بالانصراف، وحين خرجت "إيتاني" لتوصله للباب لم ينتابه أي شعور بالضيق وظل يكرر قوله:

" أنا آسف لذلك"، ثم أراد أن ينتظر فهو قطعًا سيذهب ولديه هذا الكلام الطيب كتعويض مقبول ولا يحتاج إلى كثير من التفكير، فلو على ابنة العائلة فهي بالطبع توافقهم الرأي كالمعتاد، ولو على زوجته فسيبلغها ما قيل له بكل طريقة من الطرائق، ولكن الأمر تبعًا لحالة "إيتاني" المزاجية يومًا بيوم، لذلك لا يجب أخذه كله على محمل الجد حتى لا تتأذى مشاعر أحد.

بعد ذلك بعدة أيام ذهبت "ساتشيقو" إلى متجر "ميتسوتوشي" بـ"أوساكا" لتجلب بعضًا من الملابس الجاهزة كهدية، وحملتها وانعطفت ذاهبة إلى حي "أوكاموتو". لم تكن "إيتاني" عادت بعد فوضعت ما جاءت به وتركت رسالة وعادت، في اليوم التالي جاءتها رسالة شكر ودية من "إيتاني" ولكنها بعبارات اعتذارية تفصح بها عن قلقها، مثل:

"على الرغم من أن الموضوع انتهى وكانت النتيجة أني علقت بعدة متاعب عبثًا، وليست بسبب أي تقصير مني. ألم أفعل أي شيء مجدٍ؟" وبالطبع لحقت ذلك بكلمات مكررة لتتدارك الأمر.

بعد ذلك وبعد مرور أكثر من عشرة أيام من ذاك الشهر، صار لا يتبقى سوى القليل في هذا العام.

في مساء يوم ما جاء صوت "إيتاني" من جهة البوابة، وكانت قد جاءت في زيارة لإلقاء التحية في عجالة. توقفت السيارة الأجرة أمام البيت بـ"أشيًا" مثلما فعلت في السابق. من سوء الحظ كانت "ساتشيقو" مصابة بنزلة برد وتلازم الفراش، لكن "تينوسوكيه" كان قد عاد من عمله فاستقبلها ودعاها للتفضل بدخول غرفة الصالون وشدد بقوله "معذرة"، وتحدثا قليلاً وسألها "تينوسوكيه":

"كيف حال السيد سيجوشي؟ إنه شخص جيد في الحقيقة ولكن للأسف. حقًا حاله مؤسفة".

وبعد كلام من ذاك القبيل قال لها إن ذاك الشخص كان يعلم أن مثل هذا المرض لدى والدته سيمثل عقبة، فقالت "إيتاني" إنه في البداية كان رافضًا ولا يبدي اهتمامًا، ثم بعد ذلك تحمس حقًا ولا أدري ربما كان في البداية متحفظًا بسبب أمه. فقال "تينوسوكيه":

- "لذلك استغرق البحث وقتًا ما جعلكم تخطؤون فهمنا وصرنا نحن الطرف السيئ. رجاء لا تغضبي من ذلك ودائمًا ظلّي في العون". وبمجرد أن قال عبارته هذه مرة أخرى في أثناء هذا قالت له "إيتاني" فجأة وبصوت خافت محاولة جذب انتباهه أكثر:
- "ماذا عن شخص لديه أطفال عدة؟ إن لم يكن لديكم مانع فسيكون لدينا ما نتحدث بشأنه الآن".

هنـا تنبـه "تينوسـوكيه" إلى أنهـا جـاءت فى الأسـاس لقـول ذلـك، وحـين أنصـت لهـا اسـتطردت قائلـة إن ذاك الشـخص مديـر لفـرع بنـك فى مدينـة "شـيمو إيتـشى" بمقاطعـة "ياماطـو"، ولديـه خمسـة أبنـاء أكبرهـم ولـد بمدرسـة بأوسـاكا، وتليـه ابنـة بالغـة شـارفت عـلى سـن الـزواج، وعليـه سـيمكث فى البيـت ثلاثـة لا غـير، أمـا مـن ناحيـة شـئونهم الحياتيـة فليس هنـاك أى قلـق لأنـه شـخص ثـرى مـن الفئـة الأولى بمنطقتـه. هكـذا يقـال عليـه، لكـن "تينوسـوكيه" بمجـرد سـماعه أن لديـه خمسـة أبنـاء ومـن "شـيمو إيتـشى" لم يجـد مـا يقولـه وبـدا عـلى وجهـه عـدم الاهتـمام مـن منتصـف حديثهـا، ورأت "إيتـانى" ذلـك فتراجعـت عـلى الفـور، لأن الأمـر بـدا أنـه لـن يروقهـم عـلى الإطـلاق، وهـذا لا يعنـى أنـه مفهـوم بـأى نيـة طرحـت هـى هـذا الموضـوع بشروطـه السـيئة، فهـى أيضًـا تشـعر بداخلهـا بالانزعـاج لأن الفرصـة مناسـبة بالتـمام والتلميحـات ظهـرت ضمنيـة.

صعـد "تينوسـوكيه" إلى الغرفـة بالطابـق الثـانى بعدمـا خـرج ليوصـل "إيتـانى"، وحينهـا وجـد "ساتشـيقو" توشـك أن تسـتلقى بفراشـها وكانـت تمسـح وجههـا بمنشـفة الحـمام وتتلاحـق أنفاسـها، ولكنهـا قالـت:

- "هـل جـاءت إيتـانى بعـرض زواج مـرة أخـرى؟"، وانتبهـت للحديث وواصلـت تجفيـف وجهها بالمنشـفة.
- "مممم.. من؟"
- "الآن جاءت اتسوقو لتخبرك".
- "حسنًا، بماذا؟"

وفجـأة وجـد "تينوسـوكيه" الصغـيرة تدخـل بالحديـث الـذى دار مـع "إيتـانى" وتسـتريح فى جلسـتها وتـود الإصغـاء، فطردهـا والدهـا مـن الغرفـة وقـال لهـا إن هـذا الحديـث لا يسـتمع إليـه أطفـال واذهبـى هنـاك. تراجعـت "اتسـوقو" لغرفـة الطعـام وبالتأكيـد كانـت تسـترق السـمع.

- "بالطبع طفلة ولديها فضول لمثل هذه الأحاديث".
- "لكـن هنـاك خمسـة أطفـال آخريـن، مـاذا سـتقولين عـن ذاك أيضًـا؟!

هههههههه ابنـه الأكـبر بمدرسـة بأوسـاكا وابنتـه الكبـيرة فى سـن يجعلها عـن قريب عروسًـا".

- "ماذا؟!"
- "إنـه شـخص مـن شـيمو إيتـشى بمقاطعـة ياماطـو، وهـو رئيـس لفـرع بنـك مـا".
- "لقد أدهشتنى! إنها فرصة لنتجاهلها وتفتر العلاقات".
- "حقًّـا إن لم تنتـهِ سـيكون الأمـر مريعًـا فيـما بعـد، ومـن حسـن الحـظ أن يوكيقـو ليسـت موجـودة اليـوم".

تعتـاد كل مـن "يوكيقـو" و"تائيقـو" الذهـاب إلى بيـت العائلـة الرئيـس كل عـام آخـر يـوم فى السـنة وقضـاء أول ثلاثـة أيـام مـن العـام الجديـد. سـبقت "يوكيقـو" أختهـا وذهبـت منـذ الأمـس إلى هنـاك، وشـعر الزوجـان بالارتيـاح لأنهـا لـو كانـت موجـودة لظلـت تسـأل مـاذا حـدث.

كانـت "ساتشـيقو" دائمًـا تعـانى مـن نـزلات الشـعب الهوائية طـوال فترة الشـتاء، وذات مـرة ازداد الأمـر سـوءًا وتطـور إلى التهـاب رئـوى ووبخهـا الطبيـب ولازمـت الفـراش لمـا يقـارب شـهرًا، لذلـك فهـى حتـى بنـزلات الـبرد الخفيفـة تلزمهـا عنايـة شـديدة، وفى أحسـن الحـالات كهـذه المـرة يتوقـف الأمـر عنـد التهـاب الحلـق، وفى النهايـة تتراجـع درجـة حرارتهـا إلى المعـدل الطبيعـى.

سريعًـا مـا اقتربـت نهايـة العـام، وفى يـوم 25 كان لا يـزال أمامهـا يـوم أو يومـان آخـران لتظـل حبيسـة غرفتهـا، وبينـما هـى جالسـة عـلى سريرها

تطالع مجلة للعام الجديد جاءتها "تائيقو" لتلقى السلام عليها، قبل أن تذهب إلى بيت العائلة.

- "لِمَ يا أختي الصغيرة؟ لا يزال هناك أسبوع حتى آخر السنة". قالتها "ساتشيقو" متشككة لتمازحها:
- "ألم تذهبي في العام الماضي يوم 31؟"
- "أفعلت ذلك؟ لا أدري".

عن قريب ستفتتح "تائيقو" معرضها الفردي الثالث للعرائس، لذلك فهي تكرس كل وقتها للتصنيع، ومنذ قرابة الشهر وهي يوميًا تقضي أغلب وقتها بشقة "شوكوجاوا"، لكنها أيضًا لم تتخلَّ عن تدريبات الرقص، وتتردد على مكان التدريب في "سانصون" بمحافظة "أوساكا" مرة أسبوعيًا، ولاحظت "ساتشيقو" أنهما منذ وقت طويل لم يتقابل وجهاهما.

إنها تدري أن أختيها الصغيرتين تودان الذهاب إلى بيت العائلة ليجتمعوا معًا، وهي لم ترغب قط في أن تبقيهما بالجوار، لكن "تائيقو" تكره الذهاب إلى هناك أكثر من "يوكيقو" وعادةً بكل سنة تسارع بالعودة، فالأمر به شيء غريب ولكن حتى لو هو كذلك، فربما ودون أي ظنون سيئة هذا موعد بينها وبين "أوكوباتا". الأمر فقط هو كونها أصغر أخت وهي التي نضجها سابق لأوانه، وها هي عامًا تلو الآخر تكبر وتنأى بجانبها مستقلة بحالها أكثر من أي أحد، وكل هذا أدعى أن يذكِّرها بعدم اكتفائها بالأشياء البسيطة بأي نوع كانت.

- "حسنًا، وقتما أنتهي من العمل سأعود إلى أوساكا، وأنوي الذهاب إلى دروس الرقص يوميًا في هذه الفترة". قالتها "تائيقو" دون إضافة الأعذار.
- "اليوم، ماذا تعلمتِ؟"

- "علمونا رقصة المانزاى لرأس السنة وهكذا. ساتشيقو هيا دعينا نرقص".
- "حسنًا، إنى أتذكر معظمها". قالتها "ساتشيقو" وعلى الفور بدأت الغناء ودندنة الألحان.

أهلاً أهلاً بمواسم العام الجديد

العهد الإمبراطورى فى إزهار مديد

تشا تشا

بكل الحب والاحترام يهل العام الجديد

وبينما تشاركها "تائيقو" الغناء نهضت وبدأت فى أداء خطوات الرقصة.

- "انتظرى، انتظرى يا ساتشيقو". وأسرعت إلى غرفتها واستبدلت الرداء اليابانى التقليدى "الكيمونو" بملابسها، وجلبت المروحة الخاصة بالرقصة وعادت.
- "تشاتشا، تن، تشا.. جميلة الجميلات مدينة كيوتو

جميلة الجميلات هى بائعة المحار

المحار المحار، وصغار المحار

وقواقع الحلزون والأصداف والأسماك الكبار

والعنبر اليابانى وأسماك المرجان

حين تمر من هناك لو نظرت بالجوار

لوجدت قماش الحرير القرمزى

والساتان اللامع الذهبى.. تن تن تشن تن تن تشا[1]

---

(1) هتاف احتفالى لرقصة ومهرجان "مانزاى".

وكلـما قالتـا كلمـة "جميلـة الجميـلات" و"تـن تشـا" تمـاشى غناؤهـما مـع دقـات العـود اليابـانى ثـلاثى الأوتـار، فكانـت مثـل هـذه الكلـمات ممتعـة للغايـة، وهـما لم تنسـيا قـط هـذه الغنـوة مـن الفلكلـور لأنهـا كانـت معتـادة لديهـم كلهـم وهـم أطفـال، والآن حـين تتغنيـان بهـا هكـذا تسـترجعان ذكرياتهـما الجميلـة لبيـت رصيـف الميـناء منـذ عشريـن سـنة، ويأتيهـما تذكـير وثيـق بملامـح والديهـما الغاليـن وهـما يعلِّـمان "تائيقـو" الرقـص حينهـا، فكانـت ترقـص رقصـة الـ"مانـزاى" هـذه عـلى عـزف العـود مـن أختهـا الأكـبر وأمهـا عـادةً فى رأس السـنة.

تذكـرت "ساتشـيقو" هيئتهـا وهــى طفلــة تشـير للسـماء بإصبعهـا الصغـير والآفـاق كلهـا تمتلـئ بكثـير مـن النـاس مـن الأقاليـم، وبمختلـف أنـواع الأسـماك فى اليـوم الثالـث مـن أول شـهر بالسـنة.

عـلى الرغـم مـن أن ذلـك المشـهد عالـق بعينيهـا بـكل وضـوح كأنـه بالأمـس القريـب، فهـا هـى أختهـا الصغـيرة تتزيـن بالمروحـة لأداء الرقصـة، وتخيلـت كأن والديهـما يشـاهدانهما مـن بـين أوراق العشـب، ويريـان هـذه الأخـت الصغـيرة التـى تكبرهـا، وكلتاهـما بجـوار طفلتهـا، ولم تحتمـل "ساتشـيقو" وانهمـرت دموعهـا.

- "أختـى الصغـيرة، متـى سـتعودين؟". قالتهـا بشـدة ولم تخـفِ دموعهـا.
- "سأعود فى اليوم الرابع من يناير".
- "حسـنًا إذًا، حينـما تشـاهدون رقصـات الاحتفـال بالعـام الجديـد تذكرينـى وتعـالى، فأنـا أيضًـا أحتفـظ بعـود ثـلاثى الأوتـار".

إنـه لديهـم ببيـت "أشـييا" لأنـه منـذ وجودهـم بـ"أوسـاكا" لا يأتيهـم ضيـوف فى يـوم رأس السـنة، والأكـثر مـن ذلـك أنـه بغيـاب أختيهـا الاثنتـين صـار يـوم رأس السـنة فى الأعـوام الأخـيرة هادئًـا، وصـار كأنهـا ترسـلهما ليـوم تفتقـده.

حتـى إن كان ذلـك اليـوم بالنسـبة إلى الزوجـين مناسـبة للقـرب الحميمـى، فـإن الصغـيرة تظـل وحيـدة للغايـة وتنتظـر مجـىء أختيهـا بفـارغ الصـبر.

أخرجـت "ساتشـيقو" العـود ثـلاثى الأوتـار يـوم رأس السـنة، وأخـذت تتمـرن عـلى عـزف أغـانى احتفـالات الـ"مانـزاى"، واسـتمرت عـلى تلـك الحـال طـوال الثلاثـة أيـام الأولى مـن العـام الجديـد، وفى النهايـة حفظتهـا الصغـيرة "اتسـوقو"، وكلـما جـاءت عنـد جزئيـة:

"القماش الحرير القرمزى و.."

غنتا معًا: تن تن تشا

تن تن تشا

الفصل السادس عشر

سيقام معرض "تائيقو" المقبل بالمعرض الفنى فى شارع "قوإيكاوا" بمحافظة "كوبيه"، وقد استأجرته لمدة ثلاثة أيام. كانت ملحوظة أيضًا تحركات "ساتشيقو" المعروفة جيدًا بمدينة "هانشين كان"، فكانت النتيجة هى بيع غالب المنتجات منذ اليوم الأول، وفى مساء اليوم الثالث جاءت "ساتشيقو" مصطحبة ابنتها وأختهما "يوكيقو" للمساعدة فى ترتيب القاعة، وعندما شارفن على الانتهاء من المهام المتبقية:

- "صغيرتى اتسو، الليلة لنا عزومة من أختنا الصغيرة، لقد صارت ثرية".
- "حسنًا، حسنًا".

فقالت "يوكيقو" أيضًا بنبرة تحفيزية:

- "تفضلين أى مطعم يا اتسو، غربى أم صينى؟"
- "حقًّا ما زال يلزمنى تلقى المزيد من الأموال". قالتها "تائيقو" بابتسامة عريضة، فمهما حاولت أن تتظاهر بالتجاهل لن تتمكن.

- " فهمنـا، إن كنـتِ تجنـين المـال فأنـتِ تدفعـين أيضًـا الكثـير مـن الالتزامـات، ولكـن.."

قالتهـا "ساتشـيقو" لأنهـا عـلى علـم بحسـابها البنـكى، وأن مـا يضـاف إليـه مـن المبيعـات ليـس بقليـل حتـى لـو خصمـت نفقاتهـا الخاصـة، لذلـك كانـت تؤيـد عـل نحـو مـا تحملهـا لهـذه العزومـة.

هـذا ليـس بـكلام "إيتـانى"، وإنمـا "تائيقـو" التـى تبحـث عـن النمـط العـصرى بخـلاف "ساتشـيقو" ليسـت بالشـخص الـذى سـيحل ربـاط كيـس نقـوده بهـذه السـهولة، حتـى بمثـل هـذا الموقـف الـذى شـارف عـلى أن يكـون توبيخًـا.

- "إذًا دعونا نذهب إلى المطعم الصينى. إنه أرخص مكان".

- "يـا لـكِ مـن بخيلـة يـا أختـى، ولـن تدفعـى مـالاً ببـذخ للمشـويات الشرقية".

إن هـذا المـكان بالحـى الصينـى، وهـو متجـر بسـيط ورخيـص لطعـام الصـين الجنوبيـة (كانتـون)، يبيـع بالقطعـة لحـوم الأبقـار والخنازيـر ويعرضهـا بواجهـة المتجـر.

- "مساء الخير".

قالتها فتاة أجنبية شابة كانت تقف لدفع الحساب بمكان الخزنة.

- "أهـلاً كاترينـا، يـا لهـا مـن صدفـة. دعينـى أعرِّفـك". قالتهـا "تائيقـو".

- "هـذه هـى الروسـية التـى حدثتكـم عنهـا مـن قبـل.. هـذه أختـى الكبـيرة، وهـذه أختـى الأكـبر التـى تليهـا".

- "أهـلاً، حسـنًا، إنى كاترينـا كيريلنقـو. لقـد ذهبـت اليـوم إلى المعـرض. تمكنـت تائيقـو مـن بيـع كل معروضاتهـا مـن الدمـى، تهانئـى".

- "أختـى، مـن هـى هـذه الأجنبيـة؟". وتسـاءلت الصغـيرة بمجـرد ذهـاب الفتـاة.
- "هذه تلميذة لتائيقو". هكذا أجابت "ساتشيقو"، ثم أضافت:
- "هذه الفتاة حقًّا رأيتها من قبل بالقطار".
- "ملامح وجهها جميلة".
- "أهذه الأجنبية تحب الأكل الصينى؟"
- "إنهـا نشـأت فى شـنغهاى ومعتـادة الطعـام الصينـى، وتقـول إنهـا يمكنهـا إعـداده لذيـذًا أفضـل مـن بيـوت المغتربـين القـذرة التـى لا يمكـن ارتيادهـا، وهـذا المـكان فعـلاً هـو الأفضـل فى مقاطعـة كوبيـه".
- "هـل هـى روسـية؟ لا أدرى لِمَ لا أشـعر بذلـك!" هكـذا قالـت "يوكيقـو".
- "إنهـا ذهبـت إلى مـدارس إنجليزيـة فى شـنغهاى، وأصبحـت ممرضـة بمشـفى إنجليـزى، وبعدهـا تزوجـت بشـخص إنجليـزى، ولديهـا طفـل".
- "حقًّا! وكم عمره؟"
- "إذًا، كم عمره؟ هل هو أصغر أم أكبر من طفلتنا؟"

أضافت "تائيقو":

- "إن عائلـة كيريلنقـو الروسـية ذات البـشرة البيضـاء جـيرانى بشـقة حـى شـوطو فى شـوكوجاوا. مسـكنهم صغـير لا يتعـدى كلـه بالأعلى والأسـفل أربـع غـرف، وتعيـش كاترينـا مـع أمهـا المسـنة وأخيهـا الأكـبر. كاترينـا فقـط هـى التـى كنـت ألتقيهـا مصادفـةً بالطريـق فتلقـى التحيـة، ومـن هنـا بـدأت صداقتنـا، لكـن بمـرة زارتنـى

فجـأة ودخلـت غرفـة عمـلى وطلبـت منـى أن تصبـح تلميـذتى ومسـاعدتى، لأنهـا ترغـب فى تعلـم طريقـة صنـع الدمـى، خصوصًـا عـلى النمـط اليابـانى".

بمجـرد أن وافقـت "تائيقـو" عـلى ذلـك بعـد هـذا الموقـف عـلى الفـور بـدأت "كاترينـا" مناداتهـا بـ"أسـتاذة"، فكانـت ترتبك، لذلك عـادت لمناداتها بـ"آنسـة تائيقـو". كان ذلـك منـذ قرابـة الشـهر، ثـم أصبحـت صديقتهـا، ومؤخـرًا أصبحـت تـتردد ذهابًـا وإيابًـا عـلى شـقتها وأحيانًـا تذهـب سريعًـا إلى بيـت عائلتهـا، وقالـت لهـا: "إنى أرى أخواتـك الكبـار عـادةً بالقطـار وأعرفهـن. إنهـن بغايـة الجـمال وأنـا أحبهـن، وأطلـب منـكِ مـن فضلـك أن تعرفينـى إليهـن".

- "وكيف تكسب قوت عيشها؟"

- "إنهـا تقـول إن أخاهـا الكبـير تاجـر منتجـات صوفيـة ومـا إلى ذلـك، لكـن حالـة بيتهـم لا تبـدو مرفهـة بالمـرة. كاترينـا فقـط تتلقـى مـالاً مـن زوجهـا بعـد انفصالهـما وهـذا مـا تعيـش بـه، وتقـول إنهـا لا تتلقـى العـون مـن أخيهـا. إنهـا جميلـة فى ذاتهـا أيضًـا، وبالنسـبة إلى نشـأتها فى شـنغهاى، فـإن عائلتهـا تشـتتت وقـت الثـورة، واصطحبتهـا جدتهـا وهربتـا معًـا مـن شـنغهاى، لكـن أخاهـا اصطحبتـه أمـه وجـاءا إلى اليابـان، والتحـق هـو بمدرسـة إعداديـة هنـا، وكان لديـه بعـض المعرفـة بالكانجـى[1]، ولهـذا السـبب صـارت ابنتهـا فى إنجلـترا.

(1) الكانجـى هـو المقاطـع الصينيـة المسـتخدمة فى الكتابـة، وورد للغـة اليابانيـة مـن الصـين، وكل مقطـع هـو كلمـة فى حـد ذاتـه، وبذلـك صـار المقطـع الواحـد مـن الكانجـى لـه قـراءة صينيـة أصليـة ولـه قـراءة يابانيـة أيضًـا.

إن أمها وأخاها يقدسان اليابان للغاية، فحين رأيت بينهم وجدت بالغرفة التى بالطابق الأول صورة معلقة للإمبراطور والإمبراطورة، وبالغرفة الأخرى صورة لنيكولاى الثانى[1] والإمبراطورة".

كان من الطبيعى أن يكون أخو "كريلينقو" ماهرًا فى اليابانية، "كاترينا" أيضًا بعد مجيئها إلى اليابان بفترة قصيرة أصبحت بالمثل، لكن الطريف أن اللغة اليابانية لدى الجدة كانت صعبة الفهم، وكان هذا بالنسبة إلى "تائيقو" أيضًا ورطة ليست بالهينة.

- "هذه الجدة حين تتحدث اليابانية يكون نطقها سريعًا وغريبًا. سألتنى ما بلدتك، ولكنها تنطقها: ما بليدوتك! أجبتها أوساكا".

بعد ذلك بيومين أو ثلاثة جاءتهما "تائيقو" ولديها حكاية جديدة عن "الجدة"، وجعلت أختيها تستمتعان بحديثها.

فى ذاك اليوم ذهبت "تائيقو" للتسوق بالشارع التجارى "موطوماتشى" بمقاطعة "كوبيه"، واحتست الشاى بمتجر الحلوى الألمانى "JUCHHEIM " وحينها دخلت الجدة مع "كاترينا"، وقالت إنهما فيما بعد ستذهبان إلى المتجر الجديد "شووراكى" الذى افتُتح مؤخرًا وبه ساحة للتزلج، ودعتاها بشدة لتأتى معهما إذا كانت غير مرتبطة بمواعيد أخرى، وقالتا لها إنكِ ليست لديكِ تجربة بالتزلج من قبل، دعينا نعلمك وستتذكرينها دائمًا. "تائيقو" لديها ثقة بنفسها حيال التمارين الرياضية، فبالطبع جربت الذهاب معهما وتدربت لمدة ساعة، وخلالها استطاعت فهم النصائح لتبدأ، وامتدحتاها بشدة وقالتا لها: "إنكِ ماهرة للغاية، ولا نصدق أنها المرة الأولى لكِ". لكن "تائيقو" كانت فى اندهاش. إن تلك "الجدة" لم تتوقف ولو لمرة طوال

(1) نيكولاى الثانى والمعروف بالقديس نيكولاس هو آخر إمبراطور لروسيا، وحكم فى الفترة من 1 نوفمبر 1894 وحتى تخلى عن العرش فى 15 مارس 1971.

ساعة التزلج، بل بدأت متبخترة بروح جعلت كل الشباب حولها يخجلون من أنفسهم، وكالمتوقع بالضبط، بسبب خبراتها السابقة خصرها مذهل.

وعلى الرغم من أن الأمر لا يخلو من المخاطر، فإنها من وقت لآخر كانت تؤدى حركة ماهرة سريعة تثير دهشة كل اليابانيين الموجودين فى الساحة. وهذا ما روته لهم "تائيقو"، وبعدها قالت:

- "اليوم دعتنى كاترينا على العشاء".

وذهبت بالفعل "تائيقو" وعادت متأخرة فى المساء. كانت فى غاية العجب من أن الروس بهذه الشراهة. فى البداية قدموا لها المقبلات وبعدها العديد من أطباق الطعام الساخنة، لكن كميات اللحم والخضر هائلة وتُقدم بوفرة، حتى الخبز كان بأشكال عديدة وبمختلف الأنواع. بمجرد أن تناولت "تائيقو" المقبلات فقط شعرت بالامتلاء وقالت حسنًا هكذا، ولكنها مهما قالت لا أستطيع أكل المزيد استمروا فى سؤالها لِمَ لا تأكلين؟ هذا جيد، وماذا عن هذا أيضًا؟ وتتوالى ترشيحاتهم لمختلف الأنواع، وكل عائلة "كريلينقو" يأكل، ويتجرع الكثير من الخمر اليابانى والجعة والفودكا.

لم يكُن أخو "كاترينا" غريبًا إلى هذا الحد مثلهم، إنما هى "كاترينا" و"الجدة" أيضًا، فقد كانت كلما شربت عادت وشربت أكثر وأكثر كأنها لا يمكنها أن تتفوق عليها الابنة أو الابن.

صارت الساعة التاسعة وهم على هذه الحال، وكلما همَّت "تائيقو" بالانصراف يقولون لها كلا لا يمكنكِ الانصراف مطلقًا الآن، وجاؤوا بلعبة الورق، وتشاركوا اللعب لأكثر من ساعة، وتجاوزت الساعة العاشرة وحينها قدموا العشاء مرة أخرى، لكن "تائيقو" شعرت بالإعياء لمجرد رؤية ذلك، فهؤلاء الأشخاص يأكلون ويشربون الخمر مرة أخرى ويتناولون العشاء من جديد. طريقة شربهم أيضًا

غريبـة، فبـدلاً مـن مَـلء كئـوس الويسـكى بدفعـة واحـدة لشربهـا بنفـس واحـد، هـم يملـؤون الكئـوس إلى آخرهـا ويلقـون بهـا فى أفواههـم. الخمـر اليابـانى بالطبـع خمـر شـديد المفعـول كالويسـكى، وفى الحقيقـة يبـدو أن بطونهـم الضخمـة أصبحـت فى حالـة ثمالـة ولـن تشـعر بلـذة المـذاق إلا إذا تجرعـت الـشراب بكميـات كبـيرة هكـذا. لم يكـن الطعـام لذيـذًا إلى هـذا الحـد، وإنمـا مـن الأشـياء المختلفـة بـه، مثـلاً الحسـاء حيـث كانـت تطفـو عـلى سـطحه معجنـات مـن دقيـق القمـح تشـبه الـ"RAVIOLI" بالأطباق الإيطاليـة، والعجائـن المكـوَّرة بالطعـام الصينـى.

قالت "تائيقو":

- "لقـد قلـت لهـا حـين تـأتى فلتجلـب معهـا أخاهـا لأعرِّفـه إليكـما، هـل بهـا شىء؟ لمـرة واحـدة فقـط".

بـذاك الوقـت، صـارت "كاترينـا" عارضـة لـدى "تائيقـو"، وعقصـت شـعرها عـلى النمـط اليابـانى للآنسـات، ووقفـت مرتديـة الكيمونـو ذا الأكـمام الطويلـة لتمثـل هيئـة فتـاة تقـف ممسـكة بمـضرب كـرة الريشـة. تحمسـت "كاترينـا" للتصنيـع، فصـارت "تائيقـو" كلـما مكثـت بالبيـت فى "أشـيا" دون أن تذهـب إلى شـقتها فى "شـوكوجاوا" تأتيهـا "كاترينـا" لبيـت أهلهـا هـذا دون دعـوة لتتعلـم منهـا وتتلقـى الإرشـادات، لذلـك كان مـن الطبيعـى أن تصـير الصديقـة المقربـة للعائلـة كلهـا أيضًـا، واعتـاد "تينوسـوكيه" رؤيتهـا، وكان يقـول لهـا إن هـذه التصاميـم حتـى لـو كانـت بـ"هوليـوود" سـتلقى إعجابًـا، لكنهـا لم تفهـم مقصـده مـما ذكـره عـن الأمريـكان، وكانـت تتشـارك مـع الزوجـات اليابانيـات وغيرهـن بلطـف وسـماحة.

فى مسـاء يـوم العيـد الإمبراطـورى[1] ذهبـوا جميعًـا إلى شـلالات "تـاكازا" للتنـزه، وجـاء معهـم أخوهـا الكبـير حتـى البوابـة، لكنـه كان

(1) عيد قومى يقام منذ عام 1872 فى الحادى عشر من شهر فبراير كل عام.

مرتديًا ملابس الجولف فدخل لاحقًا ولم يصعد لهم بالأعلى، بل اكتفى بالتمشية فى الحديقة ثم اتخذ مقعدًا بالتراس. بعدها، ألقى على "تينوسوكيه" تحية أول لقاء لهما، ثم نادى "كاترينا" لمرتين أو ثلاث وذهب للتحدث معها قرابة النصف ساعة، فقال "تينوسوكيه" ممازحًا:

- "إن لم يأتِ لكنت قابلت الجدة التى أود رؤيتها الجدة عافاو". وقالها ساخرًا مما سمعه عن هذه الجدة وكونها لا تستطيع تحدث اليابانية وتقول "عافاو" بدلاً من "عفوًا"، ووافقته "سانشيقو" الرأى قائلة:
- "حقًا. عادةً ما تقلدها لنا أختى، وعما قليل قلت أنا أيضًا أود مقابلتها". واستمرا فى حديثهما المضحك على ذاك المنوال.

الفصل السابع عشر

في البداية لم يلحظوا أنهم ينادون عليهم بجدية؛ لقد كانوا منهمكين في حديث "تائيقو" بفضول. كانت الدعوات المتكررة من الجهة الأخرى لا يمكن رفضها، وفي النهاية قرروا الذهاب إلى بيت "كريلينقو". كان يومًا صافيًا باردًا رغم أنه في الربيع. كانت العائلة كلها حاضرة مكتملة، لكنهم يعرفون أن الوقت تأخر فتوقفت "اتسوقو" و"يوكيقو" وحوّلتا وجهتهما للعودة إلى المنزل، في حين ذهب الثلاثة فقط -"تينوسوكيه" وزوجته و"تائيقو"- إلى دعوة العشاء. استقلوا خط قطار "هان كيوو"، ونزلوا بمحطة "شوكوجاوا" وعبروا الجسر وذهبوا مباشرةً إلى البناية 56 حيث شارع الفلل الذي به البيوت مصفوفة حتى ينتهي الطريق بحقول الأرز، وبالجهة المقابلة هناك المرتفعات التي عليها الكثير من غابات الصنوبر. كان بيت عائلة "كريلينقو" أصغر بيت بين البيوت المصفوفة قبالة الفلل حديثة الطراز بأسفل المرتفعات، ولكنه بطلاء أبيض جديد ويشبه البيوت التي بصور القصص الخيالية.

عـلى الفـور اصطحبتهـم "كاترينـا" للغرفـة الثانيـة بالطابـق الأرضى التـى تتوسـطها مدفـأة معدنيـة. جلسـوا عـلى المقاعـد الرئيسـة المخصصـة لأربعـة أفـراد، وكان المـكان ضيقًـا لا يسـع أن يتحـرك أى منهـم.

اتخـذوا كلهـم جلسـتهم بشـكل مناسـب على مـا وجـدوه مـن مقاعـد خشـبية قاسـية، دون حتـى أن يجـدوا مقعـدًا واحـدًا مريحًـا لـه مسـند للـرأس أو الأطـراف بـين تلـك المقاعـد الطويلـة. كان لا بـد لهـم أن يأخـذوا حذرهـم جيـدًا، فـإذا التفـت أحدهـم دون قصـد بجسـده، فسـيواجهه خطـر ملامسـة مدخنـة المدفـأة أو أن يُسـقط بمرفقـه الأشـياء التـى فـوق المنضـدة.

يبـدو أن الطابـق العلـوى بـه ثـلاث غـرف نـوم لهـم، وظنـوا أن الطابـق الأرضى بـه غرفتـين وبالخـارج هنـاك المطبـخ، وبـدا لهـم مـن حيـث مكانهم أن الغرفـة المجـاورة هـى التـى يسـتخدمونها كغرفـة سـفرة، وعـلى الأرجـح هاتـان الغرفتـان بالمسـاحة الضيقـة نفسـها.

"تينوسـوكيه" راوده القلـق، فكيـف سـيصطف سـتة أشـخاص هنـاك، ولكـن لم يكـن هنـاك أى بـادرة أمل لظهور الجـدة أو الأخ الأكـبر لـ"كاترينا". وعـلى الرغـم مـن أن موعـد العشـاء لـدى الأجانـب متأخـر عـن اليابانيـين، فإنهـم لم يسـألوا صراحـةً عـن الموعـد المحـدد وبـدا أنهـم جـاؤوا مبكـرًا أكثر مـن الـلازم، ومـن النافـذة بـدا أنـه حـل الظـلام، والهـدوء يسـود كل أركان المنـزل، ومـا زالـت ليسـت هنـاك أى إعـدادات.

- "صنعـت هـذه للمـرة الأولى. دعـونى أريهـا لكـم مـن فضلكـم". قالتهـا "كاترينـا" وأخـذت دميـة لفتـاة راقصـة صنعتهـا كعينـة تجريبيـة مـن عـلى عمـود أسـفل رف مثلـث الشـكل.
- "ماذا! أحقًّا أنتِ التى صنعتِها؟!"
- "لكـن بهـا العديـد والعديـد مـن الأخطـاء، فلتصححيهـا لى يـا تائيقـو".

- "أخـى. انظـر إلى تصميـم ذلـك الوشـاح للكيمونـو". قالتهـا "تائيقو" وتابعت:

- "إنـه مختلـف عـما علمتهـا إيـاه. إن كاترينـا فكـرت فيـه ورسـمته بنفسـها".

كانـت مرسـومة عـلى الوشـاح المربـوط عـلى الدميـة قطـع الشـطرنج اليابـانى برسـم زيتـى عـلى القـماش الأسـود. إنهـا ربمـا اسـتعارت تلـك الفكـرة مـن أخيهـا.

- "وهـذا. انظـرى مـن فضلـك". قالتهـا "كاترينـا" مـرة أخـرى وجاءت بكتـاب صـور لها حـين كانـت بـ"شـنغهاى"، وقالت:

- "هذا زوجى السابق وهذه ابنتى".

- "ابنتك! إنها تشبهك تمامًا. يا لها من فتاة جميلة".

- "حقًّا!"

- "نعم. إنها تشبهك للغاية. ألا تشتاقين للقائها؟"

- "ابنتى فى إنجلترا الآن. لا تمكننى مقابلتها. ليس هناك حل".

- "بـأى مـكان فى إنجلـترا؟ هـل تعرفـين؟ ربمـا إن ذهبـتِ إلى هنـاك تسـتطيعين لقاءهـا".

- "لا أدرى، لكنــى أود مقابلتهــا وربمــا أذهــب لمقابلتهــا". وقالتهــا "كاترينــا" ببســاطة دون أى مشــاعر خاصــة.

كان "تينوسـوكيه" و"ساتشـيقو" يشـعران بالجـوع منـذ البدايـة، وكلـما نظـر أحدهـما إلى سـاعة يـده تلاقـت أعينهـما، لكنهـما انتظـرا حتـى أنهـت كلامهـا ثـم سـألها "تينوسـوكيه":

- "أخوكِ، كيف حاله، هل هو بالخارج هذا المساء؟"

- "إن أخى يعود متأخرًا كل ليلة".

- "وماما؟"
- "ماما ذهبت للتسوق فى كوبيه".
- "حسنًا".

إذًا الجـدة لم تُعـدّ أيًـا مـن مكونـات الطعـام كـما توقعـوا، لكنهـم تشـككوا فى الأمـر أكـثر حـين دقـت سـاعة الحائـط مشـيرة إلى السـابعة وبـدا أنهـا لـن تعـود.

شـعرت "تائيقـو" بالمسـئولية لكونهـا جـاءت بأخواتهـا، وشـيئًا فشـيئًا تصارعـت أفكارهـا، ونظـرت بوقاحـة جهـة غرفـة الطعـام التـى لم يبـدُ بهـا أى تجهيـزات أو تحضـير. لكـن هـل شـعرت "كاترينـا" بذلـك أم لا؟

مـن حـين إلى آخـر كان يخفـت لهـب المدفـأة، وكان الفحـم متكدسًـا أمامهـا فألقـت بواحـدة تلـو الأخـرى، وكادت تنطفـئ المدفـأة مـرة أخـرى وهـم مـا زالـوا يتحملـون الجـوع، فـكان لا بـد لهـم مـن إيجـاد موضـوع ليثرثـروا بـه، لكنهـم لم يجـدوا شـيئًا عـلى الفـور، ومـر عليهـم وقـت وهـم لا ينبـس أحـد منهـم ببنـت شـفة، ولا يعلـو سـوى صـوت احـتراق الحطـب فقـط.

فتـح البـاب كلـب هجين مـن فصيلـة الـ POINTER دافعًا إيـاه بأنفه، واختـار أكـثر مـكان دافـئ ليجلـس بـه، وانحنـى ممـددًا رجليـه الأماميتـين مريحًـا رقبتـه عليهـما، وتزاحمـت الأرجـل وتقلصـت بينها المسـافات.

- "PLEASE"، ونـادت "كاترينـا" ورمقتـه بنظـرة حـادة مشـيحة بعينيهـا لهنـاك، لكـن الكلـب لم يتحـرك مـن أمـام النـار.
- "PLEASE". قالهـا "تينوسـوكيه" أيضًـا حيـث لم يكـن هنـاك متسـع، وانحنـى إلى الأمـام وربّـت عـلى ظهـره بعدمـا ظـل واقفًـا هكـذا لمـدة طويلـة، ثـم قـال فجـأة:
- "سيدة كاترينا.. نحن، هل أخطأنا بفعل أى MISTAKE؟"

- ماذا؟

- إذًا، أختى، نحن هل أخطأنا فى سماع أى شىء؟! إن كان كذلك، فإننا أزعجناكِ للغاية. على أى حال من الأفضل أن نستأذن هذا المساء".

- "لا داعى لذلك". قالتها "تأنيقو".

- "حسنًا سيدة كاترينا".

- "ماذا؟ عفوًا، أختك الوسطى تريد قول شىء ما، لكننى لا أفهم ماذا تقول".

- "ساتشيقو، ألن يفيد الآن استخدام الفرنسية بهذا الموقف؟"

- "تانيقو، هل السيدة كاترينا تعرف الفرنسية؟"

- "بالطبع تعرف، وتتحدثها كالإنجليزية تمامًا".

- "سيدة كاترينا، I.. AM AFRAID "، وبدأ "تينوسوكيه" الحديث متعثرًا بالإنجليزية:

- "? YOU..WHY NOT EXPECTING US TONIGHT"

- "ما السبب؟" قالتها "كاترينا" بإنجليزية طليقة وبنبرة توبيخ وقد اتسعت عيناها.

حين دقت الساعة الثامنة نهضت "كاترينا" وذهبت إلى المطبخ. بدا أنها تسلق شيئًا ما فقد وصلت إلى مسامعهم بقبقة الماء بالقدر، وحملت لغرفة الطعام العديد والعديد من الأشياء سريعًا ونادت ثلاثتهم.

وجدت عائلة "تينوسوكيه" الكثير من المقبلات على الطاولة..كيف كل هذه التجهيزات دون أن يدروا؟

السلمون المدخن، الأنشوجة المخللة، السردين بالزيت، لحم الخنزير، الجبن والرقائق المحمصة، شطائر اللحم، العديد من أنواع الخبز،كل هذا ظهر دفعة واحدة فى الوقت نفسه كأنها خدعة سحرية. اصطفت كل هذه الأطباق جنبًا إلى جنب حتى صار لا مكان آخر لوضع المزيد.

حين رأوا هذا المشهد تنفسوا الصعداء.

كانت "كاترينا" تعمل بمفردها جيدًا، وأدخلت إليهم الشاى مرات عدة.

وعلى غير المتوقع، همّ جميعهم بالأكل سريعًا فقد كانوا يتضورون جوعًا، لكنهم سرعان ما شعروا بالامتلاء خصوصًا أن الكميات وفيرة ويتوالى النصح بتجربة صنف تلو الآخر.

كانوا من حين إلى آخر وبلطف يلقون الطعام لـ"بوليس" تحت الطاولة، ثم فجأة ظهر وهرع خارجًا وطار نحو الباب.

همست "تاثيقو" بصوت خافت:

- "يبدو أن الجدة وصلت".

وقبل أى شيء تركت الجدة بضع لفائف من مختلف المشتريات ودخلت المطبخ. بعدها دخل أخو "كاترينا" غرفة الطعام مصطحبًا معه رجلاً أنيقًا يتجاوز الخمسين من عمره.

- "مساء الخير. يا لها من وليمة".

- "تفضلوا تفضلوا".

قالها وانحنى وبالوقت نفسه فرك يديه إحداهما بالأخرى. كان أخوها رجلاً أجنبيًا ضئيل البنية، ووجهه نحيل مثل "أوزايامون"[1]، ووجنته مفعمة بالحمرة من رياح المساء الباردة بالربيع المبكر عن

(1) اسم ممثل مسرح "كابوكى" فى عصر شووا.

أوانـه، وقـال لأختـه الصغـيرة كلمتـين أو ثلاثًـا بالروسـية، لكـن اليابانيـين الحضـور التقطـت آذانهـم فقـط كلمـة: "مامـا تشـيكا، مامـا تشـيكا"، وظنـوا أنهـا قـد تكـون كلمـة روسـية كنيـة لـ"مامـا".

- "إنى التقيتـه مـع مامـا الآن فى كوبيـه فعدنـا معًـا. هـا هـو ذا". قالهـا "كرلينقـو" وربّـت عـلى كتـف صديقـه وقـال:
- "إنـكِ تعرفينـه، أليـس كذلـك آنسـة تائيقـو؟ صديقـى السـيد أورونسـكى".
- "حقًّا. أنا أعرفه، هذا أخى الأكبر وأختى الكبيرة".
- "أتقولين أورونسكى! ظهر فى ANNA KARENINA"[1].
- "بالضبط هكذا. إنك مطلع جيد. هل تقرأ لتولستوى؟"
- "كل اليابانيـين يقـرؤون لتولسـتوى وديستوفيسـكى". قالهـا "كرلنقو" موجهًا كلامه لـ"أورونسـكى".

سألت "ساتشيقو" أختها:

- "ولِمَ أنتِ تعرفين السيد أورونسكى؟"

- "إنـه يقطـن بالجـوار بشـقة فى شـوكوجاوا هـاوس إنـه يحـب الأطفـال للغايـة وأينـما وجـد أطفـالاً يدللهـم بلطـف، وأينـما قلـت: الـروسى الـذى يحـب الأطفـال، سـتجدينه مشـهورًا للغايـة بالمنطقـة. إن قلـتِ لأى أحـد: السـيد أورونسـكى سـيجيب كـما ينطقونهـا: يودوموسـكى".
- "وماذا عن زوجته؟"
- "ليسـت لديـه، ويـدور حولـه الكثـير مـن الأقاويـل والـكلام المأسـاوى".

---

(1) رواية ليف تولستوى ANNA KARENINA، وأصبحت فيلماً أمريكيًا شهيرًا.

"أورونسكي" يبدو عليه أنه يحب الأطفال بالتأكيد، رقيق، نظرات عينيه بها الوحدة وشيء ما من المشاعر المرهفة وتحتوى الدعابة أيضًا، وتظهر التجاعيد الدقيقة عند طرف عينيه. إنه يسمع ما يدور حوله من شائعات ولا يحرك ساكنًا. هو قوى البنية بالنسبة إلى "كرلنقو"، جسده تكسوه الشحوم، ولون بشرته يميل إلى الصفرة كأنه منصبغ سمارًا بأشعة الشمس، وشعره باللون الرمادى الداكن، وعيناه سوداوان ما يشعرك بتشابهه مع اليابانيين. يقال إنه كان بحارًا.

- "ليست حاضرة هذا المساء الصغيرة اتسوقو؟"

- "نعم، تلك الصغيرة، لديها واجبات مدرسية للأسف. بالطبع لو كنت أعلم لكنت اصطحبتها معى لأريك ابنتى المدللة".

- "يا للأسف".

حينها دخلت الجدة لإلقاء التحية:

- "إنى أكين هذا المساء فى غاية السعادة. يا أخت تائيقو الكبيرة لِمَ لم تستطِع ابنتك المجيء معكِ؟"

فور أن سمع كلٌ من "تينوسوكيه" و"ساتشيقو" قولها "أكين" نظرا إلى "تائيقو" باستغراب، لكنها بدورها عملت جاهدة على ألا تلتقى أعينهم، وحولت ناظرها بعيدًا وبمهارة اعتلت وجهها نظرة اللامبالاة، ولم يصبح الأمر غريبًا مرة أخرى.

كان يقال عليها "جدة"، ولكنها ليست مثل المسنات الأجنبيات الممتلئات بل هيئتها مثالية تمامًا، وتنتعل الأحذية ذات الكعب العالي دائمًا. قوامها جميل مع رجليها الرفيعتين، وتسير على الأرض بخفة كالغزال.

كلما قيل عنها "جدة" تأتى لمخيلة "تائيقو" صورتها وهى تسير بنشاط وبمنتهى الحيوية فى وقت التزلج الذى حكت عنه من قبل.

كانت الجدة كلما ضحكت ظهر مكان أسنانها المخلوعة والتجاعيد على جانب وجهها، لكنها كانت فى غاية البياض كأنها دون جلد، وإن شاهدتها عن بُعد لن تتضح مثل هذه التجاعيد أبدًا.

أعادت الجدة ترتيب الطاولة مرة أخرى بعدما جاءت بأصناف جديدة كالمحار الطازج وبطارخ السلمون والفلفل المخلل وكبد الفراخ والخنزير وغيرها من أنواع النقانق، وصفَّتها مع الأنواع المختلفة من الخبز.

فى النهاية جاءت بالخمر وقدموا الكئوس للجعة والويسكى ونصحوهم بخلطه مع الخمر اليابانية "الساكى الساخن"، ومن بين الحضور الروس كانت "كاترينا" و"الجدة" هما من تفضلان الخمر اليابانية.

وكما كانت مخاوفهم بالضبط، ليس هناك متسع حول الطاولة لتكفيهم كلهم. وقفت "كاترينا" عند المدفأة واتكأت على رفِّها، وكانت لا تدعها تنطفئ، وكانت الجدة تأكل وتشرب وهى تقوم بالعديد من المهام وتمد يدها من خلف الجلوس. كانت الشوك والسكاكين غير مكتملة العدد ولا تكفى للجميع، فكانت "كاترينا" من وقت للآخر تلتقط بيديها بعض الأشياء وتأكلها، وإن صادف ولاحظها أى من الضيوف يحمر وجهها خجلاً، وبذلت عائلة "تينوسوكيه" كثيرًا من الجهد ليتصرفوا كأنهم لم يلحظوها.

- "كُلْ من هذا المحار". همست "ساتشيقو" خلسة لزوجها.

كان محارًا طازجًا وإنما له مذاق مميز ليس كمحار المحيط ولونه لا يختلف عن الذى ابتاعته وجاءت به من السوق للتو. أكل الروس بمنتهى الجرأة فى حين أن هذا عند اليابانيين نوع من الهمجية.

- "حسنًا، حقًّا أشعر بالامتلاء". قالها "تينوسوكيه" ووجهه نحو عائلته التى كانت تختلس النظر إليه وهو يعطى الكثير

لـ"بولـس" تحـت المنضـدة. بـدا عـلى "تينوسـوكيه" تأثـر بخليـط الخمـور المختلفـة الـذى جعلـوه يشربـه.

- "مـا هـذه الصـورة؟" قالهـا وقـد اشـتدت ثمالتـه ووصلـت ذروتهـا وهـو يشـير إلى صـور مبـانٍ رائعـة معلقـة بجـوار صـورة الإمبراطـور.

- "إنــه قــصر TSARSKOYE SELO [1]. القــصر الــذى بقــرب بطرسـبرج" (هـؤلاء الأشـخاص قطعًـا لـن يعرفوا اسـم لينينجـراد[2]). أجابـه " كرلنقـو".

- "قصر TSARSKOYE SELO الشهير!"

- "نعـم. كان منزلنـا قريبًـا جـدًّا منـه. كنـا نـرى الإمبراطـور يوميًـا وهـو خـارج مـن القـصر ويركـب عربتـه ذات الخيـول، وأتذكـر أنى سـمعت صـوت جلالتـه ذات مـرة وهـو يتحـدث".

- "ماما تشـيكا"، ونـادى عليهـا "كرلنقـو" بالروسـية طالبًـا توضيحًـا، فأضـاف هـو:

- "هـذا لا يعنـى حرفيًـا أنى سـمعت صـوت جلالتـه، وإنمـا شـعرت كأنى أسـمعه، فالعربـة ذات الخيـول كانـت قريبـة لهـذا الحـد. عـلى أى حـال لقـد كان منزلنـا بجـوار هـذا القـصر مبـاشرةً. لا أتذكـر سـوى أشـياء غامضـة آنـذاك وأنـا طفـل".

- "وأنتِ يا كاترينا؟"

- "أنا لا يسعنى أن أتذكر أى شيء قبل المدرسة الابتدائية".

---

(1) اسـم منتجـع صيفـى حيـث قـصر الإمبراطـور الـروسى، وهـو عـلى بعـد 24 كـم جنـوب حـى سـان بطرسـبرج.

(2) كانـت ثـانى أكـبر مدينـة بالاتحـاد السـوفييتى، وحاصرهـا الألمـان لمـدة 900 يـوم فى واحـدة مـن معـارك الحـرب العالميـة الثانيـة وعُـرف بحصـار لينتجـراد سـبتمبر 1941- ينايـر 1944، وهـى الآن مدينـة "سـان بطرسـبرج".

- "تلـك الغرفـة، معلقـة بهـا صـورة لجلالـة الإمبراطـور اليابـانى والإمبراطـورة، فـما شـعوركم حيالهـما؟"

- "نعـم، هـذا شيء طبيعـى. المهاجـرون البيـض يعيشـون هنـا بفضـل جلالتـه". قالتهـا الجـدة وصـارت تعبـيرات وجهها صارمـة عـلى نحـو غـير متوقـع.

- "الـكل يعلـم أن المهاجريـن الـروس[1] ضـد الشـيوعية ويناضلـون مـن أجـل اليابـان حتـى النفـس الأخـير". قـال "كرلنقـو" هـذه الكلـمات ثـم أضـاف:

- "حضرتـك مـاذا تظـن بخصـوص الصـين؟ ذلـك البلـد سـيصير شـيوعيًا الآن، أليـس كذلـك؟"

- "حسـنًا، نحـن لا نفهـم كثـيرًا فى السياسـة، وعـلى أى حـال فـإن المشـكلة تكمـن فى أن علاقـة كلا البلديـن الصـين واليابـان بعضهـما ببعـض سـيئة".

- "حضرتـك مـا رأيـك فى تشـيانغ كاى شـيك[2]؟" قالهـا "أورونسـكى" متسـائلاً وهـو يلهـو بـكأس فارغـة فى راحـة يـده.

- "ومـا رأيـك بمـا حـدث فى ديسـمبر العـام المـاضى فى الصـين؟ لقـد اعتـبر تشـان تشـو إريـان[3] أن تشـيانغ كاى شـيك سـجين حـرب، لكنـه أنقـذ حياتـه. فـماذا يعنـى ذلـك؟"

- "حسنًا، لقد لاحظت ذلك وإنما لم يرِد عنه أى شيء بالصحف".

---

(1) المهاجـرون البيـض هـم الـروس الذيـن هاجـروا مـن روسـيا وقـت الثـورة والحـرب، وكانـوا ضـد المنـاخ السـياسى المعـاصر..

(2) تشـيانغ كاى شـيك هـو سـياسى وجنـدى، وصـار أول رئيـس لجمهوريـة الصـين ثـم هزمـه الحـزب الشـيوعى الصينـى بقيـادة "مـاو تـسى تونـغ" فى الحـرب الأهليـة وانتقـل إلى "تايـوان" فى 1949 وتـوفى دون اسـتعادة السـيطرة مـرة أخـرى.

(3) جنرال أول بالجيش الوطنى الثورى.

كان "تينوسوكيه" شغوفًا بالمسائل السياسية وبالمثل فى ما يتعلق بالشئون الدولية، ولديه معرفة فى حدود ما يُنشر بالصحف والمجلات، لكنه فى أى وقت لا يتعدى نطاق المشاهد إطلاقًا، وإنما فى ذاك الوقت اندفع فى الكلام دون تفكير وانغمس فى الموضوع بحذر شديد كى لا يتعثر، وقرر ألا يقول أى رأى خصوصًا أمام أجانب لا يعرف ميولهم.

لكن بالنسبة إلى هؤلاء البيض الذين يلاحقون أخبار وطنهم فهذه المسألة مسألة حياة أو موت، ولا يستطيعون تركها ولو ليوم واحد.

استمر الجدل لحين من الوقت بينهم هم فقط، لكن "أورونسكى" بدا أن لديه تأكيدات بشىء ما طبقًا لمعلومات أكثر عنده بخصوص ذاك الشأن، والآخرون فى الغالب يسمعون فقط ما يدور حولهم.

وكان يجاهد للحديث باليابانية من أجل "تينوسوكيه"، ولكنه كلما خاض فى الأمر قليلاً سرعان ما يعود لاستخدام الروسية و"كرلنقو" يترجم للجميع بين حين وآخر.

الجدة أيضًا كانت مجادلة عقلانية تصغى بهدوء لحديث الرجال دون تدخل، وتجارى التيار مهما احتدت المناقشة أو هدأت، لكن حين تأخذها الحماسة تصبح لغتها اليابانية فوضوية أكثر وأكثر ولا يمكن فهمها لليابانيين والروس أيضًا، فلفت نظرها لذلك"كرلنقو" قائلاً:

– "ماما تشيكا تحدثى بالروسية".

بعدها، لم يعد أى أحد من عائلة "تينوسوكيه" يعرف كيف حدث ذلك، فعلى حين غرة أصبحت المناقشة بين الجدة و"كاترينا" وتطورت إلى حد أشبه بالمعركة. على وجه العموم كانت الجدة ضد الهجوم على كل ما يخص قوميتهم أو السياسة البريطانية، و"كاترينا" بدا أنها تفعل العكس بجنون. كانت الجدة تقول لها إنها ولدت بروسيا ولكن بلادها تلاحقها وذهبت إلى "شنغهاى" ونشأت وهى مستفيدة من الإنجليز، لقد علمها الإنجليز كل المواد الدراسية وعلاوة على ذلك

لم يأخذوا منهم أى مصاريف شهرية ولو لمرة واحدة، وتخرجت فى المدرسة وعملت ممرضة براتب شهرى فى مستشفى، وكل هذا وذاك يعود فضله كله للإنجليز، فما السيئ الذى فعله هؤلاء؟

حين يجعلون الجدة تخوض النقاش إلى ذاك الحد تقول لهم أيضًا أنتم ما زلتم صغارًا فى السن ولا تعرفون شيئًا حقًّا.

شيئًا فشيئًا ازداد الغضب بين الأم وابنتها، وامتقع لون وجهيهما، وتوسط بينهما كل من الأخ و"أورونسكى" وتعاملا مع الأمر بلطف إلى أن انتهى بأن ظلت كل منهما على حالها تتمتم فى سخط فقط لكيلا تفسد المناسبة.

بعدما انتهوا قال "كرلنقو":

"إنهما دائمًا هكذا كلما دار النقاش حول إنجلترا. يا لها من مشكلة".

غيَّر "تينوسوكيه" مقعده مرة أخرى وذهب إلى الغرفة المجاورة وقضى بعضًا من الوقت فى الدردشة والتسلى بأوراق اللعب، ثم نادوه مرة أخرى بغرفة الطعام. بالنسبة إلى الجانب اليابانى فهم لا يمكنهم تناول المزيد من أى صنف آخر، فكانت النتيجة هى زيادة السخاء على معدة "بولس"، وحتى بالنسبة إلى الخمر، بذل "تينوسوكيه" جهدًا مضنيًا محاولاً أن يجارى كلاً من "كرلنقو" و"أورونسكى".

- "انتبه! خطواتك تترنح".

وكان الوقت قد تجاوز الحادية عشرة.

تحدثت "ساتشيقو" وهم فى طريقهم للعودة وسط حقول الأرز حالكة الظلام وقالت:

- "حسنًا. كم منعش هذا النسيم البارد! أهذا حقيقى؟"

"كاترينا" لم تفعل شيئًا سوى أن تخرج بالمأكولات والمشروبات إلى ما لا نهاية! كل مدى يشعرون بالجوع أكثر وأكثر، فتقدم المزيد والمزيد.

يا لشراهة هؤلاء! إن ذُكر الروس وجدت النهم. بالشرب أيضًا لا تُمكِن هزيمتهم أو حتى مجاراتهم.

- "لكن مع كل ما حدث، فالجدة بدت سعيدة حين نادينا عليها. الروس يحبون استقبال الضيوف حتى لو كانت منازلهم صغيرة إلى ذلك الحد".

- "مثل هؤلاء فى النهاية يذرفون الدمع على هذا النحو، ويبحثون عن اليابانيين فى المجتمع الدولى".

- "الأخ وذاك الشخص الذى يدعى أورونسكى"، قالتها "تائيقو" وهى فى الظلام الدامس تتخلف عنهما بخطوة أو اثنتين واستطردت:

- "ذاك الشخص ظروفه مؤسفة. كانت لديه حبيبة وهو شاب، ولكن بسبب الثورة لم يعد أى منهما يعلم مكان الآخر، وبعدها بأعوام عدة عرف أنها فى أستراليا، فذهب إلى هناك للبحث عنها، وأخيرًا عرف مكانها فى النهاية وتمكن من لقائها، ولكن على الفور مرضت حبيبته وماتت، ومنذ ذاك الحين قرر أن يعيش عزبًا مدى الحياة".

- "بالطبع سيكون ذاك إحساسه بعد كل ما حدث".

- "لقد عانى كثيرًا للعيش فى أستراليا، حتى إنه وصلت به الحال إلى العمل بالمناجم كعامل، لكن بعدها عمل بالتجارة واستطاع جنى الأموال. الآن لديه ما يفوق الـ500،000 ين. أخو كاترينا تلقى منه مالاً مرات عدة".

- "مممم.. أشم رائحة القرنفل من مكان ما". قالتها "ساتشيقو" وهم يتوغلون فى طريق له سياج بـ"فيلا تاون".

- "مـا زالـت هنـاك قرابـة الشـهر حتـى تتفتـح أزهـار الكـرز، أليـس كذلـك؟ لقـد طـال الانتظـار".

- "أنـا لا أطيـق الانتظـار أكـثر". قالهـا "تينوسـوكيه" وهـو يحـاكى الجـدة.

/

الفصل الثامن عشر

محل الميلاد: محافظة "هيوجو" مدينة "هيميه" بلدة "تاتيماتشى" بناية رقم 20م

محل الإقامة الحالى: مدينة "كوبيه" حى "نارا" بلوك 4 "أويا" رقم 559.

نومورا مينوكيتشى

سبتمبر 1893

المؤهل الدراسى: تخرج فى جامعة "طوكيو" الإمبراطورية، كلية زراعة عام 1916.

الوظيفة الحالية: مهندس فى قسم الغابات والثروة السمكية، محافظة "هيوجو".

الأسرة والأقارب:

فى عام 1922 تزوج بـ"طوكوقو" الابنة الثانية لعائلة "تاناكا"، وأنجب طفلاً وطفلة. الطفلة ابنته الكبرى ماتت فى الثالثة من العمر. الزوجة "طوكوقو" توفيت إثر حمى فى عام 1935. بعد ذلك الابن الذى كان فى الحادية عشرة من العمر توفى هو أيضًا حين بلغ الثالثة عشرة.

الوالـدان سرعـان مـا فارقـا الحيـاة، ولديـه أخـت أصغـر تزوجـت مـن عائلـة "أوتـا" وتقطـن بطوكيـو.

كانـت هـذه صـورة بحجـم راحـة اليـد مكتوبـة عـلى ظهرهـا بالخـط اليابـانى هـذه الأمـور المذكـورة أعـلاه، وجاءتهـم بالبريـد السريـع فى أواخـر شـهر مـارس مـن السـيدة "چينبـا" التـى كانـت بمدرسـة البنـات نفسـها مـع "ساتشـيقو".

مـا زالـت "ساتشـيقو" لا تتذكـر حتـى بعدمـا اسـتلمتها، لكنهـا فى العـام المـاضى، وتحديـدًا عقـب انتهـاء الحديـث بشـأن "سـيجوشى" بنهايـة شـهر نوفمـبر، التقـت السـيدة "چينبـا" صدفـة فى أحـد الأيـام فى تقاطـع "سـاكورا بـاشى"، وتوقفتـا للحديـث معًـا قرابـة عشريـن أو ثلاثـين دقيقـة، وحينهـا جـاء ذكـر الشـائعات التـى طالـت "يوكيقـو"، وأنهـا عـلى تلـك الحـال لم تـتزوج بعـد، ولذلـك طلبـت منهـا أن تقـدم العـون، ثـم انصرفـت، وهـذا مـا تذكرتـه "ساتشـيقو". لكنهـا فى ذلـك الحـين كان لديهـا شـعور يقينـى بأن موضـوع "سـيجوشى" شـارف عـلى الانتهـاء، فأفصحـت بمنتصـف الحديـث عـن رغبتهـا ووجـدت مـن السـيدة "چينبـا" اهتمامًـا بالأمـر، وبعـد ذلـك سـألتها عـن أحـوال أختهـا الصغـيرة وقالـت السـيدة "چينبـا" إنهـا لم تكـن تهتـم بالأمـر، لـولا أن راعـى زوجهـا وولى نعمتـه السـيد "هامـادا چـووكى" رئيـس شركـة السـكة الحديـد بإقليـم "كانسـاى" لديـه ابـن عـم فـرَّق المـوت بينـه وبـين زوجتـه العـام المـاضى، وهـو الآن يبحـث عـن زوجـة.

أضافـت السـيدة "چينبـا" فى خطابهـا المرفـق مـع الصـورة أنهـا بالطبـع تريـد لهـم فرصـة جيـدة، وأن:

"السـيد هامـادا أبـدى شـغفه بالموضـوع ودار الكثـير مـن الأحاديـث حتـى حصلـت عـلى الصـورة، لذلـك فلتفكـر أختـك بالأمـر، وهـذا لا يعنـى أن زوجـى يعرفـه جيـدًا وإنمـا لأنـه بضمانـة السـيد هامـادا فسـيكون شـخصية لا غبـار عليهـا، وعـلى أى حـال أرسـلت إليـكِ بالبريـد السريـع

ومرفقة الصورة. فلتنظروا فى الأمر وإن كان يروق لكم فالمذكور بخلف الصورة من تفاصيل يمكنكم الاعتماد عليها فى البحث، وبعدها إن وجدتم أن الفرصة مناسبة وراسلتمونى فسأعمل على تحديد موعد للتعارف".

"ساتشيقو" بمجرد أن وقعت عيناها على هذا الكلام ووجدته حقيقيًا على الفور أرسلت لها لتزورها، أما عن "يوكيقو" فحتى لو تطلب الأمر إجبارها فلا بأس، وعلى هذه الحال وصلت الصورة فى ذاك اليوم المشرق.

أخذت "ساتشيقو" الصورة وكتبت خطابًا للتحية والشكر. لكنها فى العام الماضى وقع عليها اللوم من "إيتانى"، لذلك فهى هذه المرة تعلمت مما سبق ولن تتسرع بالوعود، بل فقط ستشكرها لما لمسته منها من طيب خلق، وإن آل الوضع إلى طول انتظارهم لشهر أو اثنين فستقول لهم إنه كان هناك عرض زواج آخر وللتو رُفض. وعندما فكرت فى حال أختها وجدت أنه من الأفضل أن تبقى على ما لديها من حديث لفترة من الوقت، وهذه المرة سيتوخون الحذر قدر المستطاع. كتبت لها "ساتشيقو":

"بعد التحرى الوافى فإنى لى رجاء عندك، إنكِ كما تعلمين أختى الصغيرة تأخرت فى الزواج وأنا كأخت كبيرة أعتبرها غاية فى البراءة، لذلك أقول لكِ هذا بمنتهى الأمانة، وعليه فهذه المرة ودون أى تسرع، بعدما نبحث بأنفسنا بتروٍّ، إن كان الأمر على ما يرام سنخبر بيت العائلة، وبعدها أيضًا نخبر يوكيقو".

وهذا ما اتفق عليه "تينوسوكيه" معها، وللأمانة "ساتشيقو" لم تكن مهتمة إلى ذاك الحد. بالطبع لا يمكنها القول ببيت العائلة وهم لم يبحثوا بعد، لقد قرآ فقط المكتوب خلف الصورة ولم يرد قط ذكر ما إن كانت لديه ممتلكات أم لا. لكنهما على الفور أدركا أن ظروفه

أسوأ من "سيجوشي". أولاً هو أكبر في السن من "تينوسوكيه" بعامين. ثانيًا هو غير متزوج وتوفي طفلاه من زوجته السابقة، وهذا يهوِّن وضعه، وإنما "ساتشيقو" ترى أن "يوكيقو" لن يروقها الأمر قبل أن تعرف كل ذلك، لأنه من ناحية المظهر وما رأوه بالصورة فهو يبدو عليه تقدمه في العمر ووجهه يبدو كرجل عجوز.

في الحقيقة هم أخطؤوا بإرسالهم صورة كهذه من أجل طلب زواج. للأسف من بعدها لن يستطيعوا رؤيته شابًا وسيرونه دائمًا عجوزًا. إنه ليس عليه أن يكون وسيمًا ولا يهم إن كان أكبر من "تينوسوكيه"، ولكن هيئته كعريس وهو جنبًا إلى جنب بجوار "يوكيقو" سيبدو حقًّا طاعنًا في السن وستبدو هي مثيرة للشفقة. وبما أنهم يهتمون بحالهم فهم لن يمكنهم التباهي والتفاخر أمام كل الحضور.

وإن كان يستحيل أن يعود شبابه ليبدو كعريس فسيريدونه مليئًا بالحماس مبتهجًا ومفعمًا بالحيوية بأي شكل، ولا هذا ولا ذاك اتضح لـ"ساتشيقو" من الصورة.

لذلك يبقى الوضع كما هو عليه، حتى بعد مرور أسبوع "ساتشيقو" لم تُعِر الأمر اهتمامًا، ولم يتعجلا في البحث. لكنهما لاحظا شيئًا، فمنذ أيام حين جاء البريد الذي به الصورة ألم تكن "يوكيقو" موجودة لتراه ولو صدفة؟ وإن كان الأمر هكذا فهل سكوتها هذا لأنها تخفي شيئًا، أم على العكس هي ليس لديها فضول؟

بالنسبة إلى "ساتشيقو" فإن حال "يوكيقو" ظاهريًّا ليس به أي تغيير ملحوظ، لكن جرحها لم يلتئم بعد، ما يعني أنه من الأفضل ألا تفصح عن شيء حتى بعدما تعاقبت الأحداث سريعًا هكذا.

لكن لِمَ لا تصارحها بمجيء الصورة على أي نحو؟ إنها ستكون في ورطة إن استمرت الحال هكذا على نحو غير طبيعي مراعاةً لحزنها، فعدلت عن تفكيرها وفضلت أن تريها الصورة أولاً، ولعلها تكون

طريقة أيضًا لترى ردة فعلها وماذا ستقول. وعليه ففى يوم وهم قد أوشكوا على الخروج للتسوق، وجاءت "يوكيقو" إلى غرفة الزينة بالطابق الثانى لتبدل ملابسها، قالت لها "ساتشيقو" مباشرةً ودون انتظار لإجابة:

- "يوكيقو، لقد جاءت صورة أخرى. ها هى"، وعلى الفور أخرجتها من الدرج لتريها إياها.

- "اقرئى المكتوب بالخلف".

التزمت "يوكيقو" الصمت وظلت تنظر إلى الصورة فقط ثم قرأت ما بالخلف وسألت:

- "ومن أرسلها؟"

- "أتعرفين السيدة چينبا التى كانت معى بمدرسة البنات؟ قابلتها فى محطة إيما إيدا".

- "مممم. وعلى هذا، أحين قابلتِ تلك السيدة فى الطريق بدأتما الحديث عنى وطلبتِ منها ذلك، وهى أبدت اهتمامها وأرسلت هذه التى جئتنى بها!"

- "الأمر مختلف ولا أطلب منكِ ردًا الآن فورًا. فى الحقيقة هذه المرة بعدما نتخطى الخطوة الأولى الخاصة بالبحث بدقة سنخبرك لتفكرى فى الموضوع، وحتى لا يبدو الأمر كأننا نخفى عنكِ شيئًا فقط أريها لكِ".

وخرجت "ساتشيقو" بعدما أخذت الصورة وتركتها على الرف وأسرعت لتلحق بـ"يوكيقو" التى خرجت بلا تفكير ونظرها نحو الحديقة.

- "إن كنتِ لا تريدين هذا فاعتبرى أنكِ لم تسمعى شيئًا، خصوصًا أننا ما زلنا سنبحث كما أخبرتك".

- "أختى الوسطى".

قالتها "يوكيقـو" وهـى ذاهبـة إلى وجهتها فى هـدوء وتفكيرها شارد فى شىء ما، واجتهـدت لتعتـلى وجهها الابتسـامة وهـى تقـول:

"إن كان عـلى عـروض الـزواج فأنـا لا أمانـع، إنى حتـى لم أقُـل لـكِ الموضـوع السـابق لم ينتـهِ بعـد، إنى فقـط أريـد أن أشـعر بشـخص مـا أو شىء مـا يسـتحق".

- "حقًّا".
- "ألم يكـن مـن الأفضـل فى المـرات السـابقة أن تكـون المقابلـة بعـد البحـث جيـدًا؟! إن الأمـور الخارجيـة التـى تحـدث تصعـب عـلىّ التفكـير".
- "حسـنًا. إذًا أنـا عـن نفسـى سـأخبرك بمثـل تلـك الأحاديـث فقـط إذا كان الأمـر يسـتحق العنـاء".

أكملـت "ساتشـيقو" ارتـداء ملابسـها وخرجـت وحدهـا بعدمـا قالـت إنهـا سـتعود فى المسـاء قبـل العَشـاء، لكـن "يوكيقـو" مكثـت وعلقـت عـلى الشـماعة ملابـس أختهـا التـى خلعتهـا وألقتهـا، وجمعـت أوشـحة رداء الكيمونـو ورتبتهـا جنبًـا إلى جنـب، واتـكأت عـلى الدرابزيـن لفـترة مـن الوقـت وهـى تنظـر إلى الحديقـة.

فى هـذا الوقـت كانـت مدينـة "أشـييا" معظمهـا غابـات عـلى الجبـال ومـزارع، لكـن منـذ نهايـة عـصر تايشـوو[1] لم تعـد الأراضى الشاسـعة المتراميـة هنـا وهنـاك كـما كانـت مـن قبـل ولا حتـى حديقـة المنـزل، ففـي المـاضى كانـت أشـجار الصنوبـر العملاقـة التـى تصـل إلى الـتراس نحـو ثـلاث بالحديقـة جهـة الشـمال الغـربى. الآن أصبحـت كل منطقـة التـلال وجبـال "وقـوو" مطلوبـة للحكومـة ولا مـن فاصـل بينهـا وبـين شـجيرات الجـيران، لـذا حـين ذهبـت "يوكيقـو" إلى بيـت العائلـة ببلـدة "أويـه هـون"

---

(1) بدأ عصر تايشوو فى اليابان فى 1912/7/30 واستمر حتى 1926/12/25.

كعادتها من وقت إلى آخر وعادت بعد أربعة أو خمسة أيام كانت قد انتعش مزاجها وشعرت كأنها ولدت من جديد.

جهة الجنوب حيثما تقف وتلقى بناظريها الآن، هناك ساحات الزهور والمروج وقبالتها تلال صغيرة، والفروع الخضراء عليها الورود الدقيقة البيضاء (قودمارى) تتساقط فى البحيرة الجافة التى أصبحت جرفًا بين صخور الحديقة، وعلى حافة الماء جهة اليمين تفتحت أزهار الكرز والليلك. ولأن أزهار الكرز تحبها "ساتشيقو" فكان لا بد من زراعة حتى ولو شجرة واحدة بحديقة بيتها لترى أوان تفتح الزهور. منذ بضعة أعوام زرعتها بالحديقة، وحين تزهر تُخرج الحصير تحتها وتفرشه لتجلس مهما قيل لها إن ذلك يضر نموها، وبالفعل فعدد أزهارها كل عام قليل للغاية فى حين أن زهور الليلك مزدهرة ومتفتحة كلها كأنها مكسوة بالثلوج وتفوح منها رائحتها العطرة.

غرب شجرة الليلك تلك، هناك شجرة توت وشجرة قيقب لم تتفتح براعمهما بعد. جنوب شجرة القيقب هناك نوع من الشجيرات يطلق عليه بالفرنسية "Selenga". قالت لهم مدام "تسوكامطو" التى هى مدرستهم للغات إن تلك الشجيرات موجودة بوفرة فى بلادها ولكنها لم ترَها من قبل منذ مجيئها إلى اليابان، وإنه لمن النادر حقًّا رؤيتها بهذه الحديقة. ولأنها المفضلة لديهم جميعًا، فأخوات "يوكيقو" كلهن يعرنها انتباهًا خاصًّا.

حين بحثوا عن معناها فى قاموس فرنسى- يابانى عرفوا أنها باليابانية تسمى (ساتسوما أوتسوجى)، وهى نوع من شجيرات عائلة saxifragales. أزهارها تتفتح عادةً بعدما تسقط أزهار الليلك، وذلك تمامًا مثل زهور الجبال اليابانية المزدوجة والموجودة بالأصل عند سور البوابة الخاص بالغرفة الخارجية، لذلك فحتى الآن الأوراق اليانعة التى على مرمى البصر لم تزهر بعد وإنما تفتحت براعمها فقط.

أمـام شـجيرات (ساتسـوما أوتسـوجى) تلـك هنـاك السـياج السـلكى لحـدود الحديقـة الخلفيـة للسـيد "Stolz". وتحـت شـجرة التـوت التـى تمتـد جنبًـا إلى جنـب بجـوار السـياج أصبحـت "اتسـوقو" مؤخـرًا تلهـو مـع "روزمـارى" وتجلسـان القرفصـاء عـلى الحصـير وشـمس العـصر تلمـع أشـعتها بلطـف.

كانـت "يوكيقـو" تنظـر إليهـما مـن بـين درابزيـن الطابـق الثـانى ووجدتهـما قـد قسـمتا اللعـب بينهـما وصفَّتاهـا متكدسـة مـع سريـر ودولاب ملابـس ومقاعـد ومنضـدة للعرائـس عـلى النمـط الغـربى.

استغرقت الطفلتـان فى اللعـب ونسـيتا حالهـما وعلـت نـبرات أصواتهما دون أن تنتبهـا لنظـر "يوكيقـو" إليهما.

- "هذا بابا، هذه ماما".

وأمسـكت "روزمـارى" بيدهـا اليمنـى بدميـة عـلى شـكل ولـد، وبيدهـا اليـسرى دميـة أخـرى عـلى شـكل بنـت، وضغطـت بهـما عـلى جانبـى وجههـا وهـى تصيـح:

- "تشوووووو".

فى البدايـة لم تفهـم "يوكيقـو" مـاذا تفعـل الصغـيرة، ثـم حـين دققـت النظـر بـدا أنهـا تجعـل الدميتـين تقبِّلانهـا وهـى تقـول "تشـووو" معـبِّرة عـن الصـوت الـذى أرادتـه منهـما، ثـم قالـت "روزمـارى":

- "لدينا بيبى".

قالتهـا وهـى تخـرج دميـة لطفـل صغـير مـن أسـفل تنـورة العروسـة الأم، وظلـت تكـرر الكلـمات نفسـها لعـدة مـرات عـلى الحـال نفسـها "جاءنـا بيبـى، جاءنـا بيبـى".

يبـدو أن قولهـا "جاءنـا" تعنـى بـه "مولـود صبـى"، ففـى الغـرب يعلِّمون الأطفـال أن المولـود يـأتى بـه طائـر اللقلـق، ويضعـه عـلى غصـن الشـجرة

ويطـير كـما يسـمعون. وبينـما تفكـر "يوكيقـو" هـل تعـرف الطفلتـان كيف يولـد المولـود مـن بطـن أمـه، كبحـت جـماح نفسـها لتسـتمتع بالمشـهد وهـى تسـتمر بالنظـر خلسـة إلى مـا تفعلـه الطفلتـان.

—

الفصل التاسع عشر

في الماضي حين كانت "ساتشيقو" تقضي شهر العسل وسألها "تينوسوكيه" عما تحبه وتكرهه في المأكولات وأكثر ما تحبه من الأسماك، وهما في فندق ياباني الطراز بمدينة "هاقونيه"، وتعجب "تينوسوكيه" من إجابتها: "سمك المرجان"، وضحك للغاية لأن سمك "المرجان" نوع رائج للغاية. لكن بالنسبة إلى تفسيرها فإن هذا النوع من الأسماك من حيث شكله ومذاقه فهو أكثر سمك سماته يابانية خالصة، واليابانيون الذين لا يحبونه لا بد أنهم ليسوا يابانيين حقًا.

إن هذه الكلمات محفورة بصميم قلبها لأن إقليم الصعيد الذي ولدت به يتميز بأفضل مذاق للمرجان في اليابان بكاملها.

لذلك هناك فخر متخفٍ كامن وراء كونها من أكثر إقليم ياباني أصيل، وبالمثل أيضًا إن سألتها عن أكثر ما تفضله من الزهور فستقول الكرز دون أي تردد.

منذ قديم الأزل ودواوين الأشعار القديمة والمعاصرة بها أغانٍ عن أزهار الكرز التي تموت منها مئات الآلاف وتتساقط. الكثير من كبار السن ينتظر تفتحها ويفتقدها حين تذبل، الكثير من الأغاني يردد

هـذا مـرارًا وتكـرارًا، و"ساتشـيقو" وهـى طفلـة كانـت تظـن أن هـذه هـى الأغـانى التقليديـة العامـة، وكانـت تمـضى أوقاتهـا تقـرأ هـذه الأشـعار دون عنـاء، لكـن مـع مـرور الوقـت وبلوغهـا صـارت بـكل مـا فيهـا تـدرك أن كبـار السـن الذيـن ينتظـرون الـورود وقلوبهـم تشـتاقها حـين تطيـل الغيـاب هـم فقـط الفئـة التـى توصـف بـ"رقـى المشـاعر".

كل عـام كلـما جـاء الربيـع تطلب "ساتشـيقو" مـن زوجهـا أن يصطحبها هـى وأختيهـا وابنتهـما لـ"كيوتـو" لرؤيـة تفتـح الزهـور، ولم يقطعـوا هـذه العـادة منـذ عـدة سـنوات وأصبحـت عندهـم مناسـبة معتـادة منـذ أمـد غـير معـروف. مناسـبة بهـا يتغيـب "تينوسـوكيه" عـن عملـه و"اتسـوقو" عـن مدرسـتها، ولم يحـدث ولا لمـرة واحـدة ألا تجتمـع الأخـوات الثـلاث: "ساتشـيقو" و"يوكيقـو" و"تائيقـو".

بالنسـبة إلى "ساتشـيقو" ذبـول الـورود وتسـاقطها يضيـف إلى قلبهـا ذبـولاً كل مـدى حيـال عهدهـا بأختيهـا وهـن فتيـات صغـيرات، وكلـما جـاؤوا كل عـام تسـاءلت فى خاطرهـا تـرى أهـذه آخـر سـنة يشـاهدن الزهـور معًـا ومـع "يوكيقـو"؟! دون أن تخـرج أدنى كلمـة مـن بـين شـفتيها.

بـدا أن هـذه المشـاعر كلهـا بالمثـل لـدى "يوكيقـو" و"تائيقـو" أيضًـا، ولم تكـن أى منهـما لديهـا الشـغف نفسـه بالزهـور بأنواعهـا مثـل "ساتشـيقو"، لكنهـما عـادةً مـا تسـتمتعان بهـذه المناسـبة بداخـل قلبيهـما، وسرعـان مـا ينتظـر جميعهـم تفتـح الزهـور بعـد انتهـاء فـترة مهرجـان "أوميزوطـورى お水取り"، وحينهـا يرتـدون المعاطـف الرسـمية ووشـاح زىّ الكيمونـو، ورداء الكيمونـو الطويـل، ويصـيرون جميعهـم فى حالـة مفعمـة بالمشـاعر نابعـة مـن قلوبهـم تجعلهـم يخطفـون الأنظـار مـن حولهـم.

وأخـيرًا حـلَّ هـذا الفصـل، لكـن حتـى إن بـدأت رحـلات الأطفـال فى الأيـام المحـددة لرؤيـة الزهـور المتفتحـة، فإنهـم لا بـد لهـم مـن اختيـار

يومـى السـبت والأحـد فقـط للذهـاب بفضـل "تينوسـوكيه" والصغـيرة "اتسـوقو".

وهـا هـم ينتابهـم القلـق كالمعتـاد مثلـما كان يفعـل الكبـار حيـال الريـاح والأمطـار، إن كان سـيواتيهم الحـظ ليكـون موعـد ذهابهـم ذروة تألـق الزهـور. إن الـورود موجـودة بالجـوار مـن بيت "أشـيّا" ويسـتطيعون رؤيتهـا مـرة تلـو الأخـرى مـن نافـذة قطـار خـط "هـان كيـوو"[1]، فالأمـر لا يقتـصر فقـط عـلى منطقـة "كيوتـو"، لكـن "ساتشـيقو" ذات الـذوق الفريـد حتـى فى سـمك المرجـان وكونهـا لا تفضـل سـوى مرجـان سـواحل "أكاشى"، فإنهـا إن لم تـرَ زهـور "كيوتـو" لا تشـعر بأنهـا شـاهدت الزهـور. فى ربيـع العـام المـاضى أصرَّ "تينوسـوكيه" عـلى مـا هـو عكـس ذلـك واقـترح تغيـير المـكان فى هـذه المناسـبة، وخرجـوا وذهبـوا حتـى كوبـرى" كينتـاى"، وبعدمـا عـادوا قالـت "ساتشـيقو": "أشـعر كأنى أضعـت شـيئًا مـا وازداد إحسـاسى بأننـى لم ألتـقِ الربيـع بعـد مثـل كل عـام"، وتوسـلت إلى "تينوسـوكيه" ليذهبـوا إلى "كيوتـو"، وفى النهايـة كان لا بـد لهـم مـن اللحـاق بفـروع وعناقيـد الزهـور فى "أومـورو"[2]

فى هـذه الليلـة يكـون مبيتهـم بنـزل "فوياتشـوو"، ومـع شروق شـمس اليـوم التـالى يذهبـون إلى "أراشى يامـا"، وهـى المحطـة التاليـة لـ"سـاجا"، ويتوجهـون إلى "بيـت الشـاى" الـذى بمنتصـف الجزيـرة ويفتحـون مـا جلبـوه معهـم مـن طعـام ثـم يعـودون إلى المدينـة فى المسـاء ويشـاهدون زهـور حدائـق معبـد "هيـّان"، وتبعًـا للظـروف حينهـا قـد تعـود الأختـان مـع الصغـيرة "اتسـوقو" ويتركـن "تينوسـوكيه" و"ساتشـيقو" للمبيـت لليلـة أخـرى، وبهـذا يختتمـون أحـداث هـذه المناسـبة.

---

(1) خط قطار يذهب إلى محافظة " أوساكا".

(2) حى بمدينة كيوتو اسمه مشتق من حقيقة أن الإمبراطور "أوتا" شيد قصًرا وأطلق عليه اسم "أومورو"، وتشتهر هذه المنطقة بتأخر إزهار شجر الكرز، وبكونها منطقة خلابة ذات تلال صغيرة.

هـن عـادةً مـا يمكـثن حتـى آخـر يـوم مـن احتفـالات معبـد "هيـان جنجـو"، فالزهـور بحدائـق هـذا المعبـد هـى الأكـثر جـمالاً فى العاصمـة والأكـثر اسـتحقاقًا للمشـاهدة، فأزهـار حديقـة "ماروياما" جميعها شـاخت وتسـاقطت، وفى الحقيقـة وقتـما تذبـل كل عـام تظـل الأزهـار هنـا ولا شيء سـواها خـير سـفير للربيـع بالعاصمـة.

وعـلى هـذه الحـال، فهـنَّ فى مسـاء اليـوم الثـانى أو الثالـث يغـادرن مـن إقليـم "سـاجا"، وبالطبـع بمجـرد أن تغـرب شـمس الربيـع يخـترن سـاعة الغسـق ليودعـن مـا تبقـى منهـا، بعدمـا يكـنّ أمضـين منتصـف اليـوم يجوِّلـن تحـت أشـجار حدائـق المعبـد وضفـاف البحـيرة ونهايـات الجسـور ونـواصى الشـوارع وشـجر الكـرز، واحـدة واحـدة يقفـن عندهـا آسـفات إلى أن ينـال منهـن التعـب ويجـرّنَّ أقدامهـن جـرًّا.

شغفهن حقًّا لا ينتهى.

بعـد عودتهـن إلى بيـت "أشـييا" أيضًـا تظـل بمخيلتهـن وبـين أجفـان أعينهـن كلـما أغلقنهـا صـورة الأغصـان وألـوان الزهـور عـلى الأشـجار طـوال العـام كلـه وحتـى مجـىء ربيـع العـام التـالى.

كانـت الصغـيرة "اتسـوقو" لا ترتـدى أفضـل ملابسـها الحريريـة ذات الطباعـة والنقـوش والأكـمام الطويلـة سـوى مـرات معـدودة طـوال السـنة، وصغـر عليهـا رداء العـام المـاضى الـذى ارتدتـه لمشـاهدة الزهـور، لذلـك فمثـل هـذه الملابـس التـى لا تعتادهـا بـدت ضيقـة عليهـا هـذا العـام. إنهـا فى هـذا اليـوم عـلى وجـه الخصـوص تضـع القليـل مـن مسـاحيق التجميـل وتتغـير ملامحهـا، وتنتعـل القبقـاب اليابـانى التقليـدى "زورى".

بغرفـة الشـاى الضيقـة بمطعـم "هيسـاجوتيه"، بمجـرد أن جعلـوا الصغـيرة تجلـس ظهـرت ملابسـها الغربيـة التـى تحـت الـرداء اليابـانى، وخرجـت ركبتاهـا عاريتـين، وكان أمامهـم راهـب شـاب عاريـة سـاقه، فمازحهـا الكبـار قائلـين:

- "إنه يا اتسوقو الراهب الصغير بن تن".

كانت الصغيرة لا تزال لا يمكنها الإمساك بعصى الطعام بعد، وكانت تمسكها بطريقة الصغار العجيبة، وفوق ذلك كله تلتف الأكمام على رسغها. لعلها لهذا السبب تختلف طريقتها الآن عما وهى ترتدى الملابس الغربية، وبدا أنها ليست على حريتها فى تناول طعامها، بل بالحظ تستطيع الإمساك بعشبة الـ"كواى" التى بصحنها فتسقط من بين عصا الطعام وتتدحرج من حيث طرفها المبلل، إلى أن سقطت بالحديقة وجرت سريعًا على الطحالب العشبية الخضراء بالأرض، وهنا تعالت ضحكات الكبار و"اتسوقو" أيضًا، وكان هذا أول ما استطاعت فعله من تصرفات مضحكة فى هذا الموسم.

فى صبيحة اليوم التالى ذهبوا أولاً إلى ضفاف بحيرة "هيروساوا"، وتحت إحدى أشجار الكرز الممتدة أغصانها فى الماء وقف كلٌّ من "ساتشيقو" وابنتها "اتسوقو" ثم "يوكيقو" و"تائيقو" بهذا الترتيب. اقترح عليهن "تينوسوكيه" أن يُدخل فى الخلفية جبال معبد "هينچوو" ويلتقط لهن صورة بآلة تصويره من ماركة Leica.

تبادر إلى مخيلاتهن العديد من الذكريات وهن بين أزهار الكرز، منها أنه فى ربيع عام ما حين جئن إلى ضفاف هذه البحيرة كان هناك رجل نبيل لا يعرفنه معه آلة تصوير، طلبن منه أن يلتقط لهن صورة، وبالفعل أخذ لهن عدة صور وتحدث إليهن بلطف قائلاً إن كانت اللقطات جيدة سيرسلها إليهن، ودوَّن عنوانهن وانصرف، وبعد عشرة أيام أرسل إليهن صورة رائعة ولم يخلف موعده حقًّا.

كانت الصورة تحت هذه الشجرة، ويقف كلٌّ من "ساتشيقو" و"اتسوقو" وتنظر كلتاهما جهة البحيرة، وفى خلفية الصورة ماء البحيرة تعلوه أمواج رقيقة. كانت لقطة رائعة لحالة من النشوة بين أم وطفلتها وهما تطيلان النظر كلتاهما إلى الأخرى دون قصد، وتظهر

مشـاعرهما بالإعجـاب بالربيـع المزدهـر عـلى سـجيتها، وطـارت الزهـور المتناثـرة عـلى كُمَّـى رداء الصغـيرة.

إنهـن منـذ أن اعتـدن رؤيـة تفتـح الزهـور وهـن لا بـد أن يأتـين إلى ضفـاف هـذه البحـيرة ويقفـن تحـت شـجرة الكـرز هـذه، ولا ينسـين مطلقًـا تأمـل سـطح المـاء، والأكـثر مـن ذلـك أنهـن لا يغفلـن بتاتًـا عـن التقـاط الصـور لهـذا المشـهد. تظـل "ساتشـيقو" تتذكـر الـورود القرمزيـة بشـجر الكاميليـا الرائـع طـوال الطريـق بامتـداد السـور عـلى ضفـة البحيرة، وبالطبـع تتوقـف عنـد منبـع جـمال القرمـز.

يصعـدن الجـسر الـذى فـوق البحـيرة، ويمـررن مـن أمـام بوابـة معبـد "تنريووچـى" و"سـيريووچى" و"داى كاكـوشى"، وفى هـذا العـام أيضًـا جـئن إلى منطقـة جـسر "طوجتسـو".

مـن إحـدى عاداتهـن الغريبـة فى موسـم مشـاهدة النـاس للزهـور بالعاصمـة، أنهـن يصاحـبن عـادةً جموعًـا مـن السـيدات الكوريـات الـلاتى يرتديـن الـزى الكـورى بلـون واحـد داكـن، وهـن فى هـذا العـام أيضًـا يتجمعـن وكل منهـن تجلـس القرفصـاء بجـوار الزهـور التـى عـلى حافـة المـاء الجـارى تحـت جـسر "طوجتسـو" ويتناولـن طعامهـن، ومـن بينهـن مـن تثمـل مبتهجـة بخـلاف عـادات النسـاء هنـا.

فى العـام المـاضى تجمعـت عائلـة "ساتشـيقو" وفتحـوا لفائـف طعامهـم بمعبـد "دايهيكاكـو"، وفى العـام الـذى يسـبقه كانـت الأخوات الثـلاث بجوار الجسر، أمـا هـذا العـام فهـن قـد اخترن جبـال معبـد "هوورينچـى" الـذى بـه البودڤيسـتاڤا[1].

مـرة أخـرى عـبرن جـسر "طوجتسـو"، وهـن فى ممـر دغـل أشـجار الخيـزران شـمال معبـد "تنريوچـى" قلـن للصغـيرة أن تنظـر وتـرى أعشـاش العصافـير، وسرن نحـو معبـد بالحقـول وهبـت نسـمات الريـاح البـاردة

(1) المتعبدون على النهج البوذى والقادرون على الوصول إلى السكينة

فالمساء حلَّ سريعًا، وحين زرن غرف اعتكاف الناسكين تناثرت بالقرب منهن أعداد لا تحصى من زهور الكرز الموجودة عند المدخل. بعدها خرجن مرة أخرى أمام بوابة معبد "سيريوچى"، ومنها إلى ساحة "شاكادو" حيث استقللن قطار "أتاجو" من المحطة وعدن إلى "أراشيما".

بمرورهن على جسر "طوجتسو" لثالث مرة أخذن قسطًا من الراحة للمرة الأولى بعدما صرن بمحطة "كيتا تزوميه"، ثم استقللن سيارة أجرة إلى معبد "هيان چينجو"، وبدخولهن من البوابة شاهدن واجهة قاعة المداولات للقصر الإمبراطورى. ومن الردهة الغربية إلى حدائق المعبد ومع الخطوة الأولى التى اتخذتها أقدامهن دخلن المكان المخصص لتخزين جذوع الشجر الحمراء بوفرة.

دون أن يدرين ماذا حلَّ بزهور الكرز هذا العام وأشجارها العتيقة التى تعلن للخارج عن هذا الجمال، وبينما يراودهن القلق حيال ما إن كن تأخرن، تسارعت دقات قلوبهن وملأتها الشكوك وهن يجتزن بوابة الممر مثل كل عام، وها هن يجتزن البوابة هذا العام أيضًا وهن تتملكهن الظنون نفسها.

حين نظرن إلى أعلى إلى الغيوم الحمراء المتناثرة بأفق المساء قلن جميعهن على الفور مندهشات: "واااا"، وانطلقت صيحاتهن بالانبهار.

هذه اللحظة على وجه الخصوص هى التى تتربع على عرش الأحداث فى اليومين كلهما، والسعادة بهذه اللحظة هى التى ينتظرنها من عام إلى عام، ينتظرنها منذ أن حلَّ الظلام فى ربيع العام الماضى.

وأخيرًا اكتفين بهذا القدر وهن سعيدات، وبهذا اكتمل لقاؤهن فى موسم تفتح الزهور لهذا العام أيضًا.

تلقائيًا ودون أى شىء وفى الوقت نفسه تمنين أن يحالفهن الحظ ويرين الزهور هذه ربيع العام المقبل أيضًا. لكن "ساتشيقو" لحالها وحدها كانت تفكر هل العام المقبل حين يأتين تحت الشجر

والـورود، هـل سـتكون "يوكيقـو" صـارت زوجـة وتـأتى للتجـوال معهـم احتفـالاً بالربيـع، أم أن تفتـح الـورود هـذا العـام هـو آخـر مـرة لهـن معًـا، وسـتصير هـى وحيـدة؟ حتـى إن كان، فمـن أجـل "يوكيقـو" هـى تتمنـى ذلـك بـأى حـال مـن الأحـوال.

بصراحـة هـى فى ربيـع العـام المـاضى أيضًـا، وفى ربيـع كل عـام مـضى، كانـت حـين تقـف تحـت هـذه الأشـجار تجتاحهـا المشـاعر العميقـة، وكل مـرة تظـن أنهـا آخـر مـرة يجتمعـن معًـا. مـع ذلـك، فـلا عجـب أنهـا هـذا العـام أيضًـا تطيـل النظـر إلى "يوكيقـو" بجـوار الـورود عـلى ذاك النحـو، وبـلا داعٍ يعتـصر قلبهـا الألم وهـى تنظـر إلى وجـه "يوكيقـو" أمامهـا وتشـعر بأنهـا لا تسـتطيع تحمـل الأمـر.

بعدمـا ينتهـى أوان زهـور الكـرز تتفتـح البراعـم الرقيقة لأشـجار القيقب والبلـوط الأخـضر وتزدهـر، ويتـم تقليـم أشـجار الزنبق بشـكل دائرى.

جعـل "تينوسـوكيه" الفتيـات الثـلاث وابنتـه يـسرن أولاً ثـم تبعهـن حامـلاً آلـة تصويـره، والتقـط لهـن الصـور أينـما اعتـاد أن يفعـل.

على شاطئ بحيرة "بياكّو" حيث تتفتح أزهار السوسن،

عـلى صخـور جـسر "جاريـوو" ببحـيرة "صوريـو" حـين تنعكـس الظـلال عـلى صفحـة الميـاه، وبـكل مـكان اصطففـن فيـه تحـت أغصـان الزهـور المتفتحـة بالممـرات فى جبـل "قوماتسـو" غـرب بحـيرة "سـيهوو" وغيرهـا.

ومـع ذلـك صـار مـن عاداتهـن هنـا أن يجعلـن الغربـاء يلتقطـون لهـن الصـور مـرارًا وتكـرارًا كل عـام. الأشـخاص المهذبـون يقدمـون لهـن مـا يبتغينـه، والوقحـون يقطعـون المسـافة اللازمـة لالتقـاط الصـورة ويمـرون بـلا مبـالاة.

هـن يتذكـرن جيـدًا كل مـا فعلنـه العـام المـاضى بـكل مـكان، حتـى أدق تفاصيـل الأمـور المملـة كلهـا يتذكرنهـا كلـما جـئن إلى المـكان ذاتـه،

ويستمرُّ على النهج نفسه، فمثلاً يحتسين الشاى ببيت الشاى الشرقى ببحيرة "سيهوو"، ويلقين بطعام القمح المخصص للأسماك من فوق أسوار الجسور إلى سمك الشبوط الأحمر والذهبى.

على حين غرة ارتفع صوت الصغيرة "اتسوقو":

- "أمى. انظرى.. عروس".مكتبة سُر مَن قرأ

التفتن جميعهن ووجدن مجموعة أمام المعبد الشنتوى انتهت للتو من مراسم الزواج وخرجت من القاعة، والعروس تهم بركوب السيارة، والمتفرجون مصطفون على الجانبين يتابعون فى فضول.

هن فقط رأين من بين الباب الزجاجى طرحتها البيضاء ورداء زفافها المتألق يتلألأ.

فى الحقيقة هذه ليست المرة الأولى لهن التى ينضممن إلى الجموع هنا، فـ"ساتشيقو" كلما ورد لخاطرها شىء فعلته، و"يوكيقو" وتائيقو" كانتا فى حالة غير متوقعة من الهدوء. فى ذاك الحين اختلطن بالحشود التى كانت تنتظر خروج العروس، وظلت "ساتشيقو" تتحدث معهما عن كيف بدا رداؤها وزينة وجهها.

فى ذاك المساء مكث "تينوسوكيه" و"ساتشيقو" هما الاثنين فقط للمبيت ليلة أخرى بـ"كيوتو"، وفى اليوم التالى زار الزوجان دير "فودوإين"، الذى أنشئ بمجمع معابد "تاكاأو" فى العصور الذهبية، والذى كان يزوره والد "ساتشيقو"، فتذكرت حديثه مع الراهبة العجوز، ثم قضت وقتها مع زوجها فى هدوء لنصف يوم. هذا المكان مشهور بأشجار القيقب، لذلك فهى الآن سرعان ما كستها الأوراق الخضراء النضرة، وفقط أمام الحديقة بجوار جدول المياه بدأت تتفتح براعم زهور السفرجل، وارتشف الزوجان عذوبة الماء الصافى للجبال كل منهما من شفتى الآخر، واشتهيا ملء كئوسهما مرات عدة وهما يتأملان جمال المشهد، ونزلا فى مرج منحدر طويل.

كان طريـق عودتهـما يمـر مـن أمـام معبـد "نينـا چـى"[1]، وكانـت "ساتشـيقو" تعلـم أنـه مـا زالـت الزهـور الكبـيرة للكـرز لم تتسـاقط بعـد، فطلبـت مـن زوجهـا لـو فقـط يأخـذان قسـطًا مـن الراحـة تحـت الأغصـان ويتنـاولان بعـض المخبـوزات بسـاحة المعبـد، لكـن الشـمس بـدأت طريقهـا إلى المغيـب وإن حـلَّ الظـلام فـلا بـد لهـما مـن المبيـت لليلـة أخـرى، وهـما يعلـمان ذلـك جيـدًا مـن خبراتهـما السـابقة فى كل مـرة، فأسرعـا إلى محطـة "شـيتشى چـوو" وقلبهـا متعلـق بـكل مـكان خطـت فيـه أقدامهما، "سـاجا" و"ياسـيه أووبـارا" و"كيوميـزو"، وأدركا المحطـة بعدمـا تعـدت السـاعة الخامسـة مـن مسـاء ذاك اليـوم.

بعـد مـرور أيـام، كانـت "ساتشـيقو" كلـما خـرج زوجهـا لعملـه تدخـل مكتبـه لترتبـه، لكـن صدفـة وجـدت ورقـة خطابـات ملقـاة عـلى جنـب ومكرمشـة[2]، ففتحتهـا ووجـدت بهـا هـذه العبـارات مكتوبـة فى عجالـة وبقلـم رصـاص فى الهامـش:

فى "ساجا" فى يوم مشهور فى شهر أبريل

خير الأناس بأبهى الملابس متوافدين

فتفتُّح الزهور بـ"ساجا" ما له مثيل

كانـت "ساتشـيقو" هـى أيضًـا تؤلـف الأشـعار وهـى طالبـة، وحتـى وقـت قريـب كانـت تـدوِّن خواطرهـا فى مذكِّـرة تأثـرًا بزوجهـا، وكانـت تجـد المتعـة فى ذلـك، لكنهـا حـين قـرأت مـا دوَّنـه زوجهـا ثـار شـغفها عـلى نحـو غـير متوقـع، ومنـذ أيـام عـدة وهـى لا يسـعها أن تجمـع كل مـا فى مخيلتهـا عـن معبـد "هييـان چينجـوو"، ثـم لخَّصـت أفكارهـا بعـد قليـل مـن الوقـت كالتـالى:

---

(1) "المعبـد الرئيـس لطائفـة "shingon" البوذيـة، ويقـع غـرب "كيوتـو". تأسـس فى عـام 888 ميلاديًـا وتعتـبره اليونسـكو أحـد مواقـع الـتراث العالمـى.

(2) اسم مفعول من فعل كرمش- يكرمش- كرمشة بمعنى يجعده ويضم بعضه إلى بعض.

رأيت الورود فى "هيان چينجوو" متناثرة

زهور متساقطة للربيع مفارقة

أخبأتها سرًّا لتظل لى مرافقة؟

أضافت أبيات الشعر هذه بالقلم الرصاص فى الهامش بعد شعر زوجها، ووضعت الورقة مفتوحة بمكانها نفسه فوق المكتب. حين عاد "تينوسوكيه" إلى بيته فى المساء ودخل مكتبه لم يتحدث بأى شىء يفصح عن انتباهه للأمر، و"ساتشيقو" أيضًا نسيته.

لكن فى صباح اليوم التالى حين ذهبت "ساتشيقو" لترتيب غرفة المكتب كعادتها، وجدت الورقة بمكانها كما كانت فى الأمس، وإنما بعد أشعارها دوّن "تينوسوكيه" بخط يده الكلمات التالية:

فى النهاية رأينا من الزهور بتلات

فى الخفاء هى للربيع السعيد رفات

الفصل العشرون

- "عزيزى.. هيا فلتكملها، إن بذلت مزيدًا من الجهد فقط على هذا النحو ستبدع".
- "فعلاً، ولكنى إن فعلت لن يسعنى أن أتوقف".

صباح الأحد، وفى ذلك اليوم، أراد "تينوسوكيه" أن يدعو زوجته مرة أخرى لمشاهدة الأشجار النضرة مثلما فعلا بـ"كيوتو" فى الشهر الماضى حين ذهبا لرؤية الورود المتفتحة، لكن "ساتشيقو" منذ ذاك الصباح وهى فى مزاج سيئ وجسدها متعب دون سبب يذكر، فأجّلا الخروج، وفى المساء تحمسا لإزالة الأعشاب الضارة من الحديقة.

حينما تملكا هذا المنزل لم يكن كل العشب بهذه الحديقة قد نما بعد، لكن المالك السابق حذَّرهما إن تركا العشب ينمو فلن يمكنهما حصره، وكان ذلك فى اتفاق البيع ولكنهما لم يأخذا بالنصيحة، و"تينوسوكيه" هو من دعَّم إنباته. والآن الأمر صار ذا شأن وكل مدى يزداد سوءًا مقارنةً بأى مكان آخر، وبالفعل خضاره تأخر عن المعتاد، وإنما "تينوسوكيه" يأخذ على عاتقه مسئوليته لأنه هو من أيَّد وجوده، فهو يعتنى بالعشب عناية فائقة، لكن من أسباب سوء

نمـوه أنـه منـذ أن بـدأت براعمـه فى الظهـور فى أول الربيـع والعصافـير تـأتى عليـه وتلتقطـه وتأكلـه. حـين اكتشـف "تينوسـوكيه" ذلـك وهـو يـبذل قصارى جهـده لمنعهـا. بمجـرد أن يحـل فصـل الربيـع كل عـام تصير مهمته ملاحقـة العصافـير وتفريقهـا وإلقـاء كل مـا تطالـه يـده مـن حـصى عليهـا، وتنزعـج أسرتـه أيضًـا حتـى إن أخواتـه بالقانـون كثـيرًا مـا يقلـن: "هـا قـد جـاء موسـم رمـى الحـصى لـدى أخينـا".

أيضًـا حـين تنـشر الشـمس دفئهـا، وتهـب الريـاح مـن وقـت للآخـر مثلـما حـدث اليـوم، يرتـدى بنطـال عمـل وغطـاء رأس للبحـر ويأخـذ أمامـه عربـة وحقيبـة الراعـى وبآلـة جـزّ العشـب يبـدأ فى تشـذيبه.

- "عزيزى.. نحلة، نحلة كبيرة".
- "أين؟!"
- "إنها هناك".

لقـد تمكنـوا مـن حجـب الشـمس بالـتراس بوضعهـم للسـتائر كـما فعلـوا العـام المـاضى.

مكثـت "ساتشـيقو" فى الظـل عـلى مقعـد مـن الجلـد وخشـب السـندر، لكـن النحلـة جـاءت خلسـة عـلى كتفهـا ثـم اتخـذت لهـا موضعًـا فـوق طبـق مقليـات صينيـة، وبعدهـا دارت لمرتـين أو ثـلاث حـول أصيـص لزهـرة الفاونيـا وطـارت نحـو زهـور حمـراء وبيضـاء متفتحـة مـن فصيلـة زنبقيات "هـيرادو"، وظلـت تطـن بأزيزهـا.

حمـل زوجهـا شـوكة العشـب ودخـل شـيئًا فشـيئًا فى العتمـة بـين الأغصـان السـميكة والأوراق الكثيفـة للبلـوط والخيـزران بطـور السـياج السـلكى عـلى حـدود حديقتهـم، حتـى صـارت لا تـراه مـن مكانهـا ولا يظهـر منـه إلا طـرف قبعتـه الكبـيرة مـن بـين مجموعـة زهـور "هـيرادو".

- "الناموس أعظم شأنًا من النحل، إنه يلدغ من فوق القفازات".

- "حسنًا. فلتكتفِ بهذا القدر إذًا".
- "دعكِ من ذلك وأخبرينى لمَ أنتِ فى مزاج سيئ اليوم، ماذا حدث؟"
- "متعبة وسأخلد إلى الفراش، وإن لم تأتِ لأكثر من ذلك سأبتهج ويصفو بالى".
- "متعبة! ماذا بكِ؟"
- "رأسى ثقيل، أشعر بالغثيان وبالخمول فى أطرافى. ماذا تظن؟ أهى أعراض لمرض عضال؟"
- "ماذا تقولين؟ إنه مجرد تعب أعصاب". ثم أضاف "تينوسوكيه":
- "حسنًا. اكتفيت".

قالها بصوت يملؤه الشعور بالارتياح، ونهض رافعًا الأوراق القاسية للخيزران وألقى بالسكين التى معه لزوم تقطيع الجذور التى أمام العربة، وخلع قفازيه، وجفف عرقه بظهر يده التى بها لدغة الناموس، وعلى الفور انحنى ممدًا فقرات ظهره، وبعدها فتح صنبور المياه بجوار حوض الزهور وغسل يده.

- "أليست بعوضة؟"

قالها وهو يصعد داخلاً للتراس ويحك رسغه بشدة حيث تورم واحمرَّ لونه.

- "الربيع حلَّ ومعه البعوض".

صاحت بها "ساتشيقو" وهى تتوجه للداخل، وبعد وقت عادت مرة أخرى ونزلت إلى الحديقة، وهذه المرة بدأت فى التقاط أوراق الزهور الذابلة.

هذه الزنبقيات كانت منذ أربعة أو خمسة أيام فى أوج تفتحها، وهى الآن قد ذبلت فى غضون 6 دقائق وأصبحت قبيحة متسخة

ومنفصلة عن الزهور البيضاء وهى ملطخة بلون أصفر كالنفايات، ومع ذلك كانت تلتقطها "ساتشيقو" واحدة واحدة برفق وتلقيها بحرص، وبعدما تبقت سداة الزهرة[1] كما لو أنها لحية قطعتها هى أيضًا بعناية.

- "أوف! جاء البعوض"، قالتها وهى تكمل ما تقوم به ثم استطردت:

- "المكان يلزمه تنظيف".

بمجرد أن جاء "تينوسوكيه" بجوار زوجته وهو يحمل حاوية مصيدة الناموس صاح:

- "يا للهول!"، ونظر بداخل عينيها.

- "ماذا؟"

- "إنه هنا، المكان ذو اللون الأبيض بعينيكِ".

لقد كانت تخفيه الشمس والآن تحت الظل وقبل أن يحل الظلام حين أخذها "تينوسوكيه" لحافة التراس وأوقفها فى أشعة شمس الغروب، قال:

- "إن ما بداخل عينيكِ أصفر اللون".

- "أصفر!"

- "نعم. بياض عينيكِ صار باللون الأصفر".

- "إذًا، ماذا عساى أن أفعل! أيكون مرض اليرقان[2]؟ إنى لا أدرى".

---

(1) العضو الذكرى بالزهرة.

(2) اليرقان JAUNDICE هو مرض اصفرار الجلد والأغشية الملتحمة فوق بياض العين والأغشية المخاطية الأخرى، وذلك بسبب ارتفاع البيليروبين فى الدم، والاسم الدقيق لهذه الحالة هو "اصفرار الملتحمة".

- "لا أدرى. هـل أكلـتِ شـيئًا مليئًـا بالدهـون؟ ألم تـأكلى شرائـح اللحـم بالأمـس؟"
- "بالضبط. هل تظن بسببها؟"
- "مممـم. لا أدرى إن كان كذلـك أم لا، ولكـن إن كنـتِ تشـعرين بالإعيـاء والغثيـان فبـلا خـلاف هـذا هـو اليرقـان".

أصـاب "ساتشـيقو" الذهـول مـما قالـه زوجهـا بـلا داعٍ، ولكنهـا لا تقلـق إلى هـذا الحـد حيـال مـا إن كان هـو "يرقـان" أم لا، بـل عـلى العكـس سريعًـا مـا دبَّ بهـا النشـاط وبـدت بعينيهـا السـعادة.

- "حسنًاإذًا. دعينى أرى".

وضع "تينوسوكيه" جبهته على جبين زوجته وقال:

- "أليسـت حرارتـك مرتفعـة؟! هيـا، حالتـك سـيئة. اسـتلقِ فى الفراش هيـا وليأتِنـا السـيد كوشـيدا ليتفحصك".

واصطحبها للدور الثانى وعلى الفور أجرى المكالمة الهاتفية بنفسه.

إن السـيد "كوشـيدا" طبيـب لديـه عيادتـه الخاصـة بالقـرب مـن محطة "أشـياجاوا"، وهـو ماهـر فى التشـخيص وذو موهبـة متميـزة. إنـه صـار ذائع الصيـت للغايـة بالمنطقـة ويظـل يوميًـا لمـا بعـد السـاعة الحاديـة عـشرة ليـلاً يجـول بـين الزيـارات الطبيـة المنزليـة دون حتـى أن يتنـاول عشـاءه، لذلـك فهـو ليـس مـن السـهل إطلاقًـا إيجـاده، وعليـه، فبمجـرد أن قـال "تينوسـوكيه": "فليأتِنـا"، هـمَّ ذاهبًـا إلى الهاتـف فى الحـال. أجابـه الممـرض الـذى يعمـل لديـه منـذ زمـن طويـل: "أوتشـيهاشى"، ونـادى الطبيـب بعـد إلحـاح "تينوسـوكيه". لكـن حتـى مـع ذلـك فإنـه إن لم يكـن المـرض خطـيرًا لـن يأتيهـم عـلى الفـور كـما يرغبـون بـل سـيتجاهل الأمـر، ولذلـك اتبـع "تينوسـوكيه" سياسـة التهويـل وهـو يصـف لـه الحالـة بالهاتـف.

في ذاك اليوم أيضًا بعدما تعدت الساعة العاشرة وهم ما زالوا في انتظاره ظنوا أن السيد "كوشيدا" تناساهم، ولكن في اللحظة نفسها وقبيل الساعة الحادية عشرة بقليل سمعوا صوت توقف سيارة.

- "بلا شك هذا يرقان".
- "إنها أكلت الكثير من شرائح اللحم بالأمس".
- "ذاك هو السبب. أنكِ أكلتِ الكثير بوجبتك. من الأفضل تناول الحساء يوميًّا".

كان السيد "كوشيدا" شخصًا أسلوبه في الحديث مألوف ويميل إلى الفكاهة، وبسبب انشغاله الدائم تجده يجري فحوصه الطبية بسرعة وسلاسة، وهكذا يأتي ويذهب في عجالة كالريح.

منذ اليوم التالي و"ساتشيقو" تمضي حياتها مستلقية بغرفة بالمشفى، وبصرف النظر عن كونه مرضًا غير مؤلم فإن الوضع كان سخيفًا وحالها كل مدى تسوء. من إحدى السخافات أيضًا أن الطقس كان كئيبًا، فقد كان الوقت قبيل الفصل المطير والجو حار عالي الرطوبة لا يصفو ولا يمطر، وربما بسبب استمرار ذاك الطقس السئ انتابها إحساس كأنها ليس لها مكان لتأوي إليه، ولأنها لم تستطِع الاغتسال لبضعة أيام جعلتهم يأتونها بمنشفة مبللة بالكحول ويبدلون لها ملابس نومها التي اتسخت بالعرق.

جعلت خادمتها "أوهارو" تفرك لها ظهرها، وفي ذاك الحين جاءت طفلتها ووقفت عن بُعد وسألتها:

- "أمي، المزروع هنا بين السريرين، ما هذه الزهرة؟ هل هي زهرة الخشخاش؟"
- "ماذا!"

- "حين أنظر بداخلها أشعر كأنها ستبتلعنى".
- "حقًا!"

بالطبع للأطفال أحاديثهم الواعدة، وهى بخلاف وضعها ووجودها بالمشفى أصبحت تمسك برأسها وينتابها ألم شديد، والسبب أمام عينها مباشرةً، فالصغيرة لم تتوقف عن السؤال "ولمَ هذا هنا؟" وغيرها من أسئلة على الشاكلة نفسها ظلت تطرحها. كلامها كله يدور حول أنه بالتأكيد هناك سبب لوجود زهرة الخشخاش بين السريرين، وهذه الزهرة حين تتفتح فى الحقول يكون لها جمالها الخاص، وإنما هكذا هى وردة واحدة فقط موضوعة بين سريرين وتعيش فى مزهرية. مجرد رؤيتها فقط تعد شيئًا مرعبًا، "ستبتلعنى"، واستفاضت "اتسوقو" فى رص كلماتها على ذاك النحو.

- "فى الحقيقة، أنا عن نفسى لدى الشعور نفسه، وإن كان على الكبار أن يقولوا العكس".

قالتها "يوكيقو" متعجبة، وأول شىء فعلته هو أنها أنزلت تلك الزهرة وبعدها جاءت بأصيص زهور الزنبق وزنبق النجمة الحمراء وبدأت تنسقها. كان الألم الشديد الذى تعانى منه "ساتشيقو" يجعلها لا تريد أى شىء على الإطلاق، ولكن زوجها علّق بسريرها أبياتًا شعرية ذات سجع كانت دائمًا تطلبها منه ليبعث بها بعض الحيوية، فكتب لها:

فصل قصير يمر سريعًا

فى "كاجاواكا جيه كى" المساء مطير

مساء مطير فى أعالى "أتاجو" ترعاه غيوم نهر "كيوتاكى كاوا"

ويبدو أن الأجواء تلك بغرفة المشفى كان لها بالغ الأثر، ففى اليوم التالى صارت "ساتشيقو" مزاجها فى خير حال، وفى المساء وبعد الساعة الثالثة رن الجرس وبدا أن هناك زائرًا قادمًا لها وسمعت

وقع الأقدام، وبالفعل جاءتها "أوهارو" تخبرها بوجود زوجة السيد "نيوو" وبصحبتها سيدة تدعى "شيموتزوما" وأخرى تدعى "ساجارا" بالاستقبال.

لم تلتقِ "ساتشيقو" بعائلة "نيوو" منذ زمن طويل، ولكنهم ذهبوا لزيارتها مرتين فى أثناء غيابها لذلك جاؤوها بالمشفى، لكن "ساتشيقو" قالت يا ليتها جاءت وحدها كانت صعدت لغرفتها، فالسيدة "شيموتزوما" ليست من صديقاتها المقربات، وعلاوة على ذلك هى لم تسمع باسم "ساجارا" من قبل، ما جعلها ترتبك قليلاً. إنها بالطبع كانت تفضل أن تظهر "يوكيقو" بدلاً منها، لكن الأخيرة قطعًا لا تأخذ أى دور أمام غرباء أو أناس لا تعرفهم. إن استغلت "ساتشيقو" ظروف مرضها واعتذرت عن عدم لقاء الضيوف سيصبح الأمر لا يغتفر فى حق أسرة "نيوو" التى تأتيها كل مرة عبثًا.

إنها أيضًا تعانى من الملل الشديد، لذلك كانت فى حالة سيئة ومن حين إلى آخر تغفو وتستيقظ مرارًا وتكرارًا ما جعلها لا بد لها أن تعتذر عن هيئتها غير المرتبة. على أى حال هن فى الاستقبال بالأسفل، فسارعت "ساتشيقو" بالجلوس أمام مرآتها وأخذت تمسح وجهها وتربِّت على بشرتها بمساحيق التجميل البيضاء واستبدلت بثيابها رداء كيمونو صيفى، واستغرقت ثلاثين دقيقة حتى تنزل لمقابلتهن.

- "دعينى أقدم لكِ، هذه هى زوجة السيد ساجارا".

قالتها السيدة "نيوو" لـ"ساتشيقو" وأشارت لها بإحدى عينيها وأضافت: "معروف أنها عادت للتو من الخارج"، وكانت سيدة ملابسها على الطراز الأمريكى الخالص.

- "إنها صديقتى منذ عهدنا بمدرسة البنات. زوجها موظف بشركة ملاحة بحرية، لذلك حتى وقت قريب كان مقر إقامتهما فى لوس أنجلوس".

- "أهلاً وسهلاً".

قالتها "ساتشيقو" وعلى الفور ندمت على لقائها هؤلاء الضيوف، فهي حتى إن لم تفكر في أول لقاء لها معهن وهي هزيلة هكذا بسبب المرض، فهي بكل حال من الأحوال لم تظن مطلقًا أن تلك السيدة مذهلة إلى هذا الحد وأنيقة على أحدث صيحات الموضة أيضًا.

- "إنكِ مريضة.. ممَ تعانين؟"

- "إنه اليرقان. انظري، حول حدقتي عينَي إنه أصفر اللون".

- "فعلاً إنه أصفر للغاية. ألا تشعرين بالإعياء؟" سألتها السيدة "شيموتزوما".

- "فعلاً، لكن اليوم تحسنت كثيراً".

- "عذرًا، لقد أزعجناكِ بمثل هذا الوقت. نيوو ألا تراعين؟ هيا، أولى بنا الانصراف".

- "ماذا؟ وبسببي ستظن أننا أناس سيئون؟ كلا يا سيدتي ماكي أوكا، في الحقيقة لقد وجدت السيدة ساجارا بالأمس فجأة وهي لا تعرف شيئًا بإقليم كانساي، ولذلك فأنا أتولى مهام الدليل وقلت لها سأجعلك تقابلين سيدة هي مثال للعصرية كلها من أوساكا إلى كوبيه، ولديها كل شيء تتمنين رؤيته".

- "ماذا؟ مثال؟ ماذا تعنين بقول مثال؟"

- "يا للإحراج. أعني (مثال) بمختلف المعاني، ولقد فكرت طويلاً وفي النهاية وقع اختياري عليكِ".

- "أبدو حمقاء".

- " بالتأكيد بسبب ما تعانينه من مرض فلن تتفضلى بمشاركتنا.. إذًا.."

قامت السيدة "نيوو" ووضعت أغراضًا فوق مقعد البيانو، وفكَّت رباطًا حول صندوقين أحدهما فوق الآخر مملوءين بثمار طماطم رائعة كبيرة وجميلة للغاية.

- "هذه من السيدة ساجارا".
- "ماذا؟ يا لها من ثمار جميلة، من أين أتيتِ بها؟"
- "إنها من ثمار منزل السيدة ساجارا، وهى لا تبيعها".
- "آه الأمر هكذا! عفوًا. السيدة ساجارا أين تسكن؟"
- "فى كيتا كاماكورا، ولكنى عدت العام الماضى ولم أمكث بذاك المنزل سوى شهر أو شهرين فقط".

كانت السيدة "ساجارا" كلما قالت "فقط" أو "لذلك" قالتها بطريقة غريبة، حتى إن "ساتشيقو" ذاتها لا تستطيع تقليدها، لكن إن سمعتها "تائيقو" الموهوبة فى مثل هذه العادة لأصبح الأمر مضحكًا لدرجة لا تحتمل.

- "إذًا أين ذهبت أو قمت بجولات؟"
- "دخلت المشفى لبعض من الوقت".
- "ماذا؟ممَّ تعانين؟"
- "انهيار عصبى حاد".
- "يا ساجارا إنه مرض المرفَّهين".

هكذا التقطت السيدة "شيموتزوما" أطراف الحديث.

- "لكن مهما كانت المدة التي مكثت بها بمشفى سيروكا فالأمر لا بأس به. الجو منعش فالبحر قريب خصوصًا أن المكان هناك جميل، لكن لأنه قريب أيضًا من السوق المركزي للبلدة فمن حين إلى آخر تأتي الرياح برائحة السمك، وكانت تأتي إلى مسامعي أيضًا أجراس معبد هون چان چي".

- "معبد هون چان چي له مبنى رائع، فلنذهب إليه يومًا وندق أجراسه".

- "واااا، حقًّا سنفعل!"

- "وماذا بها؟ حتى لو كان صفير إنذار وليس جرسًا سنطلقه أيضًا".

- "وبعدها ندق أجراس الكنيسة أيضًا".

- "حسنًا".

قالتها "شيماتزوما" في عجالة وتنفست الصعداء ثم أضافت:

- "إني سأصير ممرضة بمشفى سيروكا، ما رأيكما؟"

- "أظن أنه جيد حقًّا".

وتملصت السيدة "نيوو" من الحوار بسلاسة، لكن "ساتشيقو" بلغت مسامعها الشائعات حول أن السيدة "شيموتزوما" لا تعبأ بشئونها العائلية، وشعرت الآن بالدلالات الخفية لهذه الكلمات.

- "حسنًا، إذًا إن كان ما لديكِ هو اليرقان فإنه يفضل وضع كرات الأرز تحت الإبط".

- "ماذا؟"

قالتها السيدة "ساجارا" وهي تشعل قداحتها وتنظر إلى وجه السيدة "نيوو" في شك وحيرة وأضافت:

- "إنكِ تعرفين أشياء في غاية الغرابة".

- "إن وضعتِ كرات الأرز تحت الإبطين سيصير لونها أصفر حتى إنكِ ستظنينها اتسخت".

هكذا قالت السيدة "شيموتزوما".

- "سيدة ماكى أوكا هل تفعلين ذلك؟"

- "كلا. أنا للمرة الأولى أسمع هذا الحديث. أعلم فقط أنه يفضل شرب الحساء".

فقالت السيدة "ساجارا":

- "يا له من مرض غير مكلف سواء بهذا أو بذاك".

ظنت "ساتشيقو" أنه ما دام جئن لها بهدية أعجبتها هكذا فلا بد لها من أن تدعوهن للعشاء وتعد الإعدادات اللازمة، لكنه ما زال هناك ما يقارب الساعتين على موعد العشاء، فتراجعت عن توقعاتها وتظاهرت بالتعب الشديد.

بالنسبة إلى "ساتشيقو" النماذج التى على شاكلة السيدة "ساجارا" هى شىء ردىء من حيث شخصيتها وسلوكها وأسلوب كلامها وهيئتها، مهما كانت تتبع صيحات "طوكيو" فى أحدث الماركات وأجودها.

إنها أيضًا كانت بين سيدات "هانشين"(1) حين تجد منهن من تستخدم لكنة "طوكيو" بطلاقة تأتى أمامهن يخيب أملها، وبدلاً من أن تشاركهن الحديث ينتابها شعور بأن كل ما هو بلكنة "طوكيو" ردىء، وبالعكس تتمسك باستخدام كلماتها المحلية عن عمد، وعلى هذا النحو حتى مع السيدة "نيوو"، فـ"ساتشيقو" من عادتها دائمًا أن تتكلم بلكنة "أوساكا"، واليوم المجموعة كلها ترغب فى استخدام لكنة "طوكيو"، فظلت هى وحدها ولا تبالى بالتقرب إليهن. أما السيدة "نيوو" فهى أمضت طفولتها فى "أوساكا" وبدأت علاقتها بـ"طوكيو"

---

(1) عاصمة محافظة أوساكا".

حين التحقت بمدرسة بنات هناك واختلطت كثيرًا بأهلها، فلم يعد من الغريب أن تتحدث هذه اللكنة بطلاقة.

فوق كل شيء، حين نزلت إليهن "ساتشيقو" بعدما تأخرت عليهن طويلاً، تفاجأت بما لم تكن تعرفه بعد، وهو أن السيدات صرن يستخدمن نظرات الأعين، ويقلبن شفاههن ويمسكن بالسيجارة بين إصبعي الوسطى والسبابة للتدخين في هدوء.

لهجة "طوكيو" إن لم تستخدم منذ البداية مع التصرفات والتعبيرات سيبدو أنك لا تعتادها، وللوهلة الأولى سيظنون أنك شخصية سيئة، وإنما "ساتشيقو" من الشخصيات التي لا تفشل إطلاقًا مهما طال صبرها وظلت لا تحرز تقدمًا، لكن في ذاك اليوم تحديدًا حين سمعت ثرثرتهن هن الثلاث شعرت بالضيق وصار الأمر كريهًا ومزعجًا للغاية واتضح هذا على لون وجهها، لذلك بادرت السيدة "شيموتزوما" بحركة لماحة ونهضت وأجبرتهن دون أن تتراجع وهي تقول:

- "عفوًا، هيا نيوو، الأمور ليست على ما يرام. نستأذنك، هيا بنا".

الفصل الواحد والعشرون

لم تكن رحلة "سانشيقو" من المرض للشفاء قاسية للغاية، وإنما هى لم تتماثل للشفاء سريعًا، وكما بدا فإن تعافيها امتد حتى بداية الفصل المطير.

فى يوم ما تلقّت مكالمة هاتفية من أختها الكبيرة ببيت العائلة تود زيارتها للاطمئنان على صحتها، ولكنها فى الوقت نفسه سمعت أمرًا مفاجئًا، أن أخاها بالقانون نال ترقية وأصبح مديرًا لفرع بـ"طوكيو"، ولا بد لهم فى القريب العاجل من الانتقال من بيت العائلة فى "أويه هون ماتشى" إلى "طوكيو".

- "ممم.. وهذا متى؟"

- "أخوكِ سيستلم مهام منصبه الجديد من الشهر المقبل، وعليه فى البداية أن يذهب وحده دوننا إلى أن يتدبر أمر مسكن ثم سألحق به أنا فيما بعد، فأنا ما زلت عالقة بشأن مدارس الأطفال، وقد تمتد الحال هكذا حتى شهر أغسطس".

وبينما تروى هكذا اختنق صوتها بالبكاء، وكان هذا ملحوظًا حتى عبر الهاتف.

- "وهل حدث هذا فجأة؟"
- "بالضبط. إنه فجأة، حتى إن أخاكِ لم يسمع أى شىء عنه من قبل".
- "الشهر المقبل! موضوع سريع للغاية. وماذا عن بيت أوساكا؟"
- "لا أدرى. ما زلنا نفكر. إن الذهاب إلى طوكيو أمر لم أفكر فيه حتى فى أحلامى".

إن الأخت الكبيرة التى من عاداتها دائمًا الحديث طويلاً عبر الهاتف، وتقطع المكالمة ثم تعاود الاتصال والثرثرة مرة أخرى ومرة تليها، هى منذ ميلادها لم تبتعد ولو لمرة واحدة عن أرض "أوساكا"، وبعدما صارت فى السابعة والثلاثين من عمرها صار لا بد لها أن تفعل.

استمرت شكواها على مَرّ ثلاثين دقيقة أخرى فى المكالمة بها ألم لا ينتهى.

بالنسبة إلى الأخت الكبيرة كل الأقرباء وزملاء زوجها بالعمل وغيرهم الكثير من الناس الذين يهنئون بالترقية ليس فيهم واحد -حتى واحد- يتفهم إحساسها. إن تجاهلتهم سيقولون عنها قديمة الطراز وعفا عليها الزمن والنهاية هى هى ذاتها لا أحد يشد أزرها حقًا ويتبسم فى وجهها مجاملاً.

بالنسبة إلى هؤلاء كلهم هذا ليس انتقالاً إلى بلد أجنبى بعيد مثلاً أو حتى إلى مناطق ريفية نائية، بل إنه عمل بقلب "طوكيو" التى هى مقاطعة إمبراطورية غنية عن التعريف، فما الذى يمكن أن يكون محزنًا فى ذلك؟

إنها حين فكرت وبحثت فى مكنون نفسها وجدت أنها بكل حال من الأحوال حزينة، حزينة حتى على فراق مناطق "أوساكا" التى اعتادت سكناها، وبانهمار دموعها صار الأمر مضحكًا حتى بالنسبة إلى الأطفال.

حتى حين أخبرت "ساتشيقو" وذهبت إليها وهى لا تزال متشككة، "ساتشيقو" أيضًا لم يسعها إدراك مشاعر أختها الكبيرة.

أختهن الكبيرة هى التى سرعان ما صارت بديلاً لأمهن ترعى أخواتها الصغيرات وأبيهن، وبموت والدهن وبعدما صارت أخواتها فى سن الرشد وجاءها عريسها صرن كأبنائها، وتمحور دورها مع زوجها حول استعادة أملاك الأسرة التى تتهاوى.

بين الأخوات الأربع هى الأكثر تحملاً للمشاق، أو بالأصح هى أكثرهن تلقيًا للتعليم القديم، وهى الابنة الحبيسة للعقلية الأصيلة القديمة، وتتمسك بها للآن، ولهذا فليس من الغريب أنها حتى هذا الحين مع زوجها الذى يعد من الطبقة الوسطى، وبعدما صارت فى السابعة والثلاثين من عمرها، لم ترَ "طوكيو" ولو لمرة واحدة فى حياتها.

الشائع فى "أوساكا" أن بنات العائلات لا يخرجن للتجوال فى رحلات مثل بنات "طوكيو"، وحتى أختيها الصغيرتين اللتين بعد "ساتشيقو" نادرًا ما تذهبان للتنزه شرق "كيوتو"، لكن أخواتها الثلاث لديهن تجربة الذهاب إلى "طوكيو" لمرة أو مرتين، فقد كانت لديهن فرصة الذهاب مع الرحلات المدرسية.

لكن الأخت الكبيرة سريعًا ما جعلتها الظروف مسئولة عن شئون الأسرة، لذلك لم يسعها الوقت لتذهب فى رحلات وغير هذا.

من ضمن الأسباب أيضًا أنها كانت على قناعة بأنه ليست هناك أراضٍ أجمل من "أوساكا"، ففى الفنون لديهم ممثل الكابوكى الشهير "جانچيروو"، وفى المطاعم والأكلات لديهم "هارى بان" أشهر وأقدم

مطعـم. ولأنهـا لم يسـبق لهـا الذهـاب إلى أماكـن لم تعرفهـا مـن قبـل، فإنهـا كانـت حتـى لـو سـنحت لهـا فرصـة لتفعـل كانـت تقدمهـا لأخواتهـا الصغـيرات وتفضـل المكـوث بالبيـت، مقتـصرًا دورهـا عـلى الـرد عـلى الهاتـف في أثنـاء غيابهـن.

أمـا بيـت العائلـة في "أويـه هـون" الـذي تسـكنه حاليًـا فهـو الآخـر عـلى طـراز "أوسـاكا" الأصيـل. بمجـرد العبـور مـن بوابـة السـور العـالي تجـد منـزلاً قائمًـا بذاتـه، واجهتـه بهـا النوافـذ ذات الإطـارات المتشـابكة والحديقـة ممتـدة مـن المدخـل وحتـى البوابـة الخلفيـة. فقـط الضـوء الخافـت في وقـت الظهـيرة يمتـد لداخـل الغـرف مـن بـين أشـجار وزهـور الحديقـة التـي إضاءتهـا بأعمـدة مـن خشـب الصنوبـر اللامـع. إنـه تحفـة معماريـة.

الأخـوات جميعهـن لا يعلمـن متـى تـم بنـاؤه، وفي الغالـب بنـاه الأجـداد منـذ عـشرات السـنوات ليكـون مقـرًا إضافيًـا أو لمـا بعـد التقاعـد، واسـتعاره فـرع مـن العائلـة والأقربـاء، لكـن أباهـن في سـنته الأخـيرة اسـتعاده ونقلهـن جميعًـا للعيـش بـه اتباعًـا لأحـدث صيحـة حينهـا بفصـل مقـر الإقامـة عـن المتاجـر، فقـد كان جميعهـم حتـى ذاك الحـين يقطـن بمتاجرهـم برصيـف الميـنـاء، لذلـك فهـن لم يسـكنّه لفـترة طويلـة إلى ذاك الحـد، وإنمـا في طفولتهـن كان يسـكنه بعـض أقربائهـن ولم يدخلنـه سـوى مـرات معـدودة، وبـه لفـظ أبوهـن أنفاسـه الأخـيرة، مـا يجعلـه لـه ذكـرى خاصـة لديهـن.

بهـذا، فمشـاعر حبهـا لبلدتهـا مسـقط رأسـها "أوسـاكا" مرفـق بهـا الكثـير مـن المشـاعر الجياشـة نحـو هـذا البيـت، الـذي يشـغل حيـزًا لـدى "ساتشـيقو" أيضًـا.

في الحقيقـة حتـى بالنسـبة إلى "ساتشـيقو" التـى تسـتغرب مـن العقليـة القديمـة لأختهـا الكبـيرة، فإنهـا بمجـرد سـماعها لـذاك الخـبر فجـأة عـبر

الهاتـف انقبـض قلبهـا عـلى الفـور، وأول مـا فكـرت فيـه هـو هـل لـن يمكننـا الذهـاب إلى ذاك البيـت أبـدًا؟

بلـغ مسـامع "يوكيقـو" و"تائيقـو" الكثـير مـن الثرثـرات الخبيثـة، مثـل: "ليـس هنـاك أسـوأ مـن ذاك المنـزل، فإضـاءة الشـمس بـه غـير صحيـة"، "أنا لا أدرى كيـف هـو شـعور تلـك الأخـوات ليسـكنَّ مثـل ذاك المنـزل"، "إنى لـو مكثـت فى ذاك البيـت لأكـثر مـن ثلاثـة أيـام سـأمرض"، لكـن أن يختفـى منـزل أوسـاكا تمامًـا فهـذا شىء بالنسـبة إلى "ساتشـيقو" أيضًـا يعنـى اقتـلاع جذورهـن مـن محـل الميـلاد، لذلـك انتابهـا نـوع مـن الشـعور بالوحـدة المريرة.

فى النهايـة، خلاصـة القـول هـى أن أخاهـن بالقانـون رب بيـت العائلـة تـرك تجـارة العائلـة والإرث وأصبـح موظـف بنـك، ومنـذ ذاك الحـين وهـو يجـب عليـه اغتنـام الفـرص بتنفيـذ أوامـر نقلـه للفـرع الإقليمـى، مـما يعنـى أن الأخـت الكبـيرة عليهـا تـرك بيتهـا الحـالى فى أى وقـت، لكـن الأمـر كان شـأنًا مهمـلاً لم يتطـرق إليـه أحـد مـن قبـل حتـى بالتفكـير، ولا الأخـت الكبـيرة ذاتهـا ولا "ساتشـيقو" أو باقـى الأخـوات ولا مـرة مـن قبـل.

مـرة وحيـدة قبـل عـام 89 حـين أُرسـل إلى فـرع "فوكـو أوكا"، لكـن "تاتسـو أوو" حينهـا ناشـدهم بأنـه لديـه أسـباب عائليـة تحـول دون تركـه لبلـدة "أوسـاكا"، فسـمحوا لـه وفقًـا لرغبتـه حينهـا بـأن يظـل بمنصبـه الحـالى دون زيـادة لراتبـه، ومـن بعدهـا وهـم فى البنـك يراعـون حالتـه الاجتماعيـة ويقولـون عنـه سـليل العائلـة العريقـة، واسـتقرت الحـال عـلى إقرارهـم بأنـه هـو فقـط لا يتـم نقلـه. بالطبـع ليسـت هنـاك موافقـة رسـمية عـلى ذلـك، وإنمـا بطريقـة أو بأخـرى ترسـخ بأذهانهم أنهـم يمكنهم الاسـتقرار فى "أوسـاكا" دائمًـا وللأبـد، لذلـك هـذه المـرة وقـع عليهـم الخبر كصاعقـة مـن السـماء.

لكـن هنـاك شـيئًا مـا في هـذه المـرة، هـل السـبب هـو أن سياسـة التنقـلات بالمناصـب العليـا للبنـك تغـيرت، أم أن السـبب هـو أن "تاتسـو أوو" ذاتـه يرغـب في الترقـي لمنصـب أعـلى حتـى لـو كان عليـه أن يبتعـد عـن "أوسـاكا" هـذه المـرة؟ عـلى حـد هـذا القـول يصبـح الوضـع هـو أن رفـاق "تاتسـو أوو" يمضـون قدمًـا في التـدرج الوظيفـي في حـين أنـه هـو ثابـت بمكانـه بـلا حـراك، وهـو خائـب الآمـال بعـض الـشيء، وزاد عـدد أطفالـه مـع ازديـاد متطلبـات المعيشـة. وبسـبب حـركات التغيـير في الاقتصـاد العالمـي فـالإرث مـن أبيـه بالتبنـي صـار لا يمكـن الاعتـماد عليـه كالسـابق.

تشـعر "ساتشـيقو" أيضًـا بـأن إحسـاس أختهـا بالرحيـل وأراضي موطنهـا تطاردهـا هـو إحسـاس يـرثى لـه، وفراقهـا للبيـت يشـعرها بالضيـاع، لذلـك ظلـت تذهـب إليهـا في زيـارات سريعـة كلـما اسـتطاعت لتشـد مـن أزرهـا كل يومـين أو ثلاثـة.

حادثتهـا أختهـا الكبـيرة بالهاتـف لتخبرهـا أنهـا لا تـدري متـى سـيمكنها المجـيء إلى "أوسـاكا" والعـودة مـرة أخـرى، وأن عائلـة "أوطـو يـان" ستسـتأجر المنـزل بإيجـار زهيـد في أثنـاء غيابهـم، وبمـا أنـه لم يتبـقَّ الكثـير مـن الوقـت عـلى شـهر أغسـطس فـلا بـد لهـا مـن إعـداد الحقائـب، وهـي سـتوجد يوميًـا بالمخـزن فمنـذ وفـاة والدهـن وكل المتعلقـات والمفروشـات المنزليـة تتكـدس بـه.

كانـت "تسـوروقو" كلـما بـدأت العمـل بمـكان مـا تجـد الأمـر لا يجـدي نفعًـا، فالأمتعـة تتراكـم في أكـوام كالجبـال هنـا وهنـاك، وكلـما حدقـت إليهـا أصابهـا الذهـول. بالطبـع بـين كل تلـك الأمتعـة هنـاك أشـياء لا تحتـاج إليهـا وربمـا تريدهـا "ساتشـيقو"، لذلـك طلبـت الأخـت الكبـيرة منهـا المجـيء وإلقـاء نظـرة، وكان هـذا مـا جـاء بمكالمتهـا.

أما عن عائلة "أوطو يان"، فاسمهم بالكامل "كاناى أوطو يان"، الأب رجل عجوز يستخدم بيتًا له فى "هاماديرا" لقضاء الإجازات، والآن تزوج ابنه وتوظف بمتجر "تاكاشيما" ببحر الشمال فأصبح هو وحده بلا أعباء، لكن أولاً وأخيرًا العلاقة تظل بالزيارات المنتظمة، لذلك أقرباؤه هم من يتولون رعايته.

خرجت "ساتشيقو" مساء اليوم المشرق الذى تلقت به المكالمة الهاتفية الثانية من أختها، وذهبت لترى، ومن منتصف الحديقة كان يسعها أن تشاهد باب المخزن المفتوح على مصراعيه.

- "أختى".

ودخلت من الباب المفتوح وهى تنادى عليها، وكانت أختها بالطابق الثانى بذلك اليوم الرطب الحار فقد ابتدأ الفصل المطير، وكانت تمكث فى الرائحة العفنة منهمكة فى الأشياء التى ترتبها وتغطيها، والأمتعة تحيطها من كل جانب وتدوّن كل ما بالصناديق المتكدسة البالية التى أمامها، وبجوارها صندوق ملابس مستطيل كبير مفتوح غطاؤه ويمتلئ إلى آخره بصناديق صغيرة مغلقة.

أخذت الأخت الكبيرة أحد تلك الصناديق بحرص وفكت ربطته. كان به إناء مخبوزات فخارى وقنينة الخمر "الساكى" من الخزف اليابانى، تفحصتهما واحدة واحدة وأعادتهما مكانهما كما كانا، وقسمت الأشياء إلى جزء ستحمله معها وجزء ستتركه كما هو وجزء ستتخلص منه، لكن "ساتشيقو" سألتها:

- "أختى، هل تحتاجين إليها؟"

- "مممممممم، مممممم"، وأشارت لها بيدها بجدية وهى شاردة الذهن.

رأت "ساتشيقو" دون قصد حجر حبر ظاهرًا بداخل صندوق مع أختها، وتبادر إلى مخيلتها على الفور مشهد والدها حين اشتراه. إن والدها كان شخصًا يهوى جمع كل قيِّم لا يختلف عليه اثنان من الأنتيكات من اللوحات والمخطوطات، لكن أحيانًا من حوله كانوا يجعلونه يتمسك بأشياء حمقاء كهذا الحجر الذى اشتراه بمئات من الينات حين أخبره أحدهم أنه موجود بمتجر للتحف.

استحضرت "ساتشيقو" الموقف وبمخيلة كالأطفال ظلت تفكر هل لهذا الحجر أن يكون باهظ السعر هكذا، وهل لوالدها أن يشترى مثله دون أن يكون خطاطًا أو فنانًا؟! لكنها سرعان ما شعرت بالسخف لأنه بالتأكيد اشترى مع هذا الحجر اثنين آخرين ليختم الأسهم. إنه بعد شرائه لهذا بعدة أيام أراد إهداء هدية لصديق مقرب إليه فى احتفاله بعامه الستين، وكان شخصًا يكتب الأشعار الصينية وحاصلاً على دكتوراه فى الطب، وبالفعل اختار عبارات التهنئة التى يريد نقشها على الحجر، ولكن للأسف كانت بالحجر شوائب تحول دون النقش عليه، فاستعاد ما دفعه فيه من نقَّاش الأختام الذى ابتاعه منه، لكن لأنه شيء تطلب مالاً باهظًا فلم يرمِه، ولمدة طويلة فيما بعد ظلوا يلحظونه بالقرب فى مكان ما.

- "أختى، هذا، هل هو الحجر الدامى؟"

- "مممم".

- "هذا ليس هو".

-

- "حسنًا يا أختى".

-

كانت الأخت الكبيرة تضع على ركبتيها صندوقًا مكتوبًا عليه: "صندوق أوراق وأدوات مكتبية، مشغولات معبد قوداى چى"، وكان يستحيل فتح غطائه القاسى المتشابك بأصابعها، واستحوذت عليها رغبة فتحه خصوصًا وهى لم يرِد إلى مسامعها أى شيء من تلك الكلمات من قبل.

لم يكن بالغريب على "ساتشيقو" أن ترى أختها هكذا، فهى تعمل بمثل هذه الأجواء وتقف بحيز ليس به مكان لموطئ قدم ومنهكة إلى حد يجعلها لا تسمع أحدًا. إنها ربة منزل حازمة يعجب بها كل من يسمع عنها، لكنها فى الحقيقة ليست شخصية صارمة إلى ذاك الحد، فبمجرد وقوع أى حادث بأى وقت فإنها تتفاجأ ثم تفقد وعيها، وبعد مرور بعض الوقت تبدأ فى مواصلة عملها بحالة من العصبية الشديدة، إن رأيتها فى موقف كهذا فى النهاية ستظنها زوجة مثابرة نشيطة لا تبخل ببذل كل قطرة دم، لكن ذلك فى الحقيقة تحفيز دون أن تدرى ماذا تفعل وتصبح كأنها تتحرك بحلم.

- "ألا تظنين أن أختك الكبيرة غريبة الأطوار؟ كنت أحادثك بالأمس فى الهاتف ويختنق صوتى بالبكاء، فأنا مهما كنت أتحدث وأذرف الدمع فلا أحد يشاطرنى، ومن عاداتى أن أخبرك أن تأتينى لأتحدث إليكِ، واليوم حين رأيتكِ قادمة وتدخلين المخزن شعرت كأنى بحلم وأرتب الأغراض ولم يسعنى الرد عليكِ وأنتِ تنادينني أختى".

حين عادت "ساتشيقو" فى المساء أشاعت بين أخواتها ما دار من حديث بينها وبين أختها الكبيرة.

- "أختى الكبيرة، أهى من تتحدثين عنها حقًّا!"

- "إنها حتى حين رأيتها، وحتى الآن كلما هدأت قليلاً سرعان ما تعود للبكاء مرة أخرى".

في منتصف اليوم التالي جاءت مكالمة لـ"يوكيقو" من أختها الكبيرة تريد منها المجيء، فخرجت وهي لا تدري بأي حالة ستراها هذه المرة، ولكنها مكثت معها أسبوعًا.

- "ها قد انتهينا من ترتيب معظم الأمتعة، لكنكِ ما زلتِ بمزاج عصبي"، قالتها "يوكيقو" وضحكت.

لقد قالت لها هذه الكلمات لأن أختها الكبيرة نادتها، ثم علمت أن والدي زوجها سيأتيان من "ناجويا" في زيارة لتودعيهم فعادت وطلبت منها الرحيل، وبالفعل وصل والداه مساء اليوم التالي الذي كان يوم سبت وعادا أدراجهما في وقت متأخر من ليل الأحد، وسريعًا ما جاء اليوم الخامس والسادس من الشهر. كانت الأخت الكبيرة في أثناء ذلك تذهب إلى غرفة المكتب يوميًا لتخط مخطوطات فنية. كان لديها شعور بأنه يجب عليها توجيه رسائل الشكر لكل بيت وكل مكان وُجدت به، بدايةً من بيت عائلة زوجها في "ناجويا" ومرورًا ببيوت أقربائها، وكانت تستمتع بذلك وهي وحدها بعيدًا عن الناس.

كانت تلك مهمة كبيرة بالنسبة إليها، وفكرت في أن تكتب أنها بمضجعها أخت بالقانون لـ"تاتسو أوو"، وهي زوجة الأخ الكبير رب العائلة، وهي المرأة الماهرة في فن الخط، لذلك فهي لا تنهزم.

هذا أشعرها بالتوتر أكثر وأكثر. إنها عادةً حين تنوي كتابة خطاب لأخوات زوجها الكبيرات في "ناجويا" تأتي بقاموس ونماذج لعبارات يمينًا ويسارًا على المكتب، وتبحث جيدًا كي لا تكون أي مخطوطة على نمط الخط الصيني المختصر الذي تصعب قراءته على من لا يعتاده، وتحرص أيضًا على انتقاء الكلمات، وبكثير من المرات تكتب مسودة أولاً، وعلى هذه الحال قد تستغرق كتابة الجواب الواحد يومًا بكامله، لكنها هذه المرة تكتب نحو خمسة أو ستة خطابات دون أن تستهون بإعداد المسودات أو تكتبها بطريقة سهلة، وأمضت

يومها فى التدريب، وظلت تسأل "ساتشيقو": "أجيد هكذا؟ أم أعيده لمرة أخرى؟"، وتناقشت معها بعدما جعلتها ترى المسودة. إنها اليوم منذ أن خرجت "يوكيقو" إلى أن عادت وهى لم تكتب سوى نسخة واحدة على هذه الحال.

- "حسنًا، على أى حال أختى الكبيرة حين تذهبين إلى منزل سيادة المدير التنفيذى لإلقاء التحية، عليكِ إلقاء خطبتك من الذاكرة وستجدين الموضوع سهلاً كأنكِ تناجين ذاتك".
- "لا يمكننى فعل ذلك، فالحديث الذى سأقوله كتبته فجأة وأنا أحاول تمالك نفسى كى لا تنهمر دموعى الحزينة، لكن لا داعى للقلق من الآن فأنا استعددت بقدر استطاعتى، وقد أذهب إلى طوكيو سريعًا فى أول يوم بالشهر دون القيام بهذه الزيارة. سيتفاجأ الأقرباء، ولكنى آسفة".
- "حقًّا إنكِ تفضلين العيش هكذا".

ولبعض من الوقت قامت الأخوات الثلاث بوضع أختهن الكبيرة على لوح التقطيع وانهلن عليها بمثل تلك العبارات واستمررن فى حديثهن الضاحك.

الفصل الثانى والعشرون

كان "تاتسو أوو" يتردد على المتاجر فى "مارو أوتشى" منذ اليوم الأول بشهر يوليو، فهو بادر بالذهاب من أواخر شهر يونيو ويتطفل على منزل أقربائه فى منطقة "أزابو"، ويبحث بنفسه عن منزل للإيجار فى متناول يده، ويبحث له الآخرون أيضًا، وبعدما وجد واحدًا فى حى "أوومورى" أرسل لعائلته خطابًا بأنه استقر رأيه على ذلك. وعليه، بعدما انتهت احتفالات "چيزو" فى شهر أغسطس، استقلت عائلته قطار المساء فى يوم الأحد التاسع من الشهر، وكان "تاتسو أوو" قد عاد إلى "أوساكا" قبل يوم أى السبت. جاء أقرباؤه وأصدقاؤه المقربون لتوديعه رسميًا بالمحطة حين رحيله ذاك المساء.

كانت الأخت الكبيرة "تسوروقو" منذ بداية شهر أغسطس وهى يوميًا تزور بيتًا أو اثنين من معارف وأقارب زوجها لإلقاء التحية، إلى أن انتهى بها المطاف حيث لا بد لها أن تفعل، وذهبت إلى البيت الفرعى فى "أشييا" للمبيت لبضعة أيام عند "ساتشيقو"، هذا بجانب زيارة الوداع الرسمية. إنهن كن مشغولات الفكر دائمًا بالترتيبات الفائقة لكل شىء، أو بالأحرى قول إنهن يعملن بكل ما بهن من

قـوة وبـلا راحـة بسـلوك أشـبه أن يكـون غريـب الأطـوار، وإنمـا وفقًـا لطبعهـن وخصوصيتهـن هـن الأربـع التـى لم يجدنهـا منـذ أمـد طويـل، وكـن يتمهلـن آسـفات عـلى مـا تبقـى لهـن مـن وقـت بإقليـم "كانسـاى"، وأردن أن يتناسـين كل شىء وكل أحـد، وظللـن منتظـرات انـصراف السـيدة "أوطـو يـان" ليرتديـن الملابـس الخفيفـة، وتركـن عـبء الصغـيرات الثـلاث للمربيـة التـى اصطحبتهـن بالفعـل.

لكـن فى الحقيقـة لا بـد مـن التفكـير هنـا، تـرى كـم مـن عـدد سـنين تطلبـه الأمـر لتجتمـع أربعتهـن هكـذا تحـت سـقف واحـد ويمضـين وقتهن بالثرثـرة دون قيـد ودون حـدود؟!

إن "تسـوروقو" لم تذهـب إلى بيـت "ساتشـيقو" فى "أشـيّيا" إلا لمـرات معـدودة، وإن ذهبـت لتراهـم لا تمكـث لأكـثر مـن سـاعتين فى فاصـل بـين مهامهـا المنزليـة.

أمـا عـن "ساتشـيقو" فهـى حتـى إن ذهبـت لزيـارة بيـت "أويـه هـون" يلتـف حولهـا الصغـار جميعهـم ولا يدعـون أى مجـال لتبـادل الأحاديـث حيـث لا هـدوء عـلى الإطـلاق، مـع أنـه لـو سـنحت لهـما فرصـة عـلى الأقـل لتبـادل الأحاديـث، خصوصًـا أن لـكل منهـما حيـاة زوجيـة، لـكان مـن الأفضـل، لذلـك هـذه المـرة كان اسـتمتاعهما هـما الاثنتـين عـلى وجـه الخصـوص وتحدثهـما فى مثـل تلـك الأحاديـث وسـماع كل منهـما للأخـرى فى مواضيـع متراكمـة منـذ عـشرات السـنوات منـذ أن كانتـا فتاتـين.

لكنهـن الآن بعدمـا جـاء هـذا اليـوم واجتمعـن للمبيـت معًـا، فـإن الأخـت الكبـيرة بـدلاً مـن ذاك الحديـث نادتهـن لتنـال قـدرًا مـن التدليـك قبـل كل شىء، وبـدت كأنهـا حـل بهـا فجـأة تعـب عـشرات السـنوات، وظلـت مـن الظهـيرة بغرفـة النـوم بالطابـق الثـانى وهـى فى حالـة مـن السـعادة لكونهـا تسـتلقى كـما يحلـو لهـا.

وعلى الرغم من أن "ساتشيقو" كانت تنوى أن تدعو أختها الكبيرة إلى متجر طعام صينى ببلدة "نان كين" وإلى فندق "أورينتال" لأنها لا تدرى الأماكن فى "كوبيه" جيدًا، فإنها فى ذاك الحين بدلاً من أن تصطحبها فى هذه الجولة استلقت ومددت رجليها واسترخت دون أن يلحظها أحد، وبسبب الحر القائظ اكتفين بوجبة خفيفة من الأرز مع الشاى دون أن يجعلن "ساتشيقو" تقدم لهن أى وجبة ليتناولنها، لكن فى اليوم الثالث ودون الخوض فى حوار حول ما سيقمن به وأمضين وقتهن فى التجوال.

بعدما عادت "تسوروقو" بعدة أيام ولم يتبقَّ على مغادرتها سوى يومين أو ثلاثة، جاءتهن للزيارة على حين غرة امرأة عجوز، وهى الجدة "طومى ناجا". إنها الأخت الصغيرة للمرحوم أبيهن. كانت "ساتشيقو" حتى ذاك الحين وهى لم تلتقِ الجدة من قبل، فظلت تخمن ما الذى جاء بها وجعلها تخرج من بيتها فى يوم حر كهذا. على الأرجح كانت تدرى "ساتشيقو" تمامًا بذاك الشأن الذى أتى بها.

وكما ظنت بالضبط المشكلة تتعلق بـ"يوكيقو" و"تائيقو". باختصار إن كانت إلى الآن كلتا الأختين تتردد على البيت الرئيس بـ"أوساكا" ذهابًا وإيابًا بلا أى قيود، فمن الآن فصاعدًا لا يمكن أن يستمر الوضع هكذا. فلأنهما فى الأصل مكانهما بيت العائلة فلا بد لهما من الذهاب معهم إلى "طوكيو".

بالنسبة إلى "يوكيقو"، فهى لا يلزمها أى ترتيبات خاصة للانتقال، فمن الغد تعود إلى بيت العائلة بـ"أويه هون" وتظل معهم، أما عن "تائيقو" فبسبب عملها قد تتأخر على نحو أو آخر من أجل تسوية شئونها وما باليد حيلة، لكن لن يزيد الأمر عن شهرين بالتأكيد، ولا تجعلوها تتوقف عن مزاولة عملها ولا مانع من أن تنخرط فى العمل وتصنيع الدمى هناك بـ"طوكيو". بالتأكيد ستجد هناك تسهيلات

للعمـل مـن الكثـير، حتـى إن أخاهـا أيضًـا لديـه معارفـه الخاصـة مـن عملـه، فـإن كانـت هـى مجتهـدة بالفعـل فليسـمح لهـا بتخصيـص غرفـة لعملهـا أيضًـا بـ"طوكيـو".

قالـت الجـدة كلامًـا كلـه عـلى هـذه الشـاكلة، وإنمـا فى الحقيقـة المشـكلة كانـت أن "ساتشـيقو" كل همهـا هـو ضرورة خـوض نقـاش حـول مـا إن كانـت تنـوى المبيـت أم لا، لكنهـا لم تـرد أن تتفـوه بكلـمات صارمـة هكـذا إن كانـت قـد جـاءت فى إجـازة للاسـتجمام، لذلـك لم تنطـق بـأى كلمـة وتركتهـا تقـول كل مـا تريـد رغـم تعبهـا، وانتظـرت حتـى قالـت الجـدة إنهـا جـاءت اليـوم لتتـصرف "ساتشـيقو" بـذاك الشـأن.

عـلى أى حـال كان متوقعًـا تصعيـد الأمـر ووصـول كلام الجـدة إلى بيـت العائلـة بعـد ذهابهـم إلى "طوكيـو"، لذلـك لم تتناقـش مـع أختيهـا المعنيتـين قـط، لكـن كلتيهـما كتمـت بداخلهـا شـعورًا بالإحبـاط ليـس بهـيِّن.

أمـا لاحقًـا، فقـد كانـت كل مـن "تائيقـو" و"يوكيقـو" عـلى علـم بـأن أختهـما الكبـيرة غارقـة فى تجهيـزات الانتقـال، لذلـك عادتـا إلى بيـت بلـدة "أويـه هـون" دون كثـير مـن القـول فقـد كان لا بـد لهـما مـن مسـاعدة أختهـما، وأيضًـا كان ذهابهـما هربًـا نوعًـا مـا.

أمضـت "يوكيقـو" أسـبوعًا فقـط، لكـن "تائيقـو" سريعًـا مـا بـدأت تذكـر مشـاغل عملهـا الكثـيرة، وأغلقـت عـلى نفسـها غرفـة عملهـا مثلـما الحـال بـ"أشـييا"، ففـى الأيـام السـابقة عـاودت المبيـت لليلـة واحـدة فقـط فى أثنـاء وجـود أختهـما الكبـيرة، ولم تعُـد إطلاقًـا جهـة "أوسـاكا" مـرة أخـرى.

لأنهـا الأهـم لهـا عـلى الإطـلاق ألا تأخـذ خطـوة أولى تثـير تلـك المشـكلة. هـى بالطبـع ترغـب فى توضيـح النوايـا بكونهـما يريـدان المكـوث فى "أوسـاكا"، لكـن كلـمات الجـدة تـدل عـلى أن الحديـث دار هنـا فقـط، أمـا عـن كراهيـة "يوكيقـو" للعـودة إلى بيـت العائلـة، فأليـس مـن الأفضـل تسـوية الأمـر مـع "تاتسـو أوو"؟

قطعًا هو شخص ليس كما يظنون، فهو ليس لديه أى مشاعر سيئة حيال أى من الأختين. إنه فقط الأشخاص الذين أصلهم من "ناجويا" طريقة تفكيرهم غاية فى الانضباط، وبمثل هذه الحالة وكونهما تفضلان البقاء فى "أوساكا" دون الذهاب إلى بيت العائلة، سيكون بالنسبة إليه الأمر متعلقًا بالكرامة وصعب أن يذكره أحد، فالوضع سيئ من حيث المظهر العام، وإن تجرأ أحد وطرحه عليه فلن يسمح، وبعدها سيكون على "تسوروقو" أن تعانى ويلات هذا المأزق.

بهذا، فالمطلوب من "ساتشيقو" هو الاقتحام. إن كلتا الأختين ستستمعان لما تقوله، وإنما ألن تكون مهمة إقناعهما صعبة حتى لو كانت حيل "ساتشيقو" ماهرة؟

الورطة هى أن الكل سيسيء فهمها، فإن لم يعودا إلى بيت العائلة سيظنون أنها هى السبب وراء ذلك، أليس كذلك؟

لقد صارت زوجة بالغة ولديها القدر الكافى من الحنكة، وإنما كل هذا الكلام الكريه فى النهاية بمَ سيجدى؟ إنها لم تعد طفلة يسحبونها من يدها ولا بد لها من خوض النقاش، فهى أكثر أحد له تأثير وبدلاً من أن يتحدث أى أحد آخر.

تساءلت الجدة:

- "اليوم هل يوكيقو وأختكن الصغيرة هنا بالبيت؟" وقالتها بأسلوب قديم بكلمات رصيف الميناء، فانجرفت "ساتشيقو" بالتيار وأجابتها بالأسلوب القديم نفسه:
- "إن تائيقو مشغولة للغاية، نادرًا ما تعود".
- "إذًا، يوكيقو هنا. فلتنادِها".

اختفـت "يوكيقـو" عـلى الفـور بمجـرد سـماعها لصـوت الجـدة عـلى البوابـة. في الغالـب فعلـت كالأطفـال وهربـت لغرفـة بالدور الثـاني، وحينما صعـدت "ساتشـيقو" لـترى بالفعـل وجدتهـا بغرفـة المعيشـةكما توقعـت.

كانـت جالسـة بفـراش الصغـيرة تلقـى برأسـها ومسـتغرقة في التفكـير، ورأتهـا أختهـا مـن بـين فتحـات سـتارة الخيـزران وقالـت لهـا:

- "يوكيقو ماذا بكِ، ما الأمر؟"

- "..."

- "لقد جاءت الجدة".

حسـب التقويـم، فإنـه قـد بـدأ الخريـف، ولكـن منـذ بضعـة أيـام عـاد الحـر مـرة أخـرى. منـذ السـبت المـاضي والجـو مثقـل بحـرارة لا تتغـير، وعـلى غـير المعتـاد تجلـس "يوكيقـو" بهـذه الغرفـة سـيئة التهويـة وهـى بملابـس حريريـة مـن قطعـة واحـدة مـن خامـة "كريـب چورچيـت". إنهـا تعلـم أن جسـدها النحيـل لا تناسـبه الملابـس الغربيـة لذلـك بالصيـف بوجـه عـام عـادةً مـا ترتـدى الكيمونـو الصيفـى وتعقـد حزامـه، لكـن في الأيـام شـديدة الحـرارة لا يمكنهـا الاحتـمال، وفي منتصـف اليـوم وحتـى المسـاء ترتـدى مثـل تلـك الملابـس الغربيـة أمـام أفـراد أسرتهـا فقـط وتتجنـب أن يراهـا "تينوسـوكيه". لكـن حـدث أن رآهـا مـرة للحظـة مـن قبيـل الصدفـة، وحينهـا تنبـه لكـون الجـو شـديد الحـرارة.

يشـف الـرداء الحريـرى بقـماش "الكريـب چورچيـت" ذو اللـون الأزرق عـما تحتـه مـن تجاويـف بعظـام كتفهـا، فهـى نحيلـة إلى حـد يـرثى لـه، وحـين تـرى ذراعهـا وكتفهـا النحيلـة مـع بيـاض بشرتهـا تعتريـك قشـعريرة مـن الـبرودة وفجـأة تتصبـب عرقًـا، وحتـى إن كنـت لا تعرفهـا ففـى النهايـة حـين تحـدق إليهـا سـتجد نوعًـا مـن الانتعـاش بالتأكيـد.

- "إن أختنا سترحل فى الغد، وتريدنا أن نجعلكما تغادران معها معًا. هكذا قالت".

التزمت "يوكيقو" الصمت وظلت معلقة رأسها وذراعاها تتدليان على جانبها بفتور كأنها دمية عارية من الفلكلور اليابانى، ثم أنزلت قدميها الحافيتين على كرة مطاطية كبيرة يلعبون بها كرة القدم وعلى دمية لـ"اتسوقو" متدحرجة تحت الفراش، فأدارت الكرة ببطن قدمها كما تفعل حين تتحمس للعب أحيانًا، ووطئت برجليها موضعًا آخر.

- "ماذا عن تائيقو؟"

- "للتو قالت إن لديها مشاغل عملها وبالطبع لن يمكنها المغادرة. ولكن ماذا عن رأى أخينا الكبير!"

- "..."

- "إنها جاءت لتقنعنى أن هناك أفضل لكما، وفى النهاية هى تظننى أحتجزك هنا يا يوكيقو. بكل حال من الأحوال إن وضعتِ نفسكِ مكانى ستجدين الوضع مزريًا".

ظنت "ساتشيقو" أنها تعاملت مع "يوكيقو" بلطف، فى حين أن كل اللوم عليها لأنها تستغل "يوكيقو" بدلاً من أن تجلب معلمة لأسرتها، وهى تتحدى ذلك بقوة.

ما يأخذه الناس عليها هو أنه كيف للأخت الكبيرة ببيت العائلة أن تربى وحدها أطفالها جميعهم، فى حين أن الأخت التى بالبيت الفرعى لديها طفلة واحدة ولا تتحمل متاعبها وتستعين بمساعدة غيرها.

إلى أى مدى تفكر "يوكيقو" على هذا النحو؟

حتى لو هناك عرفان بجميل أختها الصغيرة، إلا أنها بداخل قلبها كأم تشعر كأنها انجرح كبرياؤها. إذًا هى الآن تستفيد من "يوكيقو"

ولكنها حتى لو لم تكن موجودة عندها فـ"ساتشيقو" ذاتها لا تنوى تحمل عبء تربية الصغيرة وتهذيبها.

إن رأيت "يوكيقو" وهى تعود مبكرًا بالمساء من أجل الصغيرة، ستدرك على الفور أن "ساتشيقو" شخص لا يمكن الاعتماد عليه.

بالنسبة إلى الصغيرة "اتسوقو" أيضًا إن لم تكن "يوكيقو" موجودة لظلت وحيدة. إنها ليست بالطفلة غير المطيعة، وإنما يبدو جليًا أنها ستعانى من الوحدة من الآن فصاعدًا. "يوكيقو" أيضًا لديها مخاوفها من إصرار وبكاء الصغيرة دائمًا.

إن "ساتشيقو" بالتأكيد تريد راحة أختهن التى تأخر زواجها، ولكنها فى الوقت نفسه لا يمكنها تصعيد الأمر لدرجة أن تعصى أخاها الكبير، لذلك هناك طريقة قد تجدى نفعًا وهى أن تذهب إلى بيت العائلة بعدهم ثم تصطحبهم ليعودوا معها، وحينها تحاول إقناع أخيها وتنفذ أوامره. بهذا، حتى إن عادت دون "يوكيقو" فستكون قد أدت ما عليها ولا غبار عليها بعد، ولن ينظر إليها الناس و"يوكيقو" النظرة المليئة بالتساؤلات.

- "هيا فى الحال التقِ الجدة طومى ناجا وعودى".

أصغت لها "يوكيقو" دون أن تنطق بكلمة، لكن بعدما أفصحت "ساتشيقو" عن نواياها لم يصبح لديها أى أفكار سوى اتباع ما نصحتها به، وبتفهمها للوضع صار الموقف كئيبًا، فقد قالت لها:

- "حتى إن ذهبت إلى طوكيو فقد تأتين وتظلين بالجوار. لقد دار حوار مؤخرًا على أن السيدة چينبا ستأتينا لأنها لديها حديث ما، فإن كان الأمر لترتيب مقابلة زواج فبالتأكيد لا داعى لذهابك وليبقَ الوضع كما هو عليه، وإن لم تسِر الأمور على ما يرام فستكون فرصة لإنهاء الوضع".

- "ممممممممم".
- "إذًا فلتعودي في الغد إلى بيت العائلة يا يوكيقو ولا تخلفي موعدًا. هيا، فلتقابلي الجدة دون غضاضة".

جهزت "يوكيقو" حالها واستبدلت الكيمونو الصيفي بملابسها الحريرية، وسبقتها "ساتشيقو" ونزلت إلى غرفة الاستقبال مرة أخرى.

- "ها هي يوكيقو ستنزل. هي على علم الآن وتفهمت الوضع فلا تتحدثي معها في أي شيء أبدًا".

شعرت الجدة بالرضا تمامًا، وفي أثناء هذا عاد "تينوسوكيه"، وطلب من الجدة أن تتمهل حتى لتناول طعام العشاء، لكنها فضلت أن تسرع وكانت آسفة لعدم مقابلتها للأخت الصغيرة وأوصت "ساتشيقو" أن تبلغها السلام بعدما انتظرتها لمزيد من الوقت ثم انصرفت.

لكن مساء ذاك اليوم المشرق خرجت "ساتشيقو" و"يوكيقو" بعدما سلمتا على الصغيرة، على أن تخرجا وتعودا بعد قليل، وإنما كان مع "يوكيقو" بعض الأغراض الخاصة بإقامتها في "أشييا" من ملابس أنيقة وأخرى مريحة، وبعض الأشياء الخاصة من ملابس داخلية وملابس خفيفة تعد ضرورية بالنسبة إلى هؤلاء الأخوات الثلاث، ولفافة صغيرة من قماش الكريب بها رواية واحدة، وحملتها "أوهارو" التي ستوصلهما إلى محطة "هانكيوو" ومن بعدها ستخف أعباؤها بعدم رؤيتهما ليومين تقريبًا.

بالأمس الصغيرة أيضًا فور رؤيتها للجدة "طومي ناجا" ذهبت للهو عند عائلة STOLZ، وفي المساء جاؤوهم للمرة الأولى ليعرضوا المساعدة إلى أن تذهب "ساتشيقو" وتعود، فقد أخبرتهم الصغيرة بالأمر.

وكما توقعت "ساتشيقو"، انتهى كل شيء دون حاجة إلى ملاحقتهم.

في يـوم المغـادرة اسـتقلت عائلـة "تاتسـو أوو" قطـار الثامنـة والنصـف مسـاءً مـن محطـة "أوسـاكا"، الزوجـان ومعهـما سـتة أطفـال أكبرهـم في الرابعـة عـشرة مـن العمـر و"يوكيقـو"، أي تسـعة أفـراد مـن العائلـة ومعهـم خادمـة ومربيـة أطفـال، فيصـير جميعهـم 11 شـخصًا.

كان لا بـد لـ"ساتشـيقو" أن تذهـب لتوديعهـم، لكنهـا بذهابها سـتنخرط الأخـت الكبـيرة في البـكاء فـور أن تراهـا وسـتنضم إليهـا "ساتشـيقو" بالتأكيـد، لذلـك امتنـع "تينوسـوكيه" عـن الذهـاب مـع زوجتـه وذهـب وحـده، لكنـه سرعـان مـا خـرج مـن غرفـة الانتظـار إلى سـاحة الاسـتقبال واختلـط بمئـات الحشـود المجتمعـة لوداعهـم بمـن فيهـم فنانـة تحظـى برعايـة العائلـة، وفتـاة "جيشـا" متقاعـدة، وصاحبـة فنـدق يابـاني، وغيرهم، وكـما توقـع، دون أي سـلطة كسـالف عهدهـم أخلَـت أسرة رفيعـة الشـأن ذات نسـب للعائـلات العريقـة مكانهـا بموطنهـا الأصـلي.

أمـا عـن "تائيقـو"، فهـي لم تطـل بوجهها عـلى بيـت العائلـة حتـى اليـوم الأخير لتتملـص هربًـا، وفي النهايـة قبيـل رحيلهـم هرولـت للمحطـة وبغايـة السـهولة فقـط ألقـت التحيـة عـلى أختهـا وأخيهـا العالقـين بالزحـام، لكـن بعودتهـا وفي أثنـاء سـيرها مـن الرصيـف إلى حاجـز التذاكـر:

- "عذرًا. ألستِ أنتِ ابنة عائلة ماكي أوكا؟"

وناداهـا مـن خلفهـا ذاك الصـوت، والتفتـت لـترى امـرأة عجـوزًا تدعـى "سـاكا إيـه" ذات صيـت واسـع بمدينـة "شـيناتشي"، ومخضرمـة بالمسـرح.

- "نعم. أنا تائيقو".
- "حضرتك يا تائيقو أيهن؟"
- "أنا الابنة الأخيرة".
- "الابنـة الصغـيرة! لقـد كـبرتِ للغايـة، كنـتِ للتـو تخرجـت في مدرسـة البنـات".

- "حقًا!"

واعتلت الضحكة وجهها. إنها فى كل مرة تراها تظنها الابنة الصغيرة ذات الاثنى عشر عامًا، التى تخرجت للتو فى مدرسة البنات. إنها اعتادت التلاعب فى مثل هذه المواقف.

هذه العجوز منذ أن كان أبوهن فى عز مجده وهى عجوز بصحة جيدة، وكانت تأتيهم ببيت رصيف الميناء لإلقاء التحية، وكان المألوف عند "تانيقو" وهى طفلة لم تبلغ العاشرة بعد أن تخبر كل أفراد العائلة بمجىء هذه العجوز: "السيدة ساكا إيه، السيدة ساكا إيه".

كان هذا منذ سبعة عشر عامًا تقريبًا. إنها الآن لم تعد صغيرة إلى هذا الحد إن خمنت بالتقريب سنها آنذاك وأضافت إليها السنين منذ ذاك الحين، والمثير للدهشة أنها فى تلك الليلة كانت ترتدى قبعة وملابس تجعلها غاية فى الأنوثة، ومع ذلك تعرفت عليها.

- "كم من العمر تبلغين الآن؟"
- "لم أعد صغيرة لذاك الحد".
- "وهل تتذكريننى؟"
- "نعم. أعرفك، إنكِ السيدة ساكا إيه. تغيرتِ قليلاً عن ذاك الحين".
- "التغير هو الحقيقة التى لا مفر منها، لقد صرت جدة الآن. وأنتِ؟ لِمَ لم تذهبى إلى طوكيو؟"
- "إنى فى الوقت الحالى أقيم مع أختى الوسطى فى أشييا".
- "حسنًا لقد ذهبت الأخت الكبيرة وأخوكِ رب العائلة، وستظلان وحدكما. يا للوحدة".

خرجت "تائيقو" من حاجز التذاكر وتركت "ساكا إيه"، وعلى الفور بعد عدة خطوات:

- "ألستِ أنتِ تائيقو؟"

ومرة أخرى ينادى عليها ويستوقفها أحد، لكن هذه المرة كان رجلاً أنيقًا.

- "يا للزمن. أنا كاى هارا، جئت هنا من أجل السيد ماكى أوكا فقد تمت ترقيته".

إنه رفيق "تاتسو أوو" من أيام الجامعة، وتوظَّف فى إحدى شركات "ميتسوبيشى" بمدينة "قووراى باشى" فى "أوساكا"، ومنذ أن انضم "تاتسو أوو" إلى عائلة "ماكى أوكا" وهو عزب ولا يزال وباستمرار يأتى للتنزه، لذلك تعتاده أخوات "تسوروقو"، لكنه تزوج فيما بعد ونُقل إلى فرع لندن ومكث فى إنجلترا نحو ست سنوات، ثم استدعوه منذ قرابة الثلاثة أشهر إلى مقر الشركة الرئيس فى "أوساكا"، وسمعت "تائيقو" شائعات حول عودته من الخارج مؤخرًا لكنها لم تلتقِه منذ تسع سنوات تقريبًا.

- "لقد لاحظتك منذ قليل أختى الصغيرة".

قالها مباشرةً "كاى هارا" وهو يستوقفها مناديًا إياها بـ"أختى الصغيرة" كما كان يفعل بسالف عهده.

- "مر وقت طويل حقًّا. متى آخر مرة رأيتك فيها؟!"

- "ها أنت مرة ثانية. مبروك عودتك بسلام".

- "آه شكرًا. فى الحقيقة رأيتك الآن على رصيف المحطة وقلت بلا شك إنها أختى الصغيرة. ما زلتِ تبدين صغيرة".

- "مم مممم". وضحكت "تائيقو" مراوغة بالضبط كما فعلت منذ قليل.

- "إذًا يوكيقو هى من رافقتهم وركبت معهم القطار".
- "بالضبط".
- "لقد ألقيت التحية عليها. إن اثنتيكما حقًا فى ريعان الشباب. آسف على ما قلت ولكنى وقتما أراكِ أتذكر أيام رصيف الميناء باستمرار، وهذه المرة حين عدت كنت متأكدًا من أن يوكيقو تزوجت وبالطبع وأنتِ ربما كذلك، وظننت أنكما بالفعل أصبحتما زوجتين أو أمّين رائعتين، لكن حين سمعت من السيد ماكى أوكا أنكما ما زلتما آنستين! فما هذا؟ إنى ابتعدت عن اليابان نحو ست سنوات بكاملها أراها كأنها حلم طويل. إنه من السيئ أن أذكر ذلك ولكنى أشعر كم هو الأمر غريب، خصوصًا أنى بهذه الليلة حين رأيتكما أنتِ أختى الصغيرة ويوكيقو أصابنى الذهول مرتين، فكلتاكما لا يبدو عليها السن مطلقًا حتى إنى شككت فى عينَى".
- "مم. مممم".
- "كلا، حقًا وليس مجاملة. إذًا أليس غريبًا ألا تتزوجى وأنتِ فى غاية الشباب هكذا؟"

قالها وهو يتفحصها من رأسها وحتى أخمص قدميها، ومن قبعتها حتى حذائها فى شغف.

- "حسنًا، وساتشيقو الليلة؟!"
- "أختى ممتنعة عن كل شيء وتظل تبكى لفرقة الأختين التى لم نعتَدها".
- "ماذا؟ أهذا هو السبب؟ إنى حين ألقيت عليها التحية كانت تترقرق عيناها بالدموع، ولكن لِمَ؟ فالمكان لا بأس به للآن".

- "تقصد أما زال هناك من يبكى لمجرد الذهاب إلى طوكيو! ها نحن ذا. لقد أضحكناك".
- "كلا الأمر ليس كذلك، فأنا مثلاً بعد طول أمد تمكنت من رؤية فتيات يابانيات بمكان ما.. كم كنت أفتقد ذلك. أختى، أتبقين فى إقليم كانساى من أجل عملك؟"
- "نعم إنى أمكث هنا وفقًا لمهام عملى".
- "سمعت أنكِ فنانة، سمعت عنكِ، إنه لشىء عظيم".
- "أبدو حمقاء. الأمر يختلف عنه فى إنجلترا".

وتذكرت "تائيقو" أن "كاى هارا" يحب الويسكى، وشعرت بأنه سيرغب فى قضاء مزيد من الوقت معًا هذه الليلة. على أى حال لا بأس من احتساء الشاى بأى مكان بالجوار لكن..

وسرعان ما تراجعت "تائيقو" عن الفكرة وأسرعت باتجاه محطة "هانكيوو".

الفصل الثالث والعشرون

عزيزتي..

منـذ ذاك الحـين وأنـا مشـغولة للغايـة. يوميًـا لا أجـد متسـعًا مـن الوقـت لأكتـب لـكِ أو أتواصـل معـكِ. أسـتميحك عـذرًا.

بمسـاء رحيلنـا، وفـور أن انطلـق القطـار انهمـرت كل الدمـوع الحبيسـة بعينَـي أختـي، ثـم بعـد فـترة وجيـزة ارتفعـت حـرارة الصغـير "هيديـو" وآلمـه بطنـه وظـل يـتردد ذهابًـا ومجيئًـا طـوال الليـل عـلى المرحـاض، ولم يمكننـا أنـا أو أختـي حتـى أن نغفـو قليـلاً.

الأسـوأ مـن ذلـك كلـه أن البيـت المسـتأجر في بلـدة "أوومـوري" فجـأة لظـروف مـا، مالكـه لغـى العقـد، ولم يعرفـوا بذلـك إلا قبيـل المغـادرة بيـوم وكان فـات الأوان ومـا باليـد حيلـة. بطريقـة مـا ذهبنـا للمبيـت لـدى السـيد "تانيـدا" ونحـن حتـى الآن مـا زلنـا هنـا. أرجـوك أن تتفهمـي مـدى الورطـة التـي نحـن بهـا هنـا بمنـزل السـيد "تانيـدا" بسـبب إزعـاج 11 شـخصًا جميعهـم جـاؤوا فجـأة!

سريعًا ما جاء الطبيب إلى "هيديو" وقال إنه يعاني من نزلة معوية، ولم يتحسن سوى بالأمس.

أما عن المنزل، فقد طلبنا من كثيرين هنا ونسعى في كل اتجاه، وهم أيضًا يبحثون من أجلنا بأسرع وقت ممكن، وأخيراً وجدوا لنا واحدًا في "دوجنزاكا" في حي "شيبويا". ذاك البيت المستأجر بناؤه حديث. الدور الأرضي به أربع غرف والثاني به ثلاث غرف وبلا أي حديقة. إيجاره 55 ينًّا لكننا لم نره بعد. أظنه ضيق ولن يتسع لسكن أسرة كبيرة مثلنا، لكني حين أفكر في مدى إزعاجنا للسيد "تانيدا" أجد أنه أولى بنا استئجاره. في النهاية قررنا الانتقال الأحد المقبل حتى لو سنستبدله فيما بعد.

العنوان: مدينة "أوودا" حي "شيبويا"، وسيعمل الهاتف من الشهر المقبل.

يتردد أخي على بناية "مارو نو أوتشي" ومن حسن الحظ ذلك سيعود بالنفع على "تارو أو"، فهو طريق مدرسته الإعدادية المقبلة نفسه، ما يجعل موقع البيت لا بأس به.

وإلى أن أوافيكِ بأخبارنا، فأول شيء سلامي لأختي والصغيرة "اتسو" وأخي "تينوسوكيه".

8 سبتمبر

أختي الكبيرة "ساتشيقو"..

منذ الصباح ونحن نشعر بالرياح في "طوكيو". لقد حلَّ الخريف بالتمام، كيف هي الحال عندك؟

لطفًا فلتنتبهي لصحتك.

ولتهتمي بنفسك.

في صباح اليوم الذى استلمت فيه "ساتشيقو" هذا الخطاب، تغير الجو، وشعروا بالنسمات المنعشة للخريف بإقليم "كانساى" طوال الليل، وبعدما ذهبت "اتسوقو" إلى المدرسة، توجهت "ساتشيقو" نحو زوجها واتخذت مقعدًا إلى طاولة الطعام، ووقع ناظرها على عناوين الأخبار:

"تشن قواتنا الجوية غارات موجهة من الناقلات البحرية على إقليم الشانتو بالصين ومدينة تشاوزو"، وحينها كانت تفوح من المطبخ رائحة القهوة المغلية وتعبئ أركان المكان، وفجأة..

- "ماذا؟ الخريف!"

قالها "تينوسوكيه" ورفع عينيه عن الصحيفة.

- "هذا الصباح تأتي رائحة القهوة بشدة على غير العادة، أليس كذلك ؟"

- "مممممم".

وفتح "تينوسوكيه" صفحات الجريدة وانغمس في القراءة، وجاءت "أوهارو" بالقهوة ومعها خطاب "يوكيقو" على حافة الصينية.

بعدما توقفت "أوهارو" جاء بخاطرها أنه تجاوزنا اليوم العاشر من الشهر وهمَّت بفعل شيء ما، فأسرعت "ساتشيقو" والتقطت المظروف وقطعته ولاحقت عيناها السطور التي بدت أنها كُتبت في عجالة بين كثير من المشاغل، وعلى الفور تخيلت كيف يتلاقى وجها أختيها الكبيرة والصغيرة سريعًا.

أما عن "تانيدا" الذى في "أزابو"، فـ"ساتشيقو" تعلم أن صهره الأكبر منه مباشرةً موظف بوزارة التجارة والتصنيع، وقد التقت مرة واحدة بأخته منذ أكثر من عشر سنوات بحفل زفاف، حتى إنها أوشكت

علـى نسـيان ملامحهـا. تـرى أختهـا الكبـيرة أيضًـا كذلـك لا تلتقـى بهـا إلى ذاك الحـد؟

إن علاقتـه بصهـره متطفلـة للغايـة، تـرى مـا الوضـع الآن وهـو قـد أتاهـم ليقيـم عندهـم؟ وإنمـا هـو يعـد فـردًا مـن أفـراد العائلـة، و"يوكيقو" والأخـت الكبـيرة غريبتـان بـأرض لا تعرفانهـا، عـلاوة عـلى أنهـم أقرباؤهـم مـن "ناجويـا"، تـرى إلى أى مـدى الوضـع غـير مريـح وهـم بورطـة الإقامـة ببيـت أنـاس أعـلى منهـم؟! والأكـثر هـو مجيئهـم ومعهـم مريـض واسـتدعاؤهم لطبيـب.

- "هل هذا خطاب من يوكيقو؟"

تسـاءل "تينوسـوكيه" بعدمـا ابتعـدت عينـاه عـن الجريـدة أخـيرًا، وأمسـك بكـوب قهوتـه.

- "كانـت تـراودنى الهواجـس وأفكـر لمَ لم تراسـلنى كل هـذا الوقـت، لا بـد أن هنـاك حدثًـا جلـلاً".

- "وما هو؟"

- "ها هو.. تفضل اقرأ".

وبثلاث كلمات فقط أجابت "ساتشيقو" زوجها، وأعطته الخطاب.

بعـد ذلـك بنحـو سـتة أيـام أو أكـثر وصلتهـم متأخـرةً بطاقـة شـكر عـلى مجيئهـم للـوداع بـذاك اليـوم، مـع إخطـار بتغيـير العنـوان بأحـرف مطبوعـة فقـط مـن "يوكيقـو" بـلا أى جديـد مـن الأنبـاء.

ذهـب "شـوكيتشى" ابـن عائلـة "أوطويـان" إلى العاصمـة منـذ ليلـة الأحـد ليـزور "تاتسـو أوو" ويسـاعده بالنقـل وعـاد فى صبـاح الاثنـين، وهـا هـو قـد جـاء لزيـارة "ساتشـيقو" ليتبـادلا أطـراف الحديـث عـن الأحـوال بـ"طوكيو" و"أشـييا".

بالأمس، الأحد، استطاعوا الانتهاء من النقل بسلام.

إن أبنية المنازل المستأجرة بـ"طوكيو" متواضعة للغاية بالنسبة إلى مثيلتها فى "أوساكا"، وعلى غير المعتاد كل التركيبات التى بها رديئة، فمثلاً الباب الجرار من أرخص الأنواع وأسوئها، والمساحات هناك يستخدمون لها وحدة قياس "إيدوما"[1] وليس "كيووما"[2] كالمتبع بإقليم "كانساى"، فالطابق السفلى تتراوح مساحات القطعة به ما بين 4م^2، 7م^2، 8م^2، 11م^2، والطابق الثانى المساحات ما بين 14م^2، 8 م^2، 5م^2، ما يعنى أن الإقامة فقيرة للغاية، وما عندنا مساحته 14م^2 بالتقريب هو عندهم 11م^2، وما عندنا 11م^2 لن يعادل سوى 8م^2 بوحدة قياسهم.

أما عن المزايا هناك، فالمبانى جديدة وتعطى إحساسًا بالبهجة، وهى بالجنوب لذلك فالشمس هناك أفضل والبيوت صحية عن البيوت المعتمة فى مدينة "أويه هون"، وإن لم تكن هناك حدائق خاصة بالمنازل إلا أن الكثير من الحدائق العامة والقصور الفارهة بالجوار، وطبيعة المنطقة راقية وهادئة.

بمجرد الخروج إلى "دوجين زاكا" تجد شوارع مليئة بالمحلات التجارية للتسوق، وهناك أيضًا العديد من دور السينما، لذلك فالأطفال لديهم شغف بكل شيء هناك، وعلى العكس فهم فرحون بذهابهم إلى "طوكيو". "هيديو" أيضًا لا بد له من الذهاب إلى مدرسة ابتدائية قريبة هذا الأسبوع بعدما يستعيد عافيته.

وعلى هذا النحو دار حديثهما.

- "وكيف حال أهل طوكيو؟"

---

(1) وحدة قياس = 182 سم تقريبًا.

(2) وحدة قياس = 190 سم تقريبًا.

- "بصحة جيدة. حين مرض الصغير هيديو قامت ابنة عائلتكم الكريمة بتمريضه عن فهم وعلى نحو أفضل من الممرضة. كريمتكم جديرة بالثناء".

- "إنها كانت تعتني بصغيرتي اتسوقو هكذا حين تمرض، وكنت متأكدة من أنها ستقدم يد العون لأختي الكبيرة بالطبع".

- "المؤسف حقًا هو ذاك البيت، فعلى حد قولك لن تكون هناك غرفة مخصصة ليوكيقو، فبهذا الوضع الغرفة الـ8م[2] ستكون غرفة استذكار الأبناء، ولن تصبح غرفة نوم لها. لا بد لرب الأسرة من أن يسرع باستبدال منزل آخر واسع بهذا المنزل. مؤسف ألا يحدد غرفة ليوكيقو".

كان ذاك الذي يدعى "شوكيتشي" شخصًا ثرثارًا، ولكنه استطرد بصوت خافت مضيفًا:

- "رب الأسرة سيفرح فرحًا عظيمًا إن عادت ابنتكم يوكيقو، فهذه المرة يمكنك جعلها تهرب على ما أظن وهذا من منطلق أنكِ حريصة على إرضائها قبلما تتأذى مشاعرها بشدة كما تعرفين".

بهذا صارت "ساتشيقو" على علم ويمكنها تخيل الوضع العام بـ"طوكيو"، لكن ما زالت لم تأتِها أي خطابات أخرى من "يوكيقو".

"يوكيقو" ليست بالشخص المولع بكتابة الخطابات مثل الأخت الكبيرة بل يبدو أنها تكره الكتابة، وفوق ذلك كله ليست لديها غرفة مخصصة لها، أي لن يصفو بالها لكتابة أي شيء، وهذا ما فكرت فيه "ساتشيقو".

- "صغيرتي إتسو، هيا فلنكتب رسالة ليوكيقو".

قالتها وجعلتها تُخرج بطاقات مصورة بعرائس "تائيقو" وتتهجى عبارات بسيطة منها، ولكن حتى ذاك لم يأتِها رد عليه.

بعد اليوم العشرين بالشهر، وبليلة اكتمال القمر:

- "ماذا إن كتبتِ لها هذه الليلة للمرة الأخيرة؟"

قالها "تينوسوكيه"، ووافقوا جميعهم، وبعد العشاء وبالقرب من التراس الذى يمنحهم الفرصة لمشاهدة القمر اجتمع الأربعة، كلٌّ من "تينوسوكيه" و"ساتشيقو" و"اتسوقو" و"تائيقو".

جهزت "أوهارو" الحبر، وفتح "تينوسوكيه" ورقة مطوية وكتب بيتًا من أغنية، وكتبت كلاً من "ساتشيقو" و"اتسوقو" أيضًا أشعارًا على القافية نفسها، لكن "تائيقو" غير بارعة فى ذلك فأخذت ترسم بالحبر مشهدًا من الطبيعة للقمر المعلق فى السماء بين أشجار الصنوبر.

أغصان الصنوبر بالحديقة تنتظر مرور الغيوم
لتمسك بالقمر من بين النجوم
تينوسوكيه
البدر فى تمامه
له هالة تكفى عشاقه
ساتشيقو
قمر تراه أختى من طوكيو
اتسوقو

وبعدما رسمت "تائيقو" صورتها بالحبر أكمل "تينوسوكيه" وصحح كلمات "ساتشيقو" وابنته، وفى النهاية نادى "أوهارو" وقال لها أن تكتب هى أيضًا، فأمسكت بالريشة على الفور وعلى نحو غير متوقع:

للمرة الأولى لا يسعنى أن أرى القمر بدرًا بين الغيوم

أخذت "ساتشيقو" زهرة من أعشاب الحديقة اللامعة تحت ضوء القمر وقطفتها لتضعها بين طيّات الخطاب.

الفصل الرابع والعشرون

جاء الرد على الخطاب الأخير سريعًا كما كانت آمال "ساتشيقو"، التى ظلت تعيد قراءته من أعماق قلبها وتطيل النظر إلى القمر من شرفة الطابق الثانى، وقرأت كلمات أثارت بكاءها مثل:

تذكرت بالعام الماضى بمنزل "أشيبا" حين كنت أشاهد القمر كأنه بالأمس القريب.

لكن بعد ذلك توقفت الخطابات لفترة من الوقت.

منذ رحيل "يوكيقو" و"أوهارو" صارت تنام على سرير أسفل سرير الصغيرة، لكن بعد أسبوعين صارت "اتسوقو" تكره وجود "أوهارو"، فاستبدلوا "أوهانا" بها، وبعد أسبوعين أيضًا صارت تكرهها هى الأخرى، واستبدلوا بها "أوأكى" التى تعمل بالأسفل.

كانت "اتسوقو" بخلاف كل الأطفال يصعب خلودها إلى النوم، وتنشط حماستها للثرثرة قبل النوم بنحو نصف ساعة وكانت هذه عادتها، لكن كل من رافقتها من هؤلاء الفتيات لم تستطِع مجاراتها فى هذا النصف ساعة، وكنّ يغططن فى النوم قبلها دائمًا، لكن بدا أنه

لـدى الصغـيرة سـبب مـا يؤرقهـا ويزعجهـا إلى حـد كونهـا لا تسـتطيع النـوم مطلقًـا، فتنـزل فى أثنـاء الليـل إلى غرفـة والديهـا وتفتـح سـتائرها بفظاظـة وتصيـح:

– "أمى لا يمكننى النوم". وتعلو صرخاتها وبكاؤها.

– "أوهـارو تزعجنـى. تغـط فى النـوم سريعًـا وتشـخر خاااخـااا خووخـو. أكرههـا! أمقتهـا! سـأقتلها".

– "اتسـوقو، غضبـك هكـذا سـيجعلك عـلى العكـس لا تسـتطيعين النـوم أكـثر. مسـتحيل أن تنامـى ولا تظنـى أنـه سـيحدث. انظـرى، هـا أنـتِ لا يمكنـكِ النـوم أكـثر وأكـثر كل مـدى، حسـنًا إذًا إن لم تنامـى الآن لـن يمكنـكِ الاسـتيقاظ مبكـرة. هيـا كى لا تتأخـرى عـلى المدرسـة مـرة أخـرى. مـاذا بـكِ؟ مـا هـذا الـصراخ؟ اهـدئى!"

ووبختهـا "ساتشـيقو" واصطحبتهـا إلى فراشـها وغالبهـا النعـاس، لكـن مهـما فعلـت لم تسـتطِع النـوم، فعـادت الصغـيرة للـصراخ والبـكاء.

– "لا يمكننى النوم، لا يمكننى النوم".

استشـاطت أمهـا غضبًـا وعـادت لتوبيخهـا مـرة أخـرى، وهنـا تعالـت صيحـات الصغـيرة بصـوت عـالٍ أكـثر وأكـثر، واسـتيقظت الخادمـة مـن هـذه الضوضـاء ولم تسـتطِع النـوم، وهكـذا اسـتمرت الحـال.

منـذ ذاك الحـين و"ساتشـيقو" دائمًـا مشـغولة ومرتبكـة، وفى تلـك الأثنـاء أيضًـا كانـت تتهـرب مـن الحقنـة، لقـد بدأ موسـم "نقـص فيتامـين B"، وإن كان لا أحـد مـن أفـراد العائلـة بـدت عليـه أعـراض مـرض الـ"بـرى برى".

لكن هل يكون هذا هو سبب ما أصاب الصغيرة "اتسوقو"؟

حـين فكـرت "ساتشيقو" فى ذلـك وضعـت يدهـا عـلى قلـب "اتسـوقو" وتفحصتهـا ورأت نبـض وريدهـا ووجدتـه ضعيفًـا، وفى اليـوم التـالى أعطتهـا حقنـة "بيتاكسـين" بعدمـا اضطـرت إلى إيلامهـا وإمسـاكها بالقوة. اسـتمرت

الحـال هكـذا فى الأيـام الأربعـة أو الخمسـة التاليـة، إلى أن اسـتعادت الصغـيرة نشـاطها وانضبطـت ضربـات قلبهـا وتحسـنت حالـة اضطـراب جسـدها، إنما الأرق ازداد حـدة حتى إن "ساتشـيقو" تناقشـت مـع الطبيب "كوشـيدا" عـبر الهاتـف ليأتى ليتفحصهـا، فهـى جربـت أن تعطيهـا ملعقـة مـن دواء شراب "أداريـن"، لكـن ملعقـة واحـدة كانـت عديمـة التأثـير، وإن زادت الجرعـة فسـيمتد تأثـير الـدواء مسـببًا النـوم لفـترات طويلـة، ولأنهـا تنـام بالنهـار بقـدر لا بـأس بـه، فعندمـا يحـين وقـت النـوم تظـل مسـتيقظة وتنظـر إلى الساعة بجـوار فراشـها وتبـكى، واليـوم أيضًـا تأخـرت عـلى مدرسـتها، وصـارت دائمًـا مـا تقـع بمواقـف محرجـة لتأخرهـا مـا يجعلهـا تواصـل صراخهـا ولا تريـد الذهـاب إلى المدرسـة.

وعـلى هـذا المنـوال، إن اسـتيقظت الصغـيرة دون تأخـير واسـتطاعت النـوم بالليلـة الماضيـة قليـلاً يشـتعل غضبهـا وتريـد النـوم أكـثر وتنغمـس تحـت الغطـاء حتـى رأسـها، ثـم تفتـح عينيهـا لاحقًـا لتجـد نفسـها تأخـرت أيضًـا لمـرة أخـرى فتبـدأ فى البـكاء.

أمـا عـن الخادمـات، فقـد كانـت مشـاعرها تتأرجـح بشـدة حيالهـن مـا بـين الحـب والكراهيـة، وحـين تكرههـن تندفـع بقـول عبـارات مبالـغ فيهـا مثـل "سـأقتلها" أو "اقتلوهـا"، وتعيدهـا مـرارًا وتكـرارًا.

الأهـم مـن ذلـك كلـه أن الصغـيرة فى مرحلـة نمـو، ومـع ذلـك فشـهيتها للطعـام ليسـت كـذى قبـل، وهـذا الوضـع كل مـدى يـزداد سـوءًا يومًـا بعد يـوم ولا تـأكل سـوى قـدر ضئيـل بـكل وجبـة، وتفضّـل الأطبـاق الجانبيـة مثـل "شـيوقومبو" وقطـع الطوفـو المجمـدة والمجففـة، وغيرهـا من الأشـياء التـى تشـبه طعـام المسـنين، ويسـتحيل عليهـا أن تقْـدم عـلى الطعـام التقليـدى، ووقـت الطعـام تـأتى بالقطـة "سـوزو" التـى تحبهـا وتضعهـا عند قدميهـا وتعطيهـا مختلـف أنـواع الطعـام حتـى المأكـولات الدسـمة، فبـدلاً مـن أن تأكلهـا تعطـى القطـة معظمهـا. لهـذا يتشـددون بالنظافـة عـلى

نحـو غريـب. إنهـا فى أثنـاء الطعـام تلامـس القطـة، ويتوقـف الذبـاب، وتلامـس أكـمام الخـدم، فيجعلونهـا تضـع عـصى طعامهـا فى المـاء المغـلى لعـدة مـرات فى أثنـاء الطعـام، وصـار الخـدم يتفهمـون الأمـر ويحـضرون مـع تجهيـزات الطاولـة مـن البدايـة قنينـة فخاريـة للـماء المغـلى.

خوفهـم مـن الذبـاب غـير عـادى، فـإن وقفـت ذبابـة عـلى أى مـن الأطعمـة أو حتـى رأوهـا تطـير بالقـرب لا يأكلونـه، خوفًـا مـن أن تكـون وُجـدت عليـه ويـصرون عـلى سـؤال مـن حولهـم إن كان متأكـدًا مـن أنهـا لم تقـف بمـكان آخـر. إن سـقط شيء مـن عـصى الطعـام حتـى إن سـقط عـلى مفـرش المنضـدة المغسـول لا يأكلونـه لأنـه اتسـخ!

فى مـرة خرجـت "ساتشـيقو" مصطحبـة طفلتهـا للتجـوال بشـارع "ميـزو دورو"، وإذا بهـا تـرى فـأرًا نافقًـا عـلى جانـب الطريـق، وبمجـرد اقترابهـما منـه ارتعبـت الصغـيرة وقالـت لهـا بصـوت خافـت بعدمـا تمسـكت بأمهـا واحتضنتهـا فى هلـع:

- "أمى، ماذا إن دست عليه؟ هل ستصل الديدان إلى ملبسى؟"

اندهشـت "ساتشـيقو" ودون حاجـة إلى النظـر إلى عينَـى الصغـيرة ابتعدتـا عـن الفـأر تمامًـا حتـى لا تراودهـا مجـرد الفكـرة، فـلا داعـى لوقـوع أى خطـأ.

إنهـا لا تـزال طفلـة فى الصـف الثـانى الابتـدائى، فهـل كانـت سـتعانى مـن انهيـار عصبـى إن خاضـت التجربـة مثـلاً!

إن "ساتشـيقو" دائمًـا مـا توبخهـا بالـكلام دون أن تلقـى بـالاً، لكنهـا لاحظـت مـدى جديـة الأمـر منـذ واقعـة الفـأر هـذه.

هـا قـد جـاء رأى الطبيـب "كوشـيدا" ليؤكـد أن الانهيـار العصبـى للأطفـال قطعًـا ليـس مسـتبعدًا. للأسـف ربمـا ذلـك هـو تشـخيص حالـة

الصغيرة "اتسوقو"، وإن كان هو لا يمكنه أن يتفحصها، ولكن سيقدمهم لطبيب مختص حاصل على الدكتوراه ليتولى المسألة، فهو يقتصر عمله فقط على العناية الطبية بالأمراض العضوية مثل الـ"برى برى"، لذلك قال لهم إنه من الأفضل أن يباشرها الطبيب المختص الدكتور "تسوچى" فى حى "إيشى نوميا"، وعليهم أن يسرعوا بطلبه عبر الهاتف ليأتيهم فى زيارة منزلية.

فى النهاية جاء الدكتور "تسوچى" بالمساء، وبعد فحصه الطبى لـ"اتسوقو" تحدث معها وسألها أسئلة عدة، وجاء تشخيصه أنه "انهيار عصبى".

كانت تعليماته أولاً أن يتمموا علاج الـ"برى برى" كليًّا، وجرعة الدواء ستحفز شهية الطعام، وإن كانت ستعانى من عدم توازن بنظامها الغذائى. ثانيًا بالمدرسة، فإنه من الأفضل أن يجعلوها تغادر مبكرًا وتذهب متأخرة وفقًا لحالتها المزاجية، لكن إن توقفت عن المدرسة تمامًا فسيستحيل أن تتحسن حالتها الصحية، وذلك لأن توجيهها نحو شىء واحد بعينه موجود بعقلها لن يدع لها مجالاً لنسج كثير من الأوهام.

أخيرًا، عليهم ألا يثيروا غضبها حتى إن كان هناك ما لا تفهمه فلا داعى لتوبيخها من البداية، وليخبروها بتفسير واضح.

هكذا ظهر أثر غياب "يوكيقو" على الصغيرة "اتسوقو".

ليس بالضرورة أن يكون صعبًا على "ساتشيقو" أن تصدر حكمًا، لكنها لا تريد أن ينجرف فكرها بهذا التيار، فالآن من يتحمل المسئولية عليه أن تنحرق يداه دون أن يدرى ماذا يجب عليه فعله.

إنها كلما صادفت موقفًا تصبح كأنها ستبكى. لو كانت "يوكيقو" بطول صبرها فى الموقف نفسه لجعلت الصغيرة تسمع وتوافق، ومع ذلك ظلت تفكر مرارًا وتكرارًا.

ظاهريًا الوضع مختلف وله أسبابه، فالشخص المعنى لا يعترض على أى شىء من "يوكيقو". حتى إن لم يستعيدوها فإن فقط أخبروها بوضع "اتسوقو" بالتأكيد ستأتيهم على الفور دون حتى انتظار للإذن من أخيهن، لكن طلبها لطوق النجاة والاستسلام دون حتى أن يمر شهران هو أمر ليس بيدها ولا يتماشى مع عنادها، ومهما كان قلقها ستقول فلننتظر قليلاً ونرى الوضع، وماذا عساى أن أفعل! ستنقضى الأيام يوم تلو الآخر كما ترغب بالضبط.

أما عن "تينوسوكيه"، فهو ضد عودة "يوكيقو" من أجلهم، فطريقة التربية التى لا تسمح بتناول أى شىء لمجرد سقوطه على مفرش المنضدة وتعقيم عصى الطعام بالماء المغلى مرات عدة، وغيرها من أشياء على ذاك النهج الذى تسلكه "يوكيقو" و"ساتشيقو"، فهذا بوجه عام لا يروقه حتى إن كانوا يطبقونه على أنفسهم، فهو بعدما صارت لديه طفلة رقيقة مرهفة الحس يريد أن يقوِّم تلك العادات، لذلك فلا بد أولاً من أن يتوقف الكبار عما يفعلونه.

إنه رغم المخاطر يجعل الصغيرة تأكل من حيث توقفت ذبابة مثلاً، ليثبت لها فعليًا أنها لن تمرض هكذا إلا نادرًا، على الرغم من أنهم دائمًا ما يقولون لها بحزم "التعقيم"، وهكذا تصبح المشكلة هى عدم احترامها لما يقال من تعليمات. "ساتشيقو" لا تنفذ أيًا من آراء "تينوسوكيه"، ودائمًا ما تنبه الصغيرة قائلة لها: "أهم شىء هو أن تجعلى حياتك منضبطة".

بالنسبة إلى "ساتشيقو" فإن شخصًا مثل زوجها قوى المناعة وصحته جيدة لن يدرك أبدًا شعور أمثالهم من المرهفين الذين تسهل إصابتهم بالأمراض.

وبالنسبة إلى "تينوسوكيه" فإن احتمالية المرض بسبب العدوى لأن الجراثيم علقت بعصى الطعام أمر نسبته واحد فى الألف، والهلع

بهـذه الطريقـة يضعـف مناعتهـا كل مـدى. مـن ناحيتـه هـو يقـول إن اللطـف أهـم للطفلـة مـن القواعـد، فى حـين إنـه مـن ناحيتهـا هـى تقـول إن هـذا خطـأ وذاك الأسـلوب فى التفكـير نمطـه قديـم، فـلا بـد لـلأسرة كلهـا مـن الانضبـاط فى مواعيـد الطعـام والترفيـه، وغـير مسـموح إطلاقًـا بـأى أفعـال طائشـة أو دون توجيـه. إن قالـت لـه إنـه شـخص همجـى وتفكـيره ليـس بـه أى معايـير للنظافـة الصحيـة، يقـول لهـا بـدوره إن طريقـة حضرتكـم فى التعقيـم ليـس بهـا ولا حتـى القـدر الأدنى مـن المنطـق، تميتـون الجراثيـم العالقـة بعـصى الطعـام بالمـاء المغـلى وأنتـم أصـلاً لا تـدرون مصـدر الطعـام نفسـه أو إن كان لامـس القـاذورات قبلـما يُحمَـل ويُقـدَّم لحضراتكـم. سـيادتكم مخطئـون باتباعكـم الأفـكار الغريبـة فى النظافـة، ألا يـأكل الـروس المحـار النيـئ بـلا أدنى مبـالاة؟

وغيره من كلام من ذاك القبيل.

عـادةً مـا يتبـع "تينوسـوكيه" سياسـة عـدم التدخـل، ويتخـذ موقفًـا عامًّـا بالابتعـاد وتـرك مسـألة تربيـة الطفلـة خصوصًـا لأمهـا، لكـن مؤخـرًا، بعدمـا اندلعـت الحـرب اليابانيـة الصينيـة[1]، وفى فـترات تأديـة مهـام الجبهـة الداخليـة، صـار لا بـد للزوجـين أن يفكـرا معًـا فى تنشـئة الطفلـة عـلى الحماسـة والوطنيـة، مـا أشـعرهما بالقلـق.

•

حـدث فى مـرة مـا أن وجـد "تينوسـوكيه" الصغـيرة تلعـب مـع "أوهانـا" ومعهـا إبـرة لحقنـة مسـتخدمة، وفجـأة وجدهـا تمسـك بـذراع الدميـة المحشـوة بالقـش ذات الشـكل الأجنبـى لتعطيهـا حقنـة!

ففكـر لِمَ لهـا أن تلعـب ألعابًـا كريهـة غـير طبيعيـة كهـذه؟ وشـعر أن هـذا مثـال مـن أمثلـة كثـيرة لمسـاوئ التعليـم الصحـى.

منـذ ذاك الحـين وهـو يفكـر فى وجـوب أن يصحـح كل شىء برمتـه بطريقـة أو بأخـرى.

(1) 1937 - 1945.

لكنـه فقـط عـلى يقـين بأن أهـم شـخص لـدى "اتسـوقو" هـو "يوكيقـو"، التـى هـى بالتأكيـد تدعـم أسـلوب زوجتـه، وإن تدخـل أى تدخـل أخـرق سـيخاطر بحـدوث زوبعـة بالعائلـة، لذلـك مـن هـذا المنطلـق غيـاب "يوكيقـو" هـو الفرصـة التـى طالمـا انتظرهـا "تينوسـوكيه".

هكـذا فـإن "تينوسـوكيه" أيضًـا يشـعر سرًا بالشـفقة حيـال موقـف "يوكيقـو"، وإنمـا تربيـة ابنتـه أهـم. إنـه كان يجـب عليـه دائمًـا التفكـير فى الصدمـة النفسـية التـى سـتتلقاها "يوكيقـو"، فإنـه ليـس مـن السـهل مطلقًـا إبعادهـا عـن الصغـيرة دون الإسـاءة لهـا أو التسـبب فى الإزعـاج. هـذه المرة أخـيرًا جـاء الحـل مـن تلقـاء نفسـه، وبغيـاب "يوكيقـو" يصبـح أمـر زوجتـه سـهلاً، وهـذا مـا دار بخلـده.

وعليـه، قـال "تينوسـوكيه" لزوجتـه إنـه مثلهـا تمامًـا يشـعر بالشـفقة حيـال "يوكيقـو"، وإن كانـت هـى ترغـب فى العـودة ولـن تمانـع، لكنـه لا يمكـن اسـتدعاؤها لترجـع مـن أجـل "اتسـوقو"، بالطبـع هـى تعتـاد التعامـل مـع الصغـيرة وإن جـاءت سـتكون قدمـت لهـما يـد العـون هـذه الفـترة، وإنمـا السـبب الخفـى لحالـة الانهيـار العصبـى تلـك يكمـن فى أسـلوب تربيتهـا هـى وأختهـا، لذلـك فمـن الأفضـل نـزع تأثـير "يوكيقـو" فى الصغـيرة الآن واسـتغلال هـذه الفرصـة حتـى لـو بتحمـل الصعـاب، وشـيئًا فشـيئًا ستسـتجيب "اتسـوقو" مـع تغيـير أسـلوب التربيـة الحـالى لكيـلا تأتينـا "يوكيقـو".

وهكذا سيطر على "ساتشيقو".

بـدأ شـهر نوفمـبر، واقتضـت مهـام عمـل "تينوسـوكيه" ذهابـه لبضعـة أيـام إلى "طوكيـو"، وحينهـا زار بيـت العائلـة فى "شـيبويا" للمـرة الأولى، ووجـد الأطفـال قـد اعتـادوا الحيـاة الجديـدة تمامًـا ويسـتخدمون لكنـة

طوكيـو بطلاقـة، لدرجـة أنهـم يفرِّقـون فى اسـتخدام المفـردات بـين الأسرة والمدرسـة، و"يوكيقـو" وزوجـة "تاتسـو أوو" بحالـة جيـدة. عـلى الرغـم مـن أن المبيـت بمـكان ضيـق شيء غـير مريـح فإنهـم جميعهـم طلبـوا منـه البقـاء معهـم، وبالفعـل قـام "تينوسـوكيه" بالمبيـت لليلـة واحـدة ببيـت أخيـه بالقانـون، لكـن بالطبـع لضيـق المـكان حجـز "تينوسـوكيه" بفنـدق بحـى "تسـوكى چـى"، وفى الصبـاح الباكـر خـرج "تاتسـو أوو" وأبنـاؤه، وذهبـت "يوكيقـو" لترتيـب الطابـق الثـانى، وفى أثنـاء هـذا قالـت الأخـت الكبـيره "تسـوروقو" لـ"تينوسـوكيه":

- "هـا هـى يوكيقـو بـدأت تهـدأ وتتعامـل مـع الأمـر، إنـه مـا مـن سـبيل آخـر".

قالتهـا "تسـوروقو"، وجـاء فى حديثهـا أن "يوكيقـو" تسـاعدها بأعـمال المنـزل وتحسـنت حالتهـا بعدمـا انتقلـوا لبيتهـم، وهـى تسـاعدها أيضًـا بمشـكلات الأطفـال. هـى قطعًـا لم يتغـير سـلوكها نحوهـم وإنمـا كانـت مـن حـين إلى آخـر تبقـى وحدهـا بغرفـة بالطابـق الثـانى ولا تنـزل ولا يراهـا أحـد لبعـض الوقـت، فتطلعـت إليهـا أختهـا الكبـيرة لـترى مـا بهـا لتجدهـا جالسـة أمـام مكتـب "تـرو أو" شـاردة الذهـن ويدهـا عـلى وجنتهـا، وأحيانًا تجدهـا تبـكى. كان ذلـك أوائـل الشـهر، أمـا مؤخـرًا فقـد بـدأت تعتـاد الوضـع تدريجيًّا. إنهـا بـذاك الحـين حتـى بعدمـا نزلـت ظلـت لبقيـة اليوم لم تنطـق بكلمـة، ولكـن مـا لأختهـا أن تفعـل لهـا! لكـن "يوكيقـو" صـارت حتـى أمـام النـاس لا تسـتطيع إخفـاء دموعهـا التـى انهمـرت فجـأة.

أضافـت "تسـوروقو" أنهـا هـى وزوجهـا أيضًـا يحرصـان كل الحـرص ويراعيـان للغايـة معاملتهـما لهـا، وهـى لا تظـن أن هنـاك أى سـبب مـا قـد جـرح مشـاعرها. فى النهايـة فكـرا فى أن ذلـك مـن اشـتياقها لحياتهـا بإقليـم "كانسـاى"، وتوصـلا إلى أن ذلـك ليـس إلا حالـة تشـبه الشـعور بالغربـة والحنـين، فرأيـا أن أسـلم حـل هـو تشـتيت انتباههـا كى لا تكتئـب، فقالـت

لهـا أن تواصـل مـرة أخـرى تدريباتهـا لتعليـم فنـون الخـط والإتيكيـت، لكنهـا لم تبـالِ تمامًـا.

علـى قـول "تسـورقو" فـإن "يوكيقـو" نفـذت كلام الجـدة "طومى ناجا"، وجـاءت معهـم رغـم صعوبـة الأمـر عليهـا، والـكل فـرح جـدًا بذلـك، وإنمـا الأمـر بالنسـبة إلى "يوكيقـو" صعـب لأقـصى درجـة، ولـو لم يكـن كريهًـا أيضًـا ويؤلمهـا لمـا وصلـت بهـا الحـال إلى البـكاء، وإنهـم لهـم تقاليدهـم الخاصـة ولكـن لمَ لا بـد لهـا أن تكرههـم لـذاك الحـد؟ وهنـا انهمـرت دموعهـا.

حتـى إن كان هنـاك عتـب، فقـد صـار الحـل الوحيـد لحالتهـا المقلقـة للغايـة بعدمـا صـارت بائسـة ووضعهـا يـرثى لـه، فـإن كانـت تفضـل أوسـاكا فلتفعـل مـا يروقهـا، ولقـد فكـرت في شيء وهـو أن ينتهـى هـذا الوضـع ويدعوهـا تبقـى في "أشـيبا"، وإن كان "تاتسـو أوو" لـن يسـمح، فـلأن المـكان ضيـق الآن وإلى أن ينتقلـوا إلى بيـت أوسـع سـيفعل، وإن لم يكـن فعـلى الأقـل يدعوهـا تذهـب ولـو لعـشرة أيـام ليجعلوهـا تسـتريح وتسـترد عافيتهـا.

رغـم كل شيء، لا يصـح ألّا تبـدى أعـذارًا مناسـبة لكـن بـكل شـكل مـن الأشـكال الحالـة التـى عليهـا "يوكيقـو" الآن مؤسـفة وأختهـا لا تتحمـل رؤيتهـا هكـذا، ورب العائلـة لا يمكنـه أن يفعـل بهـا ذلـك.

اسـتفاضت "تسـوروقو" بحديثهـا مـن قبيـل النقـاش، لكن "تينوسـوكيه" اكتفـى بإلقـاء التحيـة، فـإذا كان الأخ والأخـت الكبـيرة أيضًـا في ورطـة فهـذا لا يعنـى مطلقًـا أن "ساتشـيقو" تقـع عـلى عاتقهـا أى مسـئولية، وبالطبـع لم يتطـرق بالحديـث ولا بكلمـة واحـدة إلى مـرض طفلتـه. لكـن بعدمـا عـاد دار حـوار بينـه وبـين زوجتـه عـن "طوكيـو"، فعندمـا سـألته "ساتشـيقو" عـن حـال "يوكيقـو" في هـذه الآونـة، ولم يخـفِ عنهـا شـيئًا مـما قالتـه الأخـت الكبـيرة.

- "أنا لم أتخيل أن يوكيقو ستكره طوكيو لذاك الحد".
- "في النهاية، هل قالت لك إنها تكره وجودها مع أخيها الكبير؟"
- "كلا. لا أدري".
- "حسنًا. أهي تريد أن تلتقي اتسوقو؟"
- "إن كان هذا أو ذاك، فالأسباب متعددة والحقيقة واحدة، ففي الأصل يوكيقو شخص لا يتماشى مع أجواء طوكيو".

تذكرت "سانشيقو" كم كانت "يوكيقو" تتحمل منذ صغرها، ومهما واجهت من صعاب لا تنطق بكلمة بل فقط تظل تبكي وتنهمر دموعها، وشعرت كأنها ترى أمام عينيها هيئة أختها الصغيرة عند المكتب تذرف الدمع الآن.

الفصل الخامس والعشرون

كان علاج الانهيار العصبى لدى "اتسوقو" له نظام غذائى علاجى لا بد أن يُتبع كمهدئ بخلاف دواء "بروميد البوتاسيوم"، عليها تناول الأطعمة المليئة بالزيوت حتى لو من ضمنها الأطعمة الصينية التى تفضلها، ومع اتباعها للتغذية السليمة، وبالتعافى من الـ"برى برى" بحلول الشتاء، مع تغاضى مدرسيها عن واجباتها الدراسية، واهتمامهم باستعادة صحتها، كل هذا جعلها تتحسن حتى إن لم تأتِ هذه الأشياء الكثيرة بثمارها المرجوة.

بهذا لم تعد هناك حاجة تتطلب الغوث واستدعاء قارب النجاة، وإنما منذ سمعت "ساتشيقو" بحديث "طوكيو" وهى لا تهدأ رغبتها فى رؤية "يوكيقو" بأى طريقة، وحين تفكر في ما آل إليه الوضع تجد أنه فى اليوم الذى أتت فيه الجدة لتتجادل معهم كانت هى ذاتها أول من اتخذ موقفًا قاسيًا حيال "يوكيقو"، فما كان لها أن تضغط عليها بشكلٍ آمرٍ هكذا لترحل، فى حين إنها أعطت "تائيقو" متسعًا من الوقت لشهرين أو ثلاثة. كان من الأفضل لو كان لديها قليل من الإنسانية وتوسطت بإعطائها هى الأخرى متسعًا من الوقت. إنها لم

تدع لها حتى مجرد مجال فقط لتودع بقاياها على مهل، وهكذا أيضًا عنادها المستمر حتى مع غياب "يوكيقو" ظهرت أماراته بقوة وعلى نحو غريب خصوصًا بذاك اليوم.

بمثل تلك المواقف، ومع كل شيء لم تنطق "يوكيقو" بنصف كلمة تعبر عن استيائها، بل تفهمت الوضع برصانة وبدت في منتهى الوداعة إلى حد مؤسف.

والآن صارت "ساتشيقو" تفهم لِمَ كانت "يوكيقو" متأنقة الملبس وتبدو بحالة جيدة وغير عابئة بشيء كأنها ذاهبة في رحلة، وبعدما اختلقت الأعذار لتقدمها لها مباشرةً قالت "يوكيقو" كلماتها بحالة من الصفاء الذهني غير المتوقع.

إن "يوكيقو" كانت في أمسّ الحاجة إلى كلمات "ساتشيقو" في ذاك الحين، وإنما بمجرد وصولها إلى "طوكيو" صارت كأنها اكتفت بهذا القدر، خصوصًا أن "ساتشيقو" لم تتقدم بفعل أي شيء من أجلها، بل تركتها تذهب بمفردها، ولم تجعل من شأن "تائيقو" أي مشكلة، وحتى الآن هي تبقى للعيش في إقليم "كانساي"، ورأت "يوكيقو" كم ستصير حمقاء إن ظلت وحدها، وربما هذا ما جعلها تلتزم الصمت.

والآن، ترى "ساتشيقو" ستسوى الأوضاع؟ وماذا سيقول زوجها بعدما صار شعور الأخت الكبيرة هكذا ولا مانع لدى رب الأسرة؟

أم أنه صارت مسموحة الآن مناشدتها للرجوع في غضون الأيام العشرة المقبلة بعدما تستقر حالة "اتسوقو" وبعدما انقضت أربعة أشهر بكاملها؟

فكرت "ساتشيقو" في أن تخوض النقاش مع زوجها بعد ما يحل الربيع، لكن لحسن الحظ بالأيام الأولى من العام الجديد جاءها خطاب من السيدة "جينبا" التي لم تسمع أي شيء عن أخبارها منذ ذاك الحين. كانت تسألها عن حال الشخص الذي سبق أن أرسلت

صورتـه فى العـام المـاضى، وفى مـا يتعلـق بهـذا الحديـث تقـول إنهـا انتظرت الـرد طويـلاً ولم يصلهـا أى شىء منهـم، فهـل الأخـت الصغـيرة لا يروقهـا الأمـر؟ إن لم يكـن هنـاك نصيـب، فهـى تريـد اسـتعادة تلـك الصـورة بعـد إذنهـم وإن لم يكـن فيهـا إزعـاج، وعـلى أى حـال إن تبـدل إحساسـها فلـم يفُـت الأوان، وهـى لا تـدرى إن كانـوا بالفعـل بحثـوا فى أمـره أم لا، لكـن بوجـه عـام وفقًـا للمعلومـات المكتوبـة خلـف الصـورة هنـاك شىء واحـد أغفلـت كتابتـه وإن كان لا يسـتحق الذكـر، وإنمـا تـود أن تخبرهـم بـه ألا وهـو أن ذاك الشـخص ليـس لديـه أى مدخـرات ويعيـش براتبـه الشـهرى فقـط، وهـذا مـا ودت إرفاقـه مـع مـا سـبق، وبنـاءً عليـه هـى تعلـم أن ذلـك لـن يلقـى استحسـان أختكـم، ولكـن هـذا الشـخص يبحـث جديًـا عـن ابنـة لعائلـة كريمـة تكـون بجمالهـا وهـو ينتظـر مهـما طـال انتظـاره. إنـه متحمـس للغايـة كـما يقـول السـيد "هامـادا"، وهـو يـصر عـلى أن تتفضلـوا بلقائـه ولـو لمـرة واحـدة، وهـذا مـا صرح بقولـه لهـا وللسـيد "هامـادا" أيضًـا.

هـذه العبـارات كانـت بالنسـبة إلى "ساتشـيقو" بمثابـة سـفينة عبـور للضفـة الأخـرى.

أرفقـت "ساتشـيقو" هـذا الخطـاب مـع صـورة ذاك الشـخص المدعـو "نومـورا مينـو كيتـشى"، وأرسـلت إليهـم تسـألهم عـن رأيهـم، وأن السـيدة "چينبـا" بالطبـع سـتريد إجـراء مقابلـة سريعًـا، لكـن بسـبب مـا سـبق أن حـدث مـع "يوكيقـو" فهـل سـيفضلون التحـرى عنـه قبـل المقابلـة؟ إن كان ذاك هـو الأفضـل، فهـل يسرعـون بالبحـث بأكـبر قـدر ممكـن؟ إنهـا تستشـير أختهـا وأخاهـا الكبـير أولاً.

بعد ستة أيام تقريبًا جاءت لـ"ساتشيقو" رسالة طويلة وغريبة للغاية من الأخت الكبيرة ردًا عليها.

عزيزتى

تهانئى بمناسبة العام الجديد وإن كانت متأخرة. أتمنى لكم جميعًا عامًا سعيدًا. إنها المرة الأولى لنا بهذه الأرض ولقد أمضينا هذه المناسبة بين أشجار الصنوبر بلا أى شعور بمذاقها. إن "طوكيو" الشتاء بها بالذات قارس البرودة كما سمعت، وإنما الملحوظ هنا منذ اليوم الأول هو أنه لم يمر ولا يوم دون هبوب رياح منذ أن دخل الشتاء، والبرودة حقًا لم أرَ مثلها فى حياتى، فمثلاً هذا الصباح تجمدت منشفة اليدين وأصبحت كالعصا، ولها صوت طقطقة. لم يمر علىّ مثل هذا الشىء من قبل فى أوساكا. بـ"طوكيو" هنا بالمدينة القديمة يعد أفضل حالاً نوعًا ما، ولكن هذه المنطقة تقترب من المناطق السكنية التى بالمرتفعات ما يجعلها أكثر برودة على ما يبدو، وبفضل ذلك كل من بالبيت يصابون بنزلات البرد بالدور، حتى وصل إلى الخادمات وصارت كل واحدة منهن طريحة الفراش، لكن أنا و"يوكيقو" اقتصر الأمر معنا على الرشح فقط.

هنا الغبار أقل مقارنةً بـ"أوساكا" والجو أنقى فى الحقيقة وبالدليل، فحواف الملابس لا تتسخ. إنى هنا أرتدى الكيمونو نفسه لعشرة أيام وأستبدله وهو لم يتسخ بعد، وأخوكِ الكبير كان دائمًا بـ"أوساكا" يتسخ قميصه الأبيض بثالث يوم، أما هنا فحتى اليوم الرابع يظل نظيفًا.

أما بخصوص عرض زواج "يوكيقو" فأظن أنه من الواجب علىّ شكرك على قلقك الدائم بشأنها. إنى على الفور جعلت أخاكِ يرى الخطاب والصورة وتناقشنا، لكن أخاكِ الكبير تغيرت حاله مؤخرًا ولا أذكر له ما يزعجه، وعلى الأرجح الأمر متروك لكِ كما أشعر.

هـذا الشـخص إن كان خريـج كليـة زراعـة وفى الأربعـين مـن عمـره ويعمـل كتقنـى مصايـد أسـماك، فليـس هنـاك أى فرصـة لازديـاد دخلـه الشـهرى كـما ذكـرتِ سـابقًا، وترقيتـه الوظيفيـة توقفـت إلى هـذا الحـد عـلى مـا أظـن، ولأنـه يعيـش دون أى دخـل إضـافى مـن أى مدخـرات مـا فيـبدو أن حياتـه ليسـت مرفهـة، ولكـن إن كان الشـخص المعنـى يوافـق فلـن يعـترض أخـوكِ الكبـير، وإن كان يرغـب هـو فى الاسـتمرار فـلا مانـع مـن أن تختـارى وقتًـا مـا مناسـبًا للمقابلـة، عـلى أن تكـون بعـد ترتيـب وبحـث مفصّـل. إنمـا إن كانـت رغبـة الطـرف الآخـر ملحـة فهـل لنـا أن نـسرع بالمقابلـة عـلى أن يكـون البحـث الدقيـق فيـما بعـد؟

أظن أن هذا ما سألك إياه زوجك.

أنـا و"يوكيڤـو" كلانـا يصعـب عليـه تحديـد مـا يجـب فعلـه. ولكنـى أفكـر فى اختـلاق أى فرصـة لإرسـال "يوكيڤـو" إليكـم وتحدثـت إليهـا بالأمـس، لكـن لأن الدفـع نقـدًا فهـى وافقـت عـلى الفـور بشـأن مقابلـة الـزواج مـا دام سـيمكنها الذهـاب إلى إقليـم "كانسـاى"، وخرجـت منـذ الصبـاح الباكـر وقـد دبّ فيهـا النشـاط وتعافـت فجـأة، حتـى إنى قـد أصابنـى الذهـول.

عـلى أى حـال متـى تفضلتـم وحددتـم موعدًا مؤكـدًا سـتغادر "يوكيڤو"، ولتعُـد فى غضـون أربعـة أو خمسـة أيـام مـن انتهـاء المقابلـة، وليسـت هنـاك مشـكلة إن امتـد بقاؤهـا لأكـثر مـن ذلـك، سـأمهِّد بالقـول لأخيهـا الكبـير.

لقـد أطلـت عليـكِ بكتابتـى، فهـذا أول خطـاب منـى منـذ مجيئـى إلى "طوكيـو"، والآن أيضًـا أشـعر بالـبرودة كأن يـدى تجمـدت وهـى ممسـكة بالريشـة، وكأن ظهـرى ينصـب عليـه المـاء البـارد.

الجـو دافـئ فى "أشـييا" لكنـى أرجـوكِ بشـدة أن تعتنـى بصحتـك كى لا تصيبـك نـزلات الـبرد مـن فضلـك.

سلامى لـ"تينوسوكيه"

18 يناير

تسوروقو

إلى ساتشيقو

بالنسبة إلى "ساتشيقو" التى لا تعرف "طوكيو"، فإنها مهما قيل لها "شيبويا" وبجوار "دوجن زاكا" فإن إحساسها الفعلى لا يتحرك، لذلك تبادرت لمخيلتها البيئة المختلفة للمناطق المحيطة بـ"أوساكا" مثل القرى والبلاد والمناطق السكنية بضواحى المدينة التى تراها من نافذة قطار "ياماتيه"، ومشهد البيوت عن بُعد مترامية بين التضاريس متوغلة بين بساتين الأشجار، والتلال، والوديان، وخلف هذا كله يلمع لون السماء المحملة بالبرودة.

لم يكن أمامها سوى التخيل على طريقتها، لكن حين قرأت عبارات مثل: "تجمدت يدى الممسكة بالريشة"، "وكأن الماء البارد ينصب على ظهرى"، تذكرت عهدها بـ"أوساكا" والشتاء ببيت العائلة ذى الطراز القديم، تذكرت كل شىء، إنهم بالكاد استخدموا المدفأة.

أما ببيت "أويه هون" فإنهم يوقدون المدفأة الكهربية بغرفة الصالون، وركبوا الموقد الكهربى أيضًا لكن فعليًا لا يستخدمونه إلا نادرًا فقط فى حالة مجىء ضيوف أو بالأيام شديدة البرودة، وعادةً ما يستخدمون المدفأة اليابانية التقليدية "هيباتشى".

كانت "ساتشيقو" حين تذهب إلى أختها الكبيرة بيناير، أول العام، وتجلس قبالتها كانت دائمًا ما ينتابها شعور كأن الماء البارد ينصب على ظهرها، وكل مرة تعود مصابة بنزلة برد، وما جعل أختها الكبيرة تذكر ذلك هو أنهم كانوا ببيت العائلة فى "أوساكا" ينشرون أجهزة

التدفئـة بـكل مـكان في أواخـر العشرينـات مـن عـصر "تايشـو"[1]، حتـى إن أباهـم أيضًـا الـذى يتبـع الرفاهيـة فى كل شيء كان للمـرة الأولى يشـغل الموقـد الجـاز بغرفـة المعيشـة بالعـام الـذى قبيـل وفاتـه، لكنهـم فعليًـا لم يسـتخدموه للتدفئـة كثيرًا. فجميعهـم فى طفولتهـم نشـأ على اسـتخدام المدفـأة التقليديـة مهـما كانـت بعـض الأيـام شـديدة الـبرودة. لكنهـم بعـد زواج "ساتشـيقو" و"تينوسـوكيه" بعـدة سـنوات، وبعدمـا انتقلـوا إلى بيـت "أشـيبا" بـدؤوا يسـتخدمون المدفـأة المدمجـة ببنايـة المنـزل، وصـاروا لا يمكنهـم الاسـتغناء عنهـا، فدونهـا يصبـح الشـتاء لا يحتمـل، وهـم شـعروا بأنـه سـيكون مـن الغريـب فى هـذه الآونـة إن اسـتخدموا مـا اعتـادوه وهـم صغـار كالمدفـأة التقليديـة وغـيره. بالضبـط مثلـما تفعـل الأخـت الكبـيرة الآن بعدمـا ذهبـت إلى "طوكيـو" ومـا زالـت تبـدو عـلى النمـط القديـم الـذى عفـا عليـه الزمـن.

"يوكيقـو" تحتمـل لأقـصى درجـة فهـى ذات القلـب المتحمـل التـى إن كانـت هـى بهـذا الوضـع لأصابهـا عـلى الفـور التهـاب رئـوى أو مـا شـابه ذلـك.

أمـا عـن تحديـد موعـد مقابلـة الـزواج، فقـد كان السـيد "هامـادا" هـو الوسـيط بـين السـيدة "چينبـا" والسـيد "نومـورا"، وعـلى الرغـم مـن أنـه تلقـى الاتصـال لترتيـب الأمـر فإنـه اسـتغرق وقتًـا. كان مـن الواضـح أن رغبـة ذاك الشـخص هـى إتمـام اللقـاء قبيـل انتهـاء الشـتاء قـدر الإمـكان، وبالفعـل كانـت نيـة عائلـة "مـاكى أوكا" إرسـال "يوكيقـو" مباشرةً يـوم 29 مـن ذاك الشـهر "ينايـر". لكـن "ساتشـيقو" تذكـرت أنهـا وقعـت فى خطـأ مـا فى أثنـاء مكالمـة هاتفيـة سـابقة، فأسرعـت إلى غرفـة المكتـب المنفصلـة بالمنـزل وطلبـت مـن زوجهـا إجـراء مكالمـة مـن أجلهـا، لكـن فى مسـاء يـوم 30 جاءتهـا بطاقـة مـن أختهـا الكبـيرة التـى أسـاءت فهمهـا لتخبرهـا

(1) عصر تايشو من 1912 الى 1926.

بأن طفليها الصغيرين أصيبا بنزلة برد فجأة، والطفلة "قوميقو" التى لم تبلغ الرابعة من عمرها بعد تفاقمت حالة الالتهاب الرئوى لديها، وهى تثير ضجة عارمة ولا بد من إحضار ممرضة، لكن نظرًا إلى ضيق البيت فلا مكان لتنام فيه، وهى تدرى منذ مرض ابنها "هيديوو" أنها يمكنها الاعتماد على "يوكيقو" بدلاً من استئجار شخص متخصص لهذه المهمة، لذلك لم تأتِ بممرضة وقالت لها: "نريدك أن تستميحى عذرًا السيدة چينبا بطريقتك لتنتظر قليلاً". فى الوقت ذاته كان القصد هو إخبارها بمرض صغيرتها وإصابتها بالالتهاب الرئوى.

بعد أكثر من أسبوع وجدت "ساتشيقو" أن الوضع لا يزال غير مستقر، فأخبرت السيدة "چينبا" بالأسباب وأنهم سيؤجلون الموضوع الآن وأنه لا داعى لقلق الطرف الآخر.

ما زالت الحال يرثى لها بالنسبة إلى "يوكيقو" التى يتمحور دورها دائمًا فى استخدامها كبديل لممرضة. وهنا، وفى تلك الأثناء التى تأجل بها اللقاء بدأت ترتيبات البحث، وأحرزوا تقدمًا ووصلهم تقرير من وكالة المباحث والتحريات، وطبقًا لما ورد به، فإن السيد "نومورا" يشغل منصب مسئول كبير من الفئة الثالثة، وراتبه السنوى فى حدود 3600 ين بخلاف بعض الحوافز، أى نحو 350 ينًا بالشهر. والده كان يزاول أعمال الفندقة ببلدته مسقط رأسه "هيميجى" وإنما الآن لم تبقَّ لديه أى عقارات. بالنسبة إلى أقاربه، فأخته الصغيرة متزوجة بصيدلى يدعى "أووتا بوه"، ولديه عمان ببلدتهم "هيميجى" أحدهما يعمل بتجارة التحف بجانب كونه معلمًا للطقوس اليابانية التقليدية، والآخر كاتب قضائى بالسجل المدنى. غير ذلك فإن السيد "هامادا چووكيتشى" رئيس شركة قطارات إقليم كانساى هو ابن عمه، وهو الوحيد فخر العائلة وحامى حماها (وهو أيضًا ما تسميه السيدة چينبا "الراعى"، فقد صنع جميلاً بزوجها وجعله يعمل حارسًا لديه طوال فترة الدراسة).

هـذا مـا ورد ذكـره وانتهـى بـه التقريـر، إضافـة إلى نتيجـة التحـرى عـن مـرض زوجتـه السـابقة التـى توفيـت عـام 1935، والـذى لم يكـن أى شيء سـوى نزلـة بـرد، وقطعًـا سـبب وفـاة الطفلـين أيضًـا ليـس مرضًـا وراثيًـا وهـذا أمـر مؤكَّـد.

أمـا عـن هيئتـه وشـخصيته، فلقـد طلـب "تينوسـوكيه" العـون مـن جهتـين أو ثـلاث، ولم يتوصـل إلى عيـوب أخـرى سـوى عـادة غريبـة لديـه هـى أنـه يهمهـم متحدثًـا لذاتـه مـن حـين إلى آخـر وعـلى حـين غـرة بـكلام غـير مفهـوم تمامًـا، بحسـب مـا ذكـر زمـلاؤه الـذى يعملـون معـه بمكتـب محافظـة "هيوجـو"، ويبـدو أنـه حـين ينغمـس فى هـذه الحالـة يظـن أنـه مـا مـن أحـد بالجـوار يسـمعه عـلى الإطـلاق، لكـن حتـى إن كان هـذا هـو ظنـه فالجميـع مـن حولـه يمكنـه سـماعه، والآن لا يوجـد أحـد مـن بـين زملائـه لا يعـرف حالتـه وجميعهـم يعلـم أنـه أصيـب بهـا بعدمـا ماتـت زوجتـه وأبنـاؤه.

زمـلاؤه يقولـون عنـه "الأب قائـل الغرائـب" ويضحكـون، فمثـلاً فى مـرة كان أحـد زملائـه بالمرحـاض العـام للهيئـة وسـمع شـخصًا جـاء ودخـل المرحـاض المجـاور وكان هـو "نومـورا"، وسـمعه يقـول: "ألـو هـل أنـت السـيد نومـورا؟" وسـمعه يعيـد السـؤال نفسـه مـرات عـدة بـل ويجيـب عـلى نفسـه قائـلاً: "كلا أنـا لسـت فلانًـا". زميلـه هـذا يؤكـد أنـه لم يختلـط عليـه الأمـر وذاك الصـوت كان صـوت "نومـورا" نفسـه. ظـن ذاك الشـخص أن "نومـورا" لا يـدرى بوجـود أحـد بالمرحـاض المجـاور، فحبـس أنفاسـه وأصبـح الوضـع مثـيرًا للشـفقة، لكنـه اسـتمر طويـلاً وسـئم الانتظـار وخـرج هـو أولاً وانـصرف خلسـة دون أن يريـه وجهـه.

مـن المؤسـف أيضًـا أن السـيد "نومـورا" حينهـا تنبـه لخـروج أحـد مـن جـواره ولكنـه لم يتذكـر مطلقًـا مـن هـو، وفى النهايـة خـرج ليـزاول مهـام عملـه عـلى نحـو طبيعـى كأن شـيئًا لم يكـن.

هـذه الحالـة لا يمكـن التعبـير عنهـا إلا بمصطلـح "ليـس بكامـل قـواه العقليـة"، وإن كانـت هـذه ليسـت بجريمـة، وإنمـا إن سـمع بهـا أحـد سـيتفاجأ ويشـعر بالغرابـة.

لقد خرج وهو غير عابئ بشيء، وكلامه غير مفهوم!

ولا يمكن وضع احتمال أنه كان معه أحد مثلاً.

أي أحـد سيسـمع بذلـك لا بـد لـه أن يطلـق صيحـات الاندهـاش بأعـلى صـوت، وأي أحـد مـكان ذاك الشـخص الـذي أخفـى حالـه لا بـد أن يصـاب بالذهـول ويظـن أنـه أمـام مجنـون.

كل هـذا يؤكـد أنهـا عـادة لا تتسـبب في مشـكلات أو إزعـاج للآخريـن، بـل ولا يمكـن حتـى أن تصـل إلى حـد السـلوك الاجتماعـي، لكـن قطعًـا مـن الأفضـل لهـا أن تظـل دون زواج عوضًـا عـن اختيـار شـخص بهـذا الوضـع، والأكـثر مـن هـذا وذاك هـو أن وجهـه يبـدو عليـه الكـبر وبالتأكيـد يتجـاوز السادسـة والأربعـين مـن عمـره بكثـير، إنـه يبـدو كعجـوز، بـل كمسـن اجتـاز الخمسـين، وهـذا هـو أصعـب شيء فكـرت فيـه "ساتشـيقو".

هـي تـكاد تكـون متأكـده مـن أنـه لـن يـروق "يوكيقـو"، وواضـح مـن البدايـة أن حظهـا غـير موفَّـق هـذه المرة، مـا يعنـي أن هـذه المـرة مخيبـة للآمـال وغـير مشـجعة بالمـرة، لكـن بمـا أن هـذا هـو السـبب الظاهـري لاسـتدعاء "يوكيقـو" فـلا مفـر مـن المقابلـة.

عـلى هـذا النحـو كان الشـعور الحقيقـي للزوجـين "ساتشـيقو" و"تينوسـوكيه".

عـلى أي حـال، لا يبـدو أن الأمـر وصـل إلى نهايتـه مـا دامـا لم يخبراهـا بـأي عيـوب.

وبهـذا حسـم الزوجـان نقاشـهما بـألا يفصحـا بقـول أي شيء لـ"يوكيقـو" عـن واقعـة حالتـه الغريبـة تلـك.

الفصل السادس والعشرون

عـادت "اتسـوقو" مـن المدرسـة وسـاعدتها أمهـا و"أوهـارو" لتزيـين الغرفـة غربيـة الطـراز، ورص عرائـس الـ"هينـا"[1] عـلى الأرفـف المتدرجـة، فهـم ينتظـرون مجـيء "يوكيقـو" وجاءتهـم برقيـة.

عمومًـا موسـم مهرجـان الـ"هينـا" تتأخـر احتفالاتـه بإقليـم "كانسـاى" شـهرًا. مـا زال الوقـت مبكـرًا، لكنهـم منـذ 45 يومًـا تقريبًـا جاءتهـم الأخبـار بمجـيء "يوكيقـو"، وبـذاك الحـين كانـت "تائيقـو" تسـتعد بصنـع الدمـى للصغـيرة وقدمـت لهـا دميـة "كيكوچـورو" الخاصـة بمعبـد "دوچـي چـي" مـن أجـل هـذه المناسـبة، وتذكـرت "ساتشـيقو" فجـأة:

- "اتسـوقو، دعينـا نزيـن بهـذه الدميـة أيضًـا مـع عرائـس الهينـا".
  هكـذا قالـت "ساتشـيقو" ثـم أضافـت:
- "عرائس الهينا أريدها فى استقبال أختك الكبيرة".
- "ماذا! أمى أليس مهرجان الهينا الشهر المقبل؟"

---

(1) "مهرجـان الـ"هينـا" يقـام فى اليابـان لتنمـو النباتـات بصحـة جيـدة، وتُسـتخدم عرائـس ودمـى الـ"هينـا" للتزيـين مـع ورود الكـرز والخوخ.

وقالت "تائيفو":

- "ما زال زهر الخوخ لم يتفتح بعد".

وقالت الصغيرة:

- "ألا تقولين إن البنات يتأخر زواجهن إن خرجن لمهرجان الهينا بعد انتهاء موسمه؟"

- "بالضبط، وأنا طفلة كانت أمي دائمًا ما تقول لي ذلك، وإن انقضى موسم المهرجان لا يمكننا الإسراع وإعداد العرائس، وإنما لا بد من الاستعداد مبكرًا والتزيين، وخطأ أن تتم الاستعدادات بعد فوات الأوان".

- "ممم، حقًّا! لم أكن أعرف".

- "سأتذكر هذا جيدًا. ألا يناسب هذا القول أختي أيضًا؟"

في الماضي كان مهرجان "هينا" بهذا البيت يعني أن يجعلوا متجر "ماروهيرا"[1] بـ"كيوتو" يصنع للصغيرة العرائس في بداية الاحتفالات، ثم بعد انتقالهم إلى بيت "أشييا" صارت غرفة الصالون التي يستخدمونها للمّ شمل العائلة أنسب غرفة للتزيين، وإن كانت هناك الغرفة غربية الطراز إلا أن الاحتفال بمهرجان "هينا" يجمعهم كل عام بتلك الغرفة. وكي ترحّب "ساتشيقو" بـ"يوكيقو" التي ستأتيهم بعد غياب نصف عام، أعدت الزينة لتظل شهرًا ويسارعوا بالاحتفال بدايةً من موسم المهرجانات وفقًا للتقويم الشمسي.

دار حوار حول أن "يوكيقو" قد تمكث شهرًا، فهذا الاقتراح قائم وها هو اليوم الثالث من مارس يبدؤون في الإعدادات.

- "مهلاً اتسوقو، افعلي كما قالت والدتك".

---

(1) متجر للعرائس مر على تأسيسه أكثر من 250 سنة، وهو من أقدم الأماكن بمدينة "كيوتو".

- "هيـا، سـنقوم بذلـك اليـوم بالتـمام، وسـتأتى أختـى مـع بدايـة موسـم الاحتفـالات". فقالـت "أوهـارو":
- "يا لها من علامة لحسن الحظ".

فقالت الصغيرة:

- "وهل هى هذه المرة ستصير عروسًا؟"

أجابتها "أوهاروا":

- "اتسوقو لا تقولى مثل ذاك القول أمام أختك أبدًا".
- "ممـم، فهمـت. مثـل ذاك القـول، حـاضر. حسـنًا، وأنـتِ أوهـارو إن لم تنتبهـى سـيحدث معـكِ كـما حـدث سـابقًا".
- "أفهم، وهل تعلمين لمَ؟ كله بفضلك".
- "مـاذا!... حسـنًا. هيـا إنى أريـد أن أهاتـف أختـى تانيقـو". وقالتهـا الصغـيرة بصـوت تملـؤه الحماسـة:
- "هيا بنا لنطلبها".
- "اتسوقو، اطلبيها بنفسك".
- "مممممم".

وهنا انطلقت الصغيرة نحو سماعة الهاتف لتطلب شقة "شوطوو".

- "مـم، حسـنًا، بالتأكيـد إنـه اليـوم، فلتعـودى إلى البيـت سريعًـا. أختـى، ليـس بقطـار تسـويامى، ولا بالقطـار السريـع كاموميـه، سـتذهب أوهـارو لاسـتقبالها بـأوساكا".

وبينـما "ساتشـيقو" تضـع التـاج الذهبـى ذا الزخـارف المعلقـة عـلى رأس الدميـة التـى تمثـل الإمبراطـورة، وصـل إلى مسـامعها صـوت صيـاح

الصغيرة عاليًا، فنادتها ونهرتها في غضب حين رأتها ممسكة بسماعة الهاتف.

- "اتسو، هيا قولي لها إن كان لديها متسع من الوقت فلتذهب لتستقبل أختك".

- "حسنًا، أمي تقول لكِ إن كان لديكِ متسع من الوقت فلتذهبي لاستقبال أختي. ممم، مممم، أوساكا، في تمام التاسعة. ستذهبين؟ لا داعي لذهاب أوهارو إذًا؟"

كان المغزى من كلمات "ساتشيقو" أن تذهب لاستقبال "يوكيقو" بمحطة "أوساكا" هي تفهمه جيدًا، ففي العام الماضي حين جاءت الجدة "طومي ناجا" لتجعل "يوكيقو" تغادر، ثم تلحقها "تائيقو" ثلاثة أشهر على الأكثر لتذهب هي الأخرى إلى طوكيو، بيت العائلة تغاضى عن الأمر منذ ذاك الحين فلم يكن الموضوع بهذه السهولة، واستمر الوضع كما هو عليه (على الرغم من أنهم لم يفعلوا مع يوكيقو بالمثل)، وبهذا تصبح "يوكيقو" فقط هي الماهرة في سحب البطاقات الخاسرة ولديها شعور بالظلم، ما يعني أنه من الواجب حتمًا الذهاب لاستقبالها.



- "هل أتصل بوالدي أيضًا؟"

- "كلا. لا داعي، إنه بالفعل في طريق العودة الآن".

عاد "تينوسوكيه" إلى المنزل بالمساء، وكان هو أيضًا قد افتقد "يوكيقو" بشدة، فقد مرت ستة أشهر كاملة وأكثر منذ رحيلها. كان يلوم ذاته على عدم رغبته في عودتها، وتنبه للعديد من الأمور الدقيقة مثل هل ستفضل الدخول للاغتسال فور وصولها، وهل وجبة القطار كانت كافية لها للعشاء؟ قطعًا لن تنام، ترى هل سترغب

فى أكل شىء مـا؟ وجعلهـم يحـضرون ثـلاث زجاجـات مـن خمـر العنـب الأبيـض الـذى تحبـه ومسـح الغبـار عـن واحـدة لـيرى تاريخهـا.

نصـح الجميـع الصغـيرة "اتسـوقو" بالتمهـل للغـد للقـاء "يوكيقـو"، لكنهـا ظلـت فى انتظارهـا ولا تصغـى، وبعدمـا اقتربـت السـاعة مـن التاسـعة والنصـف اصطحبتهـا "أوهـارو" للطابـق الثـانى، وسرعـان مـا رن جـرس البوابـة الأماميـة وسـمعت صـوت وقـع أقـدام الـكلاب وهـى تجـرى إلى هنـاك.

- "إنها أختى". قالتها ونزلت مرة أخرى.
- "أهلاً".
- "أهلاً وسهلاً".
- "عودًا سالمًا".

قفـز "جـونى" فى فـرح، واسـتوقفته "يوكيقـو" وهـى أمـام المدخـل ومـن بعدهـا "تائيقـو" وهـى تحمـل حقائـب السـفر، وحـين اصطفـت كلتاهـما جنبًـا إلى جنـب فى حماسـة فى ذاك الوقـت، ظهـرت آثـار تعـب السـفر عـلى وجـه "يوكيقـو"، وكان الإنهـاك ملحوظًـا.

- "أيـن تضعـين الهدايـا؟" قالتهـا الصغـيرة مسرعـة وفتحـت الحقيبـة بنفسـها وبـدأت البحـث بداخلهـا، وعـلى الفـور وجـدت صندوقًـا لمحرمـة ومجموعـة مـن الأوراق الملونـة والمزركشـة بأشـكال للزخرفـة.
- "اتسوقو مؤخرًا تقوم بجمع المحارم".
- "مممم، شكرًا".
- "ما زالت هناك واحدة أخرى، انظرى فى الأسفل".
- "وجدتها، وجدتها، إنها هذه".

وأمسكت "اتسوقو" بصندوق ملفوف بأوراق متجر "أوا" بحي "جينزا" ووجدت بداخله "زورى" مطليًّا باللون الأحمر.

- "حسنًا صار لدىّ حقًّا صندل من طوكيو".

أخذته "سانشيقو" بيدها لتراه وقالت:

- "حسنًا فلتحرصى عليه جيدًا وتنتعليه الشهر المقبل فى موسم رؤية الزهور".
- "كثير من الشكر أختى".
- "عفوًا. هل هى الهدايا التى طال انتظارك لها اتسوقو؟"
- "بالتأكيد. إنها رائعة. هيا خذيها كلها معكِ لغرفتك".
- "إنى الليلة مع أختى".
- "أعلم، أعلم". قالتها "سانشيقو" وأضافت:
- "أختك الآن ستذهب للاغتسال. اذهبى أنتِ أولاً للنوم مع أوهارو".
- "حسنًا. فلتأتى سريعًا أختى".

اقتربت الساعة من الثانية عشرة حين انتهت "يوكيقو" من حمامها، ولبعض الوقت مكثت الأخوات الثلاث مع "تينوسوكيه" بالقرب من المدفأة بغرفة المعيشة.

تعالى صوت الحطب فى النيران، وتلاقت وجوههم بعد طول غياب حول منضدة صغيرة عليها خمر العنب الأبيض والجبن.

- "يا للدفء هنا! بمجرد نزولى بمحطة أشييا على الفور شعرت بالفرق بين هنا وطوكيو".

- "ها نحن على مشارف احتفالات ميزوتوري[1] واقترب الربيع.. لكن هل الاختلاف إلى ذاك الحد! لم أكن أدرى".

- "الفرق شاسع، وأكثر شيء هو أن الهواء حين يلامسك لا تجدينه رقيقًا مثل هنا. هناك بالذات البرد قارس، منذ يومين أو ثلاثة ذهبت للتسوق بمتجر تاكاشي ياما، وبمجرد خروجي لطريق العودة نحو خط الترام السطحي هبّت الرياح وعصفت بكل ما كنت أحمله، وكنت كلما لاحقت شيئًا للإمساك به تدحرج أكثر كأنه إلى ما لا نهاية، وبصعوبة تمكنت من الإمساك بالأشياء كافة، حينها أطراف ملابسي هي الأخرى طارت وانقلبت لأعلى فأصبحت بإحدى يدى أضغط عليها أيضًا بشدة. هنا لا يوجد أى من رياح طوكيو العاصفة".

- "لكني بالعام الماضي حين أزعجتكم بمجيئي إلى شيبويا كيف كان للأطفال أن يحفظوا كلمات المنطقة بهذه السرعة. فى ذاك الوقت كنا بشهر نوفمبر ولم يكن قد مرّ على ذهابكم إلى طوكيو سوى شهرين أو ثلاثة، وعلى الرغم من ذلك كل الأطفال ببيت العائلة يستخدمون لكنة طوكيو بطلاقة، حتى الأطفال الصغار كانوا بارعين".

- "هذا لا أمل فيه بسن أختى الكبيرة". قالتها "ساتشيقو" تعليقًا على عبارة زوجها السابقة.

- "ليس كذلك، أختى الكبيرة لا يروقها حفظ تلك الكلمات. كنا مرة بالحافلة وبدأت الحديث بلكنة أوساكا، ويا للورطة، تطلع بوجهها كل الركاب لكن أختى الكبيرة استمرت فى حديثها على نحو طبيعى مهما حدّقوا إليها. ذاك حقًّا ما يجعل قلبها

---

(1) * ميزوتوري هو مهرجان سنوى واحتفال بوذى يقام فى محافظة "نارا"، فى معبد "طود اى جى" فى 13 مارس ويعنى "طقوس سحب المياه المقدسة" وهو احتفال لتطهير الناس من الخطايا ولدخول ربيع عام جديد، وبمجرد اكتمال مراسمه يبدأ تفتح زهرة الكرز.

عظيـمًا. حينهـا كل مـن أنصـت إليهـا قـال: لكنـة أوسـاكا ليسـت بالـشيء السـيئ حقًـا".

وقلـدت "يوكيقـو" النطـق بلهجـة "طوكيـو" بمهـارة وهـى تقـول: "لكنـة أوسـاكا ليسـت بالشـئ السـيئ حقًـا"، وعلـق "تينوسـوكيه" قائـلاً:

- "هكـذا هــن السـيدات الناضجـات. كانــت هنـاك امــرأة جيشــا أعرفهـا تتجـاوز الأربعـين مـن عمرهـا، ولكنهـا إن ذهبـت إلى طوكيـو واسـتقلت القطـار تتعمـد اسـتخدام لكنـة أوسـاكا وتقـول بصـوت عـالٍ: دعـونى أنـزل، وبالتأكيـد الـكل يتوقـف لهـا".
- "ومــاذا عــن تــارو أو؟ ألا يعــترض عــلى اســتخدام أمــه للكنــة أوســاكا وهــما يســيران معًــا؟"
- "لا أدرى إن كان الأطفال كذلك أم لا".
- "ترى ماذا سيكون شعور أختى الكبيرة حينها!" قالتها "تائيقو".
- "مـم. الأمـر مختلـف عنـه فى أوسـاكا، هنـاك مهـما حـدث لا أحـد يقـول شـيئًا ويبـدون كأنـه لا أحـد يبـالى، فـوق ذلـك كلـه فطوكيـو بهـا كل امـرأة تقـدِّر كيانهـا وشـخصيتها ولا يتمسـكن بالموضـة بقـدر مـا يفضلـن ارتـداء الأنسـب لهـن، وهنـا أظنهـن أفضـل حـالاً مـن أوسـاكا".

كانـت "يوكيقـو" تثرثـر بمـرح لا مثيـل لـه كالمتوقـع بالضبـط، وإنمـا ربمـا بسـبب الخمـر. بتلـك الحالـة هـى لا تعـبِّر صراحـةً، ولكنهـا كانـت بالتأكيـد حالـة مـن السـعادة لاسـتطاعتها العـودة إلى أراضى إقليـم "كانسـاى" الـذى أمضـت بـه مـا يزيـد عـلى نصـف عمرهـا.

هكـذا فى غرفـة المعيشـة ببيـت "أشـيبا"، "ساتشـيقو" وأختاهـا الصغيرتـان سـهرن الليـل معًـا محتضنـات فرحتهـن بـلا شىء يعكـر صفوهـا.

- "هيا ألن ننام!"

قالها "تينوسوكيه" فى حين كان الحديث يتخذ مسارًا حيويًا، فنهض ليلقى ببعض من الحطب فى نيران المدفأة.

- "إنى أريد أن تصطحبنى أنا أيضًا فى مرة إلى طوكيو، لكن البيت فى شيبويا ضيق للغاية، متى ستبدلونه؟"
- "حسنًا، وإنما هم لا يبحثون عن منزل أو ما شابه".
- "إذًا، هل ستنوى الذهاب؟"
- "ليس كذلك، وإنما فى العام الماضى هم قالوا إن كان المنزل ضيقًا فلا يهم سنستبدله، وفى هذا العام أصبحوا لا يقولون ذلك. فماذا إذًا؟! يبدو أن أخى الكبير وأختى أيضًا قد تبدل تفكيرهما". وهكذا قالت "يوكيقو" وصارت تروى لهم على نحو غير متوقع.
- "هذا ما لاحظته، أن أيًا منهما لم يقُل شيئًا بوضوح، وإنما فى الأصل الدافع لقرارهما الذهاب إلى طوكيو والابتعاد عن أراضى أوساكا وهى كارهة للبعاد لذاك الحد هو رغبته فى النجاح فى مجاله، وأيضًا السبب الذى أدى إلى رغبته تلك فى الترقى هو أن ميراث الأب الحاضن لأسرة من ثمانية أفراد لن يكفى لإطعامهم، وإن اعتبرناه يبالغ قليلاً إلا أنه بدأ يشعر بصعوبات المعيشة فذهب الآن إلى طوكيو، والشكوى من ضيق البيت حين يستقرون به شيئًا فشيئًا سيعتادونه وتتلاشى شكواهم، أليس ذلك ما مهد له؟!

والأدهى من ذلك أنه أغراه الإيجار الزهيد للمنزل الذى هو 55 ينًا. فماذا لأخى الكبير ولأختى أن يفعلا! فمثل ذاك البيت إيجاره رخيص للغاية وقالاها صراحةً دون تقديم أعذار لأحد، ووقتما قال لنا عن هذا الموضوع كانت نواياه البقاء بأى مكان رخيص يتمكن من اصطياده.

إنما لـو كان لا يـزال بأوسـاكا لـكان لا بـد لـه مـن الأخـذ فى الاعتبـار اسـم العائلـة ومكانتهـا الاجتماعيـة، لكـن فى طوكيـو إن قلـت عائلـة مـاكى أوكا فـلا أحـد يـدرى، وبـدلاً مـن التباهـى غـير المجـدى فمـن الأولى أن يكـون هدفـه زيـادة مدخراتـه، وعـلى هـذا النحـو فليـس مـن الغريـب إطلاقًـا أن يتحـول ويعتنـق مذهـب المنفعـة.

الدليـل عـلى ذلـك أن أخـى الكبـير صـار الآن مديـر فـرع وزاد راتبـه، فـإن قلنـا فقـط بنـاءً عـلى مـا يدخـل جيبـه مـن بـدلات سـتجده بخيـلاً للغايـة بـكل شيء مقارنـةً بعهـده بأوسـاكا. أختـى الكبـيرة أيضًـا تتبنـى مبادئـه تلـك وصـارت مقتصـدة إلى حـد مثـير للدهشـة، إنهـا يومًـا بيـوم تـرى بعينهـا مشـتريات المطبـخ وتقتصـد منهـا، والأكـثر أنهـا تدفـع تكلفـة وجبـات لسـتة أطفـال، لذلـك سـواء بتفكـير أو دون تشـترى نوعًـا واحـدًا مـن الخـضراوات، أى أن الوضـع مختلـف اختلافًـا مريعًـا، وإن حكيـت لكـم بـكل تواضـع فدعـونى أقـول إن قائمـة الطعـام للطبـق اليومـى اختلفـت عن أيـام أوسـاكا، الحسـاء والأرز بالـكارى، حسـاء اللحـم والخـضر الميسوشـيرو، بالطبـع صـار هـو طبقًـا واحـدًا بقليـل مـن المكونـات، وهـذا حـل بـارع لتمتلـئ بطـون الجميـع شـبعًا.

وعـلى هـذه الحـال، اللحـم البقـرى فى أكلـة مثـل سـوكى يـاكى لا نأكلـه إلا نـادرًا، بالـكاد قطعـة أو قطعتـين مـن قصاصـات اللحـم تطفـو، وتطعمنـا إياهـا. عـلى الرغـم مـن ذلـك، فمـن حـين إلى آخـر بعدمـا ينتهـى الصغـار مـن طعامهـم تعـد قائمـة طعـام مختلفـة للكبـار فقـط ليتشـاركوا مـع والدهـم ويسـتمتعوا بالعشـاء، ومهـما كان سـمك المرجـان سـيئًا بطوكيـو، فـإن إعـداد اللحـوم الحمـراء وتناولهـا لا يكـون إلا فى ذاك الوقـت. وفى الواقـع حينهـا بـدلاً مـن أن تقـول إن هـذا مـن أجـل أخـى الكبـير تعتـبره مـن أجـلى".

بـدا مـن كلام "يوكيقـو" أنهـم دائمًـا مـا يجعلونهـا تنضـم إلى الأطفـال بمـا أنهـا تبـدو مثـيرة للشـفقة!

- "إن كنـت مـكان أختـى الكبـيرة بالتأكيـد لـن أفعـل مثلهـا. انظـروا جيـدًا، هـذا كلـه بنـاءً عـلى تغييرهـا لبيتهـا".

- "ممـم.. بالضبـط. بعدمـا ذهبـت إلى طوكيـو تغـيرت شـخصيتها تمامًـا".

- "إذًا ملاحظات يوكيقو فى محلها". قالها "تينوسوكيه".

- "وفرصـة هجرتـه إلى طوكيـو هـى إعـمال لمبـدأ التوفـير والادخـار تخليًـا عـن غـروره. يسـتحيل أن يكـون تفكـير أخـى الكبـير صـار هكـذا. إن اسـتمع أى أحـد لمثـل ذاك الحديـث، سـيقول ألا يفعـل هـذا الرجـل أى شىء يُشـكر عليـه؟! إنمـا مهـما كان فـماذا عـن مثـل ذاك البيـت الضيـق! إن فكـرت بتـأنٍّ أجـدنى لا يمكننـى فعـل ذلـك أبـدًا".

- "مـن الواضـح أن كلـه صحيـح، فحتـى الآن يوكيقـو ليسـت لديهـا غرفـة، وهـذا غـير لائـق بالمـرة، ومـن الغريـب أنـه يضـع نفسـه فى موضـع تقديـم الأعـذار للنـاس".

- "إذًا، مـا سـيقوله النـاس ليـس إلا أنـه تغيـير تمامًـا وعـلى حـين غـرة. كان أولى بـه أن يصنـع لنفسـه مظهـرًا لائقًـا ولـو بالقليـل".

- "إذًا الآن صار لا يمكننى الذهاب إلى ذاك البيت الضيق؟"

قالتها "تائيقو" متسائلة بغاية الحماسة عما يخصها.

- "بالضبط. إن جئتِ لن تجدى أى مكان للنوم".

- "إذًا يبدو أن الحال على ما يرام حتى الآن بالنسبة إلىّ".

- "على أى حال، هم الآن وعلى ما يبدو ساهون عن شأنكِ أختى الصغيرة".

- "هيا هيا فلنذهب للنوم".

ودقت الساعة التى فوق رف المدفأة مشيرة عقاربها إلى الساعة الثانية والنصف، ونهض "تينوسوكيه" واقفًا مندهشًا.

- "يوكيقو لا بد أنكِ تعبتِ اليوم".

- "هناك أحاديث عن مقابلة الزواج، وإنما فلندعها للغد". واستمرت "يوكيقو" فى سماع مثل تلك الكلمات من "ساتشيقو" وهى تسبقها للدور الثانى، لكن حين دخلت غرفة النوم وجدت الصغيرة وضعت منضدة مكان الوسادة وعليها كل الهدايا من ذى قبل وصولاً إلى صندوق الصندل الذى حصلت عليه اليوم، كلها مصفوفة، وهى قد غلبها النوم، فنظرت إلى وجهها الملائكى وهى نائمة على وميض ضوء المصباح المعلق، وغمرتها السعادة لعودتها إلى هذا البيت.

وبين سرير "اتسوقو" وفراش نوم "يوكيقو" سقطت "أوهارو" غارقة فى سبات عميق، فهزتها لبضع مرات لتوقظها وتنزل تكمل نومها بالأسفل.

- "أوهارو، أوهارو".

الفصل السابع والعشرون

مقابلة الزواج، تحدد موعدها ومكانها.

قالت السيدة "چينبا" إن يوم 8 من الشهر يوم مناسب، فلنجعل اللقاء فى هذا اليوم، وأخبروا "يوكيقو" برغبتهم تلك، لكن وقع حادث غير متوقع فى مساء يوم 5 من الشهر، ما اضطرهم إلى التأجيل.

فى صباح ذاك اليوم كان لا بد لـ"ساتشيقو" أن تذهب إلى سيدة تعمل بمنتجع صحى للاستجمام بفترات النقاهة، وكانت بالفعل حجزت موعدًا واتفقت مع ثلاث من صديقاتها ليذهبن معًا، وعلى الرغم من أن الذهاب بالقطار لا بأس به فإنهن استقللن الحافلة وعبرن محطة "روقّوو" وصولاً إلى "أريما"، وفى العودة استقللنَ قطار "شينيوو"، لكن فى تلك الليلة بعدما ذهبت إلى فراشها للنوم فجأة انتابها ألم ورأت نزيفًا، واستدعوا الطبيب "كوشيدا" ليأتيهم بزيارة منزلية وفاجأهم بأنه إجهاض، واستدعى طبيبًا مختصًا على الفور، ووفقًا لفحصه الطبى سيستمر النزيف للصباح التالى. لازمها "تينوسوكيه" بغرفة المشفى، وظل منذ بداية ألمها يمكث رافعًا مسند سريره ويجلس بجوار الوسادة، وفى اليوم التالى بعدما استقرت حالتها وتوقف النزيف بالكاد أراح مسند

مقعده فقط، وحتى بعدما بدأت تتماثل للشفاء استمر في إجازة من عمله ملازمًا لزوجته. كان يجلس ناظرًا إلى الأسفل ويضع كلتا يديه حتى المرفقين بالقرب من صحن المدفأة، وراحتَي يديه إحداهما فوق الأخرى فوق ألسنة اللهب، وظل على هذا الوضع طوال اليوم دون أدنى حراك، فقط من حين إلى آخر يتبادل النظرات مع زوجته وقتما يشعر بها ترفع ناظرها إليه وعيناها تترقرقان بالدموع.

- "أحسن الآن؟" قالها سائلاً إياها بوجه هادئ وأضاف:
- "هل هناك ما يمكنني فعله لكِ؟"
- "أنت، تسامحني أليس كذلك؟"
- "ماذا!"
- "أنا لم أنتبه".
- "وذاك ما حدث، إني على العكس كنت أريد ذلك مستقبلاً".

بمجرد أن قال ذلك "تينوسوكيه" انهمرت الدموع الحبيسة بعينَي زوجته وغمرت وجنتيها.

- "إذًا يا للأسف".
- "هذا الحديث ليس وقته قطعًا. سيمكننا فيما بعد".

ظل الزوجان اليوم بطوله يعيدان الحوار نفسه لمرات عدة، وكان "تينوسوكيه" يتمعن في وجه زوجته الشاحب بعدما فقدت الكثير من الدماء، وهو لا يستطيع أن يخفي شعور الإحباط الذي اعتلى وجهه.

الحقيقة الصادمة هي أن "ساتشيقو" كانت في شهرها الثاني من الحمل ولم يأتِها أي هاجس، فهي بكل حال من الأحوال منذ ولادة طفلتها منذ قرابة العشر سنوات قال لها الأطباء إنها لن تتمكن من الإنجاب فيما بعد دون إجراء عملية، فبالتأكيد هي لم تلقِ بالاً للأسف.

لكنها تدرى بما يرغب فيه زوجها فيما بعد، وحتى إن كانت هى ذاتها لا ترغب فى كثير من الأطفال مثل أختها الكبيرة، لكنها تشعر بأن طفلتها وحيدة، فكانت تأمل أن يكون هناك حمل ويتم، وكان بنيتها أن تذهب للاستشارة، لذلك حين اصطحبت رفيقاتها بالأمس راودها هذا الإحساس فجأة لكنها لم تردِ أن تبالغ وتأخذ الموضوع على محمل الأهمية.

كم تبدو حمقاء والشعور بالاستنكار يجتاحها إلى أبعد مدى، وهذا جعل كل من حولها يخطط للترفيه عنها، وراح تفكيرهم فى الاتجاه المعاكس تمامًا، لكنها كانت لديها أسبابها لتتجاهلهم، ولا يمكن لومها ففعلتها تدعو للحسرة، وقالتها لطبيبها "كوشيدا" ولنفسها "لما ركبت الحافلة، لما ذهبت لمثل ذاك الموعد"، وتذرف دموع الندم وما باليد حيلة. زوجها كان قد تقبل حقيقة كون ذاك الجسد لا يمكنه أن يحمل بأحشائه طفلاً، لكن دون أى محاولات منهما جاءهما البرهان على قدرتها على الإنجاب، لذلك قال لها إنه ليس حزينًا بل سعيد لأنه صار لديه الأمل مجددًا بالمستقبل.

لكن على الرغم من قوله هذا الكلام ليريحها، فإنها أيضًا أدركت كم أن زوجها بداخله بائس بشدة، ومهما أعطاها من عطف ومعاملة طيبة كانت تظل فى منتهى الندم لأنها غلطتها حتى لو لم يقل، فالخطأ ليس بهيِّن ولا يمكن إنكاره.

فى اليوم الثانى بدأ زوجها أيضًا يتعايش، ويستعيد عافيته، وخرج بموعده المألوف للعمل، ومكثت "ساتشيقو" ممددة فى فراشها بالدور الثانى، وكلما فكرت فى أن الأسى لن يجدى نفعًا سرعان ما تتهاوى ولا يمكنها تجنب أفكارها الأولى. إنها كانت منذ قريب قد اشتاقت لـ"يوكيقو" وتريد لقاءها، أما الآن فهى لا تقوى على رؤيتها أو رؤية الخادمات وطفلتها الوحيدة، وكلما مكثت وحدها فاضت عيناها بالدموع.

لـو لم تكـن فعلـت فعلتهـا تلـك غـير المقصـودة لـكان لهـا أن تضـع حملهـا فى شـهر نوفمـبر، وصـار مثـل هـذا الوقـت فى العـام المقبـل طفلهـا يسـتطيع الضحـك. لا بـد أنـه بهـذه المـرة كان صبيًـا، أليـس كذلـك؟ وبالطبـع سـيفرح زوجهـا. تـرى "اتسـوقو" كانـت سـتفرح أيضًـا؟

إنهـا كانـت لا تلقـى بـالاً عـلى الإطـلاق، ولكنهـا كانـت عـلى وشـك أن تراجـع. ذاك الوقـت كان نذيـر شـؤم، ومـع ذلـك فلـماذا لم تمتنـع عـن ركـوب الحافلـة؟ ولمـاذا لم تعتـذر عـلى الفـور بـأى حجـة؟ فمهـما قالـت لـكان مـن الأفضـل لهـا أن تذهـب بمفردهـا لاحقًـا. كان يمكنهـا إيجـاد العديـد والعديـد مـن الأعـذار، فلـما لم تفعـل؟! مهـما كان ندمهـا فسـيظل هـذا هـو الـشيء الوحيـد الـذى لـن تكتفـى مـن ندمهـا عليـه.

وإن كان كـما يقـول زوجهـا إنـه مـن حسـن الحـظ معرفتهـما أنهـا يمكنهـا الإنجـاب فيـما بعـد، وإنمـا إن لم يكـن، فمهـما مـرت عليهـا السـنون لـن تنـسى أبـدًا بـل سـتظل تفكـر لـو كان طفلهـا عـلى قيـد الحيـاة الآن لأصبـح كـذا ويسـن كـذا، وفى الغالـب هـذا النـدم صعـب الشـفاء منـه وسـيظل يلاحقهـا مـدى الحيـاة.

عـادت "ساتشـيقو" تلـوم ذاتهـا بقـوة، واسـتمرت فى الاعتـذار عـلى مـا ارتكبتـه مـن جـرم، فطفلهـا الفقيـد لـن تعوضـه هـى وزوجهـا مهـما كان، وانهمـرت دموعهـا مـن جديـد مـرارًا وتكـرارًا.

أمـا بالنسـبة إلى السـيدة "چينبـا"، فالـضرورة تقتـضى رفـض المـضى قدمًـا فى الموضـوع، لكـن "تينوسـوكيه" قـال بمـا أننـا لا نعرفهـم البتـة فإنـه أولى بهـم الآن أن يراسـل هـو السـيدة "چينبـا" نيابـةً عـن "ساتشـيقو"، فهـى التـى تتـولى مسـئولية الاتفـاق بـين الطرفـين ومـا زال الشـخص المعنـى لم يظهـر بعـد، وعـلى الفـور فى مسـاء اليـوم نفسـه 6 مـن الشـهر كتـب لهـا أنـه بالتأكيـد يصعـب عليهـم طلـب التأجيـل، ولكـن لسـوء الحـظ زوجتـه مصابـة بنزلـة بـرد وحرارتهـا مرتفعـة، وإن كان الأمـر يبـدو أنانيًـا

للغاية وإنما يستميحهم عذرًا أن يتأجل الموعد إلى يوم 8، وهو يرسل تلك العبارات سالفة الذكر لتبدو الأمور منطقية، وبالطبع هذه هى الأسباب فقط وليس هناك أى شىء آخر، لذلك يرجوهم ألا يسيئوا فهمهم بخصوص هذه الجزئية، ونزلات البرد ليست بالمرض العضال، فإن تكرموا وانتظروهم إلى الأسبوع المقبل سيكون من الأفضل.

أرسل "تينوسوكيه" الخطاب بالبريد السريع.

لكن كيف تلقاه الطرف الآخر؟

فى مساء اليوم السابع أتت السيدة "چينبا" فى زيارة مفاجئة لتطمئن على "ساتشيقو" وأيضًا تسألها، ودخلت وقالت لـ"تينوسوكيه":

- "عذرًا إن كنت سآخذ من وقت السيدة زوجتك قليلاً ولكنى أود مقابلتها".

اصطحبها "تينوسوكيه" للغرفة التى ترقد بها زوجته، وحين رأتها "چينبا" وهى طريحة الفراش فعلاً هدأ بالها، ما يعنى أنها تفهمت الموقف، لكنها أيضًا بمجرد أن رأت وجه صديقتها التى وثقت بها أظهرت لها "ساتشيقو" شعورًا بقوة صداقتهما، فسألتها "چينبا" عن حقيقة مرضها، ولأن هناك فى هذه اللحظة حديثًا منتظرًا، ظلت "ساتشيقو" تعطى المقدمات وتقول:

- "وجدت أنه من الأفضل أن أكتب لكِ خطابًا فإنكِ مختفية منذ فترة طويلة".

ثم قصت عليها باختصار ما حدث مساء اليوم الخامس من الشهر، فاستمعت لها وهى تروى وقلبها يعتصره الألم، وأضافت "ساتشيقو" أنها أفصحت بالقول لها هى فقط، وبالتأكيد هى عليها أن تجد أى شىء ما لتخبره للطرف الآخر ما عدا الحقيقة بأى حال من الأحوال، وترجتها "ساتشيقو" ألا تشعر بالأسف حيالها، ومن

الأفضل أن يمهلوهم بعض الوقت، فبعد أسبوع قد تكون تحسنت وتستطيع الخروج وهذا على حد قول الطبيب، وحينها فليحددوا موعدًا جديدًا لمرة أخرى، وبهذا، أنهت "ساتشيقو" حديثها وهي تؤكد عليها ألا تخبر حتى زوجها بمثل هذا الحديث المؤسف، وفور ما وجدت "چينبا" أن "ساتشيقو" اغرورقت عيناها بالدموع سارعت بتغيير مجرى الحديث قائلة:

- "حسنًا بعد أسبوع، ترى سيكون أي يوم بالشهر؟ 15؟"

في الصباح الباكر وصلت رسالة بالبريد السريع تقول بها السيدة "چينبا":

"قبلما آتي لزيارتك تناقشت في الترتيبات مع الطرف الآخر، وعلمت أنه سيكون في عطلة الاعتكاف بالمعابد[1] من يوم 18 حتى 24 من الشهر الحالي، وتجنبًا لهذه الفترة فهل بالفعل سيكون يوم 15 مناسبًا؟ أي بعد ثمانية أيام. إن كان غير مناسب فلنجعلها في أي موعد آخر بالشهر المقبل. لكن ما زال هناك متسع من الوقت حتى يوم 15، نحو أسبوع، ألن يمكنك؟ بالحقيقة السيد هامادا يرجو ذلك أيضًا ويطلبه. هذه ليست أنانية منا، هذا فقط إن كان الطبيب قال تحسنت حالتك ولا داعي حتى لتتناقشي مع زوجك الآن ولا تضغطي على نفسك للخروج ولو بالقليل، الغرض هو أن أبلغكم بالموافقة على أي حال، غير أني أدعم بشدة المضي قدمًا في الموضوع فيما بعد، حتى إن جاء يوم 14 وكان لا يزال لديكِ نزيف ولو بالقليل من حين إلى آخر فلا داعي لتنهضي وتتحركي كثيرًا".

منذ البداية و"تينوسوكيه" يسألها ما إن كانت على ما يرام لتحديد ذاك الموعد، فهو يفكر إن كان لا يزال هناك خطر عليها، فمن حسن

(1) عطلة "هي جن" عطلة بوذية تحتفل بها الطوائف البوذية اليابانية على وجه الخصوص في الربيع والخريف، ويعتكفون لتقديم الخدمات بالمعابد البوذية.

الحظ أن السيدة "چينبا" تدرك حقيقة الوضع، ما يعنى أنه لا مانع من الحديث معها عن أمر تغيب "ساتشيقو" عن اللقاء ويذهب هو بمفرده مع "يوكيقو" للمقابلة، وهذا ما تبادر لذهنه، فموقفهم لا تمكن مقابلته بالإهمال، وإنما الصعب فى هذه الفكرة هو أنه إذا تغيبت "ساتشيقو" فلن يكون هناك أحد ليقدم كلا الطرفين للآخر.

"يوكيقو" داهمها القلق، فلا بأس من كون أختها لن تفعل شيئًا دون استطاعتها من أجلها، وإنما إذا طلبوا التأجيل مرة أخرى فبهذه الحالة قد يُلغى كل شيء، وشطح تفكيرها إلى أنه فى ذاك الحين سيقولون فى الأصل ليس من نصيبها، ولمرة أخرى "ساتشيقو" ستتذكر فجأة بهذه الأجواء شعورها بالشفقة حيال أختهم الصغيرة المنسية بسبب أحزانهم.

إلى ذاك الحد كانت مقابلات زواج الصالونات التقليدية بالنسبة إلى "يوكيقو" كوقائع حادث أليم لا يمكن لملمة توابعه بسهولة، والغريب أن هذا أيضًا ما توقعته بهذه المرة. ليته يخيب ظنها، وإنما ها هو من البداية يتوالى ظهور العقبات، بدايةً بمرض ابنة أختها الكبيرة بمنزل العائلة، وحين ظنت أن الأمر انتهى وقعت الحادثة البائسة لإجهاض أختها، لذلك تملكهم كلهم شعور غريب لا يمكن ردعه بأن القدر الذي يربطهم يسحبهم ويغمسهم بداخل حظ أختهم الصغيرة، لكن على غير المتوقع فـ"تائيقو" لا يبدو عليها ولا تبالى بأى شيء، فقط تزداد براءتها كلما تقابلت وجوههم.

فى هذه الحال، حين خرج "تينوسوكيه" ذاهبًا إلى عمله فى صباح يوم 14 كان يميل لأن يجعل "ساتشيقو" تتغيب عن الموعد، وكانت هى ذاتها كلما غلبتها رغبتها فى التغيب، عادت فى قرارها وظلت فى حيرة دون أن تحسم أمرًا، لكن فى نحو الساعة الثالثة جاءتها مكالمة هاتفية من السيدة "چينبا" تسألها عن أحوالها من بعد

تلـك الواقعـة وكانـت تحـاول أن تستشـف الوضـع، فأجابتهـا "ساتشـيقو" بأنهـا تحسـنت بنسـبة كبـيرة، فتابعـت السـيدة "چينبـا" حديثهـا لتخبرهـا بـأن السـيد "نومـورا" يلاحقهـا متسـائلاً إن كان موعـد الغـد مناسـبًا، فهـو اتخـذ قـراره بـأن يجتمعـوا فى الخامسـة مسـاءً بفنـدق "أورينتـال أوتيـل"، فقـط يجتمعـون بالفنـدق ويحتسـون الشـاى ثـم يذهبـون لتنـاول العشـاء بمطعـم مـا لم يقـرره بعـد، ومـع أن هـذه مقابلـة زواج وإنمـا فلتكـن دون تكلُّـف وكمجـرد لقـاء لعـدة أشـخاص، وعليـه فبعـد اللقـاء بالفنـدق وتبـادل الحـوار فليذهبـوا إلى مـكان مـا يستحسـن لـو قررتمـوه مسـبقًا، وهـو يقـول إن السـيدة "چينبـا" وزوجهـا هـما نيابـةً عـن السـيد "هامـادا"، وبهـذا يصبحـون سـتة أشـخاص، ثلاثـة مـن كل طـرف.

فى اللحظـة الأخـيرة و"ساتشـيقو" تسـتمع لـذاك الحديـث اتخـذت قرارهـا، وقالـت لهـا حسـنًا هـذا عظيـم، وإنمـا فلتخبرهـم بأنهـم مـا زالـوا غـير متأكديـن ولا داعـى لـكل هـذا، وفى الحقيقـة هـى بالـكاد تعافـت وإنمـا فى الغـد سـتكون المـرة الأولى التـى تخـرج بهـا ونزيفهـا لم يتوقـف بالكامـل بعـد. وأضافـت "ساتشـيقو":

- "أنـا يصعـب علىَّ قـول ذلـك حقًّـا، إنمـا أنـتِ لديـكِ مهاراتـك الخاصة لتتعامـلى مـع الموقـف، فأنـا حقًّـا لـن يسـعنى المـشى، وحتـى لـو لمسـافات قصـيرة عـلىَّ أن أسـتقل سـيارة أجـرة. إن أخـذتِ هـذا بعـين الاعتبـار فـلا اعـتراض، وهـذه الجزئيـة فقـط أؤكدهـا عليـكِ مسـبقًا".

حـين جـاءت هـذه المكالمـة لم تكـن "يوكيقـو" بالبيـت وذهبـت إلى صالـون تجميـل "إيتـانى" لتهنـدم شـعرها للقـاء الغـد، وحـين عـادت واسـتمعت لمـا دار مـن حديـث وعرفـت بالتفاصيـل الأخـرى ظهـر اسـتنكارها للمـكان. "فنـدق أورينتـال".

إنهـا فى السـابق حـين التقـت "سـيجوشى" كان أيضًـا فى المـكان نفسـه، وهـذا إن لم يكـن نذيـر شـؤم فـماذا إذًا إن تذكرهـا النـادل أو المضيفـات

وغيرهـم في ذاك الحـين! هـل سـينظرون إليهـا بعـين العـروس التـي جـاءت مـرة أخـرى لمقابلـة زواج! بالطبـع هـذا وضـع مـسيء وغـير مقبـول. لكنـه لم يـرِد بتفكـير "ساتشـيقو" أدنى اعـتراض مـن ذاك القبيـل حـين اسـتمعت لعرضهـم مـن البدايـة، ولكنهـا أدركـت فـور بـدء الحديـث أن "يوكيقـو" سـيصعب إرضاؤهـا لقبـول ذلـك، فدخلـت غرفـة مكتـب زوجهـا لتهاتـف السـيدة "چينبـا" وشرحـت لهـا الأسـباب كـما هـي بالضبـط، وطلبـت منهـا إعـادة النظـر فقـط في "أورينتـال أوتيـل".

بعـد سـاعتين جاءتهـا مكالمـة هاتفيـة مـن الطـرف الآخـر، فقد تحـاوروا مـع سـيد "نومـورا" وقـال إن كان ليـس لهـم أن يذهبـوا إلى ذاك الفنـدق فهـو لم يفكـر في مـكان آخـر مناسـب، وليذهبـوا مبـاشرةً إلى مطعـم ويلتقـوا هنـاك. أمـا عـن تحديـد المطعـم فهنـا القـرار مـتروك لهـم بـلا أي مشـكلة، وإن كان لديهـم أي مقترحـات فهـو بانتظارهـا، وعليـه فـإن كانـت الأمـور ستسـير وفقًـا لطريقتهـم فـلا بـأس، فلقـد كان المقصـد فقـط إيجـاد مـكان لنجتمـع أولاً، ولتخـبروا الآنسـة "يوكيقـو" أن اختيـار فنـدق "أورينتـال أوتيـل" كان مـن أجلهـا، فهـو يفضلـه للغايـة وإن لم يكـن كذلـك بالنسـبة إليهـا فبالطبـع لـن يـدع شـيئًا يزعجهـا هكـذا.

تناقشـت "ساتشـيقو" مـع زوجهـا بعدمـا عـاد إلى البيـت، والنتيجـة أنـه بالطبـع يفضـل احـترام مشـاعر "يوكيقـو"، فهـو لا يريـد أن يصعِّـب الأمـر عليهـا.

وقـال: "فلنبحـث عـن حـل وسـط، ولنفكـر جيـدًا، ودعونـا نلتـقِ مـرة أخـرى في الصبـاح".

كانـت هـذه تحيتـه فـور عودتـه، وبصبـاح اليـوم 15 جاءتهـم المكالمـة الهاتفيـة لسـؤالهم: "مـاذا عـن فنـدق طـووا أوتيـل؟"

على هذا استقر الحديث أخيرًا.

الفصل الثامن والعشرون

كان يوم اللقاء يومًا باردًا بعدما انتهت احتفالات "ميزو تورى"، وإن كانت ليست هناك رياح وإنما ندف الثلوج عالقة بالسماء الغائمة.

فور أن استيقظ "تينوسوكيه" سأل زوجته:

- "هل توقف النزيف؟"

فهذا أول شيء يهتم له ويعيره انتباهًا، وفي المساء عاد مبكرًا وسألها مرة أخرى:

- "كيف حالك؟ والنزيف؟ إن كنتِ لستِ في مزاج جيد فلنعتذر، ولا بأس سأذهب أنا بمفردي نيابةً عنكِ".

كانت "ساتشيقو" بكل مرة يسألها تجيبه بأنها على ما يرام ولا بأس بالخروج لقليل من الوقت، لكنها في الحقيقة منذ مساء البارحة بعدما تحركت للعديد من المرات لتتحدث بالهاتف تأذت بعض الشيء، واليوم زاد قدر نزيفها ولا تزال لا يمكنها الاغتسال وتكتفي بغسيل وجهها ومؤخرة عنقها فقط، وحين جلست أمام مرآتها رأت كم تظهر آثار الأنيميا أيضًا على لون وجهها، وشعرت بأن الإنهاك

يتغلب عليها، لكنها حاولت أن تجعل الأمور تبدو طبيعية قدر الإمكان بحضورها لتلك المقابلة الخاصة بأختها الأصغر، لكن من قبل حين حدث وتنبهت لها السيدة "إيتانى" بمدخل الفندق وسألت "ساتشيقو":

- "هل أنتِ بخير؟ الوهن يبدو عليكِ".

بمدخل الفندق كانت تترقب وصولهم السيدة "چينبا"، واقتربت فور رؤيتهم يدخلون وهم يحيطون بـ"يوكيقو" من الجانبين، وقالت لـ"ساتشيقو":

- "دعينى أقدم لكِ زوجى"، قالتها وأشارت إلى "سنتاروو" الذى كان يقف ممشوق القوام بهيئة أنيقة تفصله عنهم خطوات، ونادت عليه فقال:

- "مرحبًا. زوجتى عادةً ما تتسبب لكم فى الإزعاج".

- "إطلاقًا إطلاقًا، مرحبًا بك. بهذه المرة أيضًا واجب علينا شكر زوجتك لاهتمامها الفائق وبالذات اليوم، فقد كنَّا فى غاية الأنانية بطلباتنا. نعتذر بشدة".

- "حسنًا يا ساتشيقو". قالتها السيدة "چينبا" بصوت خافت.

- "انظرى هناك، إنه السيد نومورا، سأقدمكم له لكنى لم ألتقِ مديرًا من قبل إلا لمرة أو مرتين، لذلك لا أعتاد الموقف والوضع غريب علىَّ إلى حد ما، لهذا إن رغبتم فى السؤال عن أى شىء اسألوه مباشرةً فأنا لا أدرى".

وظل السيد "چينبا" بالجوار ساكنًا يستمع لثرثرتها مع الزوجين وانتظار انتهاء هذا الحديث الهامس.

- "حسنًا، تفضلوا من هنا". وانحنى بخفة مشيرًا لهم بإحدى يديه كأنه يدفعهم ليتحركوا.

وقبلما يقدمهم بعضهم لبعض تذكرت "ساتشيقو" وأختها السيد الأنيق الذى اتخذ مقعدًا بساحة الاستقبال للفندق وحده. كان ينفث دخان سيجارته ثم يضعها بالمرمدة، وبحركة متهورة أخذ يطفئها ساحقًا ما بها من لهب ونهض واقفًا. كانت بنية جسده قوية على نحو لا يصدق وتبدو عليه الصرامة والحزم، وإنما ما كانت تخشاه "ساتشيقو" أن يكون عجوزًا كما بدا بالصورة أو تكون هيئته كرجل طاعن بالسن. أول شيء لم تدركه من الصورة هو شعره، إنه ليس بأصلع وإنما أكثر من نصف شعره يكسوه الشيب، وخفيف من الجانبين، مجعد، أشعث، ويبدو متسخًا بشدة، ووجهه كثير التجاعيد. للوهلة الأولى تظنه فى الرابعة أو الخامسة والخمسين من العمر. إنه فى الحقيقة سنه لا تزيد على سن "تينوسوكيه" إلا بعامين، وعلى الرغم من ذلك فإن السيد "نومورا" يبدو أكبر منه بعشر سنوات.

الأكثر من ذلك أن "يوكيقو" تبدو فى الواقع أصغر من 28 سنة، بالكاد فى الرابعة أو الخامسة والعشرين من العمر، لذلك فالفرق بينهما كما لو كان أبًا وابنته، والأخت الصغيرة بهذا الموقف تحظى بشعبية كبيرة، الطلب عليها كثير، ومرغوبة بشدة.

لكن "ساتشيقو" شعرت كم أن وضع أختها لا يصل إلى نهاية مطلقًا.

بعدما انتهى الأشخاص الستة من التعرف بعضهم إلى بعض، التفوا حول مائدة الشاى وخاضوا أحاديث لكنها لم تكن فى مسار الدردشة اللطيفة، بل من حين إلى آخر كان يسود الصمت. "نومورا" شخص تشعر كأنه بمكان ما بعيد يصعب الوصول إليه وهو لديه أسبابه، على الرغم من أن الزوجين "چينبا" قاما بدور المساعد فإنهما كانا فى منتهى التحفظ معه، وكانت الأجواء قاسية.

ربما كان الزوجان "چينبا" يريان أنه ابن أخ السيد "هامادا" ولى نعمتهما، لذلك فمن الوقاحة أن يتعاملا معه على نحو طبيعى، وعادةً فى مثل تلك الأوقات يصل بهما الارتباك إلى حد يجعلهما يلزمان الصمت، وإن كان فى متناول أيديهما الجهة الأخرى الزوجان "تينوسوكيه"، لكن اليوم "ساتشيقو" ليست فى كامل لياقتها وهذا أيضًا أثّر بالسلب فى "تينوسوكيه" وجعله كئيبًا نوعًا ما.

- "السيد نومورا، عملك بمكتب المحافظة ما طبيعته؟"

توالت الأسئلة تدريجيًا على ذاك النحو، وبدأ الحديث حول التوجيهات المتعلقة بزيادة إنتاج أسماك السلمون تحت حماية محافظة "هيوجو"، وحول بأى منطقة يوجد السمك الألذ مذاقًا، وحول هذا النوع من الأسماك بمدينة "تاتسونو" و"تاكينو"، وهكذا دار الحكى.

فى تلك الأثناء قامت السيدة "چينبا" وقالت:

- "عفوًا".

وسحبت "ساتشيقو" معها وتوارت الاثنتان عن الأنظار ووقفتا تتحدثان، ثم عادت "چينبا" بجوار السيد "نومورا" وهمست بأذنه ثم أسرعت إلى غرفة الهاتف ومرة أخرى نادت "ساتشيقو"، وبدا أنها منشغلة بأمر ما، ثم عادت السيدتان إلى مقعديهما، وفى المرة التالية قامت "ساتشيقو" ونادت على زوجها ووقفت تتحدث معه:

- "ماذا هناك؟"

- "إنه بخصوص مكان المطعم، أتعرف متجر الطعام الصينى بيكين روه فى منطقة ياماتيه؟"

- "كلا لا أعرفه".

- "السـيد نومـورا يذهـب إليـه دائمًـا لذلـك يرغـب فى أن نكمـل لقاءنـا هنـاك. إنـه لا بـأس بالطعـام الصينـى ولكـن اليـوم ستسـوء حالتـى إن مكثـت هكـذا عـلى مقعـد، وأريـد مطعـمًا يابانيًـا بحصر تاتامـى، وهنـاك مطعـم أو اثنـان تقريبًـا عـلى الطـراز اليابـانى ويقدمـان الطعـام الصينـى، ويديرهـما أشـخاص صينيـون، والآن السـيدة چينبـا حجـزت لنـا فى أحدهـما، أليـس هكـذا أفضـل؟"

- "إن كان مـن الأفضـل لـكِ فـأى مـكان مهـما كان بالنسـبة إلىّ سـيكون جيـدًا. أنـتِ لا تقفـى وترهقـى نفسـكِ عـلى هـذا النحـو. فلتجلـسى بمكانـك قليـلاً".

- "حسنًا إنها فقط نادتنى".

وذهبـت "ساتشـيقو" إلى المرحـاض وتغيبـت نحـو 20 دقيقـة، وفى النهايـة عـادت ووجهها يفتقـد للدمويـة كأنـه أزرق، ومـرة أخـرى قالـت "چينبـا":

- "عفوًا".

ونادت عليها، لكن "تينوسوكيه" قال لها:

- "كلا سأذهب أنا".

ونهض ذاهبًا بالفعل إلى السيدة "چينبا" وقال لها:

- "عفـوًا، إن حالتهـا الجسـدية لم تتحسـن بعـد لـذا إن كان هنـاك أى خطـب فلتتفضـلى وتخبرينـى بـه".

- "حسـنًا، فى الحقيقـة لقـد جـاءت سـيارتان الأولى للسـيد نومـورا ويوكيقـو وأنـا، والأخـرى لحضرتـك وزوجتـك وزوجـى، مـا رأيـك؟"

- "إذًا هذه رغبة السيد نومورا؟"

- " كلا ليس كذلك، وإنما فقط ماذا بها إن جعلنا الأمور تسير على ذاك النحو؟ فهذا ما خطر ببالى".
- "إذًا.."

تطلب الأمر مجهودًا أكثر لكيلا يظهر على ملامحه رفضه الشديد بكل حال من الأحوال.

أما "ساتشيقو"، فهى اليوم تتحمل صعابًا جسدية بحضورها ونستمر فى مواجهة المخاطر، وهذا ملحوظ من الأمس، وعلى الرغم من أن التلميحات تكررت منذ حين فإن السيدة "چينبا" ظلت تسألها ولم تنطق بكلمة واحدة تؤازرها أو تبدى تعاطفها، والأهم من ذلك كله أن "تينوسوكيه" غير راضٍ.

وها هى اليوم أكثر إصرارًا وعن قصد تتجاهل ذلك، لكن مهما كان فأولى بها أن تُظهر بعضًا من التعاطف حيال "ساتشيقو" لكنها بالغت فى عدم مبالاتها، أو لعله رد فعل من "چينبا" لاعتبارها سلوكهم أنانيًا، فبهذا التفكير هى تظنهم بمنتهى الأنانية حقًّا، فحتى الآن التأجيل لعديد من مرات من طرفهم، وعليه فهى ترى أن طرفها تحمل للآن التأجيل كثيرًا لذلك فهم عليهم الآن تقديم التضحية ما داموا قد وصلوا إلى هذه النقطة، وهذا منطقى وفى الغالب هذا كان شعورها، ولا داعى لذكر أن هذا كله ليس لأحد سوى الأخت الأصغر، فالسيدة "چينبا" تتعامل بلطف حيال "يوكيقو" فقط، ومن أجلها هى أيضًا تتحمل "ساتشيقو" عناءها الجسدى.

إنهم جميعهم بلا خلاف يحسنون لها صنيعًا، أليس هذا ما يظنونه؟

وهنا على ما يبدو شعر "تينوسوكيه" بالغيرة، لكنه كان يظن أن هذه السيدة هى مثل "إيتانى" بالضبط، وفكر فى أن الابنة المتورطة

بتأخر زواجها لا بد أن يكون الجميع فى عونها، وهو مثلاً ألا يليق به أن يشعر بأنه يسدى إليها معروفًا؟!

حسب كلام "ساتشيقو" فإن زوج السيدة "چينبا" هو رئيس قسم الطاقة بشركة القطارات بإقليم "كانساى" التى يرأسها السيد "هامادا تاكيكيتشى"، لذلك فهو عليه أن يلبى رغبات السيد "نومورا" كلها بكل جد ولاءً لمديره، ما يعنى أنه لن يهمه شىء بخلاف ذلك، ولعلّ هذه هى الفرصة الأولى، لذلك ففكرة أن يستقل "نومورا" و"يوكيقو" عربة واحدة هى من منطلق الولاء، أليس كذلك؟ ولا يبدو أنها من مقتبس أفكار "نومورا"، ومهما كان فبهذا الموقف يشعر"تينوسوكيه" بأنهم جعلوا منه الأحمق الذى لا يكترث.

- "حسنًا، هل هذا على ما يرام إن لم ترفض الآنسة يوكيقو؟"

- "كلا ويؤسفنى قول إن الأمر مرفوض حتى لو وافقت يوكيقو، فإننا لو تركنا الأمور تأخذ نصابها الصحيح فتلك الفرصة ستأتى كثيرًا فى المستقبل بالتأكيد".

- "هاهاههه". وضحكت السيدة "چينبا" وتنبهت للون عينَى "تينوسوكيه" وابتسمت ابتسامة مجبرة عليها، واتسع أنفها كجراد البحر.

- "إذًا وماذا بعد؟ إن جعلنا الأمور تسير هكذا، فما تفضله يوكيقو وإن كان ضد الأعراف ولا يمكن البوح به وإنما هو على العكس نتيجته هى الأفضل، أليس كذلك؟ حسنًا، فقط خطرت لى الفكرة وقلت أخبركم بها، فماذا إذًا؟"

لكن هذا أثار حنق "تينوسوكيه"، وليس هذا فقط بل أيضًا كان المتجر الذى يدعى "بيكين رو" هو بالمرتفعات التى جهة الجبال بمحطة "موطوماتشى" على خط القطار العام، وهو متأكد من أن السيارة لا بد لها أن تسير بمحاذاة شريط القطار ولا بأس ولا داعى

للقلـق، إنهـا سـتظل تحـت ناظـره وأمـام البوابـة سـيصيرون جنبًـا إلى جنـب معًـا، وهنـاك مـن "موطوماتـشى" إلى "كوبيـه" سـيتخذون الطريـق المتجـه شـمالاً لخطـوط السـكة الحديـد العلويـة، لكـن حـين وصلـوا جميعًـا إلى المـكان المنشـود كان هنـاك درج صخـرى لا بـد أن يصعـدوه للمدخـل ومـن بعـده أيضًـا سـلم للطابـق الثـانى.

تـأتى "تينوسـوكيه" ليعتنـى بزوجتـه ويصعـدا معًـا عـلى مهـل، وحـين وصـلا إلى الطابـق الثـانى كان "نومـورا" يقـف بالردهـة متطلعًـا نحـو البحـر ولم ينتبـه لوجودهـما، ثـم بعـد برهـة قـال بصـوت مفعـم بالبهجـة:

– " كيف الحال سيد ماكى أوكا؟ أتريد أن تلقى نظرة من هنا؟"

وهنـا اصطـف واقفًـا بجـواره السـيد "چينبـا" وقاطعهـما معلنًـا عـن وجـوده وهـو يقـول:

– "إذًا، لقد أحسنت اختيار المكان".

– "حـين تلقـى نظـرة عـلى مـدن المـوانى مـن هنـا سـيراودك شـعور غريـب كأنـك عـدت إلى ناجاسـاكى".

– "بالضبط، بالضبط. حقًّا شعور ناجاساكى".

– "إنى دائمًـا مـا أتـردد عـلى مطعـم صينـى فى مدينـة نانكـين، وإنمـا لم أكـن أدرى بهـذا المـكان فى كوبيـه".

– "هنـا قريـب مـن مكتـب المحافظـة، لـذا فأنـا آتيـه باسـتمرار، طعامـه لذيـذ أيضًـا".

– "حسـنًا هيـا بنـا. وإن قلنـا الشـعور غريـب، أليسـت هـذه المبـانى التـى تشـبه المبـانى الموجـودة بمـدن الصـين تغـيرت بشـدة؟ إن المطاعـم الصينيـة التـى يديرهـا صينيـون الكثـير منهـا ردىء لكـن التصميـم المعـمارى فى نحـت النوافـذ والدرابزيـن وزخـارف الغـرف مميـز بشـكل يثـير الاهتـمام".

كانت "ساتشيقو" تقف رغمًا عنها ولكنها لاحظت شيئًا ما فقالت:

- "يبدو أنه دخلت الميناء بارجة من أسطول حربي".
- "ترى أسطول أي بلدة؟"

وتبادلـوا أطـراف الحديـث عـلى ذاك النحـو، لكـن السـيدة "چينبـا" ذهبـت إلى منسـق الاسـتقبال بالأسـفل للتناقـش بشـأن مـا وعـادت لهـم بالأعـلى مـرة أخـرى ووجههـا يبـدو عليـه الإحـراج.

- "ساتشـيقو، أنـا بغايـة الأسـف، الصالـة يابانيـة الطـراز ليـس بهـا أي مـكان شـاغر، ونـود أن تتحمـلى البقـاء بالصالـة الصينيـة. لقـد عرفـت ذلـك حـين أجريـت اتصـالى الهاتفـى سـابقًا وظننـت أنـه قـد نجـد مكانًـا عندمـا نصـل، عـلى أي حـال النـادل هنـا صينـى وأنـا أكـدت عليـه عـدة مـرات أن يخبرنـا فـور أن يجـد مكانًـا".

لقـد رأى "تينوسـوكيه" وهـو يصعـد للطابـق الثـانى التجهيـزات بالصالـة الصينيـة التـى قبالـة الردهـة واسـتغرب الأمـر، لكـن إن كان النـادل أخطـأ السـمع فليـس بالـضرورة أن يقـع اللـوم عـلى السـيدة "چينبـا"، وإن كانـت خرجـت لمكالمتهـم فـذاك النـادل لا يمكـن الاعتـماد عليـه، فـأى حيطـة أكـثر مـن هـذا كان لهـم أن يقومـوا بهـا حيـال "ساتشـيقو"؟ إنـه لم يظـن أن ذلك وقـع مـن عـدم مبالاتهـم مثـلاً. عـلاوة عـلى ذلـك، فحتـى السـيد "چينبـا" والسـيد "نومـورا" لم يطلبـا منهـم تقديـم أي مـبررات لتغيـير مـكان اللقـاء، بـل وامتدحـا هـذا المـكان بشـدة.

- "حسنًا إذًا، هل ستتحملين هذا المكان؟".

وسـألتها "چينبـا"، وقبـل أن تمهلهـا لتجيـب أمسـكت بيـد "ساتشـيقو" بكلتـا يديهـا بقـوة وقالـت كـما لـو كانـت طفـلاً يلـح عـلى شيء مـا:

- "حسـنًا حسـنًا، هنـا ليسـت صالـة بحصـير تاتامـى وإنمـا لا بـأس بهـا. هيـا أخبرينـى أنـه جيـد ولا مانـع".

شعرت "ساتشيقو" بأن زوجها قبلاً منها لا يروقه ما يحدث، فمالت نحوه:

- "أنت.. ألن تصطحب مرة اتسوقو ابنتنا الصغيرة إلى هنا؟"

- "ممم لا أدرى، أيفرح الأطفال إذا رأوا مراكب الميناء؟"

قالها "تينوسوكيه" بوجه تعتليه نظرة متجهمة.

التفوا جميعهم حول منضدة دائرية و"ساتشيقو" قبالة "نومورا"، وبدأ العشاء بالمقبلات مع خبز الشاوزينج الصينى والخمور اليابانية، وبمناسبة الحديث عن الصين وأستراليا وألمانيا، أمسك السيد "چينبا" بالصحف اليومية وكان العنوان الرئيس هو دخول هتلر "ڤيينا"، واستقالة رئيس وزراء أستراليا، لكن جانب عائلة "ماكى أوكا" كانوا يرتشفون القليل من حين إلى آخر فى حين "نومورا" و"چينبا" يتشاركان النقاش، وحاولت "ساتشيقو" قدر المستطاع أن تُظهر لهم أنهم غير مهتمين. إنها بذهابها إلى فندق "طووا أوتيل" ومجيئها إلى المطعم ثم البحث عن مكان وصولاً إلى مائدتهم، بلا شك كل هذا تسبب فى حركة جسدها فجأة فزاد نزيفها بعد الخروج للعشاء بذاك المساء، وفوق ذلك كله، حدث كما توقعت تمامًا وبجلوسها على مقاعد المطعم ذات الظهر العالى والقاسى ساءت حالتها، وبتحملها لكل تلك المتاعب راودها القلق حيال ما ترتكب من أخطاء وما باليد حيلة.

كلما فكر "تينوسوكيه" فى الأمر تأجج غضبه، لكنه يدرك جيدًا أن زوجته تبذل قصارى جهدها، وإن كان هو لا يروقه الوضع فهى تتحمل أكثر منه، وفى النهاية هو أيضًا عليه أن يبذل الجهد فقط لفتح حديث حتى إن استعان بطاقة الخمر.

- "هيا هيا سيدة ساتشيقو تفضلى".

قالتها السيدة "چينبا" بعدما ملأت كئوس الرجال بالخمر، وبعدها توجهت إليها بالقنينة.

- "أنا اليوم لا يمكنني الشرب وإنما يوكيقو لا مانع من القليل".
- "إذًا، يوكيقو، تفضلي".

أضافت "ساتشيقو" بلورات السكر إلى كأسها وارتشفت القليل من نبيذ "شاوشينغ" الصيني، لكنها هي وأخواتها بمثل تلك الأجواء لا يبتهجن، فـ"نومورا" قبالتها يحدق إليها ولا يرفع عينيه عنها، والأكثر أنه كان يغمرها بسيل من النظرات ولا يحول ناظره إلا حين تبدى الاستياء، ويضم كتفيه أكثر وأكثر ويضيق المسافة بينهما كما لو كان عروس "هينا" ورقية، لكنه ثمل وبدأ الثرثرة، ونتيجة لأن "يوكيقو" أيضًا أمامه فبدا مُثارًا، وصلة قرابته بالسيد "هامادا" تجعله شديد الفخر، وتحدث لعدة مرات بذاك الاسم، والسيد "چينبا" أيضًا يعيد بعده القول "رئيس الشركة"، ولبعض الوقت صار الحديث السائد عن "هامادا"، ويلمِّح ضمنيًا إلى كيف هي رعاية السيد "هامادا" لابن أخيه "نومورا"، وما دعا "تينوسوكيه" للاندهاش هو أن "نومورا" كان يتحرى بدقة عن الشئون كافة الخاصة بعائلة "ماكى أوكا" من حين إلى آخر دون أن يلحظ أحد، مثل حادثة الصحف لـ"تائيقو"، والأخ والأخت الكبيرة ببيت العائلة ووالدهم المتوفى، والأخوات جميعًا وبالطبع "يوكيقو" ذاتها، وبدأ يسأل عن عديد من التفاصيل قائلاً لهم تفضلوا بالسؤال أيضًا عن أى شيء تتشككون به، وفى ما بين تلك الأسئلة والأجوبة كان يستفسر منهم كى يعرف عن "يوكيقو" أكثر وأكثر.

ربما بفضل "هامادا" جمع كل ما طالته يداه من البحث، لكن طريقة كلام "نومورا" توحى بأنه سأل "إيتانى" بالتأكيد ولا شيء سوى ذلك. إنه يعلم حتى بشأن الأشعة السينية التى أجرتها "يوكيقو"، وأسباب إلغاء عرض زواجها من "سيجوشى"، وبالتأكيد أرسل أحدًا إلى

مـكان معلمـة البيانـو السـابقة "مـدام تسـوكوموطو" والطبيـب "كوشـيدا"، وصالـون تجميـل "إيتـانى".

(وإن كان الأمـر كذلـك، فإيتـانى حـين يجـىء إليها للاستفسـار عـن عروس فمـن هـذه الناحيـة لـن تمانع أبـدًا، وسـتتحدث بالتأكيـد عن كونهـا فى وقت سـابق أخـبرت ساتشـيقو بموضـوع مـا بخصـوص عـروض الـزواج، وهنـا لا بد مـن إضافـة أن ساتشـيقو كانـت مطمئنـة بخصـوص تلـك البقعة التـى بوجه يوكيقـو، فقـد اختفـت تمامًـا منـذ عودتهـا هـذه المرة مـن طوكيـو، لكن بكل حـال مـن الأحـوال هـى لا تظـن أنهـا تحدثـت إلى ذاك الحـد مـع إيتـانى). ومـا دام "تينوسـوكيه" وافـق أن يحمـل عـلى عاتقـه هـذه المهمـة فهـو يـدرك أن ذاك الشـخص الـذى يدعـى "نومـورا" فى غايـة التوتـر، ويشـعر بأنـه ليـس بالغريـب أن تكـون لديـه عـادة التحـدث مـع نفسـه بالطبـع. أخـذًا فى الاعتبـار أنهـم بهـذا الوضـع منـذ البدايـة وهـم لا يعلمـون مـا يخفيـه فى جعبتـه مطلقًـا، وبعـد إمعـان التفكـير لاتخـاذ القـرار بشـأن هـذه العلاقـة، ففـى مثـل تلـك الحالـة سـيتفاءلون خـيرًا أكـثر وأكـثر وتأخذهـم الحماسـة كـما لـو كانـوا أنـاس آخـرون غـير هـؤلاء الذيـن تلقَّـوا انطباعًـا صعبًـا حـين التقـوا بفنـدق "طـووا أوتيـل"، وحـين يتسـاءل متدخـلاً فى أدق التفاصيـل.

أمـا شـعور "تينوسـوكيه" الحقيقـى فهـو أنـه يسـعده أن ينهـى هـذا اللقـاء بـأسرع وقـت ممكـن، ولكـن مـا حـدث أعـاده إلى الشـعور الأولى نفسـه، فالزوجـان "چينبـا" اللـذان سـيعودان إلى "أوسـاكا" كانـا سـيقلان معهـما عائلـة "تينوسـوكيه" إلى مدينـة "أشـييا"، وبعدهـا سـيواصلان إلى "هانكيـوو"، لكنهـم حـين خرجـوا لم يجـدوا سـوى عربـة واحـدة والأخـرى انصرفـت. ولأن بيـت السـيد "نومـورا" فى "أويا"، أى بالاتجاه نفسـه وإن كان فى الضواحـى، فقـد طلبـوا منـه أن يقلهـم معـه. بالنسـبة إلى "تينوسـوكيه" فـلا فـرق يذكـر فى المسـافة بـين العـودة مبـاشرةً مـن الطريـق الـدولى السريـع أو العـودة مـن طريـق "أويـا" بالضواحـى، ولكـن طريـق الضواحـى

سيئ ومليء بالمنحدرات وهو يدرى أن الرجرجة به عنيفة، والتفكير كثيرًا أثار غضبه مرة أخرى، وفى كل مرة تنحرف السيارة يتوتر ويفكر كيف هو شعور زوجته الآن، ولأن الثلاثة رجال اصطفوا فى المقعد الأمامى فهو حتى لا يمكنه الحراك والالتفاف للخلف ليتطلع إليها.

باقترابهم من "أويا" فجأة قال لهم "نومورا":

- "ألا تتفضلون لأقدم لكم القليل من القهوة؟"

وتحمس بشدة فى الحقيقة ولم يقبل بسماع أى أعذار.

كان البيت فوضويًا ولكنه يطل على منظر رائع لـ"برج بكين"، وكان يفتخر بأن الميناء أمام ناظره مباشرةً وهو جالس بالغرفة يابانية الطراز ذات الحصير، ثم نهض واقفًا ودعاهم ليتفضلوا ليروا أسلوب معيشته، وأيّده بتلهف الزوجان "چينبا"، وراقهما الأمر ونهضا. بدا أن ببيت السيد "نومورا" فقط امرأة عجوز وطفلة لذلك فهم لن يتسببوا فى الإزعاج لأحد، وانتهازًا لهذه الفرصة سألهم عن رأيهم بتصميم المنزل، لكن "تينوسوكيه" أيضًا لم يحاول أن يسأل "يوكيقو"، فهو لا يرغب فى أى سلوك يفسد الموقف، ومهما كان فهو لا يدرى ما سيؤول إليه الحديث وكيف ستخوض الحوار، على الرغم من أنه بكل الأحوال لا يروقه الزوجان "چينبا".

إنهما يفتقدان الذوق لكن غرضهما المساعدة بالتأكيد.

أما مثل ذاك الخنوع فهو دفين بأعماقهما منذ البداية لذلك فليتحملوهما قليلاً، وهذا هو المبرر الذى قالته "ساتشيقو" أولاً وانصاع لها زوجها، وتغاضى عن استيائه من الطريق المؤدى إلى بيت السيد "نومورا" الذى كان سيئًا، ضيقًا، ومليئًا بالمنحدرات الخطرة، ولكن السيد "نومورا" على غير العادة فى غاية المرح والسرور كأنه طفل صغير.

أسرع "نومـورا" بفتـح البـاب الجـرار الخارجـى لغرفـة حصير التاتامـى ليسـتطيعوا رؤيـة البحـر ثـم ليتفضلـوا ويـروا غرفـة المكتـب، وبعدهـا اصطحبهـم فى جولـة بباقـى الغـرف بالمنـزل والمطبـخ.

كان منـزلاً متواضعًـا مـن طابـق واحـد مسـتأجر، وليسـت بـه سـوى سـت غـرف. دعاهـم "نومـورا" إلى غرفـة الشـاى ليريهـم المنظـر المطلـة عليـه، ويريهـم أيضًـا صـور زوجتـه السـابقة وطفليـه التـى يزيـن بهـا النصـب البـوذى. حـين مـرَّ الزوجـان مـن غرفـة التاتامـى قـالا لـه كـم أن المنظـر رائع بمـا فيـه مشـهد "بـرج بكـين" كنـوع مـن الإطـراء العابـر. كانت هـذه الغرفـة ذات الحصير مبنيـة بجـدران صخريـة عاليـة، وبوصولـك إلى نهايتهـا حيـث مشـهد البحـر تشـعر كأن جسـدك معلـق بالخـارج على شـفا الهاويـة، وشـخص مثـل "تينوسـوكيه" سـيواتيه شـعور سـيئ كأنـه يشـارف عـلى السـقوط، وعليـه فهـذا البيـت خطـر السـكنى مـن وجهـة نظـره.

خـرج "تينوسـوكيه" وأسرتـه وركبـوا السـيارة مـرة أخـرى و"نومـورا" يـسرع بمناداتهـم ليشربـوا القهـوة، ولحـق بهـم الزوجـان "چينبـا" فى هرولـة وقـالا:

- "السيد نومورا مزاجه جيد جدًا هذا المساء".

وأضافت السيدة "چينبا" لتطرق الحديد وهو ساخن:

- "حقًـا إن السـيد نومـورا لم أرَه مـن قبـل يتحـدث هكـذا. بالتأكيـد ذلـك لأنـه بجـوار فتـاة شـابة وجميلـة.

سـيدة ساتشـيقو هـا نحـن ذا نعلـم شـعور السـيد نومـورا ولا نحتـاج إلى سـؤاله، أمـا أنتـم فقـد كان بتفكيركـم مثـلاً أنـه يعيبـه كونـه ليسـت لديـه أمـلاك، ومـع ذلـك فقرابتـه بالسـيد هامـادا تجعلـه لا يتـورط فى حياتـه فى أى شىء مهـما كان، فهـذه الجزئيـة ألا يضمنهـا لكـم السـيد هامـادا بوضـوح!"

- " كلا، شكرًا. جزيل الشكر حقًّا لكل ما قدمتموه. سنتناقش في الأمر ونسأل بيت العائلة عن رأيهم".

وأجابها "تينوسوكيه" بقول قاطع لكنه سرعان ما عاد أدراجه، وقبيل نزولهم من السيارة شعر بقليل من الأسف حيال الزوجين "چينبا" فكرر اعتذاره لمرات عدة قائلاً:

- "عذرًا، بالغ أسفنا لما بدر منّا هذا المساء".

الفصل التاسع والعشرون

تركتهم ليوم، وفى صباح اليوم 17 جاءت لزيارتهم بـ"أشيبا" السيدة "چينبا"، وكانت "ساتشيقو" ما زالت مستلقية بفراشها بعد كل المشاق التى تحملتها أول أمس، وبمجرد أن سمعتها شعرت بأنها هذه المرة ملزمة بلقائها، وكما توقعت بالضبط، تحدثت إليها قرابة الثلاثين دقيقة وأسرعت بالعودة إلى موضع وسادتها.

باختصار، جاءت لتخبرهم أن السيد "نومورا" يرغب فى الموضوع بشدة، وأنهم رأوا مستوى معيشته وبيته ويعرفون وضعه، لكن هذا لأنه عزب وإنما يمكنه إيجاد مكان آخر أفضل ومهيًأ لاستقبال زوجة والانتقال على الفور، خصوصًا إن كانت "يوكيقو" هى التى ستشرفه بالوجود. إنه يريد أن يقدم لها حبه الخالص. إنه ليس رجلاً غنيًا ولكنه يمكنه ألا يجعلها تشعر بأنها ينقصها شيء.

هذا ما قيل، وفى الحقيقة هذا ما يراه السيد "هامادا" أيضًا، لذلك فهى تريدهم أن يبذلوا قصارى جهدهم ليتموا الموافقة على أى نحو، وقالت بإلحاح:

- "إنـه حتـى إن كان ليسـت لديـه مدخـرات تفـى مـن تشـاركه حياتـه، لكـن إن فكرتـم فى الأمـر أريدكـم أن تتركـوا هـذه المهمـة لى وأنـا سـأضمن لكـم فعليًّا وإن كنـت أورط حـالى، وإنمـا انظـروا إلىّ أنـا مثـلاً! فالسـيد هامـادا لا يجعلنـا نواجـه أيًّـا مـن متاعـب الحيـاة نهائيًّـا، وأنـا أبـوح لكـم بهـذا، فـما بالكـم بقريبـه! بالتأكيـد بالمثـل. أليـس هـذا كفيـلاً بكسـب ثقتكـم؟

السـيد نومـورا مظهـره لا بـأس بـه، وإن كان وجهـه عابسًـا لكنـه طيـب ورقيـق المشـاعر، وواضـح أن زوجتـه السـابقة كانـت أهـم شيء لديه. يشـاع عنـه أن طريقتـه فى تمريضهـا قبيـل وفاتهـا تجعـل أى أحـد لا يتمالك نفسـه مـن البـكاء، وحاليًـا وبتلـك الليلـة ألم تـروا بأنفسـكم كيـف يزيِّـن المـكان بصورهـا؟ وحديثـه عـن كونـه لا يوفيهـا حقهـا لا ينتهـى، وبالنسـبة إلى أى امـرأة فالحصـول عـلى حـب زوجهـا هـو أكـثر شيء يسـعدها. فلتفكـروا بجديـة، ونخـبرونى بردكـم بـأسرع وقـت ممكـن".

إن "ساتشـيقو" وهـى تعـد ردَّهـا بالرفـض كان الأمـر حينهـا معتمـدًا عليهـا هـى وزوجهـا فقـط، دون الأخـذ فى الاعتبـار "يوكيقـو" ذاتهـا تقبـل أم ترفـض، وهـى لم تنزعـج مـن هـذه الطريقـة، لكـن مـاذا عـن بيـت العائلـة ودوره الـضرورى؟

إنهـم هنـا نيابـةً عنـه فقـط، لذلـك تحـرَّوا البحـث عـن هوية "نومـورا"، مـا يعنـى أن بيـت العائلـة الأصـلى عـلى علم بـكل شيء.

"يوكيقـو" لم تظـن السـوء بهـم، فهـى تلقـى كل اللـوم وكل المسـئولية عـلى بيـت العائلـة فى الأسـاس كـما تلقـى عليهـم التحيـة كلـما دخلـت عليهـم، لكـن هـذه المـرة "ساتشـيقو" لم تسـنح لهـا الفرصـة لتسـتكشـف

رأى "يوكيقـو" فى الحـال فهـى لم تسـتطِع تجـاوز آلامهـا، وكان لا بـد لهـا مـن الراحـة التامـة تنفيـذًا لتعليـمات الطبيـب.

بعـد خمسـة أيـام مـن المقابلـة وفى الصبـاح، تصـادف وجـود الأختـين فقـط وحدهـما بغرفـة المشـفى، فانتهـزت "ساتشـيقو" الفرصـة:

- "يوكيقـو، مـا رأيـك بـذاك الشـخص؟" وحاولـت جذبهـا للحـوار، فقالـت "يوكيقـو":

- "مممم".

ولم تتبعهـا بإضافـة أى كلمـة أخـرى، فاسـتطردت "ساتشـيقو" وألقـت عـلى مسـامعها رأى السـيدة "چينبـا" الـذى جـاءت بـه أول أمـس حـين زارتهـم فى الصبـاح.

- "هـذا هـو الحديـث الـذى دار معهـا، لكـن أنـتِ تبديـن غايـة فى الشـباب وذلـك الشـخص يبـدو طاعنًـا فى السـن بشـدة، فـماذا بخصـوص هـذا الشـأن؟"

سألتها "ساتشيقو" وهى تترقب تعابير وجهها، وأضافت:

- "لكـن عـلى الرغـم مـن ذلـك فأنـا أظـن أن شـخصًا مثلـه سـينفذ لـكِ كل مـا ترغبـين فيـه مهـما كان، وسـيجعلك تعيشـين كـما تحبـين".

وتركتها مع مثل تلك الكلمات.

"ساتشـيقو" تـدرى أن قولهـا "سـيجعلك تعيشـين كـما ترغبـين" سـتفهم "يوكيقـو" المقصـد منـه دون حاجـة إلى سـؤال. إنهـا سـتأتى "أشـييا" للتنـزه وقتـما تريـد، وإن كان يصعـب ذلـك لـو كانـت عروسًـا بـأى مـكان آخـر. فـذاك الـذى يبـدو كجـد لهـم فى الغالـب سـيرضى بـكل مـا يريدونـه، ومثـل تلـك الراحـة فقـط هـى مـا لـن تجدهـا مـع سـواه.

إن كانت "يوكيقو" ستتزوج وفقًا لمثل هذا الفكر، ألن يكون هذا هو الشخص المرجو؟

لكن إن كان الأمر أن ذاك الجد لا بأس به بالنسبة إليهم، فهل سيقولون له تفضل عندنا؟ أم إن حدث فسيقول لهم: "لا أقدر على الخروج"؟

إنه شأن خاص بـ"يوكيقو"، فهي ستتقيد بحب ذلك العجوز وإن كانت ستعيش فى راحة، وأمر آخر لا يمكن إغفاله، فإذا تمكنت من إنجاب أطفال حينها ستواجه الأكثر والأكثر.

إن كان هو يطلب بإلحاح الأخت الأصغر المتورطة بتأخر زواجها، فمشكور له تفكيره فيها، وإنما إن كانت كارهة للأمر فلا داعى له.

كل هذا دار بخلد "ساتشيقو"، لذلك قالت لها:

- "أحقًا ستفكرين؟ أيروق لكِ مثل ذاك الحديث؟ أنا لا أدرى".

وصار هذا هو الوضع شيئًا فشيئًا، وأحجمت عن التوضيح أكثر، وحينها قالت:

- "لكن إن كنتِ مترددة بعض الشيء فاعلمى أنه غير مناسب".

وضحكت "يوكيقو" فى مراوغة لتفادى الإجابة، وانتهى الحديث دون أن يستقر على نهاية.

وصل إلى "طوكيو" خطاب بيوم مشرق خطّت سطوره القصيرة "ساتشيقو" وهى مستلقية بفراشها لتخبر أختها الكبيرة فقط بإتمام مقابلة الزواج، وإطلاقًا لم يأتِها رد.

أمضت "ساتشيقو" إجازة الاحتفالات البوذية "هى جن" ما بين النوم والاستيقاظ، لكن بصباح أحد الأيام كان لون السماء ساحرًا وبدا أنه حلّ الربيع على حين غرة، وأشعة الشمس تغمر أركان غرفة المشفى واصلة إلى الوسادات المفروشة على الأرض عند الشرفة، وفجأة

رأت "يوكيقـو" تنـزل مـن الـتراس بالـدور الأرضي إلى العشـب، وعـلى الفـور نادتهـا لكنهـا تذكـرت أنهـا خرجـت لترسـل الصغـيرة "اتسـوقو" للمدرسـة وسـتبقى بالحديقـة لبعـض الوقـت للاسـترخاء.

ورأتهـا في صمـت مـن خلـف البـاب الجـرار الزجاجـي وهـي تلـف حـول أحـواض الزهـور ثـم شـاطئ البحـيرة وتلمـس أغصـان الـ"ليلـك" والـ"قودمـاري"، وانحنـت نحـو أشـجار الياسـمين المقلمة على شـكل دائري، ولأنهـا تطـل مـن الطابـق الثـاني فاسـتطاعت أن تراهـا وهـي تربُـت عـلى وجنتـي قطـة لا يظهـر منهـا إلا عنقهـا المنحنـى إلى أعـلى. إنمـا لم تسـتطِع أن تميـز ملامـح "يوكيقـو" في ذاك الحـين، ولكـن بالنسـبة إلى "ساتشـيقو" فهـي يمكنهـا أن تقـرأ بوضـوح مـا تفكـر فيـه بأعماقهـا. لعـلّ "يوكيقـو" الآن تخبـئ هواجسـها باقـتراب اليـوم الـذى سـيعيدونها بـه إلى "طوكيـو" وتصعـب عليهـا مفارقـة الربيـع بالحدائـق، لـو كان الأمـر بيدهـا لمكثـت حتـى تـرى بعينيهـا تفتـح الزهـور وتتمكـن مـن جمعهـا، هـذا كل مـا تمنتـه.

هـذا لا يعنـى أن أختهـا الكبـيرة بـ"طوكيـو" تسـأل عـن موعـد عودتهـا، لكـن "ساتشـيقو" تفهـم جيـدًا وتـرى بعينَـي "يوكيقـو" أيضًـا مـا تخفيـه بحنايـا قلبهـا.

ترى ستعود اليوم أم في الغد؟

إنها تريد قضاء أطول وقت ممكن هنا.

"ساتشـيقو" تعلـم كل مـا تفضلـه أختهـا الكتـوم دون حاجـة إلى النظـر إليهـا، ولـو كانـت يمكنهـا المـشي والخـروج لاصطحبتهـا كل يـوم إلى السـينما والشـاي. هـذا مـا تبـادر إلى خاطرهـا، وإنمـا "يوكيقـو" لا يمكنهـا أن تنتظـر، ففـي هـذه الآونـة كلـما سـنحت لهـا الفرصـة دعـت "تائيقـو" للخـروج والذهـاب إلى "كوبيـه"، ودون أن تقـول شـيئًا تجـول في "موطـو مانـشي" وغيرهـا ولا ترغـب في العـودة كأنهـا لم تكتـفِ بعـد، وبـأي وقـت تهاتـف

"تائيقـو" بشـقة "شـووطو" قبـل أن تلتقـى بهـا لتتفـق معهـا، وعـلى الأرجح هــى تسـتمتع بالخـروج فى مـرح ولا يشـغل بالهـا مطلقًـا عـرض الـزواج.

"تائيقــو" بالطبــع أولاً وأخــيرًا "يوكيقــو" هــى مــن تجعلهــا تخــرج، وبســبب انشــغالها بالعمــل هــذه الأيــام لم تســتطِع أن تجعــل أختهــا تشـاركها باسـتمرار فى أهـم مواعيدهـا فى المسـاء، مـا اسـتوجب الاسـتياء، لكـن وقـت أن جـاءت "تائيقـو" إلى البيـت أخـبرت "ساتشـيقو" بـشىء مـا:

– "هناك شىء غريب حدث بالأمس"، واسترسلت فى الحكى.

– "مسـاء الأمـس كنـت أسـير مـع كى أن بموطوماتـشى، ونحـن نبتـاع الحلويـات الغربيـة مـن متجـر سـوزوران فجـأة بـدا عليهـا الارتبـاك وقالــت: أختــى الصغــيرة! مــاذا عســاى أن أفعــل! لقــد جــاء إلى هنـا!

سألتها: جاء إلى هنا! من الذى جاء؟

توترت وقالت: ماذا جاء به إلى هنا؟

وأنـا لا أدرى مـا الأمـر، ولكــن بداخــل صالــة المشروبــات كان هنــاك رجـل عجـوز وأنيـق لا أظننـى رأيتـه مـن قبـل، وإنمـا فى ذاك الحـين وقـف وأسرع خطـاه وجـاء لأختـى يوكيقـو وألقـى التحيـة بـأدب ثـم قـال: عـلى أى حـال إن لم يكـن لديـكِ مانـع تفضـلى ولـو لبضـع دقائـق لاحتسـاء الشـاى.

ارتبكت يوكيقو أكثر وأكثر واحمر وجهها خجلاً. إنه.. إنه..

وظلـت فى حالـة تأتـأة هكـذا والرجـل الأنيـق واقـف يكـرر طلبـه لعـدة مـرات. فى النهايـة استسـلم فى الغالـب وانحنـى بـأدب مـرة أخـرى وقـال: أنـا فى غايـة الأسـف.

وعلى الفور قالت لى يوكيقو: أختى، أسرعى، أسرعى.

وجعلتنـي أحـشر الحلـوى فى فمـي وطـارت للخـارج سريعًـا، وحـين سـألتها: مـن هـو؟، أجابتنـي: إنـه مَـن قابلتـه مـن قبـل.

أخـيرًا فهمـت أنـه إذًا ذاك الشـخص المدعـو نومـورا الـذى التقـت بـه بمقابلـة الـزواج. لمـاذا يوكيقـو لم تعجّـل بردهـا عـلى الرغـم مـن أنـه مـن الأفضـل لهـا أن ترفـض، بـل ظلـت تتململ.. إنـه.. إنـه. إن مـا فعلتـه يوكيقـو بـذاك الحـين عديـم الجـدوى، إنهـا مهـما بلغـت مـن العمـر سـتظل بجـواره كأنهـا ابنتـه ذات السـبعة عـشر عامًـا".

ظلَّـت "ساتشـيقو" تصغـي منتظـرة أن تعـرف عـمَّ سـألتها "تائيقـو" وكيـف سـتفكر "يوكيقـو" فى شـأن ذاك الشـخص، وإلى أى مـدى الأمـر كريـه بالنسـبة إليهـا، ثـم بمنتصـف الحديـث سـألتها عـن رأيهـا، فقالـت "تائيقـو" إن عـروض الـزواج شـأن مـتروك للأختـين الكبـيرة والوسـطى، وإنمـا هـي نفسـها لـن ترغـب فى الذهـاب إلى أى مـكان، وعـن ذاك الشـخص تحديـدًا لـن تذهـب للعيـش معـه أبـدًا، وأكـدت رأيهـا قائلـة:

- "أنـا كـما هـو أنـا حقًّـا، سـأعطيكم رفـضى، وتفضلـوا هـذا فقـط كل مـا لـدي".

قالـت الأخـت الصغـيرة كل مـا رغبـت فى قولـه للأخـت الوسـطى وأجابتهـا عـما طلبتـه، وكان هـذا هـو قـول "تائيقـو".

"تائيقـو" أيضًـا بمجـرد أن رأت "نومـورا" وللمـرة الأولى وقبـل أن تسـتمع لـه كانـت فى اندهـاش مـن كونـه طاعنًـا فى السـن إلى ذاك الحـد، وشـعرت بأنـه مـن المنطقـي أيضًـا أن تقـول لـ"يوكيقـو" كـم كريـه هذا الأمـر، وظنـت أنـه بـلا خـلاف ذاك هـو السـبب وراء اسـتياء "يوكيقـو" مـن الموضـوع، لكـن كـون "يوكيقـو" لا تعبِّر ولا يظهـر عليهـا أى شيء يفصـح عـن رفضهـا، والأكـثر بذهابهـا إلى بيتـه بتلـك الأمسـية التـي تـم بهـا اللقـاء، ورؤيتهـا لصـور أطفالـه وزوجتـه المتوفـاة التـي يزيـن بهـا النصـب البـوذى، كل هـذا أولى أن يجعلهـا ترفـض بشـدة.

كل هـذا يعنـى أنـه حتـى لـو صـارت "يوكيقـو" عروسًـا فهـذا بمثابـة إقـرار بكونهـا رقـم 2. أليـس هـذا بالـضرورة مـا شـعر بـه وجعلـه يريهـا تلـك الصـور؟

والآن هـو عـزب لذلـك يبقـى عـلى هـذه الأشـياء سرًا، وهـا هـى مشـاعر قلبـه مفهومـة، فهـو يصـلى مـن أجـل أرواحهـم التـى فارقتـه.

ذاك الشـخص لم يسـارع بإخفـاء الصـور أو حتـى وضعهـا بـأى مـكان بعيـد عـن ناظرهـا، عـلى الرغـم مـن أنـه هـو مـن دعاهـا لرؤيـة البيـت، فـماذا يعنـى بهـذا وهـو يرشـدها إلى مـكان النصـب ومـا يزينـه!

إنهـا إذا نظـرت إلى ذلـك الموقـف فقـط فلـن يمكنهـا كامـرأة مرهفـة الحـس أن تسـتوعب ذلـك أبـدًا، ولذلـك سـتحبه وتكرهـه أكـثر مـن أى شيء.

بعدمـا امتنعـت "ساتشـيقو" هـى الأخـرى عـن المراسـلة لفـترة ولم يجـدِ الأمـر نفعًـا شـعرت بأنهـا بمـأزق، فنصحـت "يوكيقـو" شـيئًا فشـيئًا بـأن تعـود لبعـض الوقـت ثـم ترجـع ثانيـةً.

فى هـذا، وفى اليـوم الثالـث مـن أبريـل، وفى يـوم الاحتفـالات الموسـمية، كانـت "اتسـوقو" تدعـو صديقاتهـا بالمدرسـة وتعـد لهـن حفـل شـاى كـما جـرت العـادة كل عـام، وكانـت "يوكيقـو" تعـد بنفسـها الشـطائر والفطائـر كعادتهـا هـى أيضًـا.

لقـد قالـت "يوكيقـو" إنهـا سـتعود إلى "طوكيـو" بعـد انتهـاء احتفـالات الموسـم، وإنمـا بعـد الانتهـاء مـن الاحتفـالات بأيـام سـيحين وقـت مشـاهدة أشـجار الكـرز ليـلاً بإقليـم "كى أون".

وهذا ما آلت إليه الحال.

- "أختـى، فلتعـودى بعـد مشـاهدة الزهـور، لا تذهبـى قبـل ذلـك، حسـنًا أختـى؟"

قالتهـا الصغـيرة "اتسـوقو" وظلـت تكررهـا، لكـن هـذه المـرة "تينوسـوكيه" هـو مـن تحمـس لبقـاء "يوكيقـو".

بعـد نحـو ثلاثـة أيـام اسـتطاعت "ساتشـيقو" أن تمـشى وتخـرج أخـيرًا، وفى ذاك اليـوم بعدمـا انتهـت مـن طعامهـا ارتـدت ثيابهـا وقالـت لـ"يوكيقو":

- "إننى سأذهب إلى السيدة چينبا لأخبرها برفضنا وأعود".
- "ممم".
- "ذاك الحديث لأنى مؤخرًا سألت أختك الصغيرة".
- "ممممم".

وكـما ظنـت "ساتشـيقو" بالضبـط، بعدمـا تـم الرفـض دار الحديـث مع بيـت العائلـة وكانـت الإشـارات ضمنيـة إلى متـى سـتعود "يوكيقـو"، لكـن مـع "يوكيقـو" كان الحديـث وديًـا دون السـؤال عـن تفاصيـل، ولم تسـأل "يوكيقـو" أيضًـا.

بعـد ذلـك وقـرب نهايـة ذاك الفصـل مـن السـنة، جاءهـم مظـروف مـن "چينبـا" بـه فاتـورة مطعـم "بكـين رو"، وتقـول لهـم أن يتفضلـوا ويتحملـوا نصـف المبلـغ، فأرسـلوا لهـا الأمـوال المطلوبـة، وبهـذا انتهـى عـرض الـزواج نهايـة قاطعـة.

مـرت قرابـة الشـهر عـلى وجـود "يوكيقـو"، ومهـما كتبـوا مـن أخبارهـم لا يأتيهـم أى رد مـن بيـت العائلـة مطلقًـا. لكـن "يوكيقـو" أيضًـا سـتندم عـلى مغادرتهـا إن لم تـرَ زهـور "كيوتـو" التـى يطـول انتظارهـا، ومـن المزعـج تغيُّـب الشـخص الأهـم دورًا بالحـدث كل عـام.

فى الحقيقة "تينوسوكيه" لديه أسبابه الأقوى من ذاك كله، فزوجته بهذه الآونة ومنذ الإجهاض وهى مجروحة المشاعر على نحو غريب، وكلما مكث الزوجان وحدهما من حين إلى آخر تبدأ الحديث عن جنينها الذى لم يؤذن له أن يولد وتزعجه ببكائها، فربما إن ذهبت لمشاهدة الزهور مع أختيها تشتت انتباهها وتناست قليلاً، وهذا كان دافعه الخفى.

تقرر الذهاب إلى "كيوتو" بيومى السبت والأحد الموافقين 9، 10 من الشهر، لكن حتى ذاك الحين و"يوكيقو" مذبذبة ولا تميل إلى شىء بوضوح أو تقرر هل ستعود أم ستبقى.

فى النهاية بعدما أشرق صباح يوم السبت دخلن جميعهن غرفة الزينة، وبعدما انتهين من وضع مساحيق التجميل على وجوههن فتحت "يوكيقو" حقيبة ملابسها التى جاءت بها من "طوكيو"، وأخرجت من أعماقها علبة ورقية وفكت رباطها وظهر بداخلها رداء جديد أعدته لرؤية الزهور وفقًا لما كانت ترغب بالضبط.

- "ماذا! عزيزتى كى أن، أكنتِ قد جلبتِ معكِ رداءكِ!"

والتفتت إليها "تائيقو" بعدما كانت خلف "ساتشيقو" تربط لها حزام الكيمونو.

خرجت "يوكيقو" من الغرفة وعادت متعجبة مما يقولون.

- "يوكيقو دائمًا فى صمت. كنا نظنك شخصًا لا يمكنه تدبير حاله". قالتها "ساتشيقو".

- "انظروا، انظروا، لو كان لديكِ زوج الآن لنفَّذ كل ما تأمرين به".

في "كيوتـو"، وبزحـام الطريـق لرؤيـة الزهـور، كان "تينوسـوكيه" كلـما صـادف شـخصًا يحتضـن طفلـه يشـعر بزوجتـه يراودهـا الإحسـاس نفسـه وترقرقـت عيناهـا بالدمـع، مـا يعنـى أن الزوجـين هـذا العـام لا داعـى ليمكثـان ويلحقـان بهـم فيـما بعـد، بـل فى مسـاء يـوم الأحـد عـادوا كلهـم معًـا، وبعدهـا ببضعـة أيـام، وفى منتصـف شـهر أبريـل غـادرت "يوكيقـو" إلى "طوكيـو".



نبذة عن المؤلف

جونيتشيرو تانيزاكي

جونيتشيرو تانيزاكي (باليابانية:谷崎 潤一郎 تانيزاكي جونيتشيرو)، (24 يوليو 1886- 30 يوليو 1965)، روائي ياباني وقد يكون أشهر روائي ياباني بعد ناتسومى سوسيكي. تمثل أعماله ديناميكية الحياة العائلية اليابانية في سياق التغيُّرات السريعة في المجتمع الياباني في القرن العشرين، كما تمثل البحث عن هوية ثقافية يابانية في العالم الحديث. حصل على وسام الثقافة عام 1949.

صنفه النقاد إلى جانب ميشيما يوكيو، وكاواباتا ياسوناري، كأكبر كاتب عرفته اليابان في القرن العشرين، نشر روايته الأولى "وشم" عام 1910 -وسنه 24 سنة- وبدت منطبعة بتيار الأدب الحديث والمتأنق جماليًّا. خسر منزله بعد أن دمره زلزال طوكيو المأساوي واضطر إلى الانتقال إلى "كيوتو"، وهناك انقلبت حياته وأفكاره رأسًا على عقب عندما صدمته مدينة "كيوتو" التي جسدت التقاليد والأصالة مقابل

حداثـة "طوكيـو"، ليكتشـف أن الأدب الحديـث الـذى كان يعتقـده ابتـكارًا أوروبيًّـا خالصًـا إنمـا يجـد معادلـه فى الأدب اليابـانى العريـق.

الجوائز:

- صاحب الاستحقاق الثقافى 1951
- وسام الثقافة 1949
- جائزة أساهى 1948

نبذة عن الرواية

أربع أخوات. لكل منهن حكايتها.

حب وزواج وعلاقات أسرية تتأرجح بين منفعة ومصلحة أو احتواء وعطف بخلاف الغيرة أحيانًا والضجر أحيانًا أخرى. الأخوات الأربع تختلف طبائعهن وطموحاتهن وتطلعاتهن، وفى النهاية كلهن مقيدات بأعراف المجتمع والتقاليد، ولكل واحدة منهن طريقة تعبيرها الخاصة، تجد المندفعة وتجد المتكتمة مثلاً.

إن كان الكاتب يستعرض فى الرواية مختلف أنواع الشخصيات النسائية وبالمثل أيضًا عن الجانب الذكورى، فستجد فى الرواية الزوج مرهف الحس المحب لزوجته، والزوج العملى المهتم بوضعه الوظيفى على حساب من حوله، والأب الطيب المرفَّه، ومختلف شخصيات العرسان الذين يتقدمون لخطبة الأخت الصغرى "يوكيقو".

الرواية صدرت فى ثلاثة أجزاء بدايةً من عام 1943 إلى عام 1948 رصدًا لحياة أسرة غنية بـ"أوساكا" فى عام 1936، وتركز على حياتهم الاجتماعية ومحاولتهم إيجاد زوج مناسب لأختهم "يوكيقو" دون تنازل

عـن مسـتواهم الاجتماعـى، مـا يعرضهـم لكثـير مـن المواقـف المحرجـة والمشـكلات.

اسـم القصـة مسـتوحى مـن الأشـعار اليابانيـة الكلاسـيكية وصـورة تسـاقط أزهـار الكـرز بالربيـع المبكـر التـى دائمًـا مـا تُنسـج حولها الأشـعار، وذلـك كنايـة عـن الـلادوام.

صـارت الروايـة فيلـمًا سـينمائيًا للمـرة الأولى 1950، ثـم أعيـد إخراجـه مـرة أخـرى فى عـام 1959 وصـدر للمـرة الأخـيرة كفيلـم فى عـام 1983.

أيضًـا تحولـت القصـة إلى مسلسـل تلفزيـونىّ لكثـير مـن المـرات، أولاهـا عـام 1957 ثـم 1959 و1966 وأخـيرًا عـام 1980.

كلمة من المترجم

هـذه الروايـة ترجمـة مبـاشرة مـن اليابانيـة إلى العربيـة للمـرة الأولى للأديـب "تانيـزاكى جـون إيتشـيرو"، فالكثـير مـن أعمالـه مترجـم إلى الإنجليزيـة، ونـادر فى عالمنـا العـربى أن تُترجَـم الأعـمال اليابانيـة مـن الأصـل وليـس مـن الإنجليزيـة. المعـروف أن الترجمـة مـن غـير النـص الأصـلى تفتقـر إلى الدقـة عـادةً وتجعـل العمـل عرضـة للتحريـف، وعليـه فقـد عملـت جاهـدة للمحافظـة عـلى روح النـص ونقـل إيحـاءات الألفـاظ والمقاصـد المسـترة بـين السـطور كـما هـى ليستشـعرها القـارئ.

هنـا يجـب التنويـه إلى أن قـارئ الأدب المترجـم ليـس بـأى قـارئ، فهـو يتميـز بسـعة الأفـق وشـغفه بالثقافـات المختلفـة والبعيـدة عـن عالمـه، وبقدرتـه عـلى تقبـل الآخـر مـن منطلـق التطلـع والتعـرف إلى كل جديـد وغريـب. بالنسـبة إلى هـذا النـوع مـن القـراء، فهـا هـو قـد وجـد ضالتـه بهـذه الروايـة. إنهـا بـاب مفتـوح عـلى مصراعيـه لإلقـاء نظـرة عـلى المجتمـع اليابـانى.

الروايـة تـدور أحداثهـا حـول أربـع أخـوات لـكل منهـن ظروفهـا وسـماتها المختلفـة عـن بقيـة الأخـوات، ويـسرد الكاتـب ببراعـة وسلاسـة

مواقف حياتية تثير فضول القارئ خصوصًا في بلادنا العربية، فستجدك ترسم بمخيلتك أشكال البيوت والشوارع والناس وترى عاداتهم وتقاليدهم وتقارنها بحالنا، وتارة سيثير دهشتك مدى التشابه وتارة أخرى ستتعجب من مدى الغرابة بالنسبة إلينا، وعليه ستزداد فضولاً حيال كيف صار شكل المجتمع الياباني الآن والحياة، وكيف تغيرنا نحن.

إن الكاتب أبدع في ربط الأحداث ونسج خيوطها، فتجده مرة يتعرض لنواحٍ سياسية وأثرها الملموس في حياة العامة، ومرة يسرد عادات وتقاليد وموروثات خاصة بالزواج والعمل والحب وهي تتأرجح بين الاستمرار وبدء الزوال، ويسترسل ويعرض مختلف طبقات المجتمع وطبيعة العلاقات الإنسانية، ومن بين السطور ستستشف استحسانه أو رفضه. في النهاية ستجد أنك لديك صورة متكاملة الأركان ومتناسقة الألوان للمجتمع الياباني وهو على أعتاب الحرب العالمية.

لقد أبدع المؤلف إلى حد صعّب عليَّ مهمتي التي بذلت فيها قصارى جهدي، وأرجو من الله التوفيق.

آية حسن شاكر

アーヤ．ハッサン



谷崎 潤一郎

تانيزاكي جون إيتشيرو

الجزء الثاني "الأخوات ماكي أوكا"



細雪

رقائق الثلج

الترجمة عن اليابانية آية حسن

小説
رواية

مكتبة 1674

رقائق الثلج

الجزء الثاني

الأخوات ماكي أوكا

أمَّا "ساتشيقو" فهي تقضي أوقاتها وحيدةً بغرفتها في النُّزُل، وانتابها شعور بالإحباط لاغترابها، وبالليلة الماضية لم يغمض لها جَفنٌ طوال الليل، وكان هذا هو حالها طوال الأسبوع، وأصبح وضعها بائِسًا. لكن بتلك الليلة أيضًا لأوَّل مرَّة ومنذ عدة سنوات تنام هي وأختها جنبًا إلى جنب. "ساتشيقو" منذ أيام سكناهم ببيت رصيف الميناء، وإلى أن أصبحت شابَّةً بمقتبل العمر، وبآخر ليلة قبل زفافها- وهي تشارك أختها نفس الغرفة، ووقتما كانت بمدرسة البنات كانت الأخت الكبيرة فقط المخصَّص لها غرفة وحدها، وهي والأختان الصغيرتان بغرفة بالطابق الثاني. لم تنفصل "تائيقو" عن أختيها أبدًا، و"يوكيقو" دائمًا ما كانت تسعى لمكانٍ بينها وبين "ساتشيقو". كانت غرفتهم ضيِّقةً وبها اثنان من الأَسِرَّة لثلاثتهم. "يوكيقو" هي التي لا تتقلَّب أثناء نومها، وحتى بالليالي الحارة تتدثَّر بعناية وكعادتها تنام بهدوءٍ دون أن تفسد هيئتها ولو بالقليل.

الغلاف عمر مصطفى


ISBN 978-977-313-858-5

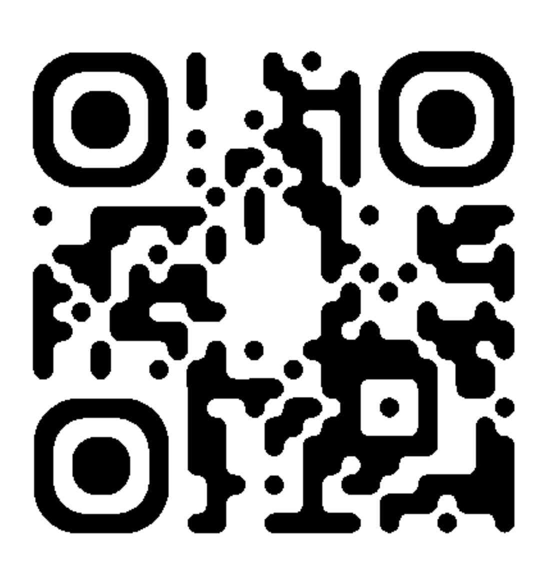




رقائق الثـــلج

الجزء الثاني

"الأخوات ماكي أوكا"



عنوان الكتاب: رقائق الثـــلج
الجزء الثاني.. الأخوات ماكي أوكا
المؤلف: تانيزاكي جون إيتشيرو
ترجمة: آية حسن شاكر



قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة
ت، ف:- 28432157 02 002

mahrousaeg
almahrosacenter
almahrosacenter
www.mahrousaeg.com
info@mahrousaeg.com
mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران
مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ١٣٧٢٩/ ٢٠٢١
الترقيم الدولي: 978-977-313-858-5

رواية



رقائق الثـــلج

الجزء الثاني

"الأخوات ماكي أوكا"

تانيزاكي جون إيتشيرو

ترجمة: آية حسن شاكر

الطبعة الأولى 2021





بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

جون إيتشيرو، تانيزاكي

رقائق الثلج/ تانيزاكي جون إيتشيرو؛ الترجمة عن اليابانية: آية حسن شاكر.-ط1

القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2021

م ج 2، 364 ص؛ 14.5×21.5 سم

تدمك 5-858-313-977-978

1 - القصص اليابانية

أ-حسن، آية (مترجم)

ب- العنوان

883

رقم الإيداع 2021/13729



الفصل الأول

عانت "ساتشيقو" العامَ الماضي من مرض "اليرقان"؛ لذلك أصبح من عادتها بين الحين والآخر أن تتفحَّص لونَ بياض عينها بالمرآة، وبعد مرور عام، ها هي أزهار الـ"هيرادو" بالحديقة قد انقضى طَوْرُ تَفَتُّحها، وحلَّ أوان ذبولها.

وبينما هي تجلس مثل كل عام على كرسي من خشب البتولا الأبيض بالتراس في ظِلٍّ من الشمس التي حَجَبَت أشعَّتَها الستائِرُ المعلَّقة- أطالت النظر لمشهد الأشجار والزهور بغسق يوم من أيام الصيف المبكِّر، لكنها على حين غِرَّة تذكَّرَت أنه بمثل هذه الآونة بالضبط العامَ الماضي اكتشف زوجُها اصفرارَ لون عينها، بعدما نزلت إليه بالحديقة وهو يلتقط أوراق الزهور الذابلة آنذاك، واحدةً تِلوَ الأخرى. إنه يكره هذه المَهمَّة؛ لذلك قبيل عودة زوجها من عمله بساعة تقريبا سبقته للحديقة لتنظِّفها؛ لترى السعادة بعينيه، وتفعل كما يرغب بالضبط، وبعد انهماكها بالعمل لقرابة نصف ساعة سَمِعَت

بالخلف صوت خطوات أقدام بالقبقاب، فبَدَت على ملامحها أمارات انتهاء العمل إلى هذا الحدّ، وأطلّت الخادمة "أوهارو" بوجهها، وجاءتها من على الدَّرَج الصَّخريّ مُمسِكَةً بيدها ببطاقة تعريف، وقالت:

"هذا الشخص تفضَّل بقول إنه يريد مقابلتك سيدتي".

رأت "ساتشيقو" البطاقة ووجدتها للسيد "أوكوباتا".

أكان ذاك بربيع العام الماضي؟!

لقد زارها هذا الفتى مَرَّةً، وإنما... وإنما هذا لا يعني أبدًا السماح له بالتردُّد عليهم ذهابًا وإيابًا ببساطة.

إنها تكاد لا تنطق اسمه هذا أمام الفتيات، ولكن "أوهارو" بطريقتها القاطعة بقول الاسم تؤكِّد -بلا شَكٍّ- أن هذا الفتى هو الذي ورد ذِكرُ علاقته بـ "تائيقو" بحادثة الجريدة.

"سآتي على الفور؛ فلتصطحبيه لغرفة الصالون".

ولأنها عَلق بيدها رحيق الزهور ذهَبَت أوَّلًا للمرحاض لغسيلها، ثم خرجت متوجِّهةً للطابق الثاني بعدما تأكَّدَت من زينة وجهها.

"عفوًا، جعَلتُكَ تنتظر، تفضَّل...".

معروف من أول نظرة أنه "صُنِع في انجلترا"؛ هذا المعطف الصوفي، بلَونه الفاتح المقارب للأبيض، والذي كان يرتديه "أوكوباتا"، على بنطالٍ بلون رماديٍّ داكن من خامة "الفلانيلا"[1] الناعمة.

بمجرَّد أن دخلت "ساتشيقو" ورأى هيئتها بدا عليه الاضطراب، ونهض فورًا من مقعده بحركة فجائيَّة مُبالَغٍ فيها وهو في حالة من الحذر. إنه أكبر عُمرًا من "تائيقو" بثلاث أو أربع سنوات، أي أنه الآن في الحادية والثلاثين من عمره تقريبًا. وبالرغم من أنه باللقاء السابق

(1) نسيج ناعم ذو دقة عالية مصنوع في الأصل من الغزل الصوفي.

ظلَّت نظراتها لـه عـلى أنـه فتـى لا يـزال بالفـترة الصبيانيَّـة، إلَّا أنـه خـلال هـذه السـنة أو هاتـين السـنتين تغـيَّرَت بنيَتُـه الجسـدية تدريجيًّـا، وأصبـح بهيئـة رجـلٍ أنيـق.

"لقـد مَـرَّ وَقـتٌ طويـل... ولم آتِ للزيـارة ولا لمـرَّةٍ واحـدة، وإنَّمـا أظنُّنـي ليـس مسـموحًا لي بذلـك... ولقـد جِئـتُ أمـام المنـزل عِـدَّةَ مـرَّاتٍ، ولكـن لم يَسَـعني طلـب الدخـول...".

"يا للأسف، ولماذا لم تقترب وتتفضَّل؟".

"لم تُواتِنـي الجـراءة"- وارتسـمت عـلى وجـه "أوكوباتـا" ابتسـامةٌ باهِتـةٌ وكأنـه غـير عابـئ وفي عجلـة مـن أمـره. إنـه لا يـدري مـا تظنُّـه "ساتشـيقو" بـه، وكيـف اختلـف بمشـاعرها حيالـه شيءٌ مـا بعـد زيارتـه السـابقة؛ فزوجهـا في الفـترة الأخـيرة كثـيراً مـا يلقـي عـلى مسـامعها أن "أوكوباتـا" لم يَعُـد بعـد ذاك الفتـى الـبريء؛ فلقـد وصلتـه الأقاويـلُ بـأن ذاك الفتـى يتَّخِـذ مـن موافقتهـم فرصـة لتطـأ قَدَمُـه عالَـمَ المتعـة، وذاك هـو المنطلـق الـذي سـمع منـه الشـائعات حولـه، حيـث يُقـال إن "أوكوباتـا" لا يـتردَّد عـلى مدينـة "صـو إيـه مـون"[1] باسـتمرارٍ، ولكنـه عـلى علاقـة بفتـاةٍ معروفـة، وسـألها زوجهـا: "تُـرى، هـل لا تـزال أختـك بحياتـه وهـو يرغـب بالـزواج بهـا بعدمـا يـأتي "يوكيقـو" نصيبهـا؟ وعـن إن كان لا يـزال باقِيًـا عـلى عهـده ذاك. ألم تخـبري أختـك بـأن هنـاك الكثيريـن يلاحظونهـا! ذاك الفتـى يقـول كلامًـا معسـولًا، ويذهـب، وإن كان سَـئِم الانتظـار ويصعـب قبولنـا لعرضـه بالـزواج وليـس لهـذه الاعتبـارات أي قيمـة لديـه إذن فهـو كاذبٌ، ويتظاهـر برفـع رايـة "المُحِـب المُخلِـص" وقـتَ الـضَّرورة، وهـو ليـس إلَّا أحمـق. حتـى وإن كُنَّـا إلى الآن نتعاطـف معـه في الخفـاء إلى أن يُصحِّـح

(1) 町門衛右宗そうえもん مدينـة بجنـوب محافظـة أوسـاكا تشـتهر بكونهـا مدينـة للهـو للطبقـة الراقيـة.

الوضع، فهذا لا يعني سوى أن كليهما عليه تَحمُّل المشقَّة ليُصبِحا مع بعضهما البعض مُستَقبلًا...".

وهذا ما قاله "تينوسوكيه" لزوجته وجعل قلبها ينتابه القلق؛ فحاولت "ساتشيقو" سؤال أختها الصغيرة "تائيقو" بطريق غير مباشر، وأجابتها بأن "أوكوباتا" هو وأسرته كلهم لديهم شعور بالأُلفَة مع ذاك المكان منذ عهد أبيهم، فأخوه الكبير وعمه -مَثَلًا- يُحبَّان الذهاب لِلَّهو بمقهى هناك؛ وعليه فهو ليس كما يدَّعون، علاوة على أن وضعه بالفعل تمامًا كما يظنُّه "تينوسوكيه" فمشكلة زواجهما ليست بالشيء الهيِّن لذلك؛ فمجرَّد تَرَدُّده على ذاك المكان هو شيء ليس بالغريب إلى ذاك الحَدّ، خاصَّةً وأنه شابٌّ، وأضافت:

"وإن كان لأول مرَّة أسمع عن علاقة حميمة له مع فتاة جيشا، ولكن ربما ذلك ليحدٌ من الشائعات، وإن لم يكن لديكم دليل قاطع فأنا لا يمكنني أن أصدِّق. إنه فقط بعد تلك النكبة لا يمكن تحاشي لَومِه على تهوُّره، وهذا هو السبب في سوء التفاهُم، وسأُحذِّره ليتوقَّف عن الذهاب للَّهو بالمقاهي بعد الآن، أمَّا عن نفسي فلأنكم تطالبونني بكل شيء؛ فإن كنتِ تريدين منِّي الانتهاء من الأمر فسأفعل بالتأكيد، وبهذا لن تنجرفي في تيَّار سوء الظَّنِّ بـ "أوكوباتا"، خاصَّةً وأنت على عِلمٍ بكل شيء من ذي قبل؛ ولهذا ليس بالغريب التزامك بالصمت هكذا".

وبالفعل اعتَلَت وجه "ساتشيقو" علاماتُ الانهزام. لو كان "تينوسوكيه" يدري أن ثقة أخته الصغيرة بـ "أوكوباتا" إلى ذاك الحدِّ لما هاجمها أبدًا بهذا الشكل بلا داعٍ، وإن كان ذلك من منطلق الخوف عليها، فلماذا يتجاهلون في كل فرصة سؤال الفتاتين عن أمورهما.

ربما بسبب تحذيرهم لـ "تائيقو" كاد صوت الشَّائعات يختفي من حولهم بالحَيِّ، وشعرت "ساتشيقو" بالسعادة الحقيقية من أعماق

قلبها حين أخبرها زوجُها أنه بليلَةٍ ما منذ أسبوعين فقط، وقرابة الساعة العاشرة أثناء ذهابه لمحطة "أوساكا" لتوصيل أحد عملائه من مدينة "أوميدا"، وأمام ضوء مصابيح السيارة- لمحت أعيُنُه صُدفَةً "أوكوباتا" وهو يسير مُحتَضِنًا فتاة تبدو كنادِلَةٍ بمقهى، تَجرُّ أقدامها في ثُمالَة، وفي الآونة الأخيرة لاحظه وهو يُلاحِق مُتعَتَه متخفِّيًا.

حين سمعت "ساتشيقو" بحديث زوجها بتلك الليلة تنبَّهَت كي لا تخبر أختها الصغيرة بشيء، وما زالت لم تتحدَّث معها بهذا الشأن، وبمواجهتها لهذا الفتى الآن أصبحت تتخيَّل وجهه وكلامه، وهو بكل شكل من الأشكال يحطِّم مصداقيته لديهم؛ وها هي الآن توافق زوجها في كل كلماته: "ذاك الشاب ليس حَسَنَ النِّيَّة".

"... ماذا عن "يوكيقو"... ها.. ها... إنها تُقلِق الكثيرين، بالطبع لديَّ الكثير لأقوله، وإنما...".

ساتشيقو تدري أن "أوكوباتا" يريد دائمًا بتلميحاته عن أحاديث زواج "يوكيقو" تَعجيلَ الأمور من ناحيته هو أيضًا، لكن بهذا الوضع؛ فَبِمَ ستجيبه!

في المرة السابقة أجابته ببساطَةٍ، وبطريقتها المعتادة: "لقد سألت قبل ذلك!".

وبكل مرة لا يحصل منها على أيِّ وَعدٍ يُذكر، لكن بهذه المرة إن كانت ظنون زوجها غيَّرَتها فعلًا عن ذي قبل فلا يزال هناك الكثير من التحذيرات التي لا بُدَّ لها من قَولِها. إنهم ليس لديهم النِّيَّة لعرقلة زواج اثنتيهما إن كانا بالفعل يتمسَّكان بحبِّهما وعطوفين على بعضهما البعض، وإنما هي لا تريد أن تفكِّر هكذا وتهيَّأت بداخلها لذلك؛ وعليه فمن الضروري لها أن تلقي التَّحيَّة فقط تَجَنُّبًا لسوءِ الفهم، ثم فاجأها "أوكوباتا" وهو يعتدل في جلسته ويطفئ سيجارته بالمرمدة نَقرًا بإبهامه ويقول:

"إنني في الحقيقة جِئتُكِ اليومَ أختي الكبيرة أترجَّاك في أمر "يوكيقو"، وعذرًا لِمَا أتسبَّب لك به من عَطلة...".

وبدأ كلامه مُناديًا إيَّاها بـ"أختي الكبيرة" كما اعتاد أن يفعل دائمًا.

"حسنًا وما الأمر؟".

"... أختي الكبيرة، أعلم أنك بالطَّبع على دراية بكل شيء، وإنما "تائيقو" تتردَّد مُؤخَّرًا على مدرسة "تاماكي طوكوقو" لحياكة الملابس الغربية لتتعلَّم التفصيل. إن كان هذا أمرًا لا بأس به لكنها بسببه أصبَحَت لا تعير انتباهًا لعملها بتصنيع العرائس، وإن كانت حقًّا تبدو مشغولةً في الفترة الأخيرة، إلَّا أنها لا تعمل، ولقد سألتها فيمَ تُفكِّر؟ وحينها قالت: "إنني أصبحتُ كارِهةً تمامًا لكل ما له علاقة بتصنيع الدُّمى، ولديَّ حماس شديد لتَعَلُّم حياكة الملابس الغربيَّة، ويصبح هذا هو تخصُّصي مُستقبلًا، أمَّا الآن فقد تلقَّيتُ الكثير من الطلبات للعرائس، بجانب وجود العديد من التلاميذ؛ مِمَّا يجعلني لا أستطيع أن أتوقَّف في الحال، لكني سأترك التلاميذ تدريجيًّا بعد تأسيسهم، وسأسلك مسار حياكة الملابس الغربية. الأهم من ذلك أن أختي الكبيرة توافقني الرَّأيَ، وستسمح لي بالذهاب لفرنسا لعامٍ أو قرابة ذلك؛ لأكمل الدراسة، ولن أعود حتى أحصل على الشهادة"".

"ماذا! أهكذا قالت أختي الصغيرة!".

كانت "ساتشيقو" قد سمعت بموضوع دراستها لحياكة الملابس الغربية وتوقُّفها لبعض الوقت عن تصنيع الدُّمى، لكن كل ما يقوله "أوكوباتا" الآن هو جديدٌ على مسامعها بالكامل.

"حسنًا. أنا ليس لي الحق بالتدخُّل في شأنها، ولكن "تائيقو" بكل الأسف تفعل هذا بكامل إرادتها؛ فعملها المشهود له من كل الناس أنه فَنٌّ فَريدٌ من نوعه ها هي الآن تريد أن توقِفَه، وفوق ذلك كله أنها لو قالت فقط سأتوقَّف لَتفهَّمتُ الأمر، ولكنِّي لا أفهم أبدًا شأن

حياكـة الملابـس الغربيـة، وحتـى وإن كان مـن أسـبابها أنهـا مهـما كانـت مهارتهـا في تصنيـع العرائـس تتفـوّق عـلى أحـدث الصيحـات- فعاجِـلًا أم آجِـلًا سـيملُّ النَّـاسُ، ومَـن يشـترون الآن لـن تجدهـم فيـما بعـد، ومـن العَمـليِّ أن تتَّخِـذ مـن حياكـة الملابـس الغربيـة مِهنَـةً؛ فمهـما مـرَّ مـن زمـن لـن يَضعُـفَ الطَّلـبُ عليهـا، فلـماذا ابنـةُ عائلتكـم تفعـل ذاك؟ ولمـاذا لا بُـدَّ لهـا أن تجنـي أمـوالًا؟ أليـس مـن الأفضـل لفتـاةٍ سـتتزوَّج عـن قريـب أن تُخطِّـط لحياتهـا الشـخصية؟ حتـى وإن كنـتُ أنـا شـخصًا لا نَفـعَ منـه، فأنـا لـن أقيدهـا أبـدًا فيـما تحتاجـه مـن مـالٍ، ولا أريدهـا كالسيِّدات العامِـلات. انظـري... إن أختَـكِ الصغـيرة غايـة في المهـارة، وأنـا أتفهَّـم شـعورها إن أصبحـت بـلا أيِّ عمـل، ولكـن أن يصبـح هدفهـا هـو جَنـيُ المـال وذاك كل مبتغاهـا! وكيـف لهـا أن تظَـلَّ منتجاتهـا مُتميِّـزة، وسـمعتها جَيِّـدة، واسـمها مُرتَبِطًـا بالفَـنِّ كـما هـو وضعهـا حاليًـا؟! إن كان عـليَّ تصنيـع الدُّمـى فهـذا شيء ليـس مُخجِـلًا حـين يسـألونني عنـه، بـل هـو أمـر جيِّـد بالنسـبة لهـا، سـواء كانـت مُتزوِّجـة أو عزبـاء أو... إنمـا تفصيـل الأزيـاء الغربيـة أنـا أريدهـا أن تتوقَّـف عنـه الآن، وبالتأكيـد ليـس أنـا فقـط، بـل بيـت العائلـة الرئيـسي، وهنـا قَطعًـا لا تخالفونـي الـرأي؛ لـذا جِئـتُ لأعـرض عليكـم الأمـر ونتشـاور...".

بالمـاضي كان "أوكوباتـا" فتـى يتحـدَّث عـن الأشـياء ببطء ومَلَـلٍ، وإنمـا بـذاك الموقـف كان مُسـتاءً ويظهـر سـخاؤه كسَـليلٍ لعائلـة ثَريَّـة، وبـدا مُتحفِّـزًا، ووتـيرة كلماتـه مُتسـارِعَة عـلى غـير المعتـاد.

"إذن، تفضَّـلي واسـأليها، وإن كنَّـا وصلنـا لمثـل هـذا القـول منـك فربمـا ذلـك لأنَّـكِ بعيـدة كلَّ البُعـد عنهـا، لكـن إن كان هـذا تفكيرهـا بالفعـل فلـن يبقـى سـوى حَـلٍّ واحـد، وخُـذي رأي الأخـت الكبـيرة... ألـن يُمكِنَكـم رَدعهـا لتتخـلَّى عـن الفكـرة؟! وأنـا بخصـوص السـفر للخـارج مـا زلـتُ لا أدري إذا كنـتُ سأسـافر لفرنسـا أم لا، ولكنِّـي إن ذهبـت لدراسـة شيء جديـرٍ بالاهتـمام ففـور ذهـابي سـأجعلها تـأتي إليَّ".

إنـه يأمـل ذلـك في أمنياتـه، وعـلى الأغلـب "ساتشـيقو" رأفَـت بحالـه وهـو مُقتَنِـع بإمكانيـة حصولـه عـلى نقـاشٍ جـادٍّ وتقديـمٍ لائـق أمـام "تينوسـوكيه" إن سـارت الأمـور عـلى هـواه، ويبـدو أنـه جـاء عـن عَمـدٍ مُسـتَهدِفًا هـذا التوقيـت خصِّيصًـا، لكـن سـواء بهـذا أو بـذاك فالخـوض في موضوعـه ليـس بالأمـر السـهل عـلى الإطـلاق، ومجيئـه هـو لاستكشـاف الأحـوال، لكـن "ساتشـيقو" تتغـاضى عـن جوهـر الموضـوع قـدر الإمـكان، وتتعامـل مـع الأمـر، وهـي مشـكورة؛ تنتبـه لشـؤون أختَيْهـا الصَّغيرتَـيْن، ومـن مكانتهـا هـذه تبـذل قصـارى جهدهـا لتتـصرَّف بشـكل مختلـف.

في ذاك الحـين بـدا أن زوجهـا قـد عـاد وبلـغ مسـامِعَها صَـوتُ وَقـعِ أقدامـه؛ فارتَبَكَـت وقفـزت مـن مكانهـا:

"عذرًا لقد جاء "أوكوباتا"".

وهرعت نحو الباب، وقالت كلماتها تلك بمجرَّد أن انفتح

"ولِمَ؟".

فاقتَرَبَت منه زوجته وهمست له في أذنه باختصار:

"حسنًا، إن كان الأمر هكذا فلا داعي إذن ليُقابِلَني، أليس كذلك؟".

"أنا لم أقصد ذلك، بل اذهب لِتقول أيَّ شيء".

ومكـث "أوكوباتـا" لحالـه أكـثر مـن 30 دقيقـة دون أن يأتيـه "تينوسـوكيه"، وبالنهايـة جـاءه لإلقـاء التحيـة بـأدَبٍ، وقـال:

"عُذرًا، لم أسألك ماذا تُحبُّ أن تشرب".

فهـذا فقـط مـا أرسـلته "ساتشـيقو" لقولـه، ولم يُبـدِ زوجهـا -عـن قَصـدٍ- أيَّ أعـذارٍ لعـدم رغبتـه في مُقابَلَتِـه.

الفصل الثاني

حتى وإن كان من المُرضي أَخذُ حديث "أوكوباتا" على مَحمل الجدّ، ولكنه أيضًا -على حَدِّ قَولِه- "تائيقو" مشغولة للغاية مؤخَّرًا، فهي تخرج في الصباح تقريبًا في نفس موعد "تينوسوكيه"، والصغيرة "إتسوقو"، وهي أكثرهم تأخيرًا في العودة، ودائمًا ما تتناول عشاءها بالخارج مرَّةً كُلّ ثلاثة أيام؛ ولهذا لم تسنح الفرصة لـ "ساتشيقو" لتتحدَّث إليها بنفس الليلة، وفي صباح اليوم التالي بعدما خرج زوجها وابنتها وهَمَّت "تائيقو" تتبعهما للخروج هي الأخرى، فاستوقفتها:

"عُذرًا. انتظري قليلًا... أختي الصغيرة، هناك ما أريد سؤالك عنه".

واصطحبتها لغرفة المعيشة.

لم تُنكِر "تائيقو" أيًّا مِمَّا قاله "أوكوباتا" عن رغبتها في استبدال عملها بتصنيع الدُّمى بحياكة الملابس الغربيَّة، وتفكيرها في الذهاب لفرنسا للدراسة والتدريب حتى ولو لفترة قصيرة، وبإلحاح "ساتشيقو"

عليها بالسؤال كان لديها أسبابها المُقنِعَة؛ فـ "تائيقو" تُدرِك جيِّدًا عواقب ما فَكَّرَت به: إنها سَئِمَت من تصنيع الدُّمى لأنها أصبحت بالِغةً بما يكفي، وأَوْلَى بها أن تبتغي شيئًا ما ذا قيمة في المجتمع عِوَضًا عن عملها الطفولي هذا كالفتيات الصغيرات، وفوق ذلك تستغلُّ موهبتها وما تُحبُّه، وبعدما تتميَّز بما اكتسبته من تقنية ستصبح رائِدةً في مجال حياكة الملابس الغربية، خاصَّةً وأن لديها الموهبة منذ الصِّغَر، وأيضًا أصبحَت ماهِرةً في استخدام ماكينات الخياطة، حتى إنها بالرجوع للمجلَّات الأجنبية مثل "Vogue" و"Jardin des modes"- تحيك ملابس أختها "ساتشيقو" والصغيرة "إتسوقو"، بخلاف ملابسها هي بالطبع؛ وعليه فمهما كان ما ستتعلَّمه فهي لن تبدأ أبدًا من أساسيات المبتدئين، وسريعًا ما ستُحرِز تَقَدُّمًا؛ وبهذا فهي تمتلك الثقة الكافية لبناء مستقبلها بيدها. لقد ضحكت على رأي "أوكوباتا" بأنَّ تصنيع الدُّمى يُعتَبر فنًّا، وإنما حياكة الملابس الغربية هي مهنة سيِّئة. إنها لا ترغب في لقبٍ كاذِبٍ مثل "فنَّانة"، ومهما ظَنَّ أن حياكة الملابس الغربية سِلعةٌ رديئة فهي لا تبالي. إنها عامَّةً تتحدَّث بمثل هذا القول حين تجدهم ليسوا على دراية كافية بشؤونها، وهي لم تَعُد بَعدُ في سِنٍّ تجعلها تفرح بتصنيع دُمًى تلهو بها الأطفال. أليس حينها ما سيدعو للخجل هو ألَّا تعمل عملًا أكثرَ صِلَةً بالحياة الواقعية؟

هكذا قالت "تائيقو" وشعرت "ساتشيقو" بأنها ليس لديها مُتَّسَع لتعترض ولو بكلمة واحدة، ولكن حتى وإن كان هذا الكلام صحيحًا فهي تظنُّ أنه ربما أهدافها الرائعة تلك وراءها إحساسٌ دَفينٌ بالاشمئزاز من ذاك الشاب المدعو "أوكوباتا"، أليس كذلك؟!

إن "تائيقو" لا يمكنها أن تعترف بخطئها في علاقتها بـ "أوكوباتا" بهذه السهولة، خاصَّةً بعدما تغنَّت بعلاقتهما الصُّحُف، حتى وإن كانت هذه هي رغبة أخَوَيْها وأخواتها الكبار وكل الناس من حولها أيضًا.

هـي لـن تقـول إنهـا نادمـة عـلى مـا حـدث رغـم أنهـا في الواقـع تريـد أن تُنهـي علاقتهـا معـه، وإحساسـها الحقيقـي هـو أنهـا تريـد إلغـاء وعدهـا بالـزواج المنتَظَـر فـور أن تسـنح الفرصـة... أليـس كذلـك؟

بهـذه الحالـة فـإن رغبتهـا لِتَعلُّـم الحياكـة ليسـت إلَّا طريقـة لا بديـل عنهـا لتسـتقلَّ بذاتهـا، وهـي تريـد أن تسـتعدَّ لـذاك الوقـت، و"أوكوباتـا" لا يـدري شـيئًا عـن نواياهـا الدفينـة، ولم يفهـم أبـدًا لمـاذا تريـد جنـي المـال وتريـد أن تصبـح زَوجـةً عامِلَـة، وإنمـا "ساتشـيقو" ترجَمَـت الأمـر عـلى الفـور، وتفهَّمَـت مقصدهـا؛ لـذا سـتوافقها الـرأي بالذهـاب لفرنسـا، فحتـى وإن كانـت ترغـب في تَعلُّـم حياكـة الملابـس الغربيـة، إلَّا أن هدفهـا الأول هـو اتِّخـاذ موضـوع السـفر لأوروبـا عِلَّـةً للانفصـال عـن "أوكوباتـا"؛ وعليـه فـإن أسـوأ شيء في مجـيء "أوكوباتـا" هـو حاجتهـا لتقديـم الأعـذار، وإصرارهـا عـلى الذهـاب بمفردهـا.

بالواقـع تَخمـينُ "ساتشـيقو" لم يُصِـب سـوى نصـف الحقيقـة، ومـا زال بعيـدًا عـن نصفهـا الآخـر.

إن "تائيقـو" إذا صرَفَـت نظـر عـن "أوكوباتـا" مـن تلقـاء نفسـها وبـدون إقنـاع مـن أحـد فسـيكون هـذا أقـصى مـا تطمـح إليـه "ساتشـيقو"؛ فهـي مـن نفسـها مُقتَنِعَـة بالانفصـال عنـد هـذا الحـدِّ، وبالطبـع هـذا هـو الوقـت المناسـب لتطلـب منهـا "ساتشـيقو" -بشـكلٍ غـير مبـاشر، ودون جَـرحٍ لمشـاعرها- أن تبتعـد قليـلًا.

لكـن هـل هـذه هـي مشـاعرها الحقيقيـة، أم أنهـا فقـط لـن تُظهِـرَ أبـدًا إقرارهـا بالهزيمـة؟

إن "تائيقـو" التـي تجمـع شـتات كلماتهـا وهـي تبـدو وكأنهـا لا تُلقـي بـالًا بالتأكيـد- هـي الآن قلبهـا لم يَتخَـلَّ عـن "أوكوباتـا"، وربمـا قرارهـا في المسـتقبل القريـب الـزواج منـه.

إذا أخبرتها "تائيقو" أنها اليوم تدري أكثر من أي أحدٍ أن ذاك المدعو "أوكوباتا"، سَليلَ العائلة المعروفة برصيف الميناء القديم، هو حَقًّا رَجُلٌ مُمِلٌ ولا يستحقّ، وليس لهم أن يقلقوا حيال ذاك الأمر بعد الآن، والأكثر هو أنها حينما وقعت بغرام "أوكوباتا" منذ حوالي ثماني سنوات كانت لا تزال فتاةً طائشة، ولم تكن تدري أنه إنسانٌ تافِهٌ هكذا.

ألا ينهدم كلُّ الحُبِّ بمجرَّد قولها إنه تافِهٌ وعلاقتهما الآن فقط لِوَعدِها له؟!

لكنها على الأقل ليس لها أن تندم أو تكره أوَّلَ حَبيبٍ لها لأسباب تتعلَّق بالمنفعة، وإذا كان حُبُّها لشخصٍ تافِهٍ مثله هو قَدَرٌ محتوم؛ فما يُقلق بزواجهما فقط هو مشاكل الحياة اليوميَّة.

إنه يريد أن يدير فِعليًّا أعمال عائلته الناشئة من مؤسَّسات الأوراق المالية، وإن تَمَّ الزواج سيريد أن يحصل على ممتلكاته الخاصة والعقارات من أخيه الأكبر، فمثل ذاك الشخص سيُفكِّر بالمعالم من هذا المنطلق السطحي، ولن ينتابه أيُّ قَلَقٍ على الإطلاق.

في الحقيقة "أوكوباتا" حتى يومنا هذا لا يعيش حياة تتناسب مع وضعه المادي أبدا؛ ففاتورة المقاهي شهريًّا ومدفوعات محلات الملابس والمتاجر العامَّة هي بمبالغ طائلة، ويتوسَّل لأمِّه دائمًا لتقرضه المال. لكن هذا فقط بحياة أُمِّه، فإن أصابها مكروهٌ لن يبقى بهذا البَذَخ، ومهما كانت ممتلكات عائلته؛ فهو الابن الثالث، وحين تصبح كل الأملاك تحت تصرُّف أخيه الكبير لن يكن نصيبه يُذكَر، خاصَّةً وإن كان أخوه هذا لا يوافق على الزواج.

في هذه الحالة إن أخذ كلُّ واحد نصيبه بالتساوي، وسواء طالت يداه الأسهم أو خدعوه، فهو بكلِّ الأحوال شخصٌ يسهل الإيقاع به،

وبدون حتى أن يأتي اليوم الذي سيأخذ به كلُّ أخٍ نصيبَه ويتخلَّوا عن بعضهم البعض.

أي أن هذا الوضع المُقلِق هو قائِمٌ بالفعل، ووقتما يحدث ذلك فعليها ألَّا تعتمد على شخصيَّةٍ مثله في أيٍّ من شؤون الحياة؛ لكي لا تجعل الناس يتشدَّقون بالنميمة قائلين: "أرأيتم ما حدث له!"، بل على العكس، عليها ألَّا تجعله أبدًا بأي وقتٍ مسؤولًا عن قُوتِها.

عليها أن تجد لنفسها وظيفة، ومن البداية لا تعتمد على راتب "أوكوباتا"، وهنا يكمن دافعها الوحيد للاستقلال بذاتها من خلال عملها بحياكة الملابس الغربية. أضِف إلى ذلك أن "ساتشيقو" اتَّضح لها من حديث أختها أنها قطعًا لن تنتقل لبيت العائلة الرئيسي بطوكيو، فهذا أمرٌ بديهي؛ ففوق ذلك كله لا يبدو أبدًا أن الأخ والأخت الكبيرة لديهما أي نِيَّة لاستدعائها، في حين أن "يوكيقو" تبقى لحالها هناك رغمًا عنها، وشأنها ليس بإرادتها. هذا ما قالته "يوكيقو" منذ وقت مضى، فاليوم حتى لو استدعى بيتُ العائِلَة الرئيسيُّ "تائيقو" فعلى الأغلب لن تنصاع. إنها منذ أن انتقل أخوهم بالقانون إلى طوكيو وهي يَرِد إلى مسامعها أنها سيكون لها غرفة مستقلَّة، ويمكنها أن تتَّخِذ لها مخزنًا أيضًا، وبما أنها لها دخلٌ شهريٌّ من عملها فيُستَحسَن أن يُنقِصوا ممَّا تتلقَّاه شهريًّا من نصيبها من المال، فيومًا بعد الآخر سيكبر الأطفال السِّتَّة الذين بالبيت الرئيسي، ولا بُدَّ من الاعتناء بشأن "يوكيقو" أكثر، بخلاف الكثير من النَّفَقات، وبالتأكيد فإن الكُلَّ يرغب في تخفيف أعباء الأخ والأخت الكبيرة؛ لذلك بهذه الأجواء سيكون من الأَوْلَى لها أن ترفض بالكامل كلَّ ما يأتيها من تحويلاتٍ لأنها فقط تريد من أخيها وأختها الكبيرة أن يستمعا لها، وفي العام المقبل إذا سمحا لها بالذهاب للدراسة في فرنسا سيعطيانها جزءًا أو كل المبلغ الذي أودعه والدهم لنفقات زواجها كتكاليف سَفَرِها للخارج، هذا المبلغ تحت وصاية أخيها الكبير ليحفظه لها، وهي لا تدري حتى مقداره. بكل

الأحـوال هـي لا بُـدَّ لهـا أن يتوفَّـر معهـا كل مـا يكفيهـا لتكاليـف الإقامـة في باريـس لسـتَّة أشـهر، وربمـا لعـامٍ، بمـا فيهـا ثمـن التذكـرة ذهابًـا وعـودة بَحـرًا؛ لذلـك فهـي تريـد أن تسـتلم كلَّ أموالهـا لديهـم بـأي طريقـة مُمكِنَة، وسـتصرف كل ذاك المبلـغ وتبـذل كل مـا في اسـتطاعتها مـن أجـل السـفر للخـارج، ولـن تشـتكي حتـى لـو لم يتبـقَّ معهـا شيءٌ لنفقـات زواجهـا.

لذلـك فـما تُخطِّـط لـه وتُفكِّـر بـه لم تُفصـح عنـه حتـى الآن، وهـي تريـد مـن أختهـا الوسـطى "ساتشـيقو" أن تخبر بيـت العائلـة الرئيـسي في الوقـت المناسـب لتنـال رضاهـم، وإن كان هـذا مـا ترغـب بـه؛ فرُبَّمـا عليهـا الذهـاب لطوكيـو لمـرَّةٍ واحـدة.

هكـذا هـي لم تُبـالِ بمـا قالـه "أوكوباتـا" عـن تَحمُّلـه لنفقـات سـفرها للخـارج. إنـه عـادةً مـا يقـول أنـا سـأدفع المـال إذا كُنَّـا سنسـافر سـويًا، لكـن هـل هـو الآن لديـه المقـدرة فِعـلًا؟ إنهـا غالِبًـا تعـرف أكـثر منـه نِيَّتَـه الذَّهـابَ باكيًـا لأمِّـه يتوسَّـلها لتدفـع، لكـن لأنـه لم يُتِـمَّ الـزَّواجَ بَعـدُ فـ "تائيقـو" تكـره أن يُقـدِّم لهـا ذاك الجميـل، وحتـى وإن كان بعـد الـزواج فهـي لا تريـد أن تطـال يدهـا أيًّـا مـن ممتلكاتـه، بـل وتريـده هـو أيضًـا ألَّا يفعـل، وترغـب في الذهـاب بمفردهـا مُسـتَقِلَّةً بأموالهـا مهـما كلَّفهـا الأمـر. وبالنسـبة لـه، فلينتظرهـا بهـدوء حتـى تعـود مـن سـفرها، وعليـه ألَّا يـأتي لقـول كلامٍ مُزعِـج كهـذا لأختهـا الوسـطى بعـد الآن؛ فـإن كان يـأتي مـرارًا وتكـرارًا لِنَقـل الأحاديـث؛ أمَـلًا منـه في جعلهـا تُوافِـق، فهـا هـي ذا تريـده ألَّا يُقلِـق نفسـه بشـؤونها مـن الأسـاس، وهـذا مـا قالتـه.

"أوكوباتـا" يقـول إن كان تفكـير ابنتكـم الصغـيرة إلى ذاك الحَـدِّ فـلا داعـي للمُزايَـدَة بالنُّصـح، وبالنسـبة لــ "ساتشـيقو" فهـي تـرى أن عليهـم فقـط التأكُّـدَ مـن جدِّيَّـة قرارهـا ومـدى إصرارهـا عليـه، وإذا كان الأمـر بـكل احتمالاتـه عـلى مـا يُـرام فـلا بـأس مـن عرضـه عـلى بيـت العائلـة وبـذل قصـارى جهدهـا لإقناعهـم، وبهـذا سـتهدأ المشـكلة، عـلى الأقـل الآن.

في تلـك الأثنـاء اسـتمرّت "تائيقـو" مُنشَـغِلَةً بحياتهـا، وكـما قـال "أوكوباتـا" إنهـا مُؤخَّـرًا فقَـدَت شـغفها بتصنيـع العرائـس مهـما أنكَـرَت ذلـك، وللأسـف تقـول إنهـا لا ترغـب حقًـا في المزيـد مـن التصنيـع، ولكـن طالما عليـه الطلـب فستسـتمر قليـلًا؛ فهـي تريـد أن تزيـد مـن مُدَّخَراتهـا، غـير أن تكاليـف المعيشـة ترتفـع، ولعديـدٍ مـن الأسـباب فإنهـا تعمـل بهذه الآونـة بكَـدٍّ أكـثرَ مـن ذي قبـل، وإن كانـت سـتتوقَّف عـن هـذا العمـل عاجِـلًا أو آجِـلًا عـلى حَـدِّ قولهـا فهـي تسـعى جاهِـدَةً لتجهيـز أكـبر قَـدرٍ مُمكِـن مـن المنتجـات.

في ذلـك الوقـت أيضًـا لم تكـن "تائيقـو" تـتردَّد بانتظـام عـلى مدرسـة حياكـة الملابـس الغربيـة للآنسـة "تامـاكي طوكوقـو"، والتـي تقـع في منطقـة "نويـوري" ببلـدة "موطويامـا"، بـل كانـت مسـتمرَّةً في أنشـطة التدريـب عـلى رقـص القُـرى الجبليـة. لم يكـن تَعَلُّـم هـذه الرقصـات بالأمـر السـهل أو مـن قبيـل الهوايـة. إنهـا تريـد أن تقـف مُتفـرِّدَةً بحالهـا في هـذا المجـال أيضًـا كمُعلِّمـة، وتحصـل عـلى شـهادة الاعتـماد لمزاوَلَـة الأداء مُسـتَقبلًا.

هكذا بدا طموحها الجامح.

كانـت "تائيقـو" تـتردد مـرَّةً أسـبوعيًا عـلى سـاحة التدريـب التـي قيـل عنهـا إنهـا الأكـثر عَراقَـةً فيـما بـين القلائـل الآخريـن الذيـن يُنسـبون لهـذا النَّمـط مـن الرقـص -"رقـص القـرى الجبليـة" في "أوسـاكا"-، والـذي يشـتهر بالاسـم الرائـج: "سـاجي"鷺 さぎ وتقدِّمـه الابنـة الكـبرى لـ "إيتـشي جـاوا سـاجي جـورو"[1] راقصـة الجيـل الرابـع مـن رقصـات القـرى الجبليَّـة.

لكـن سـاحة التدريـب تلـك هـي بالطابـق الثـاني لبيـت "جيشـا" بطريقٍ ضيِّـق في بلـدة "تاتاميـا" بقلـب الجزيـرة.

(1) إيتـشي جـاوا سـاجي جـورو いちかわだんじゅうろう 市川團十郎: ممثِّـل شـهير للفَـنّ المسرحـي "الكابـوكي" في عـصر إيـدو.

علـى أيَّـة حـال؛ فبسـبب أن المـكان هكـذا فأغلـب مَـن يأتيـه هُـنَّ فَتَيـات الليـل ومسـاعداتهن... مهـما كانـت تصنيفاتهـن، فبـذاك البيـت تـكاد أعـداد الآنسـات لا تُذكـر.

كانـت "تائيقـو" عـادة مـا تـأتي وبيدهـا حقيبـة صغـيرة بهـا تحمـل فيهـا الـزِّيَّ اليابـاني التقليـديَّ ومروحـة اليـد، وبرُكـنٍ مـن السـاحة تسـتبدل زيَّهـا الغَـربِيَّ الطـراز بالملابـس اليابانيـة، وبينـما هـي في انتظـار دورهـا تختلـط بجمـوع فتيـات الجيشـا والراقصـات، وتشـاهد التدريبـات، وتتبـادل الحديـث مـع الفتيـات الـودودة القَسَـمات، ولم يكـن بالغريـب حينهـا أن تتذكَّـر عُمرَهـا الحقيقـي؛ فالـكل -بدايـةً مـن المعلِّمـة- يظنُّـون أنهـا ببدايـة العشرينـات، واسـتمتعت "تائيقـو" بتَمَلُّقِهـم لهـا وهـم يقولـون كـم هـي فتـاة لَبِقَـة وهادئـة رابطـة الجـأش.

كان كل مَـن يـأتي لـذاك المـكان -سـواء مـن المتمرِّسـين أو الهُـواة- يسـتنكر بشـدَّة تيَّـارَ رقصـات طوكيـو الـذي اجتـاح رقـص الفلكلـور بـ "كيوتـو" و"أوسـاكا"؛ وبهـذا يظـلُّ هنـاك الكثير مِمَّـن لديهـم تَـوقٌ عجيـب لرقـص القـرى الجبليـة، مـن منطلـق رغبتهـم في إظهـار الفـن الأصيـل التقليـدي لأراضيهـم للعالَـم أجمـع، والـذي أصبـح في طريقـه للاندثـار، وتجـد عـلى وجـه الخصـوص المؤيِّديـن المتحمِّسـين ينظِّمـون مـا يُطلَـق عليـه "اجتماعـات مَحلِّيَّـة"، ويجتمعـون شـهريًّا ببيـت أرملـةٍ لمحـامٍ يُدعَـى "كامـي سـوجي"، وأصبحـوا مِثـالًا يُحتـذى بـه.

كانـت "تائيقـو" تحـضر هـذه اللقـاءات أيضًـا؛ فهـي شـخصية قياديـة، حتـى لـو كان الأمـر مجـرَّدَ رقصـاتٍ مُعتـادة. ذات مـرَّة اصطحـب "تينوسـوكيه" زوجتـه وابنتـه "إتسـوقو" و"يوكيقـو" لمشـاهدة أداء "تائيقـو" بالرقصـات، والتـي كان مـن الطبيعـي أن تجمعهـا بالأشـخاص المتواجديـن باللقـاء علاقَـةُ أُلفَـةٍ؛ لأن مثـل هـذه العلاقـات هـي التـي طلبهـا منهـا المنسِّـقون المسـؤولون.

في آخر شهر أبريل من ذاك العام توجَّهَت إليهم بحديثها، طالِبةً أن يعيروها بيت "أشيبا" من أجل ذاك الملتقى في شهر يونيه؛ ففي الواقع كل التجمُّعات المحلية توقَّفَت منذ شهر يوليو بالعام الماضي بسبب الأحداث الراهنة، واكتفوا باللقاءات الدراسية البسيطة؛ لذلك لن يعترض أحدٌ إن التزموا بالانضباط بهذه المناسبة، علاوة على أن هناك مشاكل في تكرار اللقاء كل مرَّة بمنزل أرملة السيد "كامي سوچي"؛ ولهذا جاءت الآراء المقترحة بتغيُّر المكان، ولو لمرَّة.

بما أن هذه هي الطريقة التي تُفضِّلها "ساتشيقو" وأخواتها؛ فوافقوا بالفعل على إتاحة غرفة لهذا اللقاء، ولن يكون لديهم مشكلة في التجهيزات مثلما يحدث ببيت السيد "كامي سوچي" غير المُعَدِّ على أكمل وجه. لكن بَعضٌ منها -كمنصَّة المسرح- هم في حاجة لنقلها من "أوساكا" إلى "أشيبا"، ومن ناحية أُسرة "ماكي أوكا" فهم سيُفرِّغون محتويات الغرفة غربية الطراز التي بالطابق السُّفليِّ من الأثاث، ويجلس الحضور على سجَّاد غرفة الصالون وكأنه مقاعِدُ المشاهدين، ويضعون بجانبه ما لديهم من حصير التاتامي الكبير الموجود بغرفة الملابس والزِّينة بالطَّابق الثاني.

كان اللقاء بيوم 5 يونيه، والذي يوافق أوَّل يومِ أحد بالشَّهر، من الساعة الواحدة مساء إلى الساعة الخامسة، وكانت "تائيقو" ستُقدِّم رقصة الـ "يوكي".

كان هذا ما تَمَّ الاتفاق عليه لذلك بمجرَّد بداية شهر مايو كثَّفَت "تائيقو" من تدريباتها، وتَردَّدَت على مكان التدريب لمرَّتين أو ثلاثٍ أسبوعيًّا، وخصِّيصًا من يوم 20 في الشهر داوَمَت مُعلِّمتها على المجيء لها يوميًّا ببيت "أشيا" لتدريبها.

إن مُعلِّمتها -التي ستَبلُغ هذا العام الثامِنةَ والخمسين من العُمر- هي بطبيعتها ضعيفة الصِّحَّة، وتُعاني من مرضٍ كُلَويٍّ مُزمِن؛ فأصبح

مجيئها هـذا طـوال أيـام الأسـبوع بمثابـة جميـل اسـتثنائيٍّ لم يسـبق لـه مثيـل، ووجودهـا أصبـح سَـببًا لتوطيـد علاقتهـا بالمسـاعدات والمتَدرِّبـات، وجعلهـا تختلـط معهـم وتتحمَّـس وتجتهـد، ومـن حُسـن صنيعهـا أيضًـا أنهـا كانـت تأتيهـا بالأيـام الحـارَّة بـأوَّل الصيـف مـن جنـوب أوسـاكا بقطار خَـطِّ "هانكيـوو"، وبالرغـم مـن أنـه مـا مِـن أحـدٍ يقبـل أن يذهـب لإعطـاء الـدروس المنزليـة لمُراجَعَـة الاسـتعدادات اللازمـة لرقـص القـرى الجبليـة، إلَّا أنهـا تتفهَّـم كـون هـذا مرفوضًـا عـادةً بالتفكـير التقليـدي المتحفِّـظ.

لكـن بعـد ذلـك، وبانقطـاع علاقـة "تائيقـو" بسـاحة التدريـب، ظَلَّـت ترغـب في مزيـد مـن التعلُّـم؛ لذلـك إنْ كانـت المعلِّمـة سـتتولى تدريبهـا فمـن الأفضـل تكثيـف الـدروس حتـى ذاك التوقيـت، بجانـب توجيـه مـا يلـزم مـن نصائـح.

كان جـدول مواعيـد المعلِّمـة "أوسـاكو" يختلـف يومًـا عـن الآخـر، وفي الغالـب بـكل يـوم تُحـدَّد موعـد اليـوم التـالي، لكنهـا لم تلتـزم بالدِّقَّـة الكاملـة، فأحيانًـا كانـت تنتظرهـا "تائيقـو" حتـى السـاعتين، وأحيانًـا لا يسـعها المجـيء بسـبب سـوء الأحـوال الجوِّيَّـة. كانـت "تائيقـو" تعـود للمنـزل في عَجَلـةٍ مـن أمرهـا وسـط كل مشـغولياتها لتنتظرهـا، ثـم بعـد حـينٍ اعتـادت الوضـعَ وطلبـت منهـا أن تخبرهـا بالهاتـف، وأحيانًـا أخـرى كانـت تـأتي مُسرِعَـةً مـن "شـوكوجاوا"، وتجـد الصغـيرة مـا زالـت في منتصـف تدريباتهـا.

لكـن بالواقـع لم يكـن الخروج شيئًا بهـذه السـهولة للمُعلِّمة "أوسـاكو"، بحالتهـا الصحيـة السـيئة تلك.

في البدايـة كانـت تأخـذ اسـتراحةً قصـيرة بغرفـة الصالـون، وخلالهـا تتبـادل الحديـث مـع "ساتشـيقو" لبضـع دقائـق، وبلُطـفٍ في آخـر مـرَّة قامـوا بالتمرينـات في مجلـس غرفـة الطعـام بعدمـا أبعـدوا المنضـدة والمقاعـد جانبًـا، ودَنـدَنَـت "أوسـاكو" بالأغـاني لِترُيهـا مثـالًا، ولكـن حينهـا

بـدا عليهـا الإنهـاك وتلاحَقـت أنفاسـها، وقالـت إنهـا منـذ الليلـة السـابقة وهـي تشـعر بـالألم الكُلَـويّ مـرّةً أخـرى. كان وجهها مُنتَفِخًـا ولونه شـاحِبًا، لكنهـا -عـلى العكـس- أرادت أن تسـتعيد عافيتهـا، وقالـت:

"الرَّقص يحافظ على جسدي".

لم تكـن تتألَّـم مـن المـرض إلى ذاك الحَـدّ، ولكـن تُـرى هـل كان هـذا حَقًّـا أم أنـه مـن تَواضُعِهـا؟

إنهـا كانـت تقـول: "أنـا لا أجيـد التعبـير بالـكلام"، وهـي في الحقيقـة ثرثـارة للغايـة، وماهـرة في التقليـد والتمثيل، وبالدردشـة كانت "ساتشـيقو" وأخواتهـا يَسـتَعجِبن منهـا بشـدَّة. ربمـا ذلـك يرجـع إلى أن جَدَّهـا مُمثِّـل مـسرح الكابـوكي "إيتـشي جـاوا دانجـورو"؛ فوَرِثَـت منـه الموهبـة.

لهـذا تجـد ملامـح وجـه المعلِّمـة "أوسـاكو" دقيقـةً، ووجهها بيضاويًـا، وطـول قامتهـا مُميَّـزًا، وإذا ألقيـت نظـرة عـن كثب ستلاحظ نَسَـبها لفنَّـاني عـصر "ميجـي". هـؤلاء الذيـن عاشـوا قديمًـا، الحواجـب الدقيقـة الخفيفـة، الأسـنان المصبوغـة بالسَّـواد، أيًّـا كان مـا تشـبههم بـه فذلـك الوجـه الكبـير يظـلُّ بـه قـدرات متنوِّعـة لا حـصر لهـا. إنهـا حـين تُقلِّـد ملامـح وتعبـيرات شـخصية مـا تشـعر وكأنهـا ارتـدت وجـه الشـخصية وطوَّعـت ملامحهـا بإتقـانٍ تـام.

عـادت الصغـيرة مـن المدرسـة كانـت ترتـدي الـزِّيَّ اليابـاني الـذي لا ترتديـه سـوى بوقـت مشـاهدة تَفَتُّـح الزهـور كل عـام. كانـت ترتـدي جوربًـا يابانيًّـا[1] كبـيرًا للغايـة لا يتناسـب مـع مقـاس قَدَميهـا، وتتزيَّـن

(1) たび足袋: "تابي" جورب ياباني ذو أصبع منفصلة.

بمروحـة يـد عـلى طـراز القـرى الجبليّـة مُزَركَشَـة بأشـكال الـورود السَّـاميَّة الأربعـة[1].

"حلَّ شهر الربيع، وفي "موروو" حشود الزهور

فيما بين المسرحيات والاحتفالات والطبول

فتتلاقى الوجوه والعيون"...

كانـت تُعلِّمهـا رقصـة أغنيـة "十日戎 Tokaebisu" والتـي مَطلَعُهـا هـو الأبيـات السـابقة، ولأن سـاعات النهـار أصبحـت الآن أطـولَ فَقَـد انتهـت الصغـيرة "إتسـوقو" و"تانيقـو" لا تـزال في تدريبـات رقصـة "يـوكي 雪".

الصغـيرة انتهـت في حـين أن "تانيقـو" مهـما مَـرَّ عليهـا مـن وقـت وهـي تتـدرَّب تَظـلُّ الحديقـة مسـتضيئة، وزهـور "الهـيرادو" التـي تأخَّـر أوانهـا بـدت فجـأة وكأنهـا تحـترق والعشـب يشـعُّ خُضرَة.

أطفـال عائلـة Stolz بالجـوار... "روزمـاري" و"فريتـز" أصبحـا مؤخَّـرًا -وبـكل يـومٍ تقريبًـا- ينتظـران عـودة "إتسـوقو"، ويأتيـان لِلَّعِـب بغرفـة الصالـون، لكنهـما كانـا يتسـلَّلان لِلَّهـو مـع رفيقتهـما بهـذه الغرفـة التـي يُفضِّلونهـا، وينظـران بشـكل غريـب مـن الـتراس، وظَـلَّا يُحدِّقـان إلى رقـص "إتســوقو" وتانيقــو" وحــركات أيديهــم، وبالنهايــة جــاء أخوهــم الثالــث "بيـتر" ليشـاهد هـو أيضًـا.

بـذاك اليـوم صعـد "فريتـز" لمـكان التمريـن وهـو ينـادي مُقلـدًا صـوت عائلـة "ساتشـيقو"، وكأن أحـدًا منهـم ينـادي:

"المعلِّمة "أوساكو"... المعلِّمة "أوساكو"".

---

(1) 四君子 しくんし: "شـيكون شي" تشـير إلى أربـع نباتـات تُسـتخدَم في الفنـون الصينيـة، وهـي: البرقـوق، الأقحـوان، الأوركيـد والخيـزران، حيـث الاعتقـاد بإشـاراتهم إلى: الاسـتقامة، النقـاء، التواضُـع والمثابـرة عـلى الظـروف القاسـية. تـمَّ اسـتخدامهم في الصـين في عهـد أسرة سـونغ (960 - 1279)، ثـم تداولَـت الفكـرة في اليابـان وكوريـا أن هـذه النباتـات تُمثِّـل الفصـول الأربعـة: البرقـوق في الشـتاء، الأوركيـد في الربيـع، الخيـزران في الصيـف، والأقحـوان في الخريـف.

وأجابَته "أوساكو" على نحوٍ طريفٍ وهي تطيل نبرةَ صوتها:

"نعم"...

ومهما طال الأمد تَظلُّ تُجيب بجدِّيَة: "نعم، نعم"، وتلعب وكأنها طفلةٌ صغيرة مع الطفلة ذات العيون الزرقاء.

الفصل الثالث

"أختي الصغيرة، هل أسمح لفتى مَتجَر التصوير بالدخول؟ هيًا قولي".

كانـت "تائيقـو" بالوقـت الترفيهـي لمجلـس اليـوم سـتقدِّم الرقصـة الافتتاحيـة عـلى أغنيـة "اومـورو نـو هانـازاكاري"[1]، وصعـد المُصـوِّر لغرفـة ملابِسـهنَّ بالـدور الثـاني وهـي عـلى حالهـا بثيابهـا وزينتهـا.

"تفضَّل".

وحـين انتهـت مـن ارتدائهـا للملابـس رقصـة "يـوكي" أمسـكت بيدهـا اليُمنـى العمـود حتـى لا تتعـثَّر، ووَقَفَـت وطَلَبَـت مـن خادمتهـا "أوهـارو" أن تُلبسـها الجـورب، ودون أن تُحـرِّك رقَبَتهـا وهـي تعقـص شـعرها عـلى

(1) تَتفتَّح الزهور في "أومورو" بثالث شهرٍ قَمريٍّ.
弥生(やよい)は御室(おむろ)の花盛(はなざか)り.

النَّمـط التقليـدي الشـائع بعـصر "إيـدو"[1] "تسـوبوشي شـيمادا"[2]، وتتوجَّـه بناظِرَيْهـا فقـط هنـا وهنـاك.

تعرَّفَـت "تائيقـو" عـلى عَمَّـة شـابَّة ترتـدي دائمًـا الملابـس الغربيـة منـذ عـشرة أيـام مـن أجـل الاسـتعدادات وارتـداء الـزي اليابـاني وهَندَمَـة شَـعرها عـلى النمـط اليابـاني التقليـدي هـذا، وكـما كان مُتوقَّعًـا عَلِقَـت بهـا كُلُّ الأنظـار في ذهـولٍ واندهـاش مـن طريقـة اسـتبدالها لملابسـها.

في الحقيقـة الملابـس التـي ارتدتهـا كانـت مـن ثـلاث طبقـات: الطبقـة السُّـفليَّة هـي التـي اسـتخدمتها الأخـت الكبـيرة التـي بالبيـت الرئيـسي "تسـوروقو" قديمًـا في حفـل زفافهـا.

اليـوم، حتـى وإن كان القليـل مـن النـاس مُجتَمِعـين، إلَّا أنَّـه بدونهـا لَـمَا سـارت الأمـور عـلى مـا يـرام، وطالمـا فكَّـرَت "تائيقـو" في ملابـس جديـدة، وبنقاشـها مـع "ساتشـيقو" تذكَّـرَت أن هـذه الملابـس لأختهـم الكبـيرة موجـودة في مخـزن بيـت بلـدة "أويهـون"، فاسـتعارتها. إنهـا مـن إحـدى مجموعـات الملابـس التـي عمـل والدهـم وهـو في أزهـى أوقاتـه عـلى أن تُصبَـغ خصِّيصًـا لهـا، وأتى بثلاثـة رسَّـامين ليرسـموا زخـارِف بأشـهر معـالم اليابـان عـلى الطبقـات الثلاثـة الملُحَقَـة بالـرِّداء.

كانـت الطَّبَقـة الأولى مرسـوم عليهـا جزيـرة "إتسوكوشـيما 厳島" عـلى خلفيَّـةٍ سـوداء، والطبقـة التـي تليهـا عليهـا جزيـرة "ماتسوشـيما 松島" عـلى خلفيَّـة حمـراء، والطبقـة الأخـيرة للمَمَـرِّ الرَّمـلي "أمانوهاشـيدا 天橋立"[3] عـلى خلفيـة بيضـاء.

---

(1) عصر إيدو 江戸時代 من 1603 إلى 1850.

(2) تسـوبوشي شـيمادا 潰し島田 نـوع مـن تسريحـات الشَّـعر الشـائعة في عـصر إيـدو، وارتبطـت بفتيـات الجيشـا والمُعلِّـمات، ويُشـتَقُّ منهـا عديـد مـن قَصَّـات الشَّـعر.

(3) مَمـرٌّ رمـليٌّ بطـول 3.6كـم بخليـج ميـازو شـمال مقاطعـة كيوتـو. تُغطِّيـه حـوالي 7000 شـجرة

منذ حوالي سبعة عشر عامًا -أي في أواخر عصر "تايشوو"- حين تزوَّجَت الأخت الكبيرة وهي لم تُمرِّر يدها على مجموعات الملابس تلك سوى لمرة واحدة؛ لذلك فهي حقًّا تبدو كالجديدة تمامًا، ولا تزال برَونَقِها، لكن "تائيقو" بارتدائها لإحداها، والتي عليها منظر المَمرِّ الرَّمليِّ بريشة الفنان[1] "كاناموري كانيو 金森観陽، وبربطها لحزامٍ من السَّتان الأسود لم تَعُد تبدو كالابنة الصغيرة كالمعتاد، بل بَدَت كامرأةٍ ناضِجَة، وبإقامتها لمثل ذلك الحفل الياباني الخالص أصبحت تُشبِه "ساتشيقو" كثيرًا: وجنتاها الممتلئتان، وهيئتها الكاملة، يُدعِّمهما حضورها الأخَّاذُ الذي لا يظهر في ملابسها الغربية.

"... سيدي المصوِّر".

قالتها الصغيرة "إتسوقو" وهي تقف على منتصف السَّلَّم لشابٍّ في أواخر العشرينات من العمر يُحدِّق في "تائيقو" وهي تُطِلُّ من رَدهَة الطابق الثاني.

"حسنًا. تفضَّل بالدُّخول".

"صغيرتي "اتسو"، كريهٌ قَولُكِ "سيِّدي المصوِّر"... قولي: "السيِّد إيتاكورا"".

قالتها "تائيقو" غيرَ عابِئةٍ وهي تعتذر له وتدعوه للدخول.

"الأخت الصغيرة، اثبتي هكذا".

صنوبر، وهو ثالث المواقع السياحية في اليابان، وتمَّ اختياره ضمن أفضل 100 موقع في العالم للينابيع والأنهار من قِبَل مُنظَّمات البيئة الدولية.

(1) رسَّام ياباني في أوائل عصر ميجي، وُلِد في عام 1884 وتوفي في 1932.

وعلى الفور اتَّكأ على رُكبَتَيْه، ووجَّه نحوها الكاميرا التي من طراز LEICA، وواحدة تلو الأخرى من الأمام ومن الخلف ومن اليمين واليسار، التقط هكذا بضع صُوَر.

بمكان التَّجمُّع بالدَّور السفلي بعد فقرة "إتسوقو" قدَّموا أيضًا بضع أغاني شهيرة، واختُتِم اللقاء بعد خامس أغنية "إيدو مياچيه 江戸 みやげ"، وبوقت الاستراحة بدؤوا بضيافة الحضور بالشاي وأطباق الـ "سوشي"، وبغرفة الصالون التي كانت بمثابة صالَةَ مقاعد المشاهدين تَواجَدَ قرابة الثلاثين شخصًا، حيث إنهم -عن عَمدٍ- لم يدعوا سوى أقارب مُقدِّمي الرقصات، ولكن كان بينهم أيضًا "روزماري" و"فريتز"، اللذان احتلَّا موقِعَيْهما بالصف الأول. كان كل منهما يجلس القُرفصاء حينًا، وعلى ركبتيه حينًا آخر، أو على وسادات الجلوس التي على الأرض؛ ليُشاهِدَا الرقصة الافتتاحية لـ "إتسوقو".

بالخارج، بالتِّراس، تواجَدَت أيضًا أمُّ الطِّفلَين Hilda Stolz؛ فهي سَمِعَت من الأطفال عن هذه المناسبة، ورغبت بشدَّة في الحضور، وقبل فقرة "إتسوقو" الافتتاحية جاءت من جهة الحديقة، وعرَّفها بهم ابنُها "فريتز"، بعدها طلبوا منها التَّفضُّل بالدخول، لكنَّها فضَّلَت البقاء بالتراس، فجلبوا لها كرسيًّا من الخوص، وجلست هناك لتشاهد منصَّة العرض.

""فريتز"، اليوم فلتلتَزِمْ الصَّمتَ تمامًا".

قالتها المعلِّمة "أوساكو" للصَّبيِّ من خلف الحاجز المتحرِّك الذهبي الذي كان على منصَّة العرض. كانت ترتدي كيمونو مُطرَّزً ومُزَركَشَ الأطراف، ياقته بيضاء.

"حقًّا! من أيِّ بَلَدٍ أنتم يا أطفال؟".

تَساءَلَت السيدة الأرملة "كاميسوچي"، والتي كانت بمجلس المشاهدين؛ فأجابتها المعلِّمة:

"إنهم أصدقاء الصغيرة، وهم من ألمانيا. هم أصدقائي المقرَّبون أيضًا، عادةً ما ينادونني "أوَشوهان أوَشوهان"".

"حقًّا! لا يستطيعون نُطقَ اليابانية هكذا! ومع ذلك جاؤوا بشغف للمشاهدة!".

"الأكثر من ذلك هو سلوكهم في الجلوس بهدوء...".

قالتها إحدى الحضور.

"حسنًا إذن، أيتها الطفلة الألمانية، وأنتِ، ما اسمُكِ؟... هل هكذا لن تُؤلِمَكما أرجُلُكم؟ فلتمدّدوها... لا بأس...".

حينها لم تسعف الذاكرة المعلّمةَ "أوساكو" بأسماء الطِّفلَيْن "روزماري" و"فريتز"، لتتدخَّل مُنقِذَةً الموقف.

بالرغم ممَّا قيل للطفلين إلَّا أنهما مهما يحدث يتخطّيان الأمر ويلتزمان الصمت، وتعتلي وجهيهما نظراتٌ صارمة بهذا اليوم على وجه الخصوص.

"سيِّدتي، تفضّلي طعامَكِ".

قالها "تينوسوكيه" للسَّيِّدة Stolz حين وجدها تَضَعُ طبقَ الـ "سوشي" على رُكبَتَيْها ولا يمكنها استخدام عِصيِّ الطَّعام.

"أنت لا يُمكِنُكِ أكل ذلك، إن كان لا يروقك اتركيه من فضلك".

قالها "تينوسوكيه".

"هلا، أليس هناك أي شيء آخر يمكن للسيدة Stolz تناوُله؟".

قالها "تينوسوكيه للخادمة "أوهانا" التي كانت تتجوَّل بين الحضور لتقديم الشاي.

"أليس من الأفضل "كيك" أو أي شيء آخر؟ إنها ستأتيك به وتأخذ "السوشي" هذا".

"كلَّا، أنا سآكل...".

قالتها السَّيِّدة Stolz ورفضت أن تأخذ "أوهانا" طَبَقَها.

"أهذا صحيح؟ هل ستأكلينه سيدتي؟".

"نعم سآكل. إني أحبُّه...".

"حسنًا، طالما تحبينه... يا "أوهانا"،أحضِري ملعقةً".

بـدا أن السـيدة Stolz تُحـبُّ الـ "سـوشي" حقًّـا، وفـور مـا أخـذت مـن "أوهانـا" الملعقـة التَهَمَـت طبقهـا بالكامـل دون أن تُبقـي حتـى الفتـات.

كانــت الفقــرة القادمــة بعــد الاســتراحة هــي رقصة"يــوكي"، التــي ســتقدمها "تائيقــو"، وكان "تينوســوكيه" منــذ البدايــة لا يُلقــي بــالًا، ويتجــوَّل، ويَطلــع وينــزل السُّــلَّم لِعــدَّة مــرَّات، وكلَّــما ظَــنَّ أن عليــه أن يُرحِّــب بالضيــوف في الــدَّور السُّــفليِّ عــاوَدَ مــرَّةً أخــرى وصعــد لهــم، ودون أن يدخــل غرفــة ملابســهنَّ.

"هيَّا، لقد حان وقتي".

"إذن ها أنتِ ذا أتمَمتِ استعداداتِكِ".

جلــس بالغرفــة الواســعة كلٌّ مــن المصــوِّر و"إتســوقو" و"ساتشــيقو" حــول "تائيقــو"، والتــي هــي أيضًــا بدورهــا كانــت تجلــس عــلى كــرسي، وخشــية أن تتَّسِــخ ملابســها فرشــت عــلى ركبتيهــا فوطــة مائــدة، وكانــت تــزمُّ شَــفَتَيْها حتــى بــدا فمهــا وكأنــه حــرف "O"، وتُدخِــل بــه القليــل مــن الأرز المطهــو، و"أوهــارو" تُمسِــكُ لهــا فنجــان الشــاي، وبعــد كل مــرَّة تــأكل فيهــا تأخــذ رشــفةً مــن الشــاي.

"أنت. كيف هكذا؟".

"أنـا للتَّـوِّ أكَلْـتُ بالأسـفل... أنـتِ يـا أختـي، هـل تسـتطيعين الأكل هكـذا؟ "إن فَرَغَـت المعِـدَةُ خـارت القـوى" هكـذا يُقـال. ألـن تؤلمـك مَعِدَتُـك إن شـعرت بالجـوع وأنـتِ تُقدِّمـين الرَّقصـات؟".

"فعـلًا، ويُقـال أيضًـا إن هـؤلاء الذيـن يأكلـون جيِّـدًا بوجبـة الغـداء يسـقطون أرضًـا وهـم يتمايلـون ويـدورون بالرقصـات. يقـول كبـار مُمثِّـلي المـسرح بفـن "الكابـوكي" لا تـأكل شيء مُطلَقًـا، والرقـص لا يختلـف عـن التمثيـل المسرحـي؛ لذلـك إن لم آكل كان أفضـل".

"أخـي... هيّـا... ألـن تُجـرِّب أن تـأكل هكـذا. تُدخـل القليـل لفمـك دون أن تلمـس شـفتيك وتبـدو وكأنَّـكَ أكلْـتَ الكثيرَ".

"أنا منذ البداية مُعجَبٌ بطريقة أكلك الـ "سوشي"".

قالها "إيتاكورا".

"ولِمَ"؟

"لِـمَ؟! تفتحـين فمـك هكـذا كهـوَّة واسِـعَة، وتضعـين السَّـمَك والكعـك، ثـم تزمِّـين شـفتيك بشـدَّة هكـذا وتأكلـين الكثـير!".

"ماذا! أتنظر للناس من حيث أفواههم!".

"فعلًا، هذا حقيقي يا أختي"، ورفعت الصغيرة صوتها بالضحكات.

"لقد استَطَعتُ تعلُّمَ أن آكل ولا آكل في نفس الوقت".

"مِن مَن؟".

"المعلِّمـة "أوسـاكو" تُعلِّـم كُلَّ مَـن يأتيهـا مـن فتيـات الجيشـا... فتيـات الجيشـا إن وضعـن أحمـر الشِّـفاه يأخـذن حذرهـنَّ، ولا حتـى يُبلِّلـن شـفاهَهنَّ باللُّعـاب، وإن أكلـن شـيئًا عليهـنَّ وضعـه بداخـل أفواههـن بعِـصِيِّ الطعـام دون أن يلمـس الشـفاه. هُـنَّ مـن أوَّل بدايتهـن يتدرَّبـن عـلى طريقـة أكل "الطوفـو المجفَّـف"، وإن قُلـتَ لِـمَ الـ "طوفـو المجفَّـف"

تحديـدًا؟ فهـذا لأنـه يحتـاج لتدريـبٍ كي تشـفط حِسـاءَه دون أن يسـقط عـلى أحمـر الشِّـفاه".

"لم أكن أعلم أمرًا عظيمًا كهذا من قبل".

وتدخَّل "تينوسوكيه" ليسأله:

"جئتَ يا "إيتاكورا" اليوم للمشاهدة أليس كذلك؟".

"... للمشاهدة، ولكن لالتقاط الصور أيضًا".

"وهل صور اليوم أيضًا ستجعل منها بطاقاتٍ بريديَّة؟".

" كلَّا، لا يمكننـي. الأخـت الصغـيرة نـادِرًا مـا تظهـر لتـؤدِّي الرقصـات وتُصفِّـف شَـعرَها لأعـلى بالشـكل التقليـدي اليابـاني، وأظنُّهـا تريـد فقـط الصـور التذكاريَّـة".

وردَّت "تائيقو":

"وهذه هي مَهمَّته اليوم".

إن "إيتاكـورا" يملـك متجـرًا للتَّصويـر ويديـره للدعايـة والتصويـر الفنـي، ويعلِّـق عليـه يافطـة "إيتاكـورا للتصويـر"، وهـو شـمال محطَّـة "تانـاكا" لخطـوط النقـل السريـع "هانشـين". هـذا الرجـل في الأصـل كان عامِـلًا حرفيًّـا بمتجـر عائلـة "أوكوباتـا"، وقبـل أن يُنهـي دراسـته الإعداديـة سـافر لأمريـكا ودرس تقنيـات التصويـر في "لـوس أنجلـوس" لِسِـتِّ سـنواتٍ تقريبًـا ثـم عـاد. في الحقيقـة تـدور حولـه الشـائعات بأنـه لم تسـنح لـه الفرصـة ليصبـح مُصـوِّر أفـلامٍ بـ "هوليـوود"، وفـور عودتـه مـن الخـارج أراد أن يفتـح مَقـرًّا لعملـه الحـالي، وحينهـا قدَّمـه "أوكوباتـا" لـ "تائيقـو" لأنهـا كانـت تبحـث عـن مُصـوِّر مناسـب مـن أجـل الدعايـة لمنتجاتهـا، وأراد "أوكوباتـا" أيضًـا أن يُسـدي إليـه صَنيعًـا؛ حيـث إن العلاقـة بينهـما كانـت برعايـة الابـن الأكـبر لعائلـة "أوكوباتـا" لـه، وتقديـم يـد العـون، وكثـيرًا مـا أقرضـه المـال أيضًـا.

وعليـه، فمنـذ ذاك الحـين وكل صـور منتجـات "تائيقـو" التي بمنشـورات الدعايـة، والتـي أيضًـا عـلى البطاقـات البريديـة المصـوَّرة- هـي كلهـا مـن انتقـاء وتصويـر "إيتاكـورا"، وبمجهـوده الخـاص؛ وبهـذا فهـو يتلقَّـى طلبـات الشـغل الخـاص بــ "تائيقـو"، إضافـة إلى الإعلانـات، ولأن "أوكوباتـا" عـلى عِلـمٍ بهـذه العلاقـة فأسـلوبه مـع "تائيقـو" و"إيتاكـورا" بالمثـل -وعـلى حـدٍّ سَـواء- فهـو مـن البدايـة يعتبرهـا علاقـةً بـين رَبِّ العَمَـل والأجـير.

بالطَّبـع علاقـة "إيتاكـورا" بــ "تينوسـوكيه" والعائلـة جـاءت مـن علاقتـه بــ "تائيقـو"، وتعلمـه بأمريـكا وتجوُّلـه في مختلـف الأماكـن بـكل وقـت فـراغ، إضافـة لِكَونـه رَجُـلًا لَبِقًـا- كل هـذا جعلـه الآن يتداخـل مـع هـذه الأسرة دون أن يـدري أحـدٌ لِـمَ، حتـى فيـما بـين الخادمـات أيضًـا انتـشر سِـحرُه فهـو مثلـما يفعـل الآن يمـازح الخادمـة "أوهـارو" ويسـألها:

"سيدتي هل لك أن تصبحي زوجتي؟".

وقاطَعه "تينوسوكيه" قائِلًا:

"حتـى وإن كانـت هـذه مَهمَّتـك إلَّا إنـه أنـا أيضًـا ألتقـط الصُّوَر. أليـس كذلـك؟... هيـا فلتلتقـط واحـدة. أختـي الصغـيرة، ادخـلي في المنتصـف واصطفُّـوا جميعكـم".

"كيف نصطفُّ؟".

"أنـت مـع السـيدات. مـن فَضلِـكِ، اصطفُّـوا جميعكـم خلـف مقعـد الأخـت الصغـيرة... حسـنًا... هكـذا، بعـد ذلـك ابنتـي. هيَّـا "إتسـوقو" قفـي جهـةَ اليمـين".

""أوهاروا" هيًا ادخلي بالصورة معنا"، قالتها "ساتشيقو".

"حسنًا إذن... "أوهارو" تعالي بجهة اليسار...".

"ليـت الأخـت الكبـيرة بطوكيـو كانـت معنـا"، قالتهـا الصغـيرة فجـأةً ورَدَّت "ساتشـيقو":

"حقًّا... إن أخبرناها لاحِقًا ستحزن".

"لمـاذا يـا أمـي لم تخبريهـا لتـأتي؟ ألَا تعلمـين بشـأن اليـوم منـذ شـهر مـضى؟".

" لم أفكِّر هكذا، بل قُلتُ إنها للتَّوِّ عادت لبيتها بالشهر الماضي...".

نظـر "إيتاكـورا" في عدسـة آلـة التصويـر، ولاحـظ أن عينَـيْ "ساتشـيقو" ترقرقتـا بالدمـوع فجـأة، فتراجـع بوجهـه مندهشًـا.زوجها "تينوسـوكيه" أيضًـا انتبـه لذلـك في نفـس الوقـت، ولكـن لمـاذا تبدَّلَـت تعبـيرات وجـه زوجتـه عـلى حـين غِـرَّة!

إنهـا منـذ إجهاضهـا بشـهر مـارس وهـي أصبحـت مـن عادتهـا بـكل مناسـبة أن تَنهَمِـر دموعهـا وتتذكَّـر جنينهـا الـذي لم يكتمـل. أحيانًـا تُفاجِئهـم بالأمـر، وإنمـا الآن يبـدو أنـه ليـس كذلـك، وهـو ليـس لديـه أدنى فكـرة!

تُـرى، هـل كلَّـما رأت مظهـر "تائيقـو" اليـوم بردائهـا وزينتهـا وهـي تجلـس عـلى المقعـد اجتاحتهـا مشـاعِرُ عميقـةٌ وتذكَّـرَت الأخـت الكبـيرة، وهـي بيـومٍ بعيـدٍ منـذ زمـن ارتـدت هـذه الملابـس ورفعـت شـعرها لأعـلى بنفـس الطريقـة؟

إن لم يكـن هـذا ولا ذاك؛ تُـرَى، هَـل انتابهـا الحُـزنُ حـين أمعَنَـت التفكـير بـأن "تائيقـو" تتألَّـق كـما لـو كانـت عروسًـا بليلـة زفافهـا؟ تُـرى، متـى يـأتي هـذا اليـوم حقًّـا ولا يـزال لا بُـدَّ لــ "يوكيقـو" أن تسـبقها؟

ظنَّ "تينوسوكيه" أنه ربما كل هذا يدور بخلد زوجته.

عـلى أيَّـة حـال، فيـما بـين كل مَـن رغـب برؤيـة طَلَّـة "تائيقـو" اليـوم هـو شـخص آخـر، وعـلى غـير المُتوقَّـع هـو "تينوسـوكيه"؛ فـذاك الرجـل يشـعر بالأسـف مـن أعـماق قلبـه.

لكن إن كان الوضع هكذا فمجيء "إيتاكورا" لالتقاط الصور، ألن يكون من تدبير "أوكوباتا"؟!

وهكذا تبدَّلَت ظنونه دون أن يدري.

""ساطوو""...

نادت "تائيقو" على فتاة جيشا تبدو في أوائل الثلاثينات من العمر تستعدُّ للخروج بعدها على أغنية "تشا أوندو"((1)*)، وكانت تقف بالزاوية قُبالةَ الغرفة أمام المرآة الكبيرة.

"عفوًا، لي طلبٌ عندك".

"ماذا".

"حسنًا، أَيُمكِنُك أن تتفضَّلي معي بتلك الغرفة هناك؟".

فيما بين الأربع أو خمس راقصات المتواجدات اليوم سيِّداتٌ شهيرات يعملن كمُدرِّبات رقصٍ مُعتَمَدات، ويشارك أيضًا اثنان من فتيات الجيشا، و"ساطوو" هي راقصة من بلدة "صو إيه مون"، وتحظى بِمَوَدَّةٍ خاصَّة من المعلِّمة "أوساكو" كمقدِّمة لرقصات القرى الجبلية.

سألتها "تائيقو":

"لم أرقص من قبل مُمسِكَةً بطرف ردائي، ولا أدري إن كان جيِّدًا هكذا؟ إنني قَلِقَة للغاية. هل تُعلِّمينني طريقة مَسكِه؟".

أجابتها "ساطوو" في همس:

"هذا يعتمد على التَّمايُل في الرقص، هيًّا تمايلي قليلًا قليلًا...".

---

(1) 茶温度: اسم لأغنية شعبية.

قالتها وهي تأخذها قُبالَةَ الرَّدهَة.

بالأسـفل اصطـفَّ الجميـع ليسـتطيعوا المشـاهدة، وكان صـوت ضَبـطِ نغـمات الآلات الموسـيقية مسـموعًا مثـل آلـة "قوكيو"[1] و"شاميسـن"[2].

ظلَّـت "تائيقـو" مـع "سـاطوو" 20 دقيقـة بأكملها، وهـما تقفـان بجوار البـاب الجـرَّار لغرفـة المعيشـة، لكـن جاءهـا "إيتاكـورا" قائلًا:

"أنتِ. هيَّا فلتُسرعي"، ووقف في انتظارها.

"حسنًا. أنا مُستعدَّة"، قالتها وفتحت الباب وأضافت:

""إيتاكورا"، هيَّا، أمسك هذا الطَّرف".

وجعلتـه يمسـك بطـرف الكيمونـو، ونزلَـت السُّـلَّم ونـزل بعدهـا كلٌّ مـن "تينوسـوكيه" و"ساتشـيقو" والصغـيرة "إتسـوقو" مـع بعضهـما البعـض، وبمجـرَّد أن بـدأت الفقـرة دخـل "تينوسـوكيه" بـين مقاعـد المشـاهدين في هـدوء، وربَّـت عـلى كتـف طفـل مـن الأطفـال الألمـان الذيـن يشـاهدون "تائيقـو" عـلى منصَّـة الرقـص بـكل تركيـز.

""فريتز" ذاك الشخص هناك، أنا لا أدري مَن هو".

امتعـض وجـه "فريتـز" بشـدَّة، والتَفَـت بوجهـه ليُبـيِّن لـه ذلـك، وعـلى الفـور عـاد مُثبِّتًـا ناظريـه عـلى منصَّـة الرقـص مـرَّةً أخـرى.

---

(1) こきゅう 胡弓: آلـة عـزفٍ يابانيَّـة تقليديَّـة بثلاثـة أو أربعـة أوتـار، ويُعـزَف عليهـا بالقـوس، وهـي ذات صـوت وشـكل مُميَّـز.

(2) しゃみせん 三味線: آلة عزف تقليدية بثلاثة أوتار، وهي في الأصل آلة صينيَّة.

الفصل الرّابع

إنـه صبـاح اليـوم الخامـس مـن شـهر يوليـو، وبالضبـط بعـد شـهرٍ بالتـمام مـن الملتقـى لتلـك الرقصـات. بشـكلٍ عـام، تتزايـد كميـة هطـول الأمطـار بهـذه السـنة منـذ شـهر مايـو مُقارَنـةً بالسـنين الماضيـة، وبمجـرَّد بـدء الفصـل المطير والأمطـار لا تتوقّـف، وأيضًـا منـذ حلـول هـذا الشـهر والأمطـار تسـتمرُّ باليومـين، لكـن منـذ فجـر اليـوم الخامـس تزايَـدَت شِـدَّتُها عـلى حـين غـرَّة، وأصبـح المشـهد غائِمًـا، لا يسـعك رؤيـة الأمطـار الغزيـرة تتوقّـف أبـدًا.

بعـد قرابـة اثنتـي عـشرة سـاعةً سـجَّل إقليـم "أوسـاكا وقوبيـه" وضعًـا كارثيًـا لم يتوقّعـه أحـد، حيـث كان الفيضـان هائِـلًا. حتـى ببيـت "أشـيا" كان الوضـع ليـس أحسـن حـالًا.

جـرت العـادة أن تخـرج "أوهـارو" قرابـة السـابعة لتذهـب بالصغـيرة للمدرسـة، وبالفعـل أخـذت اسـتعداداتها للمطـر قَـدرَ الإمـكان، واتَّخـذَت طريقهـا وسـط العاصفـة الرعديـة المطـيرة.

كانت مدرسة "إتسوقو" هي ثالث بناية تقريبًا بعد عبور طريق "هانشين" الدولي السريع، وجنوبًا بعد خَطِّ السكة الحديد، وبمكانٍ قريب من ضفَّة نهر "أشيبا"، وعادة ما كانت تعبر "أوهاروا" للجهة المقابلة بأمانٍ وتتركها لتكمل طريقها وتعاود هي، لكن بذاك اليوم بسبب الأمطار الغزيرة أوصلتها "أوهارو" حتى المدرسة وعادت للبيت والساعة تجاوزت الثامنة والنصف.

أثناء عودتها نزلت الأمطار بغزارة، وهرول شباب المجموعات الأمنية للتحذير من المياه؛ فالتفت في طريقها وخرجت عند ضفَّة النهر وعاوَدَت أدراجَها بعدما رأت كَمَّ المياه المتزايدة بالنهر. كان الوضع رهيبًا بمنطقة جسر"ناريهيرا باشي".

روت "أوهارو" أن المياه كانت تتدفَّق بشكلٍ مُرعِب وتكاد تطال الجسر، لكن ومع ذلك لم يكن هناك أيَّة تنبُّؤات بالوضع رغم خطورته.

بعدما عادت "أوهارو" ببضع دقائق همَّت "تائيقو" تستعدُّ للخروج، وانتعلت حذاء مطاطيًا، وارتدت معطفَ مَطرٍ من الحرير المشمَّع بلون الزُّمرُّد.

رغم أن "ساتشيقو" استوقفتها قائِلةً: "هل ستخرجين بذاك الوقت العصيب؟!"، إلَّا أنها كانت بذاك الصباح لن تتوجَّه إلى "شوكوجاوا" كالمعتاد، بل كان يوم الذهاب إلى مدرسة الحياكة التي في "موتوياما".

لم تتوقَّف "تائيقو"، بل مازَحَتها قائِلةً:

"الخروج بالمطر مُمتع، حتى وإن كان غزيرًا إلى ذاك الحَدِّ".

فقط "تينوسوكيه" هو مَن انتظر متريِّثًا، وبينما هو يبحث عن أشياء بمكتبه متردِّدًا، بلغ مسامِعَه الصَّوتُ المزعج لصافرة الإنذار.

بـذاك الوقـت كانـت شِـدَة الأمطـار بلغـت ذروتهـا، وحـين نظـر "تينوسـوكيه" أدرك أن مكانهـم هـو الأكـثر انخفاضًـا، ومـع تجمُّـع ميـاه الأمطـار بالرُّكـن الجنـوبي الشرقـي لحديقـة مكتبـه أصبـح أسـفل شـجرة المشـمش أشـبهَ ببِركَـةٍ مسـاحتها 7م2.

لكنـه لم يُقِـرَّ بَعـدُ أن الوضـع أصبـح غريبًـا، ففـوق ذلـك كلـه المـكان لا يبتعـد كثـيرًا عـن الضفَّـة الغربيـة لنهـر "أشـيًا"، وهـذا أيضًـا لم يجعلـه يستشـعر أن الخطـر بـات وشـيكًا.

لكـن بمـا أن مدرسـة الصغـيرة أقـرب للنهـر منهـم؛ فـماذا إذا انكـسر السَّـدُّ؟ أي منطقـة سـتتهدَّم أوَّلًا؟

تُرى، هل تلك المدرسة الابتدائية بخير حال؟

وهـذا أول مـا تبـادر لذهنـه، لكنـه لم يرغـب في إثـارة قلـق زوجتـه دون داعٍ؛ لذلـك هـدَّأ مـن روعـه، وعـن عَمـدٍ خـرج مـن غرفتـه المنفصلـة هـذه بعـد قليـل مـن الوقـت، وبمجـرَّد أن خطـا خَمسَـةَ أو سِـتَّةَ خطـوات مـن بيتـه أصبـح مُبتَـلًا بالكامـل.

تسـاءَلَت "ساتشـيقو" عـن سـبب صافـرة الإنـذار، وظنَّـت أنـه بالتأكيـد هنـاك خَطـبٌ مـا هـي لا تدريـه، وأرادت أن تخـرج لـترى مـا يحـدث بالجـوار، ومـا إن ارتـدت معطـف المطـر فـوق رداء الكيمونـو مـن نـوع "ساتسوماجاسـوري"[1]، واتَّجَهـت للبـاب حتـى امتقـع لـون وجـه "أوهـارو"، لقـد كان المعطـف مُلطَّخًـا بالوحـل بعدمـا جـاءت مُسرِعَـةً مـن البـاب الخلفـي.

رأت "ساتشـيقو" وَضـعَ الميـاه المتزايـدة. تنبَّهَـت لكـون الإنـذار يـأتي مـن جهـة المدرسـة الابتدائيـة، ودون أن تـدري هرعـت لتلـك الجهـة.

---

(1) نـوع مـن الملابـس يُصنَـع بمنطقـة "ساتسـوما"، وهـي مقاطعـة قديمـة تقـع في محافظـة كاجوشـيما الحاليـة، والتـي تشـتهر بمنسـوجاتها القطنيـة عاليـة الجـودة والنقـوش المميَّـزة.

كانـت المياه للتّـوّ وصَلَـت للناحيـة الشرقيـة مـن المنـزل وتـأتي مـن منطقـة التـلال الجبليـة مُتَّجِهَـةً نحـو البحـر وتتدفَّـق بـكل قـوَّة وسرعـة مـن الشـمال للجنـوب. في البدايـة كانـت تنغمـس في المـاء حتـى سـاقيها في محاولتهـا لمواصلـة السـير جهـة الـشرق وسـط تلـك المياه، ثـم بعـد بضـع خطـوات غمـرت الميـاهُ رُكبَتَيْهـا وأوشـكت أن تغطِّـي سـاقيها بالكامـل، وصـاح بهـا شـخصٌ مـن أعـلى سـطح أحـد البيـوت، وكان يرمقهـا بنظـرات شـديدة الغضـب ويـصرخ بهـا:

"إلى أين ستذهبين؟ كعادة كلِّ النساء... أفعالكن غير منطقية".

توجَّهَـت ساتشـيقو بناظرهـا تبحـث عمَّـن هُـم بـزيٍّ مجموعـات الأمـن والحراسـة، ولكـن بـدا ذاك الوجـه مألوفًـا بالنسـبة لهـا. إنـه الشـاب "يـا أوتسـونيه"، وحـين همَّـت بسـؤاله مـا إن كان هـو تنبَّهَـت لوجـود "أوهارو"أمامهـا، وواصـل صياحـه:

"هـل هـذا جنـون! أبِوَسـطِ هـذه الميـاه! حتـى الرجـال لا يمكنهـم الخـوض أكـثر مـن ذلـك؛ فالحَـدَث جَلَـلٌ قُـربَ النهـر. لقـد تهدَّمَـت بيـوتٌ ومـات أشـخاص".

وحاول الشاب أن يلقي على مسامعها المزيد، وقال:

"يبـدو أن هنـاك انهيـارًا أرضيًّـا جهـة فيضـان نهـر "أشـيّا جـاوا" و"قووزاجـاوا"، ومـن جهـة الجـسر بشـمال خَـطِّ سـكة حديـد "هانكيـوو" تتدفَّـق الميـاه جارِفَـةً البيـوت، والصخـور والرمـال، والأشـجار، وكلهـا تلـو بعضهـا البعـض تتكـدَّس كالجبـال؛ لأن السـدَّ يعـوق التيـار، وبسـبب فيضـان الأنهـار عـلى الضفـاف والطُّـرق فالوحـل يـدور في دوَّامـاتٍ يصـل عُمقُهـا لثلاثـة أمتـار في بعـض المناطـق، والكثـير مـن البيـوت يطلـب سُـكَّانُها الإنقـاذ مـن عـلى الأسـطح".

كانـت "أوهـارو" أكـثر مـا تقلـق بشـأنه هـو المدرسـة الابتدائيـة؛ لذلـك مهـما حـدث بتلـك المنطقـة ومهـما كانـت لا تـدري مـا آلـت إليـه الأوضـاع

ستذهب، لكن بوجهٍ عام إن كانت أعالي الطريق السريع تضرَّرت بشكل بالغ فربما بالأسفل قُرب النهر ليس كذلك، والأهم أنه إذا كان الدمار هائِلًا جهة الضفة الشرقية فربما الجهة الغربية ليست إلى ذلك الحدِّ، وربما المدرسة الابتدائية بخير حال.

إن هذا مُجرَّد كلام انفعالي لذلك من الأفضل أن تحاول الذهاب للمدرسة من طريق ما ملتفٍّ، لكن ليس هناك أي طريق لم تُغرِقه المياه بعد مهما التفَّت، وإنما كلما اتَّجَهت شرقًا كلَّما زاد عمق المياه، ولو اقتصر الأمر على العمق فقط لهانت؛ فالمياه تتدفَّق بسرعة، والخطورة ما إذا انزلقت قدمها هنا، حينها ستصطدم بكلِّ ما جلبه الفيضان مُتدفِّقًا من أعلى من أحجار وجذوع أشجار، والأسوأ هو انجرافها حتى البحر. حتى وإن تمسَّكت بحبال الإنقاذ من مجموعات الأمن تحسُّبًا لخطر الموت وغيَّرَت طريقها، فهيئتها كامرأة ستعوقها، وما باليد حيلة، فمن البداية عليها أن تعود أدراجها. هكذا ظنَّت "أوهارو".

عادت "أوهارو"...

وكلهم عادوا أدراجهم...

على الفور حاول "تينوسوكيه" الاتِّصال بالمدرسة هاتفيًا، لكنَّه وجد أن الاتصالات مقطوعة، فقال لـ "ساتشيقو":

"إذن سأذهب أنا".

لكن"ساتشيقو" لا تتذكَّر بِماذا أجابته، فقط حين همَّ بالخروج انهمرت الدموع المتجمِّعة بأعيُنِها كلِّها فجأةً، ولحظتها احتضنها زوجها بشدَّة، وهذا كل ما تَذكُره.

استبدل "تينوسوكيه" ملابسه اليابانية بأسوأ ملابس غربيَّة لديه، وانتعل حذاءه البوط المطاطيّ طويل الرقبة، واعتمر قبعته المضادَّة للماء على معطف المطر وخرج، لكنه بعدما سار عدَّة خطوات ونظر للخلف وجد "أوهارو" وهي تهرول إليه. إنها منذ قليل عادت للمنزل كفأر مُبلَّل مُغطَّى كله بالوحل، لكنها بهذه المرة ترتدي زيَّها برباط الأكمام[1]، وحول خصرها حزام أحمر يشدُّ حاشية ثيابها.

صاح بها "تينوسوكيه":

"لماذا تأتي إليَّ. عودي للمنزل".

لكنها لاحَقَته وقالت له إنه لن يتمكَّن من الذهاب للمدرسة من هذا الطريق، بل عليه التوجُّه جنوبًا مباشرة دون الذهاب جهة الشرق، وتبع "تينوسوكيه" كلامها حتى وصل للطريق السريع.

خاض طريقه جهةَ الجنوب قدر الإمكان، وحين أصبح على مقربة بنايتَيْن من خط سكة حديد "هانشين" اعتبر حاله نجح في الوصول دون أن تطيح به المياه الهائلة المتدفِّقة، لكنه كي يصل للمدرسة يجب عليه أن يقطع الطريق شرقًا.

لحسن الحظ كان الماء بهذه المنطقة عمقه لا يتجاوز ارتفاع حذائه المطاطي، وحين عبر خطَّ السكة الحديد ليقترب من الطريق وجد الماء ضحلًا أكثر على غير المتوقَّع. بذاك الوقت تمكَّن أخيرًا من رؤية مبنى المدرسة في طريقه، ورأى الأطفال يطلُّون بوجوههم من نوافذ الطابق الثاني، والمدرسة ليس بها أي شيء غير عادي، وجاء من خلفه صوت مُفعَمٍ بالسعادة يقول يا للفرحة!

والتفت ليجد "أوهارو" لا تزال تتعقبه وهو لم ينتبه لوصولها.

---

(1) たすき 襷 tasuki.

كان تدفُّق المياه لا يزال كما هو سريعًا، فكان عليه أن يخطو كلَّ خطوة بحذر، وبتسرُّب الماء داخل حذائه البوط ثَقُلَت قدماه وأصبح عليه أن يحترس أكثر، أمَّا "أوهارو" الأقصر قامة منه والتي تلطخ رداؤها بالوحل حتى حزامها الأحمر استخدمت مظلَّتها كعُكَّاز، وتَمسَّكَت بحوائط البيوت وأعمدة الإنارة وهي بالكاد تجرُّ قدميها وتلاحقه طوال الطريق.

كانت "أوهارو" دائمًا ما تُهَمهِم بأقوال شهيرة من الأفلام مثل: "يا للفرحة!"، "أي نوع من الأشخاص هذا!"، هكذا لحالها، وتبدي اعجابها أحيانًا، وتثير الريبة حينًا آخر، وتصفِّق بيدها، وهذا كله من ضمن عاداتها والتي تَعجَّب "تينوسوكيه" بشدَّة لظهور أحدها وسط الفيضان بكل مخاطره.

لم تستطع "ساتشيقو" أن تظلَّ هكذا لا تُحرِّك ساكِنًا بعد خروج زوجها، وكلَّما هدأ المطر قليلًا خرجت أمام البوَّابة؛ فمرَّ سائق المرآب المقابل لمحطة "أشييا" وألقى عليها التحية، وكان أول هَمِّها أن تسأله أوَّلًا عن حال المدرسة الابتدائية. أجابها بأن المدرسة على الأغلب بخير حالٍ ولن يغمرها الفيضان لأنها بمكان مرتفع حتى وإن طالت المياه أماكِنَ أخرى بنفس المنطقة، فهي على الأرجح أكثر مكانٍ آمن، ولو أنه لم يذهب بذاته ليرى.

تنفَّسَت الصعداء بسماعها لذلك الحديث، لكن السائق استطرد:

"كل الأقاويل تؤكِّد أن الوضع بنهر "أشييا" قاسٍ، ولكن فيضان نهر"سومي يوشي" عنيف لأقصى حَدٍّ. توقَّفَت كل خطوط السكك الحديدية، وكل الطرق أيضًا مقطوعة؛ ولذلك لم يتَّضِح لي الوضع بالضبط، وإنما سَألتُ مَن يأتون سيرًا على الأقدام من جهة الغرب، وقالوا إن الطريق حتى محطَّة "ياماموتو" بخَطِّ سكة حديد "شووسن"

الفيضـان بنفـس القـوَّة، فالسـير مُمكِـنٌ عـلى خـطِّ السـكة الحديـد، ولم تَطَلْـه المياه، لكـن كلـما توجَّهـت غربًـا سـتجد التيـار الموحِـلَ يتدفَّـق بعُنـفٍ في كل مـكان مُتَّجِهًـا للبحـر، أمَّـا عنـد الجبـل فالأمـواج العاتيـة تلتـفُّ عَكسـيًّا، وتطـوي بعضهـا بعضًـا، وتجـرف كل شيء تحتهـا. النـاس تنجـرف وتـصرخ طالبـة النجـدة وتحـاول التَّمسُّـك بأغصـان الأشـجار، ولا يمكـن فعـل أي شيء لهـم".

... مثـل هـذا الحديـث جعـل القلـق يُداهِمها حيـالَ أختهـا "تائيقـو"، ومـا إن كانـت بمأمـن. إنَّ مدرسـة الخياطـة التـي تـتردَّد عليهـا ببلـدة "ياماموطـو" هـي جهـة الشـمال قليـلًا مـن محطـة الحافـلات التـي عنـد مدرسـة "بنـات قونـان" عـلى الطريـق الـدولي. إنهـا ثالـث بنايـة تقريبًـا مـن ضفـة نهـر "سـومي يـوشي"؛ لذلـك فالحديـث الـذي دار مـع السـائق الآن يجعلهـا بـكل الأحـوال تتخيَّـل أختهـا وهـي وسـط بحـور مـن تيـارات موحِلـةٍ جارِفَـة.

قـال لهـا السـائق أيضًـا إن "تائيقـو" حـين تذهـب لمدرسـة التفصيـل تخـرج سَـيرًا عـلى الأقـدام حتـى "تسـوچي"[1]، ثـم تسـتقلُّ الحافلـة، وعـلى حَـدِّ هـذا القـول فهـي بالتأكيـد تذهـب جهـة الطريـق الـدولي. هـو لم يمـرَّ مـن هنـاك، ولكنـه ربمـا بعـد وصولهـا ازداد تدفُّـق الميـاه هكـذا وأصبـح الوضـع مُقلِقًـا عـمَّا هـو عليـه بالمدرسـة الابتدائيـة.

هرعـت "ساتشـيقو" إلى الداخـل مرتبكـة ولا تـدري مـاذا عليهـا أن تقـول، وبـكل مـا بهـا مـن قـوة نـادت عـلى "أوهـارو".

لكـن "أوهـارو" خرجـت خلـف زوجهـا ومـا زالـت لم تَعُـد بعـدُ. انقلبت ملامـح وجههـا عـلى الفـور كطفلـة صغـيرة وبـدأت في البـكاء. اندهشـت كلتـا الخادمتـين: "أوهانـا" و"أو أوكي"، وحدَّقتـا بوجههـا البـاكي في صمـتٍ،

(1) اسم مكان بمدينة" أشيا"، في محافظة "هيوجو".

فشعرت بالإحراج قليلًا وهربت من غرفة الجلوس للتراس، ثم نزلت بالعشب الأخضر في الحديقة.

أطلّت السيدة STOLZ برأسها من على السور السِّلكيِّ ونادت عليها ووجهها ممتَقِعٌ لَونه:

"سيدتي، عفوًا... ماذا فعل زوجك؟ ماذا عن مدرسة "إتسوقو"؟".

"زوجي ذهب ليأتي بها، ومدرستها في الغالب لم تتضرَّر. وأنتِ سيدتي... أين زوجك؟".

"زوجي ذهب ليأتي بـ "بيتر" و"رومي" من "قوبيه"، وأنا في غاية القلق".

منذ بدء أحداث الحرب اليابانية الصينية الثانية[1] وكل المناطق التجارية خاوية، وفيما بين الأطفال الثلاثة لعائلة STOLZ لا يزال "فريتز" صغيرًا لا يذهب للمدرسة، بخلاف "بيتر" و"روزماري" اللذين يذهبان للمدرسة الابتدائية الألمانية التابعة للنادي الألماني بمنطقة التلال الجبلية في "قوبيه".

رب عائلة STOLZ هو أيضًا عمله في "قوبيه"؛ لذلك كانت تراه من ذي قبل يخرج مصطحبًا أطفاله الثلاثة، وأحيانًا يخرج وأحيانًا يبقى، ومؤخَّرًا أصبح يخرج بالصباح ومعه طفلان فقط.

وعليه، فبهذا الصباح أيضًا كان الأب متواجِدًا بالبيت، لكنه راوده القلق على أبنائه، وقال إنه سيذهب ليرى الأحوال في "قوبيه"، وللتَّوِّ خرج وهو بالطبع لا يدري أن الفيضان بلغ ذلك الحد، وكان لا يعلم أيضًا أن خطوط القطارات متوقِّفة، ومن حُسن الحَظِّ أنه لم يصل للطريق. هكذا روت لها السيدة STOLZ وهي في غاية القلق. كانت إجادتها لليابانية ليست أفضل حالًا من أبنائها، وبالرغم من انخراطها

(1) الحرب اليابانية الصينية الثانية 1937 - 1945.

في الحديث إلَّا أن الأمر كان صعبًا عليها، وكانت "ساتشيقو" لتجاريها تَمزِج بحديثها كلماتٍ إنجليزيَّةً غير واضحة لتهدِّئ من روعها وتطمئنها وتلهيها قدر الإمكان، فقالت "ساتشيقو":

" إن زوجك بالتأكيد.. بالتأكيد سيعود بأمان. هذه المياه فقط في "أشيبا" و"سومي يوشي"، وليس بالضرورة أن يكون الوضع هكذا في "قوبيه". "بيتر" و"رومي" بخير حال... أنا حقًّا متأكِّدة من ذلك. قطعًا هُم في أمان".

وبعدما أعادت كلماتها مرارًا وتكرارًا وجعلتها تبتهج قليلًا انصرفت قائِلَةً:

"حسنًا، ألقاك لاحقًا".

قالتها وعادت لغرفة الجلوس، ومن البوابة الرئيسية التي كانت مفتوحة بالفعل منذ وقت قليل مضى جاءت "إتسوقو" برفقة "تينوسوكيه" و"أوهارو".

كالمتوَقَّع، المدرسة الابتدائية التي بها الصغيرة كانت بمأمن وبعيدة تمامًا عن منسوب المياه، أمَّا المناطق المحيطة بها فغمرتها المياه بالكامل، وبملاحظتهم لمنسوب المياه لحظةً بلحظة أوقفوا الحصص الدراسية، وجمعوا التلاميذ كلهم بفصول الطابق الثاني، وحرصًا على سلامة الأطفال جعلوا أولياء أمورهم يأتون بأنفسهم، وبالفعل تمَّ تسليم الأطفال واحِدًا تلوَ الآخر لذويه، ولهذا تساءلت "إتسوقو" نفسها عمَّا حدث ببيتهم دون أن يصيبها الرعب، وبإسراع أبيها و"أوهارو" بالمجيء لها أصبحت هي من أوائل التلاميذ الذين غادروا، فمن بعد "تينوسوكيه" تَتابَع أولياء الأمور لأخذ أبنائهم.

أخذ "تينوسوكيه" ابنته وتوجَّه بالشكر للمدرِّسين ومدير المدرسة، واتَّخذ من نفس الطريق الذي جاء منه سبيلًا لعودته، وكان لوجود "أوهارو" فائِدَة؛ أنها فور رؤيتها لـ "إتسوقو" سالِمَةً بردهة المدرسة

تشبَّثَت بها رغم ملابسها المتّسخة بالوحل، قائِلَة: "فتاتي الصغيرة"، وجعلت الجميع من حولها تصيبهم الدهشة، وبطريق الرجوع اجتازت تيّارَ المياه وكأنها تحمي "تينوسوكيه".

ارتفع منسوب المياه حوالي سبعة سنتيمترات عن ذي قبل، واشتدَّت قوة المياه؛ فتوجَّب على "تينوسوكيه" حمل ابنته على ظهره في حَيِّزٍ ضَيِّق، وهنا أصبح المشيُ مَهمَّةً عسيرة مع الحِمل، وكلما جاهد لرفع قدمه حاولت "أوهارو" بجسدها أن تُجنِّبه قوَّة المياه المندفعة بشدَّة، فإذا لم يَبقَ جَنبًا لجنب معها لما استطاع أن يخطو خطوة واحدة في هذا الوضع الخطير؛ ففي الأماكن العميقة كانت المياه من جهة "أوهارو" تُغرِقها حتى خاصرتيها، وهذا لم يكن من السهل أبدًا.

استمرَّت المياه في الاندفاع من الشمال للجنوب، وأصبحت كل الطرق وكأنها تتَّجِه للغرب فقط؛ ممَّا تطلَّب تركيزًا شديدًا لقَطع الطريق من ناحية لأخرى. قدَّمَت فرق الإنقاذ يَدَ العون ومَدَّت الأحبال للتمسُّك بها، وأذاعت التحذيرات، لكن بإحدى المناطق لم يكن هناك أيٌّ من وسائل الإنقاذ تلك؛ فتمسَّك اثنتاهما ببعضهما البعض بشدَّة، واحتاج استخدام مظلَّة "أوهارو" لمزيدٍ من القوة، وبصعوبةٍ تَمكَّنوا من العبور.

بالرغم من كل هذا، فرحت "ساتشيقو" بسلامة ابنتها، ولم يكن لديها مُتَّسعٌ من الوقت لتُقدِّم الشكر لـ "أوهارو"، أو حتى زوجها، بل قطعت الحديث مع زوجها وهي يبدو عليها الانزعاج، وسألته:

"أنت، ماذا عن أختي الصغيرة؟".

وبدأت في البكاء مرَّةً أخرى.

الفصل الخامس

عـادةً مـا لا يسـتغرق مشـوار "تينوسـوكيه"للذهاب إلى المدرسـة الابتدائيـة والعـودة أكـثر مـن ثلاثـين دقيقـة، ولكـن بـذاك اليـوم اسـتغرق مـا يزيـد عـن سـاعة. بتلـك الأثنـاء تناقَلَـت أنبـاء عـن فيضـان نهـر "سـومي يـوشي"، وعـن أن التيـار الموحِـلَ غـرب طريـق "تانـاكا" الـدولي أصبـح وكأنه نهـرٌ عظيـم يكتسـح كلَّ مـا أمامـه، وبـدا أن الوضـع كارثيٌّ في كلٍّ مـن: "نويـوري"، "يوقويـا"، و"أوچـي"، وجنـوب الطريـق الـدولي حيـث سـوق "قونـان" أيضًـا، واختفـى ملعـب الجولـف وأصبـح وكأنـه امتـدادٌ للبحـر، والضحايـا مـن كل أنـواع الكائنـات الحيـة، والبيـوت المتدمِّـرة المنجرفـة توضِّـح أن أعـداد الخسـائر هائلـة...

عـلى هـذا المنـوال شـاعت الأنبـاء وكان الوضـع غامِضًـا، وكل مـا وصـل لمسـامع أسرة "ساتشـيقو" دلَّ عـلى الإحبـاط. لكـن "تينوسـوكيه" لديـه تجربـة سـابقة مـع الكـوارث بتواجُـدِه وقـت الزلـزال المدمِّـر لإقليـم

"الكانتـو"[1]، وهـو يـدري أنـه في مثـل هـذه الأحـوال تنتـشر الشـائعات مليئـةً بالتهويـل، فـضرب ذاك المثـل ليهـدِّئ مـن روع زوجتـه "ساتشـيقو" بعدمـا أصبَحَـت في حالـة بائسـة مـن قلقهـا عـلى أختهـا الصغـيرة "تائيقـو".

إن وصـل إلى خَـطِّ السـكة الحديـد سـيتمكَّن مـن الوصـول إلى محطة"موطوياما"، ومنها سـيمكنه الذهـاب إلى أي مـكان يريده، وسـيتأكَّد بعينيـه مـا إن كانـت قـوة المياه كـما يُشـاع حقًّـا، لكـن حتـى وإن ذهـب بنفسـه فـماذا عسـاه أن يفعـل!

مـاذا إذن وهـو لديـه شـعور بـأن الوضـع ليـس كذلـك؟ إنـه عـلى درايـة بأوقـات الكـوارث، ويعـرف أن مُعـدَّل وفيـات الأشـخاص في الكـوارث الطبيعيـة ليـس بكثـير، وبخـلاف المُتوقَّـع، والتفكـير بالأمـر برُمَّتـه بنظـرة شـمولية يبيِّن أنـه حتـى الحـالات التـي ليسـت في حاجـة ماسَّـةٍ للمسـاعدة عـادَةً مـا يتـمُّ إنقاذهـا، إذن فلِـمَ القلـق؟!

الـصراخ والنحيـب الآن شيء سـابِقٌ لأوانـه، ومـن الأفضـل لــ "ساتشـيقو" أن تهـدأ وتنتظـر عودتهـا مهـما تأخَّـرَت دون قلـق، وهـو لـن يخـوض مغامـرة متهوِّرَةً، وأينـما رأى اسـتحالة المضيِّ قُدُمًـا سـيعود أدراجـه. هكـذا قـال "تينوسـوكيه"، وجعـل زوجتـه تُعِـدُّ لـه كُـرات الأرز بعنايـة، مـع القليـل مـن مـشروب "BRANDY"؛ تَحسُّـبًا للشـعور بالجـوع بمشـواره، وأخـذ بجيبـه بضعـة أقـراص دواء، وتَفادِيًـا لخبرتـه السـابقة مـع الحـذاء البـوط طويـل الرقبـة انتعـل حـذاءً عاديًّـا وبنطـالًا، وخـرج مـرَّةً أخـرى.

ربمـا المسـافة حتـى "نويوري"أكـثر قليـلًا مـن 2.5 ميـل مـا إذا سـار بمحـاذاة خـط السـكة الحديـد.

(1) إقليـم الكانتـو يضـمُّ طوكيـو والمناطـق المحيطـة بهـا، وقـد وقـع بهـا زلـزال مُدمِّـر في الأول مـن سـبتمبر عـام 1923، وتـضرَّر أكـثر مـن 900 ألـف شـخص، وراح ضحيتـه 105 آلـف شـخص، وكان يُعتَـبَر أكـبر كارثـة في تاريـخ اليابـان، إلى أن وقـع زلـزال شرق اليابـان الـكارثي في 11 مـارس 2011، والـذي كانـت خسـائره غـير مسـبوقة.

كان "تينوسوكيه" يُحبُّ المشي ويعرف جيِّدًا مَعالِمَ تلك المنطقة، وكثيرًا ما يَمرُّ أمام البناية التي بها مدرسة التفصيل والتي هي مبتغاه الوحيد الآن. إذا خرج من خط السكة الحديد العام لمحطة"موطوياما" واتَّجه غربًا عشر بنايات ثم جنوبًا، فعندما يتفرَّع الطريق سيجد "مدرسة بنات قونان" ومدرسة التفصيل بالجوار في الغرب قليلًا، أمَّا إذا اتجه جنوبًا مباشرة من خط السكة الحديد فسيجد المدرسة بعد بناية واحدة، ولو استطاع الوصول لأي مكان بالجوار من على مسار السكة الحديد سيُمكِنه تَقصِّي حجم الدمار الذي لحق بالمنطقة، حتى ولو لم يصل لمدرسة التفصيل بعينها.

بمجرَّد خروج "تينوسوكيه" تَبِعَته"أوهارو" مرَّةً أخرى بتهوُّرٍ كعادتها، لكنه صدَّها، مُعنِّفًا إيَّاها قائلًا:

"بهذه المرَّة حَقًّا يجب ألَّا تذهبي، ومن الأَوْلَى أن تبقي بالبيت مع "ساتشيقو" والصغيرة؛ فكلتاهما لا يمكن الاعتماد عليه"، وشدَّد على طلبه منها بالبقاء، وخرج متَّجِهًا شمالًا نحو خط السكة الحديد.

لم يَرَ مياهًا بين الأبنية على الإطلاق، فقط من جهة الغابة والحقول التي على الجانبين تفيض المياه، لدرجة أن عُمقَها قد يصل لـ 60 أو 90 سم، وبالخروج من الغابة وصولًا إلى "تانابيه" تنحسر المياه وتتبقَّى فقط بشمال خَطِّ السكة الحديد. أما في الجنوب فكان يومًا كسائر الأيام العادية، لكن كلَّما اقترب من محطة "موطوياما" تظهر المياه شيئًا فشيئًا.

ما زال الوضع آمِنًا على قضبان السكة الحديد، ولم يشعر "تينوسوكيه" أثناء سيره بأيٍّ من الصعاب أو المخاطر تحديدًا، وإنما بين الحين والآخر يصادف مجموعةً من طُلَّاب مدرسة "قونان" الثانوية، فيستوقفهم سائِلًا عن الأحوال هناك، ولم يُجِبه أحدهم إجابةً مثل الآخر؛ فمنهم من قال لا يوجد أي شيء، ومن قال إن الوضع كارثيٌّ عند

محطـة "موطوياما" وما قبلها، وأيضًا هنـاك مَـن قـال لـه: "إذا مشـيت قليـلًا سـتجد الطريـق كلّـه أمامَـك أصبـح كالبحـر"، وحـين قـال إنـه يريـد الذهـاب غربًـا جِهَـةَ مدرسـة "قونـان" أجابـه أحدهـم إن تلـك المنطقـة هـي الأسـوأ عـلى الإطـلاق، وأنـه وقتـما خـرج مـن المدرسـة كانـت الميـاه مسـتمرَّةً في التدفُّـق والزيـادة، ولَعلَّهـا الآن غمـرت خـطَّ السـكة الحديـد وأغرقـت جهـة الغـرب كلهـا.

بالنهايـة وصـل "تينوسـوكيه" إلى محطَّـة "موطوياما" ورأى بنفسـه، وبالفعـل كانـت قـوة الميـاه هائِلَـة بهـذه المنطقـة، وأراد أن يريـح قدميـه قليـلًا ويدخـل مبنـى المحطـة، لكـن كل الطـرق أمـام المبنـى كانـت غارقـة بالميـاه، وداخـل المحطـة أيضًـا الميـاه تغمـره أكـثر وأكـثر بـكل لحظـة، ويتراكـم أمـام البوابـات أكيـاس الرمـل والحصـير وموظَّفـو المحطـة والطُّـلَّاب، واحـد تلـو الآخـر يأخـذ دوره ليزيـح الميـاه مـن الأركان بمقشَّـة. إذا اقـترب "تينوسـوكيه" أكـثر سـيتوجَّب عليـه أن يأخـذ دورًا هـو الآخـر ويأخـذ المقشَّـة ويقـدِّم المسـاعدة؛ فالتقـط أنفاسـه وواصـل السـير مـرَّةً أخـرى عـلى القضبـان، مُعَرِّضًـا ذاتـه لخطـر الأمطـار التـي اشـتدَّت قُوَّتهـا مـرة أخـرى. كانـت الميـاه موحِلـةً مُتعكِّرَة باللـون الأصفـر، تشـبه للغايـة نهـر "يانـج تـسي YANGTZE"[1]، ويمتـزج صَفارهـا بأوسـاخَ سَـوداءَ عالِقَـةٍ بداخلهـا كحبـوب الفاصوليـا.

خطـا "تينوسـوكيه" بقلـب المـاء مـن بـين الحـين والآخـر، ودقَّـق بعـض الـشيء وتذكَّـر أنـه أثنـاء سـيره كان فيضـان نهر"تانـاكا" يتدفَّـق مُقترِبًـا مـن جـسر السـكة الحديـد، وكلـما ابتعـد تختفـي الميـاه مـرَّةً أخـرى عـن القضبـان، لكـن منسـوب الميـاه يرتفـع أكـثر في الجهتـين.

(1) اسم نهر بالصين.

توقَّف "تينوسوكيه" وأمعن النظر بما يراه؛ لقد قال له أحد الطُّلَّاب إن المنطقة هناك أصبحت كالبحر، وها هو ذا المشهد كذلك بالضبط أمام ناظِرَيْه.

بمثل هذا الموقف كلمة "عظيم" أو "مبهر" لن تفي بالغرض، فالحقيقة أن أول إحساس انتابه هو الافتتانُ والذهول، فالوضع لا يقتصر على كونه يدعو للدهشة فقط؛ فهذه المنطقة بالكامل والتي هي على المنحدر الجنوبي جهة خليج "أوساكا" على أطراف سلسلة جبال "روقُّو"، وغابات الصنوبر، وجداول الأنهار، وما بها من صفوف بيوت ذات أسقف حمراء غربية الطراز وبيوت عتيقة للفلاحين- من منظوره ستكون بمنأى عن أي شيء، وصافية الأجواء؛ لأنها مرتفعة لن تطالها المياه، وإقليم "هانشين"[1] هو دائمًا مكان مُبهِج للتَّمشية، لكن المشهد تبدَّل تمامًا وجعله يتخيَّل كيفما يكون الفيضان العظيم لنهرَيْ "يانج تسي" و"هوانج هو"[2] بالصين مَثَلًا!

الفرق الوحيد بينهما وبين مياه الفيضان هذه فقط أنها تتدفَّق من منحدراتٍ بقلب جبال"روقُّو"؛ مِمَّا جعل الأمواج عاتِيَةً وعليها رغوة ناصعة البياض ويتطاير رذاذها وتأتي متسارِعةً واحدة تلو الأخرى، وتراها كما لو أنها ماء مَغليٌّ، كله هائج فورانه. بالتأكيد حيثما تتوقَّف الأمواج ستجد البحر وليس النهر.

هذا بخلاف الأمواج العالية المُعكَّرة بالسواد التي حين تصل تصبح بحرًا مُوحِلًا، وخط السكة الحديد الذي يقف عليه "تينوسوكيه" يمتدُّ كما لو كان رصيفًا بحريًّا داخِلًا لقلب ذاك البحر الموحِل، وفي حَيِّزٍ

(1) إقليم يضمُّ "أوساكا" و"قوبيه".

(2) النهر الأصفر/HOWANG HO هو ثاني أطول نهر بالصين بعد نهر "يانجتزي YANGTZE" وسادس أطول أنهار العالم. طوله 5464 كم.

قريـب ضيِّـق للغايـة يصبـح وكأنـه يغـرق تحـت سـطح المـاء. العـوارض الخشـبية للقضبـان تبـدو وكأنهـا درجـات سُـلَّم طافيـة.

فجـأة وجـد "تينوسـوكيه" اثنـين مـن صغـار السـلطعون يتقافـزان بـين خطـوات قدميـه. إنهـا تهـرب فـوق القضبـان بعدمـا أغرقـت الأنهـار الصغـيرة كل الكبـار منهـا.

وعـلى هـذا الحـال أصبـح ليـس هنـاك أحـدٌ سـواه يسـير عـلى قدميـه، وفكَّـر أنـه ربمـا عليـه أن يلتـفَّ عائِـدًا، لكنـه وجـد مَـن يشـاركه الطريـق مـن طُـلَّاب مدرسـة "قونـان". إنهـم بالصبـاح يحـضرون لسـاعة أو سـاعتين فقـط، ثـم يبـدأ ضجيجهـم مُعلِنًـا انتهـاء الحصـص، وبرؤيتـه لهـم يفـرُّون لمحطـة "أوكاموتـو" مـن كارثـة الفيضـان أيقـن أن الوضـع مُريـبٌ في "هانكيـوو"، ثـم بمجيئهـم إلى محطة "موطويامـا" تأكَّـد أن كل محاولاتـه للذهـاب لـن تجـدي نَفعًـا؛ فاسـتراح قليـلًا بالمحطَّـة.

الـكل سـاعد في نـزح الميـاه مـن داخـل المحطـة في البدايـة، لكـنَّ تَدفُّـق الميـاه كان في تزايُـدٍ مُسـتمرٍّ، وكلَّـما مـرَّ الوقـت أصبـح وجودهـم غـيرَ آمـن؛ وانقسـم المغـادرون إلى مجموعتـين، مجموعـة سـتعود إلى "أوسـاكا" والأخـرى سـتتوجَّه إلى "قوبيـه"، وقـرَّروا أن يسـيروا عـلى خـط السـكة الحديـد. كل الجمـوع كانـت مـن صغـار الشـباب الأصحَّـاء؛ فلـم يشـغلهم مـا قـد يواجهـون مـن مخاطـر، إلى أن عَلِـقَ أحدهـم بالميـاه وارتفـع صوتـه بالصيـاح عـلى نحـوٍ غريـب. تعقَّبهـم "تينوسـوكيه" ليصـل لوجهتـه هـو الآخـر. كانـوا يعـبرون بصعوبـة قفـزًا عـلى العـوارض الخشـبية الطافيـة مـن قضبـان السـكة الحديـد المعطَّلـة، وبالأسـفل يتدفَّـق الفيضـان بعُنـفٍ وبسرعـة تصيـب الناظـر إليـه بالـدوار.

اختفـى صـوت الأمطـار والميـاه، وأصبـح لا يفهـم شـيئًا مـمَّا يـدور حولـه.

ومـن مـكانٍ مـا تعالـت الصيحـات؛ فنظـر ووجـد بالقـرب منـه قطـارًا متوقِّفًـا، ومـن نوافـذه يُطـلُّ تلاميـذ مـن نفـس المدرسـة برؤوسـهم ينـادون عـلى الجمـوع المترجِّلـة هنـا:

"أنتـم... إلى أيـن ذاهبـون؟! كل الأماكـن التاليـة غايـة في الخطـورة. ليـس هنـاك مـكانٌ للعبـور... الفيضـان هائِـلٌ لنهـر "سـومي يـوشي"... تعالـوا هنـا".

صعدوا لعربة القطار، ومن ضمنهم "تينوسوكيه" أيضًا.

كانـت عربـة للدرجـة الثالثـة بقطـار سريـع، وبخـلاف مَـن بداخلهـا من تلاميـذ "قونـان" كان هنـاك أيضًـا العديـد مـن الأشـخاص ممَّـن يبحثـون عـن مـكانٍ آمِـنٍ، حتـى إنـه مـن ضمـن الجمـوع أسرةٌ كوريَّـة تجمَّعَـت مـع بعضهـا البعـض، يبـدو أن منازلهـم انجرفـت، وبالـكاد لاذوا بالفـرار مذعوريـن، وكان مـن بينهـم مصابـون مُلطَّخـون بالدِّمـاء، وامـرأة عجـوزٌ معهـا خادمتهـا، وعـلى الفـور بـدؤوا بالتـضرُّع وتـلاوة الصَّلـوات لبـوذا.

أيضًـا كان هنـاك رَجُـلٌ يبـدو أنـه تاجِـرٌ جائـل يحمـل الأقمشـة عـلى ظهـره، وضـع جانِبًـا اللَّفائِـفَ الكبـيرة للأقمشـة والمنسـوجات، والَّتـي اتَّسَـخَت بالوحـل، وظَـلَّ يُجفِّـف ماعَلَّقـه حـول خـصره مـن ملابـس وغـزلٍ صـوفيٍّ، ويحـاول تجفيـف جسـده.

نَمَـت صُحبَـة الطـلاب بمزيـدٍ مـن الرفـاق، وبـدؤوا في الثرثـرة وهـم بخـير حـال، وأخـرج أحدهـم حلـوى "الكراميـل" ووزَّعهـا عـلى رفاقـه، وكان ينتعـل حـذاء بـوط طويـل الرقبـة، فخلعـه، وقَلَّبَـه، ليخـرج المـاء المتَّسِـخ والرمـال التـي ملأتـه عـن آخـره، ثـم خلـع جوربـه وحـدَّق في قَدَمـه البيضاء المتلطِّخـة، وبعدهـا أخـذ يعـصر ملابسـه المبتلـة بالكامـل ويجفِّـف جسـده العـاري، وشـعر بالخجـل مـن أن يجلـس هكـذا فظـلَّ واقِفًـا مكانـه، أمَّـا باقـي الطُّـلَّاب فكانـوا يتناوبـون الـدَّورَ للجلـوس بجـوار النوافـذ وتَفقُّـد مـا يحـدث بالخـارج. انهـارت أسـقف وانجـرف حصـير البيـوت وعـروق

خشبية ودرّاجات وسيارات تلو بعضهم البعض؛ ممًا أحدث صخبًا، وبتلك الأثناء صاح أحدهم:

"انظروا! كلب هناك".

"ذلك الكلب ألن يساعده أحد؟".

"ماذا! هو ليس ميّتًا... أليس كذلك؟".

" كلّا... كلّا... لا تزال به الروح، انظروا على القضبان تلك...".

كان كلبًا هَجينًا، من فصيلة "TERRIER"، متوسِّط الحجم، ذيله مُتَّسخ بالوحل، يحاول أن يحتمي بعجلات القطار قدر الإمكان من ضربات الأمطار.

نزل إليه حوالي ثلاثة طلّاب وجلسوا القرفصاء وهم يرتجفون ويحاولون طمأنته، إلى أن سحبوه ورفعوه للعربة. انتفض الكلبُ بمجرَّد دخوله وهزَّ رقبته دافِعًا بكل الماء الذي على جسده، ثم جاء أمام الصبية الذين أنقذوه وجلس في هدوء ورفع عينيه إليهم بنظرات يملؤها الرعب، وكأنه مندهش ممًا يحدث. جلب له أحدهم "الكراميل"، وقرَّبها من أنفه، لكن الكلب اكتفى فقط بالرَّائحة ولم يحاوِل تجربة أكلها.

"تينوسوكيه" أيضًا أغرقت الأمطارُ ملابسه وأصبح يشعر بالبرودة؛ فخلع معطف المطر وسُترته واتَّخذ مقعدًا، وأشعل سيجارته بعدما شرب كأسين من الـ "BRANDY". أشارت ساعة يده للواحدة، لكنه لم يشعر بالجوع بعدُ فلم يفتح لفافة طعامه، ومن مقعده وجَّه ناظريه نحو الجبال، واستطاع أن يرى مبنى "مدرسة موطوياما الابتدائية" في أقصى الشمال غارقًا والنوافذ المصفوفة بالطابق الأول أصبحت كبوّابات لسَدٍّ عملاق، وكأنها هي التي تتحكَّم بكمية المياه أمامها وتجعل النهر الموحل الهائل يتقدَّم، لكنه ما إن رأى تلك المدرسة هناك حتى

أدرك مَوقِعَ القطـار، واتَّضـح لـه أنـه متوقِّـفٌ شـمال شرق "مدرسـة بنـات قونـان"، وبالـكاد يبعـد 50 مـترًا، وبهـذا فمدرسـة التفصيـل التـي ينشـدها قـد يصـل إليهـا خـلال بضـع دقائـق لـو كان بيـومٍ عـاديٍّ.

بتلـك الأثنـاء بـدا عـلى الطـلاب بداخـل عربـة القطـار أنهـم ليسـوا عـلى مـا يـرام كـما كانـوا مـن قبـل، وبـدأ الوجـوم يعتـلي وجوههـم وكأنَّ لا أحـد يسـتوعب مـا يحدث.

هكـذا أصبـح واقعهـم، ليـس مزاحًـا عـلى الإطـلاق، وظهـر الاسـتنكار بأعـيُن الفتيـة المُفعَمـين بالحيويَّـة.

أطـلَّ "تينوسـوكيه" مـن النافـذة لـيرى الطريـق الـذي أتى منـه سـابقًا برفقـة هـؤلاء الطـلاب، ووجـد أن القضيـب الحديـدي بينهـم وبـين محطَّـة "موطويامـا" غمرتـه المـياه بالكامـل، وموقـع القطـار بـدا وكأنـه جزيـرة لا أحـد يـدري متـى سـيُدرِكها الطوفـان. عـلى أسـوأ تقديـر ربمـا تتمـوَّج الأرض مـن تحـت القطـار وتهتـز.

كان ارتفـاع جـسر خَـطِّ السـكة الحديـد بهـذه المنطقـة حيثـما نظـر "تينوسـوكيه" قرابـة المتريـن، وكل هـذه المسـافة الآن تنغمـر تحـت المـاء شـيئًا فشـيئًا. السـيل الموحِـلُ يـضرب بقـوَّةٍ مبـاشرة، والأمـواج تتكسَّـر عـلى شـاطئ البحـر، ويتطايـر رذاذهـا، وسرعـان مـا سـتطالهم المـياه؛ فارتبكـوا وأغلقـوا النوافـذ. كان السـيل الموحِـلُ بالخـارج يـأتي ليصطـدم بآخـر، ويَصِلَا معًـا لـذروة الاندفـاع وتـدور دوَّامـةٌ وتعلـو رغـوة بيضـاء.

فجـأة بـذاك الحـين جـاء زوج سـاعية البريـد يجـري مُسرِعًـا نحـو العربة، مُحـاوِلًا الهـرب، ثـم لحـق بـه وقـع أقـدام حـوالي خمسـة عـشر شـخصًا ممَّـن تَـمَّ إجلاؤهـم، لكـن عـلى الفـور جـاء مسـؤول الأمـن والسـلامة بالقطـار وقـال:

"يـا سـادة، مـن فضلكـم توجَّهـوا للعربـة التاليـة، المـياه طالـت العربات التـي في مقدِّمـة القطار".

وأسرع الجميع، منهم مَن يحمل أمتعةً ومَن يحمل ملابس تركها لتَجِفَّ، وآخر يُعلِّق بذراعه حذاءه البوط. الكل يتحرَّك خارِجًا من العربة.

تساءل أحدهم:

"سيدي مسؤول الأمن، هل يمكننا استخدام الأسِرَّة؟".

إنهم بعربة نوم الدرجة الثالثة، وأجابه:

"لا بأس في هذه الظروف الآن".

استلقى بعض الطلاب على الأسرَّة، لكن بدا أن الأوضاع ما زالت مضطربة، فقاموا مرة أخرى وأطلُّوا من النوافذ مُحدِّقين في الخارج.

كان صوت انهمار المياه مُدَوِّيًا كالرَّعد، ولو كان بداخل العربة وليس خارجها لَصَمَّ الآذان.

اختلط صوت الجدَّة التي كانت تتضرَّع بالدُّعاء بحماسة من ذي قبل مع صوت أطفال العائلات الكورية الذين انخرطوا في البكاء فجأة.

"ارتفعت مياه الفيضان".

قالها أحدهم، واتَّجه الجميع نحو النوافذ الشمالية يطلون منها.

لم تصل المياه بَعدُ للقضبان أسفَلَهم لكنها طالت حوافَّ الرصيف ووصلت لقضبان القطار المجاور.

"سيدي المسؤول، هل سيكون الوضعُ هنا آمِنًا؟".

تساءَلَت سيِّدَةٌ مَظهَرُها يدلُّ على أنها في الثلاثينات من العمر وتبدو من المقيمين في إقليم "هانشين".

"حسنًا... يبدو أنه من الأفضل لو استطعنا الهرب لمكانٍ أكثر أمانًا، ولكن...".

حـدَّق "تينوسـوكيه" بهـدوء بمقطـورة جَـرٍّ بالدراجـة انجرفـت داخـل دوامـة. إنـه حـين خـرج مـن المنـزل لم تكـن لديـه نِيَّـة خَـوْض أيَّـة مغامـرة، وبالرغـم مـن قولـه إنـه سـيعود أدراجـه فـور مُصادَفَتِـه لأيِّ خَطَـر إلَّا أنـه بمثـل هـذه الظـروف وهـو يـرى الدراجـة تنزلـق ببـطء لم يسـعه التفكـير بخطـر المـوت مَثَـلًا؛ فهـو ليـس فتـاةً أو طفـلًا، بـل بحالـة طارئـة كهـذه يتبقَّـى بداخلـه نـوعٌ مـن الشـعور بالالتـزام. وعـلى وجـه الخصـوص، شـعر بقلـقٍ عـارمٍ عندمـا تذَكَّـر أن البنايـة التـي بهـا مدرسـة التفصيـل التـي ترتادهـا "تائيقـو" هـي عـلى الأغلـب مـن طابـق واحـد، وإن كان يظـنُّ أن قلـق السـيدة التـي تسـاءلت عـمَّا قليـل تفتقـر للمنطـق، إلَّا أن الهواجـس تجتـاح قلبـه... أليـس كذلـك!

تـراءت لمُخيِّلتـه هيئـة "تائيقـو" وهـي تقـدِّم رقصـة "يـوكي" منـذ شـهر مـضى، باليـوم الخامـس مـن الشـهر المـاضي تحديـدًا. كـم كانـت جميلـةً ومحبوبـة بشـكل غريـب، ورجـع بذاكرتـه إلى الصُّـورة التـي التقطهـا للعائلـة بـذاك اليـوم وهـي تتوسَّـطها، حينهـا بكـت زوجتـه دون سـبب.

ربمـا هـي الآن عـلى سـطح البنايـة تـصرخ طالِبَـةً النجـدة، وبالرغـم مـن أنهـا عـلى مسـافة أقـرب مـمَّا بـين العـين وأنفهـا، ولكـن مـاذا عسـاه أن يفعـل! وتُـرى كـم مـن الوقـت عليـه أن يبقـى هنـا؟ وطالمـا وصـل لأقـرب نقطـة منهـا وخـاض المخاطـر كلَّهـا؛ كيـف لـه أن يعتـذر مـن زوجتـه إن لم يصطحبهـا عائِـدًا للبيـت! وبـدا أمـام عينيـه وميـضٌ خاطـف لتبـدُّل وجـه زوجتـه بتلـك اللحظـة مـن وجـهٍ تكسـوه مشـاعر الامتنـان إلى وجـهٍ بـاكٍ بائـس، وبينـما هـو مسـتغرق في تفكـيره بالأمـر، ويشـاهد مـا يـدور بالخـارج في اهتـمام، فجـأة حـدث مـا خلـع قلبـه من موضعـه هلَعًـا، حيث تراجَعَـت الميـاه مـن جهـة الجنـوب عـلى حـين غِـرَّة، وانكشـفت الرِّمـال، وعـلى العكـس بالجهـة الأخـرى بالشـمال تزايَـدَت أكـثر وأكـثرَ، وتجـاوَزَت الأمـواجُ حتـى القُضبـانَ المرتفعـة، وضربـت شريـط السـكة الحديـد.

"من هنا، هيا، المياه انحسرت بهذه الناحية"، وصاح أحد الطُّلّاب.

"أهذا صحيح! إذن هيًّا... يمكننا الذهاب".

"هيًّا لنذهب لمدرسة بنات "قونان"".

قفز الطلاب مُتسارِعين للأمام، ثم لحق بهم الكثيرون ممَّن يحملون أمتِعَتَهم بأيديهم ولفائف الملابس على ظهورهم، ومن ضمنهم "تينوسوكيه"، لكنه بنفس الوقت الذي نزل به من على رصيف المحطة وهو لاهٍ في حاله أسرَعَت مَوجَةٌ قويَّة فجأة لعربة القطار من جهة الشمال، وكان للماء صوتٌ مُخيف وهو ينهمر على رؤوسهم وكأنه شلَّال، وانخلعت العوارض الخشبية للقضبان من الجوانب. بالكاد استطاع "تينوسوكيه" الهَربَ من تيَّار السيل الموحل، وذهب لمكان جافٍّ مُرتَفِع عن المياه، لكن دون سابق إنذار انغرست قدماه عميقًا في الرمال، وغرق حتى ركبتيه، وانخلعت فردة حذائه وهو يحاول الخلاص، وما إن أفلت قدميه وخطا بضع خطوات حتى وجد مرَّةً أخرى تيَّار مياهٍ مُحتَدِمًا، عَرضُه يقارب السِّتَّ أقدام، والمترجِّلون أمامه يعافرون للعبور وهم على وشك الانجراف.

كانت قوة ذاك التيار لا تُقارَن أبدًا بوقت أن كان يَعبُر حامِلًا ابنته على ظهره من ذي قبل.

راوَدَته الأفكار السيئة بضع مرَّات...

"انجرفتُ ولا محال"...

"لا فائدة"...

بالنهاية وصل للجهة المقابلة وهو لا يزال عالِقًا بالرمال التي تخطَّت خصره، وكادت تبلغ أكتافَه، وبارتباكٍ شديد تشبَّث بعمود الإنارة، وأمسك به وتسلَّقه بيديه وقدميه.

أصبحـت البوابـة الخلفيـة لمدرسـة بنـات "قونـان" أمـام وجهـه، وعـلى بُعـدِ عـشرة أمتـار، وليـس أمامـه اختيـارٌ آخـر سـوى أن يهـرع لهنـاك، لكـن بهـذه العـشرة أمتـار لا زال تيّـار السـيل جارِفًـا، ويبـدو بالنظـر كـم مـن الصعـب عبـوره. كانـت ضلفتـا البوابـة مَفتوحَتَـيْن عـلى مصرعيهـما، والنـاس بالداخـل يمـدُّون لـه شـيئًا أشـبه بالمجرفـة؛ فأمسـك بهـا، ووجـد نفسـه انسـحب للداخـل دون أن يـدري كيـف حـدث ذلـك.

الفصل السادس

بذاك اليوم بدأت تضعف قوّة الأمطار بعدما تجاوَزَت الساعة الواحدةَ ظهرًا، لكن بدون أي مؤشّرات تدلُّ على قِلّة منسوب المياه، وأخيرًا توقَّفَت تمامًا بحين أصبحت الساعة الثالثة، وبدأت تنقشع الغيوم وتظهر السماء الصافية في بعض الأماكن شيئًا فشيئًا.

رأت "ساتشيقو" أن الشمس في طريقها للظهور فمرَّت من أسفل الستارة الخوص الحاجبة للشمس، وخرجت للتراس. لم يكن هناك أي أثر بأيِّ مكانٍ لمثل تلك الانهيارات الأرضية والمشهد يسوده الهدوء. على عشب الحديقة الذي يُشعُّ خضرةً تراقصت فراشتان، وفيما بين شجر الصَّندل وزهور الـ "ليلاك" حَطَّت حمامةٌ في بركة ماء وسط النخيل تبحث عن شيء ما تلتقطه.

فقط توقَّفَت خدمات المياه والغاز والكهرباء، وهذا طبيعي بالمناطق المتضرِّرة، وإنما بهذا البيت يوجد بئر مياه بخلاف خطٍّ

المياه العمومي، فكانوا لا يعبؤون باستخدام المياه في أغراض أخرى غير الشُّرب.

توقَّعَت "ساتشيقو" عودة زوجها للبيت مُلطَّخًا بالوحل؛ فأعطت أوامرها منذ قليل بتجهيز المغتسل له.

دعت "أوهارو" الصغيرة للخروج معها لمكان البئر لتشاهد المياه بعدما التزمت الصمت لبعض من الوقت بداخل البيت، وتناهت لمسامعها من الباب الخلفي أصوات خَدَم وخادمات الجيران الذين جاؤوا ينتظرون الدَّور لأخذ الماء، وبتوقُّف المحرّك الكهربي سمعت أيضًا صرير إنزال الدَّلو وقرقرة المياه يقطعه صوت "أو أكي" و"أو هانا" وهما تتبادلان الأحاديث مع نظائرهما حول ما يشاع عن الأضرار الناجمة.

بالساعة الرابعة جاء لزيارتهم السيد "شوكيتشي"، وهو الابن الذي يرعى بيت العائلة بمدينة "أويه هون"، وكان هو أسرع مَن زارهم. هو موظف بمتجر "تاما چيما" بالبحر الجنوبي، وليس لديه شيء بعينه جِهةَ "أوساكا"، ولم يتخيَّل -ولا حتى بأحلامه- الكارثة التي حلَّت بإقليم "هانشين". لقد صدر بالمساء مُلحَقٌ للصحيفة، عرف منه أن الأضرار جسيمة والخراب هائل بضفاف نهرَيْ "أشييا" و"سومي يوشي"؛ فأخذ إجازة من الفترة المسائية بالمتجر وقفز خارِجًا، ومهما كَلَّفه الأمر فليَكُن ما يكون، وها هو ذا وصل للتَّوِّ. في طريقه غيَّر وسيلة موصلاته بضع مرات. استقلَّ قطار "هانشين"، ثم استبدله وركب قطار خطوط السكة الحديد الوطنية، ثم حافلة، وأمسك بشاحنةٍ مَرَّة، وسيارة أجرة مرة أخرى، ويخوض عابِرًا تارةً ومُترجِّلًا تارة أخرى، وفعل المستحيل ليوصلوه للأماكن التي ليست بها مواصلات. جاءهم وحقيبة ظهره بها مأكولات مغلَّفة بالرمال، وبنطاله مُشمَّر حتى أعلى ركبتيه وحافي القدمين يحمل حذاءه بيده. لقد داهمه القلق حيال

البيت وما قد يكون حلَّ به بعدما رأى الوضع الكارثي بالقرب من جسر "ناريهيرا باشي". ظلَّ مشهد الدمار بمُخيِّلته حتى وصل ووجد الوضع هادِئًا وكأنه أكذوبة فشعر كم يبدو أحمقَ، لكنَّه في البداية ألقى التحية على "ساتشيقو" بسعادة، وبرؤيته لـ "إتسوقو" عبَّر عن امتنانه للغاية لكونها بخير حال، ومازحها قائِلًا لها كم كانت ثرثارة بالماضي... كل كلامه صاحَبَته تعبيرات وجهه؛ فحينها جعل صوته أخنفَ وكأنه يسدُّ أنفه، ثم بدا وكأنه انتبه للأمر وعاد يحادث "ساتشيقو" قائِلًا:

"اجعليني أقُم لكِ بأي شيء أستطيع فعله".

ثم سألها عن حال زوجها وأختها مِمَّا جعل "ساتشيقو" تروي له بالتفصيل مخاوفها وكل ما حدث منذ الصباح وكل ما استجدَّ أيضًا.

الآن أصبح قلق "ساتشيقو" أكثر بكثير ممَّا كان عليه بالصباح؛ لذلك استمرَّت في سؤاله عن العديد من التفاصيل، فمَثَلًا ما إن كان فيضان نهر "سومي يوشي" يصل من "متحف هاكوتسورو الفني" وحتى مساكن "نومورا"، وما إن كانت الوديان بعُمقها دُفِنَت كلها بالصخور والرمال ولم يتبقَّ لها أثر، وماذا عن الأشجار العملاقة؟ هل أصبحت كالحطب مكشوطة حتى اللحاء؟ والأحجار الضخمة التي بالمئات على جسر نهر "سومي يوشي" وحتى الطريق الدولي؛ هل تراكَمَت كلها فوق بعضها البعض في أكوامٍ وتعوق حركة المرور؟ وبالقرب منها على بُعد 250 مترًا جهةَ الجنوب، وأمام شقة "قونان" حيث المكان مُنخَفِض عن الطريق؛ هل تنجرف الكثير من الجُثَث إلى هناك؟ هل الجُثَث تَصِلُ جميعها مُلتَصِقة بها الرمال والرواسب ومجهولة الملامح بالكامل؟ وماذا عن "قوبيه"؟ هل توغَّل الفيضان لداخل المدينة، وبالمثل تدفَّقَت المياه لقضبان السِّكَك الحديديَّة وهناك غرقى من الرُّكَّاب للاسف؟

بـكل هـذه الإشـاعات إضافـات مـن التهويـل والتخمـين بـلا شـك، لكـن فـوق كل شيء، ومـا أصـاب قلــب "ساتشـيقو" في مقتــل هــو بخصــوص الوضـع أمـام شـقة "قونـان" وجُثَـث الضحايـا التــي تصـل ومـا إلى ذلـك؛ فمدرسـة التفصيـل التــي تـتردَّد عليهـا "تائيقـو" هــي بالضبـط بالمنطقـة المحـاصرة عـلى الطريـق الـدولي، وعـلى مسـافة أقـل مـن 50 مـترًا قبالـة الشـقة التـي سـألت عنهـا، وسـؤالها عـن الجُثَـث المنجرفـة إلى هنـاك كان بالضبـط بسـبب مـا يُحـكى عـن وجـود كثـير مـن المـوتى بمنطقـة "نويـوري" والتـي هــي بشـمال المدرسـة تمامًـا.

الظنـون البغيضـة لـدى "ساتشـيقو" لا بُـدَّ لهـا أن تؤخـذ عـلى محمـل اليقـين لمـا جـاءت بـه "أوهـارو" مـن أنبـاء بعـد عودتهـا مـع الصغـيرة سـويًا. "أوهـارو" أيضًـا بالمثـل لديهـا نفـس الظُّنـون؛ لذلـك سـألت كُلَّ مَــن قابلتــه عــن أحــوال الدمــار في "نويــوري"، ولم يَقُــل أيُّ أحــد ســوى أنـه بَلَغَهـم أن منطقـة الضفـة الشرقيـة لنهـر "سـومي يـوشي" هـي الأكـثر تَـضرُّرًا، والمناطـق الأخـرى كلهـا بـدأت تنحـسر عنهـا الميـاه ويَقـلُّ منسـوبها بشـكل ملحـوظ، وإنمـا ليـس هنـاك أيَّـة دلائـل عـلى ذلـك. يُقـال إن هنـاك أماكـن وصـل بهـا عمـق الميـاه لأكـثر مـن عـشر أقـدام.

"ساتشـيقو" عـلى يقـينٍ بأنـه ليـس مـن طبيعـة زوجهـا الإقـدام عـلى أي فِعـلٍ مُتهـوِّر، ولقـد قـال لهـا قبيـل خروجـه إنـه لـن يخـوض أي مخاطـر؛ لذلـك في البدايـة لم يَنتَبْهـا قَلـقٌ خـاصٌ حيالـه، وإنمـا كلـما مَـرَّ الوقـت ثـارت مخاوفهـا بشـأنه هـو وليـس "تائيقـو".

"لا داعـي للذهـاب إلى "نويـوري" إن كان الوضـع خطـيرًا إلى ذاك الحـد، وربمـا هـو سـيعود أدراجـه مـن منتصـف الطريـق... لكـن لمـاذا إذن لم يَعُـد للبيـت حتـى الآن؟! فلتنتظـر قليـلًا...".

وتَظـلُّ تفكِّـر: تُـرى، هـل أخذتـه خُطـاه لمنطقـة خَطِـرة؟ أم جرفتـه المـيـاه؟ أم حـدث لـه أي شيء مـن هـذا القبيـل؟

ومرَّة أخرى أخذها الفِكرُ.

إن زوجهـا لـن يُغـيِّر مـا برأسـه، وبـدلًا مـن أن يتَّخِـذ حـذره سـيُصمِّم عـلى الوصـول لوجهتـه التـي يقصدهـا بـأي حـال مـن الأحـوال، وإن كان طريقـه لا رجـاء فيـه فسـيقصد آخـر، وسـيحاول بـكل اتجـاه، لكنـه ربمـا أيضًـا ينتظـر انحسـار المـاء مـن أي مـكان. أليـس كذلـك؟

إنـه حتـى لـو نجـح في إنقـاذ "تانيقـو" ووصـل لحيثـما أراد فمـن المنطقـي أن عودتـه سَـيرًا عـلى الأقـدام بوسـط المـاء ستسـتغرق وقتًـا، وحتـى وإن أصبحـت السـاعة السادسـة أو السـابعة فليـس بغريـب.

هكـذا ظلَّـت "ساتشـيقو" تتأرجـح بتخيُّلاتهـا بـين أفضـل الظنـون وأسـوئها، ويبـدو أن كفَّـة السـوء غالبًـا مـا ترجـح.

"وإن كان ليـس بالـضرورة وقـوع مكـروه مـا وإنمـا إذا بلـغ بـك القلـق ذاك الحـدَّ فدعينـي أذهـب لأرى وآتيـك".

هكـذا قـال "شـووكيتشي" وهـو لا يدري مـا إن كان سـينجح في إيجادهم أم لا، ولكنـه يحـاول أن يُهـدِّئ مـن روعهـا وله كل الشـكر.

... و عليـه، أعـدَّ حالـه عـلى الفـور وأوصلتـه للبـاب الخلفـي قبيـل أن تصبـح السـاعة الخامسـة عـصرًا.

في هـذا البيـت تُطـلُّ كُلٌّ مـن البوابـة الخلفيـة والأماميـة عـلى طريـق مختلـف؛ فظلَّـت "ساتشـيقو" تلـف عـلى أقدامهـا بـين البوابتـين، واليـوم الجـرس لا يعمـل، فتركـت البوابـة الأماميـة مفتوحـة عـلى مصراعيهـا وأخَـذَت تـدور وتلتـفُّ مـن البوابـة الأماميـة وتدخـل للحديقـة مبـاشرة.

"سيدتي...".

أطلَّت بوجهها السيدة STOLZ من على السور السلكي بذاك الحين.

"مدرسة "إتسوقو" بخير حال، واطمأننتِ أليس كذلك؟".

"جزيـل الشـكر. "إتسـوقو" بخـير، ولكنـي بغايـة القلـق عـلى أختـي الصغـيرة، ولقـد ذهـب زوجـي ليـأتي بهـا، ولكـن...".

وحكـت لهـا "ساتشـيقو" مثلـما قالـت لــ "شـووكيتشي" مـن ذي قبـل، وبنفـس الطريقـة، وكأن السـيدة STOLZ تفهمهـا

"ماذا! حقًّا...

أنا أتفهَّم قَلقَكِ. أنا أتعاطف معك".

وعَقَدَت السيدة STOLZ حاجبيها وهي تُتَهتِه متلعثمة.

"جزيل الشكر، وأنت سيدتي ماذا عن زوجك؟".

" أنا زوجي لم يَعُد بَعدُ، وأنا في غاية القلق".

"حسنًا، هل هو حقًّا ذهب إلى "قوبيه"؟".

"بالضبـط عـلى مـا أظـن... لكـن "قوبيـه" أيضًـا بهـا ميـاه، "نـادا" أيضًـا، "روقّـو" أيضًـا، "أووإيشـيجاوا" أيضًـا. كلهـم ميـاه ميـاه ميـاه... زوجـي، بيتر، روزمـاري؛ كيـف حالهـم وهـم أيـن!... أنـا قَلِقَـة جـدًّا".

إن زوج هـذه السـيدة؛ رب عائلـة STOLZ هـو رجـل ألمـاني مُتَّقِـد الـذكاء، متناسـق البنيـة كالأبطـال الواعديـن؛ فمهـما واجـه مـن كميـات ميـاه لــن يبـالي، ولم تفكــر "ساتشــيقو" في "بيــتر" و"روزمــاري"؛ فهــما يـتردَّدان عـلى مدرسـة جهـة تـلال مرتفعـة وبالتأكيـد لم تحـلّ بهـا الكارثـة. إنهـا فقـط كل مـا يسـعها التفكـير بـه الآن مـا إذا كان طريـق العـودة مُغلَقًـا أو مـا شـابه، ولكنهـا بالطبـع لـو بمـكان زوجتـه لتصـوَّرَت الكثـير مــن الاحتــمالات، ومهــما حاولــت "ساتشــيقو" طمأنتهــا أجابتهــا:

"كلَّا، أنا سألت بنفسي. المياه في "قوبيه" هائلة، والكثير والكثير ماتوا".

هكـذا كلَّـما رأت "ساتشـيقو" ذاك الوجـه الـذي تغمـره الدمـوع عجـزت عـن التفكـير بـأي شيء، وبالنهايـة أصبحـت لا تـدري مـاذا عسـاها أن تقول.

"بالتأكيد كل شيء بخير".

"ادعي من قلبك لسلامتهم...".

ليس هناك سوى تكرار مثل هذه العبارات المحدَّدة التي لا تُجدي.

واحــترق قلــب "ساتشــيقو" بالكلــمات التــي تــواسي بهــا الســيدة STOLZ، وإنمـا بتلـك الأثنـاء رأت قبالـة البوابـة الرئيسـية شـخصًا مُصابًـا، وأسرع "چـوني" عَـدْوًا لعلَّـه زوج أحدهـما، لكـن... حينهـا تسـارَعَت ضربات قلـب "ساتشـيقو"، لكنهـا رأت هيئتـه بنظـرة خاطفـة وهـو يقـترب نحـو البوابـة. كان رَجُـلًا ببذلـة رسـمية يعتمـر قُبَّعـة؛ فسـألت "أوهـارو" التـي نزلـت بعـد حـين مـن الـتراس للحديقـة:

"مَن".

"إنه السيد أوكوباتا".

"حسنًا...".

كادت "ساتشـيقو" أن تفقـد صوابها، وبمجـيء "أوكوباتـا" اليـوم للزيـارة راوَدَهـا الشَّـكُّ مـا إن كان ذلـك خدعـةً أم هـذا هـو المعتـاد منـه! وحتـى وإن كان كذلـك فكيـف لهـا أن تتعامـل معـه الآن؟

في الحقيقـة، هـي منـذ آخـر زيـارة لـه وهـي تتعامـل بشـكل رسـميٍّ قـدر الإمـكان، لدرجـة أنهـا ترغـب أن تلتقيـه عنـد البوَّابـة وتَدَعـه يعـود، وهـذا مـا تظنُّـه الأفضـل، وهـذا أيضًـا مـا قالـه لهـا زوجهـا؛ وإنمـا اليـوم عـلى هـذا الحـال فربمـا جـاء ليطلـب منهـا الانتظـار حتـى يطمـئنَّ عـلى سـلامة "تائيقـو".

إن كان هكـذا فعليهـا أن تنتبـه وتُنحِّـي مشـاعرها جانبًـا وتُنهـي الوضـع بحســم، لكنهـا في الواقـع اليـوم تحديـدًا تريـده أن ينتظـر ويـرى وجـه

"تائيقـو" وهـي عائـدة بسـلام. تريـد أن تسـعدهما سـويًّا وبـين الأسرة جميعًـا.

"عفـوًا. إنـه يسـأل عـن الأخـت الصغـيرة ومـا إن كانـت قـد عـادت، وطلـب أن أُخـبِرَكِ سـيدتي بمجيئـه".

إن تفاصيـل علاقتـه بــ "تائيقو" بهـا الأسرار التـي يخفونها عـلى أُسَرتَيْهما فيـما عـدا "ساتشـيقو"، وهـو عـلى عِلـمٍ بذلـك، إلَّا أنـه بـدا غـيرَ مُكـتَرِث وهـادئ، مُتناسِـيًا تمامًـا سـلوكه المتوتِّـر المعتـاد منـه، وذاك مـا سـمعته مـن الخادمـة التـي جاءتهـا بنَـصِّ عبارتـه. إنـه اليـوم فقـط يريـد أن تسـمح "ساتشـيقو" بوجـوده، وهكـذا فكَّـر، وإلى ذاك الحـد كان رهانـه خـاسِرًا، وإن كان مـا يـزال يتبقـى لديـه مشـاعر الحـب.

"بالتأكيد، دعيه يتفضَّل".

واسـتغلَّت ذلـك الاسـتغلال الأمثـل وقالـت للسـيدة STOLZ التـي مـا زالـت تطـلُّ برقبتهـا مـن فـوق السـور:

"عُذرًا... جاءني ضيف".

واسـتأذنت معتـذرة بلُطـفٍ وتوجَّهَـت لغرفتهـا بالطابـق الثـاني لتحـاول أن تـداوي أعينهـا التـي تورَّمَـت مـن البـكاء لِعـدَّة مـرَّات منـذ الصبـاح.

بعـد فـترة مـن الانتظـار نزلـت "ساتشـيقو" لغرفـة الصالـون وجعلتهـم يأتونـه بمـشروب الشـعير المـبرَّد في البـئر بعدمـا توقَّفـت الثلاجـة الكهربيـة عـن العمـل، وتأهَّـب "أوكوباتـا" ونهـض مُسـتعدًّا للقائهـا. كان يرتـدي بنطـالًا مـن الصـوف باللـون الأزرق الداكـن يتناسـق بشـدَّة مـع ملابسـه المهندمـة التـي لا تشـوبها شـائبة. بالطبـع كانـت هيئتـه مختلفـة تمامًـا عـن "شـووكيتشي" الـذي وصـل متلطِّخًـا بالوحـل منـذ قليـل، ولكنـه علـم بتشـغيل خـط السـكة الحديدمـن "أوسـاكا" إلى "أوچـي"، فاسـتقلَّه حتـى

"أشـيبا"، ومـن هنـاك فقـط اتَّخَـذ طريقـه الـذي بالـكاد يتجـاوز العـشر بنايـات سـيرًا عـلى الأقـدام.

كان بطريقـه بعـض الأماكـن التـي لم تنحـسر عنهـا المياه بعـدُ، ولكـن ليسـت بالوضـع الخطـير، ومـاكان عليـه سـوى أن يُشـمِّر بنطالـه قليـلًا للعبـور، وإن ابتـلَّ حـذاؤه بعـض الـشيء. هكـذا روى لهـا "أوكوباتـا" وأضـاف:

"عُـذرًا، لقـد جئـت للزيـارة مـرة أخـرى أسرع مـن المعتـاد ولكنـي عرفـت مـن الملحـق الإضـافي للجريـدة الـذي صـدر للتَّـوِّ ولم أعلـم مـن قبل. بـكل حـال مـن الأحـوال مـا كان لهـا أن تخـرج باكِـرًا لمدرسـة الحياكـة بيـومٍ كهـذا... أمازالـت بالخـارج؟ إن كان كذلـك لعلـه خـير...".

لقـد دعته"ساتشـيقو" للدخـول وأصرَّت عـلى بقائـه مـن قلقهـا وبدافِـع رغبتهـا في سـماع الدعـوات بسـلامة أختهـا وزوجهـا وهـي تحـترق مـن الانتظـار وليـس بيدهـا أي شيء لتفعلـه، وظَلَّـت تجلـس حينًـا وتقـف حينًـا آخـر، مُحاوِلَـةً أن تخفـي مـا يـدور بخلدهـا، ولكنهـا بصراحـة إذا نحَّـت نواياهـا الطيبـة جانِبًـا ونظـرت للوضـع مباشرة سـتجد أنـه مـن الأفضـل عـدم خلـط الأمـور بالطبـع؛ ولهـذا ظهـر نَدَمُهـا.

"أوكوباتـا" أيضًـا رغبتـه بمعرفـة أي أخبـار عـن "تائيقـو" لم يُغلِّفهـا الكـذب، وبـدا غـيرَ طبيعـيٍّ وتَمَّـت تعبـيرات وجهـه وأسـلوبه في الحديـث عـمَّا يعتريـه مـن قلـق.

لكـن عـلى "ساتشـيقو" أن تتوخَّـى الحـذر... ألـن ينتهـز مثـل هـذه الفرصـة ليتداخـل بـالأسرة!

وعليـه جـاءت إجابتهـا لـه بـأن "تائيقو"خرجـت ولم تكـن الميـاه وصَلَـت إليهـم، لكـن المناطـق المجـاورة لمدرسـة التفصيـل تلـك هـي الأكـثر تـضَرُّرًا؛ لـذا لم تحتمـل أبـدًا ظنونهـا مـا إن كانـت بخـير أم لا؛ فطلبـت مـن زوجهـا أن يتفقَّدهـا، وكان هـو أيضًـا قَلِقًـا بشـدَّة، فقـال إنـه سـيذهب حيثـما

تستطيع قدماه أن تصل، وخرج بحوالي الساعة الحادية عشرة صباحًا، وقبل ساعة جاءها للزيارة "شووكيتشي" والذي وصل من بلدة "أويه هون" ثم خرج هو الآخر ولم يَعُد أيٌّ منهما بعدُ. هذا كل شيء، وهي في غاية القلق.

بذلت "ساتشيقو" قصارى جهدها لتلقي على مسامعه كلامًا روتينيًّا من ذاك القبيل، واستمرَّت في حديثها بلا هوادة، وأضافت:

"بما أنه الأمر هكذا، فعفوًا، لا يمكنني أن أدعك تنتظر أكثر من هذا. تفضَّل...".

وأقرَّت بخطئها عن طيب خاطر، وتَدارَكَت فِعلَتَها وألقت التحية وانصرفت لغرفتها.

بدا أن الضيف سينتظر بعض الوقت؛ لذا لم تنزل من غُرفَتِها مرَّةً أخرى أو تجعلهم يقدِّمون الشاي أو حتى المجلَّات المتنوِّعة حديثة الإصدار ليتسلَّى بقراءتها مَثَلًا، بل تذكَّرَت الصغيرة التي من طبيعتها الفضول، ومن بين الحين والآخر كانت تأتي للرَّدهة:

"صغيرتي إتسو. تعالي هنا"، وجاء صوتها من الطابق الثاني عبر السُّلَّم.

"إتسوقو، ياااااه لخصالك السيئة، حين وجدت ضيفًا لِمَ تختلسين النَّظَر باستمرار لغرفة الصالون؟".

"إني لم أفعل؟".

"لا تكذبي. أُمُّكِ رأتك وتعلم. لا تقومي بأفعال مُخجِلَة كهذه مع الضيوف".

احمَرَّ وجه "إتسوقو" خَجَلًا، ورفعت ناظريها لأعلى، وهمَّت بالانصراف والنزول للأسفل مرَّةً أخرى.

"ابقي هنا ولا تنزلي".

"ولِمَ؟".

"ابقي هنا واستذكري دروسك، لديك حصص بالمدرسة غدًا".

ودون سـبب يُذكَـر دفعـت "ساتشـيقو" الصغـيرة للداخـل وجعلتهـا تـأتي بكتبهـا المدرسـية ودفترهـا، وبعدمـا أدخلـت عيـدان البخـور الطـارد للنامـوس تحـت المكتـب خرجـت للشُّرفـة وأطالـت النظـر للطريـق لعـل زوجهـا يـأتي أو أختهـا.

فجـأة تعـالى صـوت صرخـات الفـرح قـادم مـن جهـة بيـت عائلـة STOLZ فنظـرت عـلى الفـور، ووجـدت السـيد STOLZ يلتـفُّ مـن جهـة الحديقـة الخلفيـة إلى البوابـة الأماميـة ويلـوِّح بيـده مُناديًـا باسـم زوجتـه:

"هيلدا، هيلدا"...

ولحق به "بيتر" و"روزماري".

تعالـت الصيحـات بالآهـات فظنّـت أن زوجتـه تحتضنـه بالتأكيـد وتنهـال عليـه بالقُبـلات.

اتَّخـذَت الشَّـمسُ طريقهـا للمغيـب، لكـن ما زالـت الحديقة مُسـتضاءَة بعـض الـشيء؛ لـذا مـن بـين فراغـات أوراق شـجر الصنـدل وسـور الأشـجار الفاصـل اسـتطاعت أن تـرى مشـهد أحضـان كالـذي تـراه بالأفـلام الأجنبيـة، ومـا إن ابتعـد الزوجـان مـن حضـن بعضهـما البعـض حتـى قفـز الأبنـاء "بيـتر" و"روزمـاري"، كلٌّ بـدوره.

كانـت "ساتشـيقو" تنحنـي مُتَّكِئَـة عـلى درابزيـن الشرفـة، ثـم بهـدوءٍ تَـوارَت خلـف البـاب الجـرَّار دون أن يلحظهـا أحـد.

فـور مـا أفلتـت "روزمـاري" يـد أمهـا جـاءت السـيدة STOLZ وأطلَّـت مـن عـلى السـور في سـعادة:

"سيدتي".

وأخـذت تنـادي عـلى "ساتشـيقو" بشـكلٍ جُنـونيٍّ وهـي تحملـق بأعينهـا في كل مـكان بالحديقـة باحِثـةً عنهـا.

"سيدتي، لقد عاد زوجي، وأيضًا "روزماري" و"بيتر"".

"كل شيء على ما يرام".

قفـزت "ساتشـيقو" مـن خلـف البـاب الجـرَّار للشرفـة دون تفكـيرٍ، وهرعـت إليهـا "إتسـوقو" أيضًـا التـي كانـت تسـتذكر بالغرفـة المجـاورة بعدمـا ألقـت بقلمهـا الرصـاص.

""بيتر"... "ماري"... عاش أصدقائي".

"عاش، عاش".

ولـوَّح الأطفـال الثلاثـة بأيديهـم لأعلى وأسـفل، ورفع الزوجـان STOLZ أيديهـما بدورهـما أيضًا.

"سيدتي".

بهذه المرة كانت "ساتشيقو" هي التي تنادي من شرفتها بالطابق الثاني:

"هل ذهب زوجك إلى "قوبيه"؟".

"إن زوجـي وهـو بطريقـه إلى هنـاك التقـى بــ "بيـتر" و"روزمـاري" وعـادوا سـويًّا".

"إذن لقد التقوا بالطريق. أليس كذلك؟ يا لحُسن الحظ... "بيتر"".

ولأن اللغـة اليابانيـة للسـيدة"هيلدا" بطيئـة وضعيفـة للغايـة؛ توجَّهَـت "ساتشـيقو" بحديثهـا إلى "بيـتر":

"أنت، أين التَقَيتَ بـ "بابا"؟".

"بالغرب من "طوكو إي" على الطريق الدولي".

"حسنًا، إذن لقد ذهبتم من "قوبيه" إلى "طوكو إي" سيرًا على الأقدام".

"كلًا، ليس كذلك. لقد استقللنا القطار العام من "سانوميا" إلى "نادا"".

"إذن الخطوط الحديدية تعمل حتى "نادا"".

"بالضبط. لقد اصطحبت "رومي" من "نادا" إلى "طوكو إي" سيرًا إلى أن التقينا بابا".

"وبالرغم من هذا التقيتما بـ "بابا" على خير. من "طوكو إي" إلى هنا... كيف وَصَلتُم؟".

"عبر الطريق الدولي، لكننا مَرَرنا بأماكن ليست على الطريق ذاته. سِرنا فوق خط السكة الحديد حينًا، وحينًا آخر بأماكن ليس بها طريق، والأكثر من ذلك كله ما عند المناطق الجبلية...".

"صعب للغاية. ألَا تزال هناك أماكن لم تنحسر منها المياه بعد؟".

"ليس كثيرًا... القليل فقط... بأماكن وأماكن...".

حديث "بيتر" أيضًا لم يَفِ بالغرض أو يريح بالها؛ فكيف وصلوا، وأي الأماكن لا تزال بها مياه، وكيف هي الأوضاع بالطُرُق، وغيرها كثير من الأشياء لم تتَّضِح بعد.

لكن برؤيتها للصغيرة "روزماري" المفعمة بالطفولة وهي بسلامٍ، وبوصول ثلاثتهم أيضًا إلى هنا أصبح الأمر لا يستدعي التفكير بالمخاطر المُفزِعَة أو الصعوبات التي واجهوها، حتى وإن كانت ملابسهم مُتَّسِخة بالوحل إلى ذاك الحد، إلَّا أن "ساتشيقو" لا يزال زوجها لم يَعُد بعدُ، والشك بأعماقها متأجِّج.

إن كانـت مثـل هـذه الطفلـة الصغـيرة اسـتطاعت بالفعل قَطعَ المسـافة مـن "قوبيـه" إلى البيـت سَـيرًا عـلى الأقـدام فـكان لا بُـدَّ لزوجهـا وأختهـا أن يعـاودا منـذ حـينٍ مـضى، وغيابهـما يجعلهـا تفكـر في وقـوع خَطـبٍ مـا لهـما، بـل وبالتحديـد "تائيقـو" هـي مَـن أصابهـا مكـروهٌ، وبالتأكيـد زوجهـا، ومـن بعـده "شـووكيتشي". اسـتغرقا وقـت أكـثر مـن المتوقَّـع في البحـث ومحاولـة المسـاعدة مثـلًا، أليـس كذلـك؟

"وأنتِ سيدتي، كيف حال أختك وزوجك؟ ألم يعودا بعد؟".

"لم يعـودا... رجعـت أسرتـك بالسـلامة، كيـف حالهـم؟ لقـد كنـتُ قَلِقَـةً بشأنهم"...

وبينـما "ساتشـيقو" تتحـدَّث هكـذا اختنـق صوتهـا بالبـكاء، ولم يَسَـعها فِعـلُ أيِّ شيء، لكـن السـيدة STOLZ اختبـأ جـزءٌ مـن وجههـا خلـف أوراق شـجر الـ "بولونيـا"، وتـوالى صـوت عطسـاتها عِـدَّة مـرَّات.

بذاك الحين صعدت إليها "أوهارو" وربتت على يدها قائلة:

"سـيدتي، السـيد "أوكوباتـا" يقـول إنـه هـو أيضًـا سـيحاول الذهـاب إلى "نـوري"، وطلـب منـي أن أخـبر حضرتـك سـيدتي".

الفصل السابع

همَّت "ساتشيقو" بالنزول، وكان "أوكوباتا" لا يزال واقِفًا عند المدخل يستند على عصا من الخشب مُطَعَّمة بقطع معدنية يشع بريق لونها الذهبي.

"استمعت الآن لذاك الحديث. إن كانت تلك الطفلة الأجنبية قد عادت فلماذا لم تَعُد بعد "تائيقو"".

"هذا ما أفكِّر به بالضبط".

"مهما كان ما حدث فقد تأخَّروا للغاية. سأذهب لأتفقَّد الأحوال هناك وأعود... أو حسبما أجد الظروف".

"جزيل الشكر. لكن لقد حَلَّ الظلام... ألَا تنتظر هنا قليلًا...".

"ما من شيء أفعله بوجودي هنا. سأذهب سريعًا بدلًا من انتظاري".

"حسنًا إذن".

إن "ساتشيقو" بهذا الموقف الآن عليها أن تتوجَّه له بالشكر، فإن كان هناك مَن يهتمُّ بشأن أختها ويرعاها فليس أحدًا سواه؛ لذلك لم تكن بحاجة لإخفاء دموعها عن ذاك الشاب.

"حسنًا إذن، سأذهب. أختي الكبيرة أرجوكِ، لا داعي لقلقك هكذا...".

"شكرًا جزيلًا. من فضلك انتبِه لحالك"، قالتها "ساتشيقو" وهي تنزل متوجِّهة للمدخل وسألته:

"عفوًا. هل معك كشَّافٌ يدويٌّ؟".

"نعم، معي".

ومن أسفل القبعة الخوص المقلوبة عند المدخل التقط "أوكوباتا"شيئين في ارتباكٍ، ووَضَع أحدهما سريعًا بجيبه. الشيء الآخر كان الكَشَّاف، وإنما ما أدخله بجيبه كان شيئًا لا يختلف عن آلة التصوير من نوع LIECA أو CONTAX، وشعر بالإحراج من حمله لذاك الشيء بهذا الوقت.

بعدما رحل "أوكوباتا" اتَّكَأت "ساتشيقو" على ركيزة البوَّابة وأطالت النظر مُتأمِّلَةً الغَسقَ، ووقفت لبعض الوقت لعلَّ زوجها يأتي، ثم عادت ودخلت للمنزل وهي تحاول أن تهدِّئ من توتُّرها، وأضاءت الشموع وألقت بجسدها على مقعد.

جاءت "أوهارو" تخبرها بالانتهاء من إعداد الطعام، وتردَّدَت في سؤالها بعدما رأت وجهها ممتقع اللون، ولم ترغب "ساتشيقو" في المُضيِّ نحو مائدة الطعام أبدًا، رغم ملاحظتها لمرور الكثير من الوقت على موعد العشاء، وأخبرت "أوهارو" أنه لا بأس وهي بخير هكذا، ولتذهب وتطعم الصغيرة، إلا أنها هي الأخرى قالت فيما بعد، وفي الحال نزلَت "أوهارو" من عندها بغرفتها بالطابق الثاني.

كان من الغريب بقاء الصغيرة "إتسوقو" هادِئةً هكذا رغم انتهاء وقت المذاكرة، وهي التي دائِمًا ما تشعر بالوحدة إن مكثت لحالها بالغرفة العلوية. انها عادة في مثل هذه الأوقات ما تستمرُّ في ملاحقة أمِّها وإزعاجها، ولكنها الآن تعرف ما ستلقاه من توبيخ عنيف فلم تقترب.مكتبة سُر مَن قرأ

ظلَّت "ساتشيقو" على حالها قرابة نصف الساعة دون أن تهدأ. إنها فكَّرَت بشيء ما جعلها تصعد للأعلى، ولم يكن هناك صوتٌ لـ "إتسوقو"، فدخلت غرفتها وأضاءت الشمعدان، وبأسفل إطار فتحات التهوية والإنارة[1] مكثت تتأمَّل الصور الأربع المعُلَّقة واحدة تلو الأخرى كما اعتادت أن تفعل دائمًا.

إنها الصور التي التقطها "إيتاكورا" لأختها وهي تؤدِّي الرقصات بالخامس من الشهر الماضي.

في ذلك اليوم كانت عدسات "إيتاكورا" مُوجَّهةً باستمرار نحوها طوال فترة تقديمها للرقصات، وبالمساء قُبَيلَ خلعها لهذه الملابس طلبت أن تقف وخلفها الحائل القابل للطَّيِّ ذو النقوش الذهبية ليلتقط لها عدَّة صور مرة أخرى بأوضاع مختلفة.

اختارت "تائيقو"بنفسها من بين الكثير من الصُّوَر التي تَمَّ تحميضها الأربع صور هذه لتكبيرها، وهي الصور التي تمَّ التقاطها لاحِقًا بناء على طلبها الخاص، وحين التقطهم "إيتاكورا" تَطلَّب منه الأمرُ مجهودًا كبيرًا بسبب تأثير الإضاءة والصَّخب المحيط، لقد كانت متحمِّسةً للغاية في أدائها للرقصات بشكل مثير للدهشة، وظلَّ "إيتاكورا" مُتذكِّرًا العبارات والتَّمايُلات ليطلبها ذاتها أثناء التقاط الصور.

---

(1) هناك نوع من النجارة موجود بالعمارة اليابانية يُسمَّى: RANMA 欄間، وهو يوفِّر فتحات بين السقف لغرض الإضاءة والتهوية والديكور.

بهـذا يمكـن اعتبـار هـذه الصـور تُحَفًـا فنِّيَّـة فريـدة مـن نوعهـا لــ "إيتاكـورا"، و"ساتشـيقو" هنـا الآن تسـترجع بوضـوحٍ غريـب الكلـماتِ والنَّظـرات والحـركات... وكل مـا قالتـه وفعلتـه "تائيقـو" بعفويَّـة بـذاك اليـوم. لقـد أدَّت حينهـا بالرقصـة الافتتاحيـة رقصـة "يـوكي 雪"، والتـي قدَّمتهـا بغايـة المهـارة. لم يكـن ذلـك شـعور أختهـا فقـط، بـل مُعلِّمتهـا "أوسـاكو" أيضًـا أشـادت بأدائهـا، وهـذا بالطبـع بفضـل مجهودهـا المتفـاني الـذي قدَّمَتـه بمجيئهـا يوميًـا مـن مسـافة بعيـدة لتدريبهـا، وإنمـا إضافـةً لذلـك فــ "تائيقـو" تتـدرَّب عـلى الرقـص منـذ نعومـة أظافرهـا؛ مِـمَّا جعـل عضلاتهـا مَرِنَـةً بشـكل طبيعـي، ولعـل هـذا مـا يجعلهـا الأفضـل، وهـذا مـا تظنـه "ساتشـيقو". إن دموعهـا قريبـة ومشـاعرها جيَّاشـة، وبـذاك اليـوم حـين شـاهدت رقـص "تائيقـو" ورأت مـدى براعتهـا لم تتمالـك نفسـها مـن البـكاء، ومشـاعرها الفيَّاضةحينهـا تتدفَّـق الآن مـرة أخـرى وهـي تشـاهد الصـور...

لقطـات لتمايُلاتهـا بالرقصـات وهـي تضـمُّ أيديهـا عـلى الأنغـام، وحـين تفتـح المظلَّـة وتضعهـا خلفهـا، وعندمـا تنحنـي بخصرهـا لليسـار مُتَّكِئـةً عـلى ركبتيهـا، ووقتـما تضـمُّ أكمامهـا عـلى بعضهـما البعـض وتميـل بعنقهـا... تبـادر لمخيِّلتهـا كلـمات الألحـان، وأكـثر مقطـع تُفضِّلـه:

"رنين الأجراس يختفي في ثلوج السماء البعيدة".

بوقـت التدريـب كانـت "تائيقـو" تـؤدِّي كل تلـك الحـركات عـلى عـزف مُعلِّمتهـا، وكانـت تشـاهدها "ساتشـيقو" بـكل مـرَّة، ولكـن هـذه هـي الأقـرب لقلبهـا؛ فهيئتهـا بـذاك الـرداء وهندمـة شـعرها جَعَلتهـا مُبهِـرَةً أكـثر مـن مـرات التمريـن.

لم تَـدرِ "ساتشـيقو"لِمَ تحـبُّ ذاك المقطـع تحديـدًا، ربَّمـا لأن "تائيقـو" المعتاديـن عليهـا وهـي تتبـع أحـدث صيحـات الموضـة لا تظهـر بـه عـلى الإطـلاق، وتظهـر أختهـا بهيئتهـا اليابانيـة الأصيلـة. إن "تائيقـو" تُمثِّـل الابنـة

المعاصرة التي تفعل ما يحلو لها دون الأخذ في الاعتبار ما سيظنه الآخرون، وهي مغامِرَة ومُفعَمَة بالحيوية، حتى إنها هي الوحيدة التي غيَّرَت لون شعرها فيما بين الأخوات الأربعة، لكن أداءها للرقصات أعلن عن وجود الابنة اليابانية المهذَّبة الأصيلة -والتي هي محبوبة وجميلة- بمعنى مختلف عن ذي قبل؛ فملامح وجهها تختلف حين تعقص شعرها المنسدل دائمًا، وتضع مساحيق التجميل على النمط التقليدي، وتتلاشى طبيعتها المفعمة بالحيوية والشباب، ويظهر عليها جمال السيدات بمنتصف العمر؛ تماشيًا مع عمرها الحقيقي؛ فهي لديها طابع مميَّز.

منذ شهر بالضبط التُقِطَت لها هذه الصورة بمظهرها ذاك المثير للإعجاب، وعلى ما يبدو هواجسها المشؤومة حينها لم تكن صُدفَةً؛ فبذاك اليوم حين توسَّطَت "تائيقو" الصورة مع "ساتشيقو" و"تينوسوكيه" و"إتسوقو" كان ذلك لتظلَّ الصورة ذكرى مخيفةً.

تذكَّرت "ساتشيقو" حينها عندما رأت "تائيقو" بثياب أختهم الكبيرة وكادت أن تنهمر دموعها وفضَّلَت ألَّا تُعبِّرَ عن مشاعرها.. تُرى، هل ستصبح هذه الصورة آخِرَ ذكرى لتألُّقها، وستضيع سُدًى آمالها في رؤيتها عروسًا بمثل هذا الرداء؟!

غرقت في مثل تلك الأفكار المُنهِكَة، واستغرقت في تأمُّل الصور حتى أصبح الأمر وكأنه نذير شؤم، ثم توجَّهَت بناظريها للأرفف الأخرى حيث الدمى التي صنعتها "تائيقو" مُؤخَّرًا.

منذ حوالي 3 سنوات تَردَّدَت "تائيقو" على مسرح الجيل السادس لفن الكابوكي في أوساكا مع الكهنة البوذيين، وبذاك الحين تحديدًا شاهدت رقصات الجيل السادس، وها هي تجعل جسد هذه الدمية يبدو كتذكيرٍ حيٍّ لإحساس الجيل السادس، وإن كانت جعلت ملامح

وجهها لا تشبههم، إلَّا أنها تمسَّكَت بالعادات وشكَّلتها بمهارة... يا لموهبتها!

ترى هل هي الأسوأ حظًّا؟

إنها وُلِدَت بأواخر عهد أخواتها الكبار بالطفولة، لكنها أكثرهم دراية بشأن الحياة، حتى إنها تُعامِل أخواتها الكبار وكأنهم هم الصغار وليست هي، ولطالما كانت "ساتشيقو" تفضِّل أن تنأى بنفسها جانبًا بعيدًا عنها، بل وتتحاشاها بشتَّى الطرق، وإن كانت ترى حالها يُرثَى له عن "يوكيقو"، وها هي تتمنَّى لو أنها لم تفعل، ومن الأن فصاعِدًا ستفكِّر بشأنها بالمِثل كـ "يوكيقو".

بالطبع لم يكن هناك داعٍ أبدًا لتنقلب الأمور بشكل فجائي هكذا لكي تنتبه "ساتشيقو"؛ فكل ما ترجوه الآن أن تعود بسلام، وهي ستقنع زوجها بأن يدعها تسافر كما تشاء، وأن تبقى مع "أوكوباتا" أيضًا.

غربت الشمس تمامًا بالخارج، وسادت عَتَمةُ الليل بدون إضاءة المصابيح الكهربية،وكان نقيق الضفادع مسموعًا من الأماكن البعيدة. فجأة ظهر ضوءٌ من بين أوراق الأشجار بالحديقة، وأطلَّت "ساتشيقو" من الشُّرفة لترى؛ فوجدت عائلة STOLZ أضاءت الشموع بغرفة الطعام، وتداخَلَت أصوات ثرثرتهم العالية، وكان صوت "بيتر" و"روزماري" مسموعًا. إنهم جميعهم الآن حول مائدة الطعام مُكتَمِلو العدد: الأب، الابن، الابنة... كلٌّ بدوره يَقصُّ على الأم مغامراته.

أمَّا "ساتشيقوا" فحتى مشهد عشائهم السعيد على ضوء الشموع لم يبعث بها الأمل، بل لا يزال يتملَّكها القلق.

أخيرًا سمعت صوت وقع خطوات "چوني" وهو يجري على العشب هاتِفًا:

"عَودًا سالِمًا".

وتعالت صيحات "إتسوقو" من الغرفة المجاورة:

"هه... لقد عادوا".

ورَدَّدَتها "ساتشيقو" أيضًا، ونزل اثنتاهما الدَّرَج بلمح البَصَر.

ساد المكانَ الظَّلامُ الدامس؛ فلم تستطيعا التَّمييز بوضوح.

"عُدنا".

قالها "شووكيتشي" ومن بعده زوجها؛ فسألتهم "ساتشيقو" على الفور:

"وأختي؟".

"و"تانيقو" أيضًا، ها هي معنا"

أجابها زوجها سريعًا، ولم يأتِ الرَّدُّ من "تانيقو"؛ فصاحت:

"ماذا حدث... ماذا حلَّ بكِ أختي؟".

تسمَّرَت "ساتشيقو" بمكانها على المدخل، ومن خلفها "أوهارو" مُمسِكَة بالشمعدان.

أضاءت تمايُلات لَهَب الشموع قليلًا بَعضَ أرجاء المكان، لكن لا زالت "ساتشيقو" لا تستطع الرؤية بوضوح.

وقفت "تانيقو" وهي بالكاد تفتح عينيها، وثيابها مختلفة تمامًا عمَّا كانت ترتديه في الصباح.

"ساتشيقو...".

قالتها "تانيقو" بصوتٍ مُرتَجِف تملؤه المشاعر، وفي الحال فقدت وعيها وترنَّحَت عند المدخل، وفجأة بدأ البكاء والنحيب.

"ماذا بك أختي، هل أُصِبتِ؟".

"كلَّا لم تُصَب"، وأجابها مرَّةً أخرى زوجها وأضاف:

"... عانت بشدَّة، لكن "إيتاكورا" أنقذها".

"إيتاكورا!".

التفتت "ساتشيقو" تنظر خلفها ولم تَجد "إيتاكورا" هنا.

"إنه ذهب ليأتي ببعض الماء من الدَّلو".

غطَّى الوحل"تينوسوكيه" بالكامل، من رأسه حتى أخمص قدميه، وقدماه عاريتان في قبقاب، والقبقاب وقدماه وحتى أظافره كُلُّها بلون واحِدٍ، مصبوغة بلَونِ الوَحل... فتُرى؛ ماذا حلَّ بحذائه؟!

الفصل الثامن

إن تفاصيل المأساة التي خاضتها "تائيقو" كما رواها "تينوسوكيه" لزوجته بتلك الليلة تتلخّص في خروجها بالصباح لمدرسة التفصيل قُبيلَ عودة "أوهارو" من الخارج؛ فهي خرجت في السّاعة الثامنة وخمس وأربعين دقيقة تقريبًا واستقلّت الحافلة من محطّة "تسوتشي" على الطريق الدولي كما اعتادت أن تفعل. بذاك الوقت كانت الأمطار غزيرةً، ولكنها كانت بالفعل في الحافِلة، ونزلت منها أمام "مدرسة بنات قونان" كما تفعل دائمًا، وعبرت من بوّابة مدرسة الحياكة التي تُعتَبر امتدادًا لذاك الطريق في حوالي الساعة التاسعة.

كانت المدرسة كسائر مدارس التدريب الخاصّة التي لا تبالي بما يتوجّب فعله في مثل هذا الطقس السيئ، لكن تزايَدَت أعداد الغياب بسبب حالات الهَلَع لدى البعض من اندفاع المياه، ولاحِقًا أبلغوا الحضور بأن اليوم إجازة بسبب أن البعض لا يستطيع الوصول.

بـدأ الحضـور في الانـصراف، وانتهـزت الفرصـة السـيدة "تامـا أوكي" لتدعـو "تائيقـو" لـشرب القهـوة سـويًّا ببيتهـا في الجـوار. إنهـا أكـبر مـن "تائيقـو" بحـوالي ثمـاني سـنوات، وبيتهـا مُكـوَّن مـن طابـق واحـد عـلى الطـراز الأسـباني الأنيـق، وحديقتـه ممتـدَّة حتـى المدرسـة، وبمجـرَّد أن تجاذَبَتَـا الحديـث قليـلًا أصبَحَتَـا هنـاك.

لقـد تـودَّدَت إليهـا "تائيقـو" ورغبـت في ألَّا تجعـل العلاقـة تنتهـي عنـد حـدِّ المعلمـة وتلميذتهـا؛ لذلـك دعتهـا السـيدة "تامـا أوكي" لمنزلهـا واسـتضافتها، وشـاورتها "تائيقـو" بشـأن السـفر إلى فرنسـا؛ فالسـيدة "تامـا أوكي" درسـت بباريـس لعـدَّة سـنوات، وتتوفَّـر لديهـا الخـبرة، ونصحـت "تائيقـو" بشـدَّة بتجربـة الذهـاب لهنـاك ولـو لمـرَّة.

أشـعلت السـيدة "تامـا أوكي" الموقـد الكحـولي لإعـداد القهـوة أمـام أعينهـما وهـي تأخـذ عـلى عاتقهـا مَهمَّـة تعريفهـا بالأمـر، وبتلـك الأثنـاء اشـتدَّ هطـول الأمطـار عـلى نحـوٍ مُخيـف؛ فنصحـت "تائيقـو" ألَّا ترحـل بهـذه الأجـواء، ووقتـما تهـدأ حـدَّة الأمطـار سـتخرج هـي الأخـرى معهـا.

قرابـة السـاعة العـاشرة جـاء ابنهـا "هيروشي"مقطـوعَ الأنفـاس، فسـألته أمُّـه عـن مدرسـته وأحـوال الطرقـات، فاليـوم انتهـت محاضرتهـا خـلال سـاعَةٍ، وبقيَّـة اليـوم تـمَّ اعتبـاره إجـازة، وجـاءت التنبيهـات بسرعـة الانـصراف قُبَيـلَ تزايُـد الميـاه وقُبَيـل أن تصبـح طـرق العـودة محفوفـةً بالمخاطـر. أجابهـا ابنهـا أنـه اتَّخـذ طريقـه سَـيرًا عـلى الأقـدام، ولكـن سرعـان مـا لاحقتـه الميـاه فبـدأ يعـدو بعـزم مـا فيـه مـن قـوَّةٍ قبيـل تمَكُّنها منـه، وأثنـاء حديـث الصبـي "هـيروشي" تناهـى لمسـامعهم صـوتٌ عنيـفٌ، حيـث اقتحـم سـيلٌ جـارِفٌ مـن تيـار الميـاه الموحلـة حديقـةَ المنـزل، وبـدا جَليًّـا أمـام أنظارهـم مـدى ارتفاعـه عـن مسـتوى سـطح الأرض؛ فأسرعـت السـيدة"تاماأوكي" في ذُعـرٍ وأحكَمَـت إغـلاق ضلفتـي البـاب، لكـن باغتهـم صـوتٌ ضجيـج مـن الرَدهـة بالجهـة المقابلـة وكأنـه دويٌّ لأمـواج البحـر.

لقد تدفَّق الماء لداخل الغرفة من الباب الجانبي الذي أتى منه الفتى.

ظلَّ ثلاثتهم يحاولون إحكام غلقِ ضلفتَيْ الباب وصَدَّه بأجسادهم، إلَّا أن قوة المياه تغَلَّبَت عليهم ودفعتهم، وباءت كل المحاولات بالفشل، وهشَّمَت المياهُ البابَ ساحِقةً إيَّاه وصدمتهم بشدَّة. تعاونوا هم الثلاثة لكبح جماح المياه المندفعة، وجلبوا المنضدة والمقاعد، وغيره، وبالنهاية وضعوا مقعدًا وثيرًا قبالة ضلفتَيْ الباب، وعليه جلس الصبي القرفصاء، لكنه سرعان ما بدأ في الصياح عاليًا، حيث انفتح الباب فجأةً، والمقعد الوثير بدأ يطفو فوق الماء والصبي كما هو فوقه.

كان الوضع مُريعًا.

تذكَّرَت السيدة "تاما أوكي" أن عليهم الإسراع بإخراج جهاز مُشغِّل الشرائط الكاسيت من الخزانة كي لا يبتلَّ، ووَضعه على رَفٍّ عالٍ، لكنه ليس هناك أيَّة أرفُف بالقرب؛ فوضعوه فوق البيانو، والذي تراكمت الأشياء عليه واحدًا تلو الآخر. في تلك الأثناء تزايَدَت المياه حتى بلغت خصرهما، والمنضدة ذات الثلاثة مقاعد وطقم إعداد القهوة الزجاجي وعلبة السُّكَّر وزهور القرنفل وغيرها من الأشياء التي بداخل الغرفة هنا وهناك- كُلُّها ارتطَمَت بالجدار، وبدأت تطفو.

نادت "تاما أوكي" على "تائيقو" لترى ما لو كانت العرائس لم تتلَفْ بعدُ؛ لتضعها على رفِّ المدفأة؛ فهي كانت تعتني بالعرائس الفرنسية التي صنعتها "تائيقو". كانت الدُّمى بخيرٍ، لكن لا يمكن لأحد الوصول إليها بأي طريقة.

حتى تلك اللحظات كانوا لا يزالون يثرثرون هكذا، غير عابئين بالأمر، ودون أخذه على محمل الجدِّ.

مَدَّد الصبي "هيروشي" جسَدَه ليمسك بحقيبة المدرسة قبل أن تجرفها المياه، فضرب المذياعُ الطافي على سطح الماء رأسَه، وصرخ الصبي من الألم، وضحكت عليه "تائيقو" وصديقتها وهو يمسك

برأسه، ومضت قرابة نصف الساعة في ضوضاء بتلك الأجواء، لكن في لحظة -وعلى حين غِرَّة- تبدَّل الحال، والتزم الجميعُ الصَّمتَ، واعتلت وجوههم نظراتٌ جادَّة، وكأنهم اتَّفقوا معًا، حيث فجأة تنبَّهت "تائيقو" لكون الماء بلغ ارتفاعُه صَدرَها؛ فأمسكت بالستائر والتصقت بالجدار، ولكن ربما كان ذلك الضَّرَر الأكبر. لقد سقط إطارُها فوق رأسها، وطفا أمام أعينها.

وها هو ذا تمثال "الطفلة رييه قو" للفنان "كيشيدايوسي"[1] -والذي يُعَدُّ كنزًا ثمينًا- تبتلعه المياه هو الآخر، ويطفو حينًا ويغرق حينًا، إلى أن انجرف لزاوية الغرفة، وليس أمام "تائيقو" ورفيقتها سوى مُلاحَقَته بنظرات تملؤها الحسرة.

""هيروشي"، هل أنت بخير؟".

هذه المرَّة اختلفت نبرةُ صوت أمِّه تمامًا.

"نعم".

وهي كلمة واحدة بالكاد نطقها الصبي وهو لا يستطيع أن تطال قدماه الأرض، فقفز على البيانو.

تذكَّرَت "تائيقو" مشهدًا من الفيلم الأجنبي "المحقِّق"، الذي شاهَدَته في صِغَرِها، والبطل يُقذف فجأة في غرفة تحت الأرض مُغلَقَة بإحكام من الجوانب الأربعة كالصندوق، والماء يغمرها أكثر وأكثر بكل لحظة، والمحقِّق جَسَدُه يغرق بالماء شيئًا فشيئًا...

---

(1) قطعة فنية ذات تأثير استثنائي للفنان الرسام "كيشيدا يوسي"، تَمَّ تجسيدها في كثير من اللوحات الفنية، وصورتها محفورة في أذهان اليابانيين، والقطعة الأصلية موضوعة بمتحف "طوكيو" الوطني ضمن كنوز الممتلكات الثقافية، حيث يتجسَّد بها جَمالٌ فريدٌ من نوعه، يختلف عن النمط المتَّبَع بعصر النهضة، حيث اتَّسَمَت بالواقعية والتفاصيل المعبِّرة. تتابَعَت سلسلةُ الطفلة "رييه قو" لوصف ابتسامتها وتصفيف شَعرها وحملها للكعكة بيدها، وتمَّ تشبيهها بالفن المصري من حيث صبغة الألوان.

بـذاك الحـين ظَلَّ كلٌّ منهـم بموضعـه بعيـدًا عـن الآخـر: الصبـيُّ بجهـة الـشرق فـوق البيانـو، "تائيقـو" جهـة الغرب عنـد سـتائر النافذة، والسـيدة" تامـا أوكِي" تسـتند عـلى طاولَـةٍ سَـحَبَتها لمنتصـف الغرفـة ثـم قفـزت فوقها.

استشـعرت "تائيقـو" الخطـر وهـي لم تَعُـد تطـال الأرض. تمسَّـكَت بالسـتائر وهـي تتحسَّـس بأقدامهـا وتبحـث عـن سُـلَّم أو مـا شـابهه، ولحسـن الحَـظِّ وجـدت أحـد مقاعـد المنضـدة فأسـقطته عـلى جانبـه وصعـدت فوقـه. أدرَكَـت ذلـك فيـما بعـد، فحينهـا كانـت المياه موحِلَـةً وكثيفَـة، يغلـب عليهـا الرواسـب والرمـال. لقـد اسـتغلَّت تأثـير قـوة الدفـع واسـتطاعت أن تتشـبَّث بالأشـياء، فحـين تراجَعَـت الميـاه تَبـيَّن عكـس المُتوقَّـع؛ فلقـد كانـت كل الأشـياء مـن منضـدة وكـراسي وغيرهـا مغمـورَةً بالوحـل بِشـكلٍ يجعلهـا لا يمكنهـا الحـراك مـن مكانهـا. البيـت أيضًـا مـن داخلـه مـلأه الوحـل عـن آخـره إلى حـدِّ الانسـداد، وكان عليهـم تفـادي الانجـراف والانهيـار بنفـس الوقـت. خطـر ببالهـم محاولـة الهـروب خـارج الغرفـة أو تحطيـم النوافـذ، ولكـن حـين تفحَّصَـت "تائيقـو" الوضـعَ بالخـارج وجـدت أن كل شيء هنـاك انقلـب رأسًـا عـلى عَقِـب، والأمطـار لا تـزال مسـتمرَّة في الهطـول، وهـي ليـس أمامهـا سـوى بضعـة سـنتيمترات لتتخطَّـى الميـاهُ طولَهـا، ومنسـوب الميـاه داخـل الغرفـة وخارجهـا بالمثـل عـلى حَـدٍّ سـواء، والفـرق الوحيـد أنـه بالداخـل الميـاهُ أصبَحَـت كبحـيرة راكـدة، وبالخـارج لا تـزال مُندَفِعَـةً بقـوَّةٍ هائلـة.

لم يكـن هنـاك مـا يَحجُـب أشـعَّةَ شـمس الأصيـل سـوى تعريشـة نباتـات عـلى بُعـد عـشرات الأمتـار، فبهـذه المنطقـة الأرضُ كلُّهـا حشـائش، وبـلا أي أشـجار أو نباتـات عاليـة.

حتـى وإن قفـزت مـن النافـذة للخـارج واسـتطاعت السـباحة لتصـل لهـذه التعريشـة بـأي شـكل مـن الأشـكال، وإن نجحـت أن تتسـلَّقها بإحـدى المحـاولات؛ فمـن الواضـح جليًّـا أن الأمـر مجـرَّد اسـتنزافٍ لقواهـا.

قفـز "هـيروشي" واقِفًا عـلى البيانـو ورفـع ذراعيـه، وأخـذ يـضرب بكفِّـه السـقف، فـإن تهـدَّم السَّـقف واسـتطاع أن يصـل للسـطح سـيكون هـذا أفضـلَ حَـلٍّ أُتيـح لـه بمثـل ذاك الحـين، وإنمـا بـلا شـك هـذا لـن يحـدث أبـدًا بقـوَّة صبـيٍّ وسـيدتين! وأكَّـد الصبـيُّ لأُمِّـه بـكل عفويـة اسـتحالَةَ فِعـل ذلـك.

بطَرفَـة عـينٍ انجرفـوا لغرفـة الخـدم، لكـن مـاذا حـدث ومـاذا حـلَّ بهـم... فليـس لهـم أي صـوت؟

نـادى الصبـيُّ مُكـرِّرًا سـؤاله عـمَّا إذا كان أيُّ أحـدٍ منهـم هنـا، لكـن لم يأتـه رَدٌّ.

التـزم ثلاثتهـم الصمـت، وحـين حدَّقـوا في سـطح المـاء الـذي يفصـل كلًّا منهـم عـن الآخـر اكتشـفوا أن منسـوب المياه ارتفـع، وأن حيِّـزَ الفـراغ بينهـم وبـين السـقف لا يتجـاوز الأربعـين سـنتيمترًا تقريبًـا.

عدلـت "تائيقـو" مقعـد الطاولـة الـذي أسـقطته عـلى جانبـه مـن ذي قبـل، ولكنـه بهـذه المـرَّة كان مُثقَـلًا بالوحـل؛ فالتـوت سـاقُها، ولكنهـا أمسـكت بحامـل السـتائر المعـدني المثبـت أعـلى النافـذة بشـدَّة، وبلـغ الأمـر ذروتـه وأصبـح عنقهـا فقـط يطـلُّ بالـكاد مـن فـوق صفحـة المـاء، ورفيقتهـا التـي تَمَركَـزَت واقفـةً عـلى منتصـف الطاولـة هـي الأخـرى عـلى نفـس الحـال، وإنمـا لحُسـنِ حظِّهـا كان فوقهـا مبـاشرة ثـلاث سلاسـل سـميكة مُعلَّقـة بهـا وحـدات إضـاءة غـير مبـاشرة، حيـث تتـدلَّى كـؤوس الدورالومين[1] المزخرفـة مقلوبـة بالثُّريَّـا، وكلـما شـعرت أنهـا ستسـقط تشـبَّثَت بهـا.

"أمي هل سأموت؟".

(1) معدنٌ خليطٌ من الألومنيوم والنحاس.

قالها الصبي "هيروشي"، لكن أمه التزمت الصمت مهما كرَّر نداءه:

"أنا سأموت؟ سأموت يا أمي؟ هل سأموت؟".

بـدا وكأن السـيدة "تامـا أوكي" تقـول شـيئًا مـا، ولكنهـا مـن البدايـة تُهَمهِـمُ وتُحـرِّك فمهـا فقـط، ولا تـدري مـاذا عسـاها أن تقـول لـه!

نظـرت إليهـا "تائيقـو" وهـي لا يظهـر منهـا سـوى رأسـها عـلى سـطح المـاء، وفكَّـرَت فيـما ستَرويه ملامـح أُنـاسٍ بـات قَـدَرُ لمـوت منهـم وشـيكًا. فحتـى أي محاولـة إنقـاذ إن وُجِـدَت فهـي مسـتحيلة، وبمجـرَّد أن تملَّـكَ منهـم اليقـين بأنهـا سـاعة المـوت؛ حلَّـت عليهـم سـكينةٌ غـير مُتوَقَّعـة، وأدركـوا أيضًـا أنـه ليـس بـشيء يمكـن أن يكـون مُخيفًـا اكـثر مـمَّا هـم بـه.

بـذاك الوقـت شـعرت"تائيقو" أن الوقـت يَمـرُّ ثقيلًا، وكأنـه مـرَّ عليهـم ثـلاث أو أربـع سـاعات، في حـين أنهـم في الواقـع لم يَمـضِ عليهـم أكـثر مـن سـاعة.

كانـت النافـذة التـي تتشـبَّث بالحامـل أعلاهـا منتـوحٌ زجـاجُ ضلفَتِهـا عـدَّة سـنتيمترات، ومنهـا ينهمـر الفيضـان بالخـارج عليهـم، فأمسـكت "تائيقـو" بإحـدى يديهـا بالسـتائر، وبعـزم مـا بهـا من قـوة حاوَلَـت إغلاقها، وبهـذا الوقـت تحديـدًا -أو بالضبـط قبيـل ذلـك بلحظـات- سَـمِعَت مـن فـوق رأسـها بالغرفـة التـي هـم بهـا وَقـعَ أقـدام أشـخاص، ولمحـت ظِـلَّ شـخصٍ يَثِـبُ بخفَّـة مـن السـطح للتعريشـة، وظنَّـت عـلى الفـور أن ذاك الشـخص انتقـل لأقـصى الـشرق جهـةَ النافـذة التـي نسـترق منهـا نظـرات خاطِفـةً للخـارج. أمسـك ذاك الشـخص بحافَّـة التعريشـة ونـزل وسـط الفيضـان إلى أن انغمـر جسـده بأكملـه في المـاء. بـدا أنـه سـينجرف مـن شـدَّة التيـار، فظـلَّ مُتشـبِّثًا بحافَّـة التعريشـة بيديـه ولا يفلتهـا، ثـم التـفَّ بجسـده نحـو النافـذة، والتقـى وجهـه بــ "تائيقـو" لأول مـرة، وبنظـرة سريعـة منـه لهـا عـبر النافـذة بـدأ في التنفيـذ.

في البداية لم تستوعب "تانيقو" ما أقدم الشابُ على فِعله، ثم اتَّضح لها أنه يحاول أن يصل للنافذة بإحدى يديه، وبشكل ما يجتاز تيار الماء العنيف ويده الأخرى لا تُفلِت التعريشة. حينها بالضبط تنبَّهَت "تانيقو" لكون ذاك الشاب ذي العيون البرّاقة الذي يرتدي سُترَةً جلدية وقُبَّعَةً وكأنه طيَّار هو المصوِّر "إيتاكورا". إنه اعتاد ارتداء هذه السترة أثناء تواجُدِه بأمريكا، ولم يسبق أن رأته "تانيقو" بمثل هذه الملابس من قبل، ولقد توارت ملامح وجهه خلف القبعة، وظهوره بهذا الوقت وبمثل هذا المكان تحديدًا كان شيئًا لا يمكن تَخيُّله حتى في أحلامها. الأمطار الغزيرة والتدفُّق السريع للتيار جعل المنطقة باهِتةً ضبابيَّةً، وفوق ذلك كله شعورها بأنها تسقط؛ لذلك استغرقت وقتًا كي تستطيع أن تعي وجود "إيتاكورا"، وفور ما انتبهت صاحت بصوتٍ عالٍ تنادي، وإنما بدلًا من أن تنادي اسمه توجَّهَت للصبي "هيروشي" ورفيقتها تُبشِّرهما بظهور مُنقِذ، ثم لوَّحَت له واستجمعت كل ما بها من قوة لتُحرك ضلفة النافذة القاسية بفعل ضَغطِ المياه، وأخيرًا انفتحت بقدرٍ يسمح بمرور جسدها، وكان هذا من حُسن حَظِّها.

رأت أمام أعينها يد "غيتاكورا" ممدودةً لها فتعلَّقَت به بيدها اليمنى، وأخرجت نصف جسدها، وبنفس اللحظة جرفها التَّيَّارُ العنيف بقوَّته الهائلة. كانت لم تُفلِت يدها الأخرى بعدُ ولا تزال تُحكِم قبضتها على إطار النافذة بشدَّة، وأول ما قاله لها "إيتاكورا" أن تَدَعَ الإطار الآن.

كان مُمسِكًا بيدها الأخرى، ويجب عليها أن تنفِّذ ما قاله.

فعلتها "تانيقو" وتركت مصيرها لأقدار السماء.

بتلك اللحظة امتدَّ ذراعها وذراعه لأقصى حدٍّ وتلاحما كحلقات سلسلة، ورأته ينزل أسفل التيار وباللحظة التالية سحب جسدها

إليـه، (وروى "إيتاكـورا" فيـما بعـد أن ذاك كان مـن الأفضـل لـه هـو أيضًـا؛ فمثـل تلـك القـوه انتشـلته مـن براثـن المـوت)، وكـرَّر عليهـا "إيتاكـورا" أن تتمسَّـكَ بحـواف التعريشـة وتتشـبَّث مثلـه، ونفَّـذَت، لكـن الوضـع أصبـح أخطـر مـن وقـت تواجُدِهـا بالغرفـة؛ فـالآن قـد تنجـرف.

"لا يمكنني فَتحُه".

"هيا، سأنجرف".

"اصبري قليلًا. لا تفلتي يدك أبدًا. تشبَّثي بقوة".

هكـذا قـال لهـا "إيتاكـورا" وهـو مسـتمرٌّ في نضالـه ضـد التيـار العنيـف، وتسـلَّق لأعـلى التعريشـة، وأخـذ يحـاول أن يفتـح هُـوَّة ويشـقَّ فتحـةً فيـما بـين سـيقان النباتـات، ومـدَّ كلتـا يديـه لأسـفل وسـحب "تائيقـو" إليـه واسـتطرد قائِـلًا:

"عليَّ أن أُنقِذَكِ أنتِ فقط أوَّلًا"...

مَسَّ قلبها كلُّ ما حملته العبارة من معانٍ على الفور.

والآن، وإن كان ليـس بالأكيـد ألَّا يصـل المـاء لأعـلى التعريشـة، وإنمـا المؤكَّـد قَطعًـا أن "إيتاكـورا" سـيفعل مـن أجلهـا أي شيء مهـما حـدث.

ربمـا الهـرب مُمكِـنٌ مـن هنـا إلى السـطح. إنهـا بهـذه اللحظـة ليسـت ببعيـدة عـن وقـت حَبسَـتِها بداخـل غرفـة ضيِّقـة؛ لذلـك لا يمكنهـا تخيُّـل هـذا التحـوُّل بوجودهـا في الخـارج، لكـن فـور وقوفهـا عـلى التعريشـة أكَّـدَت لهـا الشـواهد أنهـا لم تلبـث بالداخـل سـوى سـاعة أو سـاعتين.

بـذاك الحـين رأت "تينوسـوكيه" عـلى بُعـدٍ يعبر جـسرَ السـكة الحديـد فـوق نهر"تانـاكا"، والمشـهد بـدا وكأنـه بالبحـر، وربمـا هـو كذلـك بالفعـل، وإن كان مكانـه يبـدو كالشـاطئ الشرقـي للبحـر. إذن فـ "تائيقـو" حقًّـا تقـف في عـرض البحـر وتلقـي نظراتهـا مـن أعـلى عـلى الأمـواج المستَعِرَة التـي تحاصرهـا مـن كل جانـب.

إنها للتَّوِّ ظنَّت أنه أخيرًا تَمَّ إنقاذها عندما رأته، ولكن ما إن رأت مدى هياج قوى الطبيعة من حولها أيقنت أنه تَمَّ إنقاذها مرَّةً سابقة، ولن يَتِمَّ بمرَّة أخرى لاحقة؛ فكيف سيمكن انتشالها هي و"إيتاكورا" من ماءٍ يحيطهما هكذا؟ ولا يزال يشغل بالها شأن مُعلِّمتها وابنها؛ فماذا عنهما؟!

هزَّت "تائيقو" التعريشة بقوة حتى انخلع أحد فروعها السميكة وطفا وانجرف، و"إيتاكورا" بقلب الماء مرة أخرى، فبدأ بتمديد جسرٍ بذلك الفرع من التعريشة إلى النافذة، وألقى بأحد طرفيه لهناك، وساعدته "تائيقو" وثبَّتت الطرف الآخر بالتعريشة عندها، وتَمَكَّنَا من عمل جسر نجاةٍ، ودخل "إيتاكورا" من النافذة استكمالًا لَمهمَّته، واختفى مدَّةً طويلة وهي لا تتمكَّن من رؤيته، لكنها بعد حينٍ سمعته، لقد حلَّ رباط الستائر وصنع منها حبلًا ألقى بطرفه لأقرب مكانٍ من السيدة "تاما أوكي" التي استطاعت أن تلتقطه وتلقي به بدورها جهة الجدار نحو ابنها "هيروشي" الواقف فوق البيانو، وتمسَّك كلاهما جيِّدًا، وسحبهما "إيتاكورا" للنافذة، وبعدها أمسك بالصبي ووصله بالفرع الممتدِّ، ومنه إلى التعريشة، ورفعه عليها، ثم عاد مرَّةً أخرى للنافذة، وبنفس الطريقة أقدم على إنقاذ السيدة"تاما أوكي"، وبذل كلَّ هذا المجهود الخارق مرَّةً أخرى مُحاوِلًا أن يستغرق وقتًا أقصر.

في الواقع مهما فكَّر فيما بعدُ لم يَسَعه أن يستوعب كيف تمَّ ذلك وكم من الوقت تطلَّبه الأمر...

ابتاع "إيتاكورا" من أمريكا أيضًا ساعة يدٍ مُقاوِمَة للمياه تعمل تلقائيًا، وكان يتباهى بها، لكنه لم يجرِّب خواصَّها من قبل، وها هو ذا أوانها، فأثناء إنقاذه لثلاثة أشخاص ووقوفه ونزوله من على التعريشة لعدَّة مرَّات هطلَت الأمطار بغزارةٍ وازداد اجتياح المياه. أصبحت

التعريشـة بمثابـة خطـرٍ مُحقَّـق؛ فعـبر منهـا عـلى الجـسر الـذي صنعـاه مـن قبـل مـن جـذعٍ سـميكٍ، وهـرب إلى سـطح البيـت. كان ذاك الجـذع بسُـمكِ ثلاثـة جـذوع مـن أشـجار الغابـة، وكان كطـوق نجـاةٍ اسـتفاد منـه الجميـع. بمثـل هـذه الأجـواء الخَطِـرَة كان ظهـور "إيتاكـورا" يبـدو وكأنـه سـقط مـن السَّـماء، وبعدمـا وصلـوا للسَّـطح بسـلامٍ كان هنـاك بـراح مـن الوقـت لتسـأله "تائيقـو" عـمَّا جـاء بـه؟ وأجابهـا أنـه في صبـاح اليـوم تنبَّـأت الأرصـاد بسـقوط أمطـار مـمَّا أعـاده بالذاكـرة لمـرَّةٍ أصغـى بهـا لعجـوز تكهَّنـت بـأن هـذا العـام وتحديـدًا هـذا الربيـع سـيقع بـه حَـدَثٌ مُماثِـلٌ لمـا جـرى في عـام 1783 في "أوسـاكا وقوبيـه"، حـين هـبَّ إعصـار الأمـواج العاتيـة الجبـلي "يامـا تسـونامي"، وترسَّـخ الأمـر بذاكرتـه، ويومًـا بعـد يـومٍ منـذ ذلـك الحـين وهـو يستشـعر الخطـر كلَّـما اشـتد المطـر. لكـن صبـاح اليـوم ورد لمسـامعه مـا تـردَّد مـن شـائعات حـول انهيـار سَـدٍّ نهـر "سـوميوشي"، وتعـالى ضجيـج الجـيران بالتحذيـرات، وهرعـت دوريـات الحراسـة للتنبيـه؛ فأصبـح لا سـبيل لـه لمزاولـة أيٍّ مـن أعمالـه؛ فخـرج مُتوجِّهًـا إلى النهـر ليستكشـف الأحـوال بنفسـه، وبمجـرَّد أن رأى ضفَّتَـي النهـر أيقـن أن هنـاك حَدَثًـا جَلَـلًا؛ فقـرَّر أن يعـود أدراجـه، إلَّا أن الميـاه كانـت تنحـدر في مخـرَّات نحـو "نويـوري".

إنـه بالرغـم مـن ذلـك كلـه، وبالرغـم مـن معرفتـه بنبـوءة الفيضـان، إلَّا أنـه خـرج كالمعتـاد مـن بدايـة يومـه بملبسـه الطبيعـي وسـترته الجلديـه، وبعـد وصولـه لــ "نويـوري" دون أن يتوقَّـف حتـى لالتقـاط أنفاسـه انتبـه لكـون مظهـره غريبًـا بعـض الـشيء.

شردت "تائيقو" بتفكيرها...

لقـد كان عـلى عِلـمٍ بأنهـا في هـذا اليـوم تذهـب لمُعلِّمتهـا "تامـا أوكي" بمدرسـة التفصيـل، وكانـت نوايـاه الدفينـة التـي يحتضنهـا بقلبـه هـي أن

يُسرِع من أجلها خَشيَةَ أن تكون واجَهَت أيَّ خَطَرٍ ما من قبيل سوء الحظ... أليس كذلك؟

لقد أخبرته من ذي قبل بذهابها لمدرسة التفصيل؛ لذلك كان لا بُدَّ له أن يسرع بإنقاذها مهما تطلَّب الأمر، و لقد تذكَّر، وخرج مُندَفِعًا بكل تَهوُّر يجري في تيار الفيضان الموحِل.

راودتها مثل هذه الشكوك، وإنما الآن تتوالى مجريات الأحداث دون أن يشعر أيٌّ منهما.

وفيما بعد أصغت لحديثٍ مُفصَّلٍ منه عن صراعه الشاقِّ ومخاطرته بحياته، حتى وصل بالنهاية إلى بناية المدرسة. إنه هو و"تينوسوكيه" بالمثل، كلٌّ منهما اتَّبع قضيبَ خَطِّ السكة الحديد وهما يهرعان إلى "مدرسة بنات قونان"، ولكنه كان أسرع من"تينوسوكيه" بحوالي ساعتين، وكأن لديه مهاراته الخاصة للخوض في المياه. انجرف ثلاث مرَّاتٍ، وشارَفَ على الموت ألمًا، ولم يستَطِع أحدٌ سواه القفزَ في التيار العنيف بهذا الحين.

هذا كله لم يَكُن من وحي خياله مثلًا؛ فهو بعدما تمكَّن من الوصول لمبنى المدرسة كانت قوة الإعصار العاتية وصلت لذروتها، وبعد حينٍ صعد إلى سطح البناية وهو في ذهول، لكنه سرعان ما انتبه؛ فجهة منزل السيدة "تاما أوكي" وفوق سطح غرفة الخدم وقف شخصٌ يُلوِّح بيده.

إنها الخادمة "كينيا".

إنها بدورها لاحَظَت "إيتاكورا"، وبمجرَّد أن أدرَكَت أنه رآها أشارت له بثلاث أصابع، ثم كتبت له في الهواء حروفَ اسم "تائيقو".

هكذا أدرك "إيتاكورا" أن خلف النافذة يتواجد ثلاثة أشخاص، من ضمنهم "تائيقو"، ومرَّةً أخرى تقافز في خِضَمِّ تيار المياه العاتية

وانجـرف للمنتصـف وكاد أن يغـرق، لكنـه جاهَـدَ سـابِحًا حتـى نجـح في الوصـول للتعريشـة، وخـاض المغامـرة، حتـى ولـو كانـت معركـة المـوت الأخـيرة، وحقًّـا خاطَـرَ بحياتـه، وهـذا ليـس بالصعـب تخمينـه.

الفصل التاسع

قـضى "إيتاكـورا سـاعاته في مَهمّـة الإنقـاذ التـي تَوجّـه إليهـا بينـما "تينوسـوكيه" لجـأ ليحتمـي بداخـل القطـار في نفـس ذاك الوقـت. لقـد حالَفَـه الحَـظُّ واسـتطاع أن يفـرَّ هارِبًـا لمدرسـة "قونـان"، وبالطابـق الثـاني هنـاك جعلـوه يسـتريح حتـى السـاعة الثامنـة مسـاء؛ فهـذه الغرفـة كانـت كاسـتراحة إضافيّـة خَصَّصوهـا للضحايـا.

بالنهايـة توقّـف المطـر، وبـدأت الميـاه تنحـسر شـيئًا فشـيئًا؛ فاتّخـذ "تينوسـوكيه" طريقـه إلى مدرسـة التفصيـل، وقطـع هـذه المسـافة القصـيرة، لكـن بالطبـع هـذا لا يعنـي أن الوصـول إلى هنـاك كان سـهلًا كأيِّ يـوم عـادي، وحتـى وإن فكَّـر وعـاد أدراجـه، فطريقـه لا يـزال بـه الكثـير مـن رواسـب الرمـال والحُطـام،و هنـاك أماكـن يبلـغ الـركام بهـا طُنُـف البيـوت ويـكاد أن يدفنهـا، وأماكـن أخـرى تبـدو وكأن شـيئًا لم يَكُـن؛ فالمدن بشـمال البـلاد تكسـوها الثلـوج، وتظـل ملامِحُهـا كـما هـي.

الأسـوأ عـلى الإطـلاق في كل مـا تـوالى مـن أحـداث هـو أنـه بمجـرَّد مـا واصـل السـير غـيرَ عابِـئٍ بهـذا كلـه؛ وجـد المسـتنقعات العميقـة بـكل مـكان تشـبه آكلي لحـوم البـشر، ويمكنهـا ببسـاطةٍ أن تبتلـع جسـده. علَّـق "تينوسـوكيه" للتَّـوِّ بمسـتنقع موحِـلٍ، وفقـد إحـدى فـردَتَيْ حذائـه؛ فخلـع الأخـرى وألقـى بهـا، وتابـع سَـيرَه حـافي القدمـين، ليـس بهـما سـوى الجوربـين.

ورغـم أن المسـافة بالظـروف العاديـة لـن تسـتغرق سـوى دقيقتَـيْن، إلَّا أن الأمـر تطلَّـب منـه فعليًّـا قرابـة نصـف السـاعة، وحـين وصـل لمدرسـة التفصيـل وَجَـدَ المنطقـة قـد تغـيَّرَت تمامًـا، وعـلى نحـو غريـب. بوابـة المدرسـة اختفـت مَعالِمُهـا بالكامـل، وبالـكاد رؤوس أعمدتهـا تظهـر عـلى سـطح الأرض وليـس أكـثر مـن ذلـك، والبيـوت التـي مـن طابـقٍ واحـد -كبنايـة المدرسـة- لا يتبقَّـى منهـا سـوى الأسـقف الإردوزايَّـة[1] فقـط، وكلهـا تحـت الأنقـاض.

وكطيـفٍ بحلـم يَقظـةٍ ارتسـمت هيئـة "تائيقـو" ومَـن معهـا وهـم يتَّخِـذون مـن السـطح مـأوى.

لكن ماذا حلَّ بباقي الطلاب؟

هـل نجحـوا في تمكينهـم مـن الهـروب؟ أم انجرفـوا؟ أم أنهـم مدفونـون تحـت الـركام؟

اتَّضَح ظلُّ شَخصٍ واحد آخر على السطح...

نـال منـه الإحبـاط؛ فبـذاك المـكان أيضًـا يداهمـه الخطـر بالمثـل، وبـكل خطـوة يخطوهـا يغـوص حتـى فخذيـه، وجنـوب مبنـى المدرسـة الـذي كان بالسـابق حدائـق عُشـبيَّة وأحـواض زهـور انشـقَّت بـه الأرض لنصفـين، والآن هـو عليـه أن يذهـب لبيـت معلِّمتهـا "تامـا أوكي".

(1) الإردواز هو حجر صلصالي.

تعريشـة حديقـة بيتهـا يتبقّـى منهـا الأفـرع المتشـابكة العلويّـة فقـط ظاهِـرَة عـلى السـطح وبجانبهـا جـذوع أخشـاب طافيـة متكوِّمـة دون حـراك، ولكـن فاجـأه مـا تـراءى أمـام ناظِرَيْـه؛ فأعـلى القرميـد الأحمـر لسـقف المنـزل وقفـت "تائيقـو" ومعهـا "إيتاكـورا" والسـيدة"تاما أوكي" وابنهـا الصبي"هـيروشي" وشـخص آخـر... إنهـا الخادمـة "كينيـا"...

رآهم جميعًا هناك.

وبعدمـا روى "إيتاكـورا" قصصـه البطوليـة في إنقـاذ ثلاثـة أشـخاص، وبـدأت المياه تنحـسر. أخبره أيضًـا أنـه فكّـر في اصطحـاب "تائيقـو" لمنـزل "أشـييا"؛ نظـرًا لِـمَا أصابهـا مـن إعيـاء، وحالتهـا المريعـة؛ فالسـيدة "تامـا أوكي" قَلِقَـة مـن أن تدعهـا تذهـب لحالهـا.

قـصَّ "إيتاكـورا" مـا حـدث عـلى "تينوسـوكيه" وهـو يراهـا بحالـة يُـرثَى لهـا حتـى بعدمـا اسـترخت قليـلًا.

بالواقع لن يفهم الوضع إلَّا مَن مرَّ به وواجه حدثًا كهذا بنفسه.

السـيدة"تاما أوكي"، وابنهـا، و"تائيقـو" نفسـها- كُلُهـم مهـما مـضى مـن وقـت كلَّـما فكَّـروا في الأمـر يتملَّكهـم الرهـاب إلى حَـدٍّ يصـل للهـزل، والآن حتـى وإن كانـت السَّـماء صافيـة أمـام أعينهـم والمياه تراجَعَـت فـلا يزالون لا يسـعهم تصديـق أنهـم أحيـاء سالِمون؛ فرعـدة الخـوف التـي اجتاحـت خلايـا أجسـادهم لا يمكـن أن تتـلاشى مـن ذاكرتهـم بهـذه السـهولة.

بالفعـل تجادَلَـت "تائيقـو" مـع "إيتاكـورا" حـين قـال لهـا إنه سـيوصلها؛ فـلا بُـدَّ لهـا أن تعـاود البيـت سريعًـا؛ لأنـه بالتأكيـد رَبُّ أسرتهـا وأختهـا الكبـيرة في قَلَـقٍ عـارم، ومـع انتباهـه للأمـر فكَّـر فيـما سـينتظرهما مـن أهـوال هنـاك أيضًـا؛ فنزولهـم مـن عـلى السـطح إلى مسـتوى الأرض ليـس بهـذه البسـاطة؛ فالنـزول مُمكِـنٌ فـوق أكـوام الحُطـام إن اسـتطاعوا الوصـول لإفريـز السـطح، و"تائيقـو" لا تواتيهـا الجـرأة أبـدًا الآن. عـلاوة

على ذلك، فكيف له أن يترك السيدة"تاما أوكي" لحالها ويذهب هو و"تائيقو"؟

لعلَّ زوجها يصل قريبًا، وإنما على هذا الحال ففور غياب الشمس سيسود الظَّلام؛ مِمَّا يستوجب إضاءة هذه العتمة فوق السطح...

تزاحَمَت برأسه مثل هذه الخواطر البائسة، وبظهور "تينوسوكيه" راوَدَتهم أيضًا نفس الأفكار؛ مِمَّا جعل الصبي "هيروشي" وحتى الخادمة"كينيا" يتوسَّلان له ليبقى معهم قليلًا.

"تينوسوكيه" أيضًا بعدما التقط أنفاسه من الصعود إليهم فوق السطح ألقى بجسده المنهك، وخارت قواه وهو يحاول البقاء متيقِّظًا.

بهذه الأجواء -ولأكثر من ساعة- ظَلَّ مُستلقيًا ووجهه قبالة السماء، وشرد بزُرقَتِها وشمسها تتَّخِذ طريق المغيب. بالرابعة والنصف تقريبًا على حَدِّ ظَنِّه (حيث تهشَّمَت ساعة يده) وصل أقرباء للسيدة "تاما أوكي"، جاؤوها من بلدتهم "ميكاچيه" لزيارتها والاطمئنان على سلامتها هي وولدها.

وعليه؛ اعتنى كلٌّ من "تينوسوكيه" و"إيتاكورا" بـ "تائيقو" ليسلكوا سبيل العودة.

لا تزال "تائيقو" لم تَستَعِد قواها البدنية وتبدو وكأنها غائبة عن الوعي، وفي المشوار برُمَّته من أوله لآخرة تارة تتَّكِئ على أحدهما، وتارة أخرى يحملها أيٌّ منهما على ظهره.

بطريقهم لم يتوغَّلوا في التيار الرئيسي لنهر "سوميوشي"، بل عِوضًا عن ذلك استطاعوا الالتفاف لجهة الشرق؛ أي من أمام "مدرسة بنات قونان" على الطريق الدولي، ومنها -وحتى منطقة "تاناكا"- كان الانحدار طفيفًا، وإنما بكل حال من الأحوال كان عبور النهر واجتيازه مُعاناة في حدِّ ذاته.

بوصولهـم لمنتصـف النهـر وتيـاره التقـوا بــ "شـووكيتشي" وهـو يعـبر النَّهـر، فواصلـوا الطريـق سـويًا هـم الأربعـة. وفي "تانـاكا" عـرض عليهـم "إيتاكـورا" القـدوم لبيتـه لينالـوا قِسـطًا مـن الراحـة، فَهُـم بالقـرب. إنـه أيضًـا كان قَلِقًـا بشـأن منزلـه ومـا حَـلَّ بـه. أراد "تينوسـوكيه" الإسراع بالعـودة لمنزلهـم، ولكـن و"تائيقـو" بهـذه الحالـة رأى أنـه مـن الأفضـل أن يدعهـا تسـتريح لبعـض الوقـت.

كان "إيتاكـورا" أعـزبَ ويعيـش مـع أختـه الصغـيرة. الطابـق الثـاني مـن المنـزل بـه غرفـة التصويـر، والتـي هـي بخـلاف مقـرٌ عملـه، أمَّـا الطابـق الأول فهـو للسُّـكنى، وبـدا أنـه لحـق بـه ذاك الدمـار؛ فالميـاه توغَّلَـت بالمنـزل حتـى قرابـة الثلاثـين سـنتيمترًا فـوق مسـتوى سـطح الأرض.

اصطحـب "إيتاكـورا" عائلـة "تينوسـوكيه" للطابـق الثـاني حيـث غرفـة عملـه، وضيَّفَهـم بعصـير التفـاح بعـد مرورهـم وسـط المـاء الموحـل، وبتلـك الأثنـاء خلعـت "تائيقـو" ملابسـها المبلَّلَـة والمتَّسِـخة، وأخـذت تُجفِّـف جسـدها، وأعارتهـا أخـت "إيتاكـورا" رداء "كيمونـو" حريريًّـا، بتوجيـهٍ منـه. أمَّـا "تينوسـوكيه" فـكان حـافي القدمـين، واسـتعار هـو الآخـر قبقابًـا مـن "إيتاكـورا". "شـووكيتشي" الـذي كان بصحبتهـم كان عـلى مـا يـرام، وألـحَّ عليه"تينوسـوكيه" ليعـود هـو الآخـر ويكفـي أنـه واصـل معهـم إلى هنـا، وأخـذه "إيتاكـورا" لأقـرب مـكان في "تانـاكا" يسـتطع منـه العـوده لمنزلـه.

توقَّعَـت "سانشـيقو" أن يشـتاق "أوكوباتـا" لأختهـا عـلى نحـوٍ مـا، وربمـا سـيأتي لاحِقًـا مـرَّةً أخـرى ليسـأل عنهـا، لكنـه بهـذه الليلـة لم يظهـر نهائيًـا، وبالصبـاح التـالي أرسـل "إيتاكـورا" نيابـةً عنـه.

وبالفعـل جاءهـم بالصبـاح "إيتاكـورا" يحمـل رسـالةً شَـفهيّةً منـه، وأخبرهـم أنـه جـاء بهـذه الزيـارة عِوَضًـا عـن "أوكوباتـا" للاطمئنـان عـلى أحـوال الأخـت الصغـيرة، وعـلى أنهـا لم تتعـرَّض لأيَّـة إصابـات ولا حتـى نزلـة بـرد.

استعادت"تائيقو" عافيتها بهذا الصباح، وجاءت لغرفة الجلوس مع "ساتشيقو"، وتقدَّمَت له بالشكر بخصوص الأمس، وتبادلوا الأحاديث وهم يسترجعون الأخطار التي واجهوها بتلك الساعات. فرغم هروبها إلى أعلى السطح، ومكوثها لقرابة الساعتين بملابس خفيفة، ورغم أن مياه الأمطار برواسبها الموحلة... إلَّا أنه لم تُصَب بنزلة برد؛ مِمَّا أثار دهشتهم جميعًا. كانت بهذا الحين مُتوتِّرةً، وعلى العكس، لم تُلقِ بالًا لحديث "إيتاكورا"؛ فانصرف في الحال. إنها مهما كان صارِعَت المياه بالأمس، وخاضت بجسدها المستحيل، وبعدما أشرَقَت شمس هذا الصباح شعرت بالآلام في كل مفاصلها، وخصوصًا أسفل إبطها الأيمن عند أضلعها، والتي كانت يضجُّ بها الوجع. راودها القلق من أن يكون هذا هو مرض التهاب الجَنْبَة "بلوريزي"[1]، لكنها بالعناية الجيِّدة تماثَلَت للشفاء في بضعة أيام لاحِقة.

فقط بتلك الفترة كانت بمجرَّد سماعها لزَخَّات المطر بوقت اغتسالها بالمساء يصيبها الهلع. لقد أصبحت لديها تجربة لأول مرة بحياتها على الإطلاق جعلتها تتيقَّن بأن المطر شيء مُخيف، ومن الواضح أن حالة الخوف الهستيري التي تنتابها بتلك الأوقات أصبحت شيئًا كامِنًا بأعماقها، وظلَّت لفترة كلَّما سقطت الأمطار لا يمكنها النوم طوال الليل وتُفكِّر ماذا لو داهمتهم المياه مرَّةً أخرى.

(1) مرض تلتهب فيه "الجنبة"، والتي هي عبارة عن نسيج من طبقتين رقيقتين، وهذا الالتهاب يؤدِّي إلى انفصال الرئتين عن جدار الصُّدر؛ مِمَّا يُسبِّب ألمًا حادًّا بالصدر، ويزداد سوءًا عند التَّنفُّس، حيث إحدى طبقتي الجنبة تلتفُّ حول الجسم الخارجي للرئتين، وتُبطِّن طبقة الجنبة الأخرى جدارَ الصَّدر من الداخل، وتوجد مساحة صغيرة بين هاتين الطبقتين عادةً ما تكون ممتلئة بكمية ضئيلة من السوائل، وتعمل الطبقتان عادةً وكأنهما قطعتان من قماش ناعم تنزلقان فوق بعضهما البعض؛ مِمَّا يسمح للرئة بالتَّمدُّد والتَّقلُّص عند التنفُّس.

الفصل العاشر

عـرف سـكان إقليـم "هانشـين" القصـة الكاملـة للدمـار الهائـل الـذي لحـق بالبـلاد لأوّل مـرّة مـن صحـف اليـوم التـالي، ولمـرة أخـرى اسـتقبل بيــت "ساتشــيقو" في "أشــييا" مفاجـآت جديـدة، وعـلى مَـرِّ عـدَّة أيـام متتاليـة تَوافَـدَ عليهـم الضيـوف المتكبِّـدون لعنـاء الطريـق بشـكل مُسـتمرٍّ؛ مـمَّا جعلهـم في انشـغالٍ تـام.

تعطَّلَــت كل المحــرِّكات اللازمــة لخدمــات الميــاه والغــاز والكهربــاء والهواتــف وغيرهــا، وســكن ضجيجهــا وكأنهــم عــادوا للحيــاة بســالف العـصر والأوان. الأكـثر أنـه لم يكـن متاحًـا أيٌّ مـن وسـائل التعامُـل مـع مشــكلة الرواســب المتكوِّمــة في كل مــكان بســبب العجــز في الناقــلات والأيــدي العاملــة، ومــا مــن ســبيل لإزاحتهــا في الحــال.

مشــهد حركــة المــرور ذهابًــا وإيابًــا الــذي يكســوه الــتراب والغــبرة الناصعـة البيـاض أعادهـم مـرَّةً أخـرى لمشـهد الطُّرقـات بــ "طوكيـو" بعـد الزلـزال الـكارثي بالمــاضي.

أصبح رصيف المحطة التي عند نهر "أشيا" في "هانكيو" مدفونًا تحت الرُّكام؛ لذا يتمُّ رَصفُ بديلٍ آخر مؤقَّتًا على جبل الرواسب، وسيُبنى جسرٌ عالٍ فوق الجسر السابق، وجارٍ تنفيذ الأعمال اللازمة لتعود القطارات للعمل، حيث إنه ارتفع قاع النهر بين جسري "هانكيو" و"ناراهيرا" على الطريق الدولي، ويبلغ علوُّ الطريق. لكنهم لم ييأسوا بيومٍ، بل قامت الحشود بأعمال الحفر والبناء يومًا بعد يوم لإزالة الرواسب، وإن كانت محاولتهم بَدَت كالنَّمل الذي يجتهد لتفتيت جبال من السُّكَّر؛ فليس هناك من تَقَدُّم يُذكَر.

أشجار الصنوبر على الضفاف لا تزال مُتَّسِخة بالرمال، فمنذ كارثة الفيضان والطقس في جفافٍ تام؛ مِمَّا يجعل الغبار يظلُّ عالِقًا، وجمال المناظر الطبيعية بالمناطق السكنية المشهورة في "أشيا" لم تظهر له أي بادرة بهذا العام...

عادت "يوكيقو" من "طوكيو" بعد غياب شهرين ونصف، وكان يومًا صيفيًّا مليئًا بذاك الغبار. هناك بنفس يوم حدوث كارثة الفيضان صدرت الأخبار بالصُّحُف المسائية. لم تكن التفاصيل معروفةً، وإنما كانت المآسي بالِغَةً في بيوت "شيبويا"، وذكرت الجرائد بوضوح أن ضفاف نهر "أشيا" و"سوميوشي" هي أكثر المناطق تضرُّرًا بدمار عنيف، وقرأت "يوكيقو" عن وقوع وفيات بين طلاب مدرسة "قونان الابتدائية"؛ فأصبح همُّها الأول هو الاطمئنان على سلامة أختها "تائيقو".

باليوم التالي لتلك الأحداث جاء هاتف لمكتب "تينوسوكيه" في "أوساكا"، وحادَثَته كلٌّ مِن "يوكيقو" و"تسوروقو" وسألتاه عن كل ما أثار قلقهما، وأخبرته "يوكيقو" أنها سترحل بالغد للاطمئنان بنفسها على "تائيقو"، ودار النقاش فيما ستفعل وأكَّد عليها "تينوسوكيه" أنه لا مانع من مجيئها، ولكن لا داعي للاستعجال هكذا؛ فالقطارات لم

تَعُـد بَعـدُ لعملهـا الطبيعـي في غـرب "أوسـاكا"، وهـذا مـا انتهـت عليـه المكالمـة الهاتفيـة.

بالمسـاء أخـبر "تينوسـوكيه" زوجتـه عـمَّا دار، وبمجرَّد سـماع "ساتشـيقو" لأخبـار مـن "طوكيـو" وبِذِكر"زوجهـا لاحتـمال "مجـيء "يوكيقـو" تأكَّـدَت أنهـا سـتفعل، وبالفعـل بعـد اسـتقرار الأوضـاع بعـدَّة أيـام وصلهـا خطـاب مُعَنـوَن باسـمها جـاء بـه:

"أريـد رؤيـة وجـه أختـي الصغـيرة التـي بالـكاد نجـت مـن مـوت مُحقَّـق، ولا يفـارق مُخيِّلتـي مشـهد القـرى؛ تُـرى مـاذا لحـق بهـا مـن ضرر؟ إني أريـد أن أرى الواقـع بنفـسي ولا يروقنـي ألَّا أفعـل، وعليـه؛ فربمـا سـآتيكم فجـأة عـن قريـب".

وكان هـذا بمثابـة إخطـار مُسـبَق منهـا؛ لذلـك بـدون أن ترسـل برقيـة اسـتقلَّت القطـار بهـذا اليـوم مـن "طوكيـو" إلى "أوسـاكا" ونزلـت في محطـة "أشـييا" بمنطقـة "هانشـين" وسـارت أمورهـا عـلى مـا يـرام، واسـتأجرت إحـدى السـيارات الأجـرة لتُقِلَّهـا لمنـزل أختهـا ووصلـت قبيـل السـاعة السادسـة.

"مساء الخير. لقد وصلت".

جاءتهـا "أوهـارو" لتأخـذ منهـا حذاءهـا، وعـلى الفـور دخلـت "تائيقـو" لغرفـة الجلـوس، ووجـدت البيـت في سـكونٍ تـامٍّ؛ فسـألت:

"هل أختي هنا؟".

وتوجَّهَـت لتقـف أمـام المروحـة تتلقَّـى بعضًـا مـن هوائهـا، وأجابتهـا "أوهـارو":

"عفوًا، إنها لدى عائلة STOLZ ".

"والصغيرة".

"والصغيرة أيضًا سيدتي. جميعهم مَدعوُّون اليوم لاحتساء الشاي عند عائلة STOLZ، وهم على وشك العودة، هل أذهب لاستدعائهم؟ لقد قالت سيدتي "ساتشيقو" إن حضرتك ستأتين اليوم. دعيني حتى أنادي الصغيرة... إنها تنتظرك بفارغ الصبر...".

"كلّا، كلّا دعيهم وشأنهم "أوهارو"".

بعدها، من جهة الحديق الخلفية جاء صوت الأطفال وهمَّت "أوهارو" بالنداء عليهم، لكن "يوكيقو" استوقفتها، ومرَّت من أسفل الستائر الخوص وخرجت للتراس وجلست على كرسي من خشب بتولا الأبيض.

طوال الطريق قبل وصولها وهي تتطلّع من نافذة السيارة منتظرةً أن تلمح أي شيء بعدما رسمت بمخيِّلتها مشاهد مريعة للدَّمار، إلَّا أنها وجدت ما فاجأها وظلَّت تُحدِّق وتُدقِّق النظر. لقد كان كل شيء على حاله كما تركته. كل نبتة وشجرة كما هي لم تُصَب بأي أذى. فقط بحلول الهدوء المسائي عَصَفَ الهواءُ على غير العادة، ولكن لا يزال الجو حارًّا وظلال الأشجار ساكِنةً واضحة وأطراف العشب جلِيَّة للعيون.

فهذا الربيع حين ذهبت إلى "طوكيو" كانت زهور "قوديماري" و"الليلاك" تفتَّحَت، ولكن الزهور الجبلية الصفراء والبيضاء لم تُزهِر بعدُ، في حين أن "ورود "كيرشيما" و"هيرادو" تساقَطَت وتبقَّت فقط واحدة أو اثنتان من زهور ياسمين الـ "جاردينيا" متفتِّحة ويفوح منها العطر، وهما مختبئتان في حديقة البيت الغربي الطراز ذي الطابقين.

قُبالةَ السور السِّلكي الفاصل بالحديقة استمتع الأطفال باللهو ولعبوا لعبة القطار، و"بيتر" هو مَن حاكى دور "مرشد القطار".

"المحطَّة التالية هي "ميكاچيه"، التالية هي "ميكاچيه"".

"... يـا سـادة، هـذا القطـار لا يتوقّـف مـن محطـة "ميكاچيـه" حتـى محطّـة "أشـيا". حضراتكـم المتَّجِـه إلى "سـوميوشي"، "أوزاكي"، و"أووكي" فليتفضَّـل باسـتبدال القطـار"...

هكـذا كان يقـول "بيـتر" وهـو يحـاكي بالضبـط نـبرة صـوت مُرشِـد قطـار "هانشـين"، ولا يشـبه عـلى الإطـلاق الأجانـب في نُطقِهـم، ثـم قالـت لهـم "إتسوقو":

"رومي... هيًا فلنذهب إلى "كيوتو""، وأجابتها "روزماري":

"حسنًا، فلنذهب إلى "طوكيو""، فتقول لها "إتسوقو":

"ليست "طوكيو"، وإنما "كيوتو"".

بـدا أن "روزمـاري" لا تعـرف اسـم المـكان الـذي يُدعَـى "كيوتـو"، ومهما قالـت لهـا "إتسـوقو" وعلَّمَتهـا الاسـم الصحيـح تظـلُّ تقـول "طوكيـو"، وتَأجَّـج غَضـبُ الصغـيرة وصاحـت:

"خطأ "رومي"... إنها "كيوتو"".

"هيًا، فلنذهب إلى "طوكيو"".

"خطأ. إن كُنَّا سنذهب لـ "طوكيو" سيتوقَّف بنا القطار بمائة محطَّة".

"حسنًا. أهكذا سنصل بعد غد؟".

"ماذا يا "رومي"".

"هل هكذا سنصل لطوكيو بعد غدٍ؟".

كانـت "روزمـاري" تتداخـل حروفهـا في بعضهـا البعـض وهـي تنطـق كلمـة "بعـد غـد"، في حـين أن "إتسـوقو" معتـادةٌ عـلى الكلمـة بالعاميـة: "بعـد بكـرة"؛ ففجـأة وجـدت نفسـها لا تسـتطيع فهـم مـا يُقـال!...

"ماهذا؟ "رومي"... هذا ليس في اللغة اليابانية؟".

ثم سألها "بيتر" بدوره:

""إتسوقو"... هذه الشجيرة ماذا تُسمَّى باليابانية؟".

وفاجأهــم صــوت احتــكاك خطــوات "بيــتر" بــأوراق شــجرة المظلَّــة الصينيــة حــين بــدأ يتســلَّقها.

كانــت فــروع هــذه الشــجرة تمتــدُّ حتــى الجهــة المقابلــة لحــدود الحديقـة، واعتـاد الأطفـال أن يمسـكوا بفروعهـا بعدمـا يضعـون أقدامهـم عـلى السـور السِّـلكي مـن جهـة بيـت عائلـة STOLZ ويتسـلقون بالأحذية.

"انها شجرة المظلَّة الصينية".

"المُظلَّلة الصينية؟".

"ليست المُظلَّلة، المظلَّة الصينية".

"المظلَّلة الصينية...".

"المظلَّة".

"المظللة الصينية"...

سـواء كان "بيتر"يُمازِحهـا أو كان ينطقهـا هكـذا حقًّـا فهـي ليـس اسـمها "مظلَّلـة صينيـة" بـل "مظلَّـة"، واستشـاطت "إتسـوقو" غضبًـا وهـي تقـول:

"ليست مظللة صينية. بل حرف "ل" لمرَّة واحدة فقط".

كان وَقـعُ الجملـة غريبًـا عـلى مسـامع "يوكيقـو"، التـي انفجـرت ضاحِكـةً دون أن تتمالـك نفسـها.

الفصل الحادي عشر

كانت الإجازة الصيفية للأطفال، وكانت "إتسوقو" يوميًّا تنادي أطفال عائلة STOLZ أو ينادونها لِلَّهو سويًّا بالحديقة ويتسلقون أشجار المظلَّة الصينية والصندل، أو يتسلُّون بلعبة "مرشد القطار"، وحين يشتدُّ الحَرُّ وتتوسَّط الشمس السماء يدخلون البيت ويقسمون وقت اللعب؛ فبوقت البنات يلعبون بالدُّمى، وعندما يحين وقت الصِّبيان يلعبون لعبة الحرب.

يحرِّكون المقاعد الوثيرة الثقيلة التي بغرفة الجلوس من أماكنها والمقاعد الطويلة أيضًا، وتارة يجمعونها وتارة يربطونها ليصنعوا حِصنًا ومنصَّة إطلاق نيران، ويشهرون أسلحتهم للهجوم. كان "بيتر" هو مَن يلعب دور الضابط القائد ويعطي الأوامر، والأطفال جميعهم في نفس الوقت ينفِّذون ويطلقون النيران.

كان الأطفـال الألمـان مـن أكبرهـم لأصغرهـم حتـى "فريتـز" الـذي لم يَرتَـد مدرسـة ابتدائيـة بعـد دائمًـا مـا يقولـون عبـارة عـلى العـدو: "FRANK REYE"[1].

لم تعـرف عائلـة "ساتشـيقو" مـاذا يقصـدون، وهـل هـي كلمـة ألمانيـة أم فرنسـية، وسـألوا "تينوسـوكيه" الـذي لم يعـرف هـو الآخـر، وظنُّـوا أن هـذه قـد تكـون طريقـة تَتبَعُهـا عائلـة STOLZ لتربيـة أطفالهـم.

لكـن الأمـر كان مُزعِجًـا بعـض الـشيء؛ فمـن أجـل هـذه اللعبـة كانـوا يعبثـون بالزخـارف التـي بقِطَـع الأثـاث الغـربي الطـراز، وإن جاءهـم زائـرٌ عـلى حـين غـرَّة كان لا بُـدَّ أن يجعلـه الخـدم ينتظـر أوَّلًا بغرفـة الجلـوس إلى أن يجتهـدوا مـع بعضهـم البعـض لفـكِّ ترتيـب هـذا الحصـن المربَّـط ببعضـه البعـض ومنصَّـة إطـلاق النـيران.

جـاءت السـيدة STOLZ ذات مـرَّة ودخلـت مـن الـتراس لقلـب البيت، ولفَـتَ نظرهـا صُدفَـةً مـا يفعلـه الصِّغـارُ، وأصابهـا الذهـول مـمَّا رأت، وتسـاءلت في دهشـة مـا إن كان هـذا مـا يفعلـه "بيـتر" و"فريتـز" كلَّـما جـاءَا إليهـم، وحـين أكَّـدَت لهـا "ساتشـيقو" أنـه مـا باليـد حيلـة انصرفـت وعـلى وجههـا ابتسـامة سـاخرة. ربمـا وبَّخَتهـم فيـما بعـدُ، غـير أن الحـال لم يتبـدَّل أبـدًا، بـل ظلُّـوا هكـذا كالمشرَّديـن يتجوَّلـون.

كانـت "ساتشـيقو" مـن بـين الثـلاث شـقيقات هـي أوَّل مَـن استسـلم الأطفـال ليجعلـوا مـن الغرفـة الغربيـة الطـراز مـكان يلهـون فيـه، وكان الأطفـال بوقـت الطعـام يتذمَّـرون وهـم ينتقلـون للجـوار بالغرفـة اليابانية الطـراز التـي كانـت قبالـة الحـمَّام وتسـتخدم عـادة لاسـتبدال الملابـس وتجميـع وترتيـب الثيـاب بعـد غسـلها، ورغـم أنهـا كانـت تطـلُّ عـلى الحديقـة مـن الجهـة القبليـة إلا أنهـم اعتبروهـا غرفـة مُعتِمَـة لأن سـقفها

---

(1) مصطلـح ألمـاني ليـس لـه مـا يقابلـه في المعنـى، ولكنـه أقـرب لكلمـة "أمّـة"، ولكـن ليـس امبراطوريـة أو مملكـة؛ نظـرًا لطبيعـة الحُكـم بألمانيـا، التـي ليسـت بهـا امبراطـور أو مَلِـك.

مـليء بالعـروق الخشـبية وتضيئها لمبات الجاز. كانـت أيضًـا بعيـدة عـن ضـوء الشـمس، وبمجـرَّد فتـح الشـباك الزجاجـي الجـرَّار الـذي بغـرب الغرفـة تمـرُّ نسـمات الهـواء البـاردة حتـى بأوقـات الظهـيرة؛ فكانـت أكـثر غرفـة رطبـة بالبيـت كلـه، وكان الشـجار دائِمًـا بـين الأخـوات الثـلاث وهـنَّ يتسـارعن للاسـتلقاء أمـام النافـذة مُتمـدِّدات عـلى الحصـير، ويقضـين هكـذا سـاعات العـصر الأكـثر حـرًّا.

وكالمعتـاد بـكل عـام، بمنتصـف الصيـف تَقِـلُّ شـهيتهن للطَّعـام، ويُصَـبن بنقـص ڤيتامـين "B"، ويخسـرن كثـيرًا مـن الـوزن، لكـن "يوكيقـو" بالـذات بخسـارتها للـوزن مثلهـن يصبـح الأمـر لافِتًـا للنظـر، فهـي -بخلافهـن جميعًـا- يشـتدُّ عليهـا المـرض[1] منـذ شـهر يونيـه، ويبـدو أنهـا لا تتماثـل للشـفاء.

كان هـذا مـن ضمـن أسـباب مجيئهـا أيضًـا؛ فلعـلَّ حالتهـا الصحيـة تتحسَّـن بتغييرهـا للمـكان، ومنـذ وصولهـا وهـي مُجهَـدَة ومثقلـة الخطـوات؛ لـذا تتلقَّـى العـلاج "حقـن بيتاكسـين" مـع أختَيْهـا: "ساتشـيقو" و"يوكيقـو"؛ فجميعهـن يعانـين مـن نفـس الأعـراض، ويتلقَّـين العـلاج ذاتـه، حتـى أصبـح روتينًـا يوميًّـا.

إذا ارتـدت" ساتشـيقو" أي ثيـاب طويلـة شـفَّت عـن نحافتهـا، وقـرب نهايـة شـهر يوليـو آل بهـا الحـالُ لكراهيتهـا للملابـس مثـل "يوكيقـو"، وأصابتهـا برهـاب الثيـاب هـي الأخـرى بالمثـل، وبـدأت في ارتـداء نفـس الملابـس الحريـر الچورچيـت، والتـي تبـدي قوامهـما كالدُّمـى التـي يُربَـط الحـزام الخيطـيُّ عـلى خاصرتهـا.

وإن كانـت "تائيقـو" فيـما بينهـن هـي الأكـثر نشـاطًا إلَّا أنهـا منـذ الصدمـة التـي تلقَّتهـا يـومَ الفيضـان لم تسـتردَّ عافيتهـا بعـدُ، وكالمعتـاد

---

(1) كـما ورد بالجـزء الأول: كلهـن مصابـات بمـرض الـ "بـري بـري". وهـو مـرضٌ يصيـب الجهـاز العصبـي بسـبب نقـص ڤيتامـين "B"، ومـن أعراضـه الخمـول الشـديد والتَّعـب.

بصيف هذا العام، هي أيضًا ليست على ما يرام. والأكثر من ذلك أنها أخذت إجازةً من مدرسة التفصيل من بعد ما حدث، وكان من حُسن الحظ أن شقتها في "شوكوجاوا" لم تَطلَها المياه، ويمكنها أن تستمر في عملها لتصنيع الدُّمى دون أي معوِّقات، وإنما كان يلزمها بعض الوقت؛ فهي لا تزال بمزاجٍ سيئ، ولا تتوجَّه للعمل إلَّا نادِرًا.

استمرَّ "إيتاكورا" في المجيء والسؤال عنها، ولم يكن يأتيه الزبائن لالتقاط صور منذ حادث الفيضان؛ فكل الأسواق حاليًا خاوية. كان يترجَّل بالمناطق التي تدمَّرَت بالفعل ليجمع صورًا تذكارية لأضرار تلك الكارثة، وكل يوم يتحسَّن به الطقس يرتدي بنطاله القصير ويأخذ آلة تصويره الـ "LEICA" ويتجوَّل قليلًا، ثم يمرُّ عليهم دون سابق إنذار والعرق يتصبَّب على وجهه بعدما أحرقته أشعَّة الشمس. اعتاد أن يتوجَّه أوَّلًا نحو باب المطبخ وينادي:

-"أوهارو، ماء... ماء".

فتصبُّ له "أوهارو" كأسَ الماء، ويتجرَّعها دفعة واحدة، ثم بعناية ينفض الغبار الأبيض الكثيف عن ملابسه، ومن بعدها يصعد للغرفة اليابانية الطراز حيث تجتمع أسرة "ساتشيقو"، وينخرط في الأحاديث معهم.

اليوم أيضًا كان حديثه عن الأماكن التي ذهب إليها حيث توجَّه إلى: "نونوبيكي"، "روقووسان"، "كوشيكي إيوا"، وعيون "أريما" الساخنة، وغيرها من المناطق التي لحقت بها أضرارٌ من الفيضان ورصدتها عدسته، ومن وقت لآخر كان يأتي بالصور التي قام بتحميضها ويشرح إحساسه ونظرته البارعة المتميِّزة، ويشاركهم بها.

اعتاد "إيتاكورا" أن يبدأ حديثة فور دخوله إليهم:

"هيَّا، ألن نذهب للتَّنزُّه على شاطئ المحيط؟ استيقِظوا... استَيقِظوا، التَّذمُّر لن يُجدي نفعًا".

وتجيبـه عائلـة "ساتشـيقو" بـردودٍ فاتـرة، ويسـألونه ما إن كانـت الأمور عـلى مـا يـرام بضفـاف نهـر "أشـييا"، ومـا إذا كانـت السـباحة سـتُعجِّل شِـفاءهم مـن داء "الـبري الـبري".

بـذاك الحـين نَـوَوا الذَّهـاب حقًّـا، وأخـذت "أوهـاروا" بيدهـن ليسـتفيقوا ويسـتعدُّوا بارتـداء لبـاس السـباحة، وطلبـوا سـيارة لتوصلهـم للشـاطئ العـام عـلى ضفـة النهـر.

تـردَّدَت "ساتشـيقو" في مُرافَقـة ابنتهـا للنـزول للسـباحة لشـعورها بالإعيـاء؛ فتقـدَّم "إيتاكـورا" واصطحبهـا.

وعـلى هـذا الحـال يومًـا بعـد يـوم يـزداد الـودُّ وتنسـاب الكلـمات بسلاسـة، وألفـت القلـوب مـا اسـتغربته دون أن تبـالي؛ فمثـلًا فتحـه للخزانـة مـن تلقاء نفسـه، والـذي اعتـبروه سـلوكًا غـير مُحتَمَـل، وكثـير مـن التصرُّفـات غيرهـا التـي عـلى نفـس الشـاكلة، نظـير كونـه دائِمًـا في العَوْن يقـدِّم كلَّ مـا بوسـعه دون امتعـاض، مهـما كان مـا يطلبونـه جعـل المسـألة سـاحِرةً مُثـيرة للشَّـغف.

في أحـد الأيـام كان ثلاثتهـم مُسـتَلقِين كعادتهـم بالغرفـة اليابانيـة الطراز أمـام النسـمات المنعشـة التـي تهـلُّ مـن النافـذة، دخـل زنبـورٌ كبـيرٌ مـن الحديقـة، وأخـذ يـدور فـوق رأس "ساتشـيقو" في البدايـة مُصـدِرًا أزيـزه...

"أختي، زنبور"...

وبمجـرَّد أن قالتهـا "تائيقـو" نهضـت "ساتشـيقو" في هَلَـع، لكنـه انتقـل مـن رأسـها إلى "يوكيقـو"، ثـم إلى "تائيقـو" هـي الأخـرى... ثـم أعـاد الكَـرَّة مـن أولهـا، وانتقـل لــ "ساتشـيقو" مـرَّةً ثانيـة، وظـلَّ يحـوم فـوق رؤوسـهن واحـدة تلـو الأخـرى. هربـن جميعهـن بأجسـادهن العاريـة، وتخبَّطـن داخـل الغرفـة هنـا وهنـاك،و بـدا وكأنـه يلاحقهـن حيثـما ذهـبن ليسـخر منهـن؛ فصرخـن وقفـزن خـارج الغرفـة، والزنبـور أيضًـا خـرج مُتعقِّبًـا خطواتهـن.

"آااااه... جاء، لقد جاء".

تعالــت الصرخــات وهُــنَّ يُهَرولــن مــن غرفــة الطعــام ومنهــا لغرفــة الجلــوس، وأصابــت الدهشــة "روزمــاري" و"إتســوقو" وهــما تلهــوان.

"ماذا هناك؟! أمي؟".

وبلحظتها جاء بأزيزه واصطدم بزجاج النافذة.

"آااااه،جاء... جاء".

وبهذه المرة أُضيفت صرخات "روزماري" و"إتسوقو".

اســتمرَّت الخمــسُ في الهــرب والــدَّوران بالغرفــة، وكأن هــذا الزنبــور شَــبحٌ.

الأزيــز الــذي أصــدره أفقدهــن صوابَهــنَّ، أو ربمــا هــي عادتهــن كلَّــما وقــع حَــدَثٌ مُشــابِه؛ فهُــنَّ يتقافــزن بالحديقــة إن حــدث بالمثــل ولاحقتهن أي حــشرة، وهــا هُــنَّ مــا زِلــن يُهَروِلــن مــن غرفــة للأخــرى، ويتدافعــن واحِــدةً تلــو الأخــرى ذهابًــا وإيابًــا بــكلِّ أرجــاء المنــزل.

"ماذا يحدث؟ ما كل هذه الجلبة؟".

بالصُّدفــة حــضر "إيتاكــورا"، وبعدمــا دخــل مــن بــاب المطبــخ وأطــلَّ بوجهــه مــن الســتارة الفاصلــة بــين المطبــخ والرَّدهــة أصابتــه الدهشــة. لقــد جــاء اليــوم أيضًــا وفي نيَّتــه دعوتهــم للتَّنــزُّه بالبحــر، وارتــدى لبــاسَ العــوم تحــت ملابســه، واعتمــر قُبَّعــة البحــر ووضــع منشــفته حــول كتفيــه.

"أوهارو. ماذا يحدث؟".

"يلاحقهن زنبور".

"ماذا! كل هذا الهرج!".

وهكــذا مــررن جريًــا مــن أمــام "إيتاكــورا"، مُتكتِّــلات خمســتُهنَّ، وكل واحــدة منهــن تَضــمُّ قَبضتهــا تحــت إبطهــا بإحــكام وكأنهــا في تدريــب عَدْوٍ.

"اليوم... إنه لذو شأن عظيم!".

"الزُّنبور، الزُّنبور... "إيتاكورا"... هيا، أمسِكْه بسرعة".

صرخـت بهـا "ساتشـيقو" دون أن تسـتريح مـن الجـري، و"إيتاكـورا" مُتجمِّـدَة ملامحـه وتعتـلي وجهـه نظـراتٌ جـادَّة مليئـة بالفضـول وهـو يشـاهدهن يَصرخـن ويَضحكـن مـلء أفواههـنَّ وتلمـع أعينهـنَّ.

خلـع "إيتاكـورا" قُبَّعتـه ليُلـوِّح بهـا ويدفـع الزنبـور ليطـير خارجًـا لغرفة الجلـوس ومنهـا للحديقة.

"يـا للعجـب! يـا لـه مـن زُنبـور عنيـد!... كـم أبـدو أحمـق وأنـا مندهش من زنبـور!".

"هكذا إذن! الأمر ليس مُضحِكًا. إنه عن جدٍّ مُرعِب".

تنفَّسَـت "يوكيقـو" الصعـداء واعتـلى وجهها الشـاحبَ ضحـكاتٌ دون سـبب. كان المـرض يجعـل قلبهـا في خفقـان سريـع ملحوظـة دقَّاتـه مـن فـوق ملابسـها الحريريـة.

الفصل الثاني عشر

في بدايـة شـهر أغسـطس وصلـت عـلى عنـوان "تائيقـو" خـلاف كل الطالبـات الأخريـات بطاقـة مـن المعلِّمـة "أوسـاكو"، تخبرهـا بدخولهـا لمشـفى بالجـوار بعدمـا سـاءت حالـة مرضهـا الكلـوي. كان المتّبـع عـلى وجـه العمـوم هـو توقُّـف تدريبـات الرقـص بشـهري "يوليـو" و"أغسـطس" مـن كل عـام، وحينـما التقوهـا ببيتهـا في بلدتهـا مسـقط رأسـها بوقـت المهرجـان في شـهر يونيـه لم تكـن صِحَّتهـا بخـير، واسـتمرَّ الحـال هكـذا حتـى شـهر سـبتمبر والمعلمـة "أوسـاكو" متوقِّفـة عـن العمـل.

انقطعـت عنهـا "تائيقـو" لفـترة، وهـذا ليـس لكونهـا غـير عابئـة مثـلًا، بـل كان انقطاعهـا بسـبب بُعـد المسـافة؛ فبيـت المعلِّمـة كان بمنطقـة "تنجاچايـا"، أي أنهـا مـن مسـكن "تائيقـو" في "أشـيبا" عليهـا أن تقطـع "أوسـاكا" مـن الشـمال للجنـوب وتسـتقلَّ القطـار مـن حـي "نانبـا". لقـد كان تدريبهـا بمـكانٍ في قلـب الجزيـرة، وكان لا بـأس مـن ذهابهـا بـذاك

الحين، وإنما من بعدها لم تتكرَّر زيارتها للمكان ثانية؛ لذلك كان تَلَقِّيها للخبر بهذا الشكل صادِمًا.

إنها بسبب مرضها الكلوي أصبحت تعاني من "اليوريميا"[1] وعلى الأرجح حالتها متأخِّرة.

"كيف حالها؟ "تائيقو"، ستذهبين لزيارتها بالغد؟ على أيَّة حال أنا أيضًا سأذهب معك".

راود"ساتشيقو" القلق من أن يكون مجيء المعلِّمة "أوساكو" إليهم باستمرار من مكان بعيد هكذا من أجل تدريب"تائيقو" و"إتسوقو" هو ما آذاها، خاصَّةً وأنها انتظمت في المجيء طوال شهري مايو ويونيه أكثر من أي وقت مضى. ليت هذا لا يكون سببًا وراء مداهمة المرض لها بهذه الضراوة. إنها بذلك الحين كان ملحوظًا تورُّم وجهها وشحوبه، مع تَسارُع أنفاسها أثناء التدريبات، لكنها هي التي قالت إن الرقص هو الشيء الوحيد الذي يُبقي على صِحَّتها بخير، ولكنها في الواقع عليها الآن تَجنُّب أي حركة لجسدها، وبالتأكيد ستعتذر عن أي التزام لاحِقًا بالتدريب، وللأسف سيكون هذا مُحبِطًا للصغيرة ولـ "تائيقو" أيضًا؛ فهما مغرمتان للغاية بتدريبات الرقص.

لكن المعلِّمة "أوساكو" ذاتها هي أكثر مَن سيتأثَّر بالأمر، لقد بذلت قصارى جهدها من أجلهما ولم تَبُح بأي شيء، وبعدما آلت حالتها لهذا الوضع ستندم إن لم تتوقَّف عن التدريب على الفور.

قرَّرَا أن يذهبا لزيارتها عن قريب، وأن يكون هذا أول ما يفعلانه، خاصَّةً بعدما وصلتهم بطاقة منها، وبالفعل بصباح يوم صافٍ أخبرتهم "تائيقو" أنها ستذهب للزيارة، وأضاعت الوقت في تَفَحُّص ما ستأخذه معها من أشياء إلى أن همَّت بالخروج في الظهيرة، وعادت في الساعة

(1) يوريميا "uremia" مرض من أعراض عدم كفاءة وظائف الكُلْيَتَيْن، ويُعدُّ من أحد المظاهر السريريَّة للفشل الكلوي، ويتمثَّل في وجود مستويات عالية من اليوريا في الدم.

الخامسة أنفاسها لاهِثَة، ودخلت مباشرة للغرفة اليابانية الطراز وهي تشكو الحَرَّ بتلك المنطقة من "أوساكا".

كانت تتصبَّب عَرقًا وتخلع ملابسها اللصيقة بجسدها كلها من رأسها وكأنها تنزع عنها جلدها، واتَّجَهَت للحمَّام بعدما أصبحت عارِيةً سوى من ملابسها الداخلية. خرجت بعد حينٍ وهي تحيط رأسها بمنشفة مُبلَّلة، وتلفُّ خصرها بأخرى كبيرة، ثم ارتدت الـ "يوكاتا"[1]، ودون أن تربط حزامه مرَّت من أمام أختيها قائِلةً:

"عُذرًا".

وجلست بجوار المروحة الكهربية ورداؤها المفتوح يستقبل نسمات الهواء، وأخيرًا قصَّت عليهم الحالة المرضية لـ "أوساكو"، وأخبرتهم بأن حالتها سيئة للغاية، رغم أنها بمنتصف الشهر الماضي لم يكن بها شيء على الإطلاق، بل وفعلت كما تُفضِّل دائِمًا، وكانت هي الشخص المسؤول عن استخراج الشهادات العليا الموثَّقة لممارسة تقديم الفنون، وباليوم الثلاثين من شهر يوليو قدَّمَت هذه الشهادة لإحدى الفتيات وأقامت لها حفلًا ببيتها، وكانت المعلِّمة "أوساكو" بذلك الوقت بالضبط ترتدي بعناية ملابسها المزيَّنة بشعار الأسرة، على الرغم من شدَّة حرارة الطقس، وابتهلت بالصلوات لصور أسلافها وفقًا للطقوس، وبدأت المراسم بشكل صارم.

لكن باليوم التالي -اليوم الحادي والثلاثين بالشهر- جاءت هذه الفتاة لتلقي على مُعلِّمتها التحية فوجدتها مُمتَقِعًا لون وجهها ولا تتحسَّن، بعدها بأوَّل يوم من شهر أغسطس لازَمَت "أوساكو" الفِراش إثر الإعياء.

(1) كيمونو صيفي من القطن.

إن خـطّ السِّكّة الحديـد لقطار"نانـكاي" يختلـف عـن خَـطّ "هانشـين"، حيـث إن العـروق الخشـبية بقضبانـه أقـلُّ، ومحطَّاتـه بـين بيـوت مُتراصَّـة، أسـطحها متلاصقـة، ولـكي تبحـث "تائيقـو" فيـما بينهـم عـن المشـفى وفي الطقـس القائـظ الحـرارة؛ كان مـن الطبيعـي أن تصـل وهـي تتصبَّـب عَرَقًا.

كانـت غرفـة المعلِّمـة "أوسـاكو" بالمشـفى غرفـة حـارَّة، وإن كانـت جهـة الغـرب، ورافقتهـا إحـدى الطالبـات لرعايتهـا وتمريضهـا، لكنهـا كانـت نائِمـةً وحدهـا.

لم يكـن الاستسـقاء لديهـا حـادًّا إلى تلـك الدَّرجـة، ولا وجههـا متورِّمًـا كـما ظَنَّـت، واقتربـت "تائيقـو" مـن وسـادتها وألقت عليهـا التحيـة باحترام، ولكنهـا بَـدَت وكأنهـا لم تتعـرَّف عليهـا، وكـما جـاء بحديـث مَـن ترعاهـا فهـي تسـتعيد وعيهـا بـين الحـين والآخـر، وأنهـا في الغالـب ستسـتمرُّ هكـذا في حالـة الغيبوبـة والهذيـان بخصـوص أمـور تتعلَّـق بالرقصـات بالطَّبـع.

تواجدت"تائيقـو" معهـا قرابـة نصـف السـاعة ثـم انصرفـت قائِلـةً إنهـا ليـس لديهـا مُتَّسـع مـن الوقـت، وبمجـرَّد خروجهـا لحقـت بهـا هـذه الفتاة بالردهـة لتخبرهـا بـرأي الأطبَّـاء بأنهـا لا أمـل بهـذه المـرة، وذلـك بالضَّبط مـا أدركتـه "تائيقـو" برؤيتهـا لحالـة "أوسـاكو" الصحيـة، وبعدمـا فكَّـرَت بأنهـا لـن تـأتي مـرة أخـرى وتتكبَّـد العنـاء وتتصبَّـب عَرَقًـا وتلهـث أنفاسـها بطرقـات تلفحهـا أشـعَّةُ الشـمس الحارقـة، تذكَّـرَت أن مُعلِّمتهـا تحمَّلَـت هـذه المشـقَّة ذهابًـا وإيابًـا يوميًّـا، بحالـة جسـدها تلـك، وشـعرت بالمعاناة التـي تحمَّلَتهـا مـن أجلهـا.

بعـد سماع"ساتشـيقو" لمـا أصبـح عليـه الوضـع ذهبـت لزيارتهـا باليـوم التـالي برفقـة "تائيقـو"، وبعدهـا بحـوالي خمسـة أو سـتَّة أيـام جاءهـم خـبر وفاتهـا، وأول مـرة سـنحت لهـا الفرصـة لزيـارة بيـت المعلِّمـة كان بعـد وفاتهـا؛ مـن أجـل تقديـم التعـازي.

كانـت "أوسـاكو" هـي الشـخص الوحيـد الـذي ينقـل عـادات وتقاليـد القـرى الجبليـة ذات الأصـول العريقـة، وقديمًـا كانـت تقطـن ببلـدة "كروايـه مـون" في إقليـم "نـان تـشي"، وأطلقـوا عـلى عائلتهـا اسـم القُـرى التـي هـم منهـا، واعتُـبِرَت هـي الوريثـة مـن الجيـل الثـاني.

اندهشـت "ساتشـيقو" بوصولهـما للعنـوان المنشـود؛ فقـد كان البيـت مَسـكنًا بائِسًـا، وأفضـل مـا يُطلَـق عليـه "فقـر مُدقِـع"، ولم يتخيَّـل أيٌّ منهما أبـدًا أن ضيـق العيـش قـد يصـل إلى هـذا الحـد، ولكـن هـذا كان لأن الراحلـة أخلصـت بـكل وجدانهـا للفـن وكرهـت بشـدَّة انهيـارَ النمـوذج المثـالي للرقـص المتـوارَث منـذ قديـم الأزل، ولم تُغـيِّر معتقداتهـا لتُجـاري الزمـن، وبالوصـف الدقيـق هـي كانـت ضعيفـةٌ في كسـب مهـارات سُـبُل العَيـش.

أليس هذا هو السبب؟!

إن "سـاجي سـاكو" التـي كانـت أوَّلَ مُعلِّمـةِ مَـسرَحٍ بالإقليـم الجانـوبي، ومُصمِّمـة رقصـات الفلكلـور "رقـص إشـيبيه"، والتـي تُعتَـبَر مُؤسِّسـة للجيل الأول، قبيـل وفاتهـا أوصَـت "أوسـاكو" كوريثـة لهـا أن تُصبـح مُعلِّمـة المنطقـة، لكنهـا رفضـت رفضًـا قاطعًـا؛ فبـذاك الحـين كان الرقـص المتـبرِّج في أوج ازدهـاره في منطقـة "فوجيـما" و"واكاياجـي"، وعـلى هـذا فـإن أصبحت هـي معلِّمـة الحـيِّ سـيكون مـن صميـم مهـام دورهـا أن تنخـرط بالأمـر، ولا مَفـرَّ مـن تعديـل حـركات الأيـدي لتواكـب أحـدث صيحـات الرقـص بهـذا العـصر، وهـذا مـا لم تَبتَغيـه الوريثـة؛ فهـي كانـت شـخصيَّةٌ عنيـدة، عـلى أتـم اسـتعداد لتَشـقَّ طريقهـا بالحيـاة مهـما واجهـت مـن صعوبـات.

من هذا المنطلق اكتفت بقليل من الطالبات.

إن "أوسـاكو" أخذتهـا جدَّتهـا منـذ نعومـة أظافرهـا وتولَّـت تربيتهـا، ولم تعـرف والديهـا، وأصبحـت فتـاة جيشـا، وعـلى مـا يبـدو أنهـا عاشـت في كنـف سـيدها، إلَّا أنـه -كالعُـرف السـائد- لا يمكـن لهـا أن تُنجِـب طفـلًا

بـدون زواج، وعاشـت مَغضوبًـا عليهـا مـن أفـراد أسرتهـا، وعنـد موتهـا لم يـأتِ أيٌّ مـن ذويهـا.

أقيمـت مراسـم الجنـازة بهـذا اليـوم شـديد الحـرارة في "أبيهنـو"((1)*) بحضـور عـددٍ قليـل مـن الأشـخاص الذيـن هـم ذاتهـم مـن تَبقَّـوا لأخـذ الجثـمان للمَحرَقـة التـي بالجـوار وانتظـروا الرُّفـات، وبتلـك الأثنـاء تبادلـوا الأحاديـث عـن ذكرياتهـم مـع الراحلـة.

"كرهــت المعلِّمــة "أوســاكو" وســائل المواصــلات جميعهــا، خاصَّــةً الســيارات والســفن".

""أوسـاكو" رغـم كل شيء كانـت قويَّـةَ الإيمـان، وفي يـوم 26 مـن كلِّ شــهر تســتقلُّ القطــار وتذهــب لزيــارة معبــد "قيوشــيقوچن" دون أن يفوتهـا مـرَّة، ولهـا جولـة شـهرية بالمعابـد الثلاثـة الشـنتوية: "قووتـزو" و"إيكوتامـا" و"سـوميوشي"، بمعابدهـم الملُحَقَـة، وبأواخـر الشـتاء بمعابـد بلـدة "كاميماتـشي"، وتُـوزِّع مُعجَّنـات الأرز بعـدد سِـنِي عمرهـا".

"كل التدريبــات زاولَتهــا بمنتهــى الحــماس، وكانــت تُعلِّــم طالباتهــا بتواضُــعٍ الإحســاسَ الــلازم لــكلِّ جزئيــة، وتكتشــف الأخطــاء الشــائعة وتُصحِّحهــا، فمَثَــلًا، بالرَّقصــة التــي عــلى أغنيــة مــن الفلكلــور تُدعَــى "shiokumi 汐汲み" و"kanawa 鉄輪" كانــت تُوجِّههــن كيــف يتحرَّكــن، وتلقــي تعليماتهــا بأعــينٍ يملؤهــا الافتتــانُ، وتشــاركهم بــكل انحنــاءَةٍ وتَمايُــل".

""أوسـاكو" شـخصية مُتحفِّظـة تتمسَّـك بمفاهيـم عفـا عنهـا الزمـن، ولا تسـتطع أن تقـف لا تحـرِّك سـاكِنًا وتـدع الرقـص المعـاصر بــ "كيوتـو"

(1) ABENO 阿倍野あべの منطقـة في جنـوب "أوسـاكا" غنيـة بالمواقـع التاريخيـة، وهـي الآن منطقـة تجارية.

و"أوساكا" يمضي قُدُمًا مُواكِبًا التيار، بل وانشغل تفكيرها بأن تطأ قدمها "طوكيو" لأول مرة بحياتها إن سنحت لها الفرصةلتجابه الأمر، وبدون تفكير منها بالموت قالت إنها حين تبلغ الستين من العمر ستستأجر مسرح الجنوب وتقيم المنتديات الرائعة".

كانت "تانيقو"هي أحدث الطالبات التحاقًا بالتدريبات وعلاقتها المقربة من المعلِّمة "أوساكو" لم تكن إلَّا بالفترة الأخيرة لذلك كانت تصغي بهدوء هي وأختها لكل ما يدور حولهما من أحاديث؛ فلقد كان لهما عناية خاصة منها، وإنما إن كانت لـ "تانيقو" نِيَة كامنة بأن تصبح مُعلِّمة مُعتَمَدَة فالآن خبَّأت هذه الرغبة.

الفصل الثالث عشر

"أمّي، عائلة "STOLZ" سيعودون لألمانيا".

بذاك اليوم، عادت الصغيرة "إتسوقو" بهذا الحديث بعدما أمضت اليوم بأكمله تلهو ببيت جيرانهم الألمان، ولأنه كلام أطفال فلم تأخذه "ساتشيقو" على محمل الجدّ، لكن بالصباح التالي حين التقت السيدة"STOLZ" عند السور السّلكيّ الفاصل بالحديقة حاولَت التأكُّد ممّا قيل، وفاجأها الرد بأن الأمر حقيقي.

جاء بحديث السيدة "STOLZ" أن اليابان فعلًا منذ بدء الحرب وكل الأشغال التجارية متوقّفة تمامًا، وبمتجر زوجها في "قوبيه" منذ بداية هذا العام والحال وكأنهم بعطلة. لقد ظنُّوا أن الحرب ستنتهي على الفور، وانتظروا للآن، ولكن أصبح لا أحد يدري شيئًا، وبعد تفكيرٍ طويل قرَّر زوجها العودة لبلدهم. كانت تجمع شتات كلماتها وهي تقول إن زوجها في الأصل كان يتاجر في "مانيلا"، لكنه منذ عامين أو ثلاثة جاء إلى "قوبيه"، ورغم تكبُّده لكثير من المشقة ليُهيِّئ موطِئَ

قَدَمٍ له بالشرق الأقصى إلَّا أن مجهود السنين ضاع هباءً كفقاعة ماء، وليس أمامهم سوى العودة للديار الآن، وقالت لـ "ساتشيقو" أيضًا:

"أنا وأطفالي نشعر بسعادة لا توصف لكوننا حظينا بجيران أفاضل أمثالكم، ولكن علينا أن نفارقكم الآن، كم هذا مرير... أنا وأبنائي سنعاني كثيرًا".

وكان حديثها في عُجالَة.

بهذا نَوَت عائلة "STOLZ" أن يغادر ربُّ العائلة وابنهم الكبير "بيتر" أوَّلًا بهذا الشهر ويعودان لبلادهما، مرورًا بأمريكا، والزوجة و"روزماري" و"فريتز" سيرحلون مع بعضهم البعض بالشهر القادم إلى "مانيلا"، ويبقون هناك ببيت أختها لفترة وجيزة، ثم يتوجَّهون لأوروبا جميعهم، حيث ستغادر معهم عائلة أختها أيضًا ويرحلون لبلادهم.

كانت أخت "هيلدا" هناك بـ "مانيلا" طريحة الفراش وتعاني مرضًا عضالًا، وهي مَن ستتولى شؤون بيت أختها وتجمع الأمتعة، وبخلاف أطفالها ستصطحب أطفال أختها الثلاثة.

لم يتبقَّ سوى اثني عشر يومًا على رحيل "روزماري"، وحجز أبوها كابينة له ولأخيها"بيتر" بآخر شهر أغسطس على متن الباخرة "EM-PRESS OF CANADA" والمغادرة من ميناء "يوقوهاما".

أمَّا من ناحية عائلة "ماكي أوكا" فلقد كانت "إتسوقو" تعاني انهيارًا عصبيًّا منذ أواخر شهر يوليو، غير أنه لم يكن بنفس حِدَّة العام الماضي، بجانب معاناتها من مرض "البري البري"؛ ففقدت شهيَّتها للطعام وبدأت تشكو من الأرق، وربما عليهم أن يصطحبوها إلى "طوكيو" في زيارة لبيت العائلة الكبير قبيل أن تشتدَّ حِدَّة مرضها؛ لعلَّ حالتها تتحسَّن. إنها لا تعرف "طوكيو"، وزملاؤها بالمدرسة يحسدون

مَـن ذهـب منهـم للزيـارة "نيچوبـاشي"[1]، وإن اصطحبوهـا في زيـارة لرؤيـة المعـالم هنـاك قـد يسـاعدها ذلـك بـأي شـكل، عـلاوة عـلى أن "ساتشـيقو" لم تَـزُر بَعـدُ بيـت العائلـة في "شـيبويا"؛ لذلـك فهـي فرصـة مناسـبة.

بهـذا أصبـح ثلاثتهـم "ساتشـيقو" و"يوكيقـو" و"إتسـوقو" ينتظـرن بفـارغ الصـبر بـدء شـهر أغسـطس للسـفر، لكـن بمـرض المعلِّمة"أوسـاكو" ثـم رحيلهـا تَـمَّ التأجيـل، وربمـا يسـتطعن الذهـاب بهـذا الشـهر، لكـن أيضًـا إذا كانـت مغـادرة ربِّ عائلـة "STOLZ" مـن "يوقوهامـا" قُـربَ هذه الأيـام فعليهـنَّ الذهـاب لوداعـه أوَّلًا، وهـذا مـا فكَّـرَت بـه "ساتشـيقو"، ولسـوء الحـظ مـرَّةً أخـرى فـإن يـوم المغـادرة سـيوافق يـوم مهرجـان "چيزوبون"[2]ويتوجَّـب عـلى "ساتشـيقو" زيـارة المعبـد بـدلاً مـن أختهـا الكبـيرة ربـة بيـت العائلـة الكبـير وفقًـا لطقـوس "سـجاكي"[3] المتَّبَعَـة.

بهـذا الحـال أصبـح مـا باليـد حيلـة.، وفي يـوم 17 مـن الشـهر أقامـوا حفـل وداعٍ لــ "بيـتر"، ودعـوا كلَّ الأطفـال، وبعدهـا بيـوم -أي في يـوم 19 مـن الشـهر- أقامـت عائلـة "STOLZ" حفـلَ شـايٍ للأطفـال، واجتمـع أصدقـاء "بيـتر" وروزمـاري" الألمـان، وانضمَّـت لهـم صديقتهـم اليابانيـة الوحيـدة "إتسـوقو".

بمسـاء اليـوم التـالي جـاء "بيـتر" وحـده لبيـت عائلـة "مـاكي أوكا" ليودِّعهـم، وصافحهـم فـردًا فـردًا، وأخبرهـم أنـه في صبـاح الغـد سـيتوجَّه مـع والـده إلى "سـان نوميـا"، ومنهـا إلى "يوقوهامـا"، ومـن ثـم عَـبرَ أمريـكا يصـلان إلى ألمانيـا في أوائـل شـهر سـبتمبر.

---

(1) الجسر المزدوج الذي أمام القصر الامبراطوري بطوكيو.

(2) مهرجان في 23 و24 من أغسطس يقام في كيوتو.

(3) せがき施餓鬼 طقـوس للبوذيـة اليابانيـة أصبحـت مـن التقاليـد المتَّبعـة لوقـف معانـاة الأشـباح التـي يعذِّبها جـوعٌ لا ينضـب، عـلى أن تكـون هـذه الطقـوس لإجبارهـم للعـودة بأماكنهـم في الجحيـم ومنـع أرواح المـوتى مـن السـقوط في عالمهـم. الاحتفـال أيضًـا يُعتَـبَر مناسـبة رمزيـة لقطـع العلاقـات مـع خطايـا المـاضي وتذكُّـر المـوتى.

سيسكنون في "هامبرج"، ودعاهم "بيتر" ليأتوا لزيارتهم بأي وقت، وأضاف أنه حين يمرُّ على أمريكا يَوَدُّ شراء أي شيء لـ "إتسوقو" ويرسله لها. سألت "إتسوقو" أمَّها ثم طلبت منه أن يرسل لها حذاء، فطلب أن تعيره أي حذاء لها، ورجع لبيته، لكنه سرعان ما عاد ومعه ورقة وقلم رصاص وشريط قياس وقال:

"أخبرت ماما وقالت لي من الأفضل أن تأخذ قياس قَدَمِها بدلًا من أن تستعير حذاء".

وأخذ المقاس بعدما جعل "إتسوقو" تضع قدمًا على الورقة، وفعل كما قالت له أمُّه بالضبط، وكتب القياس وعاد.

في صباح يوم 22 اصطحبت "يوكيقو" الصغيرة "إتسوقو" إلى "سان نوميا" لوداع "بيتر" وأبيه، وبذاك المساء دار حديثهم حول طاولة العشاء عمَّا أخبرهما به الأب عن ابنه؛ فلقد قال إن"بيتر" منذ الصباح وهو يتملَّكه حُزنٌ شديد، وسأل "بيتر" "إتسوقو" متى ستذهب إلى "طوكيو"، وهل ستستطيع المجيء عند السفينة بالميناء يوم المغادرة 24، وأبدى لها رغبته في لقائها مرَّةً أخرى لو أمكن.

تحرَّك القطار وهو يعيد كلماته مرارًا وتكرارًا، وأصبح الأمر مُثيرًا للشَّفقة، ولكن في ذلك الحين اتَّخَذَت "ساتشيقو" من حديثه ذريعةً لتقول للصغيرة:

"إنْ كان الأمر هكذا فاذهبي للقاء "بيتر" في "يوقوهاما"".

فماذا بها إذا لم تُصمِّم أمُّها على ضرورة قضاء يوم 24 معها وتسمح لها بالمغادرة مع "يوكيقو" بالغد بالقطار المسائي وتصلان بصباح بعد غد إلى "يوقوهاما" وتذهبان مباشرة إلى السفينة بالميناء؟ وستلحق بها أمُّها في يوم 26 وتصطحبها في جولة لزيارة معالم "طوكيو" بعدما ينتظرانها هذه الليلة في بيت العائلة في "شيبويا".

أليس من الأفضل أن تسير الأمور هكذا؟...

لَحظَتَها دار هذا النقاش:

"ماذا إذن "يوكيقو"... هل تغادران مساء غد؟".

"لم أُتمِّم مشترياتي بعد، تُرى هل سيمكنني الانتهاء منها بنهار الغد؟... إن ركبنا بالقطار المسائي ستنام "إتسوقو"، وإن غادرنا بعد غد بالصباح الباكر لن نلحق".

وظلَّت "ساتشيقو" و"يوكيقو" باقي اليوم كلَّه على هذا الحال، وأمضت كلتاهما ليلتها بشعور بائس.

قالت "تائيقو" دون اكتراثٍ:

"في الحقيقة من الأفضل المغادرة بعد غد، وليكن بالصباح الباكر مثلما فعلت حين مجيئك "يوكيقو"".

ثم أضافت بنبرةٍ يَغلبها المزاح:

"ليته يُمكِنُك التَّمهُّل، وإنَّما لا مفرّ؛ فكُلُّه من أجل "بيتر" و"إتسوقو"...".

لقد جاءتهم "يوكيقو" بشهر يوليو، أي منذ ما يقرب الشهرين، وظنَّت حينها أن الأوضاع استقرَّت هكذا، ولكنها ها هي الآن عليها المغادرة بعد غد، وبشكل أو بآخر ستفارق؛ مِمَّا يجعلها ينفطر قلبها. وإن كان بهذه المرة سترافقها "إتسوقو" وتلحق بهما "ساتشيقو"، ولن تتخذ طريقها بمفردها، إلَّا أن الأم وطفلتها لن تبقيا طويلًا، وسرعان ما ستبدأ المدارس ويتوجَّب عليهما العودة، ومن بعدها سيلزم عليها البقاء في طوكيو.

هكـذا ظنَّـت "يوكيقـو"؛ فوجودهـا في "أشـيبا" وعيشـها مـع عائلـة أختها الوسـطى "ساتشـيقو" هـو مـا تبتغيـه، غـير أنـه غنـي عـن الذكـر شـأن قلبهـا المتعلِّـق بـأراضي إقليـم "كانسـاي"، وكراهيتهـا لــ "طوكيـو" وبيـت العائلـة الرئيـسي وأخيهـا الكبـير الـذي لا تتوافـق طباعهـا معـه مُطلَقًـا، ووجودهـا في إقليـم "كانتـو" لا ينـاسـب طبيعتهـا، وهـذا مـا كانـت "ساتشـيقو" عـلى يقـين منـه واسـتنتجته مـن الموقـف؛ لذلـك في اليـوم التـالي لم تبـادر بقـول أي شيء عـن عَمـدٍ؛ فـماذا عسـاها أن تفعـل؟ لـو كان الأمـر بيدهـا لاتَّخَـذت أفضـل قـرارٍ تـراه، وهـو أن تـدع كلًّا مـن "يوكيقـو" و"تائيقـو" عـلى حريتهـما، وتفعـلا مـا يحلـو لهـما.

بالصبـاح كانـت "يوكيقـو" بالبيـت، والصغـيرة تُلِـحُّ عليهـا للذهـاب، وقبـل حلـول المسـاء وهـي كـما هـي عـلى حالهـا ارتـدت ملابسـها في تَمَلمُـل وجعلـت "تائيقـو" تعطيهـا حقنـة العـلاج المعتـاد، ودون أن تقـول شـيئًا لأي أحـد اصطحبـت "أوهـارو" وخرجـت، وبـدون أيضًـا أن تُحـدِّد وجهتهـا.

عادت"يوكيقـو" بعـد السادسـة مسـاء تحمـل الكثـير مـن اللفائـف لمشـتريات مـن متاجر"موطوماتـشي" و"دايمـارو" في "قوبيـه" وقالـت:

"اشتريتُ هذا وجئت".

وأخرجـت مـن حـزام ردائهـا اثنـين مـن التَّذاكـر الخاصـة السريعـة. المغـادرة مـن "أوسـاكا" قبـل السـابعة صباحًـا، والوصـول لــ "يوقوهامـا" قبـل السـاعة الثالثـة مسـاء، إذن هنـاك مُتَّسـع مـن الوقـت لسـاعتين أو ثـلاثٍ تكفـي للقـاء.

وانحسـم الحـوار سريعًـا، وتلملمـت الأمتعـة في عجالـة، وأخبروا السـيدة "STOLZ" بمـا في نِيَّتِهـم فعله.

لم تستطع "إتسوقو" النوم من حماستها بعدما جعلتها "يوكيقو" تصعد لغرفتها دون فائدة وهي تأمرها بالنوم؛ ففي الغد عليهم الاستيقاظ مبكرًا، ثم أغلقت حقيبة ملابسها فجأة، وانتهى الأمر...

كان "تينوسوكيه" بغرفة مكتبة يتفقّد شيئًا ما، تاركًا الأخوات يثرثرن بغرفة المعيشة حتى بعد منتصف الليل، إلى أن قالت "تائيقو" بالنهاية:

"هيًا "يوكي" فلتذهبي للنوم".

وتثاءَبَت بوقاحة.

هذه الأخت الصغيرة فيما بينهن جميعًا هي أكثر من تسيء الأدب على النَّقيض من "يوكيقو"، وأصبح شأنها مبالَغًا فيه؛ فهي بالصيف قائِظِ الحَرِّ كتلك الليلة انتهت من اغتسالها وارتدت الكيمونو القطني "اليوكاتا" عاريةً، وتركت حزامه دون أن تربطه؛ فكان بين الحين والآخر ينكشف نَهدُها، فتوجِّه إليه نسمات مروحة يدها وهي تثرثر.

"إن كنت تريدين النوم فهيًا اذهبي أنتِ أوَّلًا أختي الصغيرة".

"وماذا عنك؟ ألن تنامي؟".

"اليوم تحرّكت كثيرًا، ويبدو أن قلبي مُنهَكٌ بشدّة، ولا أشعر بالنعاس".

"ألست بحاجة لحقنة؟ من الضروري أن تأخذيها صباح الغد قبيل ذهابك. هذه المرة أنت بحالة مُزرِيَة "يوكيقو"...".

قالتها "ساتشيقو" بعدما لاحظت ظهور تلك البقعة على وجهها بشكل خافتٍ بعدما اختفت مدَّةً طويلة.

"طوال هذا العام وأنا أتمنّى مجيئك إلينا ثانية، والعام القادم سيكون صعبًا للغاية "يوكيقو"".

غـادر السـيد "STOLZ" وابنـه محطـةَ "سـان نوميـا"، ولكنهـما تباطـآ قليـلًا لينتظـرا مغـادرة "يوكيقـو" و"إتسـوقو" مـن "أوسـاكا"؛ فـإن سـارت الأمـور وفقًـا للموعـد المحـدَّد فـلا بُـدَّ لهـما أن تسـتقلَّا القطـار في تمـام السادسـة صباحًـا مـن "أوسـاكا".

اعتزمـت "ساتشـيقو" أن تودِّعَهـما بالمنـزل، لكـن السـيدة "STOLZ" قالـت إنهـا سـتصطحب أطفالهـا حتـى محطـةَ "أشـييا" لوداعهـما؛ فـكان عليهـا أن تفعـل هـي الأخـرى، وفي الصبـاح الباكـر خرجـوا جميعهـم؛ هـي و"تائيقـو" و"أوهـارو".

بالمحطة قالت لهم السيدة "STOLZ":

"أرسلت برقية للسفينة مساء أمس لأخبرهم بموعد القطار".

"بالتأكيد "بيتر" سيسارع بالصعود لسطح السفينة".

"أظنُّ هكذا.. "إتسوقو"، أنتِ طيِّبة للغاية. جزيل الشكر".

وقالتهـا السـيدة "STOLZ" وقالـت لأبنائهـا "روزمـاري" و"فريتـز" أيضًـا بالألمانيـة أن يشـكروها.

وكانـت كلمـة "شـكرًا عزيـزتي" بالألمانيـة:SCHATZ DANKE هـي كل مـا تعرفـه أسرة "ساتشـيقو" مـن هـذه اللغـة.

"حسنًا إذن، أمي تعالي إلينا سريعًا".

"أكيد. سآتي يوم 26 أو 27 على الأغلب".

"أكيد؟".

"أكيد".

""إتسوقو"، عودي إلينا سريعًا".

قالتها "روزماري" وهي تلاحق القطار الذي بدأ يتحرَّك، وحينها تذكَّـرت "إتسوقو" بعض الكلمات الألمانية التي أجابتها بها وهي تلوِّح بيدها.

الفصل الرّابع عشر

صباح يوم 27 وقفت "ساتشيقو" بمحطة القطار السريع بعدما جمعت بالليلة الماضية أمتعتها والحقائب والهدايا التي ستأخذها معها إلى "شيبويا"، والتي كانت حوالي ثلاث حقائب، وبالطبع هي لن تستطيع التصرُّف بمفردها بمثل هذا الظرف؛ لذا فعليها أن تجعل "أوهارو" هي الأخرى تتجوَّل بزيارة لمعالم "طوكيو".

لقد دار بخلدها الكثير من الترتيبات؛ فـ "تينوسوكيه" يعتني بحاله، و"تائيقو" دائمًا بالخارج، ولا داعي للقلق بشأنها؛ لذا فمن الأفضل اصطحاب "أوهارو"؛ فهي ستعينها بكثير من الأشياء، وإذا سارت الأمور على ما يرام فحين تبدأ المدارس ستجعلها ترافق الصغيرة وتعود بها؛ لأنها تريد أن تبقى لحين من الوقت من بعدهم.

إنها لطالما كانت تَودُّ الذهاب لـ "طوكيو" وبما أن الفرصة سنحت أخيرًا فلتتمهَّل وتذهب لمسارح أو غيره...

"آااااه... أوهارو أيضًا جاءت".

قالتها "إتسوقو" بعدما جاءت لمحطة "طوكيو" مع "يوكيقو" و"ترو أو"، الابن الأكبر لخالتها ربة بيت العائلة الرئيسي، ورأت "أوهارو" خلف أمها دون أن تتوقَّع؛ فتعالت صيحاتها في مرح، وبطريقهم بعدما استقلُّوا سيارة أجرة قالت:

"انظروا هناك... المبنى الدائري وقبالته القصر الإمبراطوري".

وارتسمت على وجهها ملامح الكبار، وبدت معنوياتها مرتفعة، وعلى الفور لاحظت "ساتشيقو" لون وجنتيها المفعم بالحيوية وتَحسُّن حالتها الذي اتَّضح من لون بشرتها وعينيها.

"يا "أوهارو"... اليوم استطاعت "إتسوقو" رؤية جبل "فوچي"".

"نعم بالضبط، لقد رأيته من قِمَّته لأسفله. كانت الغيوم أقلَّ مِمَّا هي عليه الآن، ورأيت قِمَّته".

"حقًّا! تُرى هل سيكون حظ "أوهارو" جيِّدًا بالمثل؟".

بوصول السيارة إلى "هوري باتا" أخذ "ترو أو" قُبَّعته وأشار لهم:

"هيَّا، "أوهارو"... انظري هناك. إنه جسر "نيچوباشي"".

وقالت "يوكيقو":

"لقد جئنا سابِقًا ونزلنا من السيارة وألقينا تحية الإجلال".

"بالضبط، بالضبط أمي...".

"ومتى كان هذا؟!".

"سابقًا... بالضبط يوم 24، مع السيد "STOLZ" و"بيتر" و"يوكيقو"، واصطففنا لننحني ونؤدي تحية الإجلال".

"حقًّا! السيد "STOLZ" جاء الى "نيچوباشي"؟".

"نعم؛ لقد اصطحبتنا "يوكيقو"".

"وهل كان لديهم مُتَّسع من الوقت؟".

"كان الوقت ضيِّقًا، والسيد "STOLZ" ينظر لساعة يده باستمرار، لكنَّه لم يُمانِع...".

بذاك اليوم، هرولت "يوكيقو" و"إتسوقو" سريعًا، واندفعتا نحو مصدَّات الأمواج، وانتظرهما السيد "STOLZ" وابنه على متن السفينة متلهفَيْن وصولهما، وعرفت منهما "يوكيقو" أن المغادرة في السابعة مساء، ولا يزال هناك حوالي أربع ساعات، فاقترحت عليهم الذهاب لاحتساء الشاي في "NEW GRAND"، وطالما الوقت مُبكِّرٌ فليتجوَّلوا بالقطار في طوكيو أوَّلًا، ولكن جولة القطار هذه تستغرق ساعة، وسيتبقى لديهم ثلاث ساعات؛ لذا فمن الأفضل أن يأخذوا الجولة بسيارة أُجرة ويشاهدوا المعالم السياحية بالجوار، وهذا ما استقرُّوا عليه.

لم يذهب"بيتر" ولا والده إلى طوكيو من قبل، و"يوكيقو" أصبحت تعرفها، وتَردَّد السيد "STOLZ" بعض الشيء، لكن أمام إلحاح ابنه وافق، واستقلُّوا سيارة من "ساكوراجي" إلى "أوراكو"، واحتسوا الشاي أوَّلًا في فندق "IMPERIAL HOTEL"، ثم انصرفوا في الرابعة والنصف ليستكملوا جولتهم بالسيارة في عجالة.

بدؤوا بزيارة جسر "نيچوباشي"، وأدُّوا تحية الإجلال، ثم بالسيارة حينًا وعلى أرجلهم حينًا آخر زاروا المبنى المستدير، المسرح الإمبراطوري، متنزَّه "هيبيا"، وزارة العدل، وزارة القوات البحرية" مقر رئيس الوزراء، البرلمان الإمبراطوري، ووزارة الدفاع، وبأقصى سرعة أتمُّوا جولتهم السياحية ووصلوا إلى محطة "طوكيو" في الخامسة والنصف، أرادت "يوكيقو" العودة مرة أخرى إلى الميناء معهم، لكن السيد "STOLZ" ألحَّ عليها بألَّا تفعل؛ فالصغيرة سيغلبها الإنهاك، خاصَّة

وأنهـم يتحرّكـون بنشـاطٍ هنـا وهنـاك منـذ الصبـاح الباكـر؛ فاكتفـوا بوداعهـم عندالمحطـة وافترقـوا.

"هـل كان "بيـتر" فَرِحًـا؟ "طوكيـو" عظيمـة، وأراهـا أثـارت دهشـتك يـا "إتسـوقو"، أليـس كذلـك؟".

"فعـلًا، بهـا المبـاني الكبـيرة بـكل مـكان... "بيـتر" أبـاه يعـرف أوروبـا، ولكنَّـه هـو لا يعرفهـا مثلـما يعـرف "مانيـلّا"، "قوبيـه" و"أوسـاكا"".

"وهل وجد "طوكيو" كما تَوَقَّعها؟ وأنت، ماذا عنكِ يا "إتسوقو"؟".

وهنا تدخَّل "ترو أو" بالحوار ليجعل منه جدلًا طفوليًّا:

"إتسوقو ليست يابانيَّةً، أنا أعرف من قبل".

"ولمـاذا؟ أنـا أعـرف، "طوكيـو" بمفـردي وتحمَّلـتُ وحـدي عنـاء الـشَّرح لـه".

فسأل "ترو أو" خالته:

"حقًّا؟! هل فعلت؟ شرحت باليابانية؟".

"نعـم، بالضَّبـط، أنـا التـي شرَحـتُ لـ "بيـتر" وهـو كان يترجـم لوالـده، حتـى كلـمات: "مقـر رئيـس الـوزراء" و"البرلمـان الإمبراطـوري" عرفتهـا، ولكنـه لم يفهمهـا؛ لذلـك مـن حـين لآخـر كنَّـا نسـتخدم الإنجليزيـة... "يوكيقـو" تعـرف مثـل هـذه المفـردات جيِّـدًا بالإنجليزيـة".

واسـتمرَّ "تـرو أو" في مضايقتهـا، وكان يتحـدَّث لكنـة "طوكيـو" بمهـارة، فقـال:

"تمزجـين بعـض الكلـمات الإنجليزيَّـة باليابانيـة، وتعرفـين كلمـة "البرلمان الإمبراطـوري" لكـن كلمـة "مقـر رئيـس الـوزراء" سـتترجميها طبعًـا لـ "هنـا يوجـد السـيد حـارس الإمبراطـور" أليـس كذلـك؟".

وتدخَّلَت أخيرًا "يوكيقو" بالحوار، وأضافت:

"مهـلًا، "إتسـوقو" أيضًـا تعـرف الألمانيـة واسـتخدمتها. قُلـتِ AUF WIEDERSEN أليـس كذلـك؟".

"نعـم، قُلتُهـا عـدَّة مـرَّاتٍ وأنـا أودِّعهـم بالمحطـة، مـع أن السـيد "STOLZ" كان يـردُّ بالإنجليزيـة...".

كان مـن الطبيعـي أن تُقلِّـل "ساتشـيقو" مـن كلماتهـا وهـي تتخيَّـل كيـف كان غريبًـا ذاك المزيـج؛ "يوكيقـو" بملابسـها الحريريـة الخفيفـة بنقـوش طباعـة "YOZEN" التـي تتمعَّـن بـكل كلمـة، وتسـحب بيدهـا "إتسوقو"بملابسـها الغريبـة التـي ترشـد الصبـي بصُحبـة الرجـل الأجنبـي الأنيـق. يدخلـون فنـدق "IMPERIAL HOTEL" وتحيطهـم المبـاني الضخمـة في شـارع الهيئـات الحكوميـة. تخيَّلَـت "ساتشـيقو" مـدى انزعـاج السـيد "STOLZ" والأطفـال ينضمُّـون إليـه في احتسـاء الشـاي وهـو يتفقَّـد الوقـت بسـاعة يـده كل لحظـة، ثـم يتجـوَّل معهـم مُتوتِّـرًا وهـو ملتـزم الصمـت.

خمَّنَـت "ساتشـيقو" كـمَّ الحماقـة والمضايقـات التـي ستشـعر بهـا لـو كانـت بمكانـه...

"أمي، هل رأيت معرض الصور ذلك من قبل؟".

سألَتها "إتسوقو" حين اقتربت السيارة من ساحات الحدائق:

"جئتـه مـن قبـل يـا أمـي أليـس كذلـك؟ هيَّـا، سـاعدي المغتربـين وافِدِي القُرَى".

لكـن "ساتشـيقو" لم تكـن عـلى عِلـمٍ بــ "طوكيـو" إلى هـذا الحَـدِّ. هـي بالـكاد جـاءت مـرَّةً أو مرَّتَـين منـذ زمـن بعيـدٍ، حـين كان يصطحبهـا والدهـم لزيـارة العاصمـة وهـي في السـابعة عـشرة مـن العمـر تقريبًـا، ويبيتـون ليلتهـم في نُـزُلٍ بحـيِّ "تسـوكيجي". حينهـا ذهبـت لـترى كلَّ مـكان، لكـن ذاك كان قبـل زلـزال 1923 العظيـم، وبعـد إعـادة إعـمار

العاصمـة الإمبراطوريـة لم تَتعـدَّ زيارتهـا بضـعَ ليـالٍ، أمضتهـا في فنـدق "IMPERIAL HOTEL" برحلـة شـهر العسـل، أي أنهـا لم تَـرَ "طوكيـو" منـذ ولادة "إتسـوقو" مـن تسـع سـنوات.

إنهـا في البدايـة كانـت تسـخر مـن شـأن "إتسـوقو" و"بيـتر"، لكنهـا في الواقـع هـي ذاتهـا حـين تَحـرّك القطـار مـن محطـة "شـينباشي" وحتـى وصـل إلى محطـة "طوكيـو" شـعرت مـن مشـهد العـمارات الشـاهقة البازغـة عـلى جانِبَـيْ خـط السـكة الحديـد وكأنهـا تلمـس مظهـرًا مهيبًـا للعاصمـة الإمبراطوريـة التـي تفتقدهـا مـن زمـن، ولم يسـعها أن تصـف مـدى مـا شـعرت بـه مـن حماسـة. وإن كان بهـذه الآونـة "أوسـاكا" تتـم بهـا توسُّـعات في "ميدوسـوجي" وجزيـرة "ناكانـو"، وحتـى رصيـف الميـنـاء أصبحـت بـه المبـاني الحديثـة متراصَّـة جنبًـا إلى جنـب، وهنـاك مبنـى "أسـاهي" ذو العـشرة طوابـق، والإطلالـة العاليـة مـن الأفـق بمطعـم "ألاسـكا"... كلهـا معـالم رائعـة، وإنمـا مهـما كانـت فهـي لا تصـل لمسـتوى "طوكيـو".

لقـد رأت "ساتشـيقو" العاصمـة الإمبراطوريـة "طوكيـو" بعـد الإعـمار، لكنهـا لم تتخيَّـل أن أحـوال التطويـر والتجميـل بلغـت هـذا الحَـدَّ؛ فحـين حدَّقَـت في المشـهد مـن خـط السـكة الحديـد العـالي رأت "طوكيـو" أخـرى لا تعرفهـا، واسـتقبلتها الأبـراج الشـاهقة، وودَّعَتهـا واحِـدًا تلـو الآخـر، وفي المسـاحات الفاصلـة بـين المـدن تـراءى لهـا وميـض بـرج القمـة الخـاص بمبنـى البرلمـان. إنـه بنفـس ارتفاعـه منـذ تسـع سـنوات.

بتلـك الفـترة لم تكـن العاصمـة الإمبراطوريـة فقـط هـي التـي تغـيَّرَت، بـل "ساتشـيقو" أيضًـا تغـيَّرَت هـي وكل مـا حولهـا، وهـا هـي تسـترجع كل مـا طـرأ عـلى أُسرَتهـا مـن مُتغـيِّرات، ويبقـى للأمانة أيضًـا أنها تظـل لا تحب "طوكيـو"، بـل وتـرى أن سـحرها يكمـن بقلعـة "يوشـيدا" الرائعـة، وتحديدًا

في أشجار الصنوبر التي تحيطها. إنها تتمثَّل بها معايير تشييد القلاع بعصر إيدو، وتقبع مكانها مُحتَضِنَةً مشهد المباني الشاهقة المبهرة. إنه مشهدٌ لا مثيل له بـ "أوساكا" أو حتى "كيوتو"، ولا تمل منه أبدًا.

من الأدعى قول إنه لم يَتسَنَّ لها الاقتراب من "طوكيو" هكذا من قبل. "جينزا" وطرقات "نيهون باشي" كلها مذهلة حقًّا، وإنما شيء ما بالهواء يجعله جافًّا تمامًا؛ ممَّا لا يدع مجالًا لكل مَن يشبهونها لتفضيل السُّكنى بمثل هذه المناطق، وهي تعي ذلك جيِّدًا، لكنها اليوم تريد التجوُّل في شوارع "أوو ياما" قاصدة "شيبويا". بالرغم من ذلك، تهبُّ في المساء نسماتٌ باردة وكأنها تأتي من مكان بعيد كلَّ البعد عن هنا.

لم تتذكَّر "ساتشيقو" ما إن كانت تجوَّلَت بهذه الشوارع من قبل؛ فالطرقات الماثلة أمام ناظريها تختلف كل الاختلاف عنها في "قوبيه"، "أوساكا" وحتى "كيوتو" التي هي أشبه بمناطق التوسُّعات الجديدة في الشمال في "هوكايدو" و"مانشوو" عن "طوكيو".

حتى الضواحي والمناطق النائية بالأحياء التي تشغل حيِّزًا بطوكيو الكبرى، وبكلِّ مكانٍ المحالُّ التجارية تصطفُّ على نفس المنوال، وبنفس الصخب؛ مِمَّا جعلها تفتقد وجود مكانٍ ما هادئ رطب، ورأت الناس بالشوارع وجوههم وكأنها باردة وتشعُّ بياضًا... تُرى لماذا؟

جاء لمخيِّلَتها نشوة لمسات الهواء وبهجة ألوان الأرض والسماء في "أشيبيا" حيثما تقطن؛ ففي "كيوتو" إن ذهبت لأي شارع حتى لو صدفة لأوَّل مرَّة ستشعر بأُلفة وكأنك تعرف هذا الطريق جيِّدًا من قبل، وتجد نفسك تريد أن تبدأ الحديث مع الأشخاص من حولك، أمَّا في "طوكيو" فأينما تذهب لن تشعر بصِلَةٍ تربطك بأي شيء. أراضيها صارمة باردة.

"ساتشـيقو" في مثـل هـذا الإقليـم ومثـل هـذه المدينـة تجدهـا ابنـةَ "أوسـاكا" النَّقيّـة. إنهـا تتعجَّـب مـن حـال أختهـا الكبـيرة، وكيـف لهـا أن تتـوه مـن نفسـها وترتبـك وتسـكن هنـا لـلآن.

تجوَّلَـت السـيَّارةُ بشـوارع لم يروهـا حتـى بأحلامهـم، وسـتوصلهم سريعًـا لبيتهـم، المـكان الـذي تكرهـه أمُّـه وخالتـه وهـو لا يـدري أبـدًا كيـف لهـما ذلـك.

هـي كان لديهـا إحسـاس مُماثِـلٌ تمامًـا وظلَّـت تفكِّـر مهـما كان، فكيـف لأختيهـا أن تتأقلَـمَا بالعيـش هنـا وحتـى لحظـة وصولهـم بالفعـل وهـي تشـعر وكأن كل شيء ليـس بحقيقـي.

قطَعَـت السَّـيَّارةُ شـوارع "دوجنـزاكا"، وانحرفت يسـارًا في شـارع سَـكنيٍّ هـادئ، وفجـأة هـرع للسـيارة يحاوطهـا مـن كل جانـب ثلاثـة أطفـال في حـوالي العـاشرة مـن العمـر.

"خالتي خالتي".

"خالتي خالتي".

"أمي بانتظارك".

"ها هو بيتنا".

"احترسي، احترسي، ابقَيْ عندك هناك".

قالتهـا "يوكيقـو" مـن داخـل السـيارة التـي للتَّـوِّ بـدأت تُبطِـئ مـن سرعتهـا.

"ها هم... أختي الكبيرة وأطفالها، وأكبرهم "تتسو أو"".

"قصدك "هديبو"".

وصحَّح لها "ترو أو" الذي برفقتهم وأضاف قائلًا:

"هيديـو، يوشـيو، ماسـا أو... كلكـم كبرتـم... عجبًـا، تحدِّثونـني بلكنـة "أوسـاكا"".

"كلهـم يتحدَّثـون لكنـة طوكيـو بطلاقـة، ولكنهـم يُعـبِّرون عـن ترحيبهم بخالتهم".

الفصل الخامس عشر

سمعت "ساتشيقو" بأحوال أختهم الكبيرة ببيت "شيبويا" من "يوكيقو"، وبوصولهم شاعت الفوضى بكل مكان بسبب الأطفال، حتى إنه لم يكن هناك موطئ لقدم، لكن الوضع كان بخلاف ما ظنّته تمامًا.

بالطبع كان المنزل على طراز البناء الحديث، ولا يمكن اعتباره غير مُشمِس، أعمدته رفيعة، عوارضه رديئة، ويبدو عليه أنه بيت مُستأجَرٌ متواضع.

الأطفال يهرعون لنزول درجات السُّلّم، وكل أرجاء المنزل تصيبك بالدُّوار.

الأبواب الجرّارة الورقية مُمزَّقة ومُلصَقٌ عليها أجزاء جديدة رخيصة بيضاء، تجعلها تبدو مُزريَةً أكثر ممَّا هي عليه، ومُخجِلَة.

وإن كانت "ساتشيقو" تكره تقسيمة غُرَف منزلهم المعتم القديم ببلدة "أويه هون"، والذي عفا عنه الزمن، إلّا أنها بالتأكيد كانت تنعم فيه بهدوء واستقرار لم تهنأ به هنا، وحتى وإن كان ذاك البيت بحالته العتيقة المعتمة تلك، إلّا أنه كان به حديقة خاصة، وغرفة خلفية للشاي، والشمس عادة ما تتخلّل أشعَّتُها الجذوعَ الضخمة للأشجار، وتضيء الحديقة، ودائمًا ما تجد نسمات الهواء أمام المخزن الأرضي، وبكل مساحة شاغرة على حواف الجدران تراصّت أحواض الورود بما لا يدع لك مجالًا لتطلق عليها حديقة... كم اشتاقت لهذا المشهد حين تراءى أمام عينيها الآن.

فتحت الأخت الكبيرة "تسوروقو" الغرفة اليابانية الطراز بالطابق الثاني التي تَدَعُها للضيوف بعيد عن ضجيج الأطفال بالأسفل لاستضافة "ساتشيقو" التي حملت حقائبها ولحقت بها. رأت بين السريرين بروازًا مُعلَّقًا لأسماك السلمون بريشة "سييه هوه"[1].

لقد كان والدهم يجمع أعماله الفنية لحينٍ من الوقت، وتمّ بَيعُ أغلبها وقت ترتيب أغراضه بعد وفاته وهذه اللوحة فقط هي التي تبقّت مع واحدة أخرى تذكّرتها الآن ووجَدَت أيضًا من مقتنيات أبيها "كتابات رايشونسوي"[2]، المنضدة القرمزية التي أمام البرواز، الرف الذهبي اللون المعلّق على الجدار بالساعة المتموضعة عليه.

كل شيء من هذا مجرّد أن رأته تبادر لمُخيّلتها مكانه ببيت "أويه هون" وكأنها رؤيا تجتاح كل خلاياها.

جاءت أختهم الكبيرة بهذه الأشياء خصّيصًا من أوساكا كتذكارٍ من عهدهم بالعِزّ والرفاهية في أيامٍ مَضَت، واقتربت "ساتشيقو" وأمعنت

---

(1) せいほう 栖鳳 رسّام ياباني شهير في عصر ميجي وأوائل عصر شووا 1862- 1942.

(2) らいしゅんすい 頼春水 أحد شعراء الكنفوشيسيّة في عصر إيدو.

النَّظر بكل شيء وهي تتمنى لو أن مثل هذه التُّحَف بغرفة صالون للضيوف وليست بمثل هذه الغرفة الرتيبة. بخلاف وجهة نظرها؛ فحقًّا هذه الأشياء لا تُجدي نفعًا بغرفة تقليدية من الحصير، بل هي تجلب تأثيرًا عكسيًّا. إنها تظهر كَمْ بَخسٌ ذاك الأثاث تحديدًا، وأنه لمن الغريب وضع هذه التحف الثمينة وجلبها لهذا المكان بضواحي طوكيو، إنها تبدو كما لو أنها ترمز لحال الأخت الكبيرة.

"ها أنت ذا... لقد رتَّبت لي أغراضي بعناية رغم كل شيء".

"فعلًا... حين وصلت الحقائب فكَّرت أن أضعها لك فقط، ولكن البيت ضيِّقٌ، وإن كدَّستُها بالجوار فوق بعضها البعض سيضيق أكثر؛ فرتَّبتُها هنا".

بدأت بهذا المساء ثرثرة الأختين، لكن صعد إليهما الأطفال وتشبَّثوا بعنقيهما بشكل خانق، وتمسكوا بهما لتنزلا للأسفل؛ فكان لا مفرَّ من أن تنهال عليهم أمُّهم بكلمات التوبيخ كالمعتاد كي لا تتجعَّد ثياب خالتهم.

""ماسا أو"، هيَّا انزِلْ، اذهب هيَّا وأحضِر لخالتك شيئًا بارِدًا تشربه، أخبِرْ "هيسا" هيَّا، اسمع كلام أمِّكَ".

هكذا قالت"تسوروقو" وأمسكت بطفلتها "أوميه قو" التي لم تكمل الرابعة من عمرها بعد.

"وأنت يا "يوشي أو"، هيَّا اذهب للأسفل وأحضر لي مروحة يدي. "هيدييو"، ألستَ أنتَ الاخ الكبير؟ هيَّا، الكبير لا بُدَّ له أن ينزل أوَّلًا. أمُّكَ تفتقد الحديث لخالتك، وهي لا يمكنها أن تتحدث وأنتم لصيقون بها هكذا".

""هيدييو"، كم عُمركَ الآن؟".

"عندي 9 سنين".

"9 سنين! أصبحت كبيراً الآن. حين رأيتك عند البوابة ظَنَنتُكَ "تتسو أو"".

"نعم، كبرت بنيَتُه، ولكنه يظل بجواري ولا يفارقني حتى بطعامه. إنه فعلًا يشبهه أخاه الكبير قليلًا... لكن ما إن يصبح بمثل عمره حتى يستعدَّ للمدرسة وينشغل بالمذاكرة، ولن يكون صبيًا مشاغِبًا هكذا".

"مَن عندك من الخادمات الآن؟ "هيسا" فقط؟".

"نعم، كان هناك "ميو" أيضًا، ولكنها مؤخَّرًا طلَبَت العودة إلى "أوساكا"، وللتَّوِّ أصبَحَت "أوميه قو" يمكنها السير وحدها، وأظنني بحاجة لمربِّية أيضًا". تأكَّدَت "ساتشيقو" من أن أختها تنهكها أعمال المنزل، لكنها بالرغم من ذلك رأتها تعتني بحالها، مُهَندَمَة حتى في تصفيفة شعرها، على عكس ما ظنَّت؛ فـ "تسورقو" لا يمكنها أبدًا أن تنسى آداب السلوكيات المُتَّبَعة مهما حدث. إنها ترعى زوجها وستَّةَ أبناء، أكبرهم بعمر الخامسة عشرة، ثم الذي يليه بعمر الثانية عشرة، ثم تسع سنوات، ثم سبع وسِتُّ سنوات، وأخيراً طفلة بعمر أربع سنوات، ولا يساعدها سوى خادمة واحدة. المثير للدهشة هو أنه كان من الأدعى لها أن تكون قد اكتسبت عشر سنين فوق عمرها الحقيقي وتفقد اهتمامها بمظهرها، لكنها لا تزال تبدو أصغر من عمرها بخمس أو ست سنوات على الأقل، وستكمل هذا العام الثامنة والثلاثين من عمرها.

عمومًا فيما بين الأربعة أخوات بعائلة "ماكِي أوكا" فأكبرهم "تسوروقو" والثالثة "يوكيقو" هما الأكثر شبهًا بأمهم؛ أمَّا الثانية "ساتشيقو"، والأخيرة "تائيقو" هما الأكثر شبهًا بأبيهم. ولأن أمَّهم كانت من "كيوتو" فالأختان الأكثر شبهًا بها هما مَن تبدو على ملامحهما

عَبَقُ فتيات "كيوتو". الاختلاف بينهما فقط هو أن "تسوروقو" اجتمع بها كل المميِّزات؛ قامتها أطول "من "ساتشيقو" بنفس النسبة التي يقتضيها ترتيبهما، حتى إنها تبدو أطول من زوج أختها إن سارت بجواره، والذي يعتبر أخاها الصغير بالقانون، وهذا ليس فقط، بل بنيتها الجسمانية هي الأغنى شحومًا على أكتافها وساقيها كفتيات "كيوتو" عن حقٍّ، فهي ليست هزيلةً مثل "يوكيقو"، ضئيلة بنيتها، دقيقة عظامها بشكل مثير للشفقة.

في حفل زفاف أختهم الكبيرة و"ساتشيقو" فتاة في الحادية والعشرين من العمر لا تبرح مقعدها، كانت عروسًا في غاية الجمال؛ ملامحها واضحة، وجهها طويل، أمَّا شَعرُها فكان كفتيات عصر "هيان" قديمًا؛ إن وقَفَت يكاد يصل للأرض، وتعقصه لأعلى بربطة لامعة، وبدا فعلًا رائعًا، وهي مبهرة، ولها هيبة بثوب زفاف تعجز عن وصفه الكلمات، وكان حفل الزفاف عظيم الشأن لا يُنسَى أبدًا.

قيل إنه أصبح لساتشيقو وأخواتها أخ غير شقيق، وهو عريس أختهم الفاتنة، واستمعوا لما دار حولهم من أحاديث حول شركته وبلدته مسقط رأسه، وكثير من الكلام من ذاك القبيل الذي تهامس به أصدقاؤهم الحضور.

مضت الأيام وخاضت الأخت الكبيرة متقلِّبات الحياة طوال خمس عشرة سنة تقريبًا. أصبح لديها ستة أبناء، ولم يستمر نمط حياتها مُرفَّهًا كالسابق، وزادت الأعباء، ورغم عدم تألُّقها كسابق عهدها، إلا أن نعمة قوامها وطولها تضفي عليها قدرًا من الحيوية للآن.

هكذا ظنَّت "ساتشيقو" وهي تتأمَّل "أوميه قو" ببشرتها البيضاء الصافية، وهي في حِجر أُمِّها تصفِّق بكفَّيْها وتُربِّت بهما برفق.

أشفق "تينوسوكيه"على حال الأخت الكبيرة حين توجَّهَت زوجته مُصطَحِبَة طفلتهما والخادمة للمبيت لديها في "شيبويا"، واتفق مع

"ساتشـيقو" أنـه فـور مـا تتسـبَّب بمتاعـب أو بالأكـثر بعـد ليلـة أو اثنتـين تذهـب لنزل"هامايـا" في حـي "تسـوكيجي"، وهـو سـيتَّصِل بمالكـة النُّـزُل، أو سيرسـل لهـا برقيَّـةً مُجـرَّد أن تطلـب منـه.

في البدايـة لم توافقه"ساتشـيقو" الـرأي، ولم تكـن لديهـا نيَّـة المبيـت بنُـزُلٍ هـي وابنتهـا فقـط لحالهـما؛ فبيـت "طوكيـو" ملائـم للثرثـرة مـع أختهـا التـي تفتقدهـا منـذ زمـن؛ ولهـذا أيضًـا اصطحبـت خادمتهـا، فوقتـما تجـد أي صعـاب سـتجعلها تسـاعد بأعـمال المطبـخ، لكـن بعـد يومـين والحـال كـما هـو عليـه أدركـت أنـه مـن الأفضـل لـو اتَّبعـت نصيحـة زوجهـا فالأطفـال في العـادة ليسـوا بمثـل هـذا الإزعـاج والآن هـم بالإجـازة الصيفيـة، وجميعهـم بالبيـت، ومـن الصبـاح الباكـر وهـم في صخـب، وإن كان كـما تقـول أختهـا وفي غضـون أيـام سـينعمون ببعـضٍ مـن الهـدوء وقـت الظهـيرة حـين يذهـب الكبـار للمدرسـة، إلا أن الثلاثـة الصغـار الذيـن لم يرتـادوا مدرسـة بعـد هـم حقًّـا لا يفارقونهـا ولا يدعونهـا تهنـأ بـأي وقـت شـاغر.

جَـرَت العـادة بتلـك الأيـام أن تأتيهـا "تسـوروقو" بالطابـق الثـاني ليثرثـرا، وفي التـوِّ يـأتي الثلاثـة أطفـال يلاحقونهـا، ومهـما قالـت لا يطيعونهـا، فتمسـك بهـم وتنهـال عليهـم بالـضرب عـلى مؤخِّراتهـم، وتعاقبهـم، فتـزداد الضوضـاء أكـثر وأكـثر، ويعلـو الـصراخ وصيحـات البـكاء، ويسـتمر الوضـع هكـذا طـوال اليـوم.

"ساتشـيقو" تعـرف أن أختهـا دائمًـا مـا تتـسرَّع بعقـاب الأطفـال منـذ كانـت بــ "أوسـاكا"، وتعـي أنهـا إن لم تتـصرَّف بهـذا الأسـلوب سـتفقد سـيطرتها عليهـم.

بهذا لم يكن هناك مُتَّسَع من الوقت للتحدُّث أو الاستجمام.

"إتسـوقو" خـلال هـذه الأيـام جعلـت "يوكيقـو" تصطحبهـا في جولـة لـترى معبـد "سـنجاكوجي" والمعبـد الشـتوي "ياسـوكوني"، لكنهـا كانـت

تشـعر بالتعـب سريعًـا، ولا يمكنهـا مواصلـة السـير في همَّـة وقتـما يشـتد الحـرُّ.

كان هنـاك سـبب آخـر "لساتشـيقو" يجعلهـا تتجنَّـب فكـرة الإقامـة بنُـزُل، وهـو أنهـا تريـد لابنتهـا التـي لم تعـرف شـعور وجـود أخـوة أن تجعلها بمثـل هـذه الفرصـة تصادق أولاد خالتهـا، لكـن الصغيرة"إتسـوقو" اسـتغربت وجـود طفلـة أصغـر منهـا، ولسـوء الحـظ أيضًـا الطفلـة الصغيرة "أوميـه قـو" كانـت شـديدة التعلُّـق بأمِّهـا، وحتـى ليسـت كذلـك مـع "يوكيقـو"، فكان الأمـر أكـبر مـن أن تتعامـل معهـا "إتسـوقو". فـوق ذلـك كلـه كانـت المـدارس عـلى وشـك البـدء، وإن لم يعـودوا سريعًـا سـتغادر "رومـي" أيضًـا إلى مانيـلا... وانتهـى الأمـر بهمسـات "إتسـوقو" المتكـررة. إنهـا لم تنشـأ عـلى مثـل هـذه الطريقـة، فكانـت بمجـرَّد أن تبـدأ خالتهـا بأسـلوبها المتَّبـع في الـضرب والعقـاب ترتعـب وتختلـس النظـر لخالتهـا بعيـون زائغـة.

إن "ساتشـيقو" فيـما بـين أخواتهـا جميعـا هـي الأكـثر تسـاهُلًا في كثـير مـن الأمـور، وفي الغالـب هـذا هـو مـا أدَّى لشـعور ابنتهـا بالاسـتياء، وهـذا أيضًـا مـا أثَّـر سـلبًا عـلى مرضهـا ومـا تعانيـه مـن انهيـار عصبـي.

قلـق "ساتشـيقو" مـن كل هـذه الأشـياء جعلهـا تفكِّـر في ألَّا تدعهـا تعـود برفقـة "أوهـارو" مـن قبلهـا، لكـن تظـلُّ المشـكلة الأكـبر هـي الطبيـب "سـوجي أورا"، الـذي جـاء مـن "طـووداي" مـن أجلهـم، بعدمـا تَعـرَّف عـلى حالتهـا مـن الطبيب"كوشـيدا"، وإن لم يلتقـوه بأوائـل سـبتمبر أثنـاء رحلتهـم فهـو لـن يعـود لطوكيـو ثانيـة، وإن لم ينتظـروه فلـن ينالـوا الغـرض مـن اصطحـاب إتسـوقو لطوكيـو بالأسـاس.

ظلَّـت "ساتشـيقو" في حـيرة مـن أمرهـا لا تـدري إن كان مـن الأفضـل الانتقـال إلى النُّـزُل مـا إذا كان بقاؤهـم سـيطول أم تبقـى ببيـت أختهـا. إنهـا لم تذهـب مـن قبـل لـذاك النُّـزُل الـذي يُدعَـى "هامايـا"، وإنمـا

مالكتـه في الأصـل كانـت نادِلـةً في فنـدق "هاريهـان" بأوسـاكا، وتعـرف والدهـا حـقّ المعرفـة، والعلاقـة بينهـما كانـت مألوفـةً بحيـاة أبيهـا. جـاء بحديـث زوجهـا أن النُّـزُل في الأسـاس كان صالـةً لقـاءاتٍ ثـم تحـوَّل لنُـزُل، وأعـداد الغـرف بـه قليلـة، ونـزلاءه في الغالـب هـم أصدقـاء مقرَّبـون مـن أوسـاكا، والخادمـات بـه غالبًـا مـا يسـتخدمن لكنـة أوسـاكا، والمبيـت بتلـك الأجـواء تسـوده الـروح الأُسَريَّـة ولا يشـبه طوكيـو، وظـنَّ زوجهـا أن هـذا مـا ستُفضِّله، لكـن "ساتشـيقو" كلـما رأت كيـف تُعامِلُهـا الأخـت الكبـيرة مـن كل قلبهـا يصعـب عليهـا الأمـر، غـير أن زوج أختهـا نـادرًا مـا يـأتي عـلى العشـاء؛ لـذا كانـت حينًـا تدعوهـا لمتجـر بطوكيـو سـمعوا عنـه مـن قبـل يُدعَـى "فوتابـا" بمنطقـة "دوجنـزاكا"، وحينًـا آخـر تتـولَّى الدعـوة لعشـاء بمأدبـة صغـيرة في مطعـم صينـي بالجـوار يُدعَى"بكـين تي"، وتقـول مـن أجـل "إتسـوقو": "سـأصطحب أطفـالي أيضًـا".

كان الأخ الكبـير بطبيعتـه شـخصًا مُحِبًـا للـتَّرَف، حتـى وإن قيـل عنـه إنـه أصبـح بخيـلًا مُؤخَّـرًا، إلَّا أنـه في حفاوتـه لم يتغـيَّر عـن ذي قبـل، وتبقـى هـذه عادتـه المتَّبَعـة نحـو أخواتـه بالقانـون، والتـي تجعلهـم يعتـزُّون بـه.

لا تدري "ساتشيقو" هو أيُّهما؟

هـل هـو الأخ الأكبر بالقانـون، الـذي تقلـق عمومًـا مـن علاقتـه التـي ليسـت عـلى مـا يُـرام مـع الأختـين الصغيرتـين، أم هـو حقًّـا مـا يظهـره لهـم الآن؟

لقـد اصطحـب "ساتشـيقو" وابنتهـا و"يوكيقـو" كثـيرًا لمطاعـم صغـيرة مُميَّـزة في أحيـاء المتعـة؛ فهُـنَّ يَكَـدن لا يعرفـن سـوى المطاعـم الشـهيرة مثـل "تسـورويا" و"بانهـان". إن "طوكيـو" تشـتهر بالمطاعم الصغيرة الشـهيَّة عـن المطاعـم الراقيـة الفخمـة، وهـو كان يعتنـي بزوجتـه وطفلتهـما وضيوفهـم جميعًـا أوَّلًا عـن آخـر.

""ساتشيقو" أيضًا ليس لها تجربة من قبل بأيٍّ منهم، فلتستكشف نكهة طوكيو برفقته".

هكذا قالت تسوروقو وهي تستميحهم عُذرًا لتتغيَّب عن صحبتهم بهذه الليلة وتدع ساتشيقو ويوكيقو تمضيان الأمسية بصحبة أخيهم الكبير ليتناولوا لذيذَ الطعام بالجوار دون تكلُّف.

استرجعت "ساتشيقو" الذكريات وكلها حنين وقتما جاءهم زوج أختها وأصبح ابنًا لأبيهم بالتبنِّي، وأخًا لهم بالقانون، وكانت تتآمر مع أخواتها الصغار عليه بخُبثٍ، وعرفت أختهم الكبيرة لاحِقًا، وبكت. لقد شهدوا منه مواقف كثيرة وهو يعاملهم بحساسية أكثر من أختهم، وعرفوا أن من محاسنه رِقَّة قلبه. لا يمكن لـ "ساتشيقو" الآن أن تتعامل بخُبثٍ كسابق عهدها، وهي بنت بحياة أبيها، وبالتأكيد بهذه المرة لا سبيلَ أفضل من المبيت عندهم، وهي تنوي المغادرة فور انتهاء الفحص الطبي للدكتور "سوجي أورا" وتعود لأوساكا بأقرب وقت مُمكِن.

استغرقت "ساتشيقو" بأفكارها، وبالنهاية قضت أيَّامها طوال شهر أغسطس ببيت "شيبويا".

الفصل السّادس عشر

حلَّ مساء ذاك اليوم المُشرِق، اليوم الأول من شهر سبتمبر، بتلك الليلة بعدما انتهى الستة أطفال ومعهم "إتسوقو" من طعامهم تناول الزوجان العشاء بالمنزل بصحبة "ساتشيقو" و"يوكيقو"، وكان ذاك اليوم تحديدًا يوافق ذكرى الزلزال العظيم، فانتقل حديثهم عن الزلزال للإعصار الجبلي الذي حدث مؤخَّرًا.

تطرَّق بهم الحديث وهم حول مائدة الطعام لتفاصيل الكارثة التي تعرَّضَت لها "تائيقو" وما بذله المصوِّرُ الشاب الذي يُدعَى "إيتاكورا" من جهد عظيم، وانتهزت "ساتشيقو" الفرصة وقالت إنه لمن حُسنِ حَظِّها أنها لم تَخُض تجربة مُخيفةً هكذا، وروت بالتفصيل ما حدث وقتها، وكان ذاك بمثابة تمهيد وحديثهم كأنه نبوءة.

وما أشبه تلك الليلة بالبارحة.

ليلة بعصرٍ مضى منذ سنوات طويلة هبَّت بها رياح عاتية لإعصار "التايفو"، وضربت إقليم "الكانتو" بأكمله، و"ساتشيقو" كل حدود صِلَتِها بالأمر أنها كانت طفلة حديثة الولادة عاشت الرعب لبضع ساعات؛ فـ "ساتشيقو" ربيبة إقليم "كانساي" الأقل تضرُّرًا دائمًا من الأعاصير، لا تدري بوجود مثل تلك الرياح المخيفة؛ لذلك كانت المفاجأة كبيرة، ولو أنها منذ أربع أو خمس سنوات، ربما بخريف عام 1934 عاصَرَت الرياح العنيفة التي اقتلعت كل شيء بالجبال الشرقية في "كيوتو"، وانهار على إثرها برج معبد "تننووچي"، ولا تزال عالِقَة بذاكرتها تلك الدقائق المرعبة، ولكن بذاك الوقت لم يلحق بمحيط "أشيبيا" أذًى بالِغٌ، وحينها عندما قرأت بالصحف عن انهيار برج المعبد لم تكن تدري بعدُ أن قوة الرياح بلغت ذاك الحد، وبالطبع ما تشهده بـ "طوكيو" هذه المرة ليس هناك ما يضاهيه.

بالحقيقة مع كل تلك الذكريات العصيبة انتابهم قَلَقٌ عارِمٌ من ألّا يحميهم البيت ويصمد أمام مثل هذه الرياح؛ ممَّا ضاعف من فزعهم. ومُجدَّدًا يعيشون قوة رياح عاتية بمرَّتها الوحيدة التي باتت فيها ببيت "شيبويا". أساساته الرديئة جعلتهم يشعرون بتلك القوة أضعافًا مُضاعَفة. هبَّت الرياح قبيل خلود الأطفال للنوم، وكانت قرابة الساعة التاسعة مساء، لكن الوضع أصبح مُروِّعًا بحوالي الساعة العاشرة. كانت "ساتشيقو" تنام بالغرفة اليابانية الطراز بالطابق الثاني برفقة ابنتها و"يوكيقو"، وبتلك الليلة أيضًا، في البداية كان ثلاثتهم بالغرفة، وحين اشتدَّت الرياح بدأ البيت يترنَّح، وتشبَّثَت "إتسوقو" بأمها، ونادت على "يوكيقو" وجذبتها لتأتيها على سرير أمِّها، وانغمست بينهما وحاوَطَت رقبة كلتيهما بذراعَيْها.

كلَّما صرخت "إتسوقو" وصاحت: "خائفة" حاولت ساتشيقو" و"يوكيقو" تَهدِئتها بقول:

"اهـدئي. سـيتوقّف عـلى الفـور... لا داعـي للخـوف"، ورَدَّدَتَـا كلامًـا مـن ذاك القبيـل، وظلّـت "إتسـوقو" متشـبِّثةً بهـما بنفـس القـوة.

التصقـت وجـوه ثلاثتهـم، مُحتضنـات بعضهـن البعـض، وكأنَّهـن كيـانٌ واحـد. كانـت الغرفـة الأخـرى التـي بجوارهـم في الردهـة أكـبر، وينـام بهـا "تتسـو أو"، "تـرو أو"، وكلاهـما اسـتقيظ وخـرج للردهـة يتسـاءل مـاذا يحـدث، ولِـمَ لا ينزلـون للأسـفل؛ لعلّـه أكـثر أمانًـا.

فقالت "ساتشيقو":

"هيَّا، فلننزل جميعًا، وإن كان هذا سيتسبَّب بالإزعاج، وإنَّما...

الكهربـاء مقطوعـة والظـلام دامـس. لا يمكننـي حتـى تمييـز ملامـح "تـرو أو"".

قالـت كلماتهـا بصـوتٍ مُتهـدِّج بـه شيء غـير مألـوف، لكنهـا امتنعـت عـن الإفصـاح كي لا تزيدهـم هَلَعًـا؛ فالبيـت بـدا وكأنـه سـينهار، وهـي للتَّـوِّ استشـعرت الخطـر. الإطـارات الداعمـة للأسـقف غـير مُسـتقرَّة، وكل مـرَّة تَظنُّهـا هـي القاضيـة ويتفصَّـد جبينهـا عَرَقًـا.

لم تصـدر ولا كلمـة مـن "تـرو أو" بعدمـا قـال" هيَّـا" واتبعـوه مُمسِـكين ببعضهـم البعـض ونزلـوا الـدَّرَج.

بهـذه الأثنـاء ظنَّـت أن البيـت تَدَمَّـر حقًّـا إثـر هبَّـةِ الريـاح التـي تعصـف بالبيـت، وإن كانـت اعتـادت شـعورها بانحنـاء خشـب درجـات السُّـلَّم تحـت وطـأة أقدامهـا، إلَّا أنَّهـا الآن ازداد خوفهـا مـن انكسـار الـدرج الحبيـس بـين جـدرانٍ تترنَّـح عـلى الجانبـين كريشـة في مَهـبِّ الريـح. لقـد تشـقَّقَت الأركان في زواياهـا بـين الأعمـدة والجـدران، وتخلَّلَـت منهـا هَبَّـات ريـاح مصحوبـة بالرمـال، وكأن الجـدران تحـاصر أجسـادهم العالقـة بينهـا؛ مِـمَّا دفـع "تـرو أو" للنـزول للأسـفل وهـو يتدحـرج راكِضًـا، وهـم بالأعـلى لم تكـن تسـتطيع سـماعه حيـث طغـى صـوتٌ تتطايَـرُ الأشـياء

الكثيرة بسماء الإعصار، فقوة الرياح أطاحت باللافتات وكل ما يشابهها من ألواح صفيح وأغصان وأوراق أشجار، ولكن بعد نزولهم اتَّضَحَت صرخات الخوف العالية، وبداية من "هيديو" وما يليه من أربعة أطفال تزاحموا بغرفة نَوم الزوجين، واجتمع الأطفال حول أبوَيْهم، وجلست ساتشيقو وابنتها ويوكيقو بالقرب. ونادى "يوشي أو" و"ماسا أو" على خالتهما وتَشبَّثا بكتفيها، وتبقَّت "إتسوقو" لا حول لها سوى احتضان "يوكيقو".

احتضنت "تسورقو" طفلتها "يوميه قو" بكلتا ذراعيها، وكأنها تُخبِئها وأمسك "هيديو" بأكمام ثوبها.

كانت طريقة تعبير الصبي عن خوفه غريبة، فكلما توقَّفَت الرياح تمسَّكَ بأكمام أُمِّه يلويها بشدَّة، ويُنصِت مُترقِّبًا، وما أن تحتدم شِدَّتها ويسمع تَهيُّجَها وهي تقترب آتية حتى يرتبك ويترك أكمامها، وبصوتٍ أجشَّ قويٍّ يُفصِح فجأة عن خوفه ويسدُّ أذنيه بكلتا يَدَيْه ويغمض عينيه ويضرب وجهه بالأرض.

وعلى هذا الحال اجتمع أربعة كبار وسبعة أطفال يجلسون القرفصاء وكأنهم فريق الخائفين. كبير العائلة "تتسو أو" على وجه الخصوص ظلَّ دون أن ينبس ببنت شفة، وليس أمامه سوى أن يبقى على أهبة الاستعداد والأخوات الثلاثة تسوروقو، ساتشيقو، يوكيقو كلُّهنَّ متأهِّبات للقاء حَتفِهنَّ.

طال استمرار الرياح، وإن واصلت على هذا النحو أكثر من ذلك سينهار البيت بلا شَكٍّ.

كان هذا هو أكبر مخاوف "ساتشيقو" وهي تنزل الدَّرَج، وداهمتها هذه الفكرة بشدَّة وبالحقيقة مع اشتداد الرِّياح هكذا انفصلت الجدران عن الأعمدة قرابةَ الخمسة سنتيمترات، وهذا ملحوظ بوضوح بغرفهم بالأعلى. كان بالغرفة التي اجتمعوا بها مصباحٌ يدويٌّ

مُضـاء لإنـارة هـذه العتمـة وشـعروا وكأن الفجـوات بلـغ اتسـاعها الثلاثـين سـنتيمترًا، وبالأصـح هـي لم تكـن فتحـات؛ فبمجـرَّد أن يهـدأ الهـواء تنغلـق وتنفتـح مـرَّةً أخـرى مـا إن تهـب الريـح ثانيـة.

مـرَّة تلـو الأخـرى يـزداد الوضـع سـوءًا، وكل مـرة تنفتـح بهـا فجـوة تكـون أفظـعَ مـن سـابقتها. تذكَّـرَت "ساتشـيقو" وقتـما حـدث زلـزال "مينامـا" وتأرجـح بيتهـم في أوسـاكا بشـدَّة، ولكـن لحظـات الزلـزال لا تطـول هكـذا مثـل الإعصـار، وهـذه هـي أول مـرة تشـهد بهـا انفصـال الجـدران عـن الأعمـدة وتُلاقيهـا مـرَّةً تلـو الأخـرى هكـذا.

ارتجـف جميعهـم خوفًـا، حتـى "تاتسـو أو" الـذي كان يحـاول أن يُهـدِّئ مـن حالـه، ولكنـه أصابـه الذعـر برؤيـة حال تلـك الجـدران...

"تُرى، أهو هذا البيت فقط الذي يرتجُّ بهذا الشكل؟

هل الأبنية بالجوار بخيرٍ ولا يحدث بها أي شيء من هذا القبيل؟".

تسـاؤلاته تلـك أعقبهـا رَدُّ "تـرو أو" سريعًـا بـأن بيـت السـيد "قويزومي" بالتأكيـد بخـير حـال، فمنزلـه متـينٌ، ومـن طابـق واحـد. ثـم سـأل بـدوره والده:

"لِـمَ لا نذهـب لنحتمـي ببيـت السـيد "قويزومـي" بيتنـا عـلى وشـك أن ينهـار".

"بالتأكيـد لـن ينهـار، فـماذا لـو كانـوا نيامًـا... هـل سـنوقظهم لأننـا نبحـث عـن مـأوى آمـن؟".

تردَّد رَبُّ العائلة وهو يميل للرفض.

"بهذه العاصفة المستعرة بالتأكيد الكل مستيقظ".

قالتها "تسوروقو" وانتهزت القصَّة لتقول:

"هو أو أي أحد كان... فلنَجِدْ مأوى بأي شكل".

كان بيت السيد "قويزومي" لا يفصله عنهم سوى السور الخلفي، وإذا خرجوا من باب المطبخ يصبحون على بُعدِ خُطوَةٍ من بابهم الخلفي. رب البيت موظَّفٌ حكومي متقاعد، ويعيش هو وزوجته المُسِنَّة ولديهم ابنٌ وحيد يرتاد نفس المدرسة الإعدادية التي انتقل إليها "ترو أو"، ومن هنا جاءت العلاقة؛ ممَّا أشعرهم ببعض الارتياح، حيث إن "ترو أو" ووالده مَرَّا عليهم بطريقهما بضع مرَّات.

دار نقاشٌ خلسةً بين "أوهارو" و"أوهيسا" بغرفة الخادم، حيث كانت "أوهارو" لا تُفضِّل الخروج بمثل هذ الوقت وتودُّ اللحاق بهم فيما بعد وتتفقَّد أحوالهم، وذهبت لترى ما إن كان مناسبًا أن تطلب ذلك. إنها بالأساس لا تدري أين هو بيت السيد "قويزومي"، لكنها كانت على ثِقَةٍ بأنها ما إن تطلب من "أوهيسا" اصطحابها إليهم ستفعل، وتوجَّهَت وطلبت بأدَبٍ أن يسمحوا لها بالبقاء مع "أوهيسا" إن أمكن، على أن تأتيهم عندما تتوقَّف الرياح، وهي تتيقَّن من الإجابة قبلما تجد الرَّدَّ بالقبول أو الرفض، وبلحظتها أصغت لـ "ساتشيقو" و"تسوروقو" وكلماتهما مُفعَمَة بالقلق، وكل منهما تقول للأطفال:

" احترسوا أن تطيح بكم هَبَّات الرياح، احترسوا كي لا تصابوا".

فعادت أوهارو على الفور وهي تحثُّ أوهيسا على الإسراع بالخروج من الباب الخلفي، لكن الكل اتَّبعَ خطوات القائد الصغير "ترو أو" الذي ظلَّ يُوجِّههم بعبارات مثل: احتموا سريعًا، هيَّا، اخرجوا جميعًا من فضلكم، هيَّا لا بأس سنعود لاحقًا، هذه الرياح لن تكون أكثر من وَخزٍ لذاك البيت وسنجد أن ما شهدناه كأنه كذبة...

اتَّجهَت "أوهارو" نحو "إتسوقو" تريد حملها، وقالت لها: "لا... ما مِن مكانٍ آمِنٍ الآن لأدعك تمشين"، لكن الصغيرة دفعتها بالمرَّتَيْن قائلة:

"سآخُذُها زحفًا".

"الكثير من الأشياء تتطاير، وليس معنا لحاف نغطي به رؤوسنا كي لا نصاب".

أمرهم ربُّ البيت "تتسو أو" بالذهاب سريعًا ثم أضاف مضطربًا:

"دعوني أنا سأبقى".

شعرت "تسوروقو" بالقلق بشأن تَركِها زوجها والذهاب، وارتبكت وهي لا تدري ماذا عليها أن تفعل، واستادرت "أوهارو" بمفردها وقالت:

-"هيا لنذهب يا قائدنا". وعلى الفور همَّت بحمل "ماسا أو" على ظهرها، وعادت لتحمل "يوشي أو" أيضًا، لكنهم جعلوا "أوهيسا" تحمله وتحتمي. إنها لا يمكنها البقاء ساكِنةً، بل تريد أن تحتضن كل الأطفال، وعادة ما تجدها بالأوقات العصيبة شُعلةً نشاط مُتَّقِدَة... برجوعها ثانية سقطت عليها شماعة الملابس المبلَّلَة وعَلَقَت تحتها. حينها رأت "أوهيسا" وعلى ظهرها "يوشي أو" فلم تُنادِها، ونادت على "هيديو" الذي كان مجرَّدَ طفلٍ كبير يجري مُرتَعِبًا، وبالطبع لم يسمعها.

بهذا، هرب الجميع، حتى "أوهيسا"، ثم بعد قرابة النصف الساعة جاءها "تاتسو أو" ووجهه يعتليه الإحراجُ، وقال إنه مرَّ مُصادفَةً.

كانت الرياح لا تزال تعصف بشدَّة، وصوت هياجها المرعب بالخارج مسموعًا.

أمَّا عن بيت "قويزومي" فكان بنيانه صامِدًا، والخوف من انهياره فكرة سخيفة لن تخطر ببال أحد، حتى إنه لمن العجيب أن يروادهم أي شعور غير الإحساس بالأمان مهما كانت مُميِّزات وعيوب هذا البناء.

بالنهايـة انتظـرت عائلـة "مـاكي أوكا" إلى أن هـدأت الريـاح، وبالصبـاح الباكـر -أي بحـوالي السـاعة الرابعـة صباحًـا- كان عليهـم العـودة لبيتهـم الواهــي الكريهـه، حتــى وإن كانــوا لا يزالـون في رعــب.

الفصل السابع عشر

سيمرُّ إعصار "التايفو" صباح الغد بعد هدنة قصيرة.

فجأة أصبحت السماء صافية، لكن "ساتشيقو" لا يمكنها أن تنسى ولا يزال عالِقًا بذهنها كل ما حدث بليلة الأمس المُرعِبَة ككابوس، وفوق كل شيء، "إتسوقو" في حالة هلع، والآن لا وقت للتردُّد وهي تراها بحالة انهيار عصبي، وعليه، فبهذا الصباح هاتَفَت مكتب زوجها بـ "أوساكا" لتخبره بما لديها من أمور عاجلة، وطلبت منه أن يحجز لها غرفة في نُزُل "هامايا"، وأرادت أن تُسرِع قدر الإمكان، وليتها تستطيع اليوم، وبالفعل جاءها إيصال إتمام حجز غرفتها بناء على طلب زوجها من "أوساكا"، ومن ثَمَّ عرضت على أختها أن تذهب معها بالمساء لتناول العشاء وأن تدع "أوهارو" عندها لبضعة أيّام. كانت أختهم الكبيرة تودُّ الخروج لمرة بمفردها، وعلى الفور استعدَّت وخرجت معهم. مرُّوا على النُزُل أوّلًا، ثم ذهب جميعهم للتنزُّه قليلًا وتناول المأكولات الغربية في "جينزا"، ودلّتهم مالكة النُزُل على متجر

يدعى "رومانيًا"، فاتبع نصيحتها الأخوات الثلاثة وجعلن "أوهارو" أيضًا تنضمُّ إليهم، وبطريق عودتهن تجوّلن بالمحال التجارية، ثم تركتهن "ساتشيقو" وابنتها عند ناصية الطريق الى النُّزُل، ولم يزد مشوارهما عن تسع دقائق.

كان مبيتها بفندق هي وابنتها بمفردهما وزوجها بعيدٌ تجربةً تخوضها لأول مرة، وبوقت متأخِّر من الليل تذكَّرَت مرَّةً أخرى هلع ليلة الأمس فأخذت عقار الـ "أداريين" وقليلًا من دوائها المعتاد الذي جلبته معها، وهو البراندي، ومع ذلك لم تستطع الخلود للنوم بسهولة، بل ولم يغمض لها جَفنٌ حتى استمعت لصافرة القطار بالساعات الأولى من الصباح.

"إتسوقو" أيضًا كانت على نفس الحال، تعاني بشدَّة، وتُردِّد باستمرارٍ: "لا أستطيع النوم"، وتنادي أمها وتطلب منها العودة لبيتهم بالغد.

وإن كان من الأفضل انتظار موعد كشف الطبيب وإلَّا ستسوء حالتها أكثر، إلَّا أن "إتسوقو" أهمُّ شيء عندها الآن هو الإسراع بالرجوع لتلحق بلقاء صديقتها "رومي"، واستمرَّ أنينها دون انقطاعٍ، إلى أن غَطَّت في نوم عميق بحلول الصباح.

أمَّا "ساتشيقو" فبتمام الساعة السابعة صباحًا وجدت نفسها لا تزال لا يمكنها النوم، فانصرفت عن المحاولة، وقامت وأخذت الجرائد تتصفَّحها، وكي لا تقلق الصغيرة من نومها خرجت للرَّدهة المُطِلَّة على نهر "تسوكيجي"، واتَّخَذَت جلستها على مقعد من الخوص. كانت تقرأ الصحف بكل صباح متلهِّفَةً لمعرفة أخبار أزمة أوروبا وآسيا، والتي هي محطُّ أنظار العالم مؤخَّرًا...

مشكلة سوديت التشيكية[1] والعمليات العسكرية للجيش الياباني لغزو مدينة "هانقوو"[2] وكيفما تطوَّرَت الأحداث، وإنما منذ مجيئها إلى طوكيو اختلف الوضع ولم يَعُد متاحًا الحصول على الصحف اليومية التي بأوساكا مثل "تاي ماي" و"دايتشوو"، وعلى نحوٍ ما لم تعتَدْ على صحف "طوكيو"، وعلى الفور تشعر منها بالملل، ولم تستوعب ما ورد بها من مقالاتٍ، وانصرفت بناظريها مُتطلِّعةً للمارَّة على ضفاف النهر. تذكَّرَت بالماضي حين أقامت مع والدها بفندق يُدعَى "أونيه متشو" على الضِّفَّة المقابلة من النهر، وتمكَّنَت من رؤية سطحه الآن؛ فهو بالشارع الجانبي الذي أمام مسرح الكابوكي، فهذه المنطقة هي تعرفها من قبل، وتَمَلَّكَ قلبَها الحنينُ؛ حيث اختلفت تمامًا كل المعالم على ضفاف النهر. بالماضي لم يكن هناك هذا المسرح أو حتى مسرح "طوكيو"، وكان دائمًا ما يصطحبها والدهم بإجازة مارس، ولم يسبق لها المجيء لطوكيو بشهر سبتمبر، فالآن يستشعرون الهواء البارد حتى بمنتصف المدينة، كما لو أن الخريف قد حلَّ بالفعل. هذا لا يحدث أبدًا بإقليمهم، ولكن ربما لأن "طوكيو" بالأساس طبيعتها البرودة فيأتيها الخريف أسرعَ، أو ربما هذه ظاهرة مؤقَّتَة، وبعد انتهاء الإعصار سيعود الحَرُّ مرَّةً أخرى. الرياح هنا تشعر بها تَنخر العظام وليست كمثيلتها في بلدتهم... أيًّا كان، فإنه ليس هناك سوى بضعة أيام على موعد فحص الطبيب، ولكن كيف ستقضيها؟

تذكَّرَت "ساتشيقو" أنه بحلول شهر سبتمر سيتم افتتاح مسرحية لممثل الكابوكي الشهير "كيكوجورو"، إنها فرصة لن تتكرَّر؛ فلتصطحب "إتسوقو" وتذهبا سويًّا؛ فهي تحب الرقص، وبالتأكيد ستسعد بمسرحية

(1) سوديت"SUDETEN LAND" وبالتشيكية والسلوفاكية "SUDETY"، وهو إقليم غرب التشيك على الحدود مع ألمانيا، وكان محور نزاع مع ألمانيا النازية وتشيكوسلوفاكيا قبل الحرب العالمية الثانية.

(2) هي المدينة الصينية HANKOW.

استعراضية كهذه. غير أنه حين تبلغ فتاتها الصغيرة ستكون تقاليد المسرح قد اندثرت؛ لذا فلتجعلها تشاهد مثل هذا الفنان العظيم.

إنها بطفولتها اصطحبها والدها لعرض مسرحي للممثِّل الشهير "جانچيرو"، وهي دائمًا ما تقارن حالها بابنتها، وتريد أن تتبع نفس النهج؛ لذلك فكَّرَت بالأمر، لكن حين تفقَّدَت الصحف وجدت أنه لم تبدأ بعد أي من مسرحيات الكابوكي المتميِّزة. بهذا لم يكن أمامها سوى التمشية في "جينزا" كل مساء، وليس هناك أي شيء آخر يُذكَر، وعلى حين غرَّة داهَمَها الاشتياق بدون أيِّ سَبَبٍ، وليس من قبيل المزاح كما تفعل الصغيرة مثلًا، وإنما بكل جدية، وليكن الفحص الطبي بمرَّةٍ أخرى؛ فهي تريد المغادرة اليوم، ومن أول يوم قضته وهي تتوق لبلدتها، وها هي الآن تذوق مَرارَ ما تجرَّعَته "يوكيقو" وهي هنا تنهمر دموعها في صمتٍ تشتاق العودة لـ "أشييا".

بحوالي الساعة العاشرة جاءها اتصال هاتفي من "أوهارو" تخبرها أنها تَوَدُّ أن تطلب منها طلبًا؛ إنها تريد المجيء لها، ولقد وصل خطاب من زوجها فستجلبه معها، وسألتها ما إن كان هناك أي شيء آخر ترغب في أن تُحضِرَه لها.

أجابتها "ساتشيقو" بأنها لا تريد شيئًا، ولتبلغ فقط أختها الكبيرة بأن تأتيها لتناول الغداء معًا، وأنهت المكالمة وهي تنوي أن تترك ابنتها برعاية "أوهارو" وتخرج مع أختها لتناول الغداء، وبعد تفكير طويل في مكان تذهبان إليه جاء بخاطرها أن "تسوروقو" تحبُّ سمك ثعابين البحر، وتذكَّرَت بالماضي وقتما كانت تذهب باستمرارٍ مع والدها لمتجر يتميَّز بهذا النوع من الأسماك يُدعَى "دايقوكويا" في مكانٍ يُسمَّى "قونيّاكوچيما"؛ فسألت عنه مالكة النزل، وما عن كان لا يزال باقيًا.

أمسكت مالكة النُّزُل بدليل الهاتف وقلبت صفحاته وتولَّت مَهمَّة الحجز لهما. انتظرت "ساتشيقو" أختَها، وجعلت "أوهارو" تصطحب الصغيرة الى متجر من سلسلة متاجر الترفيه "ميتسوقوشي".

أمَّا "تسوروقو" فجعلت "يوكيقو" تأخذ طفلتها "أوميه قو" للطابق الثاني لتخدعها وتتمكَّن من ارتداء ملابسها والخروج سريعًا، والآن بلا شك"يوكيقو" في مأزقٍ كبير، ومع ذلك تركتها الأخت الكبيرة وخرجت والتقت "ساتشيقو"، وبدأت ثرثرتهما:

"هنا يشبهه "أوساكا" للغاية... لا أدري من قبل بوجود مكان كهذا بـ "طوكيو"".

وتأمَّلَتا النهر الجاري المُطِلَّتان عليه.

"حقًّا يشبه أوساكا للغاية. دائِمًا ما كان أبي يصطحبني إلى هنا".

"هنا أصبح جزيرة أليس كذلك؟".

"فعلًا؟ وكيف هذا! ربما هذا صحيح... فلم تكن موجودة هذه الطاولات المُطِلَّة على النهر من قبل، ولكن موقعه لم يتغيَّر".

سرحت "ساتشيقو" بالمشهد خارج النوافذ. بالماضي كان الطريق على هذه الضفة من النهر وتصطفُّ عليه بعض البيوت، أمَّا الآن فالأبنية بطول الطريق، والمطعم أصبح فيما بينها. يأتي الطعام إلى الطاولات بالغُرَف اليابانية الطراز ذات الأرضية الحصير من الصالة الرئيسية. المطعم تم بناؤه على حوائط صخرية، طاولاته مصفوفة حول ثنيات النهر وعند ناصية الطريق يلتقي النهر برافِدٍ آخر له، ويشكِّل رمز "+". بالجلوس بغرفة الطعام دخولًا من الباب الجرَّار تجد المشهد كالذي تراه من قوارب صيد المحار في منطقة "يوتسوباشي". يتقاطع رافِدَا النهر وتظنُّ أنَّكَ ستجد أربعة جسور عابِرَة، ولكن ليس هناك سوى ثلاثة، وتكمن قيمتهم في تصميمهم الشبيه بعصر إيدو، والهدوء

الـذي يسـود المنطقـة كـما في طُرُقـات المـدن العتيقـة يجعـل المـكان أشـبه بــ "ناجابـوري" في أوسـاكا قبـل كارثـة الزلـزال.

وإن كانـت المسـاكن والجسـور والشـوارع كلهـا جديـدة، وأضفـت روح الحداثـة، إلا أنهـا لا تـزال خاويـةً مـن حركـة المشـاة.

"هل آتي لحضراتكم بمشروب...".

"حسنًا، لكن...".

قالتها ساتشيقو وهي تنظر لأختها الكبيرة وتسألها:

"ماذا تُفضِّلين أختي؟".

"مشروب الآن أم بعد الغداء؟".

"ألا نشرب ولو حتى بيرة؟".

"لا بأس إن كنتِ ستشاركينني".

كانـت "ساتشـيقو" فيـما بـين أخواتهـا كلكهـم هـي الأكـثر شُربًـا للخمـر. "تسـوروقو" تحبُّـه هـي الأخـرى، وهـذا هـو الوقـت المناسـب لِتَجرعـه باسـتمتاع، ومـن حيـث المـذاق فالخمـر اليابـاني هـو المُحبَّـب لديهـم، لكـن لا يكرهـون البـيرة.

"إذن دعينا نشرب قليلًا من الساكي[1] الآن".

"كلًّا. بـكل ليلـة أشـارك أخيـك الكبـير وأشرب القليـل، ومـن حـين لآخـر مـع الضيـوف...".

-"ضيوف من أي نوع؟".

---

(1) الخمر الياباني.

"ممَّن يأتون مع أخيك من "أزابو" ولا يشربون سوى "الساكي"، وبذاك البيت المقزِّز يقولون الشراب وسط ضوضاء الأطفال لذيذا!".

"أليس هذا مُتعِبًا لكِ أختي؟".

"و إن كان، فأنا مع الأطفال، والساكي للسادة، وإن انشغلتُ وكان لديَّ الكثير لأقوم به لا يمكنني قول أي شيء، و"أوهيسا" كما ترين...".

"حقًّا! هي لا تسعفك أبدًا".

" في البداية كانت دائمًا ما تقول "أكره طوكيو"، وتبكي؛ تريد العودة لأوساكا... لكنها بهذه الآونة لم تَعُد تقولها، بل تقول "ستبقيني معكِ إلى أن أصبح عروسًا"... أليس كذلك؟".

"هي أكبر أم "أوهارو"؟".

""أوهارو"... كم عمرها؟".

"أظنُّ 20".

"إذن بنفس العمر... أنتِ أيضًا "ساتشيقو" لا يمكنك الاستغناء عن "أوهارو"، وبالتأكيد ستُبقِين عليها".

"تلك الفتاة منذ أن كانت في سن الخامسة عشرة وتشارف على السادسة عشرة وهي لم تغادرني لأي مكان آخر مطلقًا، لكن في الحقيقة الانطباع المأخوذ عنها ليس في محلِّه؛ فهي ليست كما تبدو عليه، وليس هناك ما يهمها أبدًا".

"لقد سألت "يوكيقو" كيف كان عملها بمساء أول أمس، وقالت شتان بينها وبين "أوهيسا"، ولولا وجودها لظلَّت الأخيرة كالمعتاد تتلكَّأ بفعل كل شيء. أخوك الكبير أيضًا تَعجَّب من ذلك وعلَّق قائِلًا كم هي فتاة رائعة".

"بالضبط. حين نتكلَّم عن مميزاتها فهي حقًّا طيبة، لديها عطفٌ ورحمة وسرعة بديهة، وهذا ما كانت عليه بوقت مثل يوم الفيضان".

استمرَّت "ساتشيقو" في تقييم "أوهارو" وهي تتناول المقبِّلات مع البيرة إلى أن يتمَّ طَهوُ أطباقهما؛ فمديح الخادم هو من دواعي فخر سيِّده، وهذا بكل شكل من الأشكال لن يزعجها، ولا داعي لذِكر مساوئ مَن نُحبُّهم، و"ساتشيقو" دائمًا ما تُحسِن الحديث عنها، ومن عادتها الاستماع دون استنكار.

"أوهارو" خادمة حسنة السُّمعَة، وهذا في حد ذاته من النادر، علاوة على أنها مؤانسة، وبارعة في كل شيء وبها الكثير والكثير من المميزات، وبغضِّ النظر عمَّا تُقدِّمه لـ "ساتشيقو" وزوجها، ففيما بين التجار والحرفيِّين لها أهمِّيَّة خاصَّة، ومع المدرسين المسؤولين بمدرسة "إتسوقو"، وحتى مع السيدات رفيقات "ساتشيقو"، وبنقلها للرسائل الشفهية، خاصَّة وأن سيدتها ثغرها المتشدِّق بالثرثرة لا يكفُّ...

إنها خادمة مثيرة للإعجاب.

لكن أكثر مَن تدري حقيقة ما تشعر به "ساتشيقو" هي السيدة زوجة أبيها لـ "أوهارو"، والتي تأتيها للزيارة من حين لآخر، وتسأل عن أخبارها، وتقول: "قدَّمتُم لنا معروفًا لا يُنسَى بقبولكم لهذه الفتاة المشاغِبَة كثيرة المتاعب خادِمَةً عندكم. لطالما جعلتني أبكي هذه الفتاة؛ فكيف لكم أن تتحمَّلوها"، ويستمر حديثها على ذاك المنوال، وترجَّى "ساتشيقو" أن تصبر على متاعبها لأنها لم يعد لها مأوى آخر، وهي راضية بأي أجر يجودون به، ومهما وبَّختها فهذا بالتأكيد لمصلحتها فهي تتصرَّف كطفلة مُدلَّلة تستوجب النَّهر والتوبيخ دائمًا.

وعلى هذا النحو تضغط على "ساتشيقو" وتُصرُّ على طلبها وتنصرف.

في البداية حين جاء بها زوجها وهي في الخامسة عشرة من العمر ورأت "ساتشيقو" ملامحها اللطيفة راق لها أن تعمل لديهم، وبمرور أول شهر أيقنا أنهما استأجرا فتاةً صَعبةَ المِراس، واسترجعا كلمات زوجة أبيها: "إليكم بتلك المُزعِجَة"، وأدركا أنها لم تكن كلمات على سبيل التواضع، وأكثر ما اتفقت عليه آراء كل أفراد الأسرة هو قذارة هذه الفتاة؛ فبأول لقاء بها كانت متلطِّخةً بالأوساخ، وهذا ليس لأي سبب سوى أنها تكره الاغتسال وتنظيف ملابسها، وطبعها الكسول اتَّضح على الفور.

مهما فعلت "ساتشيقو" لتقويم عاداتها السيئة وشَدَّدَت تنبيهاتها المحرجة يقع الخطأ فور ما تغضُّ الطرف قليلًا. كانت كل الخادمات الأخريات لا يهملن الاغتسالَ يوميًّا بعد انتهاء أعمالهم، إلَّا أن "أوهارو" كانت تغفو بحلول المساء بغرفة الخدم، ثم تغط في نوم عميق دون أن تستبدل ثيابها بملابس النوم، ولا ترغب بغسيل ملابسها الداخلية، بل ومعتادة على ارتداء الملابس مُتَّسِخَةً لبضعة أيام، وعملية تنظيفها تستدعي بكل مرة أن يحاصروها ويجبروها على خلع ملابسها والاغتسال. من حين لآخر كانت تبحث "ساتشيقو" بأمتعتها وتغوص في أعماقها لتستخرج ما خبَّأته من ملابس مُتَّسِخَة، وتجبرها على غسيلها أمامها، وهكذا وجدت نفسها علقت بمتاعب أكبر من عناء رعايتها لابنتها.

كان الأكثر تذمُّرًا من "ساتشيقو" بل وقبل منها هُنَّ الخادمات الأخريات المتضرِّرات ضررًا مباشرًا. منذ مجيء "أوهارو" وخزانة الملابس بغرفة الخدم تتراكم بها الملابس المتَّسخة والتي لا تغسلها أبدًا أوَّلًا بأوَّل، واشتكين من تركها لهذه الثياب، والكل أصابته الدهشة حين استخرجت "ساتشيقو" ملابسهم من ضمن الأشياء. الغسيل والاغتسال بالنسبة لهذه الفتاة مأساة، حتى وإن كان يخصُّ سيِّدَها وسيدتها، وكانت رائحتها لا يطيقها مَن يمرُّ بجانبها، دون أن يقتصر الأمر على

رائحة جسدها فقط، فهي أيضا دائمًا ما تبتاع الحلوى وتأكلها خلسةً بأصابعها؛ مِمَّا أصاب معدتها بالتلوُّث، وجعل رائحة أنفاسها كريهة، وأكبر ورطة يقع بها مَن عليه النوم بجوارها في الفراش، حيث انتقلت منها العدوى بالقمل، والشكوى منها لا تنتهي.

نتيجة لكل هذه الأسباب ما كان أمام"ساتشيقو" سوى إعادتها لبلدتها "أماجاساكي". تكرَّر هذا بضع مرَّات، وعادة ما يأتي أبوها أو زوجته -مُتبادِلَيْن الأدوار- للاعتذار بكلمات معسولة، وإعادتها، دون أن يتركا لهم خيار.

ببيت عائلتها في"أماجاساكي" هناك أخٌ وأختٌ أصغر منها، لكنها هي فقط التي من الزوجة الأولى المتوفَّاة لأبيها. كانت كل خصالها سيئة، نتيجتها بالمدرسة ضعيفة بشكل ملحوظ مقارنة بأخواتها الصغار.

خجل أبوها من زوجته بشأنها، وزوجة أبيها قلقت عليه هو الآخر، والشد والجذب بسبب بقائها بالمنزل لا ينتهي، وفي ظل هذه الظروف توسَّلَ كلاهما لـ "ساتشيقو" لتُبقي عليها إلى أن تصبح عروسًا.

اشتهرت بين الجيران بـ "الطفلة الغبية"، ومهما جعلت زوجة أبيها من أبنائها حلفاء ينحازون لصفِّها بالنهاية كان يُساء فهمها وتُتَّهم بأنها تدعها وحدها ولا تعاملها كابنةٍ شقيقةٍ لأولادها، ومهما قالت إنها طفلة سيئة الخصال لا يُصدِّقها زَوجُها، ولا يقدِّر أبدًا رعايتها لها بغيابه، وهذا ما كانت تشكوه دائمًا لـ "ساتشيقو"، وتخبرها بأنها هي فقط التي تتفهَّمها وتدرك كم هو سيئ موقفها، والنتيجة دائمًا هي التعاطُف معها.

"دعينا لا نتحدث عن القذارة؛ فمجرد رؤية ما ترتديه الآن ستدركين مدى الإنجاز. "أوهارو" بالسابق كانت تترك كل شيء على

حالـه، ويضحـك عليهـا الخادمـات الأخريـات، أمَّـا الآن فقـد انصلـح حالهـا. أنـا أظـلُّ أوبِّخهـا مـرارًا وتكـرارًا عـلى أشـياء بديهيـة".

"لكن لها ملامح جميلة".

"تعتنـي بوجههـا فقـط، وتضـع الزينـة خلسـةً، وتسـتخدم مـا عنـدي مـن مرطِّبـات وأحمـر شـفاه".

"يـا لهـا مـن فتـاة غريبـة... إن فَعَلَتهـا "أوهيسـا" سـألتزم الصَّمـت. يكفـي أن أفكـر في عـدد المـرَّات التـي تُعِـدُّ بهـا الطعـام مَثَـلًا، أو أفكـر في أنهـا فتـاة منـذ أن كانـت في السادسـة عشرة مـن العمـر وهـي تعمـل بالخدمـة بالبيـوت، وأنـا لـلآن إذا تغيَّبَـت لا يمكننـي فعـل شيء واحـد مـمَّا تؤدِّيـه... إنهـا بوقـت الطعـام حـين عودتهـم جوعـى تفعـل كـما أقـول لهـا بالتـمام... "أوهـاروا" بحديثهـا مُهذَّبـة ولبقـة".

"نعـم، ليسـت حمقـاء، بـل تحـب التعامـل مـع النـاس، وإن كانـت تكـره دقائـق الأمـور بمهامِّهـا داخـل المنـزل؛ فتنظيـف الغرفـة ذات الحصـير مـن الأعـمال اليوميَّـة، إلَّا أنـه إذا لم أتابـع وأرى بنفـسي تُغفِلهـا، وإن لم أوقظهـا بالصبـاح لا تسـتيقظ أبـدًا، وبالمسـاء تغفـو كـما هـي بملابسـها...".

وبتجاذُبهـما أطـراف الحديـث هكـذا تذكَّـرَت "ساتشـيقو" العديـد مـن المواقـف وقصَّتهـا في مـرح:

"القـذارة مـن طبيعتهـا، تشـعر بالفخـر بذاتهـا وهـي تـأكل بأصابعهـا، وأثنـاء ذهابهـا مـن المطبـخ لغرفـة الطعـام حامِلَـةً الأكل تنتقـص البعـضَ منـه، خاصـة الكسـتناء الحلـو، ووقتـما تكـون بمفردهـا بالمطبـخ تحشـو فمهـا، وإذا ناديتُهـا عـلى حـين غـرة تـزوغ عيناهـا، ثـم تجيـب لاحِقًـا في ارتبـاكٍ مـرَّاتٍ متكـرِّرةً كأنهـا تـردُّ بأثـرٍ رَجعـيٍّ. بالمسـاء إن اسـتدعيتها لتدليـكي قبـل أن تكمـل الربـع سـاعة تتَّكِـئ عـليَّ وتسـقط رأسـها وتغفـو، وشـيئًا فشـيئًا تُرخـي قدميهـا وتسـتلقي جانبـي في وقاحـة، وتسـقط في سُـباتٍ عميـق فـوق فـراشي، غـيرَ عابِئَـةٍ بـشيء...

إنهـا دائمًـا مـا تنـام وتـترك الغـاز مفتوحًـا، وتنـسى أن تطفـئ المكـواة الكهربيَّـة، وتحـرق الملابـس، وتـكاد أن تتسـبَّب بنشـوب حريـق عـدَّة مـرَّات. وأظـن أنـه لا بُـدَّ مـن إعادتهـا لأهلهـا دون رجعـة، ويـأتي أهلهـا ويُهدِّئـون مـن ثـورة غضبـي كالعـادة"

"حقًّا! وعلى هذا الحال كيف ستصبح عروسًا؟".

"فكَّـرتُ مثلَـكِ، إن تزوَّجَـت وأنجَبَـت لـن تسـير أمورهـا عـلى مـا يـرام... وإن لم يكـن كذلـك فهـي باقيـة عنـدي. أليـس هـذا طريفًـا!... حـين أفكـر أنهـا معـي بالبيـت منـذ سِـتِّ سـنوات أي مـع ابنتـي سـويًّا كـم يبـدو الأمـر سـخيفًا... رغـم أنهـا تَرَبَّـت تربيـة غـير سـويَّة مـع زوجـة أبيهـا إلا أنهـا بقلبهـا الحـب والصـدق وإن كانـت فتـاة مثـيرة للمشـاكل وخصالهـا مقيتـة لكـن فـوق كل شيء هـي فتـاة تربَّـت عـلى الفضيلـة".

الفصل الثّامِن عشر

عـادت إلى غرفتهـا بــ "هامايا"بعدمـا أخذهـا الحديـث مـع أختهـا حتـى المسـاء، والتـي قبـل أن تنـصرف اقترحـت بهـذه المناسـبة أن تأخـذ "أوهارو" و"أوهيسـا" في جولـة سـياحية بمتنـزَّه "نيقـوه" كنـوع مـن التقديـر، خاصَّـةً وأنهـا جعَلَـت "أوهـارو" تنغمـس في أعبـاء العنايـة بالأطفـال، ومنهـا تحتجـز "أوهيسـا" التـي ترغـب بالعـودة لأوسـاكا، عـلى أن يكـون هـذا هـو شرط ذهابهـا. إنهـا نَـوَت منـذ فـترة، ولم تجـد رفيقًـا مناسِـبًا، وهـذه هـي الفرصـة المناسـبة، فلِـمَ لا تـدع "أوهـارو" ترافقهـا؟ وأردفـت أنهـا هـي ذاتهـا لا تعـرف "نيقـوه"، ولكنهـا تعلـم أنـه خروجًـا مـن "أساكوسـا" ستسـتقلَّان القطـار، ثـم الحافلـة مـن معبـد "طوشـووجو"، ويتجـوَّلان في شـلَّالات "كجـون" وبحـيرة "تشـوزنچيقو"، وتعـودان بنفـس اليـوم، هكـذا قـال لهـا زوجهـا، وهـي مَـن سـتتحمَّل نفقـات الرحلـة.

لقـد اسـتفاضت "ساتشـيقو" في الحديـث عـن مهـارات "أوهـارو"، وإن لم تدعهـا تذهـب فـ "أوهيسـا" أيضًـا لـن تفعـل.

"أوهيسا" حالها يُرثَى له، غير أنه على ما يبدو هي سمعت بالأمر سِرًّا؛ مِمَّا جعلها غاية في السعادة، فإن لن تسمح "ساتشيقو" سيكون ذلك بمثابة جريمة في حقِّها. على أية حال هي ستدع الأمور تسري وفق ترتيبات الأخت الكبيرة.

بعد يومين جاءها اتصال من "تسوروقو" تقول لها إنها بالليلة الماضية أخبرت الاثنين بشأن الرحلة، ولم يغمض لهما جفنٌ طوال الليل من فرحتهما، واليوم غادرتا منذ الصباح الباكر بعد إتمام كل الاستعدادات، وحسب جدول الرحلة ستعودان بالمساء قُربَ الساعة السابعة. بعدها أخبرتها أن "يوكيقو" تقترح أن يذهبوا هم الثلاثة أيضًا برحلة يزورون بها متحف الفنون وغيره، وقبلما تتَّخِذ قرارها بالموافقة وضعت سمَّاعةَ الهاتف جانِبًا لدخول الخادمة لتُسلِّمها رسالة بريديَّة عاجلة أخذتها منها الصغيرة ووضعتها على المنضدة التي تتَّكئ عليها أمُّها وهي ملتزمة الصمت.

امتقع لون وجهها. كان من الواضح من أوَّل وهلة رأت بها المظروف أنه ليس خطَّ زوجها، وكان مُدَوَّنًا عليه:

"فندق "هامايا"

السيدة المبجَّلَة "ساتشيقو ماكي أوكا"

سِرِّي للغاية".

مَن غير زوجها سيرسل خطابًا لعنوان الفندق بطوكيو؟ انتابها شعورٌ مريب.

"الرَّاسِل: أوساكاچي "تنوچي" شارع "تشيا أوسوياما"، رقم 23.

"أوكوباتا كسابورو""

تحاشت اللقاء بعينَيْ ابنتها وهي تسرع بفتح الخطاب، الذي كُتِبَ بِدقَّة على الوجهين، ومن ثلاث صفحات، على ورق سميك مستورد، مَطويٌّ لأربعة أرباع، وهي تخرجهم من المظروف وتفتحهم سَمِعَت الخشخشة وكأنها بمشهد سينمائي.

كان المحتوى بعكس توقُّعاتها تمامًا، وكل العبارات مكتوبة من اليسار:

"سيدتي العزيزة...

أستميحك عُذرًا لإرسال خطاب مفاجئ هكذا، وأنا أعرف أنه فور رؤيتك للخطاب ستُثار دهشتك -أختي الكبيرة- ورغمًا عن ذلك فأنا لم يمكنني ألّا أفعل.

بالآونة الأخيرة فكَّرتُ كثيرًا بالكتابة إليكِ، لكن راودني القلق من أن يقع الخطاب في يد "تائيقو"؛ فتراجَعتُ. إنني التَقَيتُها اليوم في "شوكوجاوا" بعد طول غياب، وعرفت منها أن حضرتك الآن مع "إتسوقو" في طوكيو وتقيمان في نُزُل "هامايا"، لي صديقٌ في "طوكيو" مقيمٌ هناك؛ لذا فأنا أعرف العنوان، والآن أصبحت متأكِّدًا من أن خطابي سيصل ليد أختي الكبيرة؛ فكتبته في عجالة دون إعادة نظر فيما إن كان لا يَصحُّ. فقط أريد تبسيط الأمور قدر المستطاع، وأودُّ أن أخبرك بما في قلبي من شكوك، وإلى الآن هي ليست سوى شكوك لديَّ وحدي، وإنما أوَدُّ سؤالك صراحة؛ أليس هناك شيء ما بين "إيتاكورا" و"تائيقو" مُؤخَّرًا؟

وقصدي: من ناحية المشاعر، دون الخوض في الموضوع من ناحية شرفها وسُمعَتِها... ألا تتَّضِح لك أمارات الحب بينهما؟

لقد شعرت بالأمر منذ وقت كارثة الفيضان، وحين فكَّرتُ لاحقًا بتفاصيل ما حدث وقتها وجدت أنه كم كان غريبًا أن يهرع "إيتاكورا" لإنقاذها. بذاك الوقت وذلك الموقف لماذا يُخاطر "إيتاكورا" بحياته من أجلها؟ لا أظنه ذهب لإنقاذها من طيب خلقه مثلًا.

دعيني أُخبِركِ بالمقام الأول أنه على عِلم مُسبَق بمواعيدها بمدرسة التفصيل، وبصداقتها المفرطة مع السيدة "تاما أوكي"، ولا عجب!

ألم يكن يتردَّد معها على مدرسة التفصيل عادةً، ويلتقيها هناك من ذي قبل، وتبقى على اتصال معه؟

لقد بحَثتُ في الموضوع، ولديَّ أدِلَّة، ولكن لن أذكرها هنا، وإن كان لا بُدَّ سأخبرك بها لاحِقًا، لكن الأهم الآن هو أن تبحثي أنتِ بنفسك في الأمر على وجه الخصوص، وأخشى أنَّكِ ستكتشفين المزيد ممًّا يخالف توقُّعاتِكِ.

إنني بعدما تَملَّكني الشكُّ حاوَلتُ مواجهتهما وإلقاء اللوم على "تائيقو" و"إيتاكورا"، لكن كلاهما أنكر بشدَّة، والغريب أنني بمجرَّد أن خرَجَت تلك الكلمات من فمي و"تائيقو" تتحاشى لقائي بشكل مريب. إنها لا تأتي إلى "شوكوجاوا" إلَّا نادِرًا، وحتى إنْ اتَّصلت بها ببيت "أشييا" دائِمًا ما تخبرني "أوهارو" أنها خرَجَت وليست بالبيت. ولا أدري إن كان حقيقة أم كذبًا.

"إيتاكورا" هو الآخر قال بعبارة مُحدَّدة حرصًا على ألَّا يثير شكوكي أنه مؤخَّرًا لم يلتَقِها سوى مرَّةٍ أو مرَّتين من بعد واقعة الفيضان، رغم أنه يزوركم يوميًّا ببيت "أشييا"... أليس كذلك؟

وأيضًا، ألَا يذهبان هما الاثنان سوياً للتَّنزُّه والسباحة بالبحر؟

أنـا أسـتطيع معرفـة الحقيقـة بتفاصيلهـا، ولـديَّ طريقتـي؛ لذلـك لـن يُجـدي الإخفـاء، ولقـد أمَرتُهـا بقَطـعِ أي علاقـة أو اتصـال مـع "إيتاكـورا"، ولا أدري مـا انطباعُـكِ، ولكنـي لم آمُـره هـو بَعـدُ.

إن كان هنـاك ضرورة للقائـه بهـا بشـأن تنسـيق اللقطـات الفوتوغرافيـة فأنـا حاليًـا مَنَعـتُ أيَّ شُـغل لـه معهـا، أي لم يَعُـد هـذا العمـل موجـودًا مـن الآن فصاعِـدًا.

بِغَـضِّ النَّظـر عـن أنـه يـتردَّد مُؤخَّـرًا عـلى البيـت أكـثر وأكـثر، و"تائيقـو" لا تـأتي إلى "شـوكوجاوا" أبـدًا؛ فمـن الأفضـل أن يكـون الوضـعُ تحت سـيطرة زوجـك -أختـي الكبـيرة- لكـن لسـوء الحَـظِّ بهـذه المـرة وبهذه الأثنـاء...

زَوجُـكِ -أخوهـم الكبـير بالقانـون- غائِـبٌ طـوال اليـوم، وأنـت و"إتسـوقو" أيضًـا، وحتـى "أوهـارو" في "طوكيـو"، وكُلُّكـم لا تعبـؤون بمـا قـد يحـدث.

بالتأكيـد أنـتِ لا تدريـن أنـه يزوركـم بالبيـت كلَّ يـومٍ أثنـاء غيابِـكِ. أظـنُّ أن الأخـت الصغـيرة حريصـةٌ عـلى نفسـها بـلا شـكٍّ، وإنمـا شـخصٌ مثـل "إيتاكـورا" ليـس محـلَّ ثِقَـة. إنـه شـخصٌ عـاد بعدمـا فعـل الكثـير وهـو يجـوب أمريـكا كلَّهـا.

للعِلْـم؛ بحثـه عـن علاقـة تَسـحبه للتَّغلغُـل متشـبِّثًا بـأُسرَةٍ أينما كانـت يجعـل منـه رجُـلًا مُريبًـا؛ فسُـمعَتُه الرَّاسِـخَة عنـه هـي خداعـه الدائـم لأي فتـاةٍ تُقرِضـه المـال. أنـا أعلـم عنـه ذلـك منـذ أن كان صبيًّـا بالمتجـر، وأنـا أعـرف الكثـير.

أمَّـا بخصـوص مشـكلة زواجـي أنـا و"تائيقـو" فأنـا لـديَّ العديـد مـن الطلبـات؛ لـذا فلنـدع الأمـر ليـوم آخـر، والمشـكلة الآن بالاعتبـار الأول هـي إبعـاد "إيتاكـورا" عنهـا، حتـى وإن كانـت تريـد فسـخ خطبتهـا معـي. هـي لم تفصـح لي بنِيَّتهـا، لكنهـا سـتدمِّر ذاتَهـا إن طالتهـا الشَّـائِعاتُ مـع مثـل هـذا الرجـل.

قطعًا "تائيقـو" -باعتبارهـا سيِّدة مـن عائلـة "مـاكي أوكا"- لـن ترغـب أن ترافـق شَـخصًا مثلـه، لكـن أنـا أيضًـا مـن البدايـة تقـع عـلى عاتقـي مسـؤوليَّة تقديمـه إليكـم؛ لـذا شـعرتُ أنـه مـن الواجـب عـليَّ أن أنبِّهَـك لمـا أثـار شـكوكي، بمـا أنَّـكِ الأخـت الكبـيرة المسـؤولة، وأنـا أعـرف أنـه مـن مُنطَلـق مكانتـك سـيكون لـك تصرُّفُـكِ الخـاص، ووقتـما يَكـون لي دَورٌ في أي شيء ترينـه فلتخبرينـي مـن فضلـك.

بالنهايـة، أَودُّ طلـب شيء مُلـحٍّ مـن فضلـك... أرجـوكِ أن يبقـى كل مـا ذَكَرتُـه بخطـابي سِرًّا، و"تائيقـو" لا تـدري بـه شـيئًا.

ختامًـا، لقـد كتبـتُ خطـابي هـذا في عُجالَـة ليصلـكِ -أختـي الكبـيرة- أثنـاء تواجُـدِكِ في "هامايـا". خطِّـي سيِّئ، يصعـب فَهمُـه، ولكـن أرجـوك أن تُقـدِّري الأمـر؛ فأنـا كتبـت كل مـا خطـر عـلى بـالي دون ترتيـبٍ؛ لـذا أعتـذر عـن سـوء خطِّـي، وأكـرِّر اعتـذاري وطلبـي أن تسـامحيني إن كان أسـلوبي غـيرَ لائـق.

مساء الثالث من سبتمبر

"أوكوباتا كسابورو"

إلى حضرة الأخت الكبيرة بأسرة "ماكي أوكا"

خالص احترامي".

اسـتنَدَت "ساتشـيقو" بمرفقيهـا عـلى الطاولـة، وبكلتـا يديهـا أمسـكت بـأوراق الخطـاب وأجـزاء منـه تعيـد قراءِتَهـا مـرارًا وتكـرارًا، وظلَّـت تتهـرَّب مـن نظـرات "إتسـوقو" التـي تشـاهدها مترقِّبـة، وعندمـا انتهـت مـن القـراءة أعـادت الأوراق للمظـروف، وطَوَتـه نصفـين، وأدخلتـه في حزام ردائهـا، ثـم خرجـت للـتراس واتَّخـذَت مقعـدًا مـن الخـوص. بـدت وكأنهـا أسـيرة بمصيـدة، وإن لم تُهـدِّئ مـن روعهـا وخفقـان قلبهـا لـن يَسَـعَها

التفكـير في شيء، فمهـما كان مـا ورد بالخطـاب، تُـرَى إلى أيٍّ مـدى كان صحيحًـا؟

إنهـا أصبحـت لا تـدري هـل المشـكلة أنهـم يُحسِـنون الظـنَّ بالنـاس، أم أنهـم فقـط تَخطَّـوا حاجـز الحَـذَر مـع ذاك المدعـو "إيتاكـورا"، والأمـر لا يزيـد عـن ذلـك؟ مجيئـه لِلَّهـو باسـتمرارٍ، ودون داعٍ، لم تَظنَّـه مـن الغريـب بـشيء، لكـن تصرُّفـه دائمًـا كيفـما يـروق لَهُـوَ شيء لا يمكـن تجاهُلُـه.

أيضًـا هـم أنفسـهم مـن ذاك المنطلـق لم تكـن لديهـم أدنى مشـكلة حيـال الشـاب. يعرفـون فقـط أنـه كان صبيًّـا بمتجـر لعائلـة "أوكوباتـا"، ولا يعلمـون شـيئًا عـن أصلـه ونَسَـبِه.

ذاك الشـاب مـن البدايـة وهـو عـلى عِلـم بأنهـم مـن مستوى مختلـف، وهـو بنفسـه كثـيرًا مـا قـال لـ "أوهـارو" أَلَا تتزوَّجينني؟ ألـن تكـوني لي عَروسًـا، وكلام مـن ذاك القبيـل، ولم تظنَّـه أبـدًا يقصـد الأخـت الصغـيرة بأسرتهـم... تُـرى، هـل لهـا يَـدٌ فيـما آلـت إليـه الأمـور؟

حتـى لـو كان ذاك الشـاب هـذا هـو مقصـده ففكـرة أن توافقـه "تائيقـو" لم تخطـر ببالهـا أبـدًا، ولا يمكنهـا التفكـير ولـو بالقليـل عـلى أنـه عـلى علاقـة بهـا، حتـى وهـي تقـرأ كلـمات "أوكوباتـا" الآن.

مهـما ارتكبـت "تائيقـو" مـن أخطـاء بالمـاضي فـلا عُـذرَ لهـا أن تُلقـي بشرفهـم وتتخـلَّى عـن ذاتهـا إلى ذاك الحـد؛ أليـس كذلـك؟

مهـما كان حظُّهـا العَسِر ومـا مَـرَّت بـه مـن أوقـات عصيبـة؛ فإنهـا تظـلُّ ابنـةً لعائلـة "مـاكي أوكا".

حـين وصـل بـ "ساتشـيقو" التفكـير إلى هـذا الحَـدِّ تَرَقـرَق الدمـع بعينيهـا وهـي تجلـس لحالهـا.

لـو عـلى "أوكوباتـا" واختيارهـا مثـل هـذا الشريـك لحياتهـا وهـو عـلى الأرجـح عديـم الفائـدة فأيضًـا يمكـن مسـامحتها، لكـن أن تكـون عـلى علاقـة بـذاك الشـاب فيسـتحيل...

إن تَصرُّفـات "تائيقـو" نحـو ذاك الشـاب وطريقـة كلامهـا يتَّضِـح بهـا كيـف تُعامِلـه عـلى أنـه مـن مسـتوى أقـل، وهـو أيضًـا يقبـل بالوضـع، راض بقَـدَره... أليـس كذلـك؟

وإن كان هكـذا؛ إذن فهـل فحـوى هـذا الخطـاب لا أصـل لـه مـن الصِّحَّـة؟

لقـد قـال إنـه بحـث ولـن يذكـر أدِلَّـة دون أن يشـير إلى دليـل واحـد؛ إذن الأمـر ليـس إلا شـكوكًا غامِضَـةً لـدى "أوكوباتـا" فقـط؟

انتهـى المطـاف بظنـون "ساتشـيقو" أنـه لم يقـع ذاك الخـلاف مـن الأسـاس، وهـو عـن عَمـدٍ يُحذِّرهـا بشـكل مُبالَـغ فيـه. إنـه يقـول إن لديـه طُرُقَـه، ورغـم ذلـك هـو ذاتـه لا يـدري كيـف يتحـرَّى الحقيقـة، فمَثَـلًا "تائيقـو" و"إيتاكـورا" لم يذهبـا هـما الاثنـان بمفردهـما للسـباحة بالمحيـط؛ فهـي دائِمًـا مـا تعـير انتباهًـا لذلـك، ومثـل هـذه الأمـور ليسـت خارجـةً عـن سـيطرتها. إنهـما حـين ذهبـا للسـباحة كانـت معهـما "إتسـوقو" و"يوكيقـو" أيضًـا، وحتـى بـأي وقـت آخـر لم يحـدث أن خرجـت "تائيقـو" مـع "إيتاكـورا" وحدهـما أبـدًا، وبـدون الإحسـاس بأننـا نراقبهـا. حديـث "إيتاكـورا" دائمًـا مُسَـلٍّ؛ لـذا يجتمـع الـكل حولـه بمجـرَّد أن يـأتي، ولم تشـعر ولـو لمـرة بسـلوك مُريـبٍ منـه أو منهـا.

إذن، ببسـاطة: "إيتاكـورا" اعتمـد عـلى شـائعاتٍ هَوجـاءَ مـن الجـيران أو مـا شـابه، ونسـج حولهـا الأوهـام مـن نفسـه عـلى الأرجـح... أليـس كذلـك؟!

بذلـت "ساتشـيقو" قصارى جهدهـا لتسـتبعد مثـل ذاك التفكـير، لكـن حتـى وإن كان؛ فإنهـا بقراءتهـا للرسـالة بـأول وَهلَـةٍ باغَتَتهـا وخـزةٌ بقلبهـا لا يمكـن نكرانهـا.

الحقيقـة المجـرَّدة أنهـا لم تَخُـض أيَّ نقـاش بخصـوص "إيتاكـورا" ومسـتواه، ولم يختلفـوا مـن قبـل حـول مـا يتظاهـر بـه؛ وعليـه فـكل مـا ورد بالخطـاب لم تتخيَّلـه قَـطُّ، والأمـر ليـس كذلـك أبـدًا...

مـا لا تريـد أن تُقِـرَّه "ساتشـيقو" هـو أن "إيتاكـورا" شـخصٌ خَـدومٌ ومُخلِـصٌ لـ "تائيقـو"، لكـنَّ تَـرَدُّدَه المسـتمرَّ دخـولًا وخروجًـا ربمـا وراءه شيء مـا غامـض لم تلحظـه. إنهـا هـي ذاتهـا لـو بمـكان "تائيقـو" سـتتحرك مشـاعرها بقـوَّةٍ كامـرأةٍ شـابَّةٍ نحـو مَـن أنقـذ حياتهـا، وسـيتَملَّكها إحسـاسٌ عميـق بالامتنـان لـه، عـلاوة عـلى أنهـا هـي نفسـها تُبَجِّلـه.

إنـه فقـط التَّعصُّـب لـ "اختـلاف المستوى الاجتماعـي" إلى أقصى حـد؛ لذلـك دون أن تلقـي بـالًا لا يرضيهـا أن تتقبَّـل الأمـر أو حتـى أن تحسـمه، فبالطبـع هـي تتحـاشى أن تتأكَّـد وتتثبَّـت مـن صحَّـة الأمـر.

لهـذا السـبب كان كل مـا تخشـاه مـن ذلـك الخطـاب الـذي بـين يديهـا الآن هـو أن ينكـسر كبرياؤهـا بوقاحـة "أوكوباتـا" عـلى هـذا النحـو غـير المتوقَّـع؛ فهـي تريـد أن يظـلَّ كُلُّ شيء يـدور تحـت ناظريهـا، وهـذا جعلهـا ترتبـك وتَشـعُر أنـه لا داعـي للتَّلكُّـؤ بطوكيـو ولا ليـومٍ واحـد، وإن لم يكـن عليهـا العـودة لهـذا السـبب فليكـن لأنهـا مصابـة بـداء الحنـين، وإذا نَحَّـت كلَّ شيء جانبًـا فـلا بُـدَّ لهـا أن تسـتوضح كل شيء سريعًـا، وفكَّـرَت فيـما هـي أفضـل طريقـة تبحـث بهـا؟ هـل عليهـا أن تفتـح النـار وتُحقِّـق معهـا وحدهـا دون أن تثـير فضـول الآخريـن بالبيـت؟ أم تناقـش مـع زوجهـا الأمـر برُمَّتـه؟ أم للنهايـة تَتحمَّـل عـلى عاتقهـا المسـؤولية وحدهـا ودون أن تُفصِـح لزوجهـا أو "يوكيقـو" وتتقـصَّى الحقيقـة سرًّا؟

لسوء الحظ إن استدلَّت على الحقيقة عليها أن تنهي هذه العلاقة دون أن تبوح بشيء، ودون أن تلحق أذى بأحد، وهذا هو الحل الأمثل.

إن مثل هذه الأشياء ما إن تطرأ على فكر أحد من نوعيَّتها تظل لها الأولوية، وتطغى على أي شيء آخر.ستمكث مشغولةَ الفِكر وتعتبرها مُشكِلَةً طارئة، وانشغل بالها كيف تجعل "إيتاكورا"لا يقترب منهم؟

من بين سطور الخطاب الذي قرأته للتَّوِّ ظلت هذه العبارة عالِقَةً بذهنها: "يزوركم كل يوم بالبيت أثناء غيابك، أختي الكبيرة".

لو بينهما حقًّا علاقَة حب فالفرصة الآن لتنمو براعمه.

"أخوها غائب طوال اليوم، وأنت و"إتسوقو" و"أوهارو" في "طوكيو"، ولا تعبؤون بما قد يحدث".

هذه الكلمات هي أكثر ما أثار غضبها؛ فكم هي حمقاء!

كيف لها أن تدع "تائيقو" بمفردها وتغادر مُصطَحِبَةً ابنتها و"يوكيقو" وحتى "أوهارو" وتذهب لـ"طوكيو" ولا تفكِّر سوى بنفسها ولا أي أحدٍ آخر كما لو أنها هي بنفسها التي تُهيِّئ المَرتَعَ لحُبِّهما وتباركه بمثل هذه الفرصة، فلو لم تتفتَّح براعم مشاعرهما لن يصبح لها نَبتة من الأساس. بذلك أي مشكلة تقع لن يمكن لوم أحدٍ سواها، وبأي شكل من الأشكال هذه الفترة هي كل ما تقلق بشأنه الآن، ونفد صبرها.

أليس من الأفضل أن تصطحب ابنتها وتغادر في غضون يوم أو اثنين وتتفقَّد الأحوال بنفسها؟ أم أن الحَلَّ الأسرع هو الاتصال بزوجها على الفور وتجعله يُحذِّر "تائيقو" ويمنعها من لقاء "إيتاكورا" في غيابه؟

كم يبدو الأمر سخيفًا! خاصَّةً وأنها تَودُّ إنهاء المسألة دون أن يعرف بها زوجها، بل وتريد أن تتجنَّب ذلك قدر المستطاع، وإن

كانت لا تطيق الأمر ولا مفرّ فلتَبْح لـ "يوكيقو" فقط وتغادر بالمساء بعد التمشية سويًّا.

إن تَفَهّمتها "يوكيقو" فلا حاجة لاختلاق الأعذار للمغادرة سريعًا...

ربما هناك حَلٌّ آخر؛ فماذا إن جعلت "أوهارو" تغادر أوَّلًا ويَبدو الأمر طبيعيًّا؟

بالتأكيد هي لن تُطلِع "أوهارو" على شيءٍ، لكن وجودها بجانب "تائيقو"سيجعل "إيتاكورا" لا يتمكَّن من زيارتها، وستصل للنتيجة المرجوَّة، وهي أنها ستحول دون قُربِهما من بعضهما البعض.

لكن "ساتشيقو" تَرَدَّدَت بشأن تنفيذ خُطَّتها الأخيرة حين تذكَّرَت أن "أوهارو" فتاة ثرثارة، ووجودها لن تُحمَد عُقباه ما إذا كان هناك شيءٌ بينهما يثير ريبتها فهي إن استشعرت أي شيء من ذاك القبيل فلن تتوقَّف عن نشر الشائعات هنا وهناك، وإن لم يكن كذلك فهي فتاة فضوليَّة بطبعها، وستظلُّ تفكِّر لِمَ أرسلَتها هي أوَّلًا.

فوق كل شيء "ساتشيقو" راوَدَها القلق من أن تشتريها "تائيقو" بالمال، وعلى العكس، بدلًا من أن ترسلها لمؤانستها فبالدَّهاء يسهل إغواؤها، خاصَّة لو فعل ذلك ذاك المدعو "إيتاكورا" بكلامه المعسول؛ ستُنفِّذ ما يقوله على الفور.

كل هذه الأفكار تزاحَمَت برأسها وهي لا تدري ماذا عساها أن تفعل، لكنها لم تُلقِ بمسؤولية هذه الورطة على أي أحد، وكالمتوقَّع استعدَّت بالترتيبات اللازمة للإسراع بالعودة.

لم يكن أمامها حلٌّ آخر سوى أنها بمجرَّد انتهاء الفحص الطبي -سواء باليوم أو الغد- ستغادر بعده مباشرةً، حتى وإن كان متأخِّرًا بقطار المساء.

كانـت شـارِدةً بأفكارهـا حـين وقـع ناظرهـا عـلى مظلّـة "يوكيفـو" وهـي آتيـة إليهـا تسـير عـلى ضفّـة النهـر بعدمـا عـبرت الجـسر مـن جهـة مـسرح الكابـوكي، فأسرعـت لتجلـس أمـام منضـدة الزينـة وأخـذَت فرشـاة مـورِّد الوجنتـين ومرَّرَتها برفـقٍ عـلى وجنتيهـا، وتنبَّهَـت لحقيبـة أدوات التجميـل الموضوعـة جانبًـا، ففتحتهـا دون أن تَـدَعَ الصغـيرة تلحـظ، وأخرجـت مـن جيبهـا قنّينـة "برانـدي" وسـكبت بالـكأس -الـذي هـو غطاؤهـا- ثُلُثَـه، وتجرَّعَتـه.

الفصل التاسع عشر

فقـدت "ساتشـيقو" شـغفها للذهـاب للمعـارض، لكنهـا ظنَّـت أنـه ربمـا عليهـا صرف انتباههـا عـمَّا يُوَتِّرهـا، والخـروج ومشـاهدة الأماكـن السـياحيَّة.

خـرج الثلاثـة مُتَّجِهاتٍ إلى "أويـه نـو"، والأختـان أصابهـما التَّعَـب مـن قبـل زيـارة المعـارض، لكـن "إتسـوقو" ألحَّـت بشـدَّة عـلى الذهـاب إلى حديقـة الحيـوان، فكانـت كلتاهـما تجـر أقدامهـا جـرًّا مـن الإنهـاك، إلى أن أتممـن جولتهـنَّ في إيجـاز وعُـدنَ بالمسـاء بعدمـا تجـاوَزَت السـاعة السادسـة.

في الحقيقـة كانـت لديهـنَّ النِّيَّـة لتنـاول العشـاء بمـكانٍ مـا، لكـن فضَّلن العـودة سريعًـا دون الاسـتراحة ولـو قليـلًا، وظلَّـت معهـنَّ يوكيقـو إلى أن عـدن للنُّـزُل ودخلـت للاغتسـال، ثـم تناولـن العشـاء بالغرفـة، وهنـا جاءت "أوهـارو" بملابـس قطنيَّـةٍ رثَّـة ووجههـا أحمـر يتصبَّـب عَرَقًـا وتصيـح:

"مرحبًا لقد عدت".

إنها عادت للتوِّ من رحلتها إلى "نيَقوه". ركبت المترو مع "أوهيسا" من محطة "كاميناري مون"، ونزلت بمفردها في محطة "أواريتشو" لتزور سيدتها وتشكرها. أخرجت "أوهارو" ثلاثة من الحلوى الجيلاتينية "يووكان" والبطاقات المصوَّرَة للمعالم السياحية هناك.

"هذه الهدايا كلَّفَتكِ الكثير... خذيها معك لهم ببيت "شيبويا"".

"كلَّا كلَّا لقد اشتريتها لكم هنا، و"أوهيسا" جلَبَت لهم هناك وسبقتني".

"حسنًا إذن ولكن هذا كله كثير للغاية...".

"هل رأيت شلَّال "كيجون"؟".

سألتها "إتسوقو" وهي تتفحَّص بطاقتها المصوَّرة.

"نعم، لقد أخذنا جولةً سياحيَّة لمشاهدة المعالم من الشَّلَّال ومعبد "طووشووجو" إلى البحيرة... كله بفضلكم".

بدا الحديث عن معالم "نيَقوه" شيِّقًا لبعض الوقت، إلى أن قالت "أوهارو" إنها رأت جبل "فوچي"، ونشبت المشكلة.

"ماذا؟ جبل "فوچي"؟".

"نعم".

"من أين رأيتِه؟".

"من داخل قطار "طووبو"".

"وهل من داخل القطار يمكن رؤيته حقًّا؟".

"هذا ليس حقيقيًّا يا "أوهارو"... إنه جَبَلٌ مختلف، ليس "فوچي"".

"كلَّا، أنا متأكِّدة وبلا شك. الزُّوّار كلهم كانوا يقولون يمكننا رؤية جبل "فوجي"، جبل "فوجي" ظاهر اليوم".

"حسنًا، إذن أين يمكنني رؤيته أنا أيضًا؟".

كانت "ساتشيقو" مشغولةَ البال منذ الصباح، واستغلَّت الموقف لتأمر "أوهارو" أن تقول بالطريق للطبيب "سوجي أورا" -دون أن تلحظها الصغيرة-؛ فالآن هذه فرصة مناسبة ليكون الرد: "هيَّا، فلنَقُم بالرحلة قبيل عودتنا ونَمُرَّ على الطبيب بالصباح لإجراء الفحص الطبي".

وها هو ذا على غير المتوقَّع ستنتهي من الأمر سريعًا، وجعلت "أوهارو" تستدعي موظَّفة الاستقبال بالنُّزُل، وطلبت منها حجز ثلاثة تذاكر بقطار النوم مساء غَدٍ، ولو أمكن بأرقام متسلسلة بنفس العربة.

تفاجَأت "يوكيقو" وسألتها إن كانت ستغادر فعلًا بالغد، وإن كان الفحص الطبي بصباح غد فهل سيقضين مشترياتهن سريعًا ثم يستقللن قطار الليل؟ ما الدَّاعي لكل هذه العَجَلة؟!

أجابتها "ساتشيقو" بأن المدارس بدأت بالفعل، ويجب ألَّا تتغيَّب "إتسوقو" أكثر من ذلك، ومن الأفضل الإسراع بالرجوع، وبهذا فـ "يوكيقو" و"أوهارو" عليهما المجيء للفندق بالغد في الظهيرة، ستكون "ساتشيقو" وابنتها قد عادتا من موعد الفحص الطبي، ويخرجن جميعًا للتَّسوُّق، واعتذرت "ساتشيقو" عن عودتها مرَّةً أخرى لتوديعهن ببيت "شيبويا"؛ فليس هناك مُتَّسَعٌ من الوقت، ولتبلغهم "يوكيقو" منها السلام، وبعدما اتَّفقن على ترتيبات الغد وانتهين من عشائهنَّ عادت كلٌّ من "يوكيقو" و"أوهارو" إلى بيت "شيبويا".

كان اليوم التالي يومًا حافِلًا يعجُّ بالمشاغل.

بداية من الصباح حيث زيارة الفحص الطبي لدى السيد الدكتور "سوجي أورا"، ثم التوجُّه لصرف الأدوية الموصوفة من صيدلية البلدة، وبعدها تستقلُّ "ساتشيقو" وابنتها سيارة أجرة لتعود إلى "هامايا"، حيث تنتظرهما "يوكيقو" و"أوهارو".

أول ما سألت عنه "يوكيقو" هو نتيجة الفحص الطبي.

أجابتها "ساتشيقو" بأن رأي الطبيب"سوجي أورا" مُشابِهٌ للدكتور "تسوجي" في المُجمَل، حيث قال إن الأجواء المحيطة تجعل الطفلة مُتوتِّرَة، غير أنه يحيطها الكثير من الأطفال المتفوِّقين مُتَّقِدي الذكاء؛ لذلك فهي لا تتحمَّل الانصياع لقيادتهم كشخصٍ عاديٍّ، ويجب ألَّا ندعها تصل إلى هذا الحَدِّ من القلق، والأهم أن نمنحها مجالًا لتستكشف ما يتفوَّقون عليها بمهاراتهم، وعليها أن تحاول جاهِدَةً التركيز في شيء واحد، هكذا قال الطبيب، وكتب لها نظامًا غذائيًّا مفصَّلًا، وهذا هو ما أضافه مُختَلِفًا عن الطبيب"تسوجي".

خرجن جميعهن بالمساء للتنزُّه على ضفاف بحيرة "دووميو" والتجوُّل بمتجر "ميتسوقوشي" في "نيهونباشي"، ومتجر "ياماموتو" للمأكولات البحرية، ومتجر"اريإن" في "أواريتشو"، وبشارع "هيرانويا"، ومتجر "أوايا" في "نيشيجينزا"، وغيرها الكثير.

لسوء حظِّهن اشتدَّت الحرارة بأواخر الصيف، واشتعلت نسمات الهواء بلهيب الشمس، فقرَّرن أن يلتقطن أنفاسهنَّ ويروين ظمأهنَّ في متجر "JAAMAN BAKERY" أو "COLOMBIN".

جعلن "أوهارو" تحمل الكثير والكثير من لفائف المشتروات، وبالكاد أطلَّت برقبتها من بين ما تحمله، ولليوم التالي على التوالي يتوهَّج وجهها احمرارًا، ويتصبَّب عَرقًا. ظلَّت تحاول اللحاق بخطواتهن، وهن الثلاثة أيضًا كلٌّ منهنَّ تحمل حقائب بيديها، وواصلن تسوُّقَهنَّ إلى أن

حـان موعـد العشـاء، وتوجَّهـن إلى مطعـم "ROMAIYA" الـذي لا يحيـد رأيهـن عنـه اختصـارًا للوقـت، بـدلًا مـن العـودة للنُّـزُل وطلـب الطعـام.

لكـن يظـلُّ هنـاك أمـرٌ واحـد بَعـدُ؛ فبهـذا المسـاء مـن أجـل "يوكيقـو" التـي لـن تراهـا مـرَّةً أخـرى إلَّا بعـد فـترة فليكـن تَجمُّعهـنَّ وداعًـا لائِقًـا، وتضـم طاولتهـن البـيرة والمأكـولات الغربيـة.

بعـد العشـاء عـدن للفنـدق سريعًـا، وحملـن أمتعتهـن وتَوجَّهـن لمحطَّـة طوكيـو، وجـاءت لوداعهـن الأخـتُ الكبـيرة، وطـال حديثهـنَّ في اسـتراحة المحطـة لقرابـة خمـس دقائـق، وبالثامنـة والنصـف مسـاء كُـنَّ بقطـار النـوم السريـع، وقبيـل تَحرُّكـه نزلـت "إتسـوقو" خـارج القطـار لتُثَرثِـر مـع "يوكيقـو"، وصعـدت" تسـوروقو" مـع أختهـا، وبدهليـز القطـار همَسَـت لهـا:

"أليس هناك أيٌّ من عروض الزواج لـ "يوكيقو"؟".

أجابتها "ساتشيقو":

-"كلَّا... لا شيء... مـع أننـي تَوقَّعـتُ أنـه لا بُـدَّ أن يكـون أي عـرض آخـر بهذه الآونـة...".

"إن لم يُقدَّر لها شيء بهذا العام، فالعام القادم سيكون أكثر شُؤمًا".

"أظنُّ كذلك، وأسأل الجميع...".

"وداعًا أختي الحبيبة".

قالتهـا الصغـيرة لـ "يوكيقـو" كـما اعتـادت أن تناديهـا عـلى أنهـا أختهـا وليسـت خالَتَهـا، وصعـدت للقطـار وبيدهـا مَحرَمَـة مـن الحريـر الجورجيـت باللَّـون الـوَرديِّ.

"متى ستأتين إلينا يا أختي؟".

"فور ما أستطيع المجيء".

"حسنًا، تعالي سريعًا".

"حسنًا".

"أكيد أختي... أكيد، أليس كذلك؟".

بالقطار كانت الأَسِرَّة واحِد علوي واثنان بالأسفل، وبأرقام متسلسلة. اختارت "ساتشيقو" السرير العلوي، وجعلت "إتسوقو" و"أوهارو" بالسريرَيْن اللذين قبالة بعضهما البعض، واستلقت برداءٍ خفيف، الذي هو بطانة داخلية للكيمونو.

مجرَّد أن مَدَّدَت ظهرها أدرَكَت أنه لن يمكنها النوم، وطالما لن يغمض لها جَفنٌ فلن تخوض عناء المحاولة، وظلَّت فور ما تجفل وتغمض عيونها يتبادر لمخيِّلتها وجه أختيها منذ قليل وهما تنهمر دموعهما أثناء وداعها، واستغرقت بالتفكير في مدة بقائها بـ "طوكيو" هذه المرة. إنها غادرت باليوم السابع والعشرين من الشهر الماضي، واليوم هو الحادي عشر.

لم يهدأ لها بالٌ طوال هذه المدَّة، وتوالَت الأحداث برحلتها بلا هَوادَة. في البداية أقامت ببيت أختها الكبيرة، وتحمَّلَت إزعاج الأطفال، واختتم الأمرَ إعصارُ الـ "تايفوو" الذي أفزعهم، وقادتها السُّبُل لتتَّخِذ من فندق "هامايا" ملاذًا، وما إن ظنَّت أنها تنفَّسَت الصعداء جاءها خطاب "أوكوباتا"، الذي وقع عليها كالقنبلة، ولم تهنأ من بعده براحةٍ أبدًا، ومهما تَعَجَّلَت جرَّت الأيَّامُ بعضها، يومٌ تلوَ الآخر مع أختيها، وبالفحص الطبي، وهذا أهم مسألة استطاعت إنجازها، ولم تشاهد أي مسرحية بالنهاية.

منذ الأمس وطوال اليوم هي تتجوَّل هنا وهناك بشوارع "طوكيو" المليئة بالغبار، بكلِّ نشاطٍ وهِمَّة. وحقًّا أمضت يومين غاية في الصَّخب.

ظلَّت تركض بتلك الساعات القليلة؛ فهي لا يمكنها أن تقبل ألَّا تُحقِّق كل أهداف رحلتها.

غرقت بتفكيرها على ذاك النحو إلى أن تَملَّكها التعب، ولم تَنَمْ، بل غطَّت بنومٍ عميقٍ وكأنه انتشلها عاليًا شيءٌ ما من الأفق وتركت عالمنا.

كانت تتجرَّع البراندي ليساعدها لتغفو، وحين تستيقظ تجد أنها لا تملك أيَّ قُوَّة حتى لالتقاط القنِّينة؛ فبداخل رأسها التي لا تنام الحادث المزعج الذي بانتظارها لتُصدِر حُكمَها، وتُقرِّر عاجِلًا فور عودتها... وإن كانت هدأت وتيرةُ هذه المشكلة وما يصاحبها من شَكٍّ وخوف وسط الزحام، ولكن يظل السؤال عالِقًا:

هل ما ورد بالخطاب حقيقيٌّ؟

هل تَشكُّ "إتسوقو" بوجود خَطبٍ ما؟

هل تحدَّثت مع "يوكيقو" بخصوص وصول خطاب من "أوكوباتا"؟

الفصل العشرون

عـادت "إتسـوقو"، وبعـد اسـترخائها ليـوم واحـد فقـط بـدأت باليـوم التـالي مبـاشرة الذهـاب للمدرسـة، أمـا "ساتشـيقو" فحـلَّ بهـا كل التعـب بمجـرد مغادرتهـا وقضـت بضعـة أيـام متتاليـة في اسـترخاء وتدليـك، وحـين يصيبهـا الملـل تتَّخـذ مقعـدًا بالـتراس وتُمـضي أوقاتهـا تتأمَّـل الحديقـة.

هــذه الحديقــة تعكــس ذوق صاحبتهــا ومــا تُفضِّلــه مــن زهــور في الربيــع عنهــا في الخريــف، إلَّا أنــه الآن أيضًــا تفتَّحَــت براعــم زهــور اللوتــس الهزيلــة في ظــلال الزخــارف الصناعيــة بالحديقــة وبالقــرب مــن حـدود حديقـة عائلـة "STOLZ" الألـوان البرَّاقـة تخطـف الأنظـار وحشـود العشـب الأبيـض تحتضـن بعضهـا البعـض. بالصيـف فعلـت كل مـا بوسـعها لتظـلَّ فـروع أشـجار الإسـفندان والمظلـة الصينيـة نَضِرَة، والعشـب يغطِّـي المشـهد بأكملـه كبسـاطٍ باللـون الأخـضر، ولم يتغـيَّر شيء منـذ مغادرتهـا لــ "طوكيـو"، سـوى أن أشِـعَّة الشـمس انكـسرت بعـض الـشيء، والنسـمات

المنعشـة البـاردة تتسـلَّل مـن بـين غصـون الزيتـون فيفـوح عطرهـا ويمـلأ الجـو فتستشـعر اقـتراب الخريـف خلسـةً.

الستائر الخوص المسدلة سيلزم طَيُّها جانبًا عمَّا قريب...

شردت "ساتشـيقو" بتفكيرهـا وظلَّـت عـدَّةَ أيَّـامٍ تتأمَّـل حديقـة بيتهـا العزيـزة عـلى قلبهـا وتألـف رؤيتهـا. إنهـا حقًّـا نـادرة، وتقريبًـا لم تصـادف مثلهـا برحلتهـا، رغـم أنهـا تَغيَّبَـت لعـشرة أيـام فقـط إلَّا أنهـا غـير معتـادة عـلى الرحـلات، وربمـا لذلـك ينتابهـا الإحسـاس وكأنهـا فارقـت لشـهر، وسـعادتها عارمـة بالرجـوع، وهنـا -ولمـرَّةٍ أخـرى- يعـزُّ عليهـا بقـاء "يوكيقـو" هنـاك... وبَـدَا عليهـا الأسى.

كل مـكان بهـذه الحديقـة يُذكِّرهـا بهـا. ألم تكـن "يوكيقـو" هـي الأخـرى تعشـق تأمُّـلَ الحديقـة هكـذا! إنهـا شـخصٌ أصيـل مـن إقليـم "كانسـاي"، وتعـي كيـف هـو الارتبـاط العميـق بـكل معالمـه.

قـد تكـون هـذه الحديقـة رتيبـةً لا تجمـع أذواقًـا نـادِرةً مَثَـلًا، إلَّا أنـه الهـواء بهـا مُعبَّـأ برائحـة أشـجار الصنوبـر، وتـرى منهـا جبـال "روقـوو" حـين تصفـو السـماء؛ مِـمَّا يُشـعِرُك بـأن السـعادة والانسـجام بالسُّـكنى في أراضي إقليـم "هانشـين" ليسـت مثـل هنـا أبـدًا، عـلاوة عـلى أنـه يعـجُّ بالضوضـاء والغبـار و"طوكيـو" التـي يُطلَـق عليهـا المدينـة البيضـاء هـي مـكان بغيـضٌ، فحتـى الإحسـاس بالهـواء بهـا مختلـفٌ مثلـما اعتـادت أن تقـول "يوكيقـو".

"يوكيقـو" التـي انتهـى بهـا الحـال للانتقـال لمـا هـو أسـوأ، وحـين تقـارن "ساتشـيقو" حالهـا بأختَيْهـا لا تـدري أي سـعادة تلـك قـد تكـون لديهـما، وهـذا الشـعور الـذي انغمسـت بـه جعلهـا في اسـتمتاع ليـس بعـده شيء.

وتصيَّدَت "أوهارو" لتثرثر بما في نفسها:

""أوهارو" قبل ذهابك لرحلة "نيّقوه" هل كنت تستمتعين بإقامتك في "طوكيو"؟ أنا لا أرى أن ذاك المكان جيّد على الإطلاق، بالتأكيد بيتي هو أفضل مكان أليس كذلك؟".

أمّا عن "تائيقو" فلقد كانت بإجازة من تصنيع الدُّمى طوال الصيف، وظنّت "ساتشيقو" أنها ستبدأ ثانية بهذه الفترة، وأثناء غيابها هي كانت كثيرة الخروج لتتّخِذ استعداداتها، ومنذ اليوم التالي لعودتهم وهي بدأت تتردّد على شقة عملها في "شوكوجاوا". إنها لا تدري متى ستبدأ دروس مدرسة التفصيل، وإن كانت المعلّمة ليس لديها ما يمنع الآن، إلّا أن "ساتشيقو" رأت أنه أَوْلَى من هذه الترتيبات أن تنتهز الفرصة الآن وتتعلّم الفرنسية قبلما تنشغل بالعمل، وإن كان هكذا فلتأتِ "مدام تسوكاموتو". إنها توقّفت عن العمل بعدما انتهت من تعليم "ساتشيقو" و"يوكيقو"، لكنها لن تُمانِع إذا ما أرادت "تائيقو" أن تبدأ معها.

هكذا اقترحت عليها، وأضافت أنها ستتعلّم من البدايات؛ لذا، للأسف، لن تكونا سويًا بنفس الحصص، علاوة على أن الفرنسيين تكاليفهم باهظة.

في إحدى المرّات جاء "إيتاكورا"، ولم تكن "تائيقو" متواجِدةً، وقال جئتُ لإلقاء التحية على سيدتي بعد عودتها، وجلس مع "ساتشيقو" بالتراس قرابة العشرين دقيقة، وبمروره على المطبخ سأل "أوهارو" عن رحلة "نيّقوه".

انتظرت "ساتشيقو" تعافيها من إنهاك السفر، ورغم أن هذه كانت فرصةً مناسبة لكن بهذه الأثناء كان من الغريب أن كل الشكوك التي جاءت مُحمّلة بها من "طوكيو" تلاشت شيئًا فشيئًا.

صَدمَتُها بالخطاب الذي وصلها بغرفتها في "هامايا" في صباح ذاك اليوم، والخوف الجاثم على صدرها مع صخب اليوم التالي، والكوابيس المتسللة لفِراشها بكل ليلة، وكل ما عانته...

بذاك الوقت ورغم شعورها أن الواقعة لا يمكن إرجاء التحقق منها ولا ليوم واحد، إلَّا أنها بلحظة عودتها لبيتها واستقبالها لصباح مُشرِق سَكَّن تَوتُّرها بشكل غريب، ورأت "يوكيقو" أنه لا داعي للإستعجال هكذا.

على وجه العموم لو كانت المشكلة تتعلَّق بسلوك "يوكيقو" لقالت "ساتشيقو" لا داعي لنأخذ بأقوال أي أحد، وصمَّت أذنيها، واعتبرته افتراءً عاريًا تمامًا من الصحة، وعلى عكس حالها مع "تائيقو"؛ هي لا تصدقها في كثير من الأمور؛ لهذا أصابها الذعر باستلام الخطاب. لكنها بعد عودتها لم تلحظ أبدًا أي تغيير بسلوك "تائيقو"، وهي دائمًا ما تلقاها بوجه بشوش؛ ممَّا أكَّد إحساسها بأن تلك الأخت الصغيرة ليس وراءها مثل تلك الفِعلَة المشينة، حتى إنها استغربت حالها حين ارتبكت بذلك الوقت، وشغل تفكيرها بالوقت الحالي ما إن كانت أصابها انهيارٌ عصبيٌّ هي الأخرى أثناء تواجُدِها بـ "طوكيو".

في الحقيقة تلك الأجواء المتوتِّرة بـ "طوكيو" بالنسبة لشخصية مثلها لن يُغيِّر من عصبيتها شيءٌ، وبالتأكيد قلقها بتلك الفترة كان مَرضيًا، والآن حُكمها هو الصواب.

بعد مرور أسبوع، وبيوم ما انتهزت الفرصة لتحسم الأمر مع "تائيقو"، وانفرجت أساريرها بشدَّة. حينها عادت "تائيقو" مبكِّرًا من "شوكوجاوا" وتوجَّهَت لغرفة الجلوس ومعها ما جلبته من شقة أشغالها.

دُميـة لسـيدة بمنتصـف العمـر، بـرداء مزركـش، تجلـس القرفصـاء تحت فانـوس وتنتعـل قبقـاب الحديقـة. إنهـا مسـألة "أصـوات الحـشرات"((1)*)؛ فالسـيدة تعطيـك انطباعًـا بالإصغـاء لأزيـز الحـشرات. بذَلَـت فيهـا "تائيقو" الكثـير مـن المجهود.

كانـت تبحـث لهـا عـن مـكانٍ، وجرَّبَـت أن تضعهـا فـوق المنضـدة، وهنـا جـاءت "ساتشـيقو":

"ها أنتِ ذا، استطعتِ الانتهاءَ منها".

"نعم، ها هي".

"جميلـة حقًّـا. إنهـا أفضـل أعمالـك بهـذه الفترة...فتـاة شـابَّة وبمنتصـف العمـر، لكـن إن فكَّـرتِ مَليًّـا تعطيـك الإحسـاس بالوحـدة ".

وأضافـت كلـمات قليلـة مـن النقـد، ثـم قطعـت حديثهـا بـذاك الموضـوع، وقالـت:

"أختـي الصغـيرة... أنـا، بالحقيقـة بهـذه الآونـة وأنا بــ "طوكيـو" وصلني خطـابٌ غريبٌ".

"مِن مَن؟".

سألتها "تائيقو" وهي لا تزال تُغدِق الدُّمية بنظراتها ولا تلقي بالًا.

"من "أوكوباتا"".

"ممم... إنه هكذا أفضل وضع...".

قالتها ووَضَعَت الدُّمية قبالة أختها الكبيرة.

همَّت "ساتشيقو" بإخراج الخطاب من مظروفه.

---

(1) ارتبـاط اليابانيـين بالطبيعـة ارتبـاطٌ روحـيٌ منـذ قديـم الأزل، ويتـمُّ التعبـير عنـه بالأغـاني والأشـعار. والاسـتماع للحـشرات أثنـاء تأمُّـل الطبيعـة يُنبـئ بتغيـير الفصـول، حيـث إنـه لـكلِّ نـوع منهـا موسـمه كالزهـور أيضًـا.

"هذا هو... هل تعرفين ما هو مكتوب به "تائيقو"؟".

"بالطبع أعرف... عن "إيتاكورا" بالتأكيد".

"حسنًا، لقد قَرَأت ما به و...".

بذاك الموقف لم يتغيَّر لون وجهها ولو بالقليل، بل حافظت على هدوئها دون أن تُحرك ساكِنًا؛ فهي من البداية يصعب أن تُفصِح عمَّا بجَعبَتِها، وحتى الآن و"ساتشيقو" ترمقها بالنظرات، وأزاحت لها على المنضدة أوراق الخطاب الثلاثة، ودون أن يطرف لها جَفنٌ أخذتها وقلَّبَت الصفحات لتقرأها بتَمعُّن.

"كم هو أحمق... لقد اندهشت حين قال لي من فترة إنه سيرسل خطابًا للأخت الكبيرة لكي أخبرها".

"أنا بالتأكيد دهشتي كانت كالصَّاعقة".

"أريد أن أحتفظ بهذا".

"لكنَّه كتب به يستسمحني ألَّا أبلِغَكِ شيئًا، وأنا بدلًا من أن أخوض النقاش مع أيِّ أحدٍ واجَهتُكِ مباشرةً، وأول ما تبادر لذهني هو أن أسألك... قطعًا هذه ليست الحقيقة، أليس كذلك؟".

""أوكوباتا" يقول إنني أخونه... هل وصل الشَّكُّ به لهذا الحد؟".

"رغمًا عن ذلك، ما ظَنُّكِ بـ "إيتاكورا"؟".

""إيتاكورا" أنا سَبَّبتُ له الكثير من المشاكل. الوضع يختلف عمَّا يقصده "أوكوباتا"، أنا يتوجَّبُ عليَّ شُكره والعِرفان بجميلِه. إنه صاحب فضلٍ، وأنقذ حياتي. هل يؤول الوضع لسوء الظَّنِّ به هكذا؟".

"حسنًا إذن، كما ظَنَنتُ تمامًا... أتفهَّم ذلك".

قالت "تائيقو" إن شَكَّ "أوكوباتا" كما جاء بالخطاب هو منذ حادثة الفيضان، لكن الحقيقة أنه من قبل، وأدركت فيما بعد

سـببَ كراهيتـه الدائمـة لـ "إيتاكـورا". في البدايـة كان يُثـار حنقـه دون داعٍ مـن تَـردُّد "إيتاكـورا" بحُرِّيَّـة عـلى بيـت "أشـيبا"، فـرأت أن تدعـه بغضبـه الطفـولي هـذا لأنـه ليـس غـيرةً، ولم تُعِـره أيَّ انتبـاه، لكـن بعـد حادثـة الفيضـان تَمَلَّكَـه الـشَّرُّ لدرجـة أنـه أصبـح يَصـبُّ كُلَّ شـكوكه عليهـا. سـألها "أوكوباتـا" هـي فقـط، وقبلـما يفعـل مـع "إيتاكـورا" طلَبَـت منـه أن يلتـزم الصمـت، وظنَّـت أيضًـا أن "أوكوباتـا" شـديدُ الاعتـداد بذاتـه؛ فلــن يتحــدَّث لــه أبــدًا، وتحاشــت المواجهــة بــأي حديــثٍ مبــاشر مــع "إيتاكـورا"، وهــو بــدوره لم يفعــل، ولم يُلــقِ اللَّــومَ عــلى أحــد، وكان هــذا سـببًا كافيًـا لينشـب الشـجار بينهـا وبـين "أوكوباتـا"، ومهـما حـاول الاتصـال بهـا تغضـب ولا تجيبـه، وعـن عَمـدٍ لا تعطيـه فرصـة للقائهـا، وأصبَحَـت طريقـة إلحاحـه تُوَتِّرهـا، وتعتبرهـا شـيئًا مُثـيرًا للشَّـفقة، وآخـر مـا جـاء بـه هـو هـذا الخطـاب، والـذي عرفـت بشـأنه بعدمـا التقتـه أخـيرًا في الثالـث مـن الشـهر الحـالي.

إنهـا دائمًـا مـا تلتقيـه بالقـرب مـن غرفتهـا المُسـتَأجَرَة كمقـرٍّ لعَمَلِهـا في "شـوكوجاوا" وتنتظـره بالطريـق، وهـذا مـا يقصـده "أوكوباتـا" حـين ذكـر بخطابـه أنـه لم يَعُـد يلتقيهـا دون أن يذكـر بالتفصيـل كيـف وأيـن يتقابـلان.

بسـماع "ساتشـيقو" لإجابتهـا ولأنهـا تُنهـي حديثهـا معـه بعـد التَّمشـية هنـاك عنـد أشـجار الصنوبـر ثـم تغـادر- أدرَكَـت أن عبـارة "إيتاكـورا" بالخطـاب: "لـديَّ العديـد مـن الأدِلَّـة" مـا هـي إلَّا ليدفعهـا لتوبيـخ "تائيقـو"، وجَعلِهـا تقطـع علاقتهـا بـ "إيتاكـورا" مـن أجلـه، لكـن "تائيقـو" لا سـبيل لهـا لتقطـع صِلَتَهـا بشـخص صاحـب فضـل عليهـا في بقائهـا عـلى قيـد الحيـاة، فلقـد رفضـت بشـدَّة حـين أمرهـا بذلـك؛ فـأصرَّ أكـثر عـلى ألَّا تلتقـي "إيتاكـورا" أبـدًا.

أصبح لا مفرٌ من أن تشرح له الأسباب، وحينها قطع "إيتاكورا" عهدًا بألّا يأتي للزيارة ببيت "أشييا" ثانية، وأن يُنهي تمامًا أيَّ علاقة عمل وكل ما يخصُّ عمولات الصور الدعائية.

أخذت "تائيقو" الخطوة لتبدأ شرح ملابسات الوضع، وحديثها جَعَلَه يمتنع عن الكلام فأدركت أنه مجبورٌ على قَطع مثل هذا الوعد.

بناء عليه، فهو منذ أن قطع وعده، أي منذ الثالث من الشهر الحالي وهي لم تَلتَقِ بـ "إيتاكورا" ولا مرَّة، وهو نفسه لم يَزُرهم ثانية، فقط عندما عادت "ساتشيقو" أخلَفَ اتفاقه وجاءهم بزيارةٍ عابرة، وعن عَمدٍ اختار موعد غياب "تائيقو" عن البيت.

هكذا هي لا غُبارَ عليها، ولكن تُرى "إيتاكورا" ما شعوره نحوها؟

بالنسبة لـ "أوكوباتا" ما من حاجة لـ "تائيقو" لتتلقّى العون منه وتدين له بأي معروف؛ فهو يظن أن إقدام "إيتاكورا" على عمله البطولي له هدف في الأساس. ذاك الرجل الماكر واجَهَ الأخطار بجدارة فقط لترقبه لتعويض عظيم من أي نوع كان. إنه كان منذ الصباح الباكر مُستعدًا، ويتجوَّل بالمنطقة ممَّا يؤكِّد أن سلوكه كان مُخطَّطًا له؛ فأين هو المبرِّر لشكر رجل يحتضن طموحاته التي هو نفسه لا يعرف مداها.

ففي المقام الأول حين يستولي على حبيبة رب عمله ألن يكن هذا جحود؟

هذا أيضًا ما ينكره "إيتاكورا" بشدَّة، ويقول إن "أوكوباتا" أساء فهمه للغاية. إنه قدَّم العون للأخت الصغيرة لأنها بالأساس حبيبة ربِّ عَمله، ولأنه لم ينسَ فَضلَه القديم؛ ولهذا تفانى وبذل قصارى

جهـده مقدِّمًـا حياتـه، فكيـف تؤخـذ فعلـه عـلى ذاك المحمـل؟ ولأنـه شـخص سـليم النِّيَّـة أصبحـت "تائيقـو" تسـتعين بـه دائمًـا.

إذن...

كيف لـ "تائيقو" أن تحكم أو تفصل القول بينهما؟

بصراحـة لا يمكـن الجـزم بـأن "إيتاكـورا" لم يشـعر ولـو بالقليـل بمشـاعر حقيقيـة، وهـو أيضًـا ذكيٌّ؛ لـذا لم يُظهِـر الأمـر، لكـن خوضـه للمغامـرة لهـذا الحَـدِّ هـل هـو فعـلًا ولاء وعرفـان لـرَبِّ عملـه القديـم؟

ربمـا مـا يعيـه هـو ذاتـه أن الأَوْلى مـن ولائـه لـ "أوكوباتـا" تقديـم ولائـه لهـا، وإن حـدث العكـس فلـن يضـيره شيءٌ. إنـه يـدري أن عليـه ألَّا يتخطَّـى حـدوده أكـثر مـن ذلـك، وإنمـا فليرسـم عـلى وجهـه أمـارات أنـه لا يعـرف شـيئًا؛ وبهـذا يظـل هـو الرجـل الخـدوم الـذي يسـعى لكسـب عيشـة بكَـدٍّ، ويسـتغلُّ الوضـع الاسـتغلال الأمثـل، وبالمقابـل هـي سـتفكِّر بمكافأتـه نظـير خدماتـه، ومـن الأفضـل أن يرتِّـب أمـوره هكـذا.

وعـلى هـذا الحـال، وبتلـك المشـاعر كان الوضـع بينـه وبـين "تائيقـو"، لكـن "أوكوباتـا" الضعيـف الشـخصية اشـتعلت غيرتـه وهـي تكـره أن تُعلِّق بسـوء الفهـم السـخيف هـذا، وإن كانـا عـلى وشـك الانفصـال، فبقـدر الإمـكان سـتجعله لا يتـمادى بالمجـيء والذهـاب معهـا، ويقتـصر الأمـر عـلى تبـادُل الأحاديـث عـلى فـترات. بهـذا حـين تَفجَّـر شَـكُّ "أوكوباتـا" اطـمأنَّ "إيتاكـورا" لكونـه سـيندم عـمًّا قريـب عـلى كتابتـه مثـل هـذا الخطـاب لـ "ساتشـيقو".

"احـذري "تائيقـو" مـن هـؤلاء أمثـال "إيتاكـورا"، لا أدري مـن أيِّ نَـوعٍ هـم، وإنمـا لا تُحسِـني الظَّـنَّ أبـدًا... أمَّـا عـن "أوكوباتـا"

فأنـت رغـم أنـك لا تُكنِّـين أي مشـاعر لغـيره إلا أنـه ترجـم الوضـع هكـذا، ومـا كان يصـحُّ لـه أبـدًا...".

بالآونـة الأخـيرة تباسـطت "تائيقـو" أمـام أختهـا الكبـيرة لدرجـة أنهـا أخرجـت علبـة السـجائر مـن بـين طيَّـات حـزام ردائهـا بعـد قليـل، والتقطـت واحـدة مـن اللفافـات المسـتوردة باهظـة الثمـن، ذات المبسـم الذهبـي، وأشـعَلَت لهـب قدَّاحتهـا، وفتحـت شـفتيها الغليظتـين التـي تُميِّزانهـا، ونفثـت الدخـان وهـي تفكـر بجدِّيَّـة.

"إذن فلنتحدَّثْ عن السفر للخارج".

والتفتت إلى "ساتشيقو" بجانب وجهها:

"أختي... ألا تُفكِّرين معي!".

"حسنًا، أفكِّر بالأمر، ولكن...".

"هل فتحت الموضوع بطوكيو؟".

"تحدَّثـت مـع "تسـوروقو" في عديـد مـن المواضيـع، وكنـتُ سـأتطرَّق للأمـر، لكنِّـي لم أفعـل، وأظـنُّ أن المسـألة تتعلَّـق بالمـال؛ لـذا فمـن الأفضـل عـدم الخـوض في الحديـث، وإن كُنَّـا سـنفتح الموضـوع فليَقُـم بذلـك أخـوك الأكـبر "تينوسـوكيه"".

"وما قول أخي الأكبر "تينوسوكيه"؟".

"يقـول إذا كانـت هـذه رغبتـك وتُصرِّيـن عليهـا فـلا مانـع مـن أن يتوسَّـط ويرفـع الأمـر لهـم، ولكـن ألـن تندلـع الحـروب في أوروبـا؟ هـذا هـو المُقلِـق في الموضـوع".

"هل فعلًا ستبدأ الحرب؟".

"لا أدري، ولكن فلننتظر قليلًا نرى الوضع ".

"هـذا هـو الصحيـح. المعلِّمـة "تامـا أوكي" ستسـافر عـمًّا قريـب؛ لـذا فكَّـرتُ أن تصطحبنـي معهـا، ولكـن بنـاء عـلى مـا تقولـين...".

بالحقيقـة "ساتشـيقو" أيضًـا فكَّـرَت أنـه طالمـا هـذا مـا آلـت إليـه الأمـور وشـأنها مـع "إيتاكـورا" طبيعـي، وأيضًـا تُـصرُّ عـلى الابتعـاد عـن "أوكوباتـا"؛ إذن فليدعوهـا تسـافر.

الوضـع في "أوروبـا" تـراه بالصُّحُـف أوَّلًا بـأوَّل، وهـي يسـاورها القلـق مـن رحيلهـا وحدهـا، وبِغَـضِّ النظـر عـن موافقـة البيـت الكبـير فهـي مـتردِّدة، لكـن إذا كانـت السـيدة "تامـا أوكي" سـتذهب معهـا بنفـس الرحلـة فهـذا مُنطَلَـق لتعديـل وجهـة التفكـير، فعـلى حَـدِّ قـول "تائيقـو" هـي لا تنـوي الذهـاب في رحلـة طويلـة. إنهـا ذهبـت لباريـس بالسـابق، والآن هدفهـا الذهـاب لمـرة أخـرى فـور مـا تسـنح الفرصـة؛ لدراسـة أحدث صيحـات الموضـة، ولأنـه لا بُـدَّ مـن إعـادة بنـاء المدرسـة بسـبب أضرار كارثـة الفيضـان؛ فإنهـا تريـد أن تسـتغلَّ هـذه الفـترة وتسـافر وتعـود لأرض الوطـن بالكثـير بعـد سـتة أشـهر. إن كان حَقًّـا مـن الأفضـل لـ "تائيقـو" البقـاء لسـنة أو سـنتين للدراسـة فلتَبـقَ، وإن كان سـيحبط عزيمتهـا البقـاء بعـد رجـوع "تامـا أوكي" فلتَعُـد معهـا، والذهـاب لسـتة أشـهر فقـط سـيمكنها مـن ترقيـة مُسـمَّاها الوظيفـي في مجالهـا.

قالـت أيضًـا "تائيقـو" إن الآن تحديـدًا بتخطيطهـا للمغـادرة بـأول العام القـام والعـودة بشـهر يونيـه أو أغسـطس ربمـا بهـذه الفـترة القصـيرة تقـع الحـرب وتتـولَّى السـماء مصيرهـا، لكنهـا سـتطمئنُّ إذا كانتـا هـما الاثنتـان سـويًّا. لحُسـن الحـظ أنهـا تعـرف أشـخاصًا ألمـان وإنجليـز، وعندمـا يتـأزَّم الوضـع لـن تتـورَّط بالبحـث عـن مـأوى. إنهـا لـن تجـد فرصـة مثاليـة كهـذه مـرة أخـرى، وإن كانـت الرحلـة تَحفُّهـا المخاطـر فلتكـن برفقـة صديقتهـا.

"بهذه المرة ستوافقين بسبب موضوع "إيتاكورا" و"أوكوباتا"، أليس كذلك؟".

هكذا قالت لها "تائيقو".

"إن كان الأمر بيدي فأنا أوافق، ولكني لا أدري ماذا سيقول "تينوسوكيه"، سأتناقش معه ونرى".

"بالتأكيد سيوافق وسيشرح لهم ببيت العائلة الكبير. ستطلبين منه أليس كذلك؟".

"هل أول السنة بقريب؟".

"كلّما كان أسرع كان أفضل، ومتى ستذهبين لطوكيو ثانية؟".

"لا بُدّ لي من الذهاب لمرة أو مرتين قبل العام الجديد... إذن ها أنتِ ذا عليك تعلُّم الفرنسية يا "تائيقو"".

قالتها "ساتشيقو".

الفصل الحادي والعشرون

كانـت السـيدة "STOLZ" سـتغادر إلى "مانيـلّا" في أحـد أيـام الشـهر الجـاري، مُصطَحِبَـة "روزمـاري" و"فريتـز" بسـفينة الـركاب الأمريكيـة الفاخـرة "PRESIDENT COOLIDGE".

كانـت "روزمـاري" طـوال فـترة تواجُدِهـم بـ "طوكيـو" وهـي تخـشي أن يُمـدِّدوا إقامتهـم، ويوميًّـا تزعـج "تائيقـو" والخادمـات وتسـألهم عـن "إتسـوقو" لمـاذا لم تَعُـد بعـدُ، وهـل سـتمكث هنـاك أكـثرَ مـن ذلـك؟ ومنـذ رجوعهـم وهـي تنتظـر عودتهـا مـن المدرسـة، وأمضـت الطفلتـان كلَّ الأيام القليلـة المتبقيـة في اللهـو سـويًّا دون ضيـاع ولا يـوم.

كانـت "إتسـوقو" بمجـرَّد أن تضـع حذاءهـا بالمدخـل تجـري نحو السـور السـلكي.

"رومي، هيَّا تعالي"...

وتناديها بلغة ألمانية متكسِّرة حروفها، وعلى الفور تظهر "روزماري" وتعبر السور وهي ترقص فرحًا، وتبدآن في قفز الحبل حافيتَيْ الأقدام فوق العشب.

ويأتي "فريتز" ويتولَّى مَهمَّة العَدِّ:

EINS,ZWEI,DREI,VIER 1،2،3،4"

أسرع... أسرَع SCHNELL SCHNELL".

"لا يمكنني المزيد NOCH NICHT".

وغيرها المزيد من الكلمات التي أصبحت "إتسوقو" تستخدمها هي الأخرى، وبيومٍ ما جهة الأغصان الكثيفة تعالى صوت "روزماري" باليابانية:

""إتسوقو" كيف حالك؟".

أجابتها "إتسوقو" بالألمانية، واستمرَّ الحوار:

"حين تذهبين لـ "هامبرج" بالتأكيد لن تنسي أن تراسليني".

"أنت أيضًا يا "إتسوقو" راسليني".

"حسنًا سأفعل بالتأكيد، بالتأكيد... أبلغي سلامي لـ "بيتر"".

وفجأة تعالت أصواتهم بالنداء:

"إتسوقو".

""رومي"، "فريتز"".

خرَجَت "ساتشيقو" للشرفة لتستطلع ما يحدث؛ فوجدت "روزماري" والطفل الصغير فوق جذوع أشجار ارتفاعها يناسبهما، يقفان عليها ويُلوِّحان، و"إتسوقو" تجيبهما، ويُمثِّلون مشهد إبحار السفينة ومغادرتهما.

نزلــت "ساتشــيقو" إليهــم بالحديقــة سريعًــا، ولوَّحَــت لهــم وكأنهــا تقــف عــلى رصيــف الميــنــاء.

""رومي"، "فريتز"".

"يا والدة "إتسوقو" Auf, Wiedersehen".

"لا زلتم باليابان يا "رومي"، ご機嫌よう".

"يا والدة "إتسوقو"، يا "إتسوقو"، تعالوا إلى "هامبرج"".

"بالطبــع ســنأتي... الآن "إتســوقو" كبــيرة بمــا يكفــي لنذهــب قريبــا... يــا "رومــي" اعــتنِ بحالِــكَ".

قالتهــا "ساتشــيقو" وهـــي تشــارك الأطفــال لعبهــم والدَّمــعُ يختنـــق بأعينهــا.

كانــت الســيدة "STOLZ" صارمــةً في قواعــد الأدب التــي تُــربِّي عليهــا أطفالهــا، وحتــى ولــو كانــت "إتســوقو" هــي التــي بحديقتهــم بعــد ســاعة بالضبــط يعلــو صــوت ندائهــا أمــام الســور: ""رومــي"، هيَّــا"، لكنهــا في الآونة الأخــيرة بــدا أنهــا تتعاطــف عــلى نحــوٍ خــاص مــع مشــاعرهم الأليمــة فيــما تبقــى للرفقــة الطفوليــة مــن أيــام أخــيرة، ولم تتحــدَّث إليهــم بصرامــة كــما اعتــادت، وحَــلَّ الظــلام وهــي تــترك طفليهــا يواصــلان اللهــو.

كان لعبهــم المعتــاد هــو أن يَصفُّــوا العرائــس ويُلبســوها مختلــف الملابــس، ثــم يمســك أحدهــم بجــرس ويَرِنُّــه ليَتبادلــوا الأدوار مــع العرائــس، ويرتــدون مختلــف الثيــاب، وأحيانــا يتناوبــون الــدَّورَ للعــزف عــلى البيانــو.

""إتسوقو"، تفضَّلي مرَّةً أخرى من فضلك".

كانــت كثــيرًا مــا تقولهــا "روزمــاري" لتعــزف إتســوقو مقطوعــة موســيقية تحبُّها .

انشغلت السيدة "STOLZ" بسبب رحيل زوجها وترتيبها لكل الأغراض وتولِّيها بيع أثاث البيت وكل من تبقَّى من مهام بمفردها، وانهمكت بالعمل يوميًّا. تابعتها "ساتشيقو" من غرفة الطابق الثاني، هذا لا يعني أنها ظلت تراقبهم عن عَمدٍ منذ انتقال هؤلاء الألمان للجوار، وإنما كان من الطبيعي أن يسقط نظرها على الباب الخلفي عندهم بكل مرَّة تُطلُّ بها من شرفتها، سواء بالصباح أو المساء، ومن الأحوال بالمطبخ عندهم عرفت أنها والخادمات يواصلن العمل باستمرار، وكانت تُصاب بالدهشة وهي تراهن يُنظِّمن أدوات الطهو بعناية فائقة، ومنضدة المطبخ والموقد بالمنتصف، ومن حولهما المقلاة والغلاية الألومنيوم، ولِكِبَر حجمهما وَضَعنهما بمكان ثابتٍ، وبالترتيب، بعدما تمَّ جليُهم وتنظيفهم، وأصبحتا مثل الأسلحة اللامعة للجنود.

تسير مواقيت أعداد الطعام وتناول الوجبات وتدفئة الحمام والغسيل والتنظيف كلها بدقَّة كما تَحدَّد لها، وكل من ببيت "ساتشيقو" لا يحتاجون النظر للساعة إذا ما رأوا ما يزاوله جيرانهم من مهام.

كان الخدم ببيت "STOLZ" فتاتَيْن يابانيتين، ولكن هناك واقعة تسبَّبَت بها الخادمتان المستأجرتان قبل هاتين الفتاتين. كانت تراهما "ساتشيقو" وهما متفانيتان بالعمل وغاية بالإخلاص، لكن كانت ترى كيف هي قاسية معاملة سيدتهما وهي دائمًا غير راضية عن أعمالهما وتسبقهما بنفسها لتجعلهما تسيران وفقًا لبرنامج لا تضيع به ولا دقيقة، وفور الانتهاء من مهمَّة تلحقهما بالأخرى. ظنَّت الفتاتان أنها ستتلقيان الكثير من المال بعملهما لدى أُسرة ألمانية، خاصَّةً وأن الأعمال الموكَلَة إليهما كثيرة، وتنهمكان بها طوال اليوم دون حتى استراحة لالتقاط الأنفاس. إن سيدتهما ربة المنزل لها كل الاحترام، وإنما ما عادتا تطيقان العمل بعدُ. وهذا ما جاءت به الفتاتان إلى "ساتشيقو"؛ فبصباح يوم ما كانت هاتان الخادمتان تُزاوِلان مهام

التنظيف اليومية حول السور، و"أو أكي" الخادمة المساعدة ببيت "ساتشيقو" تقوم بالمثل هي الأخرى، فتبادَلن الحديث. كانت "أو أكي" كلَّما خرجت خادِمَتا بيت "STOLZ" للتنظيف حول السور تنتهز الفرصة وتخرج هي الأخرى، وبمرَّةٍ واحدة فقط مشكورة قامت هي بأعمال النظافة كلها، لكن السيدة "STOLZ" لاحَظَت ونهرتهما بشدَّة ببذيء الكلمات لتركهما مسؤولية أعمالهما لخادِمةٍ أخرى.

إنهما لم تتركا مهام أعمالهم وحتى لم تطلبا من "أو أكي" ذلك، بل هي عن طيب خاطر فعَلَت، وإنما الفتاتان توسَّلَتا لـ "ساتشيقو" ألَّا تدعها تفعل، وإن كان من غير اللائق طلب ذلك، ولكن سيدتهما لن تتفهَّم ولن تسامحهما.

طلبت "أو أكي" من "ساتشيقو" أن تتفضَّل مع الفتاتين وتذهب لجارتها الألمانية بعدما استمعت منهما لملابسات الوضع، ورغم أن "أو أكي" أرادتها أن تتوسَّط لهما، إلا أنهما أصرَّتَا بشدَّة ألَّا تفعل، واستسمحتاها ألَّا تَقول شيئًا، وأضافت الفتاتان أنهما تعملان بكل كدٍّ، لكن سيِّدَتَهما لا ترى ذلك أبدًا، وهي كلمة لا تقول سواها دائمًا: "أنتِ غبيَّة"، وأردَفَت إحداهما:

"بالطَّبع إننا لن نضاهيها في الذكاء، ولكننا لأقصى حدٍّ نؤدِّي أعمالنا بإخلاص".

طلَبَت الفتاتان من "ساتشيقو" أن ترى لهما وظيفة لدى شخص آخر؛ فهي ترى بنفسها كيف سيدتهما تقول إنهما سيِّئتان، وهما ترغبان في إيجاد فرصة عمل جيدة لأنهما ليستا كذلك، وسيدتهما لن تتغيَّر أبدًا أو تكبح جماح غضبها الدائم، وهما الآن بإجازة لمدة ساعة ستستغلَّانها في البحث عن عمل آخر.

بعد ذلك مباشرة أتت خادمتان جديدتان، وهما أيضًا في غاية الاستياء من سيدتهما، لكنهما تتفوَّقان على السابقتَين في الذكاء وكفاءة

العمـل، وهـذا مـا اكتشـفته "ساتشـيقو"، ورسـم لديهـا ملامـح للسـيدة الألمانيـة جارتهـا، ولكنهـا أيضًـا ليسـت الشـخصيَّةَ الصارمـة المتمسِّـكة بالقواعـد فقـط؛ إن لديهـا أيضًـا مشـاعر حُـبٍّ عميقـة وطيبة؛ فمثـلًا بوقت الفيضـان حـين سـمعت بفـرار بعـض الناجـين بعدمـا علقـوا بالوحـل إلى نقطـة الشرطـة بالجـوار أسرعـت وجلَبَـت لهـم الملابـس بحـماس، وأمَـرَت الخادمتـين أن يعطياهـا مـن ملابسـهما أيضًـا، وهـي ترجـو السـلامة لزوجهـا وأطفالهـا، وقلقـت بشـأن "إتسـوقو" أيضًـا، وبوجـه شـاحب انهمـرت دموعهـا، وبالمسـاء فـور عـودة زوجهـا وأبنائهـا سـالمين هرعـت إليهـم وتعالـت صرخاتهـا في مـرح كالمجنونـة. لقـد رأتهـا "ساتشـيقو" بمختلـف حالاتهـا، ولـلآن كلَّـما رأتهـا مـن بـين أوراق شـجر الإسـفندان يتبـادر لمخيِّلتهـا صورتهـا وهـي تحتضـن زوجهـا بشـدَّة مـن فـرط السـعادة ناسـيةً وجودهـم.

كم مثيرة للإعجاب هذه المشاعر الحارَّة.

عامَّـةً هـذا لا يعنـي أن كل الزوجـات الألمـان رائعـات مثـل السـيدة "STOLZ"، وإنمـا بالطبـع يصعـب أن تجـد مثيلتهـا ممَّـن يبلـون بـلاء حسـنًا هكـذا.

"هـا نحـن ذا. لم يَعُـد يتبقَّـى شيء بالبيـت، وإلى أن نصعـد عـلى مـتن السـفينة لـن نسـتخدم سـوى هـذه الشُّـوَك والسـكاكين التـي بالصنـدوق"- قالتهـا السـيدة "STOLZ" وهـي تضحـك

وسـألتها واحـدة مـن الجـيران مـا إن كانـت سـتُعدُّ غرفـة يابانيـة الطـراز للذكـرى حـين تعـود لألمانيـا؛ لأنهـم يـودُّون إهداءهـا تُحفًـا يابانيـة تُزيِّـن بهـا تلـك الغرفـة، وأعطينهـا لوحـات وأعـمالًا خطِّيَّـةً وتحفًـا فنيـة عديـدة. "ساتشـيقو" أيضًـا أهدتهـا منشـفةَ أواني شـاي مُطـرَّزة مـن أيـام عهدهـا بجدَّتِهـا.

أمَّـا "روزمـاري" فأعطـت لـ "إتسـوقو" الدُّميّـة المعتـادة المُحبَّبـة إليهـا، ومعهـا عربـة الأطفـال، وبالمقابـل قدَّمَـت لهـا "إتسـوقو" صـورة لهـا وهـي تـؤدِّي الرقصـات في وقـتٍ قريـب بـرداء كيمونـو ذي أكـمام طويلـة، مُزَركَـش بالـورود باللـون الخوخـي، مـن قـماش "كريـب سـتان" الـذي كانـت ترتديـه بـذاك الحـين.

بالليلـة السـابقة لرحيلهـم عـلى مـتن السـفينة سُـمِحَ لـ "روزمـاري" اسـتثنائيًا بالمبيـت لـدى "إتسـوقو" بغرفتهـا، ولم يمكـن مقابلـة طلبهـا بالرفـض أمـام حماسـتها ومعنوياتهـا المرتفعـة. تركـت "إتسـوقو" فراشـها لـ "روزماري" وأخَـذَت هـي فـراش "يوكيقـو"، لكـن كلتاهـما لم تسـتطيعا النـوم.

دخـل "تينوسـوكيه" تحـت غطـاء فراشـه مـن رأسـه وحتـى أخمـص قدميـه، ومـع ذلـك وصلـت أصواتهـما للرَّدهـة، ثـم زادت حِـدَّة شـغبهما شـيئًا فشـيئًا، فـأدار عنقـه ورفـع رأسـه، وببـطء جـذب سلسـلة النـور الكهـربي بجـوار وسـادته دون أن يغفـو ولـو قليـلًا وقـال:

-"الضَّوضاء رهيبة، إنها الثانية بعد منتصف الليل".

أجابته "ساتشيقو" في اندهاش:

"حقًّا! هل تأخَّر الوقت هكذا!".

"أليـس مـن الأفضـل أن ندعهـما مسـتمتِعَتَيْن كي لا تغضـب السـيدة "STOLZ"...".

"حسنًا، فلندعهما، إنها الليلة الأولى والأخيرة".

"تُرى هل جارتنا سيُمكِنها أن تَنعَم براحَةٍ الليلةَ؟".

وهنا قاطعهما فجأة صوت خطوات تقترب لغرفتهما.

"أبي... شبح!".

وصاحت الصغيرة بالخارج:

"أبي! "شبح"... ماذا تُقال بالألمانية".

"قُل لها يا عزيزي ماذا تُقال بالألمانية، وإن كُنتَ تدري عَلِّمني".

"GESPENST".

أجابها "تينوسوكيه" بصوتٍ عالٍ، وكان من الغريب تَذَكُّره لِلُغة الألمانية التي درسها منذ بضع سنوات.

"شَبَح بالألمانية هي GESPENST".

"GESPENST".

وحاوَلَت "إتسوقو" أن تُرَدِّدَها:

"يا "رومي"، إنها GESPENST".

"أووه... أنا أيضًا سأتحوَّل إلى GESPENST".

وبدأت الضوضاء.

"شبَح...".

"GESPENST".

وتعالت الصيحات بالطابق الثاني إلى أن دخَلَت "روزماري" عنوَةً إلى غرفة "تينوسوكيه" وزوجته، استباقًا لـ "إتسوقو". ارتدت الطفلتان ملابس فوق رأسيهما، تغطي وجهيهما، لتتقمَّصا دور الشبح، واستمرَّتَا في القهقهة والضحك وهما تقولان "شبح" بالألمانية حينًا، واليابانية حينًا آخر، وأحاطتا السرير، ودارتا في حلقة، ثم خرجتا من الغرفة للرَّدهة.

بالنهاية غَطَّ الزَّوجان في النوم قرب الساعة الثالثة صباحًا، لكن بالتأكيد لم تستطع الفتاتان النوم، واستمرَّتا في اللهو. لكن بعد بعض الوقت غلب الحنين "روزماري" وأرادت العودة لأمها، وبدأت في

العبوس والغضب، واستيقظ الزوجان وكلٌّ منهما أخذ دوره لتهدئتها، وأخيرًا بالفجر استطاعا أن يجعلوها تنام.

بيوم الرحيل ذهبت "إتسوقو" لرصيف الميناء حاملةً باقة الورود بصحبة أمِّها و"تائيقو". كانت السفينة ستغادر بعد السابعة مساء. حضرت لوداع "روزماري" فقط صديقةٌ ألمانية لها تُدعَى "إنچي"، التقت بها "إتسوقو" من قبل عدَّةَ مَرَّات ببيت عائلة "STOLZ"، وكانت تطلق عليها سِرًّا اسم "عود الفول الأخضر"، ولم يكن هناك أطفال يابانيون غير "إتسوقو".

صعدت عائلة "STOLZ" إلى متن السفينة بالظهيرة، أما عائلة "إتسوقو" فتناولت العشاء سريعًا، ثم استقلَّت سيارة أجرة من "سانوميا" لتطير بهم. مرُّوا من أمام الجمارك، وفجأةً وجدوا أنفسهم أمام اسم الرئيس الأمريكي "كاليفين كوليدچ" مُضاء بالأنوار ومرفوع عاليًا على رصيف الميناء، الذي بدا كمدينةٍ لا تنام. على الفور سألوا عن الكابينة التي بها عائلة جيرانهم.

كانت الغرفة كلها -بالسقف والجدران والستائر والأَسِرَّة- كلها بلون أبيض شاهق البياض كاللَّبن، وممزوج باللون الأخضر، والأَسِرَّة محاطة بباقات الورود الساطعة وكأنها بحلم.

نادت السيدة "STOLZ" على "روزماري"، وأمرتها أن تصطحب "إتسوقو" لسطح السفينة، ولم تعبأ الطفلتان بالوقت وبأنه لم يَعُد أمامهما سوى أربع عشرة أو خمس عشرة دقيقة فقط، ولم يستطع أحد أن يحصي كَم مرَّة أخذَتَا درج هذه السفينة الفخمة صعودًا ونزولًا، وبرجوعهما للكابينة بَكَى الجميع وتبادلوا كلمات الوداع، وسرعان ما لاحقهم صوت الأجراس لينزلوا من السفينة، وبابتعادها عن رصيف الميناء:

"رائعة وكأنها مجمع محال تجارية يتحرَّك".

قالتها "تائيقـو" ذات الكنـزة البيضـاء مكتنـزة الأكتـاف وهـي عـلى رصيـف الميـناء بليـلٍ نَسـيمُه خريفـيٌّ.

ولفـترة طويلـة ظَـلَّ خيـال السـيدة "STOLZ" الواقفـة عـلى سـطح السـفينة يتـلألأ وسـط الأضـواء، وتابعوهـا وهـي تبتعـد، وظَـلَّ صـدى الصـوت الصغـير المـدوِّي لـ "روزمـاري" وهـي تنـادي -مُثابِـرَةً- يبلـغ مسـامعهم مـن فـوق البحـار المظلِمَـة.

"إتسوقو...".

الفصل الثاني العشرون

"من مانيلًا في اليوم الثالث عشر من سبتمبر 1938.

عزيزتي السيدة الفاضلة "ماكي أوكا"

هـذا الشـهر باليابـان مـليء بالأعاصـير، وأنـا قَلِقَـة بشـأنكم للغايـة، في الشـهور الماضيـة واجهتـم الكثـير مـن الكـوارث، وأتمنَّـى ألَّا تُعانـوا مـن أي صِعـابٍ ثانيـة. أظنُّهـا انتهـت أعـمال إزالـة أكـوام الرمـال والحجـارة مـن الطرقـات والضواحـي، والآن عـادت المواصـلات مـرَّةً أخـرى لحالتهـا الطبيعيـة، والنـاس أيضًـا يسـتمتعون بحياتهـم. تُـرى، هـل جـاء مسـتأجرٌ جديـد للبيـت الـذي كُنَّـا فيـه؟ أنتـم فعـلًا خـير جـيرة حَظَينـا بهـا.

في الحقيقـة دائمًـا مـا أتذكَّـر حديقـة منزلنـا الجميلـة والطرقـات الهادئة التـي يلهـو بهـا الأطفـال ويتجوَّلـون. لقـد أمضـوا وقتًـا مُمتِعًـا حقًّا.

وأنتِ كم اعتَنيتِ بهم ببيتك.

أودُّ شُكركِ على كل مرة راعَيتِ فيها أطفالي بلُطفٍ. إنهم يخبرون الجميع دائمًا أنكم عائلتهم، ومن وقتٍ لآخر يتَملَّكهم الحنين لكِ ولـ "إتسوقو".

لقد أرسل "بيتر" خطابًا من السفينة يقول إنه استمتع بوقتٍ غير عادي في مشاهدة معالم "طوكيو" مع "إتسوقو" وأختك الصغيرة.

أنتم حقًّا قدَّمتم لنا كلَّ طَيِّب، ولكم خالص الشكر. إنهما وصلا إلى "هامبرج" بسلام، وأرسلا لنا برقيَّةً بالأمس، وهما الآن عند أختي الصغيرة.

إن لديها ثلاثة أطفال، و"بيتر" أصبح رابِعَهم.

إننا هنا وسط عائلة كبيرة بها ثمانية أطفال، وطفلتي بينهم كدجاجةٍ وحيدة بقفصها. أحيانًا يتشاجر الأطفال مع بعضهم البعض، لكنهم عامَّةً يستمتعون باللهو سويًّا. "روزماري" أكبرهم سنًّا.

كل يوم بحلول المساء ننطلق بالسيارة ونجوب بمتنزَّهات رائعة، ونأكل المثلَّجات.

أتمنَّى لكم جميعًا عيشًا هنيئًا، وأرجوكِ أبلِغي سلامي للسيد زوجك وأختك الصغيرة والمحبوبة "إتسوقو"، ووقتما تستقرُّ الأحوال بأوروبا مرَّةً أخرى تفضَّلوا تعالوا لزيارتنا في ألمانيا.

المكان الذي نحن به الآن يملؤه دَويُّ الأسلحة. بكل حال من الأحوال الشعب لا يحبُّ الحربَ، ولا يرغب أن تنشب من الأساس. أنا على قناعة بأن هتلر سيتعامل مع "مشكلة التشيك".

أدعو لكم بالصحَّة والسلامة، وأرجوكم ألَّا تنسوا أبدًا أنِّي أُكِنُّ لكم كلَّ الحب والاحترام.

المخلصة لكم

"ليندا ستولز".

أَرسَـلتُ لـكِ بنفـس البريـد مفرشًـا بتطريـزٍ "فلبّينـي" أظنُّـه سـيروقُ لَـكِ".

كتبَـت السـيدة "STOLZ" خطابهـا بالإنجليزيـة، واسـتلمته "ساتشـيقو" في العـاشر مـن أكتوبـر، ووصـل المفـرش المطـرَّز المذكـور بالخطـاب لاحِقًـا بعـد عِـدَّة أيّـام، وكان مـن المشـغولات اليدويـة فائقـة الجـمال، ووضعتـه بمنتصـف الطاولـة.

فكَّـرَت "ساتشـيقو" أن تجيـب عـلى الخطـاب، ولكـن تُـرى، إن كتَبَتـه فمَـن سـيترجمه لهـا؟

كان زوجهـا مثابِـرًا عـلى إزعاجهـا، وظَـلَّ يُماطِـل بحُجَّـة أنـه يبحـث عـن شـخص مناسـب، وبليلـة مـا وهـي بنزهـة عـلى ضفـة نهـر "أشـييا" ورد بخاطرهـا أن السـيدة "STOLZ" عَرَّفَتهـا بسـيِّدة يابانيـة تزوَّجَـت مـن ألمـاني يدعـى "HENNING".

الأمـر سـخيفٌ؛ هـي لا تسـتطع أن تكتـب بمهـارةٍ، وإنمـا ابنتهـا هـي مَن تسـتطيع كتابـة الإنجليزيـة والألمانيـة أيضًـا، وسـتجعلها تترجـم الخطـاب، هكـذا قالـت السـيدة "HENNING" لــ "ساتشـيقو" وحلَّـت المسـألة، لكن دون سـبب يُذكَـر لم تَنسَـب كلماتُهـا بالخطـاب الـذي سـيقطع مسـافاتٍ طويلـةً، ولعـدَّة مـرَّات تُمـزِّق الـورق وتزيحـه جانبًـا، إلى أن اسـتطاعت بالنهايـة بيـوم مـا ووافَقَـت عـلى مـا كتبتـه "إتسـوقو" أيضًـا، وأرسـلته للسـيدة "HENNING".

بعـد حـينٍ وصـل طَـردٌ عـلى عنوانهـم باسـم "إتسـوقو" مـن "نيويـورك". إنـه مـن "بيـتر".

لقـد ابتـاع الحـذاء الـذي وعدهـا بـه بطريـق عودتـه لبـلاده، وأرسـله، ورغـم أن الحـذاء كان بنفـس مقـاس الـذي تنتعلـه بالضبـط إلا أنـه كان

صغيرًا جدًا على قدمها، ومقاسه غير مناسب. إنه من جِلدٍ مُميَّز عالي الجودة مُصمَّم للسَّير لمسافات، واستسلمت "إتسوقو" للأمر الواقع بعد عدَّة محاولات لحَشْر قدمها؛ فكلما حاولت جاهِدَةً واجهت الفشل.

"يا للأسف. لو كانت أكبر من مقاسي لكان أفضل. لماذا أخطأ "بيتري"؟ ألم يأخذ المقاس بالضبط؟".

"ربما قَدَمُك كَبُرت بهذه الفترة. أو ربما لأن أحذية الأطفال تبدو أكبر ممَّا هي عليه. ليتنا انتبهنا لذلك. لو كان ابتاعها مع أمه لكان انتبه بالتأكيد".

"يا للخسارة".

"كفى. كم مرَّة ستظلين تحاولين"، قالتها "سانشيقو" ضاحِكةً و"إتسوقو" تحاول مرارًا وتكرارًا انتعالَ الحذاء.

بتلك الأثناء كانت "تائيقو" تريد الانتهاء من تصنيع الدُّمى التي تلقَّت طلباتها قبيل ذهابها لأوروبا، ولم تَستَرِح ولو ليوم واحد، وواصَلَت العمل بغرفة أشغالها. ولتتعلَّم المحادثات الفرنسية عرَّفَتها السيدة "تاما أوكي" برَسَّامٍ للوحات غربيَّة النَّمَط عاش في باريس لِستِّ سنوات، يُدعَى السيد "بيشّو إينوسوكيه"، درَّس لها ثلاث مرَّاتٍ أسبوعيًّا مقابلَ مَبلغٍ زهيد، لا يتعدَّى العشرة ين شهريًّا.

كانت تقضي اليوم بأكمله بالخارج.

أمَّا "إتسوقو" فكانت كل يوم عند عودتها من المدرسة تتَّجه للسور السلكي الفاصل بينهم وبَين بيت عائلة "STOLZ" سابقًا، والذي أصبح بيتًا شاغِرًا، وتلقي نظراتها وكلها حنين، وبمرَّةٍ تأمَّلَت حشرةً بين العشب الكثيف تقف بلا هدف وتطلق أزيزها. إنها حتى الآن لم تَحظَ بأحدٍ من زملاء المدرسة بالقرب ليكون صديقًا مناسِبًا للَّهو

سـويًا، إلى أن تجاهَلَـت الأمـر بمـرور الوقـت، لكنهـا بـدا أنهـا لا تتحمَّـل الوحـدة؛ فبـدأت محاولاتهـا لتكويـن صداقـات جديـدة، لكـن سرعـان مـا لا تجـد رفقـة تروقهـا فتعـود مـرَّةً أخـرى للحديقـة الخلفيـة للبيـت، وتتفقَّـد مـا إن جـاء أطفـال مثـل "رومـي"، وتظـلُّ تُـردِّد هـذه الكلـمات.

كانـت البيـوت المسـتأجرة المصمَّمـة لتناسـب الأجانـب لا يسـتأجرها اليابانيـون، ومـؤشر الاضطرابـات الراهنـة فيـما حـول العـالم جعـل الأجانـب كلَّهـم يفعلـون مثـل عائلـة "STOLZ"، ولنفـس الأسـباب يغـادرون مـن الـشرق الأقـصى؛ ولهـذا ظـلَّ ذاك البيـت مغلقـة أقفالـه.

بسـبب الملـل توجَّهَـت "ساتشـيقو" لتتعلـم فـنَّ الخَـطِّ تـارة، وتلقـين "أوهـارو" مبـادئ العـزف عـلى آلـة القانـون تـارة أخـرى.

"ليسـت "إتسـوقو" فقـط مَـن تشـعر بالوحـدة؛ بـل أنـا أيضًـا، وأشـعر بـالأسى عـلى كل شيء بحلـول الخريـف. أنـا أحـب الربيـع، وإن كنـت لم أشـعر بـه هـذا العـام، ومنـذ بدايـة السـنة وأنـا أجـد ملامـح الخريـف بـكل مـا يحيطنـا... تُـرى، أَهُـوَ العُمـر؟".

واختتمت "ساتشيقو" خطابها لـ "يوكيقو" بهذه العبارات.

بوجـهٍ عـام، هـذه السـنة بعـد لقائهـا بــ "يوكيقـو" في الربيـع كان اللقاء الراقـص في شـهر يونيـه، ثـم مـرورًا بكارثـة الفيضـان و"تائيقـو"، ووفـاة المعلِّمـة "أوسـاكو"، ورحيـل عائلـة "STOLZ"، وسـفرهم لــ "طوكيـو"، وإعصـار إقليـم "كانتـو"، انتهـاءً بالسـحابة السـوداء التـي حلَّـت فـوق رأسـها بخطـاب "أوكوباتـا"... سـنة مليئـة بالحـوادث المؤلمـة التـي وقعـت لـلآن، وأخـيرًا هـدأت الأوضـاع لأوَّل مـرَّة هنـا، ومكثـت شـاردة الذهـن مستسـلمة للملـل.

مـع ذلـك، فحيـاة "ساتشـيقو" بباطنهـا وظاهرهـا ترتبـط بأختيهـا الصغيرتـين ارتباطًـا وثيقًـا، وهـذا شـعور لا يمكـن تلافيـه. إنهـا عـلى صعيـد أسرَتهـا الصغـيرة حياتهـا يسـودها الانسـجام فيـما بينهـا وبـين زوجهـا وطفلتهـا الوحيـدة صعبـة المـراس. في الغالـب يعيـش ثلاثتهـم في سـلامٍ بقليـل مـن مشـاكل تقلُّبـات الحيـاة، لكـن إلى الآن أختاهـا الاثنتـان هـما مـن تطـرأ عـلى حياتهـما الكثـير مـن المتغـيِّرات. هـذا لا يعنـي أن وجودهـما يُزعِجهـا، بـل عـلى العكـس؛ يضفـي الألـوان عـلى حيـاة الأسرة، ويجعـل الأجـواء بهـا بهجـة، وتنعـم "ساتشـيقو" بالسـعادة، والسـبب هـو أنهـا هـي أكـثر مـن ورث مـن والدهـم الراحـل الشـخصية البرّاقـة المفعمـة بالحيـاة، وأكـثر مـا تكرهـه هـو البقـاء لحالهـا بالبيـت بمفردهـا، وعـادة مـا تحـب العيـش بحيويَّـةٍ وفي صخـب؛ ولهـذا كانـت أختاهـا تكرهـان البقـاء ببيـت العائلـة الكبـير لـدى أختهـم الكبـيرة، وتمضيـان معهـا أغلـب أيـام الشـهر. بالتأكيـد كانـت لا تشـجعهما عـلى ذلـك أمـام الزوجـين كبـار العائلـة، ولكنهـا بأعـماق قلبهـا ترحِّـب بذلـك، وتـرى أنـه مـن الطبيعـي أن تُفضِّـل الأختـان البيـتَ الأوسـع والأقـلَّ عَـددًا، والـذي يتوفَّـر بـه الاعتنـاء بأحوالهـما عـن قـرب. الأكـثر أن "تينوسـوكيه" كان يخـشى مـن انزعاجهـما ببيـت العائلـة، وأظهـرت أفعالـه مـدى تَفهُّمـه لشـخصية زوجتـه؛ فـكان يقبـل بهـما كأختـين لـه بـكلِّ سرور.

لكـن بمثـل هـذه الظـروف بالآونـة الأخـيرة أصبحـت علاقتهـا بأُختَيْهـا يحكمهـا المفهـوم التقليـدي للأخـوات، وظنَّـت نفسـها لا تعطـي أغلـب وقتهـا للاهتـمام بشـأن "يوكيقـو" و"تائيقـو" مثلـما تفعـل بشـأن زوجهـا وابنتهـا، واندهشـت مـن الأمـر؛ لأن هاتـين الأختـين بالنسـبة لهـا لا تَقـلُّ محبَّتُهـما عـن ابنتهـا "إتسـوقو"، بـل ويمكـن القـول إنهـما رفيقتاهـا الوحيدتـان.

بهـذه المـرة، بعدمـا أصبحـت وحيـدةً هكـذا، وجَـدَت نفسـها لأول مـرة ليـس لديهـا أصدقـاء...

فبخلاف العلاقات الرسمية ليس لديها سوى القليل من المعارف.

تنبَّهَت للأمر، وتعجَّبَت أنها بوجود أختيها الاثنتين لم تجد لذلك ضرورة. والآن هي وابنتها التي تفتقد "روزماري" حالهما بالمثل. على حين غرَّة تتذكَّر كُلٌّ منهما وحدتها.

خطف "تينوسوكيه" نظرةً عابرة على باب المسرح والترفيه بالصُّحف في أواخر شهر أكتوبر؛ فهو لطالما اعتنى بزوجته وهي بهذه الحالة البائسة.

"انظري، الشهر القادم سيأتي لـ "أوساكا" مسرح الجيل السادس".

هكذا أخبرها، ثم تساءل ما إن كان اليوم الخامس من الشهر مناسِبًا للذهاب، وسأل "تائيقو" أيضًا ما إن كانت ستأتي؛ فبهذه المرة ستظهر "كاجامي چيشي"[1]، لكنها أجابته بأن لديها الكثير من المشاغل، خاصَّةً بأول عشرة أيام من الشهر القادم، وستذهب لاحِقًا.

حين جاء ذاك اليوم اصطحب الزوجان ابنتهما وذهبوا سويًّا.

تلاشى استياء "ساتشيقو" من أنها لم تتمكَّن من مشاهدتهم بـ "طوكيو" في شهر سبتمبر، وحقَّقَت رغبتها في أن تجعل "إتسوقو" تشاهد المسرح الاستعراضي لممثِّل الكابوكي الشهير "كيكوجورو".

بتلك الأمسية، وفي الفاصل، خرَجَت "ساتشيقو" ووقفت بالرَّدهة، وانهمرت دموعها بشدَّة. لم تلحظ "إتسوقو"، ولكن "تينوسوكيه" انتبه. إنَّ زوجته مشاعرها جيَّاشة حيال كل شيء، ولكن رغم ذلك استغرب منها وسألها:

"ماذا حدث!".

---

(1) مُمثِّلة مسرح كابوكي شهيرة.

سـألها وهـو يجذبهـا برفـقٍ للرُّكـن، فتلاحَقَـت دموعهـا المنهمـرة مـرة أخـرى.

"أنـتَ، هـل نسـيتَ تمامًـا؟... إنـه بمثـل هـذا اليـوم مـن مـارس، ولـولا مـا حـدث لـكان بهـذا الشـهر أتـم عـشرة شـهور بالضبـط".

قالتها والدمع المترقرق بعيونها تمسحه بأناملها.

الفصل الثالث والعشرون

رغم قول "تائيقو" بأن رحيل السيدة "تاما أوكي" في يناير المقبل، ورغم مرور أكثر من عشرة أيام من شهر نوفمبر إلّا أنها استشعرت كيف أن الأمر ليس هيِّنًا على الإطلاق، وسألت "ساتشيقو" ضمنيًا من حين لآخر، فكانت تجيبها بالأسف؛ فزوجها غالبًا ما يذهب إلى طوكيو كلَّ شهرين بمهام عمل، وما من فرصة ليذهب بهذه الآونة.

بعد فترة من مشاهدتهم للمسرح تقرَّر سفره في غضون أيام، وكان دائمًا ما يخرج في عجلة من أمره، وبمساء اليوم السابق لسفرة تلقَّت "ساتشيقو" اتصالًا من مقرِّ عمله بخصوص شؤون أخبرته بها عند مجيئه، وفكَّرَت "ساتشيقو" إن كان بهذه الأجواء سيتحدَّث إليهم ببيت العائلة، ووجدت أنه من الضروري التركيز وترتيب الحديث؛ فتوجَّهت لغرفة المكتب وهاتَفَت "تائيقو" لتأتيها سريعًا.

هكذا كانت "تائيقو" تريد تعلُّم الفرنسية لتصبح خيَّاطَةَ ملابس غربيَّة بمؤهِّلات مُميَّزة، ولكن لا يزال لديها أسباب أخرى خفيَّة؛

فالسبب في أنها تريد أن تصبح لها مهنتها هو توقُّعاتها بأنها هي مَن ستتولّى مسؤولية الإنفاق وإطعام "أوكوباتا" في حالة إن حدث وتزوَّجَته مستقبلًا؛ ففي الأصل هذا الافتراض هو الدافع الأساسي. شرطها للزواج من "أوكوباتا" وبالمقام الأول هو عملها تحسُّبًا للعواقب، وإن كان هذا هو سبب المشاكل وعدم التوافُق بينهما في الفترة الأخيرة؛ فـ "تينوسوكيه" أيضًا وسيطها لدى بيت العائلة يكره الأمر ويتهرَّب من أن تقع على عاتقه هذه المَهمَّة الصعبة، وإن كان يظنُّ أنه من الأفضل لـ "تائيقو" أن تستطيع السفر للخارج كي لا تكون في حيرة من أمرها حيال ما تبتغيه، وتخطِّيها الحديث عن الزواج بالواقت الراهن هو النهج الأمثل.

إذا سارت الأوضاع على هذا الأساس فهذا لن يعني أنها كانت مظلومةً بماضيها حين نشرت الصحف قصَّةَ حُبِّها الملتهب وهروبها مع عشيقها؛ لكنها لا تريد أن ينتهي بها الحال لتصبح عروسًا بأيِّ شكلٍ من الأشكال؛ فماذا بها إن قالت إنها ترغب بالنهوض بحالها وتصبح سيِّدةً محترفة بمجالها، وإن كان مُقدَّرًا لها الخير فلتذهب، والتمهيد لالتحاقها بمهنةٍ مَهمَا كانت الشروط سيعود بالنفع في كل الأحوال.

دار نقاش الأختين حول السفر للخارج، وبأنه السبيل ليُكسِبَها لقبًا مهنيًّا مُميَّزًا بعد عودتها، وسيجعل كل مَن يراها كفتاة تالِفَةٍ يَعدِل عن رأيه، وهذا نوع من الرَّدِّ لشرف العائلة؛ لذا هي تريد إذنهم بالسماح لها، وإن دفعوا لها التكاليف لن تطلب منهم نفقات زواجها فيما بعد، وهذا ما اقترحته "ساتشيقو"، ولم يكن لدى "تائيقو" أي اعتراض؛ فهي تريد أن تطلب منهم الأمر بأي طريقة يُفضِّلونها.

كانت "ساتشيقو" لديها عدَّة أمور لتوضِّحها بطريقتها الخاصَّة بهذه الليلة وقتما تطلب من زوجها هذه المَهمَّة. إنها تظنُّ بالطبع أن أفضل حَلٍّ هو إبعاد "تائيقو" عن "إيتاكورا" و"أوكوباتا". وإن كانت

أسـبابها مختلفـة عـن دوافـع "تائيقـو"، غـير أنهـا ترغـب بـكل حماسـة في جعلهـا تسـافر. إنهـا لم تَبُـح بأمـر "إيتاكـورا"، لا لزوجهـا ولا لأيِّ شـخصٍ آخـر؛ لـذا حـين تحدَّثَـت إليـه ذكَـرَت اسـم "أوكوباتـا" فقـط.

حـين كان يـتردَّد "أوكوباتـا" عـلى بيـت "أشـيبا" ويلتقـي "ساتشـيقو" ويطلـب الموافقـة عـلى زواجـه مـن "تائيقـو" كان "تينوسـوكيه" يظنُّـه لم يَعُـد بـبراءة المـاضي، رغـم تظاهُـره بالجدِّيَّـة، وحـين بحـث بخفايـا الأمـور اكتشـف أنـه دائـم التواجـد بالمقاهـي وأحيـاء المتعـة، ولا يمكـن اعتبـاره شـابًّا ذا مسـتقبل واعِـدٍ. مثـل هـذه الأشـياء سيُعدِّدها لهـم، وبمـا أنـه بهذا الوقـت اهتـمام "تائيقـو" كلـه منصـب عـلى تَعلُّـم تقنيـة حياكـة الملابـس الغربيـة؛ أليـس مـن الأفضـل إذن أن ندعهـا تسـافر وتلاحـق طموحهـا؟ لقـد أصبحـت "تائيقـو" بالثامنـة والعشريـن مـن العمـر، أي ليسـت بطَيـش المـاضي، ولكـنَّ خطأهـا لمـرَّةٍ يجعـل مـن الأمـان وجودهـا بمـكان لا تطالـه يـد ذاك الشـاب.

هـذا هـو الـرَّدُّ الـذي أرادت "ساتشـيقو" سَـماعه مـن زوجهـا واسـتحوذ عـلى تفكيرهـا أنـه مـن الأفضـل أن تحصـل "تائيقـو" عـلى أموالهـا وهـذا ليـس لـه أن يغضـب بيـت العائلـة في شيء، وإنَّمـا الأولى التفكـير بـه الآن هـو أن بيـت العائلـة الرَّجعـي لـن يسـمح بسـهولة بسـفرة الفتـاة للخـارج. أنـه مـن الصعـب أن يدعوهـا تهـرب مـرَّةً أخـرى مـع عشـيقها لكـن هـذا الأسـلوب يعنـي أن الحديـث اتَّخـذ مسـارًا يوحـي بالتهديـد نوعًـا مـا.

مـدَّد "تينوسـوكيه" فـترة بقـاءه ليـومٍ آخـر، واختـار السـاعة الثانيـة ظهـرًا بمسـاء اليـوم الثالـث مـن وجـوده بطوكيـو ليذهـب لزيـارة بيـت "شـيبويا" حيـث إنـه استحسـن الحديـث لأختـه الكبـيرة بالقانـون عِوَضًـا عـن زوجهـا.

بعدمـا اسـتمعت "تسـوروقو" لحديثـه بالكامـل وأدركـت مقصـده؛ قالـت إن الأمـر ليـس بيدهـا وستسـأل زوجهـا "تتسـو أو" وتوافيهـم بالـرَّدِّ

في خطابٍ لـ "ساتشيقو" وستسرع قدر الإمكان لأنها تعي أهمية هذا الخطاب لـ "تائيقو"، واعتذرت له لتحمُّلِه متاعِبَ الأختين الصغيرتين بكل مرَّة، وبالطبع لم يحصل على ردٍّ فوريٍّ، وهذه كانت الكلمات التي عاد بها.

"ساتشيقو" تعرف أن أختها الكبيرة بطيئة، وحتى وإن قالت إنها ستفعل العكس، وزوجها برغم أن بيده القرار إلَّا أنه شخص مُتمهِّل في الوقت؛ فتوقَّعَت أن الرَّدَّ لن يأتيهم في الحال، لكن بلغ بهما الأمر إلى أنه مضى عشرة أيام من الشهر دون أن تَردَّ أيَّ أنباء وعشرة أيام أخرى وسيشارف شهر نوفمبر على الانتهاء، ومهما طلَبَت "ساتشيقو" من "تينوسوكيه"أن يُلِحَّ عليهم ويتَّصِل لمرَّة تهرب منها قائِلًا:

"أنا فاتحتهم بالموضوع ولا أعلم ماذا بعد".

فعزَمَت "ساتشيقو" على القيام بالأمر، وفعلًا سألت أختها الكبيرة بخصوص موضوع "تائيقو" وما إن كانت ستغادر بشهر يناير، لكنها أيضًا لم تتلقَّ رَدًّا.

تحدَّثت "ساتشيقو" لـ "تائيقو" وحثَّتها على التعجيل بالذهاب إلى "طوكيو" طالما لم يأتِ منهم ردٌّ، وكان هذا ما قرَّرته "تائيقو" أيضًا ونوت الذهاب في غضون بضعة أيام.

بالنهاية، باليوم الثلاثين من شهر نوفمبر وصل الخطاب التالي:

"لم أُراسِلكم منذ حينٍ

كيف حالكم.

طمأنني "تينوسوكيه" على "إتسوقو" وحالها بالانهيار العصبي أثناء زيارته وعرفت أنها تتحسَّن.

هـا هـي هـذه السـنة لم يتبـقَّ منهـا سـوى أيـام معـدودة. هذه سـتكون ثـاني مـرة لي أسـتقبل بهـا العـام الجديـد بــ "طوكيـو". كلـما تذكَّـرتُ أن ذاك الشـتاء المخيـف يقـترب مـرة أخـرى يصيبنـي الرعب.

جـاء بحديـث سـيدة مـن "أوزابـو" أن الأمـر يتطلَّـب ثـلاث سـنوات للاعتيـاد عـلى بـرودة طقـس "طوكيـو". إنهـا هـي أيضًـا انتقلـت إلى هنـا وظلَّـت طـوال الثـلاث سـنوات الأولى لهـا تصـاب بنـزلات الـبرد. محظوظـة أنـتِ يـا "ساتشـيقو" بسُـكناكِ بمـكانٍ مثـل "أشـييا".

مـن فـترة أبلغنـي "تينوسـوكيه" بشـأن "تائيقـو" رغـم مشـاغله، وأردت أن أشـكره بشـدَّة أنـه دائمًـا مـا يهتـم ويشـغل بالـه بشـؤون الأختـين الصغيرتـين.

في الحقيقـة كان لا بُـدَّ لي أن آتيكـم بالـرد أسرع مـن ذلـك، ولكـن كالمعتـاد بعـد الانتهـاء مـن المهـام اليوميـة للأطفـال لا أجـد مُتَّسـعًا مـن الوقـت للكتابـة، ومـا سـأقوله أيضًـا يصعـب عـليَّ كتابتـه؛ فلقـد جـاء رأي أخيكـم الكبـير عـلى عكـس مـا ترجـوه، وكنـتُ أؤجِّـل الأمـر قـدر الإمـكان يومًـا بعـد يـوم، وأرجـو ألَّا تُسـيئوا فهمـي، معـذرة.

وإذا ذكـرت أحـد أسـباب اعتراضـه فـلا داعـي أبـدًا لشـعور "تائيقـو" بالانتقـاص مـن قدرهـا بسـبب حادثـة الجريـدة تلـك. ذاك الموضـوع كان منـذ ثمـاني أو تسـع سـنوات، وأصبـح في طَـيِّ النسـيان؛ لـذا إن فكرنـا في موضـوع أن تصبـح امـرأة عاملـة دون الحديـث عـن أن تصبـح عروسًـا سـيكون هـذا تَعنُّتًـا مُبالَغًـا فيـه، حتـى إنـه مـن الغريـب ذِكـرُ مثـل ذاك القـول للأقربـاء؛ فمظهرهـا وتعليمهـا وموهبتهـا- كل ذلـك يضمـن أنهـا سـتكون عروسًـا رائعـة؛ لذلـك لا تقعـوا فريسـة للأفـكار السَّـوداويَّة.

المـأزق الآن هـو المطالبـة بالأمـوال التـي تحـت رعايـة أخيكـم الكبـير، تحديـدًا المـال الـذي يخـصُّ "تائيقـو"؛ فهـو لم يَعُـد موجـودًا بَعـدُ، وهـذا لا يعنـي أننـا اسـتبعدنا التفكـير في وقـت إقامـة حفـل زفافهـا، ولكـن حينهـا

سـندفع؛ وبهـذا فليـس هنـاك أمـوال أو شيء مـن ذاك القبيـل تحـت وصايتـه.

أخوكـم الكبـير يرفـض قطعيًّـا أن تصبـح "تائيقـو" امـرأةً عامِلـةً، ويريـد لهـا دائمًـا الوضـع المثـاليّ، وأن تجـد شريـكَ حيـاة مناسـبًا وتتزوَّجـه رسـميًّا، وتصبـح زوجـةً رائعـة وأمًّـا حكيمـة، أمَّـا عـلى سـبيل الهوايـة فهـو بالطبـع يُفضِّـل تصنيـع الدمـى، ولا يُحبِّـذ حياكـة الملابـس.

يـأتي بعـد ذلـك شـأن "أوكوباتـا"، فـالآن ليـس وقـت القبـول أو الرفـض، ونؤكِّـد عـلى أنـه ليـس لنـا أي قـرار مُسـبَق. الأهـم أن "تائيقـو" أيضًـا شـخصية ناضجـة عـن ذي قبـل، ونحـن أيضًـا لـن نصبـح بالصَّرامـة التـي كُنَّـا بهـا مـن قبـل. وإن كنـتِ يـا "ساتشـيقو" أنـت وزوجـك سـتلاحظانها دون أن تـدري، فأعتقـد أنـه مـن الأفضـل غَـضُّ النظـر عـن أمورهـا الخاصـة للمواعـدة.

عـذرًا لإقحـام "تينوسـوكيه" وتحمُّلـه العنـاء، وأرجـوك يـا "ساتشـيقو" تحـدَّثي برفـق مـع "تائيقـو"".

أظـنُّ أنهـا عـلى ذاك الحـال مـن التخبُّـط بسـبب تأخُّـر زواجهـا؛ لذلـك مـن الـضروري التعجيـل بـزواج "يوكيقـو"، وكلَّـما كان أسرعَ كان أفضـل. تُـرى، سـينتهي هـذا العـام دون أن يسـتقرَّ وضعهـا؟

لا زلـتُ أريـد كتابـة المزيـد والمزيـد، ولكنـي سـأكتفي بهـذا القـدر اليـوم.

تحياتي لـ "تينوسوكيه" و"إتسوقو" وأختي الصغيرة والجميع.

28 نوفمبر

من "تسوروقو"

إلى حضرة السيدة "ساتشيقو"".

"ما رأيك بهذا الخطاب؟".

وقبلـما تتحـدَّث "ساتشـيقو" مـع أختهـا عرضـت الخطـاب أوَّلًا عـلى "تينوسـوكيه" بتلـك الليلـة.

"بخصـوص الحديـث عـن المـال فهنـاك تعـارُضٌ بـين مـا تظنُّـه "تائيقـو" ومـا يقولونـه ببيـت العائلـة".

"بالضبط، يا لها من مشكلة!".

"عمومًـا ليـس عليـك سـوى الاسـتماع عـلى هـذا النحـو، وبالأيـام القليلـة القادمـة سـأعرف أيّهـما عـلى حَـقٍّ، حتـى وإن كنـتُ سـمعت أن الأخ الكبـير يديـر ممتلـكات الوالـد".

"أليس من الأفضل ألّا نخبر "تائيقو" بشيء الآن".

"كلَّا مثـل ذاك الأمـر البالـغ الأهميـة لا يحتمـل التأجيـل، ومـن الأفضـل إخبارهـا سريعًـا".

"والحديـث عـن "أوكوباتـا" -زوجـي العزيـز- مـاذا تظنُّـه؟ ألـن تقـول لي إن الأمـر حاليًـا ليـس أفضـل مـمَّا مـضى؟".

"بنـاء عـلى الوضـع الحـالي وعـدم اقتناعهـا بـه، وبـدون أن تقـولي لي لا تتحامـل عليـه هكـذا؛ أرى أن الوضـع عـلى ما يرام مـن الناحيـة الاجتماعية، ولا أوافـق عـلى جعلهـا تـتزوَّج، وأنـا قلـت رأيـي لأنـك سـألتِني، وبالحـاحٍ، وإنمـا ذاك الحديـث أنـا أتجنَّبـه تمامًـا...".

"مشـكلة "أوكوباتـا"، إنهـا تُذكِّـره في خطابهـا وهـي تتوقَّـع أن صفحتـه بيضـاء، وبـلا شـك الأخـت الكبـيرة تريـد إتمـامَ الـزواج. أليـس كذلـك؟".

"بالضبط هو هكذا. أنا أيضًا أخذت نفس الانطباع".

"إذن أ لم يكن من الأَوْلَى لها أن تتناول مشكلة ما قبل الزواج!".

"وكيف ذلك! إذا تزوَّجت "تائيقو" فلا حاجة لسفرها للخارج وهذا ما يريدونه".

"معك حقٌّ".

"على أيَّة حال، إن أخبرت "تائيقو" بهذا الحديث المعقَّد ستذهب وتصطدم بهم، وهذا ما أخشاه".

تردَّدَت "ساتشيقو" بعض الشيء في إخبارها؛ خوفًا من أن تستولي على قلبها المشاعرُ السلبية لبيت العائلة من الآن فصاعدًا أكثر من "يوكيقو"، لكن لأن زوجها كان رأيه عدم إخفاء الأمر؛ فباليوم التالي جعلتها تقرأ الخطاب، وكانت النتيجة كالمتوقَّع بالضبط.

اعترضت "تائيقو" وقالت إنها ليست طفلةً؛ لذا لن تنصاع لأوامرهم وقراراتهم حيال تصرُّفاتها، وهي أدرى بشؤونها أكثر من أي أحد، وتساءلت عن سبب رفضهم لتصبح امرأةً عامِلةً! فهذا لأنهم بالتأكيد يتشبَّثون بالوضع الاجتماعي ومركز العائلة، ويعتبرون خروج معلِّمة تفصيل ملابس غربية من بين أفراد عائلتهم شيئًا غير مُشرِّف، وهذا هو نمط تفكيرهم.

أضافت "تائيقو":

"التعصُّب شيء عفا عنه الزمن ويدعو للسخرية، وطالما آل الوضعُ إلى ذلك سأذهب بنفسي لأشرح لهم رأيي بكل صراحة. تفكيرهم المُضَلِّل هذا سأدحضه. أمَّا عن مسألة الأموال فهذا غير حقيقي وما نقلته أختي الكبيرة عن زوجها غير صحيح وبالرغم من أنني لم أُلقِ اللَّومَ عليها بشيء من قبل، حتى لو كانت تستنكر فِعلَةَ زوجها، أخينا الكبير بالقانون، إلَّا أنه بهذه المرَّة تحديدًا الجدال معها هي. بالطبع تبريراتهما لاتخصُّني وبشأن ما يديره أخي الكبير من أملاك وما يتوجَّب إعطاءه لي مستقبلًا؛ أليس هذا ما سألتهم عنه العمَّة "طومي ناجا" وأختي الكبيرة أيضًا أجابتها حينها بمثل ذاك الكلام!

وهـا هـو ذا نفسـه مـا يحـدث الآن! كـم مُشـين مثـل هـذا القـول المبهـم. يتزايـد الأطفـال ببيـت العائلـة مـن ناحيـة، وينهمكـون في كسـب سُـبُل العيـش مـن ناحيـة أخـرى، وإنمـا يبـدو أن الأخ الكبـير تغـيَّرَت مفاهيمـه دون أن يـدري، ولكـن هـل طـال الأمـر أختـي أيضًـا! وتتوسَّـط وتبلغنـا بهـذه البسـاطة؟!

حسـنًا. إذا كان هـذا هـو قـول بيـت العائلـة فأنـا عـلى أتـمِّ اسـتعداد أيضًـا، وسـأفعل أي شيء لأخـذ هـذه الأمـوال بالتأكيـد".

وتأجَّـج غضبهـا، وتوجَّـبَ عـلى "ساتشـيقو" بـذل كل مـا في وسـعها لتهدئتهـا.

كان أسـلوب أخيهـا "تينوسـوكيه" أيضًـا أحمـق، فالطريـق الوحيـد الـذي لا مفـرٌ منـه كان بالنسـبة لـه هـو وزوجتـه ورطـة. إنهـما يتفهَّـمان مـا تبغيـه "تائيقـو"، لكنهـما يريـدان منهـا أن تتفهَّـم هـي موقفهـما. التفـاوض المبـاشر أفضـل حَـلٍّ، ولكـن فلتَخُـض الحديـث بهـدوء؛ لأنهـا إذا دخلـت في شـجارٍ مـع بيـت العائلـة سـتضعهم في مـأزق؛ لذلـك هـما مـن هـذا المنطلـق لـن يدعِّماهـا.

بـذلا قصـارى جهدهـما لقـول كلمـة طيبـة، و"تائيقـو" أيضًـا بحثـت عـمًا تمحـو بـه بعضًـا مـن غضبهـا بـذاك الوقـت، وكالمتوقَّـع، لم تُواتِهـا الشـجاعة الكافيـة لفِعـل شيء، وبعـد بضعـة أيـام هـدأت ثورتهـا وعـادت لهدوئهـا المعتـاد.

انتهـى الأمـر هكـذا وكأن شـيئًا لم يَكُـن، وتنفَّسَـت "ساتشـيقو" الصعداء، ولكنهـا ظلَّـت بداخلهـا في ترقُّـب، وبمنتصـف شـهر ديسـمبر تقريبًـا، وبيـوم مـا فجـأة عـادت "تائيقـو" مبكِّـرًا وقالـت:

"لقد أوقفت حصصَ الفرنسيَّة".

"حسنًا".

تلقَّت "ساتشيقو" حديثها دون شَدٍّ وجذب؛ فأضافت "تائيقو":

"وألغيتُ السَّفرَ للخارج أيضًا".

"حسنًا... هكذا. أختي الصغيرة عَدَلتِ عن تفكيرك بشقِّ الأنفس. حتى بدون كلام العائلة... حقًّا من الأفضل الإلغاء".

"بالحقيقة أنا لا يعنيني ما يقولونه، وإنما المسألة هي أن المعلِّمة "تاما أوكي" ألغت الأمر".

"حقًّا! لماذا؟".

"ستبدأ مدرسة التفصيل مع بداية العام؛ لذا لم يَعُد لديها مُتَّسعٌ من الوقت للسفر للخارج".

كانت السيدة "تاما أوكي" ستسافر للخارج لأن مدرسة التفصيل لا بُدَّ من إعادة بنائها، لكن مُؤخَّرًا بعد فحص حالة الأضرار تبيَّن فعليًّا أن المبنى لا فائدة منه، ولا بُدَّ من ترميم الأساسات. هذا العمل ليس يسيرًا من حيث التوقيت، والشؤون الاقتصادية؛ بسبب نقص المواد الخام والعِمالة بالوقت الحالي؛ مِمَّا دفَعَها لتتمعَّن في التفكير. من حسن الحظ أن الأسعار ليست باهظة بالمنطقة؛ فبحثت عن بيتٍ غربيِّ الطِّراز للبيع بسعر زهيدٍ يمكن استخدامه كأكاديميَّة، ووجدته، واشترته، وما إن تحصل عليه ستدير الأكاديمية على الفور. كان هذا أحد أسبابها لإلغاء السفر، والسبب الآخر هو زوجها الذي يراوده القَلَقُ من الاضطرابات في أوروبا، ونصحها بالإلغاء. إن رأيه مبنيٌّ على أقوال ضابط بحريٍّ عاد من أوروبا للوطن مُؤخَّرًا، وأخبره أن ألمانيا ستحافظ على علاقتها مع انجلترا وفرنسا، وستُبقي على الهدوء الظاهري بعد اجتماع ميونخ الذي تَمَّ في سبتمبر، ولكن بحقيقة الأمر هم لم يتوصَّلوا لاتِّفاق مشترك، ولأن انجلترا لم تُتِمَّ بعدُ استعداداتِ الحرب، فلقد سعت للتسوية مؤقَّتًا لتجعل ألمانيا تغفل. ألمانيا أيضًا

تخمّـن نوايـا انجلـترا لخداعهـا؛ لذلـك بالتأكيـد الحـرب باتـت وشـيكةً؛ ولهـذا أو لـذاك ألغـت السـيدة "تامـا أوكي" فكرتهـا بالنهايـة.

لذلـك فـ "تائيقـو" لم يَعُـد بيدهـا حيلـة، وألغـت الفكـرة هـي الأخـرى، إلّا أنهـا لـن تتوقّـف عـن إبـداء رغبتهـا لبيـت العائلـة في أن تصبـح مُعلّمَـةَ تفصيـل، وإن بـدأت أكاديميـة التفصيـل بـأول العـام فسَـتَتردّد مـرة أخـرى عـلى المحـاضرات، وبهـذه المرة لديهـا رغبـة مُلِحّـة بـضرورة اعتمادهـا عـلى ذاتهـا، ورفـض مـا يأتيهـا مـن حـوالات مـن بيـت العائلـة كليًّـا، وبـأسرع وقـت مُمكِـن، ومـن هـذا المنطلـق يتوجّـب عليهـا الإسراع في اكتسـاب التقنيـة المطلوبـة.

"أختـي الصغـيرة هـذا أفضـل بالطبع، ولكـن إن واصَلـتِ تَعلُّـمَ التفصيل فنحـن ليـس لدينـا عُـذرٌ نُقـرُّه أمـام بيـت العائلة".

""ساتشيقو"، أريدك فقط أن تقولي لا أعرف".

"وهل ستسير الأمور هكذا؟".

"يمكننـي الاسـتمرار ظاهريًّـا بتصنيـع الدُّمـى، والتّظاهُـر بالتوقـف عـن تعلُّـم التفصيـل".

"يا للورطة حين يعرفون...".

شـعرت "ساتشـيقو" باقـتراب موعـد أزمـةٍ تُوقِـع بهـم بـين شِـقَّي الرحـى؛ فلقـد بـدا أن "تائيقـو" تخفـي فكـرًا خطـيرًا وراء تَلهُّفهـا للاعتـماد عـلى ذاتهـا، وظلّـت تُـردّد:

"صعب... الأمر شاقٌّ".

الفصل الرابع والعشرون

تُرى ما أسباب "تائيقو" وراء سعيها لاكتساب مهارات وقدرات سيدة الأعمال؟ إن كان كما تقول، فكيف لها أن تظلَّ إلى الآن ترغب بالزواج من "أوكوباتا"؟ فهذا لا يتماشى مع ذاك... أليس كذلك؟

إن زواج شخصية مثلها من شخص عديم الفائدة كـ "أوكوباتا"يعني أنها بأي حالة طارئة هي مَن ستتحمَّل أعباء الحياة ومسؤولية إطعام زوجها. لكن "أوكوباتا" ذاته سيكون الزَّوجَ الشاب الذي لا ينقصه شيءٌ، والتورُّط معه في جلب نفقات العيش حقًّا لن يكون إلا بحالة طارئة. إذن فتلك الأسباب الواهية قد تكون وراء رغبتها لتعلُّم التفصيل، أمَّا رغبتها في السَّفر للخارج فليست طبيعية أبدًا. أَوْلَى بها أن تتطلَّع لليوم الذي ستمتلك به أُسرَةً جديدة مع مَن تحب. إنها طيلة عمرها أنضَجُ من سِنِّها، وتتَّخذ حذرها ومتيقِّظة، وبزواجها ستظل متنبِّهةً، وتُعِدُّ ترتيباتها للنهاية؛ لذا فمهما كان لا يزال هناك نقطة مُبهَمَة بالأمر.

انشـغل تفكـير "ساتشـيقو" عـلى ذاك الحـال، وشـعرت دائمًـا بـأن الدافع الحقيقـي لــ "تائيقـو" هـو كرههـا لــ "أوكوباتـا"، وهـي تريـد إلغـاء زواجهـا منــه بكياسَــةٍ، والسـفر للخـارج هــو الخطـوة الأولى، وأن تصبـح سـيِّدَةَ أعـمال هـو سـبيل لمواصلتهـا للحيـاة بعـد الانفصـال عنـه، ومـرة أخـرى سـاوَرَها الشَّـكُّ فيـما يخـصُّ مسـألة "إيتاكـورا"؛ فهـي لم تتحقـق بعـد.

منـذ ذاك الوقـت لم يـأتِ "إيتاكـورا" للزيـارة، ولم تَـرَ منـه أي اتصـال هاتفـي أو خطـاب، لكـن "تائيقـو" تمـضي وقتهـا كلـه بالخـارج فهـل حقًّـا ليـس هنـاك أي صِلـة بينهـما؟أم أن علاقتهـما مسـتمرَّة في الخفـاء؟

ووقَعَـت الريبـة في نفسـها، وأصبحـت كل شـكوكها غامِضـةً بـلا أسـاس تعتمـد عليـه، ومـع مـرور الأيـام تفاقَـمَ الأمـر ورجَّحَت"ساتشـيقو" أن ظنونهـا في محلِّهـا، عـلاوة عـلى مـا رأتـه بعينهـا؛ فـ "تائيقـو" بمظهرهـا، شـخصيتها، صحَّتهـا، وتعبيراتهـا... كل هـذا تغـيَّر تدريجيًـا منـذ الربيـع، وكلَّـما فكَّـرَت "ساتشـيقو" اتَّخَـذَت مـن ذلـك ذريعـةً لشـكوكها.

إن "تائيقـو" في الأسـاس فيـما بـين الأخـوات الأربـعِ هـي فقـط مـن تتَّضـح قـوَّةُ تَحمُّلهـا، وهـذه السـمة تغيَّرَت مؤخَّـرًا لحالـة غريبـة؛ فلقـد أصبحـت طريقتهـا في الـكلام سـوقيَّةً مُتدنِّيَـة، وأصبـح مـن العـادي أن تظهر عاريـةً حتـى أمـام الخـدم، وتسـتلقي بـرداء الحـمَّام أمـام المروحـة، ولم يَعُد بالقليـل ظهورهـا بهيئـة كسـيِّدات المسـاكن الشـعبية، وتجلـس القرفصـاء بثيـابٍ مكشـوفة، وتسـتلقي جانبًـا. دون أن تحافـظ عـلى ترتيـبٍ لكبـيرٍ أو صغـيرٍ تبـدأ الطعـام قبـل أختَيْهـا الكبيرتـين، بـل وتدخـل قبلهـما للمائـدة، وكثـيرًا مـا تُثـير حنـق "ساتشـيقو" وقـت وجـود ضيـوف باتِّخاذهـا مقعـدًا عــلى رأس الطاولــة. أيضًـا بهـذا العـام بشـهر أبريـل وقتـما ذهبـوا إلى معبـد "نانزنجـي" سـبقتهم للغرفـة اليابانيـة الطـراز ذات الأرضيـة الحصـير وجلسـت أمـام "يوكيقـو"، وعندمـا أتـت صينيَّـةُ الطعـام كانـت أوَّلَ مَـن مَـدَّ يـده؛ لذلـك همَسَـت "ساتشـيقو" لــ "يوكيقـو" تعتـذر عن ذهابهـا لأيِّ

مَطعَـمٍ مـع "تائيقـو" سـويًّا، وبالصيـف حـين ذهبـوا للمـسرح وبالمطعـم أتتهـم "يوكيقـو" بالشـاي وقدَّمَتـه لواحـدٍ تلـو الآخـر، ورغـم أن "تائيقـو" رأتهـا إلَّا أنهـا أخـذت كوبهـا وارتشـفت منـه، ولم تبـالِ بمسـاعدة أختهـا.

سـوء سـلوكها عـلى تلـك الشـاكلة هنـاك منـه الكثير، وبالـذات مؤخَّـرًا، وأصبـح ملحوظًـا عـلى نحـو مريـع.

بهـذه الليلـة أيضًـا مـرَّت "ساتشـيقو" بالرَّدهـة التـي أمـام المطبـخ، ووجـدت البـاب الجـرَّار للغرفـة مفتوحًـا نصفـه، والبـاب الجانبـي بـين الحـمام وحـوض الاسـتحمام أيضًـا مفتوحًـا لبضعـة سـنتيمترات، يظهـر منهـا الجـزء العلـوي لجسـد "تائيقـو" وهـي مغمـورة بالمـاء؛ فنـادت "ساتشـيقو" عـلى الخادمـة:

""أوهارو"، أغلقي الباب هناك".

وأَمَرتهـا أن تذهـب لغَلقِـه، لكـن "تائيقـو" تذمَّـرَت مـن داخـل حـوض الاسـتحمام، ونَهَرتهـا قائلـة:

"كلَّا... كلَّا... لا تُغلِقيه".

"حضرتك تريدينه مفتوحًا؟".

" نعم. أستَمِع للمذياع، وأريده مفتوحًا".

بـذاك الحـين تحديـدًا كان بالمذيـاع معزوفـة جديـدة، وهـي تريـد الاسـتماع لهـا أثنـاء اسـتحمامها؛ فتركـت كل الأبـواب فيـما بـين غرفـة المعيشـة والحـمَّام جميعهـا مفتوحـة قليـلًا.

بعدهـا، وبهـذا العـام أيضًـا، بيـومٍ مـا مـن شـهر أغسـطس، جـاء رَجُـلٌ شـابٌ صاحـب متجـر أقمشـة يجلـب لهـا طلباتهـا، وكانـت "ساتشـيقو" تُعِـدُّ شـاي المسـاء بغرفـة الطعـام، فخرجـت لـه "تائيقـو" واصطحبتـه لغرفـة المعيشـة، وبلـغ حديثهـما مسـامع "ساتشـيقو".

لقد قال لها الشاب:

"زاد وزنك يا فتاة، لو كان لباسك الداخلي من الـ "كريب حرير" لتقطَّعَت أردافُكِ!".

وأجابته "تائيقو":

"لن يحدث، والكُلُّ يلاحقني".

قالتها وتعالت ضحكاتها، لكن "ساتشيقو" استاءت من الحوار؛ وفهي تلاحظ سوقيَّةَ أسلوبها منذ وقت طويل، ولكن لم تتوقَّع أبدًا أن يبلغ الحدَّ لما سمعته، وظنَّت أن الرجل لن يتحدَّث هكذا مع أي فتاة أو سيدة من زبائنه، بل بالطبع يتحدَّث على ذاك النحو مع "تائيقو" لأنها تعطيه حيِّزًا لرفع التَّكلُّف، وربما فيما لا تدريه "ساتشيقو" تتحدَّث "تائيقو" مع أيِّ أحدٍ بمثل هذا الابتذال، أليس كذلك؟

عامَّة، "تائيقو" لديها أشغال على كل المستويات، فهي تتعلَّم التفصيل، وتتدرَّب على الرقص، وتصنع الدُّمى. إنها أكثرهن تواصُلًا مع مختلف طبقات المجتمع، وهذا طبيعيٌّ في التعامُل مع العوامِّ فقط، وهي أكثرهم درايةً بالأشخاص. لكن مهما تباهَت بهذا وعامَلَت أخواتها الكبار على أنهم هم الصغار إلَّا أن كل هذا حتى الآن يؤخذ على محمل الفكاهة، ويمرُّ من قبيل المرح، لكن أن يبلغ الأمر هذا الحدَّ فـ "ساتشيقو" لا يمكنها التجاهُل بعد.

إنها حتى مع الأخت الكبيرة ببيت العائلة التي لا يمكن اعتبار تفكيرها عتيقًا أو عفا عنه الزمن تعتبره كذلك، وتتشدَّق بمثل هذا الكلام بطريقةٍ مثيرة للاستياء.

هذا الاتجاه الذي تسلكه "تائيقو" يعطي انطباعًا خاصًّا عنها، ويخلق التلميحات بوجود شيء ما يدور في الخفاء، وحتى ومن قبل أن تلحظ "ساتشيقو" ذلك؛ فلقد بدا من سوقيَّة أسلوب "إيتاكورا" وطريقة إبدائه للملاحظات وإلقاء الدعابة- أنها معتادة على الأمر.

لكـن مـن ناحيـة أخـرى فكَـوْن "تائيقـو" شـخصية اسـتثنائية بـين الأخـوات كلهـم يجعـل هـذا سـببًا وجيهًـا كي لا يلقـي باللـوم عليهـا.

إنهـا الطفلـة الأخـيرة، ولم تتلـقَّ الكثـير مـن محابـاة أبيهـم في زهـو أيامـه، وتوفيـت والدتهـم وهـي بالمدرسـة الابتدائيـة، وليـس لديهـا سـوى القليـل مـن الذكريـات الضبابيـة لملامحهـا، حتـى أبوهـم، الشـخص المُرفَّـه، المُـسرِف، الـذي أعطـى بناتـه مـن كل أنـواع الـتَّرف- إلَّا هـي، ولا يسـعها تَذَكُّـر مـا تلقَّتـه منـه، ورغـم أن فـارق السِّـنِّ قليـل، إلَّا أن "يوكيقـو" لديهـا الكثـير مـن الذكريـات عـن أبيهـا، وتعـي مـا تلقَّتـه منـه، ودائمًـا مـا تتحـدَّث عنـه. إنمـا "تائيقـو" كانـت طفلـةً، واكتسـابها للمعـارف كان محـدودًا. اسـتمرَّت لحـينٍ تتـدرَّب عـلى الرقـص، لكنهـا توقَّفَـت بوفـاة أمهـا. إنهـا فقـط تتذكَّـر نظـرة والدهـا لهـا عـلى أنهـا فتـاة قَـذِرَة سـوداء الوجـه، حيـث كان والدهـا بسـنواته الأخـيرة وهـي طفلـة بمدرسـة البنـات أصغـر مـن أن تضـع أيَّ مسـاحيق تجميـل، وملابسـها لا تُظهِـر مـا إن كانـت صبيًّـا أم فتـاة؛ فبالتأكيـد بَـدَت فتـاةً رثَّـةَ المظهـر. بـذاك الحـين تطلَّعَـت بشـدَّة للتخـرُّج مثـل أخواتهـا الكبـار؛ لتتأنَّـق بثيابهـا مثلهـن؛ ظنًّـا منهـا أن الثيـاب الجميلـة سـتُحاك لهـا أيضًـا، لكـن والدهـا تـوفي دون أن تحقـق أمانيهـا، وبنفـس الوقـت أُعلـن عـن نهايـة زهـو عائلـة "مـاكي أوكا". بعـد ذلـك بوقـت قصـير وقعـت حادثتهـا مـع "أوكوباتـا" التـي نُشِرَت بالصحـف. "يوكيقـو" ذاتهـا تـرى أن هـذه الحادثـة نتيجـة للجَـوِّ الأُسَري المُمِـل، وعلاقتهـما بزَوْجَـيْ أختيهـما التـي لم تَـسِر بسلاسَـةٍ، وعـدم تلقِّيهـما للحُـبِّ والرعايـة الكافيـة بعـد رحيـل والديهـما. لقـد نمـا قلـبٌ بِكـرٌ مُرهَـف الحِـسِّ وسـط تلـك الأجـواء؛ فهـذا ليـس مسـؤوليَّة أحـدٍ، وإنمـا جريمـة البيئـة المحيطـة.

"تائيقـو" حتـى بالنتيجـة الدراسـية لم تكـن أقـلَّ شـأنًا منهـنَّ، بـل كانـت أفضلَهـم في الرياضيـات. لكـن دائمًـا تلـك الحادثـة تظهـر كعلامـة مُسـجَّلة في سـيرتها الذاتيـة، وبالتأكيـد أفقدتهـا الكثـير؛ فـإلى اليـوم هـي لا تتلقَّـى

نفس المعاملة مثل "يوكيقو" من أخيهم الكبير رب العائلة. منذ وقت مبكِّر وهو يعتبرها متمرِّدةً، وهي مصدر المتاعب، في حين أن مَعَزَّتَه لـ "يوكيقو" واضحة، وكانت نظرة التَّفرِقة هذه ظاهرة بوضوح على كل المستويات؛ بداية من المصروف الشهري، ونهاية بما لديها من ثياب.

"يوكيقو" عمَّا قريب ستصبح عروسًا؛ فيأتيها كل شيء، لتمتلئ خزانتها، عكس "تائيقو" التي لا داعي لجلب لها أي شيء باهظ ثمنه، وما لديها الآن من أشياء قَيِّمة في الغالب هي اشترتها لنفسها ممَّا تجنيه من أموال، وإن لم يكن هكذا فلأنَّ "ساتشيقو" تشتري لها الكثير. يقول ربُّ العائلة إن "تائيقو" لها مصدر دخل آخر، وليس من العدل أن تحصل على مصروف مثل "يوكيقو"، وهي نفسها قالت المال ليس ضروريًا لي... أعطوه لـ "يوكيقو"، لكن بالحقيقة "تائيقو" لم تكلِّف بيت العائلة نصف أعباء "يوكيقو"، وعلى حدِّ هذا القول أيضًا فكَسبُها لمال وفير شهريًا، وادِّخارها جزءًا منه، وإنفاق الجزء الآخر بتَرَفٍ على الحُليِّ والزينة، واتِّباع أحدث صيحات موضة الملابس، ومهارتها في إدارة شؤونها، وتأديتها لكل شيء على أكمل وجه، وكل ما تعتبره "ساتشيقو" مُبهِرًا- كان دائمًا ما يثير شكوكها وتواريها بقلبها. إنها كانت تخشى من أن يكون ضمن حُليِّها من سلاسل وخواتم ما يخصُّ متجر مصوغات "أوكوباتا"؛ فهي تعرف مدى حبِّ "تائيقو" للمال، وهذا ما تنفرد به عنهم.

بالواقع، بهذه النقطة تحديدًا، تجد "ساتشيقو" التي نشأت في أزهى فترات حياة أبيها هي أكثرهنَّ سوءًا، و"تائيقو" التي تأذَّت حتى النخاع من البؤس وقت انهيار العائلة هي أحسنهنَّ.

لقد كانت بين الحين والآخر تُفكِّر ما إن تورطت هذه الأخت الخارجة عن المألوف في حادثة مرة أخرى. من المؤلم أن ينجرَّ جميعهم

لهذا؛ لذا يُستَحسَن إيداعها ببيت العائلة إذا أمكن، لكنها بالطبع لا توافق، وبيت العائلة أيضًا ليس من المتوقَّع منهم استدعاؤها.

في الحقيقة بكل مرة تهمُّ بالاتصال بهم لتسألهم أن تدع "تائيقو" تحت رعايتهم، وأن تُسلِّمهم مسؤوليَّتها... لا تفعل أبدًا. بالماضي قال الأخ الكبير إنه يكره بقاء الأختين الصغيرتين ببيت العائلة الفرعي؛ مُراعاةً للمظهر الاجتماعي، وعلى ما يبدو أن الأمر الآن يتعارض مع مشاكلهم المادية، فاليوم علاقة بيت العائلة بـ "تائيقو" تقتصر فقط على انتظارهم لليوم الذي سيتوقَّفون به عن إرسال التحويل الشهري، خاصَّةً وأنها استقلَّت بحالها إلى حدٍّ كبير.

وعندما تعيد "ساتشيقو" التفكيرَ من هذا المنظور تشعر أن "تائيقو" حالها يُرثَى له، وبعد تَذكُّرها لكل هذه الأمور المُزعِجة لا تجد أمامها سوى أن تنأى بحالها بعيدًا، لكن بعد حين ينشب النزاع بينهما؛ فهي لا تستطيع أن تبقي أسئلتها حول ما يثير شكوكها طويلًا.

ببداية العام الجديد، وبعد قضاء أسبوع الاحتفالات، بدأت "تائيقو" مرة أخرى تَعلُّمَ الحياكة وارتياد الأكاديمية دون أن تخبر "ساتشيقو" عن قصد. لكنها كانت تعي ذلك من أحوالها، وبصباح يومٍ ما و"تائيقو" تهمُّ بالخروج سألتها "ساتشيقو" مباشرة:

"هل بدأت مدرسة السيدة "تاما أوكي"؟".

"نعم".

وأجابتها"تائيقو" وهي تنتعل حذاءها عند المدخل.

"لكني أريد أن أتحدَّث معكِ قليلًا...".

واصطحبتها "ساتشيقو" لغرفة المعيشة، وجلستا وجهًا لوَجهٍ حول المدفأة.

"غـير تفصيـل الملابـس أريـد أن أسـألَكِ عـن شيء واحـد فقـط يـا "تائيقـو"، وفكّـرتُ أن أتحـدَّثَ إليـكِ صراحـةً. أريـدُكِ أن تخبرينـي بالحقيقـة. أخبرينـي بمـا تخفينـه عنـي "تائيقـو"".

- "...".

زادت "تائيقـو" مـن وهـج المدفـأة بزيـتٍ دُهنـيٍّ قوامُـه عـالي الجـودة، وحبَسَـت أنفاسـها وهـي تراقـب جـذوةً مـن الحطـب تحـترق.

"حسـنًا إذن، مـن واقـع علاقتـك بــ "أوكوباتـا" أسـألُكِ: هـل أنـتِ الآن حقًّـا لا ترغبـين في الـزواج بـه؟".

في البدايـة التزمـت "تائيقـو" الصَّمـتَ وظلَّـت غارِقـةً في تفكيرهـا مهـما انهالـت عليهـا الأسـئلة؛ فتغـيَّر أسـلوب "ساتشـيقو" تمامًـا، وترقرقـت عيناهـا بالدَّمـع وهـي تسـألها عـن كل مـا يؤرِّقهـا، وفجـأة التقطـت محرمةً لتمسـح دموعهـا، وقالـت:

"أنتِ مخدوعة في "أوكوباتا"".

وأخيرًا أطلَقَت العنان للكلمات الخانقة لأنفاسها.

"أختـي، متـى عرفـتِ ذلـك؟ لقـد سـمعت مـرَّةً مـن قبـل عـن علاقـة قديمـة لـه بفتـاة هـوى".

" نعم، نعم... لقد سأل "تينوسوكيه" بالمقهى الجنوبي".

"ووَجَدَ الأمر كذلك بالضبط...".

قالتهـا "تائيقـو"، ومـن بعدهـا تقبَّلَـت مـا يُوَجَّـه إليهـا مـن أسـئلة، وبـدأت بـالإدلاء باعترافاتهـا شـيئًا فشـيئًا.

المشـكلة بـدأت منـذ شـهر مايـو، حـين ظنَّـت أن الأمـر لا يتعـدَّى الشَّـائِعَة، وظاهريًـا بـدت كأنهـا تخطَّـت المسـألة، لكـن بالحقيقـة نشـأت المشـكلة منـذ ذاك الوقـت، والأكـثر أن شـأن المقهـى الـذي يلهـو بـه

"أوكوباتـا" سـابقٌ عـلى كُلِّ هـذا. قـال "أوكوباتـا" إن هـذا مجـرّد إلهـاء لـصرف أنظارهـم، بعـد رفضهـم موضـوع الـزواج، وأنـه يـشرب خمـر "السـاكي" فقـط، وتَجمُّـع الفتيـات مـن حولـه بـريء قطعًـا، وليـس هنـاك مـا يُلـوِّث شَرَفَـه، وصدَّقتـه "تائيقـو"، وتفهَّمَـت موقفـه. قـال أيضًـا وقتهـا إن أقاربـه مـن أخواتـه الكبـار وأعمامـه كلهـم أوغـاد بمكانـة راقيـة بالمجتمـع، ويـتردَّدون هنـاك، ذاك بالمثـل كان حـال والدهـا: شـخص يحـبُّ اللهـو والمُتعَـة، وهـي ذاتهـا تـدري ذلـك، وكانـت تـراه وهـي طفلـة. أكَّـد "أوكوباتـا" أن مـا بيـده حيلـة، وأنـه يحافـظ عـلى مبادئـه، وهـي عليهـا أن تكـفَّ عـن التَّحذلُـق.

كان حديثـه كَذِبًـا صريحًـا، وكلـه خـداع، وهـذا مـا عرفتـه لاحقًـا بعـد الحـادث الاندفاعـي لنَزوَتِهـما.

كانـت لـه علاقـة بفتـاة جيشـا، وأخـرى براقصـة أنجَبَـت لـه طفـلًا، وحـين عـرف "أوكوباتـا" أن المسـألة وصَلَـت لـ "تائيقـو" نسَّـق كلـماتِ اعتـذارٍ بـكلِّ مـا لديـه مـن مهـارة، وقـال إن شـأن الراقصـة أصبـح مـن المـاضي وانقطعـت علاقتـه بهـا تمامًـا، أمَّـا الطفـل فهـو لا يـدري طفـل مَـن هـذا، وهـي تلقـي عـلى عاتقـه المسـؤولية مـن بـاب الافـتراء، ولـن تكـون هنـاك أي علاقـة لـه بـه كأبٍ وابنـه، وأكَّـد أنـه مـا عـاد لـه حُجَّـة ليـتردَّد عـلى أيٍّ مـن أحيـاء المتعـة، وأقسـم بذلـك.

لكـن سـلوكه بـذاك الحـين بـدا مثـل الأشـخاص الوَقِحَـة التـي لا تلحـق الكـذب بكلماتهـا، وهـو بالفعـل حديثـه كلـه تافِـهٌ مهـما فعـل، ولم يَعُـد بإمكانهـا الوثـوق بـه. أمَّـا مـن ناحيـة الراقصـة الأم وطفلهـا؛ فبعدمـا جاءت ومعهـا صَـكُّ أمـوالِ الـتَّراضي بينهـما أصبـح مـن المؤكَّـد أن الأمـر ليـس كذبًا، ومـا مـن دليـل مهـما قـال يُثبِـت انقطـاعَ العلاقـة، عـلاوة عـلى أنهـا لا تـدري مـا إن كان هنـاك شيء آخـر يُخفيـه.

رغم ذلك، لم يُغيِّر "أوكوباتا" من حماسته لعَقدِ قرانه بـ "تائيقو"، وقال إن حُبَّه المكنون لها ليس مثل مشاعره مع أيٍّ من تلك الفتيات، في حين أن "تائيقو" شعرت أنه يجعل منها هي الأخرى تسليةً له، وبالحقيقة منذ ذاك الحين وكراهيته ملأت قلبها. إنها فقط ستنزعج من كلام الناس، بدايةً بأخواتها الكبار، كلهم سيقولون لها "أرأيتِ! أخَذتِ كلامه على محمل الجدّ، وخَدَعكِ بالنِّهاية"!

لم تستطع بسهولة أن تنكث وعودها، لكن بعد التروِّي قَرَّرَت الانفصال؛ لذا كان السفر للخارج بمثابة الوسيلة التي هداها إليها تفكيرها، ورغبتها في تعلُّم التفصيل أيضًا هي نوعٌ من التأهُّب لحياتها كعزباء بالمستقبل، كما استشعرت "ساتشيقو" تمامًا.

في وقت مُعاناتها من التفكير بالزواج من "أوكوباتا" دون أن يدري أحدٌ وقَعَت حادثة الفيضان. إنها حتى ذاك الحين لم تفكِّر في "إيتاكورا" سوى أنه الخادم المخلص فقط، وفجأة تغيَّرَت نظرتها للرَّجُل؛ وهذا ما أثار فضول أختيها الكبيرتين: "ساتشيقو" و"يوكيقو"؛ فقالت لهما إنها لم تختبر من قبلُ الشُّعورَ العميق بإنقاذ حياتها باللحظة التي آمنَت فيها باستحالة الإغاثة ولا بنسبة واحد في المليون وهي أمام خطر حقيقي.

"أوكوباتا" بذاك اليوم كان هدفه تَصيُّدَ أي خطأ ما بتصرُّف "إيتاكورا"، ولحُسن الحظّ؛ العكس هو ما حدث؛ فبِكُلِّ حال من الأحوال "إيتاكورا" عرَّض حياته للخطر، وألقى بنفسه أوَّلًا وقبل كل شيء، أمَّا "أوكوباتا" فماذا فعل؟!

لم يجازف بحياته ولم يُظهِر لها أنها حُبُّ حياته الوحيد، وهي منذ ذاك الوقت تخلَّت عن أي مشاعر حُبٍّ أو كراهية له، والسبب كما تدريه "ساتشيقو" أيضًا؛ فبيوم الفيضان بعدما جاء أخيرًا إلى بيت "أشييا" وقال إنه استقلَّ قطار "هانشين" وجاء ليتفقَّد الأحوال وروى

أنـه وصـل إلى الطريـق السريـع ولم يسـتطع العبـور لأن هنـاك القليـل مـن الماء، وبعـد تجوُّلـه دون هـدفٍ مـرَّ بطريقـه عـلى منـزل "إيتاكـورا" يسـأله مـا إن كان يعـرف شـيئًا عنهـا، ومـا إن كانـت عـادت سـالِمةً. بـذاك المسـاء حـين ظهـر "أوكوباتـا" قبالـة منـزل "إيتاكـورا" كان بكامـل أناقتـه؛ يعتمـر قُبَّعـةً، ويرتـدي بـزّةً باللـون الأزرق الداكـن، وبيـده عصـاه مـن خشـب الـدِّردار، عَلَّـق عليهـا آلـه تصويـر مـن نـوع CONTAX. لقـد ذهـب وهـو متأنِّـق بهـذا الشـكل ولم يعـبر قليـلًا مـن المـاء بطريقـه؛ لأنـه يكـره أن تبتـلَّ طَيَّـةُ بنطالـه. أليـس كذلـك؟

وحـين تقـارن هـذا بمـا فعلـه "تينوسـوكيه" و"إيتاكـورا" وخوضهـما في الوحـل لإنقاذهـا؛ ألا يتَّضِـح الفَـرقُ؟

إنهـا تـدري بأمـر أناقـة "أوكوباتـا"، وأنـه لـن يتَّسِـخ بالوحـل مـن أجلهـا، لكـن هكـذا فهـو ليـس لديـه حتـى أيُّ مشـاعر إنسـانية. لـو كانـت سـلامتها شـيئًا يُسـعِدُه فعـلًا لعـاد مـرّةً أخـرى لــ "أشـييا" لـيرى وجههـا. إنه هـو ذاتـه ذهـب وقـال إنـه سـيعاود مـرّةً أخـرى، و"ساتشـيقو" توقَّعـت عودتـه، وبالرغـم مـن ذلـك فلـم يفعـل.

تُرى، لو كان اطمأنَّ على سلامتها؛ هل كان سينتهي ارتباطهما؟

إن قيمتـه كإنسـان تظهـر بهـذه المواقـف، وإذا كان قـد بلـغ بـه الحَـدُّ لأن أصبـح مُسرِفًـا، غشَّاشًـا، عديـمَ الفائـدة، دون أمـل في التغيـر- فإنهـا حتـى لـن تفكِّـر أن تتحمَّـل؛ لقـد تبـدَّدَت كل آمالهـا. وهـي تـراه تافِهًـا لدرجـة أنـه يتجنَّـب اتِّسـاخَ بنطالـه مـن أجـل زوجتـه المسـتقبليَّة.



الفصل الخامس والعشرون

حتى هذه اللحظة كانت"تائيقو" تذرف الدمع من وقت لآخر، وتُجفِّف دموعها وتمسح وجنتيها من وقت لآخر، إلى أن هدأت نسبيًّا، وتحدَّثت بالتفصيل وبالمنطق، لكنها لم تَبُح بالكثير عن "إيتاكورا"، وبالطَّبع جعَلَت "ساتشيقو" تُدلي بكثير من القول، وهي إن تأكَّدَت واستنكرت ستسعى"تائيقو" لإنهاء الحوار سريعًا؛ لذا تداركت "ساتشيقو" الموقف، وكان لا بُدَّ لها أن تستمع وتتغاضى، والحديث التالي هو بعد ترجمة ومراجعة "ساتشيقو".

"تائقو" تقارن بين "إيتاكورا" و"أوكوباتا" في كثير من الأشياء، وهذا ومشاعرها نحو "أوكوباتا" تتأجَّج بسرعة غير عادية وتنعكس بعيونها، وشخصية مثلها تسخر دائمًا من شأن بيت العائلة وأفكاره عن النَّسَب والمستوى الاجتماعي لن يجدي معها نفعًا التذكير بسخافة موقفها إن ارتبطت بشخص مثل "إيتاكورا"، وسترجِّح كفَّة قلبها أمام عقلها، لكنها بهذه الحالة لن تتخلَّى عن هدوئها، وحتى وإن وقعت

بحبه لن تصبح عمياء من أجله، خاصَّةً وأنها تعلَّمت من تجربتها السابقة مع "أوكوباتا"؛ وهذا جعل مخاوفها بهذه المرَّة لا حدود لها. إنها تحاول إجراء حسابات المكسب والخسارة، وأوصلها التفكير إلى أن طريق سعادتها هو بزواجها منه مهما حدث.

في الحقيقة "ساتشيقو" لديها الكثير من التكهُّنات بخصوص علاقتهما، لكن أبدًا لم يخطر لها ببالٍ استعداد "تائيقو" للزواج منه؛ لذلك كانت دهشتها حين استمعت لهذا الاعتراف لا يفوقها شيء.

"تائيقو" تعرف جيِّدًا أن "إيتاكورا" هو الفتى صبي المتجر غير المتعلِّم، وهو ابنٌ لمزارعٍ مُستأجَر، وأيضًا هو شابٌ سوقيٌّ، نقاط ضعفه مشتركه بينه وبين النازحين لأمريكا، ووازَنَت جيِّدًا بين عيوبه ومميِّزاته، وتوصَّلَت لقرارها هذا، ومهما قيل لها مِمَّا يُقلِّل شأنه فإنه مقارنةً بسليل الحسب والنَّسب "أوكوباتا" هو إنسان يعلوه بمراحل، وقوته الجسمانية تفوقه، وعنده الشجاعة للخوض في النيران إذا ما تطلَّب الأمر، وأهم شيء هو مهاراته التي تضمن أنه سيتولَّى مسؤوليتها ومسؤولية نفسه. انه يختلف عمَّن يمتهن التسوُّل من أخيه الكبير ووالدته.

سافر"إيتاكورا" يجوب كلَّ أنحاء أمريكا وهو خالي الوفاض، دون تلقِّي أي مساعدة مالية من أي أحد كان، وسعى سعيًا دؤوبًا ليتعلَّم ويكتسب مهارات، رغم الصعوبات؛ فمجال تقنية التصوير يتطلَّب قدرًا مناسبًا من الذكاء، وهو من هذه الناحية مُؤَهَّل، ولديه قدراته، وإن كان لم يحصل على تعليم نظامي إلَّا أنه يتمتَّع بالحَدْس والفطنة، وبسهولةٍ تَظنُّه بنباهَةِ حَمَلَةِ المؤهَّلات العليا أكثر من "أوكوباتا" الحاصل على شهادة جامعة "كانساي"؛ لهذا هي لم يُغرِها -ولو بالقليل- المستوى التعليمي والمؤهِّل وممتلكات إرث العائلة والمستوى الاجتماعي؛ كل هذا بلا قيمة بالنسبة لها، ولقد أدرَكَت كل شيء بعد

رؤيتها لحال "أوكوباتا"، فهي عِوَضًا عن ذاك كله ستتبع مذهب المنفعة. منفعتها الشخصية أهم شيء، ولا بُدَّ للشخص الذي سيصبح زوجًا لها أن يمتلك بنيةً جسديَّةً قويَّةً، ويكون لديه مهنة من كَدِّ ساعِدِه، ويحبها من كل قلبه، ومُستعدًّا ليُضحِّي بحياته من أجلها، وإذا ما تحقَّقَت هذه الشروط بشخصٍ فلن تسأله عن شيء آخر.

"إيتاكورا" لديه أشقَّاء كبار بالريف، أي أنه لا يتحمَّل مسؤولية رعاية أشقَّائه أو والديه. أخته الصغيرة التي تعيش معه الآن استدعاها من بلدتهم لتُعاوِنَه بعمله وشؤون البيت، ومجرَّد أن يستقبل بيتُه عروسًا ستعود أدراجها. هذا يعني أن "إيتاكورا" حقًّا وحيد، ولن يتردَّد أحدٌ في تخمين أنها ستقع في حُبِّه من صميم قلبها؛ فذلك بالنسبة لـ "تائيقو" هو منتهى السعادة بعد كل ما مرَّت به، وهذا أفضل لها من أن تصبح زوجةً لرَجُلٍ غنيٍّ ذي حَسَبٍ ونَسَب أيًّا كان هو.

"إيتاكورا" بحدسه القوي استشفَّ ضمنيًّا مشاعر "تائيقو" التي اتَّضَحَت في أسلوبها؛ فهي ليست من النوع الذي سيبوح بكلمات صريحة.

كان هذا بالعام الماضي في أوائل شهر سبتمبر أثناء غياب "ساتشيقو" وذهابها لـ "طوكيو". تَنَبَّه "أوكوباتا" لقرب علاقتهما، ودار نقاش"تائيقو" و"إيتاكورا"، وكانت هذه أوَّل مرَّة تُفصِح عمَّا بداخلها، وتَدَخُّل "أوكوباتا" كان هو السبب.

"إيتاكورا" لم يتَّخِذ كلام "تائيقو" على أنه دلالة على حُبِّها، وحين تطرَّق الحديث للزواج بدا عليه التَّوتُّر وكأنه يشكُّ بأذنَيْه.

لكن هل هذا ما جعله عن عَمدٍ يتظاهر بالانتصار؟

إنه لم تصل توقعاته إلى ذاك الحد... أليس كذلك؟

إنــه بــذاك الوقــت تلقَّــى مفاجــأة لم يُفكِّــر بهــا حتــى بأحلامــه، ولم يسـعه استحسـان حديثهـا أو الاسـتياء منـه، وإنمـا طلـب منهـا أن تفكِّـر جيِّـدًا وتتمعَّـن؛ كي لا تنـدم فيـما بعـد، فـإن تَزَوَّجتـه سـيقطع صِلَتَـه بعائلة "أوكوباتـا"، وهـي أيضًـا سـتنتقل مـن بيـت العائلـة، عـلاوة عـلى أن كلَيْهـما سيُسـاء فَهمُـه مـن كل مَـن حولهـما، وسـيضطهدهما المجتمـع، وإن حـدث فهـو لديـه الشـجاعة ليناضـل مـن أجلهـا، ولكـن هـل هـي سـتتحمَّل؟

هكذا قال "إيتاكورا"، ومن بعدها تغيَّر حديثُه وتساءل:

"مــاذا بهــا إذا تَزوَّجَتنــي ابنــةُ عائلــة "مــاكي أوكا"؟ إننــي مــن مسـتوى اجتماعــي مُختَلِــف، ولكننــي لــديَّ الكثــر مــن المهــارات".

كان يعلــم أن كلام النــاس سـيكون مريــرًا، خاصَّــةً بشــأن علاقتــه بـــ "أوكوباتــا"، لكنــه مهـما فكَّــر لا يُمكِنُــه حــلُّ ســوء التفاهــم معــه، ومــا باليــد حيلــة.

إن عائلــة "أوكوباتــا" هــي مَــن دَعَّمَتــه بالأســاس، ورب العائلــة الراحــل هــو مَــن قَــدَّم لــه يَــدَ العــون فِعليًــا، ومــن بعــده الأخ الأكــبر لـــ "أوكوباتــا" ووالدتــه." أوكوباتــا" نفســه لم يُســدِ إليــه مبــاشرة أيَّ معــروف؛ وبهــذا الشــكل فــإن زواجــه مــن "تائيقــو" إذا كان ســيُغضِب "أوكوباتــا" شــخصيًّا كثــرًا إلَّا أنــه عــلى العكــس- ســتُرحِّب بــه عائلتــه؛ لأنهــم لم يوافقــوا لابنهــم عــلى الــزواج مــن "تائيقــو" مــن قبــل.

عــلى هــذه الحالــة تَــردَّد "إيتاكــورا" بــين هــذا وذاك، وتَمهَّــل في موافقتــه عــلى طلــب "تائيقــو".

بالنهايــة واجــه الاثنــان الموقــف، وحــدَّدَا موعــد زواجهــما، عــلى أن يكــون سِرًّا، ولا يــدري بــه أحــدٌ في الوقــت الحــالي؛ فالمشــكلة الأَوْلَى بالحَــلِّ الآن هــي فســخ خطبــة "أوكوباتــا"، وعليهــا أن تتجنَّــب أيَّ طريقــة مندفعــة، بــل تجعــل "أوكوباتــا" يفهــم مــن تلقــاء نفســه ويميــل إلى الانفصــال، وأفضــل طريقــة بالتأكيــد هــي ســفرها للخــارج، ومــن بعدهــا تأجيــل فكــرة الــزواج

مـن الأسـاس لسـنتين أو ثـلاث، ولكـن بهـذه الحالـة في الغالـب سـتُضاف عليهـا ضغـوطٌ ماديَّـة مـن الـكُلّ؛ لـذا فلتتأهَّـب مـن الآن بالاسـتعدادات اللازمـة للمجابهـة، والتـي مـن ضمنهـا التركيـز عـلى اسـتيعاب تقنيـات تفصيـل الملابـس، وبتنسـيق أمورهـا سـيتحقَّق كل شيء في أقـرب قريـب عاجـل.

لكـن تخطيـط "تائيڤـو" للسـفر للخـارج أصبـح مسـتحيلًا فعليًـا بسـبب اعـتراض العائلـة، وأيضًـا بسـبب تغيـير ترتيبـات السـيدة "تامـا أوكي".

أيقنـت "تائيڤـو" أن "أوكوباتـا" سـيظلُّ يلاحقهـا طالمـا هـي باليابـان، وسـيصعب انفصالهـما؛ مـمًّا يجـرح كبريـاء "إيتاكـورا"؛ لذلـك كان بِنِيَّتهـا بعـد سـفرها "لباريـس" أن ترسـل لـه خطابًـا ليتركهـا، وسـتتوارى عـن ناظـره ببُعدِهـا إلى أن ينتهـي الأمـر، لكـن جـال بخاطرهـا مـا أثـار مخاوفها، فطالمـا سـفرها لم يَعُـد مُمكِنًـا فلـن تنتهـي علاقتهـا بــ "أوكوباتـا" بسـهولة، بـل إنـه لـن يفعـل بسـبب وجـود "إيتاكـورا"، وسـتتفاقم المشـكلة أكـثر ويلاحقهـا أكـثر وأكـثر.

لـو كانـت ابتعـدت وسـافَرَت للخـارج لاسـتطاعت الصبر عـلى فـراق "إيتاكـورا" لعـامٍ مَثَـلًا، وإنَّمـا طـوال بقائهـا بالقـرب منـه تظـلُّ لا تتحمَّـل العيـش بدونـه، و" أوكوباتـا" يسـتمرُّ أيضًـا في رغبتـه بالاسـتحواذ عليهـا.

لذلـك بعدمـا نَفَـدَت كل الحيـل بجعبتهـا للسـفر للخـارج أدركـت أنـه يصعـب عليهـا خـداع أعـين النـاس أكـثر مـن ذلـك، بمـا فيهـم "أوكوباتـا"، وتأهَّبَـت للنـزاع بـكل الطُّـرق المُمكِنـة، وآل تفكيرهـا إلى التعجيـل بالـزواج قـدر الإمـكان.

فقـط هـو الآن، حتـى وإن كانـا غـيرَ مُسـتعدَّيْن ماديًّـا؛ فالتأجيـل سيُصعِّـب مـا سـيواجهانه مـن عقـاب المجتمـع، و"يوكيڤـو" حالهـا يُـرثَى لـه، ومـا مـن فرصـة لزواجهـا، والواقـع يفـرض عليهـا انتظـار زواج أختهـا الأكـبر.

"إذن... أنـت يـا "تائيقـو" مـع "إيتاكـورا" بذلـك الوعـد الشَّـفهيِّ فقـط، وليـس هنـاك مـا هـو أكـثر مـن ذلـك؟".

"بالضَّبط".

"متأكِّدة؟".

"نعم... ليس هناك أي شيء آخر. هذا هو الأمر فقط".

"إن كان الأمـر كذلـك، ألا تُفكِّريـن مـرَّةً أخـيرةً مـن أجـلي قُبَيـلَ تنفيـذك لذلـك الوعد؟".

"...".

"حسـنًا أختـي الصغـيرة... إن حـدث هـذا فلـن يمكننـي التطلُّـع بوجـه أحـد مـن العائلـة أو النـاس".

وانتـاب "ساتشـيقو" شـعورٌ مفاجـئ بأنهـا أمـام هُـوَّة بـلا قـرار، والآن بـدلًا مـن أن تحشـد "تائيقـو" قواهـا لمـا هـو آتٍ؛ فعلـت ذلـك "ساتشـيقو" وتحفَّـزَت وعـلا صراخهـا.

الفصل السادس والعشرون

بكل صباح لبضعة أيام متتالية فور خروج "إتسوقو" للمدرسة و"تينوسوكيه" لعمله؛ تنادي "ساتشيقو" على أختها لتتفقَّد ما وصل إليه قرارها، فتجدها لم تتزحزح قيد أنملة عمَّا انتَوَته.

رأت "ساتشيقو" أنه طالما أن بيت العائلة وجميعهم يوافقون على قطع علاقتها بـ "أوكوباتا" إذن فليتدخَّل أخوها الكبير "تينوسوكيه"، ومن الأفضل أن يتوجَّه مباشرة إليه بحديثٍ واضح كي لا يظنَّ بعد الآن أنها ملكُه، مع الأخذ في الاعتبار أن هذا لا يُعَدُّ موافقة رسمية على تَعلُّم تفصيل الملابس. وإن كان لا مانع لديها هي وزوجها، ولا يزعجهما أن تصبح سيِّدةَ أعمال بالمستقبل، وسيتظاهران بأنهما لا يعرفان شيئًا. أمَّا عن الأموال التي تحت وصاية بيت العائلة فهذه هي الورطة الآن، ولكن ربما لاحقًا إذا كان هناك استخدام معقول يسلمُّونها إيَّاها. سيتَّضِح ذلك بالوقت المناسب.

تطرَّق حديث "ساتشيقو" لنُصحِها بالعدول عن قرار زواجها بـ "إيتاكورا"، وأجابتها "تائيقو" بأنها ترغب بتعجيل الزواج، ولكنهما ينتظران من أجل "يوكيقو"، وهذا أقصى تنازُلٍ يُمكِنها تقديمه، وهما يتمنَّيان أن تجد "يوكيقو" نصيبها اليوم قبل غد.

تحدَّثت "ساتشيقو" أيضًا عن مستواه الاجتماعي والفارق بينهما، وعن كَوْن "إيتاكورا" شخصًا غير جدير بثقتهم؛ فهو بعدما كان صبيَّ مَتجرٍ أصبح مُصوِّرًا، ويمتلك متجره، لكن هذا لا يجعله مثل "أوكوباتا". إنها تدري أنه اكتسب دهاءً علَّمَته إيَّاه الحياة، لكن حتى لو كذلك فالوضع الذي تقصده هو من حيث تعليمه وهواياته، والعديد من هذه النواحي التي تعكس تَدَنِّي تفكيره بجانب بساطته غير العادية وتباهيه بأشياء تافهة. كلها أشياء لا تستشعر "تائيقو" وجودها، وتظنُّ الأمر مُمكِنًا طالما لديه المهارة والموهبة بتقنيات التصوير لتجعل منها وظيفةً.

أكَّدَت لها "ساتشيقو" أنها الآن لا ترى عيوب هذا الرجل، ويتوجَّب عليها إعادة التفكير؛ لأنه من وجهة نظرها هو مستوى معيشته مختلف؛ وهذا يعني أن زواجهما لن يستمرَّ طويلًا، وسألتها:

"بصراحة، لماذا شخصية بمستواها يروقها زوجٌ بمثل هذا المستوى المتدنِّي لـ "إيتاكورا"؟".

أضافت "ساتشيقو" إن كان شريك حياتها من ذاك النوع فلن يكفي مصاريف مأكلها، ولا عجب، وستندم، وهذا واضح، وبالنسبة لها شخصٌ همجيٌّ مُزعِج على شاكلته قد يكون مُسلِّيًا لساعة أو ساعتين، وإنما العيش معه للأبد... لن يُحتَمَل.

حاوَلَت "ساتشيقو" أن تتحدَّث إليها على هذا النَّحو، لكن مهما قالت فهي لا تدري الكثير عنه منذ أن كان صبيًّا وأدَّى الخدمة العامة وتجوَّل مع المهاجرين، وهذه هي ظروفه التي لا مفرَّ منها، ولكنها

جعلت منه ليس بشخص تافهٍ، بل هو صادق ونقي المشاعر بأعماق قلبه على نحوٍ لم يكن بالحسبان. عادته بالتفاخُر بتوافهه الأمور ربما هي ما تجعل الكثير يكرهونه، ولكن أليس هذا دليلًا على أنه طفل بريء!

إن كان لم يكمل تعليمه ومستواه ضعيفٌ، لكنها على عِلمٍ بذلك، ولا تنزعج، حتى وإن كان بلا موهبة راقية أو صاحب وجهة نظر، وحتى وإن كان بالنسبة لهم شخصًا فَظًّا شاغر الذهن؛ فبالعكس، إن اتَّخذَت من شخص أقلّ في المستوى شريكًا لها ستسهل معاملته دون تحفُّظ.

أمَّا "إيتاكورا" فشعر أنه شرفٌ غير عاديٍّ أن يستقبل العروس ببيته، ومن دواعي فخر كلِّ فَردٍ بعائلته أن تأتيهم ابنة عائلة مثل "ماكي أوكا"، وستنزل دموعهم من الفرح لمجرَّد أن تذهب"تائيقو" لبيت "إيتاكورا" في "تاناكا".

قدَّم "إيتاكورا" أخته الصغيرة لتُحيِّي "تائيقو" بلباقة مُتناهِيَة، وكأنه لا فرق اجتماعيًّا أبدًا، ورحَّبَت بها "تائيقو" بودٍّ، وقالت لها إنها إذا لم تستَطِع تقديم العون بالماضي فها هي الآن يمكنها. إنها لا تتعامل مع إخوته على أنهم أقل مكانةً أبدًا، وعلى هذا الحال بالنهاية استتبَّ الوضع في انسجام.

بسماع "ساتشيقو" لهذا الحديث تخيَّلَت "إيتاكورا" وهو فخورٌ بوضع كهذا، بعدما نال عروسًا كريمةَ عائِلَةِ "ماكي أوكا"، وظنَّت أن الأمور ستتأزَّم للغاية؛ فالأمر الذي هو سِرٌّ بالوقت الحالي سرعان ما سيُذاع بالريف.

بالماضي جرَّت "تائيقو" أختها "يوكيقو" لورطةٍ لا شأن لها بها بحادثة الجريدة، أمَّا بهذه المرة فهي تقول إنها لن تُقدِم على أيِّ فِعلٍ طائش، وستنتظر حتى تجد "يوكيقو" نصيبها؛ لذلك فمهما حاصرتها "ساتشيقو" فليس هناك أي كارثة مفاجئة وشيكة الحدوث.

الخـوف كلـه مـن أنـه باسـتمرارها بالضغـط عليهـا هكـذا سـتأتي بـردِّ فِعـلٍ عكسـيٍّ، وعـلى أيـة حـال، "يوكيقـو" ذاتهـا لتسـتقر إن أتاهـا النصيـب أمامهـا عـلى الأقـل سـتة أشـهر، وبهـذه الأثنـاء إذا كانـت "تائيقـو" عـلى قناعـةٍ بأهمِّيَّـة أن تتحـلَّى بالصبر وتُكـرِّس وقتهـا لمـا تزاولـه مـن حِـرَفٍ يدويَّـة؛ فأسـلوب "ساتشـيقو" هـذا سـيقودها شـيئًا فشـيئًا لتفقـد صوابهـا؛ مـن هنـا قـرَّرَت "ساتشـيقو" أن تـتروَّى وتعـترف الآن برغبـة "تائيقـو"؛ فـما مـن سـبيل أفضـل مـن عـدم معارضتهـا بـشيء.

لكنهـا لـو نظـرت بعـين العطـف لوضـع "يوكيقـو" وبحثـت عـمَّا بقلبهـا سـتجدها مسـتاءَةً مـن المعـروف الـذي تُقدِّمـه لهـا "تائيقـو" بالانتظـار، بـل وليـس ببعيـدٍ أن تجدهـا مُمتنَّـةً لـ "تائيقـو". "يوكيقـو" نفسـها لا تتعجَّـل الـزواج، و"تائيقـو" منحتهـا سـببًا لضيـاع فُـرَص زواجهـا. "يوكيقـو" لا تحمـل أي ضغينـة لأختهـا الصغـيرة لمـا تتحمَّلـه جـرَّاء تهوُّرهـا، وهـي عـلى يقـين بـأن قدرهـا لـن يتأثَّـر بمثـل ذاك الحـادث السـخيف، ولا تمانـع أبـدًا لـو تزوَّجَـت "تائيقـو" قبلهـا دون أي تَقَيُّـد بهـا.

"تائيقـو" أيضًـا ليـس لديهـا أي نِيَّـة لتقديـم معـروف، ونفـاد صبرهـا مـن انتظـار زواج "يوكيقـو" الـذي تأخَّـر أمـرٌ واقـع.

في الأسـاس لـو كان وقتـما وقَعَـت حادثـة الجريـدة "يوكيقـو" تزوَّجَـت بالفعـل أو عـلى وشـك فعـلى حـدٍّ سـواء؛ هـي بالتأكيـد لا يروقهـا مثـل هـذه الطريقـة مهـما كان عمرهـا.

الأهـم أن هـؤلاء الأخـوات علاقتهـم طيبـة مـع بعضهـن البعـض ولـن ينشـب بينهـم شـجار أبـدًا، وبنظـرة متأنِّيـة تجـد أن تضـارُبَ المصالـح القـوي بـين "تائيقـو" و"يوكيقـو" يتـلاشى.

مـن هـذا المنطلـق لم تَبُـح "ساتشـيقو" بأمـر علاقـة "تائيقـو" و"إيتاكورا" لأيِّ أحـدٍ منـذ أن تلقَّـت الصدمـة بخطـاب "أوكوباتـا" بشـهر سـبتمبر

الماضي وحتى الآن، لكن بعدما آل الوضع لما هو عليه الآن أصبحت تشعر بثِقَلِ ما تحمله جاثمًا على أنفاسها.

إنها من أجل "تائيقو" تتحمَّل مسؤولية دعمها الدائم وتتعاطف معها؛ لذا شجَّعَتها على تصنيع الدُّمى وتأجير شقة "شوكوجاوا"، ووافَقَت ضمنيًّا على رفقتها بـ "أوكوباتا"، وتتدخَّل بالدفاع عنها أمام بيت العائلة في كل مرة يحدث شيءٌ ما. هذا كله الآن عاد بنتائج عكسية جزاءً لها. إنها كثيرًا ما كبحت جماح غَضَبِها حيال أسلوب "تائيقو"، ورغم أنها بقلب الحدث وتَملِك زمامَ الأمور، لكن الوضع كل مدى يتَّجِه للأسوأ لأنه ليس بمقدورها فعل أي شيء يضايق "تائيقو" أختها ببيت العائلة، والجميع لا يرونها كذلك.

إن أكثر ما يثير مخاوف "ساتشيقو" الآن هو أن بكل مرة يأتي فيها لـ "يوكيقو" عرض زواج؛ تسنح الفرصة لبحث وكالات التحرِّي في أصول كل شيء، وإن حدث الآن سيعرف الجميع بكل تصرُّفات "تائيقو". على أقل تقدير إن بَدَت "ساتشيقو" كأنها هي أيضًا لا تدري بشيء عن تصرُّفات "تائيقو" وعمَّا انجرفت إليه علاقتها بـ "أوكوباتا" و"إيتاكورا"؛ بالتأكيد سيكون وضعها سيئًا، وسيتهمها الجميع بالتقصير.

يتَّضِح لكل العيون نقاء "يوكيقو"، وبالبحث والتحرِّي ليس هناك أي ما يعيبها، فقط هي "تائيقو" ذات الطبيعة المختلفة عنهن، هي الوحيدة التي تجذب الأنظار بسهولة، وبالتحرِّي عنها تجدها هي مَن تثير الريبة، ورغم أن أفراد العائلة يتولَّون رعايتها إلا أنهم لا يدرون بشؤونها، وكل الناس يدرون.

إذا كان الأمر هكذا، أليس أوْلَى بـ "ساتشيقو" أن تأخذ في اعتبارها أن "يوكيقو" منذ الربيع الماضي لم يتقدَّم لخطبتها أيُّ أحدٍ؛ فلِمَ لا يكون السبب هو الشائعات حول "تائيقو"؟ والتي بهذه المرة لا يمكن منعها. إذن فمن أجل مصلحة "يوكيقو" لا يمكن التغاضي، ومن حسن

الحظ أن مثل هذه الشائعات لا زالوا يهمهمون بها من وراء ظهورهم في الخفاء، وإنما في حالة أن وصلت لبيت العائلة فمن المؤسف أنها هي وحدها مَن سيُلقَى عليها اللوم، وحينها سيسألها "تينوسوكيه" و"يوكيقو" لماذا لم تصارحهم القول، ولأنها هي وحدها مشكوك في قدرتها على جعل "تائيقو" تعدل عن رأيها؛ ففكَّرت ما إذا حاول ثلاثتهم كل بدوره فربما يُجدي نَفعًا.

"متى حدث كل هذا؟".

بمساء يومٍ ما بعد مرور حوالي اثني عشر يومًا من العام الجديد، دار حديث "ساتشيقو" وزوجها بعدما جلست بغرفة المكتب تُقلِّب صفحات إصدار جديد من مجلة، ولكن بدا عليها وهي ترفع وجهها بنظرات غريبة من حين لآخر أن هناك خطبًا ما، ولاحظ زوجها وسألها، وقَصَّت عليه الأمر.

"لقد أعطته وعدها في العام الماضي حين ذهبتُ إلى "طوكيو"، وتغيَّبتُ أنا و"إتسوقو" والخادمة "أوهارو"، وعلى ما يبدو كان "إيتاكورا" يأتي إلى هنا كل يوم...".

"إذن تقع المسؤولية على عاتقي أيضًا".

" ألم تلحظ أي شيء من قبل".

"أنا عن نفسي لم ألحظ شيئًا... لكن حسبما تقولين، يبدو أن كل الظروف مُلائِمَة، حتى من قبل حادث الفيضان".

"بالضبط، ذاك الرجل هذه هي طريقته وليس مع "تائيقو" فقط".

"فعلًا، مضبوط".

"تُرى، كيف حدث هذا بوقت الفيضان؟".

"في الواقع ذلك الوقت كان مثاليًا، فتلك الطيبة والاهتمام اللذان لم تجدهما برَجُلٍ أثارت إعجابها بشدَّة، و"تائيقو" فَرِحَت بذلك الشعور".

"فهذا ما أرادته، وإلا فلماذا واحدة مثلها تُعجَب برجل كهذا من قاع المجتمع، حقًّا يا للغرابة! وكلَّما قُلتُ لها ذلك تغضب وإن كنتُ لم أَقُل هذا بالضبط، ولكن مجرَّد التلميح يجعلها تدافع كالحمقاء... بذلك فهي مُلمَّة بكل ما سيُقال عنهما من إنها كريمة عائلة ذات حسب ونسب مع شخص مثله".

"كلَّا "تائيقو" لا يعنيها كل هذا، وبقليل من التفكير يتَّضح أنها تتبع المذهب العملي وترغب برجُلٍ كادح قويِّ البنية، حتى وإن كان من الطبقات الدنيا بالمجتمع، وأنا عن نفسي أدعَم هذا المذهب بصراحة... ماذا عنك "ساتشيقو"؟ ألا تفكِّرين هكذا؟".

"أنتَ ماذا تقول! أتظنُّه من الأفضل أن تتزوَّج من رَجُلٍ كهذا؟".

"ليس كذلك بالضبط، وإنما إذا خَيَّرتِني بين هذا الزواج وزواجها من "أوكوباتا"، سأُرجِّح كفَّة "إيتاكورا"".

"أنا على العكس تمامًا".

ووصل حديث الزوجين إلى هذه النقطة، واختلفت آراءهما على غير المتوقَّع. لقد بدأت "ساتشيقو" تكره "أوكوباتا" تحت تأثير رأي زوجها، والآن هي بالتأكيد لا تُفضِّله لأختها، ومقارنته بـ "إيتاكورا" تبدو مثيرةً للشَّفقة؛ ربما لأنه وَغدٌ مُدلَّل وبلا نفع يُذكَر بالحقيقة، وبعد كل ما رأته منه أيقنت أنه شابٌّ تافِهٌ ومُقزِّز، ولكن فوق كل شيء رُفقَته لها منذ طفولتهما بالبيت القديم برصيف الميناء، وهو من نفس المستوى ونفس النمط فيما يُحبُّه أو يكره، ووقتما يتمُّ زواجهما رسميًّا سيكون الوضع أمام الناس مناسبًا مهما كانت المشاكل المتورِّطين بها. لكن إن تزوَّجَت "تائيقو" من "إيتاكورا"بإرادتها الحُرَّة واختيارها بعيدًا عن رغبة أهلها؛ فمن الواضح جليًّا أن هذا

سيكون مَحط سُخرية المجتمع بكل مَن حولهم؛ لذلك إقلاعها عن فكرة الزواج من "أوكوباتا" ليس هو ما تتمنّاه "ساتشيقو" أبدًا، بل والأكثر أنها ترى أن زواج "أوكوباتا" هو الخيار الأفضل للحيلولة دون المشكلات الناجمة عن زواجها من "إيتاكورا".

كان هذا هو رأي "ساتشيقو" في حين أن زوجها "تينوسوكيه" بهذه الجزئية كان تفكيره متطوِّرًا عنها، ويظنُّ أنه بِغَضِّ النظر عن المستوى الاجتماعي لـ "إيتاكورا" فـ "أوكوباتا" لا يتفوَّق عليه بأي شيء، وإن كانت شروط الزواج صحيحة كما تقول "تائيقو" وأهم شيء لديها هو أن يتوفَّر به شروطها الثلاثة: الاعتماد على الذات، الصِّحَّة، والحب، و"إيتاكورا" اجتاز إختباراتها فلا داعي للتعنُّت بصَدَد مستواه الاجتماعي والتعليمي أليس كذلك؟

وإن كان "تينوسوكيه" لا يروقه "إيتاكورا" إلى ذاك الحد لكنه يربح المقارنة بـ "أوكوباتا"، وهو متأكِّد أن بيت العائلة لن يسمح، وهو لا يرغب بأن يتوسَّط بالأمر وقتما يَصِلهم، وعندما طلَبَت منه زوجته أن يتحدَّث من منطلق أن لها شخصيَّتها وحياتها، وهي لا تميل للطريقة التقليدية بالزواج، وأنها وجدت الشخص الذي تحبُّ أن يشاركها حياتها، وهي يمكنها أن تتزوَّجه بإرادتها، وهذه الطريقة بحالة "تائيقو" أفضل لها من الزواج التقليدي، وهي أدرى بأمورها، وليس من الحكمة أن يتدخَّل أحدٌ. لو كانت "يوكيقو" بمكانها لَمَا استطاعت أن تتخلَّص من مشكلة الناس من حولها، وهم مهما اعتبروا المسألة ورطة، ولا بُدٌّ من أن تتزوَّج كلتا الأختين بالترتيب، ولا بُدَّ من مسألة النَّسب والممتلكات؛ فـ "تائيقو" وضعها مختلف. هي متحرِّرة، ويمكنها الاعتماد على ذاتها بالتأكيد؛ ظلَّ "تينوسوكيه" للنهاية موقِفه سلبي ويتمسَّك بقولٍ واحدٍ بعدما استمع لرأي زوجته، وهو أن بكل الأحوال بيت العائلة لن يقبل، وسيُورِّطه مع "تائيقو"، وهو بهذه المشكلة من أولها لآخرها يعتبر نفسه غريبًا، واستنكرت "ساتشيقو" قائلةً:

"ولماذا إذن...!".

فهمهم متردِّدًا:

""تائيقو" حقًّا شخصية مُعقَّدة أنا لا أفهمها".

"حقًّا. بالرغم من أنني أنحاز لها إلَّا أنني أخشى أن يُساء فهمي؛ لأنها تنتقم ممَّن يسيء معامَلَتها".

"فعلًا، هذا ما أقوله، شخصية مثلها أيضًا جذَّابة بكلِّ مُميِّزاتها، وستفعل أي شيء".

"إذا كان الأمر هكذا فمن الأفضل مصارحتها سريعًا، فإذا فكَّرتَ في خداع شخص مثلها بهذه المرَّة فعلًا ستغض... ستثور ثائرتها...".

بدا وجه "ساتشيقو" طفوليًّا، واعتلته ملامح الانزعاج، وظنَّ "تينوسوكيه" أن وجه زوجته الذي عليه دموع الأسى واحتنق حُمرةً بالطَّبع كانت هذه ملامحه وقت شجار الأخوات بوقت بعيد مضى، وظنَّها يتملَّكها الحنين لوقت طفولتهم.

الفصل السابع والعشرون

لم تعبأ "تائيقو" برأي أحدٍ أو بالمشاكل الوشيكة؛ فهي تتصرَّف كما تحبُّ، على العكس من "يوكيقو" التي لا حول لها ولا قوَّة، وحالتها مُزرِيَة منذ انتقالها للعيش بـ "طوكيو"، وهذا ما ألحَّ على فكر "ساتشيقو" بشدَّة.

بسبتمبر الماضي حين ودَّعَت أختها الكبيرة على رصيف المحطة بـ "طوكيو" أكَّدَت عليها ضرورة أن تجد عرض زواج لـ "يوكيقو"، لكن هذا العام ليس بعام حَظِّها[1] وعلى أية حال، التفكير في عام مضى لن يُجدي نفعًا، وعلى أقل تقدير لا يزال هناك أسبوع على إجازة الشتاء[2].

ماذا إذا أصاب تخمينها وسمعة "تائيقو" وما يدور حولها من أقاويل أعاقت فُرَصَ زواج "يوكيقو"؟ "ساتشيقو" مُلقى على عاتقها

(1) تعتبر سنوات العمر غير المحظوظة للرجال هي سن 25 و42، وللنساء 19 و33.

(2) إجازة أواخر الشتاء، والتي وفقًا للتقليد الياباني تكون في الثالث أو الرابع من فبراير.

نصف المسؤولية، هكذا ظنَّت، وشعرت أن خطأها بحقِّ "يوكيقو" لا يُغتَفَر.

إن "يوكيقو" أيضًا هي أكثر من سيتفهَّم عدم رضاها عن "تائيقو" الكامن بين ضلوعها و"ساتشيقو" تنوي استدعاءها لتقصَّ عليها ما حدث منذ وقت طويل، لكنها تخشى وقع الخبر عليها أنه سيعيدها عن غير قصد لتفكِّر بالتأثير الملموس الذي سيطالها من فضيحة الحب الجديد لأختها.

من ناحية أخرى فكَّرَت "ساتشيقو" أنها مهما خبَّأت الأمر وعرفت به "يوكيقو" لاحقًا ستستاء، ولن يكن بالسهل عليها وبالنهاية بمثل هذه الأجواء، و"تينوسوكيه" يريد أن يتحلَّى بالحكمة، فلا يتبقَّى أمامها حلٌّ أفضل من "يوكيقو" لتشاركها النقاش؛ لذا بحثت عن أي حجَّة لاستدعائها. لعل الحفل الراقص لذكرى وفاة المعلمة "أوساكو" بنهاية الشهر القادم الذي سيقام بالمجمع التجاري "ميتسوقوشي" بقاعة الطابق الثامن سيكون مناسِبًا.

الحفل الراقص على نمط القرى الجبلية في ذكرى وفاة المعلمة "أوساكو"

الموعد: يوم 21 فبراير 1945

(الافتتاح الساعة 1:00 مساء)

المكان: "قوراي باشي" المجمع التجاري "ميتسوقوشي"

ساحة الدور الثامن

العروض: المبخرة (إهداء إلى روحها)، الرحمة بدلو، علاقة مع القمر، دعوة للشاي، ثمانية مناظر خلَّابة، طيور النورس، ربما لا يسوى، الثلوج، طوق معدني، تذكار من عصر إيدو، اليابان، ملاط الخزف، الشَّعر الأسود. سيقدم الحفل بهذا اليوم بمذيع برنامج تلفزيوني شهير

سعر الاشتراك: مجانًا (ممنوع بدون بطاقة الدعوة)

تاريخ التقديم 19فبراير للأعضاء وعائلاتهم الموقَّرة

على الراغبين تقديم طلب للحصول على تذاكر الذهاب والإياب، والتي ستُرسَل مع بطاقة الدعوة

برعاية جمعية ساكوياماورا المحلِّيَّة

بدعم جمعية "أوساكا"

على الفور بشهر فبراير أرسلت "ساتشيقو" خطابًا إلى "يوكيقو" وأختها الكبيرة ببيت العائلة، مُرفَق به الدعوة المطبوعة من قبل اجتماع أهالي المنطقة.

كتبت "ساتشيقو" للأخت الكبيرة بعبارات سَلِسَة:

"أمَّا عنك "تسوروقو" فلعلَّكِ تَظنِّين بمجرد أن تأتي "يوكيقو" ستواتيها فرصة ما جيِّدة، وهذا ما تتطلَّعين إليه، فالعام الماضي مرَّ دون أي أخبار مُفرِحَة، وها نحن بأواخر الشتاء من العام الجديد. لكن ليس هناك موضوعٌ بعينه، إنني فقط لم أرها منذ وقت طويل، وعندنا هنا مناسبة هي تحبُّها، فإن لم يكن لديك أي مانع فهل يمكن إرسالها إلينا لبعض الوقت؟ لحُسن الحظ هناك ملتقى لرقص القرى الجبلية، ومرفق الدعوة بالمظروف، وستقدم "تائيقو" عرضًا، ونتمنَّى أن تأتي "يوكيقو" وتشاهدها.

أمَّا عنكِ "يوكيقو" فالملتقى بهذه المرة تحديدًا تخليدٌ لذكرى المعلمة الراحلة، والاحتفالات من هذا النوع يصعب اللحاق بها بالموعد المحدَّد؛ لذا من فضلك تعالَي على الفور، "تائيقو" أيضًا عرفت بالأمر فجأة، وهي مُقصِّرة بتدريباتها، ولأوَّل وهلة فكَّرَت بالاعتذار عن المشاركة؛ ظنًّا منها أنه لا وقت، ولكن طالما الحفل

لتأبين مُعلِّمتها الراحلة فلا بُدَّ أن تقبل؛ ولذلك إن فاتتك هذه المرة فلن تأتي فرص أفضل لمشاهدة رقصات "تائيقو". إنها بظلِّ هذه الأجواء لا يُسعِفُها الوقت للاستعداد بشيء جديد؛ لذلك هي تتدرَّب في عجالة على رقصة العام الماضي "الثلوج" مرَّةً أخرى، إنما الملابس فقط هي التي لا يمكن أن تظهر بها مرَّةً أخرى؛ لذلك فالرِّداء الذي ابتاعته العام الماضي بصبغة متاجر "قوزوتشا" سيكون اختيارًا مثاليًّا سأجعلها ترتديه، حيث إنه سيشاهدها خيرةُ تلامذة المعلِّمة الراحلة والسيد "ساكو إينيه" مالك ساحة التدريب بـ "شينماتشي" في "أوساكا".

إنها تتدرَّب يوميًّا، وتراجع الألحان معي، وبتلك الأثناء كالمعتاد تُكدِّس كل شيء جانبًا بغرفة عَمَلِها لتستطيع مواصلة التدريب، وبالتالي فهي تجعلني أنا أيضًا مشغولة يوميًّا بالعزف، لكني أعزف مقطوعة "الثلوج" بالعود الياباني التقليدي؛ فأنا لا أجيدها على العود ثُلاثيِّ الأوتار. على أية حال، أنا لستُ مُستاءةً، وإن كان عليَّ أن أعير انتباهًا لعديد من الأشياء الأخرى التي ليس لي بذكرها في الخطاب؛ لذا أطلب منك المجيء. أريد أن أقصَّ عليك.

حين شارَكَتْ "تائيقو" بملتقى الرقصات العام الماضي لم تكن "تسوروقو" هنا، وبهذه المرة ليس لك أن تتغيَّبي أنت أيضًا".

كان هذا ما كتبته "ساتشيقو"، لكنها لم تتلقَّ أيَّ رَدٍّ من أيٍّ من أختَيْها؛ فتوقَّعَت أن تأتيها "يوكيقو" فجأة كما فعلت من قبل.

وفعلًا بمساء يوم العيد القومي[1] و"تائيقو" تتدرَّب مرتديةً ثيابها وممسكة بطرف ردائها بالغرفة الغربية الطراز رَنَّ الجرس:

"ماذا، أختي؟".

(1) يوم 11 فبراير كان يعتبر عيدًا قوميًّا وإجازة اليوم الامبراطوري من عام 1872 وحتى 1948.

وقبل أي أحد خرجت الصغيرة مُسرِعةً وتنادي بصوت عالٍ على "يوكيقو" بأختي الكبيرة كما اعتادت، ولا تنعتها بخالتي.

"أهلًا وسهلًا، تفضَّلي تفضَّلي".

واستقبلتها "أوهارو" وفتحت باب غرفة المعيشة.

دخلت "يوكيقو" ولم تجد سوى كرسي طويل واحد هو المتبقِّي، والمنضدة، وأخلوا المكان من كل المقاعد الوثيرة ذات المسند، والسجاد ملفوف وموضوع جانبًا، و"تائيقو" في المنتصف، وعلى رأسها الحليُّ المميَّزة باللون الوردي وبالملابس المذكورة في الخطاب سابقًا ذات النقوش بورد الكاميليا وفروع ثمار الخوخ بالثلوج على أوراقها ذات اللون الأرجواني الداكن وبيدها المظلَّة، و"ساتشيقو" بالزاوية تجلس على وسائد الجلوس الأرضية وبجانبها العود ذو الزخارف اللامعة والرسومات.

حين انزاح طرف الطبقة الثانية من رداء "تائيقو" ذي النقوش لجزيرة "أووچيما" تراءى لـ "يوكيقو" "تينوسوكيه" جالِسًا على المقعد الطويل؛ فأومأت له تُحيِّيه بهدوء.

"... يمكنني سماع ألحان العود من بُعد...".

"حبيبتي "يوكيقو" ظنَنتُكِ لن تأتي".

ووقع ناظرا "ساتشيقو" على أختها التي لم تلتقِ بها منذ حوالي ستة أشهر وكانت لا تزال تضع أناملها على أوتار العود، وأختها الحبيبة التي كوردَةٍ متفتِّحة في حياتها بدا على ملامحها الإرهاق من السَّفَر، لكنها لم تتخلَّ عن ابتسامتها.

"هل جِئتِ بالقطار السريع؟".

سألتها الصغيرة، لكنها لم تُجِبها واتَّجَهَت لـ "تائيقو" تسألها:

"هل هذا شَعرٌ مُستعار؟".

"نعم، جلبته اليوم سريعًا".

"رائعٌ، يليق بك أختي... أريده حين أعقص شعري لأعلى، وأنتِ ستساعدينني في تثبيته".

"حسنًا، وإن بدا جيِّدًا سأعيرك إيَّاه".

"ضعيه وأنت عروس، أمَّا أنا فسأضعه على رأسي وأبدو كالحمقاء الآن".

وألقت "ساتشيقو" بدعابتها وتلقَّتها "يوكيقو" بصدر رحبٍ والابتسامة على وجهها، فهي إن وضعت تاجًا على رأسها سيتوارى مُعظَمه من كثافة شَعرِها، وسيتبقى جزءٌ منه منسدلًا.

""يوكيقو" لقد جِئتِ بالوقت المناسب".

قالها "تينوسوكيه" مستطردًا:

"... اليوم جاءت "تائيقو" بالشَّعر المستعار وارتدت ملابسها وأدَّت الرقصات على أكمل وجه. إن يوم 21 بالشهر سيوافق يوم الثلاثاء، فلستُ متأكِّدًا من استطاعتي الحضور لمشاهدة العرض، ولكني رأيتها اليوم ترقص... لا ينقصها شيء".

"للأسف "إتسوقو" أيضًا لن تستطيع الذهاب".

"حقًّا! لماذا؟".

"إنها بهذه الآونة تبدو غير متحمِّسة".

"حسنًا إذن، وماذا عنك "ساتشيقو"؟".

سألتها "تائيقو" وبيدها اليمنى المظلَّة مفتوحة.

"الآن أريد أن أعزف مرَّةً أخرى".

"هيا التزموا الصمت، فلنبدأ من الأول".

قالها "تينوسوكيه"، ولحِقَت به "ساتشيقو" تُعيدُ نفس العبارة.

"هيا يا "تائيقو" ويا "ساتشيقو"... دعونا نشاهد".

""تائيقو" مُتعَبَة للغاية، هل سترقص مرَّةً أخرى؟".

وأجابت عنها "ساتشيقو".

"إنه مجرَّد تدريب، هيًا، فلنبدأ".

"أنا عن نفسي إن جلست على الأرض فلن أتحمَّل البرودة".

"سيدتي، هل أدخل المدفأة إلى هنا؟ إن جعلتها بالقرب منك ستُحدِث فَرقًا لحضرتك على ما أظنُّ"، سألت "أوهارو"

"حسنًا، اجلبيها".

"فلأسترِحْ قليلًا إذن"، قالتها "تائيقو" ووضعت المظلَّة جانبًا، وأمسكت بأطراف ثوبها، ورويدًا رويدًا بلغت المقعد الطويل حيث يجلس "تينوسوكيه" واستندت جواره وقالت:

"عفوًا، أمهِلوني دقيقة واحدة من فضلكم"، وأشعَلَت سيجارتها من نوع "GELEBE SORTE".

"أنا أيضًا أودُّ أن أغسل وجهي وسأعود"، وهمَّت "يوكيقو" بالخروج.

وعلَّقَت "ساتشيقو" قائلة:

""يوكيقو" حبيبتي دائمًا ما تبتسم هكذا".

"حبيبتي أنت، اليوم أتَتكِ "يوكيقو" و"تائيقو" ترقص لعدَّة مرَّاتٍ... ويا للترف الذي أنتِ به الليلة!".

"وماذا عن كل الالتزامات التي عليَّ القيام بها؟ إنني لم أُعِدَّ أي شيء لهذه الليلة".

"مهما كان، سَلِمَت يداك".

"ماذا تُفضّلين "تائيقو"؟ مأكولات شرقية أم بحريّة؟".

"في الحقيقة كلاهما جيد، اسألي "يوكيقو"".

"بما أنها منذ وقت طويل بـ "طوكيو" فبالتأكيد ستُفضِّل سمك الدِّنيس الطازج".

وأضاف "تينوسوكيه":

"ومن أجل "يوكيقو" سآتيكم بقنِّينة نبيذٍ أبيض".

"حسنًا، طالما الأمر كذلك فعليَّ أن أُقدِّم أفضلَ ما لديَّ بالرقص".

وعادت "أوهارو" بالمدفأة، وزمَّت "تائيقو" أطراف ثوبها بعدما أطفأت سيجارتها بآثار أحمر شفاهها بالمرمدة.

الفصل الثامن والعشرون

يوافق اليوم الحادي والعشرين من الشهر، و"تينوسوكيه" مشغول بمهام تنظيمية بالشركة، ويبدو أنه لن يتمكَّن من الذهاب للحفل، وبالصباح جاءته مكالمة هاتفية من زوجته تطلب منه حتى ولو المجيء لمشاهدة رقصة "الثلوج" فقط، وستخبره قبل أن تبدأ بقليل، وإن كانت تتمنَّى لو جاء من الآن، وبالفعل أخبرته "ساتشيقو" قرابة الساعة الثانية والنصف، لكنه ما إن أوشك على الخروج حتى جاءه عميلٌ واستمرَّ حديثهما في شؤون العمل حوالي نصف ساعة، وإذا لم يذهب الآن على وجه السرعة لن يلحق، وجاءته مكالمة أخرى من "أوهارو" لتتعجَّله، وخرج مُسرِعًا فور خروج عميله، وقطع المسافة من مكتبه بمحطَّة "ساكاي سوچي" حتى مصعد المجمع التجاري "ميتسوقوشي" على الناصية قبالة خَطِّ السكة الحديد كلها عَدْوًا دفعةً واحدة بدون أن يرتدي قُبَّعته.

صعد "تينوسوكيه" للطابق الثامن، وكانت لا تزال "تائيقو" تؤدِّي فقرتها.

على حسب قول "ساتشيقو" ملتقى اليوم ليس للجمهور العام، وإنما هو بالأساس لقرَّاء مجلة "كيكانشي" الدَّاعِمة لهذا الملتقى مع أعضاء جمعية "أوساكا" بجانب أعضاء الجمعية المحلية، ولم يكن من المتوقَّع أن يأتي كل هذا الجمع، ولكن يبدو أن الحدث نادِرٌ بهذه الأيام؛ لذا فالكثير ممَّن استلموا الدعوات لديهم الشغف. كل المقاعد انشغلت وظلَّت حشود تقف بالخلف. "تينوسوكيه" أيضًا لم يكن لديه مُتَّسع من الوقت للبحث؛ فانضمَّ للأشخاص الواقفين، لكنه تنبَّه فجأة لرجُلٍ عينه لصيقة عدسة آلة تصوير من نوع "Leica" موجَّهَة نحو منصَّة العرض، ترك مكانه للتَّوِّ ووقف في الصف الأخير مع باقي المشاهدين. إنه "إيتاكورا" بلا شك.

توارى "تينوسوكيه" هارِبًا لزاوية بعيدة بالجهة الأخرى كي لا يعثر عليه أحد، ومن حين لآخر تفحَّص خلسةً "إيتاكورا" الذي اختفى وجهه خلف طيَّةِ عُنُق سُترَتِه ويكاد لا يرفع رأسه عن آلة تصويره، وهو يلتقط الصور لـ "تائيقو" واحدة تلو الأخرى.

إنه كان يتعمَّد تفادي نظرات الناس، وإنما معطفه الذي جلبه معه من "لوس أنجلوس" بنقوشه المُبهِرَة كالَّتي يُفضِّلها نجوم الأفلام جعلته ظاهِرًا بين الجموع...

رقصة الثلوج هي نفسها التي أدَّتها "تائيقو" بالعام الماضي لذلك بهذه المرَّة لم يصدر منها ولا خطأ. بهذه المرة فور أن اتَّخذت قرارها بتقديم الفقرة بدأت التدريبات المتواصلة لمدة شهر فقط بعد توقُّف لفترة ليست بقصيرة، علاوة على أن هذه تُعَدُّ أول مرَّة ترقص بها على منصَّة أمام حضور رسميٍّ، فما يُقال عليه الجمعية المحلية هو مجرَّد منصَّة بغرفة يابانية الطراز بمنزل السيد "كاميسوجي"، لا تختلف عن

غرفة منزلهم، وإن كانت أيضًا هذه المنصَّة ليست بالاتِّساع المنشود، ولا تشعر بالبراح من حولها، لكنها ليست كالسابق تهاب الموقف أوَّلًا ثم يتحسَّن أداؤها؛ إنها اليوم لم تتوقَّف أو تخاف أبدًا، وقلقها تحديدًا من ابنة المعلِّمة "كيكو أوكاكنجيو"، مُعلِّمة عزف العود لـ "ساتشيقو"، والتي ستتولَّى العزف اليوم.

حين رآها "تينوسوكيه" وجد أداءها بمنتهى الثَّبات، دون أن تَفقِد حضورها، وكما هي على طبيعتها، وبفضل تدريباتها طيلة الشهر لم تكن مثل هؤلاء المبتدئات اللائي تَمَلَّكَهنَّ الخجل على خشبة المسرح.

هذا الأمر لا يدركه المشاهد العادي، لكن بالنسبة لـ "تينوسوكيه" الذَّوَّاقة، الذي لا يعبأ بالمدح أو الذَّمِّ، ويظن أن الرقص بجراءة هو ابتذال، فرأيه في أدائها المتحمِّس وهي امرأة تجاوَزَت التاسعة والعشرين من عمرها، ولو كانت فتاة جيشا لاعتُبِرَت مُسِنَّة جاء بمحلِّه وليس بغريب.

بالملتقى الراقص بالعام الماضي أيضًا بدت "تائيقو" أصغرَ من عمرها بعشر سنوات، واليوم الشعور بشخصيتها الحقيقية غالِبٌ. حتى وإن كانت الأزياء من عصر "طوكوجاوا" والعصور الوسطى تُكسِب السيدات عُمرًا فوق أعمارهنَّ، فهذا ليس بالنسبة لها؛ فحيويَّتها المعتادة وحماستها بملابس العصور السالفة تطغى.

فور انتهاء فقرتها لاحظ "تينوسوكيه" "إيتاكورا" وهو يخطو خطواته مُسرِعًا بالردهة وآلة تصويره على كتفه، وخرج من البوابة واختفت هيئته في نفس اللحظة، ومن بين مقاعد الحضور اندفع أحدهم بقوة ليخرج مُتعقِّبًا الفتى ذا السُّترة المُبَهرَجَة، ورآه "تينوسوكيه" يخرج هو الآخر من نفس البوَّابة ويختفي.

تفاجـأ "تينوسـوكيه" مـن فعـل ذاك الشـاب الأنيـق، لكـن بعدهـا بلحظـات أدرك أنـه "أوكوباتـا"، وخـرج بـدوره ولحـق بهـما.

"لماذا تلتقـط الصـور لـ "تاثيقـو"؟ ألم تقطـع عـلى نفسـك وعـدًا بأنـك لـن تفعـل؟".

حـاول "إيتاكـورا" كَظْـمَ غيظـه والسـيطرة عـلى نفسـه كي لا تعلـو نـبرة صوتـه وهـو يوبِّخـه، و"إيتاكـورا" انتفخـت أوداجـه وتجهَّمَـت ملامحـه إثـر مـا يتلقَّـاه مـن إهانـاتٍ، واسـتمع في صمـت مُنكِّسًـا رأسـه.

"... أعطني هذه الكاميرا".

قالهـا "أوكوباتـا" وكأنـه مُحقِّـق يتقفَّـى أثـر جريمتـه. جـذب "إيتاكـورا" إليـه وفَـكَّ أزرار سـترته وأدخـل يـده بجيـب ملابسـه وأخـرج آلـة التصويـر وانتزعهـا منـه، وهـمَّ بإدخالهـا بجيبـه، لكنـه انتظـر برهـة وفكَّـر بـشيء مـا، فأخرجهـا وتحسَّـسـها بأصابعـه وفتـح عدسـتها، وبعـزم قوَّتـه ألقـى بهـا عـلى الأرض الخرسـانيَّة وذهـب دون أن يلتفـت خلفـه. في طرفـة عـين حـدث هـذا كلُّـه، وحـين تنبَّـه الحضـور مـن حولهـم كان "أوكوباتـا" غـادر بالفعـل ولا يُلمـح ظِلُّـه، وإلتقـط "إيتاكـورا" آلـة تصويـره مـن عـلى الأرض وغـادر مُحبَطًـا.

روى "تينوسوكيه" المشهد لاحِقًا:

"لا أدري مـن أيـن ظهـر "أوكوباتـا"، لكنـه بـلا شـك كان يبحـث عـن "إيتاكـورا" هنـا وهنـاك مـن البدايـة، ورآه بنهايـة الفقـرة بنفـس الوقـت الـذي رأيتُـه أنـا، وبمجـرَّد أن وقعـت عينـا "أوكوباتـا" عـلى "إيتاكـورا" وهـو يخـرج مُسرِعًـا حتـى لحـق بـه وأمسـكه دون أن يضيِّـع الفرصـة. لا يمكـن الحكـم عـلى المشـهد ككل؛ فيبـدو أن هـذا الموقـف لـه ملابسـاته".

هكـذا قَـصَّ "تينوسـوكيه" عـلى زوجتـه، لكـن تُـرى إن كان شـاهد هـذه المسرحيـة الهزليـة مـن قُـربٍ، فهـل لم يلحظـه أي منهـما؟ أم لاحظـاه، ومـن خجلهـما تَظاهَـرَا بالعكـس؟ هـذا مـا لم يعـرف حقيقتـه.

قالـت "ساتشـيقو" إنهـا هـي الأخـرى لم تتوقـع مجـيء "أوكوباتـا" للملتقـى اليـوم، وحـين قابـل "تائيقـو" شـعرَت بوجـود خطـب مـا، وسـألتها بالفعـل، ووجدتهـا لا تـدري شـيئًا، ربمـا لأنهـا لم تتطـرَّق بالحديـث معـه عـن أي شيء بخصـوص اليـوم.

"أوكوباتـا" بـأي يـوم بخـلاف الأحـد -أي بمسـاء كل يـومٍ- يتواجـد بالمتجـر لبضـع سـاعات ليـزاول عملـه، وعـادة مـا لا يـبرح مكانـه، هكـذا تقـول "تائيقـو"، لكـن ربمـا بعـد مـا ذُكِـر عـن هـذه المناسـبة بعـدَّة أسـطر بمقـالٍ بعمـود الفنـون الجديـدة قـرأ "أوكوباتـا" عنهـا وعـرف بشـأنها، ومـن الطبيعـي أن يُخمِّـن اشـتراك "تائيقـو"، وبطريقـة مـا حصـل عـلى الدعـوة، وفَكَّـر في الحضـور والتواجُـد بـين مقاعـد المشـاهدين، لكـن قبـل بـدء فقـرة رقصـة "الثلـوج" لم ينتبـه إليـه أحـد، حتـى إن "يوكيقـو" تواجَـدَت بالأكـثر بـين صفـوف المشـاهدين، وليـس بغرفـة الملابـس، وإذا كان حـضر فـلا بُـدَّ أنهـا لاحظتـه، لكنهـا لم تذكـر شـيئًا. ربمـا هـي دخلـت مـن بعـده، أو ربمـا أضمـر "أوكوباتـا" بنفسـه شـيئًا واختبـأ بـين الجمـوع كي لا يجـده أحـدٌ، وهكـذا لم تعلـم "تائيقـو" أيضًـا بمجيئـه هـو أو "إيتاكـورا".

أضافـت "ساتشـيقو" أنهـا هـي أيضًـا و"يوكيقـو" لم تكـن أيٌّ منهـما عـلى عِلـمٍ بوجـود أيٍّ مـن الاثنـين، والأكـثر أنـه لا أحـد منهـم يـدري شـيئًا عـن واقعـة المشـاجرة تلـك.

"بهـذه الحالـة فـإن كلَّ مَـن بغرفـة الملابـس لا يـدرون شـيئًا، فحقًّـا لـو عـرف أيُّ أحـد بـشيءٍ لسـاء الوضـع أكـثر".

"إذن، "إيتاكـورا" كان هـو الطـرف الأضعـف؛ لـذا لم يَـزِد مـن المشـكلة، لكـن مـن أجـل "تائيقـو" تنـاسى الشـابَّان أيـن هـما، وتشـاجَرَا. حقًّـا إنـه

موقف لا تُحسد عليه، وسرعان ما سيُذاع الخبر بين الناس، تُرَى ما أنسب حَل؟".

"أنت تقول هذا لأنك دائمًا ما تبحث عن القلق".

"بالفعل أقلق، ولكني ليس بيدي شيء... هل لا تزال "يوكيقو" لا تدري بشأن "إيتاكورا"؟".

"لقد استدعيتها هذه المرَّةَ لأخبرها وأتناقش معها، لكنِّي لم أفعل بعدُ...".

بالحقيقة نَوَت "ساتشيقو" أن تفعل بعد انتهاء الحفل، وبعدما دار هذا النقاش بين الزَّوجَيْن ببضعة أيام، أرادت "تائيقو" أن تُلتقط لها صور وهي ترقص؛ فأخذت هذه الملابس مرَّةً أخرى وطوتها بحقيبة وجمعت حُليَّ شعرها بصندوق وأخَذَت المظلَّة وكدَّسَت كلَّ شيء بسيارة أجرة وانطلقت، وبقيت الأختان لحالهما، وسنحت الفرصة أخيرًا.

"بالتأكيد "تائيقو" ذاهبة لمتجر "إيتاكورا"".

وكان هذا مُنطَلَقَ الحديث، وقصَّت عليها "ساتشيقو" باختصارٍ بدايةً من تَلَقِّيها الصدمة بتحذير "أوكوباتا" لها وهي بـ "طوكيو" في سبتمبر الماضي، وصولًا إلى مشهد المشاجرة بالرَّدهة يوم الملتقى الراقص مُؤخَّرًا.

"إذن، انكسرت الكاميرا الـ "leica"".

وكان هذا أوَّل تعليق من "يوكيقو".

"وماذا كان سيفعل! على الأقل خُدِشَت العدسة على حدِّ قول "تينوسوكيه"".

"إذا تَضرَّر الفيلم أيضًا فلن يستطيع إصلاح شيء".

"حقًّا! لا أدري...".

رَوَت "ساتشيقو" وهي تتوخَّى الحذر وتراقب"يوكيقو" التي استمعت لها في هدوء.

"أنا أيضًا بهذه المرة فعلًا أشعر بمعنى تَعرُّض "تائيقو" للخيانة ويثور غضبي حين أفكذِر بالأمر... إذا قُلتُ إن الموضوع منذ مدَّة طويلة أجد أن الوضع لا يُبشِّر بالخير أبدًا؛ فمن البداية ومثل هذا الشخص يثير المتاعب، حتى بالنسبة لك".

"حقًّا أنا لا أدري".

"الأمر ليس جيِّدًا على الإطلاق، بداية من حادث الجريدة ونحن نتأذَّى إلى أقصى حد... مثلًا من ناحية عروض الزواج التي تأتيك "يوكيقو"، ربَّما لو لم يحدث ذلك لَمَا انجرَحَت مشاعرك، ولما أعاقك شأن أختك... رغم أنَّ من عادتك دائِمًا أن تدافعي عنها وتقفي بِصَفِّها، إلَّا أنها لم تَبُح لكِ ولا بكلمة واحدة عن "إيتاكورا" ووعودها له".

"هل تحدَّثت مع "تينوسوكيه"؟".

"نعم، لم أستطع كتمان الأمرَ بقلبي وحمله بمفردي أكثر من ذلك".

"وما رأيه؟".

"ليس له رأي. يعتبر نفسه غريبًا عن العائلة، وليس له أن يتدخَّل... هكذا يقول".

"ولماذا؟".

"يقول إن شخصية "تائيقو" غامضة... بمعنى أنها لا تثق بأحد، وستقول له ليس من شأنك، لكنه يَظُنُّ أن شخصية مثلها مُستَقِلَّة بحالها يُستَحسَن ألَّا يُوجِّه إليها الحديث من منطلق إنقاذها من المشاكل؛ فهي إن أرادت الزواج من "إيتاكورا" ستفعل، ومن الأفضل

تركها تفعل ما ترغب به مهما كان. إنها ستفعل ما تريده، وهذا ما يميل إليه "تينوسوكيه"، وأنا أختلف معه، وناقَشتُه".

"من وجهة نظري تحدَّثي إليها".

"هذا حقًّا ما أريده. لا سبيل لنا سوى أن نتحدَّث إليها أنا وأنتِ "يوكيقو" بالتناوُب؛ لعلَّنا نُصحِّح تفكيرها، والأهم أن عليها الانتظار إلى أن يَتمَّ زواجُكِ".

"أنا حقًّا لا أُمانِع أبدًا أن تتزوَّج قبلي إن التقت بشريك حياتها، لكن...".

"لكن ليس لدرجة "إيتاكورا"".

"على وجه العموم، هل لها أن تختلف معنا على أنَّه من مستوى أقل؟".

"لا أعرف".

"أنا عن نفسي لا يناسبني أن يكون لي أخٌ مثل "إيتاكورا"".

توقَّعَت "ساتشيقو" أن يكون رأى "يوكيقو" مثلها بالطبع، ووجدت موقفها معارِضًا أكثرَ منها، لكن بشخصيتها المتحفِّظة ليس لها أن تُصرِّح بذلك، وبالمثل تُرحِّب بموضوع "أوكوباتا"، وعن طيب خاطر، مُقارَنةً بـ "إيتاكورا". إنها توافق "ساتشيقو" الرأيَ تمامًا، وفوق ذلك تبدو أكثر اقتناعًا من وجهة نظرها بزيجة "أوكوباتا" مهما كانت.

الفصل التاسع والعشرون

بعـودة "يوكيقـو" أصبـح بيـت "أشـييا" مُنمَّقًـا مـرَّةً أخـرى كـما كان مـن قبـل وبعـد مـرور فـترة طويلـة.

"يوكيقــو"، قليلــة الــكلام، الهادئــة، التــي لا تشــعر بحضورهــا مــن عدمـه؛ فهـي نشـأت وحيـدةً ببيـتٍ مُميَّـز لم يكـن يعـجُّ بالحركـة، وتـوارت البهجـة بشـخصيتها الفريـدة. إن اجتمـع ثلاثتهـم تحـت سـقفٍ واحـد حلَّـت نسـائم الربيـع، وإن غابـت إحداهـنَّ فُقِـد الانسـجام.

جديـرٌ بالذِّكـر أن بيـت عائلـة "STOLZ" الـذي ظـلَّ شـاغِرًا لمـدَّةٍ طويلـة أخـيرًا تَـمَّ تأجـيره، وبـكل مسـاء ينعكـس بريـق لهـب موقـد الطهـي عـلى البـاب الزجاجـي.

السـاكن الجديـد سـويسريٌّ، وهـو مستشـار بشركـة في "ناجويـا"، وهـو غـير متواجـد باسـتمرار بالمنـزل، وباقـي الأسرة يظهـر عـلى هيئتهـم أنهـم أجانِـبُ. ربَّـة المنـزل شـابَّة تبـدو فلبِّينيَّـة أو صينيَّـة، وتغـزل الكِتَّان لكسـب

لقمة عيشها، وهما ليس لديهما أطفالٌ؛ لذا فلم يَعُد المنزل مُبهِجًا كما كان بالسابق، بل كثيرًا ما يقبع في سكون، لكن على أية حال فالفرق شاسِعٌ قبالة السور بوجود أناس تُعمِّر البيت الغربي الطِّراز بعدما كان خاويًا تسكنه الأشباح. مرَّةً أخرى تمنَّت "إتسوقو" لو كان بالجوار طفلة مثل "روزماري"، وتحطَّمَت آمالها، ولكنها استطاعت أن تُكوِّن العديد من الصداقات الجديدة مع رفاقها بالصف، والفتيات هُنَّ الفتيات بأيَّة مرحلة كانت، يصنعن عالمهن الخاص، ويتبادَلنَ الدَّعوات للاحتفال بأعياد ميلادهن، ويجتمعن بلقاءات لاحتساء الشاي.

ظلَّت "تائيقو" في انشغالٍ دائم كالمعتاد، والساعات التي تقضيها خارج البيت أكثر ممَّا تُمضيها به. حدث باليوم الثالث من الشهر أنها لم تتواجد على العشاء لأوَّل مرَّة، ولم يتصوَّر "تينوسوكيه" غيابها، بل ظَنَّ أنها بالبيت ولكن تُفضِّل البقاء لحالها بعيدًا عن الصخب؛ فثارت مخاوفه التي خبَّأها في سريرته؛ تُرى، هل بهذه المرة ستحدث قطيعة بين "تائيقو" وأُختَيْها؟ وماذا حدث بينها وبين "يوكيقو" تحديدًا؟

لكنه بأحد الأيام حين عاد بالمساء لم يجد زوجته؛ ففتح الباب الجرَّار للغرفة اليابانية الطراز بحثًا عنها، ووجد "يوكيقو" تقف بالشرفة، و"تائيقو" منحنية تُقلِّم لها أظافر قدميها، فسألها عن "ساتشيقو" وأجابته:

"إنها ذهبت إلى السيدة "كواياما" وستعود على الفور".

كانت "تائيقو" بوقت فراغها تُسوِّي لـ "يوكيقو" أظافرها، وتأخذ طرف قدمها برفقٍ وتَلفُّها بحواف ملابسها، وتجمع براحة يدها زوائِدَ الأظافر المتطايِرَة.

أغلق "تينوسوكيه" الباب مرة أخرى، وتلك اللحظة تركت بنفسه عظيمَ الأثر؛ فمشهد العلاقة الجميلة بين الأختين شَعر وكأنه يلقِّنه درسًا ليُصحِّح مفاهيمه؛ ففيما بين الأخوات مهما اختلفت الآراء لا يقع الخصام.

بعد مرور أيام قليلة من شهر مارس، وبليلة أوشك بها "تينوسوكيه" أن يخلد للنوم فجأةً فتح عينيه بعدما شعر بدموع زوجته تنهمر على وجنتيها، فلقد استمع لنحيبها الخافت في الظلام الدامس، وسألها:

"ماذا حدث؟".

"الليلة... أنت... هذه الليلة بالضبط هي ذكرى وفاته الأولى".

قالتها "ساتشيقو" وهي تحاول التقاطَ أنفاسها المختنقة بالبكاء.

"ألم تَنسي بعدُ؟ إلى متى سأظلُّ أقول لك ما باليد حيلة؟".

مسح "تينوسوكيه" دموع زوجته التي تنهمر دون توقُّف وهو يُقبِّل شفتيها وتتملَّكه الدهشة من تَبدُّل حالها فجأة بهذا المساء؛ فقبيل النوم كانت بخير حال.

لكن بالتأكيد بالعام الماضي بنفس الشهر كانت مُقابَلة "يوكيقو" مع السيد "نومورا" الذي تقدَّم للزَّواج منها بعد التعارُف عن طريق السيدة "چينبا" وزوجها؛ لذا ففي مثل هذا اليوم يكتمل العام مرورًا على إجهاضها.

ورغم أنه لا يتذكَّر على الإطلاق، إلَّا أنه لا عجب من أنها لا تزال بمكنون قلبها حزن عميق، وليس من الغريب أن تداهمها مثل هذه المشاعر من حين لآخر على هذا النحو.

بالعام الماضي أيضًا حين ذهبوا إلى "أراشياما" لمشاهدة تفتُّح الزهور، وبالخريف حين ذهبوا لمسرح الـ "كابوكي" وخرجت هي لردهة المسرح، وحين كانوا على جسر "جتسوكيو" بكل مرة يرى

زوجتـه بهـذه الحالـة دموعهـا تنهمـر عـلى حـين غـرَّة، وبعدهـا تعـود الأمـور لطبيعتهـا وكأن شـيئًا لم يكـن، وهـذا مـا بـدا أنـه سـيحدث بهـذه المـرة أيضًـا؛ فمـع شروق الشـمس نسـيت "ساتشـيقو" بكاءهـا أثنـاء الليـل.

كانـت "كاترينـا" صديقـة "تائيقـو" سـتغادر بهـذا الشـهر إلى ألمانيـا عـلى مـتن السـفينة الفاخـرة "SCHARNHORST"، وبعـد ضيافتهـا لعائلـة "تينوسـوكيه" بالعـام المـاضي ببيتهـا في "شـوكوجاوا" كان يتوجَّـب عليهـم رَدُّهـا، لكـن مـرَّت الأيـام وتقابَلَـت الوجـوه مـن حـينٍ لآخـر بالقطـار في الذهـاب والإيـاب ولم يحـدث، وإنمـا كان دائمًـا مـا يبلـغ مسـامعهم أخبـار عائلـة "كورلينقـو" وصديقهـم "أورونسـكي" مـن "تائيقـو".

بعـد فـترة فقـدت "كاترينـا" شـغفها بتصنيـع الدُّمـى دون أن تتخـلَّى عـن مهامِّهـا، بـل لم تُعـطِ الأمـرَ أهمِّيَّـة، وظلَّـت تـتردَّد عـلى غرفـة أشـغال "تائيقـو" وتطلـب منهـا النصـح والتوجيـه فيـما تعرضـه عليهـا مـن منتجات جديـدة، وخـلال السـنوات الثـلاث تطـوَّرَت مهاراتهـا بنسـبة كبـيرة، ودون أن تـدري متـى كانـت البدايـة تحديـدًا أصبـح لديهـا صديـقٌ ألمـاني مُقـرَّب يُدعَـى "RUDOLF"، وبـدا أنهـا مشـغوفةٌ بمُواعَدَتِـه، وظنَّـت "تائيقـو" أنهـا سـتفقد حماسـتها للعمـل عـمَّا قريـب.

"RUDOLF" هـو شـابٌ مُوظَّـف بفـرع لإحـدى الـشركات الألمانيـة في "قوبيـه"، وتعَرَّفَـت "تائيقـو" بـه مـن ذي قبـل ببلـدة "موطوماتـشي" ومـن بعدهـا وهـي كثـيرًا مـا تصادفهـما يتجـوَّلان. كان الرجـل طويـل القامـة، قـويَّ البنيـة، وبسـيطًا أكـثر مـن كونـه فتًـى ألمانيًـا جذَّابًـا. اتَّخـذَت "كاترينـا" قرارهـا لاحِقًـا بالذهـاب إلى ألمانيـا بعـد تَعرُّفهـا عليـه ومحبَّتهـا لبلـده، ومـن خلالـه تقرَّبَـت لأختـه الكبـيرة في برلـين، ويبـدو أن هـذا مـا كانـت تُعـدُّ لـه؛ فـ "كاترينـا" دائمًـا كان هدفهـا الأول والأخـير هـو العبـور لانجلـترا حيـث تقطـن طفلتهـا مـن زوجهـا السـابق، وبذهابهـا إلى "برلـين"

وفور أن تطأ قدمها قارة "اوروبا" ستشقُّ طريقها على الفور بما معها من نفقات سَفَرٍ وما لديها من علاقات؛ ممَّا يعني أن سفرها هو مُجرَّد نقطة انطلاق.

"حسنًا، إذن لن تكوني مع "يودوفو" على متن نفس الباخرة؟".

إن "يودوفو" باليابانية تعني "طعام الطووفو الملوَّن"، وكانت "تائيقو" تُلقِّب "RUDOLF" بهذا الاسم من قبيل الدعابة، ووصلت هذه الفكاهة إلى "ساتشيقو" وعائلتها، وأصبحوا هم أيضًا يطلقون عليه "يودوفو"، رغم أنهم لم يلتقوه بَعدُ.

""يودوفو" موجودٌ باليابان، أليس كذلك؟ "كاترينا" تلقَّت بطاقة الاستضافة من أخته، وبها ستذهب وحدها، صحيح؟".

"مضبوط، وبالرغم من ذلك فهي إن ذهبت "إلى انجلترا واستعادت ابنتها لن تعود إلى "برلين" أو تلتقي "يودوفو" بعد عودته لبلاده".

"حقًّا... ربَّما الأمر ليس كذلك".

"لو هكذا فإن "يودوفو" دوره ينتهي هنا".

"معقول!".

"هل الموضوع بهذه البساطة؟".

"حقًّا يبدو هكذا".

دار الحديث بينهم بتلك الليلة على طاولة العشاء، وتدخل "تينوسوكيه":

"في الأصل هذا كله لأن حبهما مُجرَّد لعبة".

"مثل هذين الشَّخصَين إن بَقِيَا مع بعضهما البعض باليابان بلا زواجٍ؛ بالطبع سيسوء الوضع بشكلٍ أو بآخر".

قالتها "تائيقو" كمحاولة منها للدفاع عن "كاترينا".

"بالمناسبة، متى ستغادر السفينة؟".

"المغادرة بعد غد بالظهيرة".

وسألت "ساتشيقو" زوجها:

"وأنتَ، ما ظروفك بعد غد؟ ألن تذهب معنا لوداعها؟ يا للأسف أننا لم نُحسِن إليها صنيعًا بأي شيء".

"ها قد أنهَيتُ طعامي وتَمَّ إطلاق سراحي".

"هكذا! إذن فأنت ذاهِبٌ معنا. "إتسوقو" عندها مدرسة، وبخلافها سيذهب الجميع".

""يوكيقو" ستذهب أيضًا؟".

وتساءَلَت الصَّغيرة "إتسوقو":

"سأذهب لأرى الباخِرَة".

أجابتها "يوكيقو" وهي تَضمُّ أكتافها وتُهَمهِم.

بذاك اليوم ترك "تينوسوكيه" عَملَه ساعةً بمنتصف النهار ليذهب مباشرة إلى "قوبيه"، وأسرع خطواته ليصل أخيرًا للرَّصيف البحري. لم يكن هناك مُتَّسَع من الوقت ليتحدَّث مع "كاترينا" بتروٍّ؛ فلقد جاء لوداعها جدَّتُها وأخوها وصديقهم "أورونوسكي"، وأيضًا "ساتشيقو" وأخواتها، بجانب الشخص الذي حدَّثَتهم عنه "تائيقو": "RUDOLF"، وبضعة أشخاص يابانيِّين آخرون لا يعرفونهم.

بعد مغادرة السفينة تحدَّثَت عائلة "تينوسوكيه" مع عائلة "كرلنقو" وهم يترجَّلون بطريق العودة على الرصيف البحري، وبمجرَّد أن تَفرَّقوا بالطريق الساحلي اختفى على الفور "RUDOLF" والآخرون.

"هـذه الجَـدَّة، حقًّـا لا أدري كـم عمرهـا، لكـن عـلى مـا يبـدو هـي لا تكـبر بالسِّــنِّ أبـدًا".

وتساءَلت "ساتشيقو":

"تُرى، هذه الجَدَّة هل لديها فرصة للقاء "كاترينا" مرَّةً أخرى؟".

"إنها تتمتَّع بالصلابة مهما كان عمرها".

وأضافت "يوكيقو":

"إنهـا لم تـذرف حتـى دمعـة واحـدة، مـع أننـي عـلى العكـس تمامًـا كنـتُ أبـكي، وخجلـتُ مـن نفـسي".

"الآن الحـرب عـلى وشـك أن يشـتعل فتيلُهـا، فـإن اسـتطاعت أن تخـرج مـن أوروبـا عـن طريـق ألمانيـا مـع ابنتهـا سـيكون شـأنًا عظيـمًا، لكـن الأعظـم حقًّـا كان خـروج هـذه الجَـدَّة مـن بلادهـا؛ فشـخص مثلهـا ربمـا وصـل لهـذا الهـدوء بعـد معانـاة غـير مُتوَقَّعـة بأوقـات عصيبـة مأسـاوية وقـت الثـورة".

""كاترينـا"، حـين أفكّـر في أنهـا وُلِـدَت في روسـيا، ونشـأت في "شـنغهاي"، وعاشـت في اليابـان... وهـا هـي الآن تعـبر مـن ألمانيـا إلى انجلـترا!".

"والجَدَّة الكارهة لانجلترا سيسوء مزاجها مرَّةً أخرى بالتأكيد".

وتعالـت الضحـكات وقهقهـة الجميـع حـين شرعـت "تائيقـو" في محاكاة الجـدَّة، ومـا قالتـه للتَّوِّ:

" أنــا، "كاترينــا" دائمًــا نتشــاجر. كاترينــا تذهــب. أنــا لا أحــزن. أنــا فَرِحَــة".

الفصل الثلاثون

""كاترينـا" التـي التقيناهـا اليـوم كانـت مُفعَمـةً بالأنوثـة أكـثر مـن ذي قبـل، لم أظـن أنهـا بهـذا الجـمال، لقـد اندهشـتُ".

وسـارت عائلـة "تينوسـوكيه" عـلى ممـشى الرصيـف البحـري إلى أن وصلـوا لمطعـم "إيكوتـا" واتّخـذوا مقاعدهـم بعـد مرورهـم مـن سـتائر بوابـة المتجـر واصطفُّـوا في أماكنهـم بالترتيـب: "ساتشـيقو" "تينوسـوكيه" ثـم "يوكيقـو" و"تائيقـو"، واسـتمرَّ حديثهـم.

أضافت "تائيقو":

"الأمـر ليـس هكـذا، إنهـا مسـاحيق التجميـل؛ واليـوم هـي أيضًـا متأنِّقة بملابسـها. إنهـا بعدمـا تعرَّفَـت عـلى "يودوفـو" تغـيَّرَت طريقـة اسـتخدامها لأدوات التجميـل، وتغـيَّرَت تعبـيرات وجهها ككُل".

"إنهـا لديهـا ثقـة بالنفـس، "تائيقـو"... تعلَّمـي منهـا مـن فضلـك، لـو كنـتُ بمكانهـا سـأذهب إلى أوروبـا بالتأكيـد إن وجـدتُ رَجُـلًا غنيًّـا أتزوَّجـه".

"وحينها تصبحين غنيَّةً جدًّا".

"إنهـا عملـت مـن قبـل مُمرِّضـة في "شـنغهاي"... لـو ضـاق بي الحـال سـأفعل مثلهـا، ولكنهـا بالتأكيـد وقتهـا لم تحصـل سـوى عـلى راتـب ضئيل".

"لقد انقطعت صِلَتُها بـ "يودوفو" اليوم".

"على ما يبدو".

"بنـاء عـلى مـا لاحظتـه مؤخَّـرًا، تُـرى، هـل سترسـل لـه خطابًـا بعدمـا وفَّـرَت لهـا الإقامـة أختُـه؟ وهـل "يودوفـو" اكتفـى بالأمـر هكـذا؟".

"إنـه رفـع يـده يُلـوِّح لامـرأةٍ عـلى مـتن سـفينة، غـيرَ عابِـئٍ، والتـفَّ وغـادر قبلنـا كُلَّنـا".

"لو كان يابانيًّا لما فعل ذلك".

"لو تُشبِّهه باليابانيين لأصبح "طووفو بالخَلِّ"".

ولم تفهـم أيٌّ منهـنَّ مـا مقصـد "تينوسـوكيه" ببدايـة حديثـه بقول"مفعمـة بالأنوثـة"، وسـألته زوجتـه:

"ماذا تقصد؟ هل شيء برواية فرنسية ما؟".

"نعم، ربما بروايات FERENC MOLNAR".

كان المتجـر ضيِّقًـا للغايـة، بالـكاد يكفـي لعـشرة مقاعـد مـن الزبائـن. بخـلاف عائلـة "تينوسـوكيه" كان هنـاك بالجـوار شـخصٌ بـدا أنـه صاحِـبُ مَتجَـر صرافَـة، يصطحـب معـه اثنـين أو ثلاثـة مـن العاملـين، وبالناحيـة الأخـرى ثـلاث مـن فتيـات الجيشـا تتزيَّـن رؤوسـهن بالحـليّ. بهـذا امتـلأت كل المقاعـد بالمتجـر، وبالـكاد تجـد مُتَّسـعًا ليمـرَّ أحدهـم مـن الفـراغ بـين مقعـد والجـدار، ورغـم ذلـك بمجـرَّد فتـح البـاب الجـرَّار تجـد الجمـوع في الانتظـار يحدِّقـون إلى الداخـل، ويتفقَّـدون الأحـوال، ويناشـدونهم لإيجـاد مـكان شـاغر، حتـى إنهـم يتوسَّـلون. الزَّبائـن لا تنقطـع عـن هـذا المـكان؛ فهـو مـن أفضـل متاجـر "السـوشي"، ويبيـع أيضًـا مختلـف أنـواع الحسـاء باللحـم، وحتـى زبائنـة الدائمـون ليـس لهـم الأولويـة، ويواجَهـون بالرفـض الصـارم، وباختـلاس النظـر للداخـل يدركـون بـأي وقـت يمكنهـم الدخـول.

عـلى هـذا المنـوال، الزَّبائـن القادمـون إذا لم يكـن توقيتهـم باللحظـة المناسـبة لـن يتمكَّنـوا مـن الدخـول، وأيضًـا الزبائـن الدائمـون الذيـن يطلبـون الحجـز بالهاتـف مُسـبَقًا إذا مـرَّ أكـثر مـن خمـس عـشرة دقيقـة يُعتـبر الحجـز لاغيًـا، وليـس أمامهـم فرصـة سـوى التجـوُّل بالمنطقـة لسـاعَةٍ أو أكـثر حتـى تسـنح لهـم فرصـة مـرة أخـرى.

في الأسـاس العجـوز مالـك المتجـر هـو رَجُـلٌ تعلَّـم بمطعـم "YOHEI" في طوكيـو الذائـع الصيـت في عـصر "ميجـي"، وإن كان مـذاق السـوشي لديهـم يختلـف، حيـث إن ذاك الرجـل تَعلَّـم بطوكيـو لكـن مسـقط رأسـه في "قوبيـه" التـي تشـتهر بكـرات الأرز بالأطعمـة البحريـة؛ فجمـع الرجـل

بـين كل مـذاق مميَّـز، فمثـلًا هـو لا يسـتخدم الخَـلّ الأصفـر كالمتَّبـع في طوكيـو بـل يسـتخدم الأبيـض، وأهـل طوكيـو لا يسـتخدمون صلصـة الفـول الصويـا التـي يسـتخدمها بكـثرة أهـل إقليـم "كانسـاي"، ويـوصي بـأكل المأكـولات البحريـة المملَّحـة مـن جمـبري وكابوريـا وغـيره مـن صنـع يديـه.

بمتجـره الطحالـب البحريـة والأسـماك تُلتَقـط مـن المياه مباشرة أمـام أعـين الزبائـن؛ فمـن وجهـة نظـره "لا سـوشي بـدون سـمك"، كـما كان رأي مالـك متجـر "YOHEI" بالمـاضي، ولهـذا السـبب تحديـدًا اعتُـبر امتـدادًا لـذاك المتجـر الشـهير بطوكيـو.

فهـو يتبـع نهجـه بدايـة مـن ثعابـين البحـر، السَّـمك النَّفَّـاخ، سـمك الصُّخـور الأحمـر، سـمك السريـولا، لحـم الزعنفـة للسـمك المُفَلطَـح، المحـار، شرائـح اللحـم الأحمـر للحيتـان وصـولًا إلى فُطـر عُـشّ الغـراب بأنواعـه، وبراعـم الخيـزران وفاكهـة الـكاكي، إنمـا سـمك التونـة فـلا يحظـى بقبولهـم ولا يتوفَّـر كثـيرًا.

إنـه مشـهور أيضًـا بالخُـضَر المقليَّـة وبإعـداده للوجبـات أمـام أَعيُن الزبائـن ويقـدِّم القريـدس والمحـار حيًّـا يتحـرّك، ويطهـو الأرز بالفلفـل وبراعـم أوراق الخـضروات بـدلًا مـن الفجـل. "تائيقـو" كانـت أوّل مـن اكتشـفت هـذا المتجـر وتعرفـه مـن ذي قبـل. إنهـا كثـيرًا مـا تتنـاول طعامهـا بالخـارج، وتـدري جيِّـدًا بأنبـاء المطاعـم الشـهية بالجـوار مـن "موطوماتـشي" إلى "سـانّوميا" و"قوبيـه" أيضًـا؛ نظـرًا لظـروف عملهـا.

قبـل أن ينتقـل المتجـر لموقعـه الحـالي كان بمـكان أصغـر بشـارع ضيِّـق، وسرعـان مـا انتقـل لهـذا المـكان بعدمـا وسَّـع نشـاطه. عرَّفَـت "تائيقـو" أختهـا "ساتشـيقو" وزوجهـا بـه، وقالـت لهـما إنـه يشـبه الأماكـن المذكـورة بالروايـات البوليسـية التـي كانـت بمجلـة "شـباب العـصر"، الطفـل المشـوَّه ذو رأس كالمطرقـة الخشـبية العملاقـة بجسـد قـزم.

سمع "تينوسوكيه" وزوجته ذاك الوصف منها من قبل مرارًا وتكرارًا، وإنما بسماعهم للردود الفظَّة على الزبائن التي لا مكان لها، وبرؤيتهم لملامح العاملين المفعَمَة بالإثارة وهم بقبضاتهم سكاكين المطبخ، وبنظراتهم وحركات أيديهم التي يرونها بأنفسهم الآن وجدوا وصف "تائيقو" المفصَّل يحاكي الواقع بشكل عجيب.

إنهم يَصفُّون الزبائن في طابور ويستمعون لطلباتهم ويأخذون الأسماك أوَّلًا وفقًا للطريقة التي يُفضِّلونها هم، والكل يدلي بطلبه بالدَّور، ثم القريدس، ويليه سمك الهلبوت، وعلى هذا النحو تُقَدَّم الأصناف، وقبل الانتهاء من الطبق الأول يُعَدُّ الثاني، وهذا كله وهمْ بمزاج حادٍّ.

يقدَّم "السوشي" لبضع مرَّات، حتى لو لم تَنتَهِ من الأكل بعدُ، ويمكن طلب أخذ الطعام المتبقِّي، والأنواع المتوفِّرة تختلف يومًا عن يوم، وإنما سمك الدنيس والقريدس متوفِّر دائمًا؛ فسمك الدنيس في صدارة الطلبات دائمًا، والزبائن التي تسأل أسئلةً هوجاءَ مثل: "ألا يوجد شرائح دهن التُّونة؟" قطعًا غير مُرحَّب بهم، ومن عاداتهم إذا كان هناك شيء ما لا يروقهم أمثال الزبائن التي تفضِّل الفجل؛ يجعلونهم يقفزون هلعًا ودموعهم تنهمر ويراقبونهم ويقهقهون.

بعدما ألقت "تائيقو" على مسامعهم هذه المقدِّمة وقعت "ساتشيقو" المُحِبَّة لسمك الدنيس تحديدًا في سحر الـ "سوشي" ومن الطبيعي أن تصبح واحدة من زبائنه الدَّائمين، "يوكيقو" أيضًا أغراها"السُّوشي" بدرجة لا تقلُّ عن "ساتشيقو" أبدًا، بل تزيد حتى إنها قالت: "إن هذا السمك يدخل في عِداد قوى الجَذب التي تسحبها سحبًا من "طوكيو" إلى "أوساكا"".

إنها عادةً وهي "بطوكيو" تُحلِّق بمخيِّلتها في أفق "أوساكا" وأول ما يتبادر لمخيِّلتها بذاك الحين ليس بيت "أشييا" بل يقبع بجزء منها

الحالة التي تجدها بهذا المتجر؛ الأسماك المتداعية تحت قوة نصل السكين والقريدس المتقافز في مرح. لا يمكن قول إنها لا تحب المطاعم الغربية وإنما السوشي له عشقٌ خاص؛ لقد كانت بطوكيو في شهر فبراير ومارس دائمًا ما تتناول الـ "ساشيمي"((1)*) وجاءتهم ولا يزال مذاقُه عالِقًا بفمها. إنها فور ما يقع أمام ناظرها لون اللحم الأبيض الرائع كقطع اللحم اللصيقة بقلب المحار وتتذكّر المشهد البرّاق على طول خط السكة الحديد"هانكيو" ويتراءى لها وجه أُختَيْها والصغيرة ببيت "أشييا".

شعر "تينوسوكيه" وزوجته أن "السوشي" من دواعي السرور لـ "يوكيقو" في إقليم "كانساي"، وبالفعل دعوها أثناء فترة إقامتها لديهم لبضع مرّات لهذا المتجر، وكان "تينوسوكيه" بذاك الوقت يحتلُّ مقعدًا بين "يوكيقو" و"ساتشيقو"، ومن حين لآخر يُمرِّر بينهم كؤوس خمر الساكي دون تفرقةٍ بين زوجته أو أخواته بالقانون.

"لذيذ... لذيذ حقًّا".

قالتها "تائيقو" بعدما تَنَفَّسَت الصعداء وبدأت بالأكل أوّلًا، و"يوكيقو" بدورها أخذت الكأس الذي أمامها على استحياء وقالت:

""تينوسوكيه"... ممتنَّة لك للغاية لأنك جعلتنا نأكل مثل هذا الطعام اللذيذ بهذا المكان".

"حقًّا... ليتنا دعونا الجَدَّة "كرلنقو"".

"لم أنتبه لذلك فعلًا. فجأة زاد العدد من حولي، غير أني لا أدري إن كان سيروقهم مثل هذا الطعام".

---

(1) * شرائح نيِّئة طازجة من اللحم الأحمر للتونة.

"مـاذا تقولـين! الأجانـب يأكلـون السـوشي بـكل أنواعـه يـا سـيدي"، قالتهـا "تائيقـو"، وهنـا تدخـل بالحديـث مُضيِّفُهـم العجـوز وهـو يغـرق القريـدس المتقافـز بالماء ويضغـط عليـه بأصابـع يـده الغليظـة وأضـاف:

"بين الحين والآخر يأتينا أجانب".

"أنتَ، ألم تجعل السيدة "STOLZ" تتناول الأرز بالسوشي".

"صحيح وكان الأرز به السمك النيِّئ".

"يأكلونـه حتـى لـو نَيِّئًـا، وهنـاك أشـياء يفضِّلونهـا، وأخـرى ليسـت بنفـس الدرجـة، كالتُّونـة".

قاطعم السيد بالطاولة المجاورة:

"حقًّا! ولماذا؟".

"لا أدري السبب، ولكنهم لا يأكلون التونة ولا سمك الڤيكتور".

"إذن سيدتي وماذا عن ذاك المدعو السيد "LUTZ"؟".

قالتهـا فتـاة الجيشـا الشـابَّة بلكنَـة "قوبيـه" وبصـوتٍ خافـت وهـي تسـأل السـيدة التـي برفقتهـا، وأجابتهـا:

"إنه دائمًا ما يُفضِّل شرائح اللحم الأبيض، وإنما الأحمر لا يحبُّه".

"نعم، نعم".

وانحنـت الفتـاة أمـام سـيدتها، التـي كان بيدهـا عـود الأسـنان تسـتخدمه.

"بالغرب لا يُفضِّلون أبدًا شرائح السمك الأحمر ولا تروقهم".

"فَهِمتُ قَصدَك".

قالها الرَّجلُ بالطاولة المجاورة تعليقًا على توضيح "تينوسوكيه".

"حسنا، سأجرّب أن أكون مثل الأجانب وأضع شرائح اللحم الأحمر على الأرز الناصع البياض، وبالتأكيد مذاقه سيئ".

""يوكيقو"... انظري"- قالتها ساتشيقو وهي تتوجَّه بالسؤال لـ "تائيقو":

"الجدَّة إن جاءتنا لتأكل السوشي ماذا ستقول؟".

"لحم أحمر، لحم أحمر، أَخرِجيه من هنا".

قالتها "تائيقو" وهي تُحاكي أسلوب الجَدَّة الروسية بالضبط.

"اليوم جميعكم كنتم عند السفينة؟".

سألهم العجوز مُضيِّفهم بالمطعم وهو يستخرج لحم القريدس ويضعه على كُرات الأرز المطهو، ويُدخِل قرابة الخمسة أو السِّتَّة منه بعرض نصل السكين، ثم قدَّم السوشي في طبق أمام "تائيقو" و"يوكيقو"، والآخر أمام "ساتشيقو" و"تينوسوكيه".

همُّوا بأكل السوشي بالقريدس الكبير منزوع الرأس، وقبيل أن ينزل الطبق الثاني اقتسم "تينوسوكيه" واحدةً مع زوجته. "مممم... مجيء الناس لوداع ذويهم على متن السفينة أمر يستحقُّ".

قالها "تينوسوكيه" وهو يلتقط المَلاحَة التي على الطاولة ويقلبها ليمتزج مسحوقها الناعم بالمذاق الأصلي للقريدس الذي لا زال لَحمُه يتحرّك وكأنه تدبُّ به الحياة، وأخذ واحدةً وأدخلها بفمه، ثم استَطرَدَت "ساتشيقو":

"إن الباخرة الألمانية الفارهة تختلف للغاية عن الأمريكية".

وأضافت "تائيقو" وهي تُؤكِد القول:

"حقيقـي. إنهـا تختلـف بشـدة عـن تلـك التـي اسـمها "PRESIDENT COOLIDGE" التــي كانــت كل ألوانهــا فاتحــة مُشرِقَــة، أمَّــا الباخــرة الألمانيـة فهـي مطليّـة بلـون كئيـب، وتبـدو كبارجـة حربيـة".

"سيدتي، تفضَّلي طعامَكِ سريعًا".

قالهـا العجـوز لــ "يوكيقـو" التـي تبقـى "السـوشي" أمامهـا بالطبـق لم تمـدَّ يدهـا لـه بَعـدُ.

"عزيزتي "كي" ماذا بك؟".

"هذا القريدس لا يزال يتحرك".

كان مــن الصعــب علــى "يوكيقــو" أن يُفــرض عليهــا تنــاول طعامهــا بنفــس سُرعَــة الزبائــن الآخريــن؛ وكان عليهــا أن تتأكَّــد أوَّلًا أنــه لم يَعُــد ينبـض بالحركـة بالفعـل؛ فمذاقـه سـيِّئ إن كان يفعـل، لكنهـا تحـبُّ سـمك الدِّنيـس، ولا يمكنهـا مقاومتـه، وإن كان مـن دواعـي الفخـر تنـاوُل القطـع منـه وهـي ترجـف نابِضـةً بالحيـاة، لدرجة تسـميتها بــ "السـوشي الراقص".

"إن حركته تلك هي كل قيمته".

"فلتأكليه سريعًا. لقد أكلته ولم يَعُد يفعل".

وقاطعهم الرجل بالطاولة المجاورة:

"وهل هو عفريت القريدس؟ وإن ظهر لك سيخيفك؟!".

"إن كان عــلى القريــدس فليــس مُخيفًــا، وإنمــا الضفــادع هــي كذلــك حقًّــا يــا "يوكيقــو"".

"ماذا! أهذا حقيقي يحدث!".

"نعـم، وإن كنـتِ لا تدريـن ذلـك فلنَـدَع أخـاك بأقـرب وقـت يمكـث في "شـيبويا"، يَدعُـكِ لمطعـم المشـويات في "دوجنـزاكا". إنهـم يقدِّمـون الدجاج المشـويَّ، ولكـن معـه الضفـادع بعـد قتلهـا وشـوائها هـي الأخـرى، وحينهـا

يأتيـك صراخهـا سـيمتقع لونُـكَ "يوكيقـو" مثلهـا بالتـمام، وسـيظلُّ ذاك الصـوت عالِقًـا بأذنيـك وسـط سـكون الليـل".

"كفى كفى، توقَّفي عن ذاك الحديث".

قالتهـا "يوكيقـو" وهــي تنظـر مـرَّةً أخـرى وتتفحَّـص لحـم القريـدس بدقَّـة وتلتقـط بعصـا طعامهـا واحـدة مـن السـوشي الرَّاقـص وتتأكَّـد أوَّلًا أنـه لم يَعُـد يرقـص بَعـدُ.

الفصل الحادي والثلاثون

بمنتصف شهر أبريل بيومَيْ السبت والأحد اصطحب "تينوسوكيه" ابنته والثلاث أخوات للمهرجان السنوي بـ "كيوتو"، لكن بقطار العودة ارتفعت حرارة الصغيرة فجأةً والأكثر أنها منذ الأسبوع الماضي، وهي يبدو عليها آثار الإعياء دون سبب يُذكَر، ولم تتحسَّن حالتها بـ "كيوتو"، بل بتلك الليلة بعد عودتهم وصَلَت حرارة جسدها إلى 41، فكان أوّل شيء يَسعَون إليه هو زيارة الطبيب "كوشيدا". اتَّفقوا على أنهم بالغد لا بُدَّ لهم أن يتفحَّصها الطبيب خوفًا من أن تكون "الحُمَّى القرمزيَة".

بالصَّباح الباكر تَورَّد وَجهُها كله بالحُمرة فيما عدا حول فمها؛ ممَّا لم يَدَع مجالًا للشَّك في أنها "الحُمَّى القرمزيَّة"، حيث إن من أعراضها أن تترك ما حول الفم، هكذا قال الطبيب "كوشيدا"، ونصحهم بدخول مشفى، وإن كانت الحُمَّى من الأمراض المُعدِية لكنها نادرًا ما تصيب البالغين، ولا يحدث أن تظهر حالة أخرى بنفس البيت، وإذا تمَّ عَزلُها

بغرفـة المشـفى بالتأكيـد لـن يمكننـا منـع العائلـة مـن الـتردُّد عليهـا؛ لـذا فلـم يمانـع الطبيـب مـن العنايـة بهـا بالمنـزل.

لحُسـن الحَـظِّ غرفـة مكتـب "تينوسـوكيه" مُنفَصِلَـة؛ فـأرادت "ساتشـيقو" أن تنتقـل إلى هـذه الغرفـة وتنقـل المكتـب لغرفـة بالأعـلى، وهـي تـدري اسـتحالة ذلـك، وأن زوجهـا سـينهرها معترضًـا، لكنَّهـا أرادت هـذه الغرفـة لتكـون كغرفـة عَـزل المشـفى.

حـدث بمـرَّة مـن قبـل منـذ بضـع سـنواتٍ أن مرضـت "ساتشـيقو" بنزلـة بـرد شـديدة، واسـتخدموا هـذه الغرفـة هكـذا لأنهـا منفصلـة تمامـا عـن باقـي غـرف البيـت حتـى أن الذهـاب إليهـا يلزمـه انتعـال القبقـاب. إنهـا مفروشـة بالحصير ومُجهَّـزة بالغـاز والكهربـاء، وأكثر مـا تُفضِّله "ساتشـيقو" بهـا أنهـا وقتـما تريـد أن تطبـخ بهـا بسـهولة يمكـن جلـب المـاء.

المشـكلة كانـت في ترتيـب الخزانـة والأمتعـة بعدمـا تَـمَّ نَقـلُ بعـض مـن أرفُـف الكتـب وصناديـق الأوراق والأدوات المكتبيـة والمكتـب لغرفـة الطابـق الثـاني.

سـتنتقل الصَّغـيرة وترافقهـا مُمرِّضـة، ولا بُـدَّ مـن الحَـدِّ مـن حركتهـا والمجـيء إلى المنـزل، ولكـن هـذا لا يعنـي أنـه سـيتمُّ عـلى أكمـل وجـه، فمَثـلًا كان مـن الـضروري جلـب الوجبـات لهـما، ولا بُـدَّ أن يبقـى أحدهـم عـلى تواصُـل، ومـن الخطـر أن تتـولَّى الخادمـة الصغـيرة مَهمَّـة أدوات المائـدة وغيرهـا، بـل مـن الأنسـب أن تكـون "أوهـارو"؛ فهـي أكثر جـراءةً، ولا تخـشى أي أمـراض مُعدِيَـة، ومـن دواعـي سرورهـا أن تقـوم بهـذا الدور، وسـارت الأمـور هكـذا لبضعـة أيـام، وبالفعـل لم تَخـشَ عـلى نفسـها، لكنهـا أيضًـا لم تلتـزم بالتَّطهـير والتَّعقيـم بـكل مـرَّة تـتردَّد عـلى الغرفـة وبيدهـا تَلمَـسُ الصغـيرة، ثـم تَمـسُّ كُلَّ الأشـياء الأخـرى؛ مـمَّا ينـشر الجراثيـم؛ فجـاء أول اعـتراض مـن "يوكيقـو" وبالنهايـة اكتفـوا بـ "أوهـارو" إلى هـذا الحَـدِّ

وتولَّت "يوكيقو" المَهمَّة؛ فهذا ما تعتاده. كانت شديدةَ الحرص لأقصى درجةٍ، والممرضة أيضًا أحسَنَت عملها.مكتبة سُر مَن قرأ

لم تَستَعِن "يوكيقو" بالخادمات على الإطلاق في أدوات المائدة اللازمة للاستخدام بغرفة المريضة، وكانت تأخذها بَعدَ التعقيم وتعيدها للغسيل بنفسها، وطوال الأسبوع الذي استمرَّت فيه حرارة "إتسوقو" مرتَفِعَةً كانت تتناوَب مع الممرِّضة، وكل ساعتين تستبدل كمادات الثلج وحقًّا مرَّت أيامٌ دون أن يغمض لها جَفنٌ.

تحسَّنَت حالة"إتسوقو" بالأسبوع التالي، واستقرَّت درجة حرارتها، وجفَّت البثور الحمراء، وأوشكت قشورها على السقوط، إلَّا أن هذا المرض لا يُشفى إلَّا بسقوط كل القشور عن الجسد بأكمله، ويستغرق هذا أربعة عشر يومًا.

بعدما كانت "يوكيقو" تنوي المغادرة فور العودة من "كيوتو" أصبح الوضع الرَّاهن يَحول دون رحيلها. كانت تريد الذهاب إلى "طوكيو" لاستبدال ملابسها وجلب ملابس صيفيَّة، لكنها كرَّسَت نفسها للتمريض، ورغم تولِّيها هذه المَهمَّة إلَّا أن العيش هنا يروقها عن العودة إلى "طوكيو".

علاوة على أنه سينزعج الجميع ما إذا تَردَّد أحدٌ غيرها على الغرفة المعزولة، فـ "ساتشيقو" بالأساس صِحَّتها ضعيفة، ولا ترى بالأمر شيئًا إن أبقت طفلتها الصغيرة بين أحضانها مهما أرادوا إبعادها عن المكان.

مرَّت أيام على "ساتشيقو"، وهي ليس بوسعها فعل شيء، وبعدما زال قلقهم على "إتسوقو" اقترحت الذهاب لمشاهدة مسرح "الكابوكي". بهذا الشهر سيأتي لـ "أوساكا" مرَّةً أخرى الممثِّل الشهير "كيقوجوروه" ليعرض مسرحية من فنون التراث. أكثر ما تُفضِّله "ساتشيقو" من بين مسرحياته الاستعراضية تلك التي تشاركه بها بطولة نسائيَّة لتؤدِّي الرقصات، وإنما أيًّا كان ما سيُعرَض بهذه المرة فلن تفوِّته خاصَّةً

بعدما جاءتها كلمات "يوكيقو" لتصيب هدفها بالضبط، وتُطَمئِنها باستقرار حالة الصغيرة ومشاركتها الذهاب. إنها بذاك الحين أصابتها خيبة الأمل إثرَ المرض المفاجئ لابنتها، لكن بكل حال من الأحوال مهما كان العَرض المسرحي فهي كأمٍّ تبدو غيرَ عابئة بشيء، فقط كل ما يستحوذ على اهتمامها هو الجيل السادس من المسرح، وما يهدئ من غضبها هو تسجيلات الجراموفون لمسرحيات الفلكلور الياباني.

امتنعت "تائيقو" عن الذهاب معهم حين أخبروها وبدا أنها ذهبت خلسة بمفردها.

أمَّا عن "إتسوقو" فتحسَّنَت حالتها وأصبحَت تعاني من الملل وكانت تسليتها هي تشغيل الجراموفون بصوتٍ عالٍ، ولم يعترض جيرانهم السويسريُّون الذين حلُّوا محلَّ عائلة "STOLZ"؛ إلى أن أصابه عطل بأحد الأيام.

إنهم كانوا يظنُّون أن السويسريين أشخاص صعبة المراس؛ فمنذ شهر مضى وحتى الآن هم لا يستطيعون النوم من نباح كلبهم، وهم لا يُقدِمون على فعل شيء. بذاك الحين وليس بطريق مباشر طلبوا وساطة مالِكِ ذلك البيت غربيِّ الطِّراز، السيد "ساطوو"، والذي يقطن ببناية مجاورة لعائلة "ساتشيقو"؛ فقام بدوره بإرسال نفس الورقة المدوَّن بها عدَّة أسطر بالإنجليزية مع الخادمة لهؤلاء السويسريين.

"بخصوص الكلب

عزيزي السيد الفاضل "ساطوو"

في الحقيقة وبكل أسف نحن جيران لمالكي الكلب ونأسف على إزعاجك لكننا لا يمكننا النوم كل ليلة بسبب نباح الكلب.

من فضلك أبلِغهم بشكوانا، ونرجو لَفتَ انتباههم".

عـادت خادمـة السـيد "سـاطوو" ذات الوجـه العابـس دائمًـا برسـالة ورقيـة مـن السـيد "BOSCK".

"عزيزي السيد الفاضل "ساطوو"

في الحقيقـة، وبـكل أسـفٍ، نحـن جـيران لمـن لديهـم الجراموفـون، ونأسـف عـلى إزعاجـك.

مؤخَّـرًا أصبـح تشـغيل الجراموفـون يوميًّـا وبشـكل متواصِـل بالصبـاح والمسـاء أيضًـا، والضوضـاء أصبحـت مزعجـة للغايـة.

من فضلك تبلغهم بشكوانا وتنبيههم لإيجاد حلٍّ.

ولك جزيل الشكر".

لكنهـا بهـذه المـرَّة عـادت إليهـم وهـي تضحـك وتعطيهـم الرسـالة وتقـول:

"هذا ما قاله السيد "BOSCK"، تفضَّلوا".

بالسَّـابق حينـما كان هنـاك الكلـب "JOHNY" واسـتمرَّ نباحـه لليلتـين تقريبًـا تركـوه لحالـه غـير عابِثـين، وإنمـا بهـذه المـرة لم تتَّخـذ الأمـور نفـس مجراهـا؛ فالغرفـة المنفصلـة التـي مكثـت بهـا "إتسـوقو" أثنـاء مرضهـا، والتـي كانـت بالسـابق غرفـةَ مكتـب والدهـا يحيطهـا سـياجٌ خشـبيٌّ مختلـف عـن ذلـك الفاصـل السِّـلكي الـذي بالحديقـة ويفصـل بينهـم وبـين جيرانهـم؛ فهـذا مُحكَـم لا يمكـن اختـلاس النَّظـر منـه، وإنمـا بنفـس الوقـت هـو أقـرب لجيرانهـم والضوضـاء بـه لا تحتمـل، وحـين تواجَـدَت عائلـة "STOLZ" كان دائمًـا مـا ينزعـج "تينوسـوكيه" مـن جلبـة الأطفـال "بيـتر" و"روزمـاري".

ولهـذا السـبب أيضًـا كان مـن الطبيعـي أن تنزعـج عائلـة "BOSCH" السـويسرية مـن صـوت الجراموفـون، وعـلى ذكـر هـذه العائلـة، فمـن موقفهـم السـالف الذكـر يبـدو أن وظائفهـم في مدينـة "ناجويـا". هـذا

واضحٌ من أسلوبهم في التوبيخ والتعنيف. إنهم يعودون من وقت لآخر لهذا المنزل، لكن مهما كان فلا أحد من عائلة "ماكي أوكا" يدري حقيقتهم. أيام عائلة "STOLZ" كان رب الأسرة وزوجته والأطفال جميعهم يُطلُّون من الشرفات دائمًا ويتردَّدون على الحديقة الخلفية، إنما هذه العائلة السويسرية منذ مجيئها والزوجة بالكاد تظهر من قت لآخر، وذاك المدعو "BOSCH" لا يظهر على الإطلاق، وحتى وإن جلب مقعدًا للشُّرفة فإنه كان يفعلها خلسةً، ثم أحاط الشرفة بسياجٍ لَوحيٍّ بمستوى ارتفاع رأس مَن يجلس.

هذا كله يعني أنه يخشى أن يراه الآخرون، ومن الواضح جَليًّا أنه مع عشيقته.

جاء بحديث خادمة السيد "ساطوو" أنه شخص متوتِّر للغاية وسقيم، يعاني الأرق كل ليلة.

بوقت ما، وبدون أي سبب، جاء لمنزل عائلة "ماكي أوكا" مُحقِّق شرطة. كان هؤلاء الأجانب يَدَّعون أنهم سويسريُّون، وبدا أن هذا غيرُ حقيقي؛ فسلوكهم المريب كان أدعى لاتِّخاذ الحيطة. أخبروا المحقِّق بكل ما رأوه بأعينهم مُثيرًا للشكوك، فالزوج مجهول الهويَّة طوال العام، مُتغيِّب برحلات وزوجته تبدو صينيَّةً مختلطة العِرق، وعلاوة على ذلك هي لا تبدو زوجته رسميًّا، بل تبدو عشيقةً عابرةً، وجنسيتها غير معروفة. بالرغم أن مظهرها أقرب للصينين منه لليابانيين إلَّا أنها تُنكِر ذلك، وتَدَّعي أنها من مواليد الإقليم الجنوبي دون أن تُصرِّح أي إقليم جنوبي تحديدًا. بمرَّةٍ ذهبت إليها "ساتشيقو"، ودخلت المنزل ووجدت كل الأثاث صيني مصنوعًا من خشب الصندل الأحمر؛ فبالتأكيد هي صينية وتُخفي الأمر، والشيء الواضح هو أنها فتاة هوى تغوي الرجال بما تملكه من جاذبية الشرقيين وليونة الغربيين. إنها تشبه إلى حَدٍّ كبير تلك الممثلة الفرنسية الصينية التي تُدعَى

"ANNA MAY WONG"، وكانـت تظهـر بالأفـلام الأمريكيـة؛ فجمالهـا مـن نـوع خـاص يختلـف عـن الجـمال المألـوف للأوروبيّـات.

كانـت معظـم الأوقـات تعيـش في مَلَـلٍ أثنـاء غيـاب زوجهـا برحلاتـه، وبمـرَّةٍ التَقَـت "ساتشـيقو" بالطريـق ودَعَتهـا لتأتيهـا ويُمضيـا بعـض الوقـت سـويًّا، وأرسـلت لهـا منسـوجاتها مـن الكِتّـان لتفتـح بابًـا للتَّعـارُف، لكـن "ساتشـيقو" بعـد واقعـة المحقِّـق ساورتها المخـاوف مـن توطيـد العلاقـات معهـا.

اسـتاءت "أوهـارو" مـن هـؤلاء الأجانـب الذيـن لا يُحسِـنون الجـيرة، فهـم منـذ مـرض الصغـيرة لم يشـغلوا الجراموفـون كعادتهم بالسـابق، حيث نهـى "تينوسـوكيه" عـن التَّسـلية بتشـغيله هكـذا منـذ الصبـاح، ومنـذ ذاك الحـين و"إتسـوقو" تلهـو يوميًّـا بلعبـة الـورق، وتوقَّفَـت "يوكيقـو" عـن مشـاركتها اللعـب حينـما بـدأت بفـترة النَّقاهـة، حيـث إن وقـت تسـاقُط القشـور هـو أكـثر وقـتٍ تَسـهل بـه العـدوى.

"إتسـوقو" بهـذه الفـترة كان لا بُـدَّ لهـا أن تبقـى تحـت الملاحظـة، والألعـاب التـي تتطلَّـب طرفًـا آخـر تُشـكِّل خطـرًا بانتقـال العـدوى، فـكان عـادة مـا تشـاركها الممرِّضـة "ميتـو" والخادمـة "أوهـارو".

أطلَقَـت "إتسـوقو" هـذا الاسـم عـلى الممرِّضـة لأنهـا كانـت شـديدةَ الشـبه بالممثلـة "ميتـو ميقّـو"، وكانـت هـذه الممرضـة أصيبـت مـن قبـل بهـذه الحُمّـى القرمزيـة؛ لـذا فهـي لديهـا مناعـة ضـد المـرض. أمَّـا "أوهـارو" فكانـت تقـول: "أنـا لا أخـشى انتقـال العـدوى لي"، وكانـت تـأكل بقايـا طعـام المريضـة، وتلتهـم بشراهـة الأرز والسَّـمك، عكـس الخادمـات الأُخرَيـات الـلائي لا يقرِّبـن أيديهـن أبـدًا، و"يوكيقـو" هـي أول مَـن اكتشـفت الأمـر وصمَّمَـت عـلى عـدم اقترابهـا ثانيـة، لكـن "إتسـوقو" كانت تناديهـا كلَّـما وجَـدَت نفسـها وحيـدة وتنغمـس "أوهـارو" باللهـو في غرفـة

المريضة ليوم بأكمله دون أدنى مبالاة بتوبيخ "يوكيقو" وتقول مثلما تقول "ميتو":

"لا داعي لكلِّ هذا الحرص. يستحيل أن تنتقل إليَّ العدوى".

ولم يقتصر الأمر على المشاركة بلعبة الورق فقط، بل أمسَكَت كلٌّ من "أوهارو" و"ميتو" بأطراف "إتسوقو" لإزالة القشور عنها. كانت البثور تغطِّي جسدها كله وهما تُقلِّبان طرف قشورها وينزعانها، ثم يجمعانها للتخلُّص منها. اعتاد الوضعَ كُلُّ مَن بالبيت ولم يَعُد هناك أحدٌ يخشى العدوى.

ببداية شهر مايو بعدما تماثَلَت الصغيرة للشِّفاء قالت "تائيقو" إنها تودُّ الذهاب إلى "طوكيو" وتريد مناقشة أخيها الكبير رب بيت العائلة مباشرة، ولن ينتهي الأمر دون حلٍّ لمشكلة النقود، وهي ألغت فكرة السفر لأوروبا، ولن تتزوَّج بالقريب العاجل ويلزمها بعض الترتيبات فإن كان سيعطيها أيًّا من حقِّها فليسرع، وإن كان بِنيَّته ألَّا يعطيها شيئًا فلا بُدَّ من تصحيح تفكيره هذا، وكي لا يتسبَّب الأمر في أي مشاكل لـ "يوكيقو" أو "ساتشيقو" أرادت أن تذهب بمفردها وتتفاوَض معه بهدوء دون داعٍ لِقَلَقِهم.

إنها لا يتوجَّب عليها السفر بهذا الشهر تحديدًا، ولكنها تظنُّ أن الظروف أفضل الآن لتواجد "يوكيقو" عندهم ببيت "أشييا"؛ فاتَّخذَت قرارها فجأةً، وهي لا تريد أن تطول إقامتها بذاك البيت الضيق الذي يعجُّ بالأطفال، وتنوي العودة فور انتهاء المسألة. على الأكثر قد تذهب لمشاهدة المسرح، لكنها للتَّوِّ فعلت هنا فلا بأس.

سألتها ساتشيقو ستتفاوض مع مَن؟ وأي ترتيبات هذه التي تلزمها؟ لكن مؤخَّرًا كلتا الأختَيْن تميلان لمُعارَضَتِها؛ لذا فـ "تائيقو" من السَّهل عليها ألَّا تصارحهما بشيء ولا تجيب على أيٍّ من أسئلتهما بوضوح. إذن فالاختيار يقع أوَّلًا على الأخت الكبيرة "تسوروقو" لتبادُلها النقاش وإذا

لم يفلح الأمر فلا مَفرَّ من صدامها المباشر مع أخيها الكبير، ولا يزال ما تدعوه "ترتيبات" شيء غامض لم يتَّضِح شأنه بعد.

خفَّفت "ساتشيقو" من وطأة هجومها وسألتها برفق عمَّا إن جدَّ أي جديد في شأن المعلِّمة "تاما أوكي"، وما إن كانت بدأت بالفعل في مشروع متجر الملابس النسائية على نطاق ضيِّق؛ ظنًّا منها أن هذا هو سبب حاجتها للنقود لتبدأ بها كرأس مال، لكن "ساتشيقو" تدري أنه للأسف حتى ولو كان هذا طموح "تائيقو" فهذا مرفوضٌ لدى العائلة. إن أخاهم الكبير لن يخرج المال من تحت يده إلَّا لزواج رسمي بموافقته، وحتى الآن ليس هناك بجديد، والأكثر أنه يرفض رفضًا قاطِعًا أن تصبح "تائيقو" امرأةً عاملة.

إذن فلا بُدَّ أن ما لديها من ترتيبات سيكون غير ذلك؛ فعلى هذا الحال تبدو المناقشة غير مُمكِنة على الإطلاق، إلَّا أن المنفذ الوحيد المتاح أمامها هو أن يحالفها الحَظُّ، وتسنح لها الفرصة لتحدُّثه مباشرة وبطريقتها الخاصَّة.

إن الأخ الكبير صفته المتأصِّلة به هي الخِسَّة، ومنذ ما دخل العائلة وهو شاب ومعاملته للأختين الصغيرتين فظَّة، وحتى في الخَفاء آراؤه قاسية، والمواجهة وجهًا لوجه تُضعِف موقفه، ومن هنا يوجد احتمالٌ أن ينصاع بقليل من الضغط؛ ممَّا يعني أنها لن تحصل على نتيجة إلَّا بتهديده، وهذا هو هدف "تائيقو" والأمل الوحيد الذي تتعلَّق به وقَرَّرَت على أساسه الذهاب إلى "طوكيو"، وبدا أنه يتهرَّب منها. لكنها ليست بالشخصيَّة التي يمكن الاستخفاف بها، فهي تهيَّأت واستعدَّت جيِّدًا على مدى عدَّة أيام إلى أن حانت الساعة.

حين قالت "تائيقو" فجأةً أنها ستذهب لـ "طوكيو" كانت "ساتشيقو" بالفعل تنبَّأت بذلك، فبهذا التوقيت لن يرافقها أيٌّ من

أُختَيْهـا، وكان مـن الواضـح أنهـا اختـارت تلـك الفـترة عـن عَمـدٍ؛ مـمَّا أثـار قلقهـا.

عـلى حَـدِّ قـول "تائيقـو" إنهـا سـتتفاوض معـه بسلاسـة، لكـن يبـدو أنهـا في سريرتهـا تنـوي الصـدام بـه، غـيرَ عابِئَـةٍ بـشيء، حتـى لـو آل الأمـر للقطيعـة بينهـا وبـين بيـت العائلـة؛ ولذلـك هـي لا تريـد أن تتـورَّطَ أيٌّ مـن أختيهـا "ساتشـيقو" أو "يوكيقـو" معهـا.

لـو أن هـذا حقًّـا مـا تطـرَّق إليـه تفكيرهـا فلـن يعرقلهـا أي شيء مهـما كان.

ظنَّـت "ساتشـيقو" أن الأخ الكبـير بـذاك الحـين سـيظل كـما هـو، ولـكي لا تدعمـه "ساتشـيقو" في أذى أختهـا عليهـا أن تدعهـا تذهـب لحالهـا، وحتـى أيضًـا لا يُسـاء فهمهـا.

عـلى هـذا الحـال غـادرت "تائيقـو" وبـدون أن ترافِقَهـا أيٌّ مـن أُختَيهـا، وحاولـت "ساتشـيقو" قـدر الإمـكان أن تظهـر أنهـا لا شـأن لهـا بهـذه المشـكلة، فهـي تـرى المشـهد ككُلٍّ مـن عـلى بُعـد وتـرى أن الأخ الكبـير متـورِّط بمشـكلة، لكنهـا لا تسـتطيع تحمُّـل العواقـب مهـما كانـت مسـتاءةً مـن موقفـه.

لكـن مهـما تـوارت كي لا يظـنَّ بهـا الأخ الكبـير ذلـك فهـل عليهـا أن توقـف "تائيقـو" عـمَّا تنـوي القيـام بـه بـأي شـكل كان؟

هكـذا أرسـلت "ساتشـيقو" لأختهـا الكبـيرة "تسـوروقو" تسـألها وتخبرها بنفـس الوقـت عـن ذاك التهوُّر.

إنهـم حتـى لـو ألقـوا اللَّـوم عليهـا فـ "ساتشـيقو" في مـأزق، وموقفهـا لا تُحسَـد عليـه.

بتلك الفترة كان شأن الصغيرة متروكًا بالكامل لتتولَّاه "يوكيقو".

رأت "ساتشيقو" عن "يوكيقو" إذا رتَّبت أمورها لتسافر هي الأخرى، فلا بُدَّ لها أن تتورَّط بالنِّزاع بين أخيها الكبير وأختها الصغيرة حول الأموال، وأكثر ما يزيد موقفها تعقيدًا هو إلى أيِّ جهة منهما ستنحاز؟ إنها هي ذاتها لا تستطيع حسم موقفها.

من ناحية أخرى ظنَّت "يوكيقو" أن لو أختها تخطِّط حقًّا لإدارة متجر ملابس غربية، فلا بُدَّ أن هذا التفكير وراءه "إيتاكورا" وهذا واضِحٌ جدًّا، أمَّا وإن كانت تسيء الظَّنَّ به وهذا حقًّا هو غرض "تائيقو" ذاتها من الحصول على المال؛ فهي لن تَتزحزح عن رأيها حتى وإن تظاهَرَت بالعكس؛ فهي دائمًا بها جانب عاطفي غير مُتوقَّع، وعلى الأرجح هذا ما يستغلُّه "إيتاكورا" ولا يَدَع لها مجال لقطع علاقتها به؛ لذلك من الأفضل عدم حصولها على الأموال.

كانت هذه إحدى الملاحظات التي من الأحرى أخذها في الاعتبار، ورأى "ساتشيقو" بذلك أن لو "تائيقو" مُغرَمَة لهذا الحد فقلبها سيعوقها، وسينتهي بها الحال لفشل ذريع، وهذا ليس بخفيٍّ على أحد.

استاءت "ساتشيقو" أكثر لأنها تشعر بأن "تائيقو" لا تزال تُواعِدُ "إيتاكورا" ولا تعبأ بتحذيراتهم، لكن مصير امرأة شابَّة مثلها لا يمكن أن يتدخَّل به أحد، والأخت الصغيرة الفاتنة التي تسعى لاستقلالها ليس هدفها أبدًا إثارة حنق أخيها الكبير الضَّعيف فما يقدِّمه لها من مساعدة شيء أدعى للسخرية. "تائيقو" تريد أن يُخصِّص لها مبلغًا مستقلًّا بأي شكل كان، وتصبح هي مَن تملك حرية التصرُّف به فعليًّا، ولأن الأخ الكبير هو وليُّها فهي تريده أن يُخرِج المال من حوزته.

ومع ذلك فإذا سافرت معها "ساتشيقو" إلى "طوكيو" سيصبح موقفها عصيبًا، سواء بالانحياز أو بالاستنكار فهي تقف بين "تائيقو" وبيت العائلة. الحل الوحيد أن أقنعت أختهم الكبيرة بأنه لا خيار

أمامهم سوى مُسانَدة "تائيقو" حتى ولو على مَضَض، وحتى ولو هي كارهة لذلك.

بهذه الحالة سيكون الانحياز صريحًا لـ "تائيقو" لدرجة الضَّغط على أختهم الكبيرة، والصراحة هذه ليست من شِيَم أخلاقهم أبدًا.

الفصل الثاني والثلاثون

اعترَضَت "يوكيقو" بالأساس على فكرة ذهاب أختها الصغيرة إلى "طوكيو" بمفردها، وعلى أية حال هذا لا يعني أنه ما من طريقة لترافقها "ساتشيقو"؛ فـ"إتسوقو" تماثلَت للشفاء حقًّا، وإن تغيَّبَت أمُّها "يوكيقو" سترعاها وستكون مطمئنةً، وحتى ولو لم تَعُد على وجه السرعة ومكثت لحينٍ من الوقت فلا بأس، لكن "تائيقو" حين وقع على مسامعها خبر مُرافَقة "ساتشيقو" لها امتعضت ملامحها.

إن "ساتشيقو" لا تريد إزعاجها بالسَّفر معها وإنما كل ما في الأمر أنها تفكِّر في ردَّة فعلِ بيت العائلة، خاصَّة وأن "تائيقو" سلوكها مُتحرِّر ولا مانع لديها من الصدام بأيِّ شخص كان، وحتى وإن كان الأخ الكبير والأخت الكبيرة سيأخذان بشهادتها، فهذا ليس المقصد بالأساس، وستبذل قصارى جهدها لتلافي هذا الموقف. إن لم تستطع أن تجزم برفض قاطِعٍ فعلى الأقل ستحافظ على موقفها كطرف مُحايِد، وكله من منطلق توخِّي الحَذَر من تصرُّفات "تائيقو" غير اللائقة.

إن "تائيقـو" بهـذه المـرة أفصَحَـت عـن غايتهـا في المُجمَـل، وطالمـا قالـت "ساتشـيقو" إنهـا سـترافقها فهـي سـتفعل، حتـى وإن كانـت "تائيقـو" لا تحبِّـذ تَدخُّلهـا، ولأن "ساتشـيقو" ذاتهـا لا تريـد أن تَعلَـق بالأمـر فقـرَّرت أن تتوجَّـه بحديـث مباشر لأختهـم الكبـيرة، وأرسـلت لهـا خطابًـا مُسـبقًا تخبرهـا بـكل شيء.

بهـذه المـرة أيضًـا أرادت "ساتشـيقو" المبيـت بنـزل "هامايـا" في طوكيـو، لكـن "تائيقـو" تجنَّبَـت هـذه الترتيبـات وكان تخطيطهـا المبيـتَ في بيـت العائلـة إلى أن تخـوض الحديـث مـع أخيهـا الكبـير.

غـادرت الأختـان "أوسـاكا" بالقطـار السريـع، وبمسـاء يـوم وصولهـما كان أول مـا فعلتـه "ساتشـيقو" هـو أنهـا اصطحبـت "تائيقـو" معهـا للنُّـزُل، ثـم هاتَفَـت أختهـم الكبـيرة وأخبرتهـا أنهـا مُتعَبَـة ولـن تذهـب إليهـم اليـوم وسـتأتيهم "تائيقـو"، لكنهـا لا تعـرف الطريـق بمفردهـا، وسـألتها مـا إن كان مُمكِنًـا إرسـال أحـد أبنائهـا.

أجابتهـا "تسـوروقو" بأنهـا هـي مَـن سـتأتي لاسـتقبالهما، وأنهـم لم يتناولـوا طعـام العشـاء بعـدُ، واقترحـت أن تلتقيهـما بـأيِّ مـكانٍ ويذهـبن لتنـاول الطعـام سـويًّا بحـيِّ "جينـزا".

قالـت "تائيقـو" إنهـم طالمـا سـيذهبون إلى "جينـزا" فهـي تريـد مطعـم "NEW GRAND" أو "LOHMEYER"، وأيَّـدَت "تسـوروقو" الذهـاب إلى"LOHMEYER"، فهـي لم تذهـب إليـه مـن قبـل وأصبـح الوضـع عـلى عكـس المتوقَّـع، وهـي مَـن تسـألهما عـن الطريـق، وكيـف تصـل مـن بعـد جسر "سـوكيَا".

قامـت كلتـا الأختَـيْن بالاغتسـال قبيـل الخـروج، ووصَلَـت الأخـت الكبـيرة مـن قبلهـما، وحجَـزَت طاولـةً، ومكَثَـت في انتظارهـما، وقالـت إن الضيافـة اليـوم عليهـا.

عـادة بمثـل هـذه المناسـبات "ساتشـيقو" هـي مَـن تقـوم بتقسـيم الحسـاب لكـن بهـذه الليلـة كانـت "تسـوروقو" ودودةً بشـكل خـاص وتعـير انتباهًـا لـ "تائيقـو" وتوجِّـه إليهـا كلماتهـا أوَّلًا، وقالـت لهـا أيضًـا إنهـم لم ينسـوا شـأنها أبـدًا، ولكـن المنـزل ضيِّـق للغايـة، ولقـد أخـذوا "يوكيقـو" بمفردهـا معهـم عـلى أن يسـتدعوها هـي الأخـرى بالقريـب العاجـل، لكنهـم لم يسـتطيعوا تدبـير الأمـر، وأنهـت "تسـوروقو" كلماتهـا دون تقديـم تفسـير محـدَّد.

بعدهـا فتحـت كلٌّ واحـدة منهـم قنينـة مـن البـيرة الألمانيـة "JOCK-EY"، ثـم خرجـوا مـن المطعـم وتنزَّهـوا بحـيِّ "شـينباشي" مـرورًا بـ "جينزا" بليلـة في أوائـل الصيـف، وتركتهـما "ساتشـيقو" عنـد محطَّة "شـينباشي"، ولم تذهـب لبيـت العائلـة لبضعـة أيـام إلى أن تنهـي "تائيقـو" النقـاش الـذي جـاءت مـن أجلـه، وكان لا بُـدَّ لهـا أن تمـضي هـذه الفـترة لحالهـا، وفكَّـرَت في زيـارة صديقـةٍ لهـا تزوَّجـت بـ "طوكيـو" كانـت رفيقتهـا بمدرسـة البنات، وإنمـا بالصبـاح التـالي وهـي تقـرأ الصحـف بغرفتهـا جاءتهـا مكالمـة هاتفيـة مـن "تائيقـو" تقـترح عليهـا أن يخرجـا سـويًّا، وسـألتها "ساتشـيقو" عـمَّا إذا كانـت تناقَشَـت بـشيء مـع أخيهـا الكبـير، لكـن الإجابـة جـاءت بالنفـي، وأنهـا أصابهـا الملـل، وأخبرتهـا "تسـوروقو" بالصبـاح أن أخاهـا مشـغول طـوال هـذا الأسـبوع؛ لـذا فمـن الأفضـل تأجيـل الأمـر للأسـبوع القـادم، وهـي ليـس أمامهـا حـلٌّ آخـر؛ ولـذا فليمضـوا وقتهـم هنـا في التنـزُّه قليـلًا. لكـن "ساتشـيقو" أنهـت معهـا المكالمـة عـلى أنهـا لديهـا موعـد اليـوم لزيـارة صديقتهـا "أويامـا" وسـتتغيَّب حتـى المسـاء، ربمـا تعـود بالسـاعة الخامسـة.

تأخَّـرَت "ساتشـيقو" وعـادت بالسـابعة حيـث احتجزتهـا صديقتهـا وأعـدَّت لهـا مأدبـة عشـاء، وجـاءت "تائيقـو" للنُّـزُل بغيابهـا. إنهـا اليـوم انتظَـرَت عـودة "تـرو أو" مـن المدرسـة ليدلَّهـا عـلى معبـد "ميجـي شـينكو" وعـاد الاثنـان مـن جولتهـما للنُّـزُل بالسَّـاعة الخامسـة، ولم تكن "ساتشـيقو"

عـادت بعـدُ، وكانـا سـيطلبان الطعـام بالغرفـة لتضوُّرهـما جوعًـا، لكـن "تائيقـو" لا يـزال عالِقًـا بفمهـا مـذاقُ البـيرة الألمانيـة مـن الليلـة الماضيـة، فدَعَـت "تـرو أو" لـذاك المطعـم، وبعـد تنـاول عشـائهما تَرَكَتـه وعـادت للفنـدق للمبيـت هـذه الليلـة مـع "سانشـيقو".

جـاء بحديـث "تائيقـو" عـن بيـت العائلـة في "شـيبويا" أن ترحيـب أخيهـا الكبـير وأختهـا كان ترحيبًـا حـارًا ولم يتركوهـا وحدهـا أبـدًا، وبالصبـاح قبـل خـروج أخيهـا للعمـل قـال لهـا إنهـا أخـيرًا جـاءت إليهـم؛ فلتبـقَ هـذه المـرة طويـلًا، وإن كان البيـت ضيِّقًـا والوضـع بائِسًـا بعـض الـشيء إلَّا أن "يوكيقـو" ليسـت هنـا الآن، وإلى حـدٍّ مـا يمكـن تدبُّـر الوضـع، وهـو للأسـف مشـغول، لكنـه سـيكون لديـه مُتَّسَـع مـن الوقـت بالأسـبوع القـادم، ويـودُّ دعوتهـا للخـروج بمـكانٍ مـا، عـلاوة عـلى ذلـك قـال إنـه لديـه اسـتراحة لسـاعة بوقـت الظهـيرة، فليتهـا تسـتطيع المجـيء إلى بنايـة "مارونوتـشي" ويتناولـوا الغـداء سـويًّا بـأيٍّ يـوم. قـال لهـا الكثـير مـن هـذا القبيـل، وبهـذه الأيـام القليلـة تَبـدَّد تَوتُّـر الثـلاث أخـوات: "تسـوروقو" و"سانشـيقو" و"تائيقـو"، وتحـوَّل لمـزاجٍ جَيِّـد، فـالأخ الكبـير لم يسـبق لـه أن كان بمثـل هـذا اللطـف مـن قبـل.

بعـد خـروج الأخ الكبـير لعملـه أسرعـت "تائيقـو" لتتحـدَّث مـع أختهـا حديثًـا مُفصَّـلًا اسـتمرَّ لقرابـة السَّـاعة عـمَّا تريـد فعلـه. لم تنزعـج "تسـوروقو" ولـو بالقليـل، بـل ظلَّـت تصغـي باهتـمام، وقالـت إنهـا سـتناقش زوجهـا، وتـرى مـا قولُـه، لكنـه مشـغول للغايـة ويعـود بوقـت متأخِّـر ليـلًا، وهـي تريدهـا أن تنتظـر للأسـبوع القـادم وستسـنح الفرصـة بالتأكيـد، وإلى ذاك الحـين فلتسـتمتع بوقتهـا دون أن تشـغل بالهـا بـشيء، فهـي اشـتاقت لمجيئهـا، ولتجعـل "تـرو أو" يرشـدها لأي مـكان ترغـب بالذهـاب إليـه، وليتنزَّهـا سـويًّا، ومـا كان أمـام "تائيقـو" سـوى الانتظـار بنـاء عـلى كلـمات أختهـا، وإن كانـت لا تـدري مـاذا سـيحدث.

بالأمـس حـين ذهبـت "تائيقـو" إلى "نوماتـزو" بالقطـار لـترى جبـل "فوچي" وجدتـه حجَبَـت الغيـومُ مُعظَمَـه، وقالـت مازِحـةً إن هـذا ليـس بالفـأل الحَسَـن، وبالطَّبـع كان مقصدهـا هـو الهـدف مـن مجيئهـا لـ "طوكيـو"، فحتـى الآن هـي ليسـت عـلى يقـينٍ مـن شيء، وتتوخَّـى الحـذر مـن أن يسـتدرجها الزَّوجـان، فهـي لا تعلـم مـا إذا كانـا يخدعانهـا، لكنهـا عـلى العمـوم اسـتمتعت بأوقاتهـا.

أمَّـا "ساتشـيقو" فهـي تقـضي أوقاتهـا وحيـدةً بغرفتهـا في النُّـزُل، وانتابها شـعور بالإحبـاط لاغترابهـا، وبالليلـة الماضيـة لم يغمـض لهـا جَفـنٌ طـوال الليـل، وكان هـذا هـو حالهـا طـوال الأسـبوع، وأصبـح وضعهـا بائِسًـا. لكـن بتلـك الليلـة أيضًـا لأوَّل مـرَّة ومنـذ عـدة سـنوات تنـام هـي وأختهـا جنبًـا إلى جنـب. "ساتشـيقو" منـذ أيـام سـكناهم ببيـت رصيـف الميـناء، وإلى أن أصبحـت شـابَّةً بمقتبـل العمـر، وبآخـر ليلـة قبـل زفافهـا- وهـي تشـارك أختهـا نفـس الغرفـة، ووقتـما كانـت بمدرسـة البنـات كانـت الأخـت الكبيرة فقـط المخصَّـص لهـا غرفـة وحدهـا، وهـي والأختـان الصغيرتـان بغرفـة بالطابـق الثـاني. لم تنفصـل "تائيقـو" عـن أختيهـا أبـدًا، و"يوكيقـو" دائمًـا مـا كانـت تسـعى لمـكانٍ بينهـا وبـين "ساتشـيقو". كانـت غرفتهـم ضيِّقـةً وبهـا اثنـان مـن الأَسِرَّة لثلاثتهـم. "يوكيقـو" هـي التـي لا تتقلَّـب أثنـاء نومهـا، وحتـى بالليـالي الحـارة تتدثَّـر بعنايـة وكعادتهـا تنـام بهـدوءٍ دون أن تفسـد هيئتهـا ولـو بالقليـل.

كان هـذا هـو المشـهد الـذي تَبـادَر لمخيِّلـة "ساتشـيقو" الآن، واعتـصر قلبهـا الحنـينُ، وتـراءت لهـا صـورة مـن تلـك الأيـام و"يوكيقـو" بقوامهـا الهزيـل تنـام ملتَزِمـةً بمكانهـا بالضَّبـط بينهـا وبـين "تائيقـو" بمسـاحة ضيِّقـة للغايـة.

بحلـول الصبـاح فتحـت عينيهـا بفِراشـها، وكأنَّهـا عـادت لأيـام مـا كُـنَّ فتيـاتٍ، وبعـد وهلـة بـدأت الثرثـرة الطفوليَّـة:

""تائيقو" ماذا سنفعل اليوم؟".

"ماذا سنفعل؟".

"ألن نذهب لأيِّ مكانٍ تحبينه؟".

"الـكل يقـول "طوكيـو، طوكيـو"، وأنـا لا أرى بهـا أي مـكان أريـد الذهـاب إليـه".

"أنا أيضًـا "أوسـاكا" و"كيوتـو" بالنسـبة لي أفضـل... بالأمـس ذهبـت إلى "LOHMEYER" وتناولنـا شـيئًا مختَلِفًـا. "Wiener schnitzel"".

"وكان "ترو أو" فَرِحًا؟".

"مجـرَّد أن بدأنـا بتنـاوُل الطعـام جـاء قبالتنـا رفيـقٌ لـه بالمدرسـة بصحبـة والديـه...".

"حقًّا".

"وفـور مـا وقـع نظـر "تـرو أو" عليـه تـورَّدَت وجنتـاه وظـلَّ يقـول "يـا للورطـة... مـاذا سـأقول الآن وأنـا معـكِ سـويًّا؟ لـن يُصـدِّق أحـدٌ أنَّـكِ خالتـي فعـلًا"".

"فَهِمت".

"سـيقولون الفتـى أكـبر أخواتـه... هـا هـي رفيقتـه الجميلـة... وحـين أردت طلـب البـيرة تعجَّـبَ واتَّسَـعَت مُقَلتـاه بشـكل عجيـب وقـال: "مـاااذا!"، كان يظنُّنـي لا زلـتُ طفلـةً".

"أنـتِ يـا "تائيقـو" بالملابـس الغربيَّـة لا تبديـن حتـى كأختـه الكبـيرة. قَطعًـا أي أحـد سـيظنُّ أنـك فتـاة تالِفَـة".

قبـل الظهـيرة بقليـل جاءتهـما مكالمـة هاتفيـة مـن بيـت "شـيبويا" يخبرونهـما بحجـز تذاكـر مـسرح الكابـوكي بالغـد.

إذن فـلا شيء تفعلانـه اليـوم. سـتخرجان بالظهـيرة لاحتسـاء الشـاي في "جينـزا" وتسـتقلّان سـيارة أجـرة مـن "أواريتشـو" للالتفـاف حـول مُرتَفَعـات "مياكيـه"، وصـولًا إلى مجمـع السـينمات والمسـارح "هيبيـا". بعـد عبـور إشـارة تقاطُـع الطُّـرُق هنـاك أطلّـت "تائيقـو" مـن نافـذة السـيارة وظلّـت تحـدّق بالمـارّة، وقالـت:

"الشـائع بــ "طوكيـو" هـو الأقمشـة ذات النقـوش والزَّركَشـة النَّمطيّـة عـلى شـكل المثلّثـات؛ فمنـذ خروجنـا مـن "GERMAN BAKERY" وحتـى وصولنـا إلى هنـا شـاهَدتُ سـبعة أشـخاص يرتدونهـا".

""تائيقو"... هل قُمتِ بِعَدِّهم؟".

"هيًّا انظري، هناك واحدة أخرى، وهناك أيضًا ها هي...".

واستمرَّ حَديثُها على ذاك المنوال لبعض الوقت.

وبتجوُّلهما بالطُّرُقات قالت "ساتشيقو":

"خطـر... خطـر، ليـس عـلى طالبـة بالإعداديـة أن تسـير ويدهـا بجيوبهـا".

"مضبـوط، ولكنـي متـى فعلـت ذلـك! أنـا حتـى بأيـام المدرسـة كان الـزِّيُّ بنطـالًا بـدون جيـوب!".

ورَدَّت "ساتشيقو" متعجِّبة:

"حقًّا!".

كان مـن عـادة "ساتشـيقو" الحديـث عـن أختهـا الصغـيرة هكـذا منـذ أن كانـت فتـاة بالمدرسـة، وحتـى بعدمـا نضَجَـت، وبالحقيقـة مثـل ذلـك الأسـلوب يجعلهـا تشـعر بالرِّضـا وكأنـه لم يَمُـرَّ العمـر ولا تـزال شـابَّة بمقتبـل العمـر.

الفصل الثالث والثلاثون

بذلك اليوم المشرق الذي تَوجَّهوا به لمسرح "الكابوكي"، وقُبَيل رفع ستار الفصل الأخير توالَت النِّداءات عبر مُكبِّر الصوت من على خشبة المسرح للعديد من الأشخاص:

"السيد فلان من "ميدوريتشو"".

"السيد فلان من "أووياما مينامي تشو"".

"السيد فلان من "نيشينوميا"".

وهكذا خرج مُسرِعًا كلُّ مَن سمع اسمه، وجاء آخر نداء عن شخص من الفلبِّين، وكان هذا طبيعيًّا فمسرح الكابوكي يأتيه المشاهدون من كل أرجاء اليابان، وتعجَّبوا من كَمِّ الحضور من إقليم الجنوب، ثم فجأة قالت "تائيقو":

"مهلًا".

وأصغوا باهتمام.

"حضرة السادة من عائلة "ماكي أوكا" من "أشييا"".

ونـادوا عليهـم عـبر مُكـبِّر الصـوت، ثـم صحَّحـوا النـداء وكـرَّروه ثـلاث مـرَّات:

"السادة من عائلة "ماكي أوكا" من "أشييا" بمحافظة "هيوجو"".

"ترى ماذا هناك؟ هيا اذهبي "تائيقو" وتعالي".

نَهَضَـت "تائيقـو" فـور قَـولِ "ساتشـيقو" ذلـك، وذهَبَـت ثـم عـادت بعـد حـينٍ وأخَـذَت وشـاحها وحقيبتهـا مـن عـلى المقعـد.

"عفوًا "ساتشيقو"".

واصطحبتها للرَّدهة بالخارج.

"ماذا حدث؟".

"الآن جاءت بالخارج نادِلة فندق "هامايا""، قالتها "تائيقو".

لقـد أذاعـوا أنـه عـلى السـيدة "مـاكي أوكا" الحضـور إلى قاعـة الـزُّوَّار، وحـين خرجـت "تائيقـو" مـن البوابـة الرئيسـية وجـدت النادِلَـة تقـف عنـد الـدَّرَج وأخبرتهـا أنـه منـذ قليـل جـاء اتِّصـال مـن بيـت "أشـييا". تحدَّثَـت النادلـة بلكنـة "أوسـاكا"، وأضافـت أنهـا حاولـت الاتصـال بالمـسرح لعـدَّة مـرَّات ولكـن دون جـدوى فقالـت لهـا ربَّـة النُّـزُل أنـه مـن الأولى المجـيء إليـك هرولـة وإبلاغـك. سـألتها "تائيقـو" عـن هـذه المكالمـة التـي جاءتهـم، لكنهـا أجابـت بـأن ربَّـة النُّـزُل هـي مَـن أجابـت الهاتـف؛ لـذا فهـي لا تعـرف شـيئًا، لكنهـا أضافـت:

"إن الحديـث بـدا أنـه عـن شـخص مريـض وحالتـه سـيئة للغايـة، ولكنهـا ليسـت ابنـةَ حضرتـك، فابنتكـم تتعـافى مـن الحُمَّـى القُرمزيَّـة، والمريـض المقصـود ليـس هـي، بـل شـخصًا دخـل إلى قسـم الأنـف والأذن والحنجـرة بالمشـفى".

هـذا مـا ذكرتـه النادلـة ورَوَتـه بمصداقيـة، وربّـة النُـزُل ظنّـت أنهـما بالتأكيـد بالمسرح فأرسـلتها وأبلغتهـا أنـه عـلى الأرجـح سـتعود "تائيقـو" هـذا المسـاء بالقطـار الليـلي، وهـي ترجوهـا أن تُطَمئِنَهـا بمكالمـة هاتفيـة إن سـمح الوقـت.

"إذن فهو "إيتاكورا"".

لقـد عرفـت "ساتشـيقو" بشـأن العمليـة الجراحيـة التـي سـيجريها "إيتاكـورا" بأذُنــه أثنــاء رحلتهــما بالقطــار حــين ســألت "تائيقــو" عــن أخبـاره، ودار الحديـث حينهـا عـن أن "إيتاكـورا" ذهـب منـذ بضعـة أيـام لمشـفى في "قوبيـه" لانسـداد أذنـه بسـبب التهـاب الأذن الوسـطى، وأول أمـس أخبروهـا أنـه يجـب أن يخضـع لعمليـة جراحيـة لإصابتـه بالتهـاب الخشـاء[1]، وأمـس دخـل المشـفى لإجـراء الجراحـة، وتمّـت العمليـة بنجـاح، وسـيتماثل للشـفاء سريعًـا؛ لقـد قـال لهـا "إيتاكـورا" ألّا تقلـق وهـو يخبرهـا بالأمـر، وأكّـد عليهـا أن تذهـب لـ "طوكيـو" وتعـود بالسـلامة؛ لذلـك أتمّـت اسـتعداداتها للسـفر ولم ينشـغل بالُهـا؛ ظنًّـا منهـا أنـه أمـر هـيِّن؛ فهـو رجـل قـويٌّ البنيـة، يتمتّـع بخـير صحـة، ويبـدو أنـه حتـى وإن تعـرَّض للقتـل لـن يَمـوت. لكـن حالـة "إيتاكـورا" تَدَهـوَرَت فجـأة.

أبلغوهـم بالنُـزُل عـبر الهاتـف أن يجعلـوا "تائيقـو" تتفضّـل مشـكورةً بالاتصـال، ربمـا هـي أخـت "إيتاكـورا" مَـن اتّصلَـت أو أي أحـد مـا مـن المشـفى جـاء لإخبارهـا، و"يوكيقـو" لم تَـدَع الأمـر يمـرُّ مـرور الكـرام، بـل عـلى الفـور أبلغـت الخـبر بدورهـا.

إن التهـاب الخشـاء حتـى وإن تطلّـب عمليـة جراحيـة فهـو شيء لا يسـتدعي القلـق، ولكـن إذا تأخّـر أكـثر مـن الـلازم أحيانًـا يتغلغـل الالتهاب بالمـخ، ويمكـن أن يُهـدِّد الحيـاة في بعـض الحـالات.

(1) العظم الناتئ خلف الأذن.

لقد أراد من "يوكيقو" أن تبلغها على وجه السرعة حين وجد حالته غير مُطَمئِنَة.

"ماذا ستفعلين "تائيقو"؟".

"على الفور سأمرُّ على الفندق ثم أغادر".

حافظت "تائيقو" على هدوئها دون أن يبدو عليها أي قلق.

"وأنا ماذا سأفعل؟".

"أكملي مشاهدتك للمسرحية. آسفة لتَركِكِ".

"وماذا سأقول لـ "تسوروقو"؟".

"لا أعرف".

"بهذه المرة يا "تائيقو" عليَّ أن أخبرها بشأن "إيتاكورا"".

"أخبِريها".

ووَضَعَت "تائيقو" وشاحها ذا اللون الفاتح على كتفيها وهمَّت بالمغادرة، وأضافت:

"... ولا مانع لديَّ إن حدَّثتني بالموضوع".

وألقت "تائيقو" بكلماتها ونزلت الدَّرَج وذهبت.

عادت "ساتشيقو" إلى مقعدها، وكان قد رُفِع الستار و"تسوروقو" مندمجة في المشاهدة بشغف ولم تنطق بكلمة أو تتساءل عن أي شيء، لكن "ساتشيقو" واتتها الفرصة لتخبرها بكل شيء عندما انتهى العرض وتَزاحَم الحضور عند البوَّابة الرئيسية للخروج، وسألتها "تسوروقو" لأول مرة عن "تائيقو"، لكن "ساتشيقو" لم تفعل وأجابتها:

"منذ قليل جاء للقائها صديقٌ، ويبدو أنهما ذهبا سويًّا".

وسارت "ساتشيقو" برفقة أختها الكبيرة إلى "جينزا"، وفارقتها عند "أواريتشو" وعادت للنُّزُل.

استقبلتها النادلة بالقول إن "تائيقو" غادرت للتّوِّ، وهاتَفَت بيت "أشييا" قبل رحيلها في عُجالة، وطلبت منهم حجز تذكرة بقطار النوم لها للعودة إلى "أوساكا" بعد انتهاء المسرحية، وأضافت:

"إنها لم توضِّح أي تفاصيل أكثر، فقط أمكنني الفهم من المكالمة التي أجرتها أن جرح العملية تلوَّث بميكروب خطير، والمريض يتألَّم للغاية، وهي ستذهب مباشرة إلى "سانّوميا" بالقطار، ثم للمشفى فور وصولها للمحطَّة غدًا بالصباح الباكر".

أضافت النادلة أن "تائيقو" أرادت منها أن تبلغها أيضًا أن هناك حقيبة صغيرة لها، فلتأخذها معها وتُعِدها إلى "أشييا"، وكانت هذه كلماتها بعدما استطاعت بقليل من التخمين أن تفهم العلاقة بين "تائيقو" والمريض.

لم تستطع "ساتشيقو" التزام الصمت أو أن تظلَّ هكذا لا تُحرِّك ساكِنًا، وأرادت أن تتَّصِل ببيت "أشييا" فكلَّمَت "يوكيقو"، لكنها لم تتمكَّن من سماعها جيِّدًا ولم تفهم منها أي شيء على الإطلاق؛ ذلك ليس لعيب بالهاتف أو بخطوط الاتِّصال، بل لأن طبيعة نبرة صوتها خافتة مهما حاوَلَت بعزم ما فيها من قوة رَفعَ صوتها، وأنسَبُ وصف لمحاولتها أنها تضيع سُدًى؛ لأن صوتها رقيق وضعيف. إنها طيلة عمرها لا شيء يثير حنقها كالهاتف؛ فهي يصعب عليها التعامُل عبره، وغالبًا ما تجعل أيَّ أحد سواها يقوم بهذه المهمة، لكن اليوم الأمر يتعلَّق بـ "إيتاكورا"؛ لذا لا يمكنها أن تَدَعَ "أوهارو" تتحدَّث بدلًا منها، ولا يمكنها أيضًا أن تطلب من "تينوسوكيه"؛ فما من سبيل لأحدٍ سواها؛ فحاوَلَت على مضض. صوتها ضعيفٌ وخافت للغاية، و"ساتشيقو" تمضي الوقت كله وهي تقول "ألو ألووووو" عِوَضًا عن تبادُل أطراف

الحديث. بالنهاية استطاعت أن تلتقط حديثًا متقطِّعًا مفاده أنه اليوم بالساعة الرابعة مساءً جاء اتِّصال من أخت "إيتاكورا" تقول إنه دخل المستشفى لإجراء عمليَّة بأذنه وتمَّت بنجاح، لكن منذ مساء أمس تبدَّلَت حالته فجأة للأسوأ، وعلى ما يبدو أن هناك ضَرَرًا طال الدماغ، وليس المخُّ فقط الذي أُصيب، بل القدم أيضًا، ولم تستطع أن تفهم بوضوحٍ ماذا قد يكون بقَدَمِه، لكنه يتألَّم ألمًا عظيمًا وينتفض من الوجع بمجرَّد لمسها، ويستمر في الصراخ "تؤلمني، تؤلمني".

لم يطلب "إيتاكورا" استدعاء "تائيقو"، ولكنها تشعر أن معاناة أخيها ليست بالأمر الطبيعي، وعلى ما يبدو أنها خرجت من نطاق تَخَصُّص الأنف والأذن والحنجرة، وهي تبحث عن أي استشاري آخر يتفحَّصه، ولكنها ليس بمقدورها التَّصرُّف أو اتِّخاذ أي قرار على مسؤوليتها وهي بمفردها، وقالت لها أخت "إيتاكورا" إنها في حيرة من أمرها، ولا تدري ماذا يتوجَّب عليها القيام به أو كيف ولماذا تطوَّرَت حالته بهذا الشكل. لقد هاتفتها "تائيقو" وعلمت بما أصابه وأنه يتلوَّى من الألم كالمجنون، فأخبرتها بمغادرتها هذا المساء. أيضًا أرسلت أختُ "إيتاكورا" برقيَّةً لوالديها بالريف، وسيحضران بصباح الغد.

كان هذا كل ما استطاعت "ساتشيقو" معرفته من "يوكيقو"، وقبل أن تُنهي المكالمة سألت عن ابنتها ووجدتها استعادت كامِلَ عافيتها ولا يمكنها التزام الهدوء بغرفتها المنعزلة، وتتسلَّل وتقفز خارجها، ولا يمكن السيطرة عليها، ولقد تساقَطَت القشور كلُّها عن جسدها، ولا يتبقى سوى القليل بساقها من الخلف.

غادرت "تائيقو" وبقيت "ساتشيقو" لحالها ترتبك كلَّما فكَّرَت في عُذرٍ مقبول يصلح الموقف ويجعلها تسرع بالمغادة بعدما تودِّع أختهم الكبيرة. انتهى بها التفكير لأن تتصرَّف بشجاعة، وحتى ولو بدا الأمر غريبًا، فلا مفرَّ، وستهاتف "تسوروقو" بالصباح وتخبرها أن

"تائيقـو" عـادت لــ "أوسـاكا" لظـروف طارئـة وهـي سـتلحق بهـا وتغـادر أيضًـا، ولكـن تَـودُّ لقاءهـا أوَّلًا بـأيِّ مـكان، وإنمـا سرعـان مـا جاءتهـا الأخـت الكبـيرة وهـي تحمـل بيدهـا حقيبـة لــ "تائيقـو".

كانـت "تسـوروقو" فيـما بـين الأخـوات كلِّهـنَّ هـي الأكـثر هـدوءًا وطول بـال، حتـى إن أخواتهـا الصغـار ينعتونهـا بــ "مُمِلَّـة". إنهـا لم تسـأل عـن الأمـر العاجـل الـذي اسـتدعى سـفر "تائيقـو" وعـادت أدراجهـا دون انتظار لمعرفـة أي تفاصيـل، وهـذا جعـل "ساتشـيقو" تتنفَّـس الصعـداء. تناوَلَـت الاثنتـان الغـداء بالصالـة اليابانيـة الطـراز بالفنـدق. حاوَلَـت "ساتشـيقو" أن تجعلهـا تستشـفُّ الوضـع، وكان كل مـا سـألت عنـه هـو مـا إن كانـت "تائيقـو" مسـتمرَّةً بلقـاء "أوكوباتـا"، وأجابتهـا "ساتشـيقو":

"نعم، من حينٍ لآخر".

"وبخلاف "أوكوباتا" هل هناك شخص آخر؟".

"ومِمَّن سَمعتِ هذا؟".

"مؤخَّـرًا حدَّثتنـي "يوكيقـو"، وعرفـت أنـه كان هنـاك شـخص مـا، ولكـن انتهـت قصَّتُه".

إن "يوكيقـو" أسـدت للجميـع صنيعًـا بوسـاطتها في الموضـوع، وإن كانـت "تسـوروقو" لم تسـأل بالتفصيـل، ولكـن تـرى هـل هـي عـلى عِلـمٍ بـأن "تائيقـو" عـلى علاقـة بشـاب آخـر الآن، وهـو مـن مسـتوى اجتماعـي متـدنٍّ؟! لقـد طلبـت مـن "ساتشـيقو" وهـي ترجوهـا أن تنتبـه عليهـا. أضافـت "تسـوروقو" أنهـا تـدري أنهـا كلهـا شـائعات، ودار حديثهـم بـذاك الحـين كـما لـو أنـه عـن علاقـة قديمـة لــ "تائيقـو" وانتهـت. تظـنُّ "تسـوروقو" أن أختهـم الصغـيرة تطاردهـا لعنـة الشـائعات المغرِضَـة وهـي تثـق بأخواتهـا لأبعـد حـدٍّ؛ لـذا لـن تسـأل أبـدًا عـن مـدى صحـة أي أقاويـل؛ فبالحقيقـة هـي وزوجهـا أكـثر مـا يتمنَّيانـه هـو إتمـام زواج "تائيقـو" و"أوكوباتـا" بـأسرع وقـت. ورأت أنـه لـو كان الأمـر مُحرِجًـا لــ

"يوكيقـو" فليحدّثوهـا بالموضـوع أوّلًا، وأكّـدَت "تسـوروقو" أنـه بخصـوص المـال الـذي جـاءت مـن أجلـه "تائيقـو" بهـذه المـرة وذكرتـه "ساتشـيقو" بالخطـاب فهُـم لا نيّـةَ لديهـم لقبـول الأمـر، وهـذه الحماسـة لـ "تائيقـو" تثـير استياءهم، وسـيتطوّر الموضـوع لشِـجارٍ مـع الأخ الكبـير؛ فطلبـت مـن "ساتشـيقو" أن تجعلهـا تعيـد التفكـير جيّـدًا قبـل التسـرُّع بـأي ردٍّ، ولتَعُـدْ أدراجهـا في هـدوءٍ أفضـل، وبـدون أي جلبـة. قالـت أيضًـا إنهـا لا تـدري كيفـما ستُحلُّ هـذه الأزمـة، وأرهقهـا التفكـير وكأن هـذه الكلـمات لتزيـح حمـلًا جاثِمًـا عـلى صدرهـا.

أجابتها "ساتشيقو":

"فعـلًا. أفضـل حـلٍّ تُقدِّمـه لنـا هـو أن تسـتمرَّ مـع "أوكوباتـا"... أنـا أيضًـا أظـنُّ ذلـك، و"يوكيقـو" بالمثـل، ودائمًـا مـا ننصحهـا".

"تسـوروقو" لم تُلـقِ بـالًا مـا إن اعتـبرت "ساتشـيقو" هـذا الـكلام بمثابـة تقديـم أعـذار؛ فهـي كل هُمِّهـا أن تلقـي مـا في جعبتهـا وتقـول مـا جـاءت لقوله.

وضعت عصا طعامها جانِبًا وهندمت ملابسها وقالت:

"شـكرًا عـلى الطعـام. سـأعود أنـا الآن، ولا أدري إذا كنـتُ سأسـتطيع المجـيء بالمسـاء لوداعـك".

وغادَرَت على الفور دون أن تلتقط أنفاسها بعد انتهاء الطعام.

الفصل الرابع والثلاثون

عادت "ساتشيقو" لمنزلها بصباح اليوم التالي، وكما عرفت من ملخَّص الأحداث الذي ذكرته لها "يوكيقو"، فبمساء أوَّل أمس حين اتَّصلَت أخت "إيتاكورا" لم تكن "يوكيقو" تدري من الأساس بدخول "إيتاكورا" للمشفى، وهي لم تلتَقِ بأخته من قبل، وظنَّت أنها اختلط عليها الأمر ولم تُميِّز بينها وبين "يوكيقو"، لكنها نادتها فيما بعد باسمها، وذكَّرَت أنها تعلم بوجود "تائيقو" في "طوكيو"، واعتذرت بشدَّة، وقالت لها عن حالة أخيها المتدهورة.

أنه أجرى عملية في أذنه قبيل مغادرة "تائيقو" بيومٍ، وحين ذهبت لزيارته بالمشفى كان بحالة جيدة، لكن بالمساء بدأ شعوره بالحَكَّة في قدمه، وأراد خدشها، وبالصباح التالي أخذ يصرخ: "تؤلمني، تؤلمني".

وشيئاً فشيئًا أصبح لا يقوى على تحمُّل الألم، واستمرَّ الحال هكذا لثلاثة أيام، وتفاقَمَت حالته أكثر وأكثر دون أي تحسُّن.

وبالرغم من أن مدير المشفى على عِلمٍ بأن حالة المريض هكذا إلا أنه نظَّف جرح العملية دون أن يعبأ بشكواه، وبالصباح أتى مرَّةً واحدة لتغيير الضمادة، وأسرع بالمغادرة، واليوم وبعد انقضاء يومين أصرَّ على تجاهُل معاناة المريض التي بَلَغَت هذا الحَدَّ. تقول الممرِّضات أن الوضع فعلًا مأساويٌّ؛ وهذا لفشل العملية التي أجراها مدير المشفى، ونظرًا لتدهور حالته أرادت أخته أن تشارك أيَّ أحد الحديث؛ فأي شيء يتوجَّب فِعلُه هو مسؤوليتها، وظنَّت أنه ما من شيء تفعله له أفضل من أن تدع "تائيقو" تأتيه على وجه السرعة؛ ولهذا هاتَفَت بيت "أشيبا"، وبدا أنها تَتَّصِل من مكانٍ آخر غير المشفى، واتصلت من تلقاء نفسها؛ لأن أخاها وَبَّخَها حين عرف، واختنق صوتها بالبكاء عبر الهاتف. لقد استبقت وأخبَرَت "تائيقو" بهذا الحديث، وليس من الصعب تخيُّل رَدِّها. لكن رغم ذلك حين تستمع للأمر من "تائيقو" تجدها تقول إن الأخت الصغيرة لـ "إيتاكورا" ذات الواحد أو الاثنين والعشرين عامًا نشأت بالريف ولا زالت لم تعتَد حياة المدن، ولقد استجمعت كل قواها لتتَّخِذ القرار بإجراء هذه المكالمة الطارئة؛ قلقًا منها على شأن أخيها، ولا بُدَّ أن يُلتمس لها العذر فورًا بمجرَّد أن تلحظ نبرة صوتها وتلاحق أنفاسها.

لقد أبلغوها في "طوكيو" في الحال، وهذا بفضل أنها بادَرَت بالتحرُّك سريعًا.

بالأمس فور أن وصلت "تائيقو" إلى "سانوميّا" ذهبت مباشرة للمشفى، وعادت بالمساء، ولم تمض سوى ساعة وخرجت مرَّةً أخرى. كانت بذاك الوقت متماسِكةً قويَّةً كالعادة ولا تغلبها الدموع وهي تتحدَّث عن "إيتاكورا" الذي خارت قواه وبالكاد ينطق كلماته: "مؤلم، مؤلم"، ويستمر على هذه الحالة، وقالت إنه شعور مخيف أن تراه هكذا.

بصباح اليوم حين دخلت غرفته بالمشفى كانت أخته مُستَلقِيَةً جانبًا، واستقبلتها مُرَحِّبة بمجيئها، لكن "إيتاكورا" المريض الذي يعاني الأوجاع بالكاد رفع عينيه صوبها، لم يَقُل سوى "تؤلمني، تؤلمني" بصوتٍ خافت. إنه كان بأشد الحاجة لاستجماع كل قواه البدنية ليتحمَّل ذاك الألم؛ ولهذا لم يكن لديه أي مجال ليصرف انتباهه لأي شيء آخر.

وعلى ذلك الحال لم يكن أمامه سوى أن يتأوَّه طوال الليل والنهار دون أن يغفو أو حتى يتناول الطعام.

وقتما رأته "تائيقو" لم يكن جُرحُه مُتورِّمًا أو به أي قيح؛ لذا فهي لم تدرك أين مَكمَنُ ألمه. أخبروها بقسم التمريض أن ألمه من حيث موضع ركبته اليسرى إلى أصابع قدمه، وإن حاول تغيير وضعية نومه أو تَحسَّسها برفق آلمته ألمًا رهيبًا، وحينها يعلو صراخه.

سألتها "يوكيقو" عن السبب؛ فهو أجرى عملية جراحية بأذنه؛ فلماذا ساقه تؤلمه، وما العلاقة؟ لكن "تائيقو" لم تكن تدري هي الأخرى، وهذا أيضًا ما لم يُفسِّره الطبيب الاستشاريُّ أبدًا، ومنذ أن بدأت شكوى المريض وهو يتهرَّب من ذويه ولا يَمرُّ علي غرفته، لكن بالتمعُّن فيما يتهامس به الممرِّضات سرًّا يتَّضِح أن جرثومة خبيثة دخلت جسده وقت إجراء العملية، وتغلغلت بساقة وسَمَّمتها على ما يبدو.

جاء والداه وزوجة أخية الكبير من البلدة، وبعدها دار النقاش، وبدأت التساؤلات بالردهة أمام غرفة المريض بالمشفى، ولم يستطع المدير المسؤول "إيسوجاي" التخلُّصَ من إلحاحهم، وبالمساء استدعى جرَّاحًا آخر، ومكث الاثنان يتشاوران لبعض الوقت، وبالنهاية غادر مدير المشفى وجاءهم الجرَّاح الآخر ليتابع الحالة، ثم انصرف هو الآخر، وذهب لمدير المشفى ليتبادلا النقاش والشَّدَّ والجذب خلسةً.

وحين سألوا الممرضة قالت إن الوضع خرج عن سيطرة الطبيب المسؤول؛ لذلك طلب جرّاحًا ذائِعَ الصيت في "قوبيه"، وجاء وقال إنه لا بُدَّ من قَطع الساق ممَّا يلي الفخذ، ولكن الآن الوقت تأخَّر للغاية وضاع الأمل الوحيد، وتمَّ استدعاء جرَّاحٍ آخر، لكنه هو أيضًا عاد أدراجه؛ لأن الوضع أصبح ميؤوسًا منه.

أضافت "تائيقو" أنها مرَّت تتفقَّده هذا الصباح، وسألت أخته ما إن كانت تحسَّنَت حالته، فقالت لها إنها ترى أنه من الأفضل البحث عن طبيب أهل ثِقَة يأتي لتفَحُّصه، وهم لا يعنيهم أمر مدير المشفى هذا، وليس هناك ولا لحظة ليضيِّعوها، ولكن ماذا عساها أن تفعل وكبار ذويهم من البلدة يتمتَّعون بطول البال، ويضيِّعون الوقت عبثًا لجمع المبلغ المطلوب، ولا يستقرون على رأي واحد، وهكذا يضيع الوقت، وما هو آتٍ لن تُحمَد عقباه.

قالت "تائيقو" إنها اليوم لأول مرة تلتقي بأهله هؤلاء؛ لذلك لا يمكنها أن تزيد القول؛ فهي مهما حاولت إقناعهم بأي شيء يقولون "بالضَّبط"، و"بالتأكيد"... وبدون أي حراكٍ! ممَّا أزعجها للغاية.

وكان هذا ما انتهى إليه الحديث بمساء الأمس، وباليوم خرجت "تائيقو" من الصباح الباكر قرابة السادسة صباحًا، ثم عادت بعد ساعة واستراحت ساعتين ثم خرجت مرة أخرى.

سألتها "يوكيقو" عن الأحوال مرَّةً أخرى، فقالت إنه بمساء الليلة الماضية جلب مدير المشفى جرَّاحًا آخر يدعى "سوزوكي"، وقال إنه يؤيِّد إجراء عملية البتر، وإن كانت النتائج غير مضمونة، ولكن للآن والداه لم يتَّخِذَا القرار بعدُ. إنهما -وبالذات والدته- يقولان إذا كنَّا لا نستطيع مساعدته لكننا لا نجرؤ على هذا الحلِّ الوحشي، وأمه تُكرِّر "أريده أن يموت بكامل جسده دون أن يُنتَقَص منه جزء"، وأخته تقول ليس بيدنا فعل شيء، ولكننا نبذل قصارى جهدنا لإيجاد أي

حلٍّ ممكنٍ، ونتعلَّق بأي أمل كان، ومن الواضح أن رأيها هو الصواب، ولكن يصعب على الكبار تَقبُّله. الأكثر هو أن "تائيقو" استسلمت بالكامل؛ فبلا شكٍّ -سواء بهذا الحل أو بذاك- فلقد فات الأوان. هذا كله بالإضافة إلى قول الممرضة التي بدت مُشمئِزَّة من مدير المشفى وتتحدَّث عنه بالسوء، بل وقالت لهم لا أعرف إلى متى ستثقون به، إنه سكِّير ومدمن شرب خمور، رعشة أصابعه كثيرًا ما تسبَّبَت في فشل عمليات جراحية، وإلى الآن شهدت بعينها بضع حالات على ذاك الوضع.

لاحقًا قصَّت "تائيقو" كل هذه التفاصيل على طبيب العائلة "كوشيدا"، فقال إنه دخل ميكروب بعد عملية أذنه وتغلغل حتى الأطراف، ومهما كانت عناية الطبيب المختص فبالنهاية هو ليس إلهًا. هذا لا يعني أنه لم يَعُد باستطاعتنا فِعلُ شيء، وإنما بمجرَّد الشَّكِّ في دخول ميكروب بعد العملية ولو بنسبة ضئيلة وفور ما يشعر المريض بالألم ولو قليلًا عليه استدعاء الجرَّاح في الحال، وإذا لم يتدخَّل بفعل اللازم أو تأخَّر تصبح هناك خطورة على حياة المريض. بالحقيقة الوضع أصبح صراعًا مع الوقت؛ لذلك حتى لو اعتبرنا الطبيب "إيسوجاي" مدير المشفى فشل في العملية التي أجراها فالوضع الحالي لم ينجم من تَجاهُله لمعاناة المريض من الألم طيلة الثلاثة أيام، وسلوكه الذي على القليل يوصف بأنه غلظة وانعدام أمانة فقط؛ بل لو لم يكن والداه قرويَّيْن لا يفقهان شيئًا، ولو لم يجعل ذويه الواقِعَة تمرُّ مرور الكرام؛ لتَبَدَّل الحال، وأصبحت الواقعة بمثابة حادثة مُشينة يخشى الطبيبُ المدير أن يعرف بها أحدٌ.

بنفس الوقت ذهاب "إيتاكورا" الذي لا يدري شيئًا عن ذاك الطبيب غير الجدير بالثقة لتلقِّي العلاج على يديه أمرٌ ليس إلَّا من سوء حظه.

وفات أوان كل هذا الكلام.

استمعت "ساتشيقو" لكل ما جرى من "يوكيقو"، ثم بدأت في سؤالها بالتفاصيل، وعندما هاتَفَتها أخت "إيتاكورا" بأي غرفة كانت، وهل استمعت إليها "أوهارو" وباقي الخادمات، وهل عرفن بالأمر، وماذا عن "تينوسوكيه"؛ هل عرف هو الآخر.

في الحقيقة "يوكيقو" حين جاءها الهاتف كانت بعيدةً عن "أوهارو"، لكن جاءتها "إتسوقو" أثناء المكالمة وممرِّضتها "ميتو" وتصنَّتت "أوهارو". امتقعت وجوههن جميعًا، وسألت "إتسوقو" عن "إيتاكورا" وماذا به، ولماذا عادت "تائيقو".

احتارت"يوكيقو" في كل هذه الأسئلة المزعجة، وفي الغالب كل ما استمعت إليه "أوهارو" نقلته لباقي الخادمات، وطالما بلغت الثرثرة ذاك الحدُّ فما باليد حيلة. "ميتو" ظنَّت ممَّا سمعته أن هناك خطبًا ما، وأن الأمور ليست على ما يرام. بالمرة الثانية التي جاء بها هاتف أجابه "تينوسوكيه" بنفسه، وبدا أنهم يوالونه بالأخبار أوَّلًا بأوَّل، وما آل إليه الوضع، لكن هو أيضًا أصابه القلق، وبالصباح قبل خروجه سأل "تائيقو" عن آخر التطوُّرات، ونصحها أن تُشجِّعَهم على الخضوع للعملية.

"أنا أيضًا أوَدُّ أن أذهب لزيارته".

"حسنًا. تحدَّثي مع "تينوسوكيه". هاتِفيه وأبلغيه بوصولك".

"بالتأكيد. سأفعل بعدما أنال قسطًا من الراحة".

لقد استقلَّت "ساتشيقو" قطار النوم، لكنها لم يغمض لها جفنٌ، ووصَلَت وصعدت لغرفتها واستلقت بمضجعها، لكنها لم تستطع النوم أيضًا لانشغال فكرها، واستسلمت بالنهاية وقامت واغتسلت ونزلَت.

نـادت "ساتشـيقو" عـلى الخـدم بالمطبـخ ليسرعـوا بإعـداد الغـداء، وهاتَفَت "تينوسـوكيه" ليأتيهـا.

قالـت "ساتشـيقو" إن اسـتدعاءهم لــ "تائيقـو" على وجه السرعـة وبهذا الشـكل هـو مـأزقٌ علقـوا بـه، وإنمـا بوصولهـا لا يمكـن البقـاء والإقـرار بعلاقـة اثنتيهـما عَلَنًـا هكـذا. بغَـضِّ النظـر عـن أن "إيتاكـورا" أنقـذ حيـاة أختهـم الصغـيرة وقـت الفيضـان، ولا أحـد منهـم زاره حتـى الآن، وهـم يعرفـون ذلـك جيِّـدًا. لكنهـا يعوقهـا الأرق وعـدم اسـتطاعتها النـوم، عـلاوة عـلى أنهـا تظـلُّ تفكِّـر كيـف ليـس بمقدورهـم المسـاعدة. إنـه رغـم بنيتـه القويـة إلا أن الحـظَّ العَسِر يلازمـه. هكـذا قالـت "ساتشـيقو" لزوجهـا الـذي أكَّـد عـلى كلامهـا بـدوره، وقـال لا مانـع مـن زيارتـه ولـو لوقـت قصـير؛ فهـو أيضًـا يشـعر بالمثـل، لكنـه سـألها عـن "أوكوباتـا"، ومـا إذا كان سـيذهب للمشـفى أم سـيقول لهـا مـن الأفضـل ألَّا تذهبـي حضرتـك، وكلامًـا مـن ذاك القبيـل.

بالنهايـة اسـتقرَّ رأي "تينوسـوكيه" عـلى أن تذهـب بزيـارة قصـيرة، ولا داعـي للصِّـدام بــ "أوكوباتـا" أو إخبـاره مـن الأسـاس، وبقـدر المسـتطاع "تائيقـو" أيضًـا لا تفعـل، وأكَّـد "تينوسـوكيه" عـلى زوجتـه أن تصطحـب "تائيقـو" وتذهبـا سـويًّا بالمسـاء وتعـود وهـي معهـا وقتـما تغـادر المشـفى.

بالمشـفى كان الوضـع لا يـزال كـما هـو عليـه، يـدور النقـاش حـول شـأن الجـرَّاح دون الوصـول لـشيء. أيَّـدَت "تائيقـو" بحـماس رأيَ أختـه بـضرورة عرضـه عـلى جـرَّاح آخـر، في حـين أن والديـه لم يحسـما قرارهـما بعـد، رغـم أنـه ليـس هنـاك أيُّ تَحسُّـن؛ فطلبـت "تائيقـو" مـن "ساتشـيقو" أن تسـاعدهم بالمشـورة حـين تذهبـان.

قـرَّرَت الأختـان الذهـاب بعـد تنـاول الغـداء، وأسرَعَـت "ساتشـيقو" وأختاهـا "يوكيقـو" و"تائيقـو" بالانتهـاء مـن الطعـام، وانتبهـن كي لا يتـسرَّب أي حديـث بخصـوص "تائيقـو" عـلى لسـان الممرِّضـة التـي كانـت بـذاك

الوقت بالقُرب تلهو مع "إتسوقو" وليس لديها أي عمل آخر. تناقشن سويًّا كي تخبرها "يوكيقو" أن تبقى لو يسمح وقتها لأن لديهم أمرًا طارئًا يستدعي خروجهم سريعًا، وليتها تبقى إلى أن يعودوا، وتنصرف بعد تناوُل العشاء.

أخبرتها "يوكيقو" على الفور، وطلبن سيارة أجرة بالساعة الثانية عشرة ظهرًا ليذهبن مباشرة للمشفى.

كان الطريق للمشفى ضيِّقًا بين مرتفعات، وإن كانت تدعى مستشفى إلَّا أنها عبارة عن مجموعة عيادات في بناية فَخمَة من طابقين. الطابق العلوي لا تتعدَّى به غرف المرضى الاثنتين أو الثلاث. كانت غرفة "إيتاكورا" تطلُّ نافذتها على ساحة خلفية لمغسلة المشفى، مُعلَّق بها قطع ملابس خفيفة موحَّدة الشكل للمرضى في مشهد كئيب. جلس العديد من الأشخاص داخل الغرفة سيئة التهوية، وانبعثت منهم رائحة تعرُّق كريهة، والمريض يرقد جانبًا على تَختٍ معدنيٍّ قُبالة الجدار جهة اليمين، ينام منحنيًا متكوِّرًا على نفسه.

دخلت"ساتشيقو" ووجدت المريض تتسارَع كلماته دون أن يستكين ولو للحظة واحدة، ويقول: "تؤلمني، تؤلمني، تؤلمني". عرَّفتها "تائيقو" بوالِدَيْه وزوجة أخيه الكبير وأخته الصغيرة، وبادَلَتهم التحية، وبعدها اتَّجهَت لسرير "إيتاكورا" واتَّكأت بكلتا رُكبَتَيْها لتعدل وسادته، وهمَسَت تخبره بمجيء "ساتشيقو" معها، لكنه ظلَّ على حاله؛ ظهره قبالتهم ووجهه للجدار ولا يقول سوى "تؤلمني، تؤلمني...".

نهضت "ساتشيقو" ووقفت بجوار "تائيقو" تترقَّب بخوف شديد، لكن جانب وجهه الظاهر لهم وهو مُستلقٍ لم يكن هزيلًا إلى ذاك الحد كما توقَّعت، أو مخضَّبًا بالدماء. كان بثوب نوم من الشَّاش، وأزاح الدِّثار عن خصره وبَدَا من مؤخِّرَة عنقه العارية وذراعيه المكشوفة من الأكمام المقلوبة للثَّوب أن بنية جسده القويَّة لم يتغيَّر

بهـا شيء، فقـط عنـد أذنـه تتعـارَض ضِمادتـان إحداهـما مـن أذنـه إلى الفَـكّ، والأخـرى مـن جبهتـه إلى مؤخِّـرَة عُنُقـه.

ظلَّت "تائيقو" تقول له وتُكرِّر:

""يونيان"... جاءت معي "ساتشيقو" لزيارتك".

سَـمِعَت "ساتشـيقو" "تائيقـو" وهـي تناديـه بهـذا الاسـم. إنهـم ببيـت "أشـييا" عـادة مـا تتحـدَّث عنـه "تائيقـو" باسـم "إيتاكـورا"، وهكـذا تفعـل "ساتشـيقو" ويوكيقـو" والصغـيرة "إتسـوقو" أيضًـا، لا يقلن سـوى "إيتاكورا"، حتـى لـو كُـنَّ يتحدَّثـن عنـه خلسـةً. إن لقبـه "إيتاكـورا"، واسـمه "يوسـاكو إيتاكـورا"، وإنمـا اسـم "يونيـان" هـذا أطلقـوه عليـه حـين كان يعمـل بمتجـر عائلـة "أوكوباتا".

نـادت عليـه ساتشـيقو بـ "إيتاكـورا"، ثـم اسـتطردت وهـي تُنَهنِـه وتُجفِّـف دموعهـا:

"إنه يعاني معاناةً رهيبة، طالما شخص مثله يتألَّم هكذا...".

اقترَبَت منه أخته وهمست له:

"أخي، حضرتها سيدة عائلة "ماكي أوكا" من "أشييا"".

"كلَّا... كلَّا، لا تقـولي لـه هكـذا"، ونَهَتهـا "ساتشـيقو"، وتابعـت حديثهـا وسـألتها:

"ساقه اليسرى تؤلمه هي الأخرى؟".

" لا تؤلمـه... أجـرى العمليـة بأذنـه اليمنـى، وسـاقه بنفـس الجهـة هـي التـي تؤلمـه، ويظـل مسـتلقيًا هكـذا عـلى جانبـه الأيسـر".

"إن حالته سيئة للغاية".

"إنه يتألَّم كثيراً".

كان جبينه يتفصّد عرقًا من كثرة ما يعانيه من ألم، حتى أصبح خَشِنَ الملمس، ومن حين لآخر تأتي ذبابة تقف على وجهه وتُزيحها "تائيقو" بيدها، وتواصل حديثها، وفجأة توقّف أنين"إيتاكورا" المتواصل بقوله "تؤلمني... تؤلمني"، وقال:

"أريد التبوُّل".

"أمي، أمي... سيتبوّل".

ونادت أخته على أمهم؛ فجاءت وقالت:

"أستميحكم عُذرًا".

وانحنت وجلبت مبولَة سريريَّة ملفوفة بورق جرائد من تحت سريره، وأدخلتها من بين دثاره.

"أتألّم... تؤلمني... تؤلمني... تؤلمني".

وإنما بهذه المرة انطلق صوته بصراخٍ جنوني يختلف تمامًا عن هذيانه من ذي قبل.

"تحمَّل... اصبر، ما باليد حيلة".

"تؤلمني... تؤلمني حتى بمجرّد اللَّمس".

"اصبر... لن تستطيع هكذا".

انتاب "ساتشيقو" شعورٌ غريب، وظلَّت تُحدِّق فيه غير مستوعبة أي ألم هذا الذي يُحوِّل صوته من الخنوع للصراخ. إنه بالكاد حَرَّك موضع ساقه اليسرى قيد أنملة، بدون أن يستدير أو يلفّ جسده؛ إلَّا أن هذه الدقائق القصيرة لخَّصَت المعاناة.

بعدما استقرّ وضعه وهدأ أخيراً وانتظمت أنفاسه والجميع في انتظار استكانته ليعلِّقوا على الأمر، وفتح ثغره واتَّسَعَت حدقتاه بنظرات رُعبٍ لا ترى شيئًا ممَّا حولها، ثم تَفقَّد الوجوه من حوله

مُدقِّقًا في صمتٍ لم يستمرَّ أكثر من لحظات، خلالها سألت "ساتشيقو" والدته:

"ألا يأكل أي شيء؟".

"كلَّا، ولا حتى القليل من الطعام، فقط يشرب عصير الليمون، وهذا ما يجعله يتبوَّل كثيرًا".

توجَّهَت "ساتشيقو" بناظريها نحو ساقه التي تظهر من تحت الدثار، وبالحقيقة لم يبدُ على مظهرها أي شيء غير عادي، وإن كانت فقط العروق تورَّمَت قليلًا، وأصبح لونها يميل للزُّرقة بشكل طفيف، ولم تدرِ"ساتشيقو" ما إن كانت كذلك فعلًا أم مجرَّد إيحاء، ورغم أن المريض لا يزال على وضعه دون حراك إلَّا أنه عاد يتأوَّه كسابق عهده، لكن بهذه المرة فيما بين كلماته "تؤلمني... تؤلمني" أصبح يصرخ:

"آااه... أريد أن أموت... دعوني أمُت... اقتلوني، اقتلوني سريعًا".

كان والده عجوزًا قليل الكلام، زائغة نظراته في رُعب، وليس لديه رأي شخصي، على العكس من والدته التي بَدَت تُصرُّ على موقفها غالِبًا. كانت تسبل جفنيها باستمرار، وتغمض عينيها. ربَّما من قِلَّة النوم أو كثرة البكاء، أو قد يكون لديها مرض ما بعينيها. كانت تعبيراتها مُتبلِّدَة، ومظهرها صارمًا كعجوز شمطاء، ومن أول وهلة رأتها بها "ساتشيقو" وهي بجوار المريض تنفرد بمساعدته أدركت على الفور أنها والدته.

كان هو ذاته يحنو إليها ويتنبَّه ويصغي إليها في حديثها وصمتها.

وصل النقاش حول عرضه على جرَّاح آخر لطريق مسدود؛ فهذه العجوز لا تنطق بأدنى كلمة تنمُّ عن موافقتها، وبعدما جاءت "ساتشيقو" أيضًا ظلَّ الوضع كما هو عليه: أبوه وأمه في جهة، وأخته و"تاثيقو" بجهة أخرى. من وقت لآخر يخرجون بالردهة أو يقفون

بزاويـة الغرفـة ويتهامسـون، وزوجـة الأخ الكبـير هـي الطـرف الوسـيط بـين الجهتـين، وينادونها هنـا وهنـاك. العجـوز تهمـس كلماتهـا بصـوت خافِـتٍ للغايـة لا تسـتطيع "ساتشـيقو" سـماعها، وإنمـا زوجهـا تصنَّـت لهَمهَمَتِهـا متلهِّفًـا. حـاصَرَت "تائيقـو" وأختـه زوجـةَ أخيـه لتبقـى بينهـما، وشـدَّدت كلتاهـما عليهـا القـول بأنـه إذا لم يخضـع لعمليـة جراحيـة عاجلة سـيموت، وذنبـه برقبتهـم، وألحَّـت الاثنتـان عليهـا لتجعـل والدتـه توافـق بـأي شـكل مـن الأشـكال، وجعلتاهـا تقتنـع، وكسـباها في صفِّهـما، وذهبـت لأمـه وقالـت الكثـير، لكـن لم تعـدل العجـوز عـن رأيهـا أبـدًا، وأصرَّت إن كان سـيموت فليَمُـت وجسـده كامـل دون أن يُنتَقَـص منـه أي جُـزء، وصاحـت:

"يا لقسوتكم! ها أنتم تحاولون إجباري".

واستكملت هجومها المضاد بسؤالهم:

"هل ستضمنون لي أنه سينجو؟".

فتركتهـا زوجـة الأخ الكبـير وعـادت إليهـما لتخبرهـم أنهـا حاولـت بشـتَّى الطـرق، لكنهـا لم تقبـل.

فَـرقُ السِّـنِّ يجعلهـا لا تتفهَّـم أبـدًا، وانهـارت أختـه، وحاولـوا تهدئتهـا، لكنهـا بهـذه المـرة ذهبـت بنفسـها إلى أُمِّهـا وهاجَمَـت عِنادَهـا، وقالـت بصـوت متهـدِّج يخنقـه البـكاء:

"ومـاذا عـن ألمـه وهـو ماثِـلٌ أمـام ناظـرك هكـذا! أحقًّـا هكـذا تكونـين أمًّـا! عـلى أيَّـة حـال، سـواء أنقذنـاه أم لم يحـدث، لم يَعُـد يتبقَّـى لنـا أيُّ مُتَّسَـع مـن الوقـت للتفكـير. أليـس مـن مسـؤوليتنا الأخـذ بالحـل الوحيـد المتـاح أمامنـا؟".

وظلَّت تعيد كلماتها مرارًا وتكرارًا.

""ساتشيقو"...".

بالنهايـة نـادت "تائيقـو" عـلى أختهـا وجذبتهـا لأبعـد مـكان بالردهـة، وقالـت لهـا:

"هؤلاء الناس من الريف... يا لطول بالهم! أنا في ذهول!".

"لو كنتُ بمكان أمِّه ربما من الطبيعي أن أقول لا مثلها".

"عـلى أيّـة حـال لقـد فـات الأوان وحُسـم الأمـر، وغايـة الموضـوع أن أختـه طلَبَـت منـي أن أحـاول ولـو لمـرَّة مـع أمِّهـا. و قالـت لي إنهـا عنيـدةٌ جـدًّا، ولكـن ربمـا أمـام شـخصية عظيمـة مثـل حـضرة أختـك الكبـيرة لا تقـول شـيئًا وتوافـق".

"حقًّا! وأنا حضرة الشخصية العظيمة...".

بصراحـة، وجـدت "ساتشـيقو" أن الموقـف سـيصبح سـخيفًا بتدخُّـل الغربـاء، وهـي لا تـدري كيـف لعجـوز مثلهـا أن تتحمَّـل هـذا الوضـع، والأكـثر أنـه بـكل الاحتـمالات سـينتهي الأمـر بالفشـل، ولم يَـرُق لهـا أن تَعلَـق بجـدال كهـذا.

"عُـذرًا، انتظـري مـن فضلـك. بالنهايـة أنـا أعلـم أنـه مـن الأفضـل أن تسـير الأمـور وفقًـا لمـا نـراه جميعًـا، لكنـي شَـكَوتُ لكـم بعدمـا فـاض بي".

وبـدلًا مـن أن تـؤدي "ساتشـيقو" الواجِـبَ وتصطحـب "تائيقـو" وترحل كـما كانـت نِيَّتهـا، وجـدت نفسـها في مـأزق لم تكـن تتمنَّـاه أبـدًا.

صعـدت الممرضـة الـدَّرَج بطريقهـا لغرفـة المريـض، وحـين وجـدت "تائيقـو" بالرَّدهَـة قالـت:

"عفـوًا، السـيد مديـر المشـفى يريـد مقابلـة أحـد أقربـاء المريـض... مَـن يمكنـه أن يتفضَّـل معـي وبمفـرده؟".

ذهبت "تائيقو" لتخبرهم.

جلست أختـه وزوجـة أخيـه القرفصـاء عـلى الأرض بجـوار فراشـه عنـد رأسـه، ووالـداه المُسِـنَّان عنـد قدميـه. بـذاك الحـين أيضًـا تـردَّد والـداه بعـض الـشيء فيـما إن كانـا سـيذهبان أم يدعانهـا هـي تذهـب، ثـم هَـمَّ العجـوزان مـع بعضهـما البعـض وخرجـا سـويًّا وعـادا بعـد حـوالي ربـع سـاعة. جلـس والـده وتنهَّـد ووجهـه يعتليـه نفـس الوجـوم، ووالدتـه تنهمـر دموعهـا وتُهَمهِـم بأذنـه في تذمُّـر، ولا يـدري أحـدٌ مـا أخبرهـما بـه مديـر المشـفى.

بعـد حـين اقتربـت أخـت "إيتاكـورا" مـن والديهـا وسـألتهما فأجابهـا بأن مديـر المشـفى قـال إن خطـر المـوت يداهمـه ببقائـه عـلى هـذا الوضـع، ولا بُـدَّ بـأي شـكل مـن الأشـكال إجـراء عمليـة أخـرى، إنـه بـذل قصـارى جهده في عمليـة الأذن اليمنـى للمريـض، والتطهـير والتعقيـم تـمَّ عـلى أكمـل وجه، وهـو لا يظـنُّ أن مـا حـدث ناتِـجٌ عـن إهـمال في علاجـه، ومـا أصـاب سـاقه ليـس لـه علاقـة بمـرض أذنـه، حتـى إن أذنـه تحسَّـنَت؛ ولذلـك مـا مـن ضرورة لبقائـه في المشـفى هنـا، حيـث لا مجـال لإيجـاد طبيـب مُختـصٍّ فيما شُـخِّص بـه مرضـه، وعـلى العمـوم الطبيـب "سـوزوكي" الـذي أتـاه بالليلـة الماضيـة وافـق عـلى أن يتابـع علاجـه، لكـن بتردُّدهـم وعـدم الوصـول لقـرارٍ يضيـع وقـتٌ غايـة في الأهميـة، وهـو يظـنُّ أنـه قـد فـات الأوان، وإن كان لا يمكنـه إلقـاء اللـوم عليهـم للتباطـؤ في قـرار خطـير كهـذا...

وأزاح المسـؤولية مـن عـلى عاتقـه، وبالتأكيـد أصبـح تَـردُّد والديـه وتأخُّـر القـرار هـو حُجَّـة بمثابـة هجـوم اسـتباقيٍّ ليُحصِّـن ذاتـه.

استمع العجـوزان دون قـول أي شيء غـير" نعـم، نعـم" فقـط، ثـم ألقيـا التحيـة بجزيـل الشـكر وانصرفـا، لكـن بمجـرَّد أن عـادت والدتـه للغرفـة بـدأت تُوبِّـخ زوجهـا وكأنَّ الذَّنـب ذنبـه فيـما لفَّقـه لهـم مديـر المشـفى.

بـرأي "ساتشـيقو" هـي كانـت تَصـبُّ غضبهـا عليـه مـن كـثرة مـا تعانيـه كأم، وبالنهايـة تَبَلـوَرَت فكـرة تـولِّي جـرَّاحٍ آخـر لحالتـه عقـب ذاك اللقاء.

كانت مستشفى الطبيب "سوزوكي" في "كاميتسوسوي" قرب المحطّة الأخيرة لخط "هانكيو" القديم، ولقد تأخّر الوقت لاتخاذ اللازم لنقل المريض إلى هناك.

بنفس الوقت أيضًا أصبح أسلوب السيد "إيسوجاي" مدير المشفى سخيفًا، وبعدما انتهى حديثهم وتوصّلوا إلى ذلك القرار اختفى وتوارى عن الأنظار تمامًا، ولكن ظلَّ شُغله الشاغل التّخلُّص منهم. لم يأتِ حتى لتحيتهم وقت الخروج، وكل مَن جاء من مستشفى "سوزوكي" من أطباء وممرِّضين هم مَن قدَّموا يد العون لنقل المريض وتحمّلوا المسؤولية.

تَناقَش والداه وأخوته لبضع ساعاتٍ، ودار الجدل حول ما إن كانوا سيخبرونه بشأن بتر ساقه أم لا، والمريض بالطبع لا يتوقَّف عن قول "تؤلمني،تؤلمني"، وفي ملكوته بعيدًا عن أي أحد وعن كل شيء، وتحوَّل لمسخٍ يتردَّد صدى أنينه. هكذا رآه كُلُّ مَن حوله من أقرب المقرَّبين، ولم تعد المشكلة لها صِلَة بالسؤال عمّا سيحدث أو عن الأسباب والنتائج بحالته المَرَضيَّة، بل أصبح أكثر ما يثير رعبهم الآن هو كيف ستكون صرخات الألم لهذا المسخ أثناء نَقلِه من فراش المستشفى إلى السرير المتحرِّك؛ فالرَّدهة بخارج غرفة المشفى مثلها مثل أي رَدهَةٍ بمسكن لا يتعدَّى اتساعها المتر، والدَّرَج ضيِّقٌ حلزونيٌّ، بدون أي مساحاتٍ، ومن المؤكَّد أنه سيعاني آلامًا لا تُحتَمَل.

وبدلًا من الأسى الذي يشعر به كل عائلته والكل في انتظار صراخه ويستمع لأنينه الذي لا يتوقَّف بادَرَت "ساتشيقو" بسؤال الممرِّضة كيف سينقلونه، وأجابتها بأنه لا داعي للقلق، وأضاف الطبيب"سوزوكي" أنه سيعطيه حُقنَة مُخدِّر، وكانت إجابته شافيةً لصدورهم، وبالفعل هدأ المريض بعد الحقنة، وحمله الطبيب والممرضون، وشاركتهم أمُّه.

الفصل الخامس والثلاثون

انشغل والد"إيتاكورا" وزوجة أخيه وأخته الصغيرة بإنهاء الإجراءات ودفع التكاليف وجمع الأغراض من الغرفة.

بتلك الأثناء نادت "ساتشيقو" على أختها وأخذتها جانبًا لتخبرها بأنها ستكتفي بهذا القدر وستغادر، وأن "تينوسوكيه" شدّد القول بعودتهما سويًّا. حاولت "ساتشيقو" جعلها تغادر هي الأخرى، لكن "تائيقو" أصرّت على الانتظار لحين التأكُّد من نتيجة العملية التالية، ولم يَعُد لدى "ساتشيقو" أي حل. أخذا سيارة لتقلهما إلى مشفى "سوزوكي"، ثم تابعت "ساتشيقو" طريقها إلى "أشيبا"، وحين توقَّفَت السيارة أمام المشفى نادت "ساتشيقو" مرة أخرى على أختها واستوقفتها وقالت لها أن تنصرف فور أن تستطيع المغادرة بكياسة ومهما كانت تَودُّ مرافقته فهذا يثير حفيظة الجميع، علاوة على أن وجودها لا ضرورة له.

هكـذا قالـت "ساتشـيقو" وأصرَّت عـلى طلبهـا؛ فبالوضـع الحـالي أكـثر مـا يثـير مخاوفهـا هـو أن النـاس سـتسيء فهمهـا، حتـى ولـو كان بـين "تائيقـو" و"إيتاكـورا" خطبـة، بـكل الأحـوال لـن ينـسى أحـدٌ... اسـم عائلـة "مـاكي أوكا"، ومـردود أفعالهـا، خصِّيصًـا عـلى "يوكيقـو"، كلهـا أمـور لا بُـدَّ أن تضعهـا نُصـبَ عينيهـا قبـل أن تتـصرَّف، واسـتفاضت بحديثهـا.

بالحقيقـة كان في نيَّـة "ساتشـيقو" ألَّا تسـعى لمنـع زواجهـما، لكـن الآن إذا مـات "إيتاكـورا" فمـن الأفضـل ألَّا يعـرف أيُّ أحـد عـن وعدهـما. قالتهـا "ساتشـيقو" بطريـق غـير مبـاشر قـدر المسـتطاع، ولكـن بـلا شـك أخـذت "تائيقـو" كلامهـا عـلى محمـل مُغايِـرٍ تمامًـا؛ فأكـبر مشـكلة تعـاني منهـا "ساتشـيقو" بهـذه الآونـة وتؤرِّقهـا هـي أن أختهـا مـن لحمهـا ودمهـا سـتصبح زوجـةً لحِـرفيٍّ لا يعرفـون حَسَـبَه ونَسَـبَه، وطالمـا تطلَّعـت لتُحـلَّ المسـألة مـن تلقـاء نفسـها بطريقـة طبيعيـة وغـير متوقَّعـة، وبصراحـة هـي تسـتحقُّ الشـكر قبـل أي شيء عـلى موقفهـا النبيـل هـذا. إن القلـوب التـي تتمنَّـى المـوت لأيِّ أحـد كان هـي نفسـها التـي تُكـنُّ التعاسـة والبـؤس، وعـلى مـا يبـدو أن هـذه هـي الحقيقـة.

بهـذه الحالـة، فالوصـف لا ينطبـق عـلى "ساتشـيقو" فقـط فهـي ليسـت وحدهـا مَـن تخفـي بداخلهـا هـذه المشـاعر، بـل بالطبـع "يوكيقـو" أيضًـا و"تينوسـوكيه" لديهـما نفـس الشـعور، ولـو كان "أوكوباتا"بمقـدوره الاسـتماع لمكنـون صدورهـم لرَقَـصَ فَرَحًـا، ومـا كان بسـعادته أحـد.

"تأخَّـرتِ للغايـة... لقـد خرجـتِ بالظهـيرة، وحـين وجدتـك تأخَّـرتِ هكـذا اتَّصلـتُ بالمشـفى".

قالها "تينوسوكيه"بعدما وصل للبيت وظلَّ في انتظار عودة زوجته.

"فعـلًا. تأخَّـرتُ هكـذا عـلى أمـل أن أصطحـب "تائيقـو" ونعـود سـويًّا، ولكـن...".

"هل عادت معك؟".

"كلًا، قالـت إنهـا سـتظل معـه حتـى انتهـاء العمليـة، وبالطبـع هـذا ليـس بغريـب...".

"هل تَقرّر إجراء العملية؟".

"نعـم، نعـم... لقـد عُـدتُ بعدمـا قـرّروا ذلـك أخـيرًا بعـد نقـاش طويـل دار حـول: سـيُجريها أم لـن يفعـل، وبالنهايـة اسـتقرُّوا عـلى رأي، وأوصلـت "تانيقـو" لمشـفى "سـوزوكي"".

"هل هذا في صالحه؟".

"ربّما... لن نفقد الأمل".

"غريبٌ جدًّا، وهل تسمَّمَت ساقُه كلُّها؟".

" لا أعلم".

"وما هذا المرض؟ هل سمعت اسمه؟".

"مهـما سـألنا عـن هـذا المـرض يتهـرَّب "إيسـوجاي" مـن الإجابـة، و"سـوزوكي" أيضًـا يتعامـل بتحفُّـظ شـديد ويتسـتَّر عليـه، ولا يفيدنـا بقـولٍ واضـح".

"عـلى مـا أظـنُّ هـو مـرض مختلـف عـن داء "الإسـقربوط"((1)*)، وعـن مـرض تَسـمُّم الـدم".

ذهبـت "ساتشـيقو" للمُمرِّضـة "ميتـو" التـي ارتـدت ملابسـها وانتظرتها. شـكرتها "ساتشـيقو" عـلى مجهودهـا طيلـة الأربعـين يومًـا، وبعدمـا رحلـت انضمَّـت لزوجهـا و"يوكيقـو" عـلى طاولـة العشـاء، لكـن بتلـك الأثنـاء جـاء

(1) الإسـقربوط- ESCURVY: داء ناجـم مـن نقـص فيتامـين سي، ويتسـبَّب في ضعـف الأنسـجة وآلام المفاصـل وخلخلـة الأسـنان وسـقوطها.

هاتفٌ من مشفى "سوزوكي" أجابته "ساتشيقو" واستمع "تينوسوكيه" وباقي العائلة للحديث وهم بغرفة الطعام، وبدا أنها تتحدَّث مع "تائيقو". كانت مكالمة طويلة إلى حَدٍّ ما. مفادها أنه انتهت العملية، وحالته الآن مستقرّة، لكن يلزمه نقل دم. أُخِذَت من الجميع عيِّنة تحليل لفصيلة الدم، بخلاف والديه المُسِنَّيْن. كان "إيتاكورا" وأخته من فصيلة "A"، وتائيقو "O"؛ لذا فمن الأنسب أن تتبرَّع له أخته، لكن من الضروري إيجاد مُتبرِّع آخر، و"تائيقو" فصيلتها تسمح أن تتبرَّع له، ولكنه بالطبع لم يتجرَّأ أحد من أقاربه على طلب منها ذلك. فقط ما يضعها في ورطة الآن هو أن أخته تقترح أن تخبر بعض رفاقه الذين كان يعمل معهم بمتجر "أوكوباتا"، وهذا يعني أنهم سيحضرون على الفور، وهي لا ترغب بلقائهم، غير أنه من المحتمل أن يسمع "أوكوباتا" ذاته بالأمر فيأتي معهم.

أرادت "تائيقو" أن تغادر في الحال لتتحاشى أي فرصة للقائه، وطلبت من أختها أن ترتِّب اللازم، وترسل لها سيارة بالمشفى، فبأيِّ حالٍ من الأحوال هي أصابها الإنهاك، وتريد العودة للمنزل لتناول الطعام والاغتسال.

وبالفعل أخبرت أخت "إيتاكورا" رفاقه القدامى منذ أن كان صبيًّا من حرفيِّي المتجر بحالته المتدهورة، وهي تسعى لإيجاد متبرِّعين بالدم من أعماق قلبها.

انتظر "تينوسوكيه"عودة زوجته للمائدة ليسألها بهدوء:

"ماذا هناك؟ هل عائلة "إيتاكورا" يعرفون أي تفاصيل عن علاقة "أوكوباتا" و"تائيقو"؟".

"أظن أن أبويه لا يعرفان شيئًا؛ فلو كان لديهما علم لما سَمَحَا لابنهما أبدًا أن تكون "تائيقو" عروسًا له".

"بالضَّبط، قَطعًا لا يعرفان شيئًا"، هكذا قالت "تائيقو".

"ربما أخته فقط هي مَن تدري".

"ربَّما أيضًا رفاقه الذين يعملون بمتجر "أوكوباتا"؛ فهم يترددون على منزله باستمرار".

"كيف؟! لم أسمع من قبل أن له رفاقًا قُدامى هكذا، لو كلامك صحيح ألن يكونوا أخبروا كلَّ الناس بعلاقة "إيتاكورا" و"تائيقو"؟".

"حقًّا... بالتأكيد هو كذلك؛ ألم يَقُل "أوكوباتا" سابقًا أنا يدي تطال أي شيء أريد معرفته".

وصلت "تائيقو" المنزل بعد أكثر من ساعة، وقالت إنها انتظرت طويلًا بالمشفى لأن إطار السيارة انثقب وهي بالطريق إليها، ولا بأس بذلك، وإنما بتلك الأثناء جاء رفاق "إيتاكورا" عُمَّال متجر "أوكوباتا"، وكما توقَّعَت بالضبط؛ جاء معهم، وللأسف اضطرَّت لمقابلتهم جميعا. (رغم أن "أوكوباتا" لا يكون بالمتجر بذاك الوقت، لكن في الغالب أخبره أحدُ العاملين هاتفيًّا).

كل ما حدث هو أنه حين همَّت "تائيقو" بالانصراف اقترب منها "أوكوباتا" بلُطفٍ وهمس لها قائلًا: "أليس من الأفضل أن تبقي قليلًا"، ولم تتلقَّها "تائيقو" على سبيل السُّخرية؛ لأنه حين تقدَّم عُمَّال المتجر لتؤخذ منهم عيِّنة تحليل فصيلة الدَّم تَقَدَّم معهم بالمثل، دون أن تدري ما نواياه من الإقدام على هذا الفعل، لكنه عامَّةً طالما تصرَّف بهذا الشكل وبهدوء؛ فلا بأس، ولم يَزِد الأمر عن ذلك.

أُخِذَت العَيِّنات من الجميع بداية بأقاربه، ورغبت "تائيقو" أن تتبرَّع هي أيضًا، لكن أبوَيْه وأخته وزوجة أخيه استوقفوها بإصرار.

"من أين قُطِعَت ساقه؟".

واجتمع الثلاثة حول "تائيقو" يستمعون لها وهي تروي التفاصيل بعدما اغتسلت واستبدلت ملابسها وانضمَّت لهم على الطاولة.

"من هنا".

ومَـدَّت "تائيقـو" سـاقها مـن أسـفل المنضـدة وهـي تشـير لهـم بيدهـا عـلى موضـع الفخـذ؛ مُحاوِلـةً أن توضِّـح لهـم.

"أختي، هل رأيت ذلك؟".

"فقط ألقَيتُ نظرة".

""تائيقو"! هل شاهَدتِ العمليّة؟".

"بوقـت العمليـة انتظـرتُ بالغرفـة المجـاورة... كانـت ذاتَ بـابٍ زجاجيٍّ ويمكنني المشـاهدة".

"وهل شاهَدتِ ذلك؟ حقًّا أكان بمقدورك المشاهدة "تائيقو"؟".

"حاوَلـتُ جاهِـدةً، إلى أن أصبـح الوضـع مُرعِبًـا. كانـت ضربـات قلبـه مُخيفَـة، وصـدره يرتفـع ويعلـو لأقـصى درجـة، ويهبـط، وكل جسـده مُخـدَّر، لـو كنـتِ أنـتِ يـا "ساتشـيقو"... ألـن يُمكِنَـكِ حتـى مشـاهدة هـذا فقـط؟ فهـذا مـا بـه؟!".

"كفى. توقَّفي عن الحديث".

"حقًّا، إلى هنا الوضع عاديٌّ ليس به شيء، ولم أرَ أيَّ شيء مُفجِعًا".

"كُفِّي... كُفِّي عن ذلك".

"حسنًا! الآن وقت شرائح لحم الغزال الصافي، وليس اللحم البشري".

"توقَّفي "تائيقو""، ونهرتها "يوكيقو".

"حسنًا إذن، أنت تعرف اسم ذلك المرض؟".

توجَّهَت "تائيقو" بسؤالها إلى "تينوسوكيه".

""الغرغرينـا" عـلى مـا أظـنُّ... لم يُخبِرني السـيد "سـوزوكي" أثنـاء تواجُدِه بمشـفى "إيسـوجاي"، وإنمـا أبلغنـي بعـد ذهابكم لمشـفاه".

"وإن كان "غرغرينا"؛ فهل تُسبِّب كُلَّ هذا الألم؟".

"بالتأكيد المسألة لها علاقة بعملية أذنه، وهي أصل السبب بهذا كله".

"وكيف هذا! أنا حقًّا لا أتخيَّل".

وستعرف لاحقًا أن "سوزوكي" رفيق مدير المشفى الأخرى، وهو طبيبٌ سيِّئ السُّمعة، لكن على وجه العموم هما أشهر جرَّاحَيْن بالإقليم، وهما الاثنان يُقرَّان بأن حالة المريض الرافض للعملية ميؤوس منها، وما من ضمان لنجاحها، وإن فكَّرتَ في هذا ستجده برُمَّته غريبًا؛ فهناك أسباب مُشينة لمدير المشفى لا تزال مُستَتِرَة. لم تلحظ "تائيقو" هذا بتلك الليلة، وإنما كل ما تنَبَّهَت إليه أنه عِوَضًا عن البناية الضخمة لمستشفى "إيسوجاي" أصبحوا بمكان هادئ؛ فهذا المشفى يبدو وكأنه ليس به ولا مريضٌ واحد، ومن النادر أن تطأه قَدَم؛ ربما ذلك لأن البناية في الأصل كانت منزلًا لأحد الأجانب وتمَّ ترميمه، وهي على الطراز الغربي الكلاسيكي، وشبيهة بمباني عصر "ميچي".

كل خطوة بالرَّدهة يتردَّد صداها بين الجدران والأسقف الشاهقة الارتفاع؛ ممَّا يُعطي انطباعًا بالخواء وكأنها منزل مسكون بالأشباح، وبأول لحظة خَطَت "تائيقو" خطوتها للداخل شعرت بالقشعريرة وداهمها الإحساس بالكآبة.

حملوا المريض بعد العملية إلى غرفته بالمستشفى، وحين استردَّ وعيه بعد التخدير وجد "تائيقو" بجوار وسادته، وكانت أوَّل كلماته:

"أصبحتُ مشلولًا!".

قالها ونبرة صوته يَغلِبُها الأسى، ثم بدأت تأوُّهاته وأنينه المتواصل كالمعتاد مثلما كان بمشفى "إيسوجاي"، وليس هذا فقط، بل والأكثر أن كل كلمة من تأوُّهاته التي كانت وكأنها أنينُ وَحشٍ كاسِر غَلَبَه الأملُ أصبَحَت مُستمرَّةً وهو بكامل وعيه ويدري حالته ويعرف كل ما يدور بجواره من مناقشات، إلّا أن "تائيقو" كانت ترى أنه يتحسَّن، وأفضل من ذي قبل، حتى كلماته "تؤلمني، تؤلمني" هدأت حِدَّتُها، وكانت تظنُّ أنه تمّ إنقاذه للتَّوِّ بأقل الخسائر الممكنة، وبفقده لإحدى ساقيه، وكانت تتخيَّله يتماثل للشفاء ويتوكَّأ على عكاز بِسَيْره، لكن بالحقيقة خلال ساعات قليلة قادمة سينال راحته التي طلبها.

لقد أسرع إليه رفاقه و"أوكوباتا"، و"تائيقو" أيضًا كانت بجوار تطمئنُّ على حالته بنفسها باستمرار، وحيث غادَرَت كانت حالته مستقرَّة.

أخته فقط من بين كل الموجودين هي التي شعرت بأن هناك خطبًا ما، لكن "تائيقو" جعلتها تتغاضى عن الأمر. والأكثر أن "تائيقو" أكَّدَت عليها حين انصرافها أنه إذا طرأ أي شيء بحالته تخبرها مهما كان الوقت وأيضًا أكَّدَت على سائق السيارة الذي جاءها أن يبقى على أهبة الاستعداد لأنه إن جدَّ أيُّ شيء ستحتاجه أن يأتيها على الفور.

خلدت "تائيقو" للنوم بعدما أرهقها الحديث مع ثلاثتهم، لكن كالمتوقَّع بالضَّبط، أوقظها هاتِفٌ من المستشفى بالرابعة صباحًا، واستدعوها.

بالفجر استمعت "ساتشيقو" لصرير عجلات السيارة وهي تنصرف من أمام منزلهم، لكنها واصَلَت أحلامها وسقطت في غفوتها وهيَ لا تعي أن "تائيقو" غادَرَت، أو حتى بأيِّ وقتٍ هُم.

السِّتائر بالكاد مفتوحة قليلًا.

"سيدتي...".

قالتها "أوهارو" وتابَعَت:

"الآن جاء هاتف من سيدتي الأخت الصغيرة تقول إن "إيتاكورا"، مات وعليَّ أن أُخبِرَكِ".

"ما السَّاعة الآن؟".

"السادسة والنصف حضرتك".

أوشَكَت "ساتشيقو" أن تغفو مرَّةً أخرى، لكن جافاها النوم. "تينوسوكيه" أيضًا أيقظه رنينُ الهاتف، واستيقظت "يوكيقو" والصغيرة "إتسوقو" لاحقًا قُربَ الساعة الثامنة، واستمعا لما حدث من "أوهارو".

عادت "تائيقو" بالظهيرة.

لقد ساءت حالته بعد رحيلها وتبرَّعَت له بالدم أختُه ورفاقه أيضًا، كلٌّ بِدَورِه، دون أي جدوى؛ فالمريض الذي تحرَّر أخيرًا من أوجاع ساقه غزا الميكروب رِئَتَيْه ومُخَّه. لم تَرَه "تائيقو" وهو يعاني آلامه الرهيبة قبل أن يلفظ آخر أنفاسه.

كان بكامل وعيه وهو على فراش الموت، وتحدَّث لواحدٍ واحِدٍ ممَّن حوله: والديه وإخوته ورفاقه، وأرادهم أن يخبروا "تائيقو" و"أوكوباتا" أيضًا عرفانَه بجميلهم وتمنِّياته لهما بالسعادة في المستقبل، وذكر اسم كل فرد بعائلة "ماكي أوكا": "ساتشيقو"، "تينوسوكيه"، "يوكيقو" و"إتسوقو"، وحتى "أوهارو"، وأوصاهم أن يبلغوهم السلام.

غادر رفاقه المشفى لأن كان لديهم نوبة عمل مسائيٌّ بمتجر "أوكوباتا"، لكن "أوكوباتا" ذاته مكث مع والديه وإخوته إلى أن وصَّل جثمان "إيتاكورا" لمنزله، ورافقته "تائيقو" ثم عادت للبيت، وظلَّ "أوكوباتا" معهم يعتني بهم ويساندهم، وهم ينادونه دائمًا بـ "سيدي"، و"حضرتك"، "سيادتك".

أتمَّ معهم مراسِمَ التأبين بتلك الليلة، والجنازة باليوم التالي.

حينها بدا الهزال على وجه "تائيقو" إثر قلَّة النوم وسهرها للتمريض، وارتسم الهدوء على ملامحها دون أن تذرف دمعةً واحدة.

حضرت "تائيقو" لساعة فقط بليلة التأبين، وبمساء اليوم التالي كان لديها مشاغلها، في حين أن "أوكوباتا" ظلَّ متواجِدًا بكل ليلة.

كان على أهبة الاستعداد لينتهز أي فرصة ويحادثها إن لمح منها أيَّ إشارة.

في البداية قال"تينوسوكيه" إنه من غير اللائق تَغيُّبهم عن المأتم، لكنه باليوم التالي قال إن مصلحة أختيه الصغيرتين بالقانون هي أهم شيء يضعه نصب عينيه.. تلك المراسم سيكون بها الكثيرُ من الحضور، ومنذ واقعة الجريدة هو لا يفضِّل الصِّدام بعائلة "أوكوباتا"؛ لذا انتهى الأمر بأنه لن يحضر الجنازة، و"ساتشيقو" ستؤدِّي واجب العزاء لاحِقًا بأيِّ وقت آخر. أمَّا "تائيقو" فحضرت المأتم ولم تذهب لمحرقة الجثامين، وبعدما عادت رَوَت لهم أنه كان هناك أعداد هائلة من الحضور المشاركين على نحوٍ غير متوقَّع، ورأت كثيرًا من الوجوه التي أثارت دهشتها، ربما لأنَّ "إيتاكورا" كانت يداه ممدودةً بالخير، وودودًا مع كل الناس.

لكنها شعرت بشيء آخر غير مُتوقَّع بذاك اليوم؛ كان "أوكوباتا" يتحرَّك بكل طاقته هنا وهناك، ويتبادَلُ الحديث مع عُمَّال متجره سويًّا وهو جنبًا إلى جنب معهم بجوار النعش.

أخذ ذووه الرُّفات لمعبد بلدتهم مسقط رأسه لدفنها، لكن قبيل رحيلهم فتحوا متجرَ تصوير "إيتاكورا" المغلق بمنطقة "تاناكا" لبعض

الوقـت، ولم تأتِهـم أيَّـة تحيَّـة مـن عائلـة "مـاكي أوكا"، وعـلى الأرجـح هـم فَضَّلـوا انتهـاء العلاقـة عنـد هـذا الحـد.

عـلى مـرِّ خمسـة وثلاثـين يومًـا، أسـبوعيًّا، كانـت تذهـب "تائيقـو" بمفردهـا لبلـدة فقيدهـا الراحـل، وتـزور قـبره بـكل أسًى، وتعـود خلسـةً دون أن تمـرَّ عـلى مسـكن والِدَيْـه وإخوتـه.

حتى "ساتشيقو" لم تَدرِ بالأمر.

بعدمـا غـادَرَت الممرِّضـة "ميتـو" واسـتردَّت الصغـيرة عافيتهـا أصبحـت تنـام مـع "يوكيقـو" بجهـةٍ مُنفَصِلـة بنفـس الغرفـة، وبقيـت "تائيقـو" لحالهـا، ولمـدة ليلتـين كانـت تسـتدعي "أوهـارو" للمبيـت معهـا. إنهـا باليـوم السـابق لرحيـل "إيتاكـورا" انتقلـت لغرفـة نـومٍ ببنـاء البيـت الرئيـسي والجنـاح المنفصـل بالبيـت تـمَّ تطهـيرُه بـ "الفورمالـين"، ثـم عـاد كـما كان مـن قبـل؛ غرفـةَ مكتـبٍ لـ "تينوسـوكيه".

وفي خِضَـمِّ تَقلُّـب الأحـداث عـلى ذاك الحـال انقـضى شـهر مايـو، لكـن بأحـد الأيـام وصـل خطـابٌ لمنزلهـم مُرسَـل عـبر "سـيبريا".

كان خطابًـا إلى "ساتشـيقو" بالإنجليزيـة مـن السـيدة "STOLZ"، بعدما عـادت مـن "مانيـلا" إلى "هامـبرج"، مكتـوب به:

"2 مايو 1939

من هامبرج

عزيزتي سيدة عائلة "ماكي أوكا"

أعتذر بشدة عن التَّلكُّؤ في الرَّدِّ على خطابك الرقيق.

في الحقيقـة وأنـا في "مانيـلا"، وعـلى مـتن السـفينة في عـرض البحـر أيضًـا لم يكـن لـديَّ مُتَّسَـع مـن الوقـت أبـدًا.

أنـا الأن برفقـة أختـي المريضـة في ألمانيـا. كان لا بُـدَّ لي مـن حـزم كثـير مـن الأمتعـة بـدلًا منهـا، واصطَحَبـتُ أبناءهـا الثلاثـة أيضًـا، أي كنـت وسـط متاعـب خمسـة أطفـال، وحقًّـا لم أهنـأ بـأي راحـة برحلتنـا مـن "جنـوه" إلى أن وصلنـا "بريملهافـن"، وهنـاك التقيـتُ بزوجـي. كان بخـير حـال، وأمّـا "بيـتر" فلقـد كان في اسـتقبالنا بالمحطَّـة مـع أقاربنـا والرفـاق. مـا زلـتُ لم ألتـقِ بعـدُ بوالـدي العجـوز وباقـي أخـواتي.

نحـن نريـد بنـاء منـزل لنـا، لكـن هـذه مشـقَّة كبـيرة، وتجوَّلنـا نبحـث عـن واحـد. بالنهايـة وجدنـا بيتًـا نظنُّـه مناسِـبًا لنـا، ولكننـا لا يـزال يلزمنـا أن نبتـاع الأثـاث وأدوات المطبـخ وغـيره.

أظـنُّ يلزمنـا أسـبوعين لننتهـي مـن كل شيء. مـا شـحَنّاه مـن أغـراض لم تصـل بعـدُ، وقـد تصـل خـلال عـشرة أيـام.

لا يـزال "بيـتر" و"فريتـز" يقيـمان لـدى أحـد الأصدقـاء. "بيـتر" لديـه الكثـير مـن الواجبـات المدرسـية، وهـو يرسـل لكـم كثـير السـلام.

هنـاك صديـق لنـا سـيعود لليابـان بشـهر مايـو، وسنرسـل معـه هديـة بسـيطة لــ "إتسـوقو"؛ تعبـيرًا عـن الامتنـان للصَّداقـة التـي جمَعَتنـا بكـم، ونحـن نرحِّـب بكـم بـأي وقـت في ألمانيـا.

ليتني أستطيع أن أُريَكِ "هامبرج"... إنها مدينة رائعة.

كتبَـت "روزمـاري" خطابًـا لــ "إتسـوقو". مـن فضلـك دعيهـا تكتـب لهـا رَدًّا، ولا تعبَئـي بأخطـاء الإنجليزيـة؛ فهـا أنـا ذا أقـع بكثـير مـن الأخطـاء.

مـاذا عـن المنـزل الـذي يملكـه السـيد "سـاطوو"؟ هـل يسـكنه أحـدٌ الآن؟

بالحقيقة كان مكانًا مُحبَّبًا إلى قلبي للغاية.

مـن فضلـك أبلغـي السـيد "سـاطوو" سـلامنا وخالـص تحيـاتي لـكل واحـد بأسرتـك.

هـل اسـتَلَمَت "إتسـوقو" الحـذاء الـذي ابتاعـه لهـا "بيـتر" مـن "نيويـورك"؟

إنـه خالـص الجـمارك عـلى مـا أعتقـد، ولسـتِ بحاجَـةٍ لدفـع شيء لاسـتلامه.

تحيَّاتي.

"هيلدا ستولز"".

كان ذلـك محتـوى خطـاب السـيدة "STOLZ "، وكان مُرفَقًّـا بـه بنفـس المظـروف ورقـة ترجمتهـا السـيدة "هيلـدا" مـن الألمانيـة إلى الإنجليزيـة نقـلًا عـن خطـاب "روزمـاري":

"الثلاثاء 2 مايو 1939

عزيزتي "إتسوقو".

كثير من الأخبار لم أروِها لكِ منذ فترة طويلة.

أخيرًا أنا أكتب إليكِ خطابًا.

عرفـتُ شـخصًا يابانيًـا يقيـم ببيـت السـيدة "VON PSTAN"، إنـه يعمـل ببنـك "يوقوهامـا". زوجتـه وأبنـاؤه الثلاثـة أيضًـا جـاؤوا معـه إلى هنـا. اسـمه "إيمـاي".

الرحلة من "مانيلا" إلى ألمانيا كانت مُمتِعَةً للغاية. واجَهنا لأوَّل مرَّة عاصِفةً صحراوية بقناة السويس.

غادر أبناء خالتي السفينة في "چنوه"، واصطحبتهم أمُّهم إلى ألمانيا بالقطار، أمَّا نحن فتابعنا بالسفينة إلى "بريملهافن".

بالبيت الذي نقيم به، وتحت نافذة غرفة نومنا عَشَّشَت بجعةٌ سوداءُ، ووَضَعَت بيوضها لأوَّل مرة. لا بُدَّ لها أن تفقس الآن.

رأيتهم بذات مرَّة: الأب يجمع بمنقاره الحشرات ويقدِّمها للأم، لكن البجعة الأم طارت مُرَفرِفَةً بجناحيها.

كان الأب ماهِرًا جدًّا بجمع الحشرات الميتة. كان يضعها بالعش ويطير، وحين عادت الأم على الفور التهمت الطعام، ورقدت فوق بيوضها مرَّةً أخرى.

قريبًا سيكون لدينا بيت جديد. عنواننا هو:

مدينة "فيربيك"، بيت رقم 14، الدور الأرضي، جهةَ اليسار.

عزيزتي "إتسوقو"، من فضلك راسليني سريعًا.

سلامي للجميع

التقينا بـ "بيتر" في الأمس، وهو أيضًا يرسل سلامَه للجميع".

"روزماري"

(يُتبع في الجزء الأخير)

نبذة عن المؤلف

جون إيتشيرو تانيزاكي



جـون إيتشـيرو تانيـزاكي (باليابانيـة:—谷崎 潤一郎 تانيـزاكى جونيتشـيرو)، (24 يوليـو 1886- 30 يوليـو 1965)، روائى يابانى وقـد يكـون أشـهر روائى يابانى بعـد ناتسـومى سوسـيكي. تمثـل أعمالـه ديناميكيـة الحيـاة العائليـة اليابانيـة فى سـياق التغـيُّرات السريعـة فى المجتمـع اليابـانى فى القـرن العشريـن، كـما تمثـل البحـث عـن هويـة ثقافيـة يابانيـة فى العـالم الحديـث. حصـل على وسـام الثقافة عـام 1949.

صنفـه النقـاد إلى جانـب ميشـيما يوكيـو، وكاواباتـا ياسـونارى، كأكـبر كاتـب عرفتـه اليابـان فى القـرن العشريـن، نـشر روايتـه الأولى "وشـم" عـام 1910 -وسـنه 24 سـنة- وبـدت منطبعـة بتيـار الأدب الحديـث والمتأنـق

جماليًّا. خسر منزله بعد أن دمره زلزال طوكيو المأساوى واضطر إلى الانتقال إلى "كيوتو"، وهناك انقلبت حياته وأفكاره رأسًا على عقب عندما صدمته مدينة "كيوتو" التى جسدت التقاليد والأصالة مقابل حداثة "طوكيو"، ليكتشف أن الأدب الحديث الذى كان يعتقده ابتكارًا أوروبيًّا خالصًا إنما يجد معادله فى الأدب اليابانى العريق.

الجوائز:

- صاحب الاستحقاق الثقافى 1951
- وسام الثقافة 1949
- جائزة أساهى 1948

نبذة عن الرواية

أربع أخوات. لكل منهن حكايتها.

حب وزواج وعلاقات أسرية تتأرجح بين منفعة ومصلحة أو احتواء وعطف بخلاف الغيرة أحيانًا والضجر أحيانًا أخرى. الأخوات الأربع تختلف طبائعهن وطموحاتهن وتطلعاتهن، وفى النهاية كلهن مقيدات بأعراف المجتمع والتقاليد، ولكل واحدة منهن طريقة تعبيرها الخاصة، تجد المندفعة وتجد المتكتمة مثلاً.

إن كان الكاتب يستعرض فى الرواية مختلف أنواع الشخصيات النسائية وبالمثل أيضًا عن الجانب الذكورى، فستجد فى الرواية الزوج مرهف الحس المحب لزوجته، والزوج العملى المهتم بوضعه الوظيفى على حساب من حوله، والأب الطيب المرفّه، ومختلف شخصيات العرسان الذين يتقدمون لخطبة الأخت الصغرى "يوكيقو".

الرواية صدرت فى ثلاثة أجزاء بدايةً من عام 1943 إلى عام 1948 رصدًا لحياة أسرة غنية بـ"أوساكا" فى عام 1936، وتركز على حياتهم الاجتماعية ومحاولتهم إيجاد زوج مناسب لأختهم "يوكيقو" دون تنازل عن مستواهم الاجتماعى، ما يعرضهم لكثير من المواقف المحرجة والمشكلات.

اسم القصة مستوحى من الأشعار اليابانية الكلاسيكية وصورة تساقط أزهار الكرز بالربيع المبكر التى دائمًا ما تُنسج حولها الأشعار، وذلك كناية عن اللادوام.

صارت الرواية فيلمًا سينمائيًا للمرة الأولى 1950، ثم أعيد إخراجه مرة أخرى فى عام 1959 وصدر للمرة الأخيرة كفيلم فى عام 1983.

أيضًا تحولت القصة إلى مسلسل تلفزيونىّ لكثير من المرات، أولاها عام 1957 ثم 1959 و1966 وأخيراً عام 1980.

كلمة من المترجم

هـذه الروايـة ترجمـة مبـاشرة مـن اليابانيـة إلى العربيـة للمـرة الأولى للأديـب "تانيـزاكي جـون إيتشـيرو"، فالكثـير مـن أعمالـه مترجـم إلى الإنجليزيـة، ونـادر فى عالمنـا العـربى أن تُترجَـم الأعـمال اليابانيـة مـن الأصـل وليـس مـن الإنجليزيـة. المعـروف أن الترجمـة مـن غـير النـص الأصـلى تفتقـر إلى الدقـة عـادةً وتجعـل العمـل عرضـة للتحريـف، وعليـه فقـد عملـت جاهـدة للمحافظـة عـلى روح النـص ونقـل إيحـاءات الألفـاظ والمقاصـد المسـترة بـين السـطور كـما هـى ليستشـعرها القـارئ.

هنـا يجـب التنويـه إلى أن قـارئ الأدب المترجـم ليـس بـأى قـارئ، فهـو يتميـز بسـعة الأفـق وشـغفه بالثقافـات المختلفـة والبعيـدة عـن عالمـه، وبقدرتـه عـلى تقبـل الآخـر مـن منطلـق التطلـع والتعـرف إلى كل جديـد وغريـب. بالنسـبة إلى هـذا النـوع مـن القـراء، فهـا هـو قـد وجـد ضالتـه بهـذه الروايـة. إنهـا بـاب مفتـوح عـلى مصراعيـه لإلقـاء نظـرة عـلى المجتمـع اليابـانى.

الرواية تدور أحداثها حول أربع أخوات لكل منهن ظروفها وسماتها المختلفة عن بقية الأخوات، ويسرد الكاتب ببراعة وسلاسة مواقف حياتية تثير فضول القارئ خصوصًا في بلادنا العربية، فستجدك ترسم بمخيلتك أشكال البيوت والشوارع والناس وترى عاداتهم وتقاليدهم وتقارنها بحالنا، وتارة سيثير دهشتك مدى التشابه وتارة أخرى ستتعجب من مدى الغرابة بالنسبة إلينا، وعليه ستزداد فضولاً حيال كيف صار شكل المجتمع الياباني الآن والحياة، وكيف تغيرنا نحن.

إن الكاتب أبدع في ربط الأحداث ونسج خيوطها، فتجده مرة يتعرض لنواحٍ سياسية وأثرها الملموس في حياة العامة، ومرة يسرد عادات وتقاليد وموروثات خاصة بالزواج والعمل والحب وهي تتأرجح بين الاستمرار وبدء الزوال، ويسترسل ويعرض مختلف طبقات المجتمع وطبيعة العلاقات الإنسانية، ومن بين السطور ستستشف استحسانه أو رفضه. في النهاية ستجد أنك لديك صورة متكاملة الأركان ومتناسقة الألوان للمجتمع الياباني وهو على أعتاب الحرب العالمية.

لقد أبدع المؤلف إلى حد صعَّب عليَّ مهمتي التي بذلت فيها قصارى جهدي، وأرجو من الله التوفيق.

آية حسن شاكر

アーヤ．ハッサン

